(موسوعة)

مقدمات العلوم والمناهج

محاولة لبناء منهج إسلامي متكامل

المجلد الثالث

عالم الإسلام المعاصر

يتناول بالبحث تاريخ العالم الإسلامى المعاصر وأقطاره وقضاياه والتحديات الموجهة إليه ، وقضية الجامعة الإسلامية والوحدة العربية والتضامن وموقف العالم الإسلامى من القوى الغازية الثلاث : الاستعمار الغربى والصهيونية والشيوعية ودراسة قضايا العالم الإسلامى على أبواب القرن الخامس عشر الهجرى وما يتصل بالعلاقات بين الشيوعية والصهيونية والدعوات الهدامة كالبهائية والقاديانية والمخططات التى تستهدف غزو المجتمع الإسلامى .

أنور الجندى

توزيع
دار الأنصار
٨١ شارع البستان ناصية شارع الجمهورية
عابدين ت ٩٣١٥٨١

مطبعة التقدم
٤٤ شارع الماوردى بالمنيرة - القاهرة
تليفون ٨٤١٤٢١

رقم الإيداع ٥٣٥٥ / ٨٠
الترقيم الدولى ٥-٠٩-٧٣٤٠-٩٧٧

مقدمات العلوم والمناهج

موسوعة إسلامية جامعة

تهدف إلى إرساء منهج إسلامى جامع للفكر الإسلامى تضم عشرة مجلدات فى عشر موضوعات كبرى كل منها فى مجلد خاص كوحدة مستقلة ويتكامل فى مجموعها العام بحيث تستوعب مختلف القضايا الإسلامية استيعاباً كاملا .

المجلد الأول : الفكر الإسلامى

يتناول بالبحث الجذور الأساسية للفكر الإسلامى التى بناها القرآن الكريم والسنة المطهرة وما واجهه من محاولات فى العصر الأول وفى العصر الحديث وخاصة ما يتصل بحركات التغريب والغزو الثقافى عن طريق الاستشراق والتبشير وانبعاث الفكر الوثنى الهلينى والشرقى القديم .

المجلد الثانى : تاريخ الإسلام

ويتناول بالبحث دراسة مستوعبة لتاريخ الإسلام منذ بزوع فجره إلى اليوم مروراً بمراحله المختلفة وأحداثه الكبرى وتوسعاته فى قارات آسيا وأوربا وأفريقيا إلى العصر الحديث وخاصة فيما يتعلق بالعلاقات بين عالم الإسلام والغرب وبين العرب والدولة العثمانية وسقوط الخلافة وقيام القوميات والاقليميات .

المجلد الثالث : العالم الإسلامى المعاصر — هذا المجلد

المجلد الرابع : اللغة والأدب والثقافة .
المجلد الخامس: التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة .
المجلد السادس: المجتمع الإسلامى .
المجلد السابع : الحضارة والعلم والعلوم الإجتماعية .
المجلد الثامن : الإسلام فى مواجهة الفلسفات والأديان .
المجلد التاسع : الشبهات والأخطاء الشائعة .
المجلد العاشر : حركة اليقظة الإسلامية .

من المنتظر أن تصدر ملاحق للموسوعة بعد انتهائها
يصدر المجلدات تباعاً عن دار الأنصار للطبع والنشر — مطبعة التقدم

فهرست الموضوعات

الرسالة الثالثة

العالم الإسلامى والغزوة الشيوعية :

قريباً المجلد الرابع من موسوعة مقدمات العلوم والمناهج : اللغة والأدب والثقافة

يتناول بالبحث قضية اللغة العربية والادب العربى والثقافة العربية وانتماءها الإسلامى والمحاولات التى قام بها الغزو الثقافى والتغريب فى سبيل بعث العاميات وإدخال مفاهيم المناهج الوافدة فى الأدب والثقافة والقضايا التى حاول التغريب إثارة السموم حولها .

الرسالة الأولى

العالم الإسلامى المعاصر

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخـــل

كان العالم الاسلامى وحدة لا تتجزأ قبل الغزو الاستعمارى الغربى فلما تنوعت حكوماته ودولة فقد كانت تجمعه وحدة فكر ووحدة شعور ولقد مر العالم الإسلامى بمرحلة ضعف وتخلف، شأنه فى ذلك شأن كل أمة كل حضارة حين تمر بمرحلة بعد مرحلة، قوة بعد ضعف وضعف بعد قوة، سنة الوجود وناموس الحياة، ولكن العالم الاسلامى لم يلبث أن استيقظ بقوته الذاتية، استيقظ من داخل أعماقه، وبعامل أساسى قائم فى كيانه، قادر على إعطائه عامل القوة بعد الضعف، مستمداً إياه من مقومات فكره الأساسية، ولقد كانت تلك اليقظة سابقة لما حاول الغربيون أن يدعو أنه مصدر لذلك، سابقا الثورة الفرنسية بسنوات طويلة ومتقدما على الحملة الفرنسية أيضا، فقد انبثق من قلب الجزيرة العربية منذ منتصف القرن الثامن عشر تقريبا ثم عم الآفاق إلى غير ما حد، مضت هذه اليقظة إليه وإلى كل طريق مضى فيه الاستعمار إلى غايته فى السيطرة على العالم الإسلامى وتمزيق وحدة هذه الكتلة الجامعة التى يربطها فكر عميق المدى وشعور دقيق الأثر وكلاهما عميق الجذور يمتد إلى إلى يوم بزوغ ضوء الإسلام فى القرن السابع الميلادى ومنذ ذلك الوقت وإلى اليوم، لم يقع أمر فى تاريخ أو يحدث حدث فى حركة الإنسانية إلا وكان وثيق الاتصال بالإسلام والعالم الإسلامى، مؤثر فيه أو متأثر به، فقد فرض الإسلام كقوة عقائدية وسياسية واجتماعية مكانه على هذا الكوكب فرضا ولذلك فقد كان ذلك الصدام بين العالم الاسلامى والاستعمار أمراً خطيراً بعيد المدى فى تاريخ الانسانية وتاريخ الاسلام نفسه، يحتاج إلى دراسة واسعة عميقة مستوعبة.

ولقد كان من الضرورى أن يتصدى كثير من الباحثين لهذا العمل وأن يحشد له الجهود وأمامنا دراسات كثيرة، لعل أكثرها استيعابا وأعمقها «حاضر العالم الاسلامى» الذى تمثل مجموعة من الدراسات الاسلامية الواسعة التى قام بها الأمير شكيب أرسلان وألقاها على هوامش كتاب «لوثروب ستوارد» الذى ترجمه عجاج نويهض فى أوائل الثلاثينات.

ومنذ صدر ذلك الكتاب وإلى اليوم لم نجد من كتابنا الذين يكتبون بالعربية من أولى العالم الاسلامى اهتماما واسعا ، فقد شغل الكتاب بالدراسات المتخصصة فى مجالات كثيرة ، كان أهمها دراسات العالم العربى التى استنفذت جهوداً ضخمة فى السنوات العشرين الأخيرة ، فقد صدرت مؤلفات متعددة متخصصة عن واحد من الأقطار الإسلامية ، أو آخر . ولكن دراسة شاملة تربط بين تحديات الاستعمار وبين رد الفعل فى العالم الإسلامى لم تحظ باهتمام خاص ، وربما كتب بعض الباحثين دراسات قصيرة استعرضوا فيها أحوال العالم الاسلامى الجغرافية والتاريخية وبالرغم من أن بعض هذه الدراسات قد حملت وجهة نظر الغربيين والمستشرقين ، واعتمدت اعتمادا كبيراً على مصادرهم وآرائهم فان هذه الدراسات لم تستوف الغرض الذى يحقق ظهور دراسة شاملة عن « الاسلام والاستعمار » . وكثير من الكتاب الذين يتصدون للكتابة عن تاريخ الاسلام السياسى أو خريطة الاسلام فى العصر الحديث يعتمدون اعتماداً كبيراً على المصادر الغربية وهم معذورون فى ذلك حيث أنها متوفرة على نحو كبير ، وهى قادرة على منحهم كل مايريدون من معلومات بدراساتها الواسعة ، ولكن هذه المصادر لها وجهات نظر مستمدة من علاقة الاستعمار والتغريب بالعالم الاسلامى وتاريخه

وهؤلاء الكتاب ينقادون مع الأسف وراء دقائق خطيرة بحسن نية أو عن تصور أنها نظرات علمية بينما هى فى أعمق أعماقها تحمل معنى التوجيه الاستعمارى وتبطنها الكراهية والحقد ويغلفها الصراع القائم بين الاسلام والغرب من قديم ، والمعروف سلفاً أن الدراسات الغربية عن الاسلام (فكراً أو تاريخاً أو سياسية أو جغرافياً) إنما تقوم على أساس خطة أساسية هى اقناع للسلمين أنفسهم بأمور هامة ورئيسية تحول دون وحدتهم أو قوتهم ، لتثير أسباب الخلاف والصراع بينهم دوما وتجددها كلما هدأت هذه الأسباب ، رغبة فى أن يظل هذا العالم ممزقاً ، فلا تقوم له وحدة فكر من شأنها أن تؤدى إلى وحدة جامعة تمكنه من تكوين جبهة صامدة فى وجه الغزو الاستعمارى .

ومن الحق أن للسلمين والعرب فى مواجهة الغزو الاستعمارى الجديد : اقتصاديا وثقافيا ومواجهة التغريب المركز ، هم فى حاجة إلى عناصر الملاءمة والالتقاء وفى حاجة إلى عوامل الترابط والامتزاج والاغضاء عن الخلافات القديمة والمعارك الماضية التى قامت بين المذاهب السياسية ثم كادت أن تموت لولا أن الاستعمار عجل ببعثها من جديد ، وأيقظها ، ودفعها لتثير الخلاف مستأنفا حتى لا يلتقى أصحاب الفكر الاسلامى الذى يستمد أصوله من التوحيد على الوحدة ، وهم من ناحية أخرى فى حاجة إلى النظرة العلمية التى تستمد جوهرها من الإيمان بوجودهم وشخصيتهم وكيانهم وقيمهم الأساسية ، وهى نظرة يجب أن تختلف أساساً عن نظرة الغرب إليهم . فالمعروف أساسا أن الغرب كان يحمل

حقد الحروب الصليبية فى أعماقه لم يتخل عنه ، وكان يخاصم الدولة العثمانية التى مدت نفوذها إلى قلب أوربا وسيطرت عليها خمسة قرون ، وإن هذه الاحقاد والخصومات قد جرت فى دمائهم جيلا بعد جيل ، ولذلك فمن غير المعقول أنهم ينصفون الاسلام والمسلمين والعرب والدولة العثمانية أو يصدرون فيها عن رأى مجرد من الهوى ، أو عقل وضمير متحرر عن الاحساس الذاتى العميق الذى قلما ينفصل عن شخصية المؤرخ أو الباحث الغربى .

ومن هنا فهم لا يستطيعون أن يعرضوا تاريخ الاسلام عرضاً بريئا خالصا لوجه الحق ، وحيث هم يرون أن « العالم الاسلامى » هو التجسيد الماثل للاسلام فهم يرون للمسلمين قوة أو نهضة تمكنهم من القوة والعزة ، فهم مازالوا يمثلون الخطر الذى يمتص ثرواته ومقدراته ، ولقد كان هدف الاستعمار الأساسى من السيطرة على العالم الإسلامى القضاء هو : على هذه القوة المعنوية العقلية والروحية التى تدفع المسلمين إلى اليقظة ، وإمتلاك ناصية أمورهم ، والسيطرة على مقدراتهم ، وكان القضاء على هذه القوة — ولا يزال — هو أهم فى أهداف الاستعمار بحسبان أنه العامل الوحيد الذى يعارض استعمارهم ويقاوم وجوده ، ولكن القيم الاسلامية الحيوية هى دائما قادرة على التجدد والنمو والتفاعل كلما مرت بالعالم الاسلامى فترة من الضعف أزمة من أزمات التخلف ، لتدفعه إلى الأمام مرة أخرى ، ومن أجل هذا فان الأقلام الغربية فى كتاباتها عن العالم الاسلامى ، ومن خلال عشرات المؤلفات والدراسات والموسوعات إنما تحاول أن تصور العالم الاسلامى تصويرا بعيداً عن حقيقته ، ولهذا فإن اتجاه بعض كتابنا إلى ترديد هذه النظرات ، موالاة للفكر الغربى ، أو عجزاً عن فهم جوهر أمتهم وقيمها ومقدرتها إنما يترك آثاراً بعيدة المدى فى تأخير النهضة والقضاء على روح اليقظة . فالغربيون يحاولون إثارة الشبهات المختلفة رغبة فى تمزيق وحدة العالم الاسلامى الفكرية وإحلال الثقافات الأقليمية والقومية محلها ، ولكن هذه الثقافات ما تزال تستمد مقوماتها من الفكر الاسلامى أساسا ، ولذلك فهم يدعونها إلى احياء تراث قديم جدا سابق للاسلام كالفرعونية والبربرية والفينيقية وحضارات سالفة فى أندونيسيا والهند وإيران وتركيا ، ولكن هذه الدعوات القديمة ماتزال تتهاوى حيث لا أدب لها ولا تراث ولا مقومات تربط الأمم بها بعد أن قضى عليها الاسلام خلال أربعة عشر قرنا ، وماتزال الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى هى أعمق عوامل الترابط بين حاضر الأمم الاسلامية وماضيها ، ويحاول الغربيون أن يصوروا الاسلام على أنه (دين) وأنه لاهوت ويشبهونه فى هذا بأديان أخرى هو يختلف عنها لأنه ليس دينا فحسب ولكنه دين ومجتمع وحضارة وهو فى هذا مخالف للصورة التى عرفتها أوربا للدين والكنيسة ومناهضتهما للنهضة أما الاسلام فهو يتميز فى موقفه من الحضارة والنهضة بأنه منشىء « المنهج العلمى التجريبى » الذى بنت عليه أوربا الحضارة المعاصرة .

وتحاول مقررات التغريب أن تفرض على القيم الاجتماعية والإنسانية مفاهيم تختلف عن مفاهيمنا المستمدة من فكرنا الإسلامى ، كما تحاول إثارة الشبهات نحو تاريخنا ولغتنا ورسولنا وتراثنا لتفسد مفهومه فى نظر الأجيال الجديدة ، ومن هنا فإن اعتماد كتابنا على مصادر الغرب على خطير يحمل طابع الهدم لقيمنا ومقوماتنا ، وهو خطر لا يعرف كتابنا مدى أثر المتابعة له ، ولذلك فقد كان من الضرورى إعادة النظر فى هذه الآراء جميعا محاولة لعرض (حاضر العالم الإسلامى) على نحو أكثر اتصالا بقيمنا ، وأكثر إيمانا بكياننا وأكثر تحرراً من نظرة الغير الخاطئة المعادية لوجودنا وتاريخنا وأمتنا وكياننا .

ونحن فى الحق لا نعادى النظرات المنصفة والآراء الخالصة لوجه الحق والعلم ، بل نرحب بها ولكننا نصحح المفاهيم الخاطئة المغرضة التى يدفع بها النفوذ الاستعمارى كأسلوب من أساليب استدامة وجوده بتدمير وجودنا والعالم الإسلامى حقيقة واقعة تلعب دوراً أساسيا فى سياسة العالم بين الكتلتين الشرقية والغربية لها ثقلها فى ميزان التاريخ ، والسياسة الدولية ، والوجود البشرى . لهذه القوة ميزتان (أولاها) أنها عامل مؤثر وما من حدث وقع فى العالم كله منذ ظهور الإسلام إلى اليوم إلا كان له به صلة ما (والثانى) : أن العالم الإسلامى هو موضع الحساب والتقدير من مختلف سياسات الدول الأوربية الكبرى فلم يكن قط فى أى مرحلة من مراحل التاريخ قوة مهملة أو أثر منكورا . وهو إلى ذلك حقيقة فكرية تتمثل فى رباط العقيدة الإسلامية والفكر والثقافة وهو إلى ذلك نظام اجتماعى كامل يقوم على هذه العقيدة ، وهو منهج إنسانى شامل للعلاقات بين الأفراد والجماعات وبين الشعوب والمجتمعات والدول ، فهو يضم ألف مليون من المسلمين يمثلون ربع سكان العالم (الذى يضم ٤٠٠٠ مليون نسمة) والعرب منهم مائة مليون والمسلمون موزعون على أكثر من ٦٧ دولة يوجدون فيها بنسبة أو بأخرى من بينها عدد من الدول أكثر من نصف سكانها مسلمين ، وهم منتشرون فى أوربا وأفريقيا وآسيا واستراليا منها ٢٣ دولة مستقلة فى افريقيا و١٤ دولة مستقلة فى آسيا ، حتى ليمكن أن يقال إن واحدا من كل ستة أشخاص فى العالم اليوم يدينون بالإسلام . وحتى ليوشك أن لا تكون هناك دولة واحدة فى عالم اليوم لا يتمثل فيها الإسلام ولو ببضع عشرات من الآلاف كما فى استراليا أو اليابان . ويكاد يكون الإسلام هو الدين القومى فى مجموعة ضخمة من هذه الدول . نعم هو عدد ضخم من البشر يتحد فى العقيدة والفكر والشعور لا مثيل له فى العالم كله ، يتميز بأكثر من عامل قوة ، أهمها المجاورة فى السكان والتركيز فى قلب العالم فى منطقة تمتد دون حواجز أو فواصل من أواسط آسيا إلى المحيط الأطلسى ، من روسيا فى الشمال المحيط الهندى ، وجنوبا ما وراء

خط الاستواء ويملك احتياطي العالم كله من المواد الخام والبترول وما يزال العالم العربي هو قلب العالم الإسلامي، مقر العقيدة ومركز الأماكن المقدسة والأزهر، ومازال العرب يمثلون القيادة الفكرية والروحية، على مذهب الجماعة والسنة. وقد انتشر الإسلام في هذه المناطق الواسعة بعمل الأفراد دون أن يكون له نفوذ سياسي أو قوة تعتمد على المؤسسات والدول والاعتمادات في افريقيا وفي آسيا وفي أوربا وامريكا، ومازال الإسلام في توسع دائم في منطقتين من أخطر مناطق العالم هما: قلب افريقيا وجنوب شرق آسيا بالاضافة إلى العالم الجديد. والإسلام دين المستقبل وافريقيا للإسلام هي قارة المستقبل والحقيقة التي يعترف بها الباحثون المنصفون هي أن الإسلام ينتشر كل يوم وإن عدد المسلمين يزداد يوما بعد يوم في جميع الأوساط والهيئات حيث لم يعرف الإسلام دون الأديان جميعا، أي أرتداد عنه أو تحول إلى غيره، فهو دين وزيادة وإذا كان الدين علاقة بين الإنسان والله فإن الإسلام يزيد إلى هذا علاقة بين الإنسان والمجتمع.

هذا الوجود الإسلامي له أهميته وخطره، فهو يسيطر على قارة وسطى في قلب آسيا وافريقيا هي من أخطر المواقع العالمية حيث يتكلم عالم الإسلام ثماني لغات في مقدمتها اللغة العربية العالمية ولغات متعددة تكتب بالحروف العربية ويسيطر على موانى البحور الثلاث الأحمر والأبيض والأسود، ويطل على محيطين هما المحيط الهادى والمحيط الأطلسي، ومن هنا كانت خطورة الصراع بينه وبين الغرب، وبينه وبين الاستعمار بتياراته المختلفة وقواه المتعدده المتلاقية عليه أصلا وإن اختلفت فيما بينها، هذا الصراع المتجدد الذي لم يتوقف منذ فجر الإسلام حتى اليوم ولعل من أخطر ما واجه الإسلام في العالم المعاصر والتاريخ الحديث، تلك الغزوة الخطيرة: غزوة الاستعمار الحديث التي تمثل في رأى كثير من المؤرخين حلقة جديدة من الحملات الصليبية أو كما صورها أحد قادتهم «نهاية الحروب الصليبية» التي انحسرت عن العالم الإسلامي منذ ثمانية قرون مهزومة، مدحورة، وقد عادت مسيطرة هذه المرة، وهذا هو موضوع هذا البحث. ذلك أن العالم الإسلامي في العصر الحديث ماكاد يستيقظ (من أعماقه ومن داخله) ليجدد حياته وليعيد تجميع قواه وانعاش واقعه حتى يواجه الغزو الاستعمارى بحركة تطويق ضخمة، لم تلبث أن اندفعت إلى أعماقه، فكانت مهمته مزدوجة: هي مهمة اليقظة ومهمة المقاومة وكان ضعف الدولة العثمانية مقدمة لحركة الاستعمار الذي طمع في أن يمزقها ويسيطر على مقدراتها، ومن ثم واجه العالم الاسلامى معركة طويلة بين المحافظة على وجوده وقيمه وبين الاستعمار الغاصب، قدم فيها الشهداء والضحايا والدماء، وقاوم بكل ما يملك أهله، حتى بالأجساد المتراصة أحيانا أمام قوات حديثة الأسلحة، مليئة بالمكر والغدر ودخل معارك حاسمة لم ينهزم فيها عن طريق

السلاح رغم قلة العدد والعدد ولكن هزم بالمؤامرة والخداع ، ولم تستسلم فئة منه إلا بعد أن غدر بها أو فقدت كل ما تستطيع أن تقاوم به من عتاد . وغلب طابع المقاومة على مختلف طوابع المجتمع الاسلامى : واستطاع العالم الاسلامى أن يواجه التحدى ، تحدى الحضارة الأوربية الاستعمارى بصمود عظيم واستطاع أن يرد بقوة وصلابة جيشا من الطامحين الغزاة ، وقاوم فى سبيل التحرر من النفوذ السياسى والاقتصادى والعسكرى الغربى وخطا المسلمون خطوات واسعة فى سبيل التحرر وأفسدوا حلم الاستعمار فى البقاء الطويل واستمرت مقاومة العالم الاسلامى وامتدت ولم تتوقف : فاندلعت ثورات الهند واندونسيا ومصر والجزائر والمغرب والسودان والتركستان والقوقاز . ولم يتوقف المسلمون جيلا بعد جيل ، فى نطاق الدعوات الاسلامية أو الدعوات الوطنية ، أو الدعوات القومية عن مقاومة الاستعمار ولم يقبلوا أبدا أن تحتويهم مناطق النفوذ ، قاوموا الاستعمار والتبشير والصهيونية ومذاهب الالحاد والأباحة .

وعمد الاستعمار إلى مخططات خطيرة حاول بها الفصل بين العرب والمسلمين وبين الترك والعرب وبين المسلمين والنصارى ، وبين المسلمين والهندوس ، وأثار الخلافات القديمة بين السنة والشيعة والبربر والعرب ، وجمد الاستعمار المجتمعات البدوية وجمد القبليات وحرص على عدم إنصهارها فى المجتمعات الكبرى حتى لا تسود الأمة وحدة شاملة ، وحال دون مقدرة الوحدات الصحراوية على التمدن لتظل هناك طبقات متخلفة وقوى متفاوته وخلق المشكلة الطائفية ، وغذاها وفرضها لتكون أداة سياسية له ، فقد كان التعايش قائما وآمنا على شريعة الله بين الأغلبية المسلمة والطوائف المختلفة قبل الاستعمار ، غير أن الاستعمار حرص على أن يؤلب ويوقع بين الطوائف ويأخذ كنفه الأقليات ليدفعها إلى الأنقضاض الدائم وفق ما يريد وألب الاستعمار وأثار الخلاف بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية وعمق خلافاتها وألب الاستعمار الخلاف بين العرب والترك وأوقع الثأر بينهما وألب الخصومات بين الفرق الاسلامية . وفتح الاستعمار باب التبشير الإرساليات وساندها وضمن لها حرية الحركة والتمويل وسهل الاستعمار استيراد أقليات دينية غربية من الأرمن والأشوريين والنساطرة فى المشرق العربى وقدم أجناسا أخرى من مالطيين ويونانيين ويهود . واحتضن الاستعمار الفرنسى المارون واحتضن الاستعمار البريطانى الدروز فأوقع بينهما وعمل على تمزيق الدولة العثمانية إلى عرب وترك ، وتمزيق سوريا إلى علويين ودروز ، وإلى دمشق وحلب . وعمد إلى تحويل لبنان الصغير إلى لبنان الكبير وحشد أكبر أقلية مسيحيه فى رقعة واحدة . وأفسد الاستعمار نمو الاسلام وتوسعه ووقف فى وجه زحفه السلمى وقاومه ووقف فى وجه اللغة العربية وجمد انتشارها بحسبانها لغة القرآن ونشر لغته . وعمد

الاستعمار إلى تمزيق الروابط التاريخية والفكرية بين قوميات المسلمين من عرب وترك وفرس وعمق هذه الخلافات بينها حرصا على الانفصالية والحيلولة دون الوحدة الفكرية أو الأخوة الروحية وانبثقت الغزوة الاستعمارية عن الحركة الصهيونية الطامعة فى الوصول إلى (القدس) فى قلب فلسطين طمعا فى إقامة هيكل سليمان مكان بيت المقدس . وتجمعت مطامع روسيا القيصرية وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا وأسبانيا وهولندا كلها لتجتاح العالم الإسلامى وكانت الصهيونية من وراء هذه القوى ثم أسفرت عن هدف واضح وإذا كان للاستعمار أثره البعيد فى تمزيق وحدة العالم الإسلامى وإقامة الكيانات الاقليمية فان أخطر تحديات الاستعمار هى تحديات الغزو الثقافى فى سبيل إبقاء الوجود الاستعمارى ودعمه بما يحقق للاستعمار استمرار استنزاف المواد الخام من العالم الإسلامى وامتصاص ماليته واقتصاده باتخاذه سوقا تجارية لمنتجاته، ولذلك فقد كانت حركة اليقظة والمقاومة عميقة المسئولية، فقد عملت على تصحيح مفاهيم الإسلام والتماس جوهره وقيمه ومفاهيمه الأساسية باعتبارها الوسيلة الأولى للمواجهة والمقاومة ، وإيمانا بأن انفصال المسلمين عن جوهر فكرهم هو الذى أصاب وجودهم بالهزيمة والضعف .

وقد أبرزت حركة اليقظة والمقاومة مجموعة ضخمة من الاعلام والقادة والأبطال الأفذاذ الذين قادوا النضال ، كابراً بعد كابر ، بحيث لم تسقط الراية أبدا من أيدى قادة النضال الذين يتتابعون على العالم الإسلامى ، وكانت حركاتهم متوالية يكمل بعضها بعضا ، فهى قد اتصلت فلم تنفصل وتوالت فلم تتوقف وتوزعت على مختلف وحدات العالم الاسلامى ومازال تدفع بالأفذاذ والقادة فى مواجهة التحديات وعلى قدرها صلابة وصموداً . وما يزال الاسلام ينمو ذاتيا رغم كل العقبات التى توضع فى طريقه ، وقد ارتبط بحركات النضال التحرر ورفع مستوى أتباعه فى كل مكان وعلمهم الكرامة والعزة والايمان والأخلاق . وبعد فماذا فعل العالم الاسلامى ازاء الاستعمار ؟ هل تقبله راضيا وذاب فيه وفنى فى بوتقته وانصهر وجوده وامحى كيانه ؟ الحق أن لا ! ولن يكون ذلك ولو طال صراعه مع الاستعمار فان الجذور العميقة للاسلام لاتزال حيه والخلايا لاتزال نفاذه وقادره على المقاومة طويلا وبالرغم من الخلافات التى يجددها الاستعمار بين السنة والشيعة والعروبة والاسلام ، فإن هناك أرضيه عريضة للالتقاء موجودة ويمكن أن تنمى ، والمسلمون والعرب ، والسنة والشيعة قادرون جميعا على أن يفهموا الهدف من تفريقهم وتمزيقهم والقاء الفرقة بينهم ، فيزيلوا العوامل المصطنعة التى وضعها الاستعمار ونماها وهم يعرفون أن كل الشيع والفرق والطوائف بدأت أساساً كصراعات على السلطة والحكم وقد انتهت بانتهاء عصورها . هذه الأرضية تتمثل فى وحدة الفكر التى يفرضها الاسلام

وتدعمها القيم الأساسية الكبرى المشتركة بين المسلمين جميعا استمداداً من ثقافتهم وتراثهم وجذورهم الممتدة إلى أربعة عشر قرنا . والعالم الاسلامى يضم عديداً من القوميات وليست القوميات معارضة للاخاء الاسلامى وليست ضد مفهوم الاسلام ، وليس الاسلام فى مواجهة القوميات وإنما يتقبل الاسلام القوميات كعامل قوة ويدفع عنها التعصب والعنصرية ويجعلها مفتوحة للالتقاء مع وحدة الفكر التى تربط القوميات على صعيد الاسلام . ولن يحول اختلاف المسلمين فى المذاهب عن الوحدة والأخوة ولن تقف عقبات باسم العروبة والاسلام أو السنة والشيعة عن التضامن والتلاحم . ولن يتخلى المسلمون عن مقومات فكرهم ازاء غزو الفكر الغربى لهم وفى مواجهة نظريات القومية والديمقراطية والاشتراكية والحرية التى تتميز جميعها بأنها ذات جذور أصيلة فى الفكر الاسلامى وهى قيم لها مفاهيم واضحة عندهم منذ أجيال . ولن يكون تقبل المسلمون للحضارة الغربية عاملا على انصهارهم فى بوتقه الاممية أو العالمية ولن تدفعهم دراسة فكر الغرب والانتفاع به إلى التخلى عن مناهجهم وفكرهم ومقوماتهم . إن تجربة تركيا التى هلل لها الغرب وحاول أن يفرضها على المسلمين قد نفقت وعادت تركيا إلى جوهر مزاجها النفسى الأصيل الذى انفصلت عنه بقوة القانون العسكرى والحكم الاستعمارى المتسلط . ولن تكون القومية بمفهوم الغرب ولكنها ستكون مستمدة من جذور فكرنا : وحدة فكر ووحدة شعور ووحدة ثقافة . ذلك إن الخطر الذى يواجه الأمة العربية والعالم الاسلامى ازاء الصهيونية العالمية وسيطرة اسرائيل على فلسطين ، إنما يضع المسلمين والعرب جميعا أمام تجربة ضخمة أشبه بالتجربة التى خاضوها من قبل فى مواجهة الغزو الصليبى وحملة التتار ومعارك الفرنجة وقد واجه العرب المسلمون هذه الغزوات فى قوة وبسالة وصمود وحققوا فى «حطين» و « عين جالوت » و « الزلاقة » نصراً مؤزرا رد الأعداء ودك حصونهم . وسيكتب العرب والمسلمون معهم صفحة جديدة من صفحات الجهاد والاستشهاد والنصر ستكون من المواقع الحاسمة التى يذكرها تاريخ العالم الاسلامى المعاصر ويضعها بين أنصع صفحاته . فقد تعلم العرب والمسلمون من دروس التاريخ كيف كان النزاع والخلاف مصدراً لما أصابهم من كوارث . وتنبه المسلمون إلى أنهم يشتركون فى تاريخ واحد وتقاليد واحده وثقافة جامعة وعرفوا أن أزمة العالم الاسلامى المعاصر إنما تصدر من حيث هو واقع تحت النفوذ الاستعمارى ، وما يزال العالم الاسلامى يتمخض عن أوضاع جديده تقدمية فى الاقتصاد والسياسة والاجتماع قوامها الوحده والتحرر والقوه والعدل الاجتماعى .

وما تزال عوامل الوحده والأخوه تعمق وتتسع حتى يعود العالم الاسلامى مره أخرى إلى أصالته فكراً ومجتمعا ، وحده لا تتجزأ ، هى وحده فكر ووحده شعور . وبعد فهذه هى المحاولة التى تجرى

القلم لتصويرها فى هذه الصفحات ، فى دراسة العالم الإسلامى والاستعمار السياسى والاجتماعى والثقافى منذ أوائل اليقظة حتى أواخر الحرب العالمية الثانية . على أن نتابعها بدراسة أخرى عن مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية .

الباب الأول

الإسلام وعالم الإسلام

(١)

الإسلام والأمة العربية

هناك حقيقة أساسيه هى أن « الأمة العربية هى التى حملت لواء الاسلام إلى العالم كله . ونشرته من خلال دولته الكبرى التى امتدت من حدود الصين إلى حدود فرنسا . ومن ثم فقد ارتبطت الأمة العربية بالاسلام ارتباطاً عضويا لا سبيل إلى فصامه ، وقد كانت اللغة العربية بحسبانها أكبر عوامل الوحدة العربية هى لغة القرآن والصلاة ووسيلة أداء الاسلام ونشره . وقد ارتبطت الأمة العربية بالدولة الاسلامية فى مجال القيادة السياسية قرون طويلة ، حتى إذا ما سقطت الخلافة العباسية عام ٦٥٦ تقبل العرب الوحدة السياسية التى أصبحت قيادتها للدولة العثمانية دون أن تكون العلاقة بين العرب والعثمانيين علاقة احتلال أو استعمار أو ما يوصف فى هذه الأيام بالسيادة . ذلك أن للمفهوم الأساسى للوحدة الاسلامية إنما كان يقوم على أساس واضح هو أنه يحمل لواء القيادة أقدر الأمم الاسلامية عليها، فحيث ضعف النفوذ السياسى فى بغداد بعد أن اجتاح العالم الاسلامى الغزو التتارى وبعد الحروب الصليبية التى استمرت أكثر من قرنين لم تلبث قوة الأتراك العثمانيين أن برزت وسيطرت وتقبلتها الأمة العربية وانضوت إليها بوصفها قيادة إسلامية ليست فيها فوارق بين جنس وجنس ،هذه الفوارق التى لم تظهر إلا فى القرن التاسع عشر وفى مجال التأثر والتأثير بين العالم الاسلامى فى مرحلة الضعف وبين العالم الغربى فى مرحلة القوة ، حيث رجحت كفة أوربا وأخذت تجتاح عالم الاسلام بالغزو والتطويق . فالأمة العربية كانت إلى قريب من نهاية الحرب العالمية الأولى ، شطراً من الدولة العثمانية

التى كانت تجمع الأتراك والعرب ، حيث استطاع النفوذ الاستعمارى الزاحف أن يضرب هذه الوحدة وأن يثير بين العنصرين خصومة عنيفه فى ظل دعوة « القومية » التى اجتاحت إوربا ونقلها النفوذ الاستعمارى إلى العالم الاسلامى كاحدى أسلحته الحادة العنيفة فى تمزيق هـذه الوحدة الاسلامية القائمة باسم الدولة العثمانية والتى تضم الترك والعرب وترسم عن طريق الخلافة قيادة العالم الاسلامى كله . ولما كان الاستعمار حريصا على أن يمزق هـذه الوحدة ويسيطر على هذه الأجزاء ويقتسمها ، فقد كان تركيزه قويا على كيان هذه الدولة وذلك بإثارة العناصر المختلفة فيه ، وقد حملت لواء هـذا العمل فئة الاتحاديين الذى كانوا يصدرون عن دعوة الوحدة الطورانية ويعمدون إلى تحويل الدولة العثمانية إلى قومية واحدة بتتريك العرب . وكان لابد للعرب أن يقاوموا عوامل الفناء وخاصة حين امتدت إلى اللغة العربية والكيان العربى ، ومن هنا وقع الصدام الذى انتهى إلى الانفصال عسكريا وحربيا عن طريق ثورة الشريف حسين التى قاتل فيها العرب المسلمون الترك المسلمون وأجلوهم عن شبة الجزيرة وعن الشام كله ، وبذلك أتاحوا الفرصة للقوات الفرنسية والبريطانيـة بالسيطرة على المناطق التى أجلاها العثمانيون .

وحيث كان على « الدولة العثمانية » التى مرت بعوامل الضعف والفناء فترة طويلة ، كعامل قوة أن لها تركز وحدتها على نظام لامركزى يضمن للعرب مثل نصيب الأتراك مع بقاء القيادة التركية فى مركز الخلافة ، وحيث كان على العثمانيين أن يأخذوا بكثير مما عرض عليهم من وسائل لدعم الوحدة الإسلامية الممثلة فى الدولة العثمانية ، وذلك بأخذ اللغة العربية كلسان للدوله الإسلامية أو قيام نظـام الخديويات الذى اقترحه جمال الدين الأفغانى على السلطان عبد الحميد كمقدمة لانضمام الهند وفارس وأفغانستان إلى دولة الخلافه، حيث كان على العثمانيين كل هذا ، فإن قوى النفوذ الاستعمارى الضاغطة على حزب الاتحاد والترقى الذى بدأ فى أول أمره كحركة عثمانية إيجابية ثم سيطرت عليه عناصـر الدونمة واليهود والماسونية والقـــوى الاستعمارية البريطانية والفرنسية لتحوله إلى أداة للتجزئه ، استطاعت هذه القوى أن تفصم العروة الوثقى وأن تحول تركيا تحويلا خطيراً إلى دولة غربية خالصة إنقلب من النقيض إلى النقيض ومن قياده العالم الإسلامى إلى إلغاء الإسلام رسميا واجتماعيا وانتهاج نهج غربى خالص .

هنا كان دور الأمة العربية قد تجدد ، لتحمل لواء الإسلام والإصلاح الإسلامى ، وأن تقاوم الغزو الغربى العنيف الذى يعمل على محو مقوماتها الأساسية ، ولقد كانت اليقظة فى قلب الأمة قد اندلع بريقها فعلا فى منتصف القرن الثامن عشر ، وحيث خبت شعلة القيادة الإسلامية العثمانية ، بدعوة

التوحيد من قلب الجزيرة العربية وتبعتها دعوات من الأزهر فى مصر ومن اليمن واتقدت من جديد شعلة التجديد والإصلاح قبل وصول الحملة الفرنسية بأكثر من ستين عاما ، وكان ذلك مع امتداده إيذانا بأن تحمل الأمة العربية من جديد لواء حركة التجديد والإصلاح والبعث الإسلامى فى مختلف مجالاته ، وقد كان على هذه الحركة أن تجدد مفاهيم الإسلام وتنفض عنه غبار الجمود والتقليد ، وأن تقاوم فى نفس الوقت قوى النفوذ الغربى الزاحف سياسيا واجتماعيا وثقافيا ، وهى مهمة شاقة اضطلعت بها الأمة العربية — وشاركتها فيها حركات إسلامية متعددة فى الهند وأندونيسيا ، غير أنه كان للأمة العربية ولمصر بالذات أثرها الواضح فى تأصيل حركة اليقظة ودفعها إلى الأمام فى المغرب العربى وفى أفريقيا وفى مختلف أنحاء عالم الإسلام بما أتيح لها من منهج قوى قام عليه جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ومدرسة المنار .

ومن عجب أن الاستعمار حين زحف بنفوذه السياسى والثقافى والعسكرى إلى العالم الإسلامى لم يضغط بشدة ، ولم يركز تركيزا عنيفا على أمة بقدر ما ركز على الأمة العربية بحسبان أنها حاملة المشعل وقائدة الحركة التجديدية الإسلامية. وقد تمثلت حركة التحدى والمقاومة فى عدة عوامل هامة : أبرزها الطائفية والأقليات فقد اهتم الاستعمار بخلق الخلافات بين اتباع البلد الواحد وإثارة الخصومات القديمة بينهم هادفا من ذلك إلى خلق الطائفة وتكريسها وإنشاب الصراع بين الفرق المختلفة . وكذلك خلق ولاءاً خاصاً له مرتبطاً بالأقليات إذا كانت غير مسلمة ، فهو قد والى الأقليات المسيحية فى لبنان ومصر وبينها والى الأغلبية الهندوكية فى الهند ، وللمشكلة الطائفية قصة طويلة اتكأ عليها الاستعمار وجعلها عاملا من العوامل الهامة فى تنفيذ سياسته كما جعل منها وسيلة للقضاء على القيم الأساسية التى يقوم عليها المجتمع الإسلامى . « والمشكلة الطائفية لم تنفصل فى أى مرحلة من مراحلها عن الاستعمار فهو الذى غذاها إن لم يكن خلقها وهو الذى اتخذ منها أداة سياسية يدعم بها وجوده » . والمعروف أن أهل الذمة والأقليات فى عصور التاريخ الإسلامى المختلفة كانوا يعيشون فى ظل نظام سمح يوفر لهم الأمن والسلام ويكفل لهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية ويحافظ على كنائسهم ويضمن لهم مكاناً عادلا فى مختلف مجالات المجتمع . غير أن النفوذ الاستعمارى قد عمد منذ اللحظة الأولى لوجوده إلى دعم الطائفية وتغذيتها وشهرها كسلاح فى وجه المجتمعات المختلفة ، وجعلها أداته ، كوسيلة من وسائل دعم بقائه على أساس التفرقة الدائمة. وفى ظل هذه الدعوة « فتح الاستعمار الباب للتبشير والإرساليات والمدارس الأجنبية كما سهل إستيراد أقليات أخرى دينية غربية ، كالأرمن والأشوريين والنساطرة فى المشرق والمالطيين والقبارصة واليونانيين والهنود ، بالإضافة إلى جاليات الاستعمار نفسها » . وقد

عرف منذ عهد بعيد أن الاستعمار الفرنسي يحتضن المارون وأن الاستعمار البريطاني يحتضن الدروز ، وكانت روسيا كانت تحتضن الكنيسة الأرثوذكسية ، أما أمريكا فهي ربة الكنيسة البروتستانية . وأن صراع الإرساليات الأمريكية والفرنسية كان بالغ العنف على الأرض العربية . في الشام ومصر ، وكانت له آثاره الخطيرة في تنشئة جيل جديد أسلمه الاستعمار لواء القيادة السياسية في أغلب أجزاء العالم العربي .

وقد كان للتبشير دوره في تمزيق وحدة الأمة الدولة كما حدث في السودان حيث قصد به (تعميق الهوة بين الجنوب والشمال) وصولا إلى الفصل السياسي بينهما . وكذلك جرت المحاولات لتقسيم « الشام » إلى سوريا ولبنان وفلسطين والأردن . وتقسيم سوريا إلى دولة علوية شيعية ودوله للدروز ، وتحويل لبنان الصغير إلى لبنان الكبير على نحو روعى فيه حشد أكبر أقلية مسيحية ممكنة في رقعة واحدة وإقامة مشروعات سوريا الكبرى والهلال الخصيب . وكذلك الدعوة إلى إقامة كيان للبربر في المغرب وايجاد عناصر الخلاف بين المسلمين والمسيحيين في مصر . ثم بين الشيعة والسنة في العراق وسوريا . وتمزيق وحدة وأدى النيل بين مصر والسودان إلى عشرات المحاولات الخطيرة منذ جرى تمزيق الوحدة الاسلامية الجامعة للعرب والترك إلى تقسيم العرب أنفسهم إلى دول ، وتقسيم الدول إلى أحزاب وفرق ومذاهب . وفي خلال مرحلة الاحتلال البريطاني والفرنسي للعالم العربي تضخمت هذه الفروق المذهبية والطوائف والأقليات ودعمت ، حيث حرص الاستعمار على الإبقاء على الكيانات القبلية والطائفية حتى لا تنصهر الأمة العربية في وحدة واحدة ، وما تزال هذه الكيانات قائمة ومازال لها أثرها الكبير في دعم الأقلية وزيادة الخلافات . وتاخير الانصهار والوحدة والاسلام هو الدين القومي للأمة العربية . وقد نص عليه في دساتير أغلب الاقطار العربية وفي دستور سوريا أن الاسلام هو المصدر الرئيسي للتشريع .

ومن قلب الأمة ظهرت الدعوات : الوهابية والسنوسية والمهدية وحركات الاصلاح الاسلامي بقيادة جمال الدين ومحمد عبده وتابعيهم في ذلك مدرسة في الشام تتمثل في (طاهر الجزائري والبيطار والقاسمي) ومدرسة في المغرب أطلق عليها اسم الحركة السلفية تمددت في تونس والجزائر والمغرب . وانبثقت منها جمعية العلماء بقيادة عبد الحميد بن باديس ثم تجددت الحركة الوهابية مرة أخرى في العقد الثالث من هذا القرن ، وارتبط ظهورها بسقوط الخلافة في الدولة العثمانية كأنما كانت بديلا عنها وكان للأزهر في دوره الخطير ، بالاضافة إلى دور الزيتونية والنجف والقرويين وغيرها من جامعات الثقافة الاسلامية . ولا ينكر فضل الطرق الصوفية في نشر الاسلام عرضياً بينما كانت الحركة السلفية

تعمل على تصحيح عقائده وتنقيته من التقليد والبدع . ولعل أخطر ما واجه الأمة العربية في معركته مع الاستعمار الغربي هو فرض نفوذ صهيوني على فلسطين تحول من بعد إلى دولة يهودية طاردت أهل البلاد الأصليين وأقامت في مكانهم جسما غريبا هو « إسرائيل » التي أصبحت من بعد عاملا خطيرا في الحيلولة دون إلتقاء الأجزاء العربية في أفريقيا وآسيا ، وخطراً بعيد الأثر في فرض النفوذ الأجنبي وتعويق قيام وطن كامل . ومانع خطير دون قدرة الأمه العربية على الحركة في مجال مقاومة الاستعمار أو بناء كيانها السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، وقد بلغت الحركة الصهيونية قمتها باحتلال القدس سنة ١٩٦٧ .

وكان للنفوذ الاستعماري في العالم العربي خلال فترة ما بين الحربين : « مرحلة الاحتلال » أبعد الأثر في إقامة البناء السياسي العربي على التقليد الغربي الذي أثبت عدم قدرته على التجاوب مع النفس العربية . وقد قام في خلال فترة ما بين الحرب حكام كانوا أولياء المستعمر ولذلك حاولوا دون قيام تربية إسلامية أو بناء ثقافي مؤصل يستمد مفاهيمه من الفكر الإسلامي . وسمح في هذه المرحلة للنفوذ الأجنبي أن يسيطر على برامج التعليم وأن يفصلها عن أرضيتها العربية الإسلامية . وأن يؤكد اللغة الأجنبية (الانجليزية والفرنسية) ويجعلها مصدر التفوق في مجال العمل في المعارف والدوائر المختلفة ، وبذلك تأخرت اللغة العربية عن أن تشق طريقها وتنمو ، كما تخلف التاريخ العربي الإسلامي وتخلفت فنون الثقافة العربيه حيث سيطرت دراسات الفكر الغربي وأبطاله وتاريخه وجغرافيته

وفي جزء من الوطن العربي كالجزائر قضى نهائياً على اللغة العربية لولا ما استنقذته حركة جمعية العلماء التي قام بها الإمام عبد الحميد بن باديس ، كذلك كان للبعثات التبشيرية والصحف الكبرى التي يسيطر عليها النفوذ الاستعماري أثرها في خلق مفاهيم جديدة للفكر العربي منفصلة أو متعارضة مع القيم الأساسية الإسلامية . ولذلك فقد انتفضت في العالم العربي القوى الوطنية فكونت جمعيات إسلامية في مقدمتها جمعية الشبان والأخوان التي نشأت في مصر في مواجهة تحديات أعمال التبشير الخطيرة التي استفحلت في مصر والسودان خلال الثلاثينات وكان من أبرز ما استهدفته هذه الحركة « تصحيح مفاهيم الإسلام في مجال الاجتماع والسياسة والاقتصاد » وقد كان لهذا النفوذ الثقافي الشعبي أثره البعيد في دوائر الجامعات والمدارس وكان لها صوتها المسموع عن طريق صحفها ومجلاتها وعلى منابر البرلمان .

وقد كان للأحزاب السياسية التي ظهرت في العالم العربي أثرها في تأكيد مفاهيم الاستعمار على الصعيد الاجتماعي بالرغم من عملها السياسي الظاهر في مواجهة الاحتلال والدعوة إلى الاستقلال ،

ويبدو ثلاثة رجال من كبار الزعماء فى مصر والعراق كتوابع للفكر الغربى فى تأكيد مفاهيمه من خلاف الحركة الوطنية السياسية : وهم لطفى السيد وسعد زغلول ونورى السعيد . قاومت الأمة العربية النفوذ الأجنبى والغزو الاستعمارى الذى هاجمها فى أشد فترات حياتها ضعفا وتفككا ، قاومته بالسلاح والقتال ولم يحقق الاستعمار وجوده إلا بالخديعة والتآمر ، وفى مصر والجزائر وهما من أولى الدول المحتلة قامت ثورة عبد القادر وثورة عرابى ، وقد وضعت الحرب العالمية الأولى خاتمة هذا الزحف حيث سيطر النفوذ الاستعمارى على مختلف أجزاء العالم العربى بالاحتلال العسكرى فيما عدا أجزاء من الجزيرة العربية اكتفى الاستعمار بوضعها فى منطقة نفوذه السياسى بالمعاهدات . وفى خلال ما بين الحربين التهب العالم العربى كله بالثورات وأعمال المقاومة التى لم تتوقف فى ثورات مصر والسودان والعراق وسوريا وفلسطين ، وقد جرت فى هذه الفترة مفاوضات متعددة هدفها توقيع معاهدات عسكرية تعترف فيها هذه الأقطار بالاحتلال الذى كان موجوداً فعلا ومسيطرا على كل المقدرات والنافذ للمفعول فى توجيه الحياة الاجتماعيه والسياسية والاقتصادية والثقافية فى البلادالعربية. وإذا كان الاستعمار الغربى قد خدع الأمة العربيه حين أعطاها وعوده إبان الحرب العالميه الاولى بإقامه دولة عربيه . وحين أوقع بينها وبين الدولة العثمانيه ، وحين فرق هذه الامة العربيه إلى دول متعددة جعل لكل منها نظامها الخاص وحدودها الخاصه وحال دون التقائها فى وحدة ، فإن الجذور العميقه للفكر الإسلامى والثقافه العربيه ، بل الإسلام والثقافه العربيه كانت جميعها من العوامل الهامه التى حققت الالتقاء والتقارب بين الشعوب بينما ظلت الحكومة خاضعة للنفوذ الأجنبي الذى كان يفرض عليها السدود والقيود .

بل لقد امتدت عرى الروابط بين الأمة العربية والعالم الاسلامى وعقدت عديد من المؤتمرات على المستويين العربى والإسلامى كان لها أثرها فى التئام الوحدة الفكرية ، واستمرار الدعوة إلى الأخوة الاسلامية الشاملة . وإذا كان سقوط الخلافة (١٩٢٤) قد عد من أخطر العوامل التى واجهت العالم الإسلامى والتى عمقت فيه عوامل الاقليمية والتمزق والانفصال العربى والاسلامى جميعاً ، فإن « فريضة الحج » التى حتمت على المسلمين الالتقاء فى مكة وعرفات خلال موسم سنوى محدد ، قد جددت الصلة بين المسلمين بالاضافة إلى استمرار استقبال الأزهر لعديد من شباب العالم الإسلامى مما جعل الدعوة إلى الوحدة الإسلامية والرابطة الإسلامية والجامعة الإسلامية لا يتوقف النظر فيها وإن لم تكن بعد ميسورة التحقيق للعوامل الاستعمارية الضاغطة . وكان قيام النهضة الوهابية الأولى ، عاملا هاماً فى هذا الصدد ، بالإضافة إلى الجماعات الاسلامية المتعددة التى قامت أجزاء مختلفة من

العالم العربى ، وخاصة جمعية العلماء فى الجزائر ، والحركة السلفية فى المغرب التى تحولت إلى مجال العمل الوطنى السياسى . وفى هذه الفترة التى تلت الحرب العالمية الثانية استطاعت الاقطار المغربية بعد كفاح شاق أن تحقق استقلالها وأن تقوم فى ليبيا والمغرب حكومات وطنية ، وكان لثورة الجزائر المتيدة الخصبة أثرها البعيد فى دعم القيم الاسلامية الأساسية فى المقاومة والجهاد ونضال الغاصب ، وفى تأكيد الطابع العربى الإسلامى الذى لا يسقط أمام الزحف الاستعمارى الغربى فان استطاع هذا النفوذ أن يقضى على اللغة فقد عجز أن يقضى على الاسلام . ولم يعد هناك من خطر واضح للواجهة إلا الاحتـــلال الصهيونى لفسلطين ونتائجه وآثاره المستمرة التى كانت تزداد على الأيام قوة بعد الحرب العالمية الأولى عندما أعلن وعد بلفور وبعد الحرب العالمية الثانية حيث قامت دولة اسرائيل فى قلب الوطن العربى .

ولا شك كان للاحتلال الصهيونى أثر بعيد وعميق ومخالف لأثر الاستعمار الفرنسى والبريطانى فى البـلاد العربية ، فقد كان الاحتلال الإسرائيلى رامياً إلى الاقامة والتوسع ، مستقدما للملايين من اليهود من أنحاء العالم وهو احتلال له طابع مخالف للاستعمار الغربى الذى كان يقوم على أساس المعاهدات العسكرية ولا يفرض نفوذه بالإقامة والتهجير والتملك وطرد أهالى البـلاد الأصليين طردا نهائيا . ولا شك كانت الأزمة الاسرائيلية من أخطر العوامل التى واجهت العالم الاسلامى والأمة العربية على مختلف المستويات الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وكان لها أثر ودوى أيقظ النفس العربية الغافلة وحركها فى مواجهة خطر طـــامع يمـكن أن يتمدد ويتسع نطاقه فيقضى على العروبة والاسلام جميعا ويفرض فى الارض العربية والعالم الاسلامى قوة أشد خطراً من الاستعمار الغربى نفسه . ومن هنا فإن الآثار التى ترتبت على قيام اسرائيل فى قلب الامة العربية كانت بعيدة المدى ، تجلت بصورة واضحة فى الشعر والنثر والفن وفى مجال البحث العلمى وفى المجالات العسكرية والسياسية والاجتماعية للأمة العربية ، ولقد زادت هذه الاعتبارات أهمية مع تضاعف الخطر الاسرائيلى فى مواجهاته العسكرية المتعددة ، مع الامة العربيه بحيث يمـكن أن يقال أن هذا الخطر يمثل تحدياً خطيراً يحسب له كل حساب فى علاقات العالم الاســـلامى بالغرب وفى مواجهة النفوذ الاستعمارى الذى يتعرض له العالم الاسلامى منذ أوائل العصر الحديث ، وإذا كانت الأمة العربية قد استطاعت بعد الحرب العالمية الثانية أن تخطو خطوات واسعة إلى التحرر من النفوذ الاجنبى وبناء قوتها الذاتية الداخلية وتحقيق قدر كبير من التقدم العلمى والثقافى والاجتماعى فإن النفوذ الاستعمارى الذى سحب قوات العسكرية ومظاهر نفوذه السياسى قد اختفى الآن من وراء الاقتصاد والثقافة . ومن

طريق الاقتصاد ماتزال موارد الأمة العربية تحت سيطرة النفوذ الأجنبي والحصيلة منها قليلة، وماتزال خاضعة لنفوذ الأسواق الأجنبية ومؤامراتها .

أما من الناحية الثقافية فإن النفوذ الاستعماري، قد وجد فى هذا المجال سلاحا خطيراً يقاوم به الانتماء العربى إلى الفكر الإسلامى والقرآن والإسلام واللغة العربية والقيم الأساسية التى أقام بناءه الفكرى عليها، وقد اتخذ النفوذ الاستعمارى من التبشير والتغريب والشعوبية والغزو الثقافى وسائل جديدة خطيرة خفية فى سبيل نقض هذه الروابط الأساسية بين الأمة العربية وتراثها الفكرى وإثارة شبهات متعددة ومتصلة حول هذا الفكر الإسلامى العربى، بالإضافة إلى تأريث الخلافات بين المذاهب والملل وتعميق الفوارق المتصلة بالقوميات والأجناس والطوائف، والحيلولة دون إذابة الطائفية والقبلية وتجميدها حتى لايتم انصهار الأمة العربية فى بوتقة فكرها الإسلامى الأصيل مع فرض تيارات فكرية غربية متعددة . (وجودية وماركسية ورأسمالية) بحيث تظل الثقافة العربية مضطربة تعيش فى متاهات وصراعات ولا تنتهى، وبحيث لا تجـد ذاتها ولا طوابعها ولا مزاجها النفسى الأصيل وتنتهى إلى دوامة « الأممية » التى تقضى على شخصيتها وكيانها جميعاً . وهذا الغزو هو أخطر جوانب النفوذ الاستعمارى فى العصر الحديث وأشده حاجة إلى التلبة والاهتمام . ويضاف إلى هـذا التحدى معضلة أخرى سياسية هى : —

هل فهم العرب الإسلام فهماً صحيحاً أم هناك عوامل كثيرة اليوم تحاول أن تحول بينهم وبين فهم الإسلام كما فهمه المسلمون الأولون وكما أنزل فعلا . وأخطر ما فى هذا الشأن تلك المحاولة الخطيرة من الاستعمار والتبشير والتغريب والشعوبية والمستشرقين جميعاً وهى محاولة تصوير الإسلام على أنه « دين » فحسب، والأغضاء على دوره كنظام مجتمع ومنهج حياه، ومحاولة وصفـه بالروحية، وبأنه علاقة بين الإنسان والله وذلك لإقصائه عن مكان الحركة فى المجـالات الإجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية . وهذا المفهوم فى حقيقته مفهوم أوربى أو غربى خالص، وهـو أبرز معالم الخلاف بين الفكر الإسلامى وبين الفكر الغربى، ويترتب على هذا الفهم القاصر كثير من النتائج التى تعزل الاسلام كثقافة ومنهج حياة عن التربية والمدرسة والمجتمع . كما يؤثر هذا الفهم الخاطىء فى كثير من القضايا الهامة كقضية الشريعة والقانون، والربا والاقتصاد، والدين والمجتمع، والتربية والأخلاق والعلم والدين، والعروبة والإسلام . وحقيقة الأمر أن الإسلام ثقافة شاملة كاملة متصلة تربـط أجزاء

الفكر الاسلامي في وحدة كاملة ومركب جامع وحيث تقع السياسة والاجتماع والاقتصاد منه مكان الأجزاء من الكل أو العناصر من المركب . لقد فصل الغربيون بين الدين الدولة وبين الدين والمجتمع لعوامل كثيرة مختلفة أهمها أن الدين إنما جاءهم من خارج مجتمعهم فكان دخيلا عليهم ولم يكن عنصراً أساسيا في تكوين جذور فكرهم الوثني والأغريقي . وثانياً : لأن الدين توقف عندهم وجمد في مواجهة حركة اليقظة ولم يتجاوب مع تقدم العلوم ، وحال دون نموها بالاضافة إلى أثره كمؤسسة في تأكيد الاقطاع وسلطة الكهنة والأمراء . أما اسلام فقد كان مصدر الدعوة إلى العلم والحضارة ، ومن خلال مفاهيم القرآن بنى المسلمون « المنهج العلمي التجريبي » أساس الحضارة الحديثة وكان الاسلام ولا يزال بمفاهيمه المرنة الحية قادراً على التجاوب مع الحضارات والأمم والبيئات المختلفه ، والفكر الاسلامي في أساسه الطبيعي يشتمل على عنصر الدين مرتبطا ومركبا مع مختلف عناصر الاجتماع والاقتصاد والسياسة والتربية ، ولذلك فإن محاولة فصله عن المجمع هي محاولة عقيمة ، فضلا عن أن الاسلام ليس ديناً لا هوتياً فقط وإنما هو دين ومجتمع وحضارة . « وما تزال الأمة العربية هي النواة الأساسية للإسلام ، وهي القطب المغناطيسي المؤمنين ، وإذا وصف بأنه قلب فإنه أيضاً رأس مؤثرة » وذلك على حد تعبير أحد الباحثين الذي يرى « أن الاسلام يختلف في تاريخه وتوسعه عن بعض الأديان الأخرى حيث أن معظم الأديان قد صدرت في موطن ثم هاجرت منه وهجرته كلية أو تقريباً حيث انتشرت خارجه كالبوذية بالنسبة إلى الهند واليهودية والمسيحيه بالنسبة لفلسطين ولكن الاسلام وحده ينفرد أو يمتاز بأنه رغم أن انتشاره الأكبر يقع اليوم خارج وطنه الأصلي فما زال وطنه الأصلي هو أخصب حقوله » .

وعندنا أن ارتباط المسلمين بقبلة واحدة هي الكعبة منجه أرواحم ما تزال هي نقطة الالتقاء الروحي والنفسي والاجتماعي وستظل منائر الأزهر والقرويين من أهم مراصد الأمه العربيه الأساسية .

ولقد كان ظهور الجامعة الاسلامية كمؤسسة سياسية على مستوى الحكومات في أواخر الحرب العالمية الثانية عاملا من عوامل التوحد والالتقاء بالاضافة إلى أن الدعوة إلى الوحدة العربية قد إتسع نطاقها بعد الخمسينات وأصبح لها مرتبطة بالجامعة العربية أثرها في مجال الفكر والثقافة والتعليم ، هذا في جانب الدائرة العربية التي تنمو من خلال قاعدة الفكر الاسلامي والثقافة العربية ذات الجذور الوثيقة بالقرآن والاسلام واللغة العربية والتراث والتاريخ الاسلامي العربي المشترك ، والذي لا سبيل إلى الانفصال عنه إلى دعوة قومية علمانية كما تحاول بعض الآراء والمذاهب — ولقد طغت موجة الاقليمية والانفصالية فترة طويلة على أقطار الأمة العربية وكان لها دوافعها وتحدياتها التي فرضتها

ظروف الاحتلال الذى مرت به وقد حاول كثير من الباحثين ، تكريس فلسفة للاقليمية والانفصالية متصلة بالفرعونية والفينيقية والآشورية والبابلية وجرت محاولات لفلسفة أخرى قوامها وحدة البحر الأبيض ولكن هذه الدعوات جميعاً لم تلبث أن فشلت فى تحقيق شىء ، فقد كانت التلفيق والاصطناع واضحاً فيها جميعاً ولم تلبث الأمة العربية أن إلتقت على مفهومها الأصيل القائم على اللغة العربية والاسلام كأرضية طبيعية وكأساس ثقافى وفكرى وكمقدمة للقاءات واسعة على صعيد الفكر الاسلامى. وفى دائرة العالم الاسلامى إلتقت الأمة العربية والدول الاسلامية فى مؤتمرات متعددة عقدت فى القدس ومكة وباكستان وأندونيسيا وغيرها وهى فى مجموعها مقدمات هامة لازالة الفواصل بين الثقافات العربية والتركية والفارسية والهندية التى تنبع جميعا من مصدر واحد هو (الاسلام والقرآن) ولذلك فهى مهما إلتمست طوابعها القومية والاقليمية فإنما ستنمو فى جو الوحدة والتجمع والالتقاء وستكون تحديات الاستعمار والغزو الثقافى ومؤتمرات التغريب والشعوبية دافعاً قوياً وعميقاً يصل الدائرة العربية بالدائرة الأفريقية فى أفريقيه وآسيا . وتواجه الأمة العربية والثقافية العربية تحديات واضحة نتيجة إنفتاحها على الفكر الديمقراطى الغربى والفكر الاشتراكى الماركسى ، وفى الأتصال بمختلف التيارات التى تحمل لواءها فلسفات الوجودية والعلمانية واللادينية والإلحاد والأباحة وخاصة دعوة الثقافة الأممية بالاضافة إلى الخطر الماثل فى الصهيونية وآثارها فى الفكر الغربى جميعاً ومحاولاتها التى أقرتها بروتوكولات صهيون لتدمير المدينة وتحطيم البشرية وتحويلها جميعاً إلى خدمه قيادة فكرة يهودية تستعبد الانسان جميعاً .

كل هذه التيارات تواجه الثقافة العربية ، وتصارعها على نحو أشد مما كان ذلك فى مرحلة الترجمة والنقل من الفلسفات اليونانية فى القرن الثالث الهجرى ، فقد كانت تلك حركة حرة إختارها المسلمون واتيحت لهم فيها فرصة الأخذ والرفض ، بينما تنثال الثقافات الغربية المختلفة والمتصارعة اليوم فى ظل النفوذ الأجنبي ومهما يكن من أمر فانها ستنصهر فى بوتقة الفكر الإسلامى والثقافة العربية لتذوب وتتشكل ويتحول الجيد منها إلى كياننا بينما تنفى مالا حاجة إليه خارجها كما هى دائما طبيعة الفكر الإسلامى فى مواجهة الفكر الإنسانى والتعامل معه . غير أن وقوع الأمة العربية والعالم الإسلامى ، فى هذه المرحلة تحت سلطان النفوذ الاستعمارى والتغريب الثقافى سيطيل مرحلة الصراع وسيشكل صورة غير صحيحة عن الفكر الإسلامى فى هذه المرحلة تتطلب الجهاد بتصحيح المفاهيم حتى استطاعت أن تتبلور فيما بعد عن الفكر الإسلامى بأصوله الأساسية وقيمه الأصيلة وهى متشبعة بما إستطاعت أن تجده صالحاً من التراث الثقافى الغربى فى مختلف فروعه وفنونه ومذاهبه .وستظل الأمة العربية هى

صاحبة القيادة الفكرية والتجديد الاسلامى ممثلة فى حركاته ومصلحيه من حيث أنها تنظر إلا الاسلام نظرة أصيلة سلفية مستمدة من القرآن نفسه ومن واقع الاسلام وجوهره الأصيل .

(٢)

تركيا : مقاومة الغزو الغربى

ولا شك كانت حركة مصطفى كمال نتيجـــة طبيعية للحركة التى بدأت بزعامة مدحت فى أوائل حكم السلطان عبد الحميد وخاتمة للدور الذى عاشته تركيا بين الدعوتين : الجامعة الإسلامية الجامعة والطورانية . ذلك أن الدولة العثمانية كانت قد تعرضت فى هذه المرحلة من حياتها الطويلة إلى أخطار الشيخوخة فى مواجهة أوربا خصمها الأول الذى سيطرت عليه أكثر من أربعمائة عام. وكانت دول أوربا قد أجرت عشرات المحاولات للسيطرة على تركيا وتمزيقها ضمنها الوزير دوجوفارا فى كتاب له باسم « مائة مشروع لتقسيم تركيا » قال فيه إنه فى خلال ستة قرون متتابعة كانت الشعوب الأوربية تهاجم الدولة العثمانية وكان الوزراء ورجال السياسة وأصحاب الأقلام يبيئون برامج تقسيم هذه السلطة « وقد أخذ هذا العداء بين الدولة العثمانية والدول الأوربية — بحق أو بغير حق — طابع عداء بين الإسلام والمسيحية ، حتى كان الأوربيون يرددون دائماً المطالبة بعمل مشترك لدحر الإسلام على حد تعبير دجوفارا ، وبينما استطاع العالم الإسلامى أن يحتضن الجماعات المختلفة من أصحاب الأديان والنحل والفرق والملل، قاومت أوربا المسلمين والعرب عن طريق الأندلس (أسبانيا المسلمة) وعن طريق البلقان (تركيا الإسلامية) وقد شهد الأوربيون شهادة صريحة بالتسامح الدينى العظيم الذى أولاه الأتراك للمسيحيين والحرية الدينية التامة وكذلك الحرية المدرسية التى أتاحت لهم النمو والرقى . ولقد ظلت بريطانيا وفرنسا وروسيا سنوات طويلة تعمل للقضاء على دولة الرجل المريض ، وتحول دون قيام نهضة أو قوة فى العالم الإسلامى من شأنها أن تجدد شباب الامبراطورية أن تبنى دولة جديدة ، ولذلك فقد عمدت إلى القضاء على الحركة الوهابية حركة محمد على — وقد قاما فى وقت واحد أو متقارب فى أوائل القرن الثامن عشر — وذلك رغبة فى تمزيق كيان الدولة العثمانية والقضاء عليه . وتفتتت أجزائها إلى دول صغيرة تقع تحت نفوذها ، وقد عمدت منذ وقت باكر إلى استقطاع الجزائر وتونس ومصر وإقامة حكم خاص فى لبنان — بعد أن أشارت بريطانيا وفرنسا (الموارنه والدروز) إلى معركة دامية ١٨٦٠ كحلقة من حلقات هذا التمزيق للدولة الإسلامية الكبرى . وكانت أكبر

أال التمزيق هى الوقيعة بين الأتراك والعرب باعتبارهما العنصران الأساسيان الكبيران فى هذه الوحدة ، وكان للأقليات دور كبير فى هذه المعركة الخطرة عن طريق الصحافة والمؤامرة وإثارة الخصومات ، وكان الهدف الذى ترمى إليه القوى التى كانت تهاجم الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد وتدعوا إلى انفصال العناصر ، إنما تهدف أساساً إلى تمزيق وحدة ذات طابع إسلامى تمتد عبر منطقة واسعـــة فى سبيل مقاومة الغزو الأوربى الزاحف ، فلما ضعفت الدولة العثمانية استطاعت القوى الأجنبية أن تسيطر فى مختلف أجزاء الامبراطورية وأن تمهد لتحطيمها ، أما فى الدولة العثمانية فقد قادت جماعة « الدونمة » (اليهودية التى اسلمت تقية) فى سالونيك قياد هذه المعركة تحت أسماء مختلفة أهمها حركة حزب الاتحاد والترقى التى اتخذت من مقار المحافل الماسونية مراكز لها للعمل ، وخلقت فى فترة طويلة تزيد عن أربعين عاماً حركة ضخمة سداها ولحمتها الحملة على السلطان عبد الحميد واتهامه بالاستبداد . وقد حملت هذه الحركة الشعوبية الضخمة — التى كانت مصر أكبر مراكزها حيث كان البريطانيون يفتحون الأبواب لجماعات مختلفة من الدعاة وأصحاب الصحف من مختلف الأجناس والأديان ممن يجمعهم العداء للاسلام والدولة العثمانية — لواء العمل لتحقيق أشياء كثيرة تحققت فعلا بعد الحرب العالمية الأولى :

(أولا) تمزيق الدولة العثمانية التى تمثل قوة إسلامية كبرى وتجد لها فى مسلمى الهند وأندونيسيا ومختلف أنحاء العالم الاسلامى صدى وتأييداً . (ثانياً) السيطرة على الأجزاء العربية من الدولة ووضعها تحت سلطان الاحتلال البريطانى والفرنسى . (ثالثاً) إقامة إسرائيل فى فلسطين قلب العالم الاسلامى . ومن هنا فقد كانت خطة القضاء على الدولة العثمانية هدفاً أساسياً للقوى الاستعمارية والاقليات المختلفة الموالية للنفوذ الاستعمارى وهدفا أساسيا أيضاً للحركة الصهيونية الوليدة التى عمدت إلى الاتصال بالدولة العثمانية وبالسلطان عبد الحميد بعد أن عقدت مؤتمرها الأول فى بال ١٨٩٧ وحاولت أن تحصل على إذن بالهجرة إلى فلسطين عن طريق الاغراء بقرض قدره خمسون مليونا من الجنيهات لخزينة الدولة العثمانية وهبة قدرها خمسة ملايين من الجنيهات لخزينة السلطان الخاصة . وقد كان موقف السلطان عبد الحميد مشرفاً بالغ القدر فى الجرأة والصدق ، فقد رفض ذلك العرض رفضا تاما وأعلن فى كلمة خالدة له استحالة تحقيق هذا الهدف طالما هو على قيد الحياة . وقد تكشف للسلطان من بعد حين أسقط عام ١٩٠٩ أن واحداً من الذين أعلنوا إقصائه عن السلطة كان هو نفسه الذى جاء يعرض عليه ذلك العرض الصهيونى . وكان إسقاط عبد الحميد سنة ١٩٠٩ نهاية لنظام الجامعة الاسلامية الذى دعا إليه السلطان عبد الحميد ونفذه فى محاولة لتجميع الدول

الإسلامية خارج الدولة العثمانية فى تجمع باسم الخلافة لمواجهة النفوذ الاستعمارى الغربى الزاحف . وقد تحقق فعلا فى عام ١٩٠٨ « إعلان الدستور العثمانى » ، وظن المسلمون أن الدولة العثمانية تواجه عصراً جديداً يتحقق فيه مزيد من الحرية والعدالة ، بيد أن النظام الذى قاوم وتوطد بعد عزل عبد الحميد إنما كان يمثل اتجاها مخالفا للتيار الاسلامى ومعارضا له فقد استهدف حزب الاتحاد والترقى الذى تولى السلطة منذ ذلك التاريخ إلى نهاية الحرب العالمية الأولى تنفيذ مخطط الجامعة الطورانية فى محاولة لتتريك عناصر الدولة العثمانية ، ومن هنا فقد وقع الصدام بين العنصرين الكبيرين فى المملكة وهم الأتراك حكاما والعرب محكومين ، وتأججت حركة الدعوة إلى العروبة الجامعة فى مواجهة محاولة إلغاء الوجود العربى عن طريق فرض اللغة التركية فى المحاكم والمدارس فى نفس الوقت الذى استشرت فيه الدعوة إلى إعلاء تاريخ طوران والانتقاص من تاريخ العرب والاسلام ، ولقد كانت هذه الفترة (١٩٠٩ — ١٩١٨) فترة حرجة حقا ، فقد غالا فيها الاتحاديون وأوجدوا بينهم وبين العرب ثغرة واسعة وحين اتجه العثمانيون إلى ألمانيا وانضموا إليها فى الحرب اتجه العرب إلى بريطانيا وانضموا إليها وبذلك تمزقت الوحدة العثمانية العربية وانتهت الحرب بهزيمة تركيا واستيلاء بريطانيا وحلفائها على الأجزاء العربية من الأمبراطورية والتنكر للعهود المعقودة بإقامة دولة عربية مستقلة . وقد كان من الطبيعى أن يسقط النظام كله بعد هزيمة تركيا فى الحرب العالمية واحتلال الحلفاء واليونان لأجزاء منها ولما كانت الدول الأوربية قد حققت بذلك القضاء على الدولة العثمانية وتمزيق أوصالها فقد بلغت من ذلك نهاية الشـــوط وهى تحويلها من دولة الخلافة إلى دولة علمانية لا دينية تتنكر لـكل قيم الإسلام ومفاهيمه وأنظمته ، وذلك عن طريق الانقــــلاب العسكرى الذى قام به مصطفى كمال وسيطر به على كل مقدرات تركيا وصفى به جميع النظم القديمة .

ويمـكن اعتبار الانقلاب الـكمالى هو التطور الطبيعى لحركة الاتحاديين إستمراراً للمخطط الذى جرى تنفيذه بعد سقوط السلطان عبد الحميد فى تحويل الدولة العثمانية تحويلا تدريجياً من دولة الخلافة والسلطنة والجامعة الإسلامية ورابطة العالم الإسلامى كله إلى دولة إقليمية ذات طابع غربى خالص ، فقد صارعت الدعوة الإقليمية باسم الجامعة الطورانية اتجـــاه الوحدة الإسلامية الذى حمل لواءه السلطان عبد الحميد واتخذه سبيلا إلى تجميع المسلمين فى حركة واحدة لمقاومة النفوذ الغربى الزاحف . غير أن النفوذ الاستعمارى كان قادراً — والدولة العثمانية فى مرحلة الضعف — إلى القضاء على هذه الحركة وتمزيق هذه الوحدة .

كان دخول الدولة العثمانية الحرب فى صف ألمانيا من العوامل التى عجلت بالقضاء عليها ، وتمزيقها

كوحدة مقاومة جامعة بين العرب والترك ، وكانت الخطـوة التالية لذلك هى إلغاء الخلافة العثمانية التى كان يدين المسلمون بالولاء لها من خارج الدولة العثمانية . ومن حق أن يقال إن هذه الخطوة الحاسمة لم تتم طفرة وإنما تمت على مراحل طويلة خلال فترة لا تقل عن خمسة عشر عاماً ١٩٠٩ — ١٩٢٤ وأن النفوذ الأجنبي قد أحكم العمل بالوقيعـــة بين عنصرى الدولة العثمانية (العرب والترك) ودفـــع الاتحاديين إلى مواجهة العرب مواجهة حادة بالمشانق والقتل مما فتح ثغرة لم يكن هناك من سبيل إلى أن تلتئم وبذلك تحققت خطوة أشد عنفا حينما حارب العرب المسلمون والأتراك المسلمون فى معـارك متعددة على خط ممتد من مكة إلى دمشق ، وكانت الحـرب لحساب الحلفاء الذين حلوا محـل الأتراك فى المناطق التى هزم العرب فيها ، وبذلك أسلم العرب أرضهم إلى بريطانيـا وفرنسا بعد أن استخلصوها من الدولة العثمانية وتلك مؤامرة النفوذ الأجنبي البالغة الخطر . وقد كانت هناك آراء لها وزنها ترى أن الدولة العثمانيةَ على ماهى عليه من الضعف ما تزال تمثل قوة وكيانا ضخما قائماً فى مواجهة النفوذ الاستعمارى وأن من واجب العرب والترك أن يحفظوا هذا الكيان . حـتى لا يسهل إزدرادهم فرادى ، ولكن الاتحاديين ومن ورائهم قوى النفوذ الاستعمارى وقوى القضاء على فـكرة الجامعـة الإسلامية والوحده الممثلة فى الدولة العثمانية كانوا هم أداة تمزيق الرابطة بين العرب والترك ـ وإسلام هذه المنطقة إلى النفوذ الأجنبي كلية .

ومن هنا فقد كان من السهل وقد تحقق هذا الجزاء الهام من المخطط أن تحول تركيا العثمانية ـ دولة الخلافة ومقر قيادة الجامعة الإسلامية ـ فى فترة قليلة ـ إلى دولة علمانية تشجب الإسلام وتتخلى عنه تخليا تاما فى مجال القوانين ونظم والمجتمع والحكم ، وتفتح أبوابها للتغريب والعلمانية فى كافة صورها ، مخالفة بذلك أبسط قوانين التطور ونواميس التحول ، حقا ، لم يكن هـــذا الاتجاه طبيعيا ولم يكن العمل لتغريب تركيا قائماً على مراحل ، وإنما كان يتم تحت سلطة النفوذ العسكرى الصـارم والقوانين الاستثنائية المفروضة ، فى محاولة قوامهـا الطفرة والعنف إلى تحويل أمـة من النقيض إلى النقيض . حقاً ، لقد مرت الدولة العثمانية بفترة جمود وتخلف فى مجال الثقافة والمجتمع كان مصدرها متصـل بالجبرية التى سادت باسم الدين ، ولكن هل كان الإسلام فى حقيقته مصدر التخلف والضعف والهزيمة ، أم كان التخلف عن مفهوم الإسلام الأصيل القادر على الحركة والقوة والحياة هو سبب الهزيمة . لقـد عزى إلى الإسلام ما أصاب تركيا من هزيمة وتخلف وضعف ، ومن الحق أن يقال إن تركيـا تخلفت عن مفاهيم الإسلام فى القوة والعدل والحرية ، منذ سنوات طـويلة ، يوم تجمدت فى حركة التقليد

والجبرية ، وعجزت عن مجاراة الغرب فى تقدمه العلمى ، هذا التقدم الذى كان مصدره العالم الإسلامى أساساً وكان قادته المسلمون أنفسهم أولا . ولكن الأتهام وجه إلى الإسلام ، رغبة فى تشويهه والقضاء عليه ، وخلق جو عام مسمم ضده فى العالم الإسلامى والبلاد العربية . وقد كانت الخطوات التى خطتها تركيا بعيدة الأثر فى مصر وأفغانستان وإيران والهند الإسلامية وفى كل مكان. فقد أتاحت الفرصة لدعاة التغريب وخدام الثقافة الغربية الاستعمار أن ينفذوا إلى مكان الصدارة وأن يضربوا المثل بتركيا فى مجال التقدم والنهضة . ولقد كان المفكرون المسلمون المخلصون فى أول الأمر يؤيدون النهضة التركية بحسبان أنها ستجمع بين قوة الغرب وطابع الإسلام ، وأنها ستمثل أولى مراحل اليقظة فى العالم الاسلامى وفق مفهوم النهضة عن طريق نقل جوانب القوة الايجابية فى الحضارة الغربية ، ولكن الأمر كان على عكس ذلك تماماً ، فإن تركيا لم تلتفت إلى جوانب القوة فى الحضارة الغربيه ولكنها عمدت إلى نقل جوانب التحلل من الحضارة وحدها وكان أبلغ مظاهرها : تطبيق قوانين الأحوال الشخصية السويسرى وفتح أبواب المراقص وزواج المسلمة بغير المسلم ، وإلغاء المظاهر الاسلامية كلها ، وإلغاء الحروف العربية للغة التركية واستبدالها بالحروف اللاتينية وكتابتها من الشمال . وقد وقد تأكد من عدد من المصادر الموثوقة أن تركيا قد نفذت فعلا مخططاً كان مرسوماً لها فى المعاهدات التى عقدتها مع الدول الغربيه . والمعروف أن تركيا قبلت شروط الصلح الذى عقده الحلفاء معها فى لوزان عام ١٩٢٣ والمعروفة بشروط كرزن الأربع وهى : (١) قطع كل صلة بالاسلام . (٢) إلغاء الخلافة . (٣) إخراج أنصار الخلافة والاسلام من البلاد . (٤) اتخاذ دستور مدنى بدلا من دستور تركيا القديم . وقد استجاب مصطفى كمال لهذه الشروط ونفذها تنفيذاً أميناً ودقيقاً ، وكان فى تنفيذها أكثر من حماسة من الذين فرضوها عليه ، وكان هدف النفوذ الاستعمارى أن يتخلص تخلصاً نهائيا من أى بؤرة أو نواة للطابع الاسلامى أو للوحدة الاسلامية . ولكن هل من حق أن الانقلاب المفروض بقوة النفوذ العسكرى والقانون العرفى ووسائل الأرهاب والأعدام ، قد استطاع أن يحقق تحولا جذرياً فى الأمة التركية بحيث قضى فيها على الاسلام . أن وقائع التاريخ كله منذ قام مصطفى كمال إلى اليوم لتدل على أنه كان نظاما ملفوظا مهزوما قد واجه المعارضة من مختلف الطبقات منذ اللحظات الأولى وإلى آخر أيامه وكشف عن تحديات خطيرة أبان عنها الأتراك المسلمون بمختلف الوسائل ، أولا : بالثورات المتوالية عليه وثانياً : بالصمت وبالتصميم الجماعى الكامل على أداء فرائض الاسلام والتمسك بها ، فلما سنحت الفرصة بعد وفاة أتاتورك تكشف الشعب التركى عن إيمان عميق بالاسلام لم تزده هذه المحنة إلا قوة وصقلا .

(٢)

حركة الانقضاض على الإسلام

كانت الدولة العثمانية قبلة المسلمين فى العالم الإسلامى كله بعد مكة ، ولذلك فقد كانت هزيمتها فى الحرب الأولى مصدراً من مصادر القلق فى الهند ومصر وأندونيسيا . ومن هنا فإن حركة مصطفى كمال لمحاربة اليونان الذى احتلوا تركيا وجدت من المسلمين تقديراً ومتابعة . وكان الكماليون قبل جلاء اليونان يتمسكون بالطابع الإسلامى ويستميلون المسلمين لتأييدهم بالمظاهر الإسلامية فقد اجتمعوا بالسيد أحمد السنوسى ومنعوا الخمور والفجور ووضعوا المصاحف علامة على الدفاع عن الإسلام، فلما بلغوا ساحل الأمان وانتصروا بإجلاء اليونان كشفوا خبيئتهم وهى السياسية اللائكية القائمة على التنكر الكامل للدين عامة والإسلام خاصة والأخذ الكامل بمظاهر الحضارة الغربية وإلغاء كل مؤسسات الاسلام ، وقد كان المسلمون خلال المرحلة الأولى يحسنون الظن بهم بحسبان أن حركة التمدن التركى إنما هى الحركة التى تطلع إليها المصلحون المسلمون وهى تقبل الحضارة الغربية على أساس من القيم الأساسية للفكر الاسلامى ، وقد مضى أتاتورك فى خطواته على طريقة المراحل فبدأ بإلغاء الخلافة الزمنية وإنتهى بإلغاء الخلافة كلية .

وفيما بين ذلك أجرى عديداً من التغييرات التى كشفت عن معارضة كاملة للنظام الاسلامى ومن هنا تبين أن الأمر لم يكن حركة إصلاح وتطور من خلال إطار الاسلام وإنما هى عملية إنقلاب شامل كامل وإتجاه إلى الغرب على النحو الذى كان يدعو إليه فى تركيا أحمد غايف وزملائه حيث كانوا يدعون إلى تقبل الوجود الغربى تقبلا كاملا ترتبط فيه الحضارة والثقافة معا ، أى أن تصبح تركيا دولة أوربية فى مختلف مناهجها وأنظمتها وقوانينها وتخرج خروجا كاملا من مجتمع العالم الاسلامى . وقد نفذ مصطفى كمال هذا المخطط كاملا .

(١) إعتماد القانون المدنى السويسرى وقانون العقوبات الإيطالى والقانون التجارى الألمانى بديلا للشريعة الإسلامية (فصل الدين عن الدولة) . (٢) إلغاء الحروف العربية وكتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية وتصفية اللغة من الكلمات العربية . (٣) الآذان باللغة التركية وترجمة القرآن إلى التركية . (٤) الأحد عطلة أسبوعية بدلا من الجمعة . (٥) إلغاء الطربوش وحجاب المرأة . (٦) إلغاء وزارة الأوقاف والمدارس الدينية وحل منظمات الدراويش وغلق

تـكاياهم . (٧) إحلال التقويم الأوربى محل التقويم الإسلامى . (٨) قبول نظم الحضارة بلا تحفظ . (٩) الاتجاه نحو أوربا والانفصال كلية عن العالم الإسلامى والعرب وآسيا . (١٠) إلغاء الخلافة . وقد كانت هذه الخطوات عنيفة عاصفة تحمل طابع الاستفزاز ويظاهرها النفوذ العسكرى الحاكم ، ولم تـكن تصدر عن تطور حقيقى أو تفاعل أصيل ، وإنما كانت طفرة طاغية تهدف إلى الاسراع فى تغريب تركيا . ومن هنا وقف العالم الإسلامى كله مذهولا إزاء تحول الدولة التى قادت المسلمين ستة قرون مرة واحدة إلى دولة غربية الطابع وكان لهذا التحول أثر بعيد المدى ، فقد إرتج العالم الإسلامى رجة عنيفة لالغاء الخلافة وقطع أوصال الرباط الذى كان يربط المسلمين وقامت فى الهند حركة عاصفة لتأييد الخلافة وعقدت مؤتمرات كبرى فى الهند ومصر الحجاز . وأتاحت فرصة هذه التصرفات لدعاة التغريب فى مصر والعالم العربى فرصة إسباغ التقدير والاعجاب على خطوات مصطفى كمال وتأييدها والدعوة إلى تقليدها غير أن الطريقة التى اتخذها مصطفى كمال أوجدت رد فعل عنيف بين المسلمين فى تركيا الذين رفضوا هذا التحول رفضا صامتاً . كما واجه المسلمون والعرب خارج تركيا هذه الخطوات بالنقد . فقد خلق أتاتورك جوا من الاحتقار للعرب واعتبر الإسلام عربيا والنبي محمد عربيا ومن هنا حملت صحفه على العرب والإسلام ومحمد . فانقلب ذلك التقدير والاعجاب الذى أسبغه المسلمون والعرب على أتاتورك أولا نقمة ونقداً . ومهما قيل عن أن مصطفى كمال كان مضطر إلى ذلك اضطراراً فى مواجهة إحساسه بأن الطابع الاسلامى الذى عاشته تركيا العثمانية فى سنواتها الأخيرة كان مصدر هزيمتها — مهما قيل فى ذلك وهو بعض الحق فان ما اندفع إليه لم يكن من عمل المصلح وإنما هو عمل عميل التغريب الذى وكل إلى قوته العسكرية والدكتاتورية المفروضة أن تنقل دولة الخلافة إلى دولة أوربية خالصة حتى تطمئن أوربا إلى أن على حدودها دولة لا تحمل من طابع الإسلام شيئا . وبعد أن كانت الامبراطورية العثمانية هى الحصن الزمنى التى تقف عند أسواره موجه التوسع الغربى المسيحى . أصبحت هى المعبر الأكبر لهذا التوسع . ولقد حاول بعض المصلحين أن يردوا مصطفى كمال عن اتجاهه المصمم بإلغاء الخلافة وعن التحول وجهة الغرب كلية ، على أساس القول بأن الخطأ ليس فى النظام ولـكن فى التطبيق ولـكن الغازى كان منصرفاً انصرافاً كاملا عن الاستماع لأى وجهة نظر أخرى . وكان حريصا على أن يقدم للغرب أعظم هدية وهى (إلغاء الخلافة) التى كانت فى اعتبار المسلمين والعرب عقدة الصلة والرابطة الوثيقة بحسبانها قوة حامية لهم فى مواجهة الغزو الغربى .

ولقد أكدت مختلف المصادر بأن مصطفى كمال كان يهدف إلى قيام دولة أوربية بـكل معنى

الكلمة لا تسترشد فى قوانينها وسائر أعمالها إلا بما يؤدى بالبلاد إلى هذا الغرض . وقد جاء فى بيان للغازى أنه تحقيقاً لذلك واقتداء بالأمم الغربية ولا سيما الجمهورية الفرنسية فقد تقرر فصل الدين عن الحكومة فصلا تاماً وإلغاء الخلافة الإسلامية وإلغاء وزارة الأوقاف ومشيخة الإسلام والمحاكم الشرعية وإقرار قانون استعمال التقويم الغريغورى وعدم تغيير مواعيد العمل مدة شهر رمضان فى مصالح الحكومة أو المدارس : مع اعتبار العطلة الرسمية يوم الأحد . « أونه لكى يكون الترك أمة أوربية بمعنى الكلمة فقد تقرر أن يكون لأفراد الشعب التركى كلهم ثقافة واحدة هى الثقافة الغربية حتى لا تكون هناك طوائف ذات عقليات مختلفة . وتوحيد الثقافة مبنى قبل كل شيء على توحيد التعليم فتقرر سياسة إلغاء التعليم الدينى وجعل التعليم كله علمانيا . وإلغاء جميع الطوائف والفرق الصوفية الإسلامية والكتاتيب المدنية الاسلامية بدون استثناء وحصر تدريس العلوم الدينية فى كلية الالهيات بجامعة الآستانة دون غيرها » . وقد صاحب هذه الخطوات حملات عنيفة فى الصحف التركية اتجهت أولا إلى رسول الاسلام نفسه وجرت عادة توجيه خطابات مفتوحة إلى النبى ﷺ تحت عنوان (إلى حضرة محمد) .

وهذا نموذج مما نشرته جريدة (كنج دوشونجه لر) أى (الأفكار الفنية) بقلم قومندان أوغلى توفيق . أو نوفمبر سنة ١٩٢٨ و ٨ و ١٤ و ٢٢ : قال فى ٨ نوفمبر سنة ١٩٢٨ ما يأتى : « أرأيت يا رسول الله كيف كنت لا تتحرج عن الاختصاص ببعض النسوة الأسيرات فى كل غزوة تغزوها وأقررت المشائخ والخلفاء على هذه الرذيلة بل كنت مصدقا لعقود أنكحتهم بتواضع عاقد الأنكحة ، كيف لا ، وقد كنت إمامهم والقدوة التى يتبعونه ، فهذا الرجل الذى لا يملك قوت يومه يتزوج لمدة نساء لأنك قلت له إن هذه سنة وصاحبه مأجور عليه فكنت بذلك سبب نكبة ملايين العائلات وانتشار ملايين الأطفال فى الشوارع . وأنت أنت وحدك (والخطاب للنبى) سبب تحولهم إلى جناة وأشقياء وأراذل وثرثارين ، فهل ترتجف الكعبة كما ترتجف روحك من هول هذا . فلا قيمة للكعبة عندى إلا من حيث أنها ركام من أحجار وتراب يتآلف منها بناء عتيق ذو سقف أخنى عليه الدهر ولا أعتقد أنها ترتجف إلا بزلزلة أرضية » . وكان ختام الخطاب . . . « لقد خلصنا منك » . وقد أمضت هذه الصحيفة خمسة شهور فى هذه الحملة . حتى أبريل سنة ١٩٢٩ ، وتناولت موضوعات واتخذت عبارات أشد عنفا . ومن عجب أن هذا المحامى المدافع عن الانقلاب التركى لم يلبث أن ضبط متلبسا بتسليم خريطة حربية أجنبية .

ويروى العلامة محمد عزة دروزه فى كتابه تركيا الحديثة وكان قد أمضى هذه السنوات فى تركيا

أنهم كانوا يلقنون الطالب بأن الثقافة والتقاليد الإسلامية هما من أسباب تأخر الترك وجوده . وما أصابه من كوارث وتعرض له من دسائس. وأشار إلى سفور المرأة التركية وبروزها إنما تم بدعوة ملحة تولاها الزعيم وشجع عليها بكل وسيلة وكل مناسبة وكانت الدعوة عامة لم تقتصر على سفور المرأة التركية وبروزها بل شملت اندماجها فى المجتمع واختلاطها على أوسع معانى الاندماج والاختلاط . وقد أشار مؤرخ الغازى (محمد محمد توفيق) أنه كان يقيم حفلات الرقص ويدفع الضباط دفعا إلى محاضرة الفتيات فإذا تراجعن قال لهم إنما هى أوامر عسكرية (يراجع النص) . وقد أدى ذلك — حسبما أورده دروزه — إلى تفكك غير يسير فى البنيان العائلى وخاصة فى المدن الكبرى « وكان لمقتضيات البروز فى اشتداد رغبة المرأة فى التأنق والتبرج ولم يكن أثر هذا أقل فى الرجل أيضا . فقد كثرت حوادث السقوط والتدهور فإن المرأة التى ظلت سنين طويلة جداً محرومة من حريتها منطوية على نفسها قابعة فى عزلتها والتى نالت حريتها فجأة قد دهشت ولا ريب وصارت فى حالة ذهول ، ومن هنا فإن مئات الآلاف من الفتيات فقدن الاتزان وسرن فى الطريق الخاطىء واندفعن بدفعة السقوط . وأصبحت قلوبهن المتفتحة قبل أوانها كالثمرة التى فسدت ولم يأت وقت نضوجها : وقد كانت كانت للنشرات الفلسفية الوضيعة دوراً خطيراً فى تقوية هذا التيار الجارف . فكم صدر من مجلات وكتب وترجم من قصص لعبت فيها السموم ، وكم نشرت الصحف من رسائل وكتابات ، وما نشرته من أحاديث فى الصحف عن الراقصات وبنات الحانات ومن أخبار البغايا فى حياتهن الخاصة من خفايا وأسرار بأسلوب مغر فاجر ودرس غرام وعشق لفتياتنا » .

أما لبس القبعة فإن الجميع مجبرون على اكتساء القبعة . أما اتخاذ القانون المدنى فقد كان له خطورته لاتصاله بحياة المجتمع التركى الاجتماعية والعائلية والشخصية والاقتصادية فقد هز الحياة هزاً عنيفا لقيامه على أسس مغايرة للأسس التى تقوم على أن الحياة الاجتماعية » . وقد نص منهاج حزب الشعب الذى ألفه الغازى عام ١٩٢٧ على أن العلمانية (اللائكية) هى ركن من أركان مبادىء الحزب ، ثم نص هذا الركن فى صلب الدستور وفى عام ١٩٣٨ حذفت المادة التى كانت تنص على أن الاسلام دين الدولة . وقد فسر معنى « العلمانية » على أن تقوم قوانين الدولة وأنظمتها على أساس ما يقرره العلم والفن ويتسق مع أصول الحضارة الحديثة ومقتضياتها . واعتبر « الدين » أمراً وجدانيا خاصا بالافراد . وأن فصل الدين عن أمور الدنيا والسياسة أمراً أساسيا . كما دعا إلى صيانة اللغه القومية أى التركية عن تأثير اللغة والثقافة الأجنبيه (أى اللغه العربيه والفكر الاسلامى والثقافه العربيه) ؛

وقد أشار واصف بك وزير المعارف إلى أن «الإسلام كان عقبة فى سبيل اندفاعهم نحو الحياة الجديدة وأنهم ساروا شوطا ابتدأوه لهدم المدنية الإسلامية التى استعبدت وطنهم وحالت بينهم وبين ترقيته» والإسلام فى عبارة الغازى والحكومة التركية ووزير المعارف ليست إلا الصورة التى كانت تعيشها الدولة العثمانية . أما الإسلام نفسه فقد كان بعيداً عن تقدير هؤلاء جميعا ولم يكن هو مصدر الضعف والتخلف ولو كانوا هم جادين حقا فى خلق نظام اجتماعى إيجابى سليم فى إطار الإسلام لما أعوزتهم الوسائل ولوجدوا من المجددين والمصلحين من يحقق إعداد هذا النظام . ولكن الكماليين فى الحق كانوا قد قرروا قراراً لا رجعة فيه بشجب الإسلام أصلا والدين بصفة عامة كأساس لنظامهم الجديد . واقتنعوا اقتناعاً كاملا بأخذ النظام الغربى . وكانت هذه فى تقديرنا تجربة ضرورية بالنسبة للعالم الإسلامى وذلك حتى تنكشف التجربة عن فهم مدى النجاح والفشل الذى ساورها . ولمعرفة ما إذا كان العالم الإسلامى قادر فعلا على الانسلاخ كلية من أنظمته ومفاهيمه . أى من جلده ، لينصهر انصهارا كاملا فى المجتمع الأوربى عقلا وروحا . بعد تغيير أنظمته وقوانينه وأساليب التعليم والتربية والتكوين الاجتماعى . ولقد أمضى مصطفى كمال (١٩٢٢ — ١٩٣٧) ، خمسة عشر عاما كاملة يقود هذا النظام فى حماسة خطيرة وينتقل به من مرحلة إلى مرحلة ، فهل حقاً تقبلت تركيا المسلمة . «الأمه التركية» هذا النظام . أم أنه بقى أسير العاصمة ودوائر الحكم والطبقات العالية التى تدور فى فلك الحاكم الديكتاتور وتذعن له . الواقع الذى كشفت عنه التجربة أن ضمير الشعب التركى لم يستجب لهذه الحركة المفتعلة التى خالفت المقومات الأساسية للأمة والقيم الأصيلة لفكرها .

وقد تبين تماماً أن هذا المنهج غير صالح للتطبيق . وأن طموح النفوذ الغربى فى أن يجد من كل بلاد العالم الإسلامى تركيا أخرى قد باء بالخسران . بل إن الدولة التى عاصرت حركة مصطفى كمال : كمصر وإيران وافغانستان قد أخذت التطور والنقل من الغرب بشىء كثير من الحذر . بل إن مستشرقا بعيد النظر هو «هاملتون جب» قد قرر فى صراحة أن العرب لن يكرروا تجربة تركيا وأن لهم من عمق إيمانهم بالأسلام ما يعصمهم من الجرى وراء هذه الخطوة . ومن حق أن يقال إن نفوذاً هاما باسم الدين كان مصدرا من مصادر الضعف والتخلف ذلك هو عنصر الزوايا والتكايا والطرق والدراويش وما اتصل بها من خطط خلقت جوا من الجبرية . وكان لها نفوذها فى الحياة الاجتماعية والحياة السياسية جميعا وهو ما عناه الكماليون بإلغاء الطرق الصوفية وإلغاء وحظر كل أنواع الطرق ومشايخها ومسالك وألقاب الدرويش والمريد والاسناد والسيد والعرافة والسحر والتحكيم وكتابة التعاويذ والأحجبة والتمائم وأعمال كشف الغيب وأخبار المستقبل» . كل هذه الأشياء التى عناها

الكماليون بالإلغاء : لم تكن من الإسلام وإنما دخلت عليه ، وكان إلغاؤها عمل إيجابى حقا . وهنا يكون الأمر هو أمر هؤلاء الذين تصدروا وتسموا باسم رجال الدين وليس أمر الدين نفسه . ليس الإسلام إذن هو الذى أخر تركيا ولكن المفاهيم التى فرضتها مرحلة الضعف. والمعروف أنه خلال هذه المرحلة غلب نفوذ الدراويش والصوفية على العلماء والقضاء والأئمة وآزروا السلاطين وحملوا لواء ترضية الشعب إلى تصرفاتهم ، دون أن يحملوا لواء مناصحة الأمراء والحكام. وبذلك سيطرت مفاهيم « الجبرية » . مما أدى بالدولة إلى الضعف والتخلف . وذلك فى نفس الوقت الذى تخلفت فيه الدولة عن ميادين القوة العسكرية بينما أخذت نظم الحرب ووسائل الدفاع تتقدم فى الغرب . وقد نشأ عن هذا التخلف الثقافى والانحراف فى مفاهيم الفكر الإسلامى موقفا خطيرا . ذلك أن النفوذ الاستعمارى هاجم هذا الاتجاه ونسبه جملة إلى الإسلام فى سبيل شحب مفاهيم الإسلام فى المجتمع والسياسة وكاملة وإحلال مفاهيم غربية خالصة وكان «للدونمة» دخل كبير فى الحركة الإصلاحية التركية التى حمل لواءها أدباء تركيا ومصلحوها أمثال : عاكف ونامق مما أدى إلى الاتجاه كلية إلى المفاهيم الغربية . لقد كانت المحاولة أول الأمر تحمل طابع المقاومة للنفوذ الغربى عن طريق اقتباس بعض الأنظمة الغربية . غير أن الثقافة التى سيطرت على المدرسة العسكرية بالذات لم تلبث أن اتجهت بعيدا عن فهم الاسلام . وتبنت فكرة القومية بمفهومها الغربى فكانت نزعة طورانية تحولت إلى نزعة تركية خالصة على يد مصطفى كمال . وبالنسبة لمصطفى كمال بالذات فقد كان واحدا من أبناء المدرسة العسكرية التى كانت ثقافتها غربية خالصة . وكان الغازى مقتنعا بضرورة الاتجاه نحو الغرب والاقتباس منه فى التشريع والادارة والثقافة والحياة دون تأثر بالدين واعتباراته وأحكامه . ولم يكن مصطفى كمال فى حياته الخاصة مستقيم السلوك فقد عرفت عنه حياة مضطربة صارخة . وعرف بالسهرات الصاخبة الحافلة بالخمر والقمار . ولذلك فقد كان مندفعا إلى هذا الاتجاه . بمزاج نفسى بالاضافة إلى الظروف السياسية التى فرضت عليه بتوقيع شروط كرزن فى معاهدة لوزان .

وقد حاول الفرد كانتول سميث الدفاع عن مصطفى كمال ووصفه بأنه أراد أن يتخلص من قيود علماء الدين وأنه ظل مسلما ، وكل الوقائع تكذب هذا القول . سواء فى حياة المجتمع العامة أو فى حياته الخاصة : وأن دفعه الفتيات إلى المراقص ومخاصرة الرجال وتحريضهن على الفسق لا يمكن أن يكون هادفا إلى التخلص من جمود العلماء وليس ما تخلصت منه تركيا هو (الخرافة والجمود) على حد تعبير سميث ، وإنما هو التخلص من جوهر الاسلام نفسه : وليس صحيحاً ما ذهب إليه سميث من أن الأتراك فى عهد أتاتورك « لم يكونوا مجرد مقلدين بشكل سطحى بل مساهمين فى هذه المدينة الغربية الحديثة وخاصة فى إعادة تشكيل بيئتهم »

والواقع أنهم لم يتخذا أسلوبا تطوريا فى النهضة بل نقلوا كل ما فى أوربا من فساد المجتمعات أو القوانين التى لا تنطبق على البيئات الإسلامية . ولكنهم لم يستطيعوا أن تحقيق خطوة واحدة إلى المشاركة فى أى عمل حضارى أو علمى أو تكنولوجى يشاركون به الغرب فى مجال الحضارة والعلم الحقيقيين . فهم لم يصبحوا سادة مصيرهم بل أصبحوا عبيد تقليد آخر . خلصوا من تقليد إلى تقليد وخرجوا من نظام مجتمعهم ، ليس إلى تطور بل إلى تغيير انقلابى خطير . نعم — كانت هناك — خصومة واضحة . وحقد دفين . وثمن باهظ فى مقابل هذا الإجراء . ويرى لريس ف توماس : أن القومية التركية هى نزعة عاطفية أكثر منها حقيقة علمية . وأنها ليست فى الواقع سوى تقليد للقومية الغربية فى كثير من وجوهها .

ويعلق (عجاج نويهض) على انتقاض تركيا على الإسلام ويربط بينها وبين إيران وأفغانستان ، ويتساءل هل هناك شعوبية على الثقافة الإسلامية ويقول : الإصلاحات فى تركيا تقع موقع القبول فى طهران كما تأثر بها أمان الله خان فى أفغان وأن لكل شعب من الشعوب التركية والايرانية والأفغانية مزاجاً من أقوى مقوماته : العناصر المستمدة من طبيعة الاقليم وشكل الحياة العامة . وأن الثقافة فى القرون الإسلامية الثلاثة الأخيرة كانت قد اكتسحتها العوامل العنصرية وأضعفت آثار الروح الإسلامية . ويتساءل هل العوامل العنصرية الآرية والمغولية هى المكونة لمزاج هذه الشعوب . لأن الروح الإسلامية التى غمرت قلوب الأمم الإسلامية منذ ثلاثة عشر قرناً لم تزل إلى اليوم روحا أصيلة بأوسع المعانى مهما قيل من أن الاسلام لم يتغلب على الروح العنصرية فى كل من هذه الأمم . مهما قيل إن هذه الأمم ذات خصائص نفسية يختلف بعضها عن بعض . ومهما قيل من أن الفرس منحدرون من الأصل الآرى والترك من الأصل المغولى فإن أوربا على اختلاف عناصرها ولغاتها لا تزال مستظلة بظل ثقافة واحدة هى الثقافة المسيحية . ويقول : إن العرك الواقع (إذ ذاك) بين السلطات والقوة العسكرية فى أنقرة وطهران وكابل ، إنما هو عراك بين أفراد قلائل يريدون انتزاع شىء من قرارة نفسية الأمة ، أى من النواميس الاجتماعية التى لا تحارب ولا تعاند ولا تحول قهرا وأن هذه المحاولة تهدف إلى خلق روح المباعدة عن أصول الثقافة الإسلامية والانفصال عن العرب فكريا . ويصل الكاتب إلى القول بأن برنامج « أنقره — طهران — كابل » هو برنامج التفصى عن الثقافة العربية الإسلامية ، فهم يودون إحياء نفسية جديدة فى الأمة بانتزاع نفسيتها الراهنة — ا . ه . ومن حق أن مصطفى كمال كان واحداً من جيل استطاع النفوذ الغربى تكوينه فى العالم الإسلامى لحمل لواء الدعوة إلى التماس طوالعه ومناهجه وحاول أن يتخلص من نفوذ أوربا السياسى بالخضوع لنفوذها الثقافى

والاجتماعى . ولسنا نستطيع أن نجحد ما قام به أتاتورك فى سبيل تحرير بلاده من اليونان . ولكن من الحق أن يقال إنه لم يستطيع تحريرها من العبودية للنفوذ الأجنبي فقد أصبحت به تركيا تابعة تبعية كاملة لأوربا كأنما هى ربيبتها ، وقد كادت بذلك أن تفقد كيانها الذاتى كأمة مسلمة لها طبيعتها التى لا تستطيع أن تفصل بين الدين والمجتمع . وقد بلغ الأمر بمصطفى كمال فى اتجاهه هذا أن يقول : ليس لتركيا الجديدة علاقة بالدين . أو يقال عنه فى الصحف المصرية التى كانت تبتهج بتصريحاته مثل جريدة السياسة : أنه — أى مصطفى كمال — ألقى القرآن ذات يوم فى يده ، فقال : إن ارتقاء الشعوب لا يصلح أن تتقيد بقواعد وقوانين سنت فى العصور البائدة . أو ينقل عنه قوله «إن حكومة الجمهورية أرادت أن يكون محور النفوذ الدينى من الشئون العاملة كاملا » . ويمكن أن يقارن هذا بموقف مصطفى كمال فى أول الحرب الأناضولية عندما أمسك بالقرآن وحرض الناس على الجهاد فى سبيل إقراره . وقد هلل الغرب لخطوات مصطفى كمال وأيدها وألفت عنه عشرات الكتب بل مئاتها تمجد جرأته وخطواته القوية فى سبيل القضاء على الإسلام حتى لتقول جريدة الطان (نقلا عن السياسة الأسبوعية فى ١٩٢٧/١/١٥) :

« لقد نبذت تركيا الاسلام كنظام اجتماعى وكأس للسياسية والعدالة ونظم التربية ذلك لأن الاسلام الجمهورى — إذا أمكن وصف الاسلام كذلك — لم يبق بعد مذهب الدولة العثمانية . فقد حل محل الدين القديم . إن أول أثر للثورة الكمالية فى الدين هو حمل الناس على كسر أصفاد هذه الضلالات والأساطير . فقد اختفت الصلوات من المعاهد العامة وقلما تغص المساجد اليوم إلا أيام الأعياد أو فى رمضان وقد طلبت بعض الصحف أن توضع فى المساجد مقاعد كما هو الشأن فى غيرها من المعابد الحديثة وانتقدت بعضها عدم وجود موسيقى دينية تحل محل القرآن والآذان . إن الاسلام الجمهورى ليس إلا تقليدا ظاهرا للعقلية والمناهج الأوربية . والحق أن مصطفى كمال قد بلغ أقصى الشوط فى مواجهة الماضى . واتخذ اتجاها معاكسا ومضادا تماماً لمفهوم الاسلام نفسه . ولو كان قد توقف عند مهاجمة الدولة العثمانية أو الخطأ الذى ارتكبه الخلفاء فى فهم الاسلام لكان من حقه ذلك . ولكنه انتقض لا على الخلافة أو الدولة العثمانية بل على الاسلام نفسه . فندد رجاله بالقرآن وسفهوا القيم الأساسية للأسلام وفى مقدمتها: الرابطة الجذرية بين الاسلام والمجتمع . أو الدين والدولة وقد وجد النفوذ الأوربى فى هذه الحركة قوة له وتجربة وضعها أمام مختلف دول العالم الاسلامي ظنا منه أن كل هذه الدول ستجرى فى نفس الشوط .

ولكن هذه التجربة نفسها كانت عاملا هاماً فى شجب هذا الاتجاه أساساً ، ولم تلبث أن كشفت ، بل لقد كشفت فى حياة أتاتورك نفسه — عن فشلها لولا أساليب القمع الشديد والإعدام بالجملة ، والنفوذ الدكتاتورى المؤيد بالقوانين العسكرية ، ولم تكد تمضى سنوات قليلة حتى حطم الأتراك تماثيله فى كل مكان وهاجموا اتجاهه وانبعث الإسلام من قلب تركيا واضطرت الحكومة والأحزاب إلى الاعتراف بالدين وبالأحرى بالإسلام كقوة أساسية لها قيمتها ومكانها وفاعليتها فى المجتمع التركى المسلم .

(٢)

التحول

هل صمدت تجربة مصطفى كمال للبقاء وهل استطاعت أن تدمر الاسلام فى أعماق الأمة التركية والعالم الإسلامى ؟ من حق أن يقال أن الغازى ظل ساهراً على تجربته خمسة عشر عاماً بقوة السلطة وسلاح الديكتاتور العسكرى المستبد ، غير أن نتائج التجربة فى حركة مضادة لم تنتظر هذه الفترة لتكشف عن نفسها — بل أنها حاولت ذلك مرات متعددة فى حياة الغازى وحكمه ، وهى تعرف مدى الخطر الذى يواجهها أو النتائج المترتبة عليها ، ولكنها كان لابد أن تعبر عن مقومتها للنظام الذى وقع فرض واقعاً ضد طبيعة الأشياء مخالفاً لمختلف القيم التاريخية والأوضاع الاجتماعيـــة لأن لهذا النظام الذى لا يقوم على الجذور أو التطور الطبيعى أن يراجه انتفاضا عليه مرة ومرة . ومنذ اليوم وإلى اليوم الآخر فإن الإجراءات التى حاول مصطفى كمال فرضها لم تجد تقبلا صحيحا من الشعب التركى ، ولم تجد صدى طيباً فى العالم الإسلامى ، بل قوبلت هذه الإجراءات بالانتقاد الشديد والاستياء المر من أغلب الزمر والجماعات فى تركيا .

وقبل مرور عام على إلغاء الخلافة وقعت الثورة الكردية (شباط ١٩٢٥) مطالبة بإعادة الإسلام يقول كرافشوفسكى: « اتهم النقاد مصطفى كمال بأنه كان ثملا بخمرة الحكم ، ونددوا بالأوباش الحقيرين الذين أحاط بهم نفسه واستنكروا حلقات السكر التى كانت تعقد فى منزله الكائن فى خفايا من أرض أنقرة ، كما طالبوا بالحد من سلطته ، وقد عمد إلى القضاء على المعارضة فأعلنت وزارته فى صيف سنة ١٩٢٦ اكتشاف مؤامرة لاغتياله وبادرت إلى اعتقال عـدد لا يستهان به من شبان الأتراك السياسيين ومؤيدى السلطان المخلوع وبعض المارقين من حزب مصطفى كمال نفسه وحكم على ١٨ من

الذين اعتقلوا بالإعدام وفرضت عقوبة النفى على الجنرال كاظم قره بكير (وهو الرجل الذى كان له الدور الفعلى فى انتصار تركيا فى معركة سقاريا مع اليونان).. وسحق مصطفى كمال المعارضة وأصبح وحزبه سادة البلاد بلا منازع . ولم تتوقف المعارضة وظهرت حركات أخرى تعلن رفض الشعب التركى لنظام مصطفى كمال وإجراءاته . وكانت هذه المعارضة تقابل بالقمع العنيف ، وفى عام ١٩٣٢ قضى على مجموعة كبرى بلغت أكثر من ١٥٠ من أعلام الفكر ورجال الدولة فى تركيا بالإعدام بحجة مقاومة الثورة الكمالية . وكان الغازى قد ظن أنه ثبت دعائم حركته فسمح بإنشاء حزب جديد ، فلم يلبث هذا الحزب أن ضم كل خصوم النظام القائم وبدأت معارضة واضحة لآرائه واتجاهاته حمل لواءها حزب النقشبندية وأدت إلى صدام مسلح دفعه إلى إعادة ضم قبضته مرة أخرى . ولم يقف أمام الغازى رجال الصوفية أو علماء الإسلام وحدهم ، بل لقد كشف المثقفون أيضاً عن موقفهم وعلى رأسهم دكتور فؤاد كوبرلى زاده مدير جامعة القسطنطينية الذى كتب فى جريدة (حيات) التركية عام ١٩٢٨ وكان ذلك على أثر توغل حركات التبشير فى المدن التركية .قال : ليس معنى حادث مدينة بروصة الخاص بانسلاخ الفتيات التركيات الأربع عن الجامعة الإسلامية والتحاقهن بالجامعة النصرانية بتأثير النصرانية التى تقوم بها المدارس الأمريكية فى بلادنا وحدها ، ولكن الذى أعان على تنصيرهن عامل آخر عظيم الخطر وإن كان خطره غير ظاهر للابصار هو انحلال رابطتنا القومية منذ حين ، وبلوغنا فى ذلك إلى غاية أصبحت فى حكم الواقع ، أن من مظاهر انحلال قوميتنا سواء اعتقادنا بثقافتنا والدعاية التى تقوم بها للانسلاخ منها والتنازل عنها لنذوب فى ثقافة الغرب متجردين من شخصيتنا القومية وتقاليدنا الأهلية ، ومن المؤسف أن القائلين بتقمص الشخصية الأفرنجية يدعون إلى ذلك باسم القومية ويلبسون لباسها المزيف . إن تركيا تعانى الآن أزمة يصح أن نسميها (أزمة الثقافة) إن إختلال التوازن بين ما نحن فى حاجة إليه من التجديد وبين ما يدعونا إليه المجددون من نظريات فكرية قد نشأ عنه مرض فى التجديد . ومن أعراض هذا المرض تهافت أنصار التفرنج على الدعوة إلى التجديد الظاهرى فى الأشكال والانخداع بالتغير المقصور على القشور ، ومن أبرع مظاهر هذا الانخداع بالظواهر ما يحاوله القائمون بالدعوة إلى ترك الكتابة بالحروف العربية والاستعاضة عنها بالحروف اللاتينية ، إننا ننسلخ الآن من المدنية الإسلامية لنذوب فى المدنية الأوربية فنواجه بهذا العمل خطراً عظيما ، وأظهر سجية نشاهدها فى أدعياء التجديد

استخفافهم بثقافتهم القومية وإنكارهم ماضى أمتهم ، وقيامهم بالدعاية لثقافة أجنبية عنا من شأنها أن تجعلنا فى حكم الأمم المغلوبة على أمرها الخاضعة لأنظمة الاستعمار ، بينما الأمة التى تريد أن تكون أمة عصرية حقاً تحتفظ قبل كل شىء بثقافتها وكيانها ليكون لها بين الأمم شخصية قوية ، فعلى أمتنا أن تربأ بنفسها أن تذوب فى المدنية الأوربية ، إننا لم نأخذ من حضارة أوربا إلا القشور بل أخذنا القشور المخدرة التى انسلخنا بها من سجايانا وخصائصنا ، فنحن على خطر أن نذوب فى الأفرنج فنصبح أمة ممسوخة كهذه الأمم التى أصيبت بمرض الاستعمار وسنفقد شخصيتنا القومية ثم لا نظفر من حضارة أوربا إلا بسفاسفها »ا.هـ. وقد وجدت هذه المعارضة الوسيلة إلى إزالتها بالقمع ومواصلة الدعوة إلى «الأمجاد» التى حققتها حركة الغازى . وقد رافقت هذا الموقف مؤازرة كاملة من الصحف الغربية وتأييد شامل لإجراءات مصطفى كمال ، وكان ذلك طبيعياً من ناحيتين ، من ناحية تأييد هذه الخطة لما كان لنجاحها من أثر بعيد فى تركيز ودعم النفوذ الأجنبى ، والتغريب ، فى العالم الإسلامى والبلاد العربية بحسبان أن كبرى دول الإسلام ومعقل الخلافة والباب العالى ، ودار السعادة التى كانت متجه المسلمين ومصدر التوجيه لهم سياسياً واجتماعياً طوال القرون الماضية ، هى نفسها اليوم التى تحاول أن تقود حركة التغريب.
وكانت الصحف المصرية التى تتصل بحركة التغريب وفى مقدمتها الأهرام والسياسة والمقطم تؤازر الحركة وتحاول أن تفسر للناس هذه الإجراءات على أنها ليست هجوماً على الدين ولكنها تنحية له عن التفاعل فى المجتمع : تقول السياسة ٣-١-١٩٣٦ : «إن الجنوح عن المعتقدات والتقاليد القديمة هى أهم ما يميز الثورة الاجتماعية التركية والصبغة المدنية الحرة من كل أثر للدين ، هى أهم ما يقصد به قادة الإصلاح فى أنقره ، هم لا يريدون أن يمسوا الدين فى شىء ، غير أنهم يريدون أن يحرروا نظم الحياة الاجتماعية من المؤثرات الدينية » وكان التباهى عظيماً بأنه «لأول مرة تعدل دولة إسلامية عن تطبيق الشريعة الإسلامية فى مسائل الزواج والميراث فتقضى بإلغاء تعدد الزوجات وبالتسوية فى الميراث بين الذكر والأنثى وإعتبار الزواج عقداً مدنياً محضاً » وترى جريدة الطان الفرنسية ٢٣-٣-١٩٢٦ إن أنساناً لم يجرؤ حتى يومنا هذا أن يناقش الشريعة فى مسألة : زواج مسلمة من غير مسلم » وهى حين تؤيد ما جاء بالقانون التركى الجديد من أنه يجيز زواج مسلمة من غير مسلم ، لا تلبث أن ترى مدى الأثر العكسى لذلك فى محيط الأمة التركية والعالم الإسلامى كله فتقول

«لا ريب أن أخلاق البلاد لا تجيزه حتى اليوم ، ذلك لأنه برغم الجمهورية ومبتدعاتها ما زالت سريرة المسلم تأبى تمتع كافر بابنته أو بأخته ، والظاهر أن سواد الأمة التركية ما زال متشدداً فى تلك المسألة ، فإذا كان التشريع الجديد بالنسبة للزواج المختلط خروجاً تاماً على الماضى ، فان هذا التغيير لا يشمل سوى النص ولا يصل إلى القلوب . ولا ريب أن القانون الأخلاقى لأمة من الأمم يؤثر فى مصائرها بأشد مما يؤثر القانون الشرعى».

وهكذا منحت تركيا العالم الإسلامى تجربة مفتوحة لتطبيق القانون الأوربى الغربى وإحلاله محل الشريعة الإسلامية وأتاحت فرصة الكشف عن النتائج المترتبة على ذلك ، والذى تؤكده كل المصادر والأبحاث أن قوانين الغازى لم تكن فى الحقيقة إلا حبراً على ورق وأنها لم تفعل أكثر مما يفعله صاحب السلطان القوى فى محاولة رسم صورة غير منبثقة من أعماق الإيمان الأصيل . وقد وجدت الحركة التركية تأييداً من بعض الصحف فى مصر ـ إذ ذاك ـ ولكنه تأييد معروف المصدر ، فالصحف فى هذه الفترة كانت أجيرة لأكثر من نفوذ ولكن كلمة حق كانت تتردد أحياناً فتكشف الحقائق كاملة. فإذا جاءت من كاتب أتيح له أن يسافر إلى تركيا وأن يؤيد خطواتها فإن الأمريكون جديراً بالاعتبار ، ويكشف الأستاذ محمد عبدالله عنان عام ١٩٢٨ (أى فى معمعان الحركة) كيف صكت المعارضة الشديدة سمع الحركة التى قام بها الغازى فيقول : تناول الانقلاب أسس المجتمع القديم كله (سياسية واجتماعية وروحية واقتصادية) وظهرت بوادر المعارضة مع ذلك . ولم يتسع صدر الجمهورية التركية لصوت يرتفع بالنقد والمحاسبة وسرعان ما لجأت إلى التشريع الاستثنائى وقامت محكمة الاستقلال بحجة الاستقلال المحافظة على سلامة الجمهورية . وانتشرت أحكام الموت والأشغال الشاقة والسجن المؤبد هنا وهنالك حينما ظهرت بوادر المعارضة ، على أن إخماد هذه المعارضة فى المهد لا يعنى بأن هذه المعارضة ليست توجد اليوم فى تركيا فهى قائمة ولكن فى خفاء وصمت ، والرأى العام التركى لا يقبل دائماً كل المشاريع الجديدة بنفس التأييد والحماسة وقد تناولت حكومة أنقره بالمحو والتغيير كثيراً من الشئون الدينية ، دعك من الفصل بين الدين والدولة وإلغاء الشريعة وإلغاء ما يتعلق بدين الدولة من دستور الجمهورية . ولكن حكومة أنقره أرادت أن تقوم بنبوة جديدة وأن تخلق من شعائر الإسلام خلقا جديداً فعهدت إلى لجنة من العلماء مما وصف بأنه اجتراء على شعائر الإسلام ، وقد أنكر الرأى العام آراء لجنة تريد أن تلغى فروض الصلاة فيؤدى المسلمون

صلواتهم كما يؤدى النصارى قدسهم بغير الركوع والسجود ، وتغدو المساجد كنائس لا أقل ، فلما حدثت الضجة تراجعت الحكومة وحاولت إخماد الضجة ، ربما كانت هذه خطوة أولى وتمهيداً لدعوة تشهر ضد الإسلام وتعاليمه وما زالت السيادة المطلقة تستند إلى القوة القاهرة ، فالقوة هى عماد الثورة التركية ، بل إن قواعد النظم التركية الجديدة ذاتها والأساليب التى أختيرت لتنفيذ هذه النظم تجعل من الصعب علينا أن نجد لها مكاناً بين النظم البرلمانية بل النظم الحرة على الإطلاق ، حيث تمتزج السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية فى الجمعية الوطنية التى تقوم على قواعد غير تلك التى تأخذ بها كل البلاد الدستورية ، تتولى بيدها فوق سلطة التشريع سلطة التنفيذ ، فتختار الوزراء وتعينهم وفيها وإليها يرجع القضاء ، فتنشىء محاكم الاستقلال متى أرادت وتنتخب رئيس الجمهورية ، حزب واحد ، هو الشعب أو حزب الغازى ، وهو كل شىء فى الجمعية وخارج الجمعية يدفع رجاله إلى جميع كراسى الجمعية ولا يسمح لسواهم بدخولها ويلجأ فى ذلك إلى كل الوسائل . وما نظام أنقره إلا دكتاتورية عسكرية مقنعة تعمل باسم الشعب التركى ، وقد استطاع دعاة التجديد ، أن يسبغوا على المجتمع التركى العتيق كل مظاهر المجتمعات الغربية : ثورة الثياب ، وتعلم الرقص وكتابة الحروف اللاتينية وما يستطيع التشريع العنيف أن تنتزع فى بضعة الأعوام طبائع كونتها ورعتها القرون ، والتاريخ يعلمنا أن للشعوب خواص جنسية وأخلاقية لا يمكن محوها بضربة واحدة ولا يغيرها سوى تطور الأجيال . لقد ظهر الشعب التركى فى مهاد العقلية والتقاليد الشرقية ، وخرج من أقفاص القفار الآسيوية مزودا بخواص الجنس الآسيوى أو بالأحرى المغولى ، وأنفق الشعب التركى عصور المجد والانحلال كلها شعباً تركيا ، متمسكاً بخواصه وتقاليده ولم يندمج فى المجتمع الغربى رغم أنه نفذ إلى أوربا واستقر فى شرقها عصوراً فهل يستطيع سادة أنقره أن ينزعوا بتشريع الأشهر ذلك الثوب الخالد » ا. هـ. وقدتنبه الدكتور هيكل فى أغسطس ١٩١٧ إلى مفهوم الإنقلاب القائم بالحكم العسكرى الصارم وليس بإرادة أهله ولا باقتناعهم فقال : إن أمراً يلفت النظر فى هذه النهضة التركية ويدفع إلى التساؤل عن مبلغ ثباتها وعدم تعرضها لرد فعل يعود بتركيا إلى إلى ما كانت . ذلك أن هذه النهضة تبدو كأنها ليست أثراً محتوماً لتطور طبيعى ، وأنها مصنوعة على يد مصطفى كمال وأصحابه الذين فرضوها على تركيا عن طريق التشريع وألزموها

الأخذ بها بقوة القانون وبما وراء القانون من الجندى وسيفه ومدفعه فإذا حدث لسبب من الأسباب أن جاءت حكومة غير هذه الحكومة وألغت هذه القوانين ابتهج الناس إما ابتهاج بالعودة إلى سيرتهم الأولى . «ولم يجد هذا الإصلاح من يؤيده وينصره» . ولسبب بسيط يجهل الدكتور هيكل أن الذين أقاموا هذه الحركة سوف يحمونها طويلا حتى تؤكد الغاية التى ذهبوا إليها والتى ستظل ضرورة لبقاء نفوذهم فى العالم الإسلامى وقد ذهب حكام أنقره إلى القضاء على مختلف صور الإسلام فى البلاد ، بل أنهم أسلموا جامع أيا صوفيا إلى بعض المهندسين الأجانب لإعادته إلى صورته الأولى ، فأزالوا ما فيه من آيات قرآنية وأحاديث وكشفوا عما ستره المسلمون من صور القديسين والملائكة والصلبان ونحوها من نقوش المسيحية . ولم يكن ذلك فى نظر كثير من الباحثين والمعلقين «إلا إنفاذا للمنهاج الذى وضعوه وأنهم إنما فعلوا ذلك تقرباً إلى أوربا النصرانية التى التزموا محاكاتها فى كل شئ» . وكانت هذه الأعمال تدفع إلى مزيد من حركات المعارضة والانفجارات التى كانت تقمع بشدة ، ولكنها لم تكن تنتهى حتى كانت تعود مرة إلى الاختفاء فى أعماق الأمة منتظرة فرصة أخرى لتعلن عن نفسها . وقد جرت فى العالم العربى تساؤلات كثيرة فى ظل الدعاية التى بثها أولياء النفوذ الغربى ودعاة التغريب حول ما إذا كان على البلاد العربية ومصر بالذات أن أن تقتفى أثر تركيا ، ، وكان الرأى العام الإسلامى قد بدأ يتطلع إلى مصر بعد أحداث تركيا بحسبانها قلب العالم الإسلامى وليتخذ منها «مركزاً لحركة الجامعة الثقافية الإسلامية العامة»

كما كان يطلق عليها حيث «لم يزل العالم العربى الآسيوى الإفريقى من أعالى الموصل إلى غربى مراكش ينظر إلى مصر نظرة المهتدى المسترشد ويهتم بها ويعطف بكل جوارحه على نهضتنا السياسية ويقرأ ثمرات مطابعها وصحفها كل هذا اعتقاداً أن مصر هى أحصن معتقل للإسلام وأحرز للشرع الحنيف» . وقد تناول فى الإجابة على هذا التساؤل عدد كبير من المفكرين العرب فى مصر وسوريا وتونس . أما دكتور عبد الرحمن شهبندر فيقول : إن الأمة الحية هى كالشجرة الناضرة لها جذور فى الأرض من تراث الاباء والجدود ونحن مهما كرهنا الجمود وسئمنا التعفن والركود فلا نريد بوجه من الوجوه أن نجارى القومندة العسكرية فى تركيا فنقطع هذه الجذور ونعرض الشجرة كلها لليبوسة والذبول ، وإنا مع أنصار الإصلاح الاجتماعى والتجديد الصحيح على أنواعه ولكنا من أعداء قطع الاتصال بالماضى فنحن أبناء السلف وآباء الخلف وأصولنا ثابتة فى الأرض وفروعنا باسقة فى السماء» ويرى

فريد وجدى « أن محاولة الاقتداءُ بالأُمم لا تنتج أثراً محموداً لأَن كل مافى الأُمم هو ثمرات نفسياتها فإذا ساق المجتمع الطالب للاقتداءِ فى مظهر من مظاهرها وأراد تحقيقه أَعوزته العوامل ويرى الأَمير مصطفى الشهابى أنه من حيث الدين فقد غلا الترك فخلقوا قومية لا دينية ومنعوا تدريس العلوم فى المدارس الرسمية وتتبعوا خطا البلاشفة تقريباً ، ومن البديهى أَن الشرق العربى لا يمكنه أَن يسير فى هذا الطريق لأَن القومية العربية والدين الإسلامى يمشيان جنباً إلى جنب ، ولو اقتصرت أَعمال الترك فى هذا الباب على إصلاح بعض التكايا والزوايا والفرق الدينية لكان فى تلك الأَعمال نفع لا ينكره العقلاءُ أما الكفر والزندقة والمناداة فى المجالس الخاصة بعبادة الذئب فجهالات يأْسف لها عدد كبير من الترك أنفسهم . » ووصف عبدالعزيز الثعالبى الحركة الكمالية بأَنها « ليست نهضة شعبية بالمعنى الصحيح يمكن أن تستهوى أَخيلة النقاد الاجتماعيين وتستغرق مقاييس الفقهاءَ المشترعين بل هى نزوة ديكتاتورية فى أُمة مستقلة أَنهكتها أَنواع الحروب الداخلية والخارجية » . هذا وقد صدقت توقعات الباحثين جميعاً الذين أَجمعوا على أَن هذه الحركة هى من صنع رجل واحد وأَنها تشق طريقها ضد التيار ، وأَنها لن تلبث أَن تسقط بسقوطه ، ذلك أَنه ما كاد الغازى يصاب بانفجار فى المخ ويختفى من الواجهة عام ١٩٣٩ حتى أَخذت السفينة تتحول تدريجيا عن مجراها المنحرف وتتجه شطر الإسلام بتأْثير مبادئه الراسخ فى قلوب الشعب . وتوالت منذ ذلك الوقت حركات التراجع عن الخطوات العصبية التى انساقت إليها ، وإذا كانت هذه الحركة قد أَمضت ربع قرن ثم لم تجد لها إحساساً بالإصالة أَو الاستقرار ، فإن ذلك يعنى بحق أَنها لم تكن أَصيلة المجرى ولا متجهة إلى الطريق الصحيح . وقد زار محمد التابعى تركيا عام ١٩٤٦ بعد وفاة الغازى بسبع سنوات فلم يجد عبارة يصف بها المجتمع التركى الذى خلفته حركة مصطفى كمال أَبلغ من هذه العبارة : « تركيا تعانى آلام المخاض » يقول ، « ما زالت تركيا وبعد ربع قرن من حكمها الجديد تعانى آلام المخاض لأَنها لم تلد بعد مولودها الجديد الذى مناها به أَو منى نفسه به باعث نهضتها أَتاتورك (مصطفى كمال) . لقد أَلغى أَتاتورك بجرة قلم السلطنة ومن بعدها الخلافة ، وفى فجر أَحد أَيام ١٩٢٤ تسلل آخر خلفاءَ آل عثمان عبد المجيد من قصر ضولمة بغجة على ضفاف البسفور ، ومن ورائه أَحد الأَغوات المخلصين يحمل فى يده حقيبة متوسطة الحجم ، وتوالت بعدها قوانين وأَوامر الغازى أَتاتورك » . « والتاريخ وحده هو الذى يحكم

هل أصاب أتاتورك أو أخطأ فى تقدير الحساب ، وألغيت الخلافة ، ثم فرق بين الدين والدولة ثم حورب أو على الأقل نوهض الدين الإسلامى فألغت الحكومة الأوقات الخيرية وصادرت أملاكها وأموالها وأموال صناديق النذور وأضرحة أولياء الله ، ثم جعلت الزواج عقداً مدنياً صرفاً لا فضل للدين فيه ولا للمأذون وجاز بعدها للتركية المسلمة أن تتزوج برجل من أى دين من الأديان ، وأصدر أتاتورك منشوراً أهاب فيه بنساء تركيا أن يخلعن الحجاب وأن يسفرن لدى العالم وجوههن وأسفرت نساء تركيا . واتجهت تركيا إلى أوربا وسنت القوانين والنظم ما يكفل جعل تركيا الحديثة قطعة من أوربا لا جغرافيا فقط بل معنوياً ونفسانياً ،فاستبدلت الحروف التركية الأصل بالحروف اللاتينية ، وحورب كل شيء عربى شرقى أو من أصل عربى شرقى ، ووضعت مكان بك وباشا (مسيو ومستر) إلى هذا الحد فى الإغراق فى الأوربية أو بالحرى على سنن الغرب سار الأترالأتراك والآن بعد نحو ربع قرن يتسائل الباحث : هل المرأة التركية سافرة أم محجبة ، لا هذا ولا ذاك . أما فى المدن فالمرأة سافرة ، أما فى الأناضول فى القرى ، فى سفوح الجبال وبطون الأدوية فلا تزال كما كانت على عهد السلاطين ،ويحيط برأسها ووجهها قناع من الشاش الأبيض أو الأسود . هل تركيا اليوم مسلمة أو مسيحية أو ملحدة ، لا هذا ولا ذاك ، وتستطيع أن تقول إن شباب اليوم فى تركيا لا دين له أما شيوخه وفلاحوه فما زالوا مسلمين . « واللغة والكتب والصحف تطبع بالحروف اللاتينية ، والمدارس تدرس بالحروف اللاتينية ، بعد أن نحيت الكلمات التركية القديمة لتحل محل الكلمات العربية الدخيلة ، أما تركيا المدنية فهل هى ديمقراطية أو أتوقراطية أو ديكتاتورية : لا هذا ولا ذاك . ثم إن هناك معارضة أخذت تنمو وتشتد ، نلمس الآن فى تركيا تبرماً ولعله نفسانى معنوى أكثر منه مادياً ، والسبب عدم الاتساق وعدم الانسجام بين الماضى والحاضر ، وبين القديم والجديد ، فتركيا بعد أربع وعشرين عاماً لا تزال تعانى آلام المخاض لأنها لم تضع بعد مولودها الجديد » . ولم تلبث أن توالت نذر التحول ففى عام ١٩٥٠ تزعم التيجانيون حملة ضخمة ضد أتاتورك وأعماله وحطموا تماثيل « منشئ تركيا الحديثة » ووزعت نشرات تحض على معارضة سياسة أتاتورك ومخاصمة كثير من المبادئ التى يعتنقها رجال الحكم فى تركيا ، ثم تطورت الحوادث ، وعرف المراقبون أن شدة تدين الشعب التركى ما تزال ذات فاعلية وأن جماعة التيجانية — بعد جماعة النقشبندية — الى تولت قيادة الحركة هى فرع من الطريقة الإسلامية الكبرى التى تنتظم أغلب العالم الإسلامى وعلى الأخص الجزائر . وقد حاولت

الدولة التركية أن تتمحل الأسباب لهذه الحركة المضادة ولكنها غفلت عن المصدر الأساسي لها، وقد علق عباس محمود العقاد على هذا التحول فقال إنه يرجع إلى سبب أعمق من جميع الأسباب ، فهو مظهر من مظاهر الاحتجاج على حركة الفرنجة والاستغراب التى فرضهامصطفى كمال فرضاً على الأمة التركية ،فالإجماع على معارضة هذه الحركة كامن فى الوعى الباطن من أعماق الأمة التركية ، وقد اقترن ظهور التفرنج والاستغراب بظهور الحركة الطورانية فى وقت واحد، ولعل تفسير الحركة الطورانية بالاتجاه إلى الغرب هو أعجب تفسير عهده الناس لحركات الشعوب فى العصر الحاضر ، وغير قليل منها مدسوس على الحركة عن قصد وتدبير وكانت مدينة سالونيك كعبة الدعوة الطورانية أو كعبة المدرسة الفلسفية التى تبشر بها وتلتمس لها الذرائع فى العلم واللغة ، وفى سالونيك يقيم (جوك الب) فيلسوف الحركة ، وسالونيك مدينة تغلب عليها الصهيونية واتباع شبتاى زيفى الذين دخلوا فى دين الإسلام وبقوا فى عزلتهم الدينية باسم الدونمة ليعملوا فى البيئة التركية . وقال العقاد : « إن اتباع الطريقة التيجانية جادون فى إعادة الصبغة الإسلامية إلى الحكومة وأنهم يتقصون آثار مصطفى كمال فيحطمونها ومنها تماثيله فى الميادين ، وأنهم دخلوا ساحة المجلس الملى الكبير وأذنوا للصلاة باللغة العربية وقالوا إن هزيمة حزب (مصطفى كمال – عصمت أينونو) ترجع إلى جهود هذه الجماعة وتضافر دعاتها على التشهير بذلك الحزب» . وليس كتاب المسلمين والعرب فى مختلف أقطارهم، هى الذين عارضوا حركة الغازى ، ولكن المراقبين الغربيين المنصفين كانوا على ذلك الرأى وفى مقدمتهم فرنان ويليه الذى يرى « أن النفوس لم تكن مستعدة لمثل هذا الانقلاب الشامل لذلك كان مصطفى كمال كى يتمكن من فرض مشروعاته الإصلاحية مضطراً لأن يمارس حكماً ديكتاتورياً ثورياً حقيقياً طوال حياته وكان حزباً واحداً هو الحزب الجمهورى كان مسيطراً على الجمعية الوطنية ، وكانت السلطة التنفيذية تطغى على التشريعية ، وإذا نظرنا إلى مثل هذا النظام من الناحية الأخلاقية نجده مشوباً بلطخات مثل محاكمة الديمقراطيين والقمع الوحشى لثورة الأتراك » . ويتساءل : هل خضع الديمقراطيون لحكم غابت فيه الحرية على الرغم من المحاكمات التى لفظت عام ١٩٢٦ أحكاماً بالإعدام والإبعاد لعشر سنوات » . وقد كانت معارضة المفكرين المسلمين والعرب منصبة على أن الحركة التى قادها الغازى لم تكن هادفة إلى الثورة على مشايخ الطرق وحدهم ولو فعلت لما أنكر عليها أحد – على حد تعبير السيد محب

الدين الخطيب ،ولكنها كانت ثائرة على «العقيدة» نفسها ،تريد أن تقتلعها من الأمة التركية تدريجياً وكل حركاتها وسكناتها ترمى إلى ذلك ، ومن الحق أن يقول : إن التغيير الذى أدخلته القوة فى أوضاع تركية وهدمت به ركناً من الإسلام ليس فيه أدنى ضرورة ولا يقاس بما أجازه الأوروبيون تحت قاسر الضرورة ، والواقع أن أوربا لها أن تستن من القوانين ما تشاءُ وهى بهذه القوانين لا تكون مخالفة للإنجيل ، لأنه لا يضم شيئاً من أمور المعاملات المدنية ، هذا بخلاف القرآن الذى شرع للدين والدنيا معاً فلا يقاس أحدهما بالآخر ». وليس ما أخذت به تركيا فإن القوانين الأوربية وفى مقدمتها القانون السويسرى الذى أخذت به تركيا مأخوذ من القانون الرومانى ومن الاصطلاحات التى أقرتها الكنيسة وكلها قديم فى قديم ، وهذا هو وجه الخلاف ، وهذا هو ما يرضى أوربا ويجعلها تقف موقف الدفاع والتأييد لحركة الغازى وبعد ، فإن الروح الإسلامية تجددت مرة أخرى فى تركيا وانتقل الزمام ١٩٥٠ من حزب مصطفى كمال ، وسمحت السلطات الجديدة للمسلمين الأتراك بالآذان باللغة العربية وباستعمال اللغة العربية قراءة وكتابة . ويحقق تساؤل المؤرخ « توينبى » الذى شك منذ اللحظة الأولى فى جدوى حركة الغازى حين قال : « علينا أن نسأل أنفسنا ما سيكون مآل إدخال هذا المثل السياسى الغربى ذى العاطفة الضيقة فى عالم إسلامى تقضى تقاليده السالفة باعتبار كل المسلمين إخوة بسبب دينهم المشرك رغم مرونة العنصر واللغة والمنبت » . وقد اتسعت فعلا تلك الحرية التى تعمل على مقاومة روح التغريب السائدة فى تركيا والعود إلى تعاليم الإسلام ، ذلك أن وباء التغريب لم يصب إلا المدن الكبرى والطبقات العالية ، هذه الطبقات التى أخذت تقاوم حركة العودة إلى الإسلام وتعتبرها رجعية ، وقد أكدت هذه النقطة العجيبة على أن الحركة التى قادها مصطفى كمال كانت طفرة ، وكانت ضد طبائع الأشياء فالعالم الإسلامى متقبل ومرحب للتطور والحركة والنهضة والأخذ من الحضارة الغربية ما يدفعه إلى القوة والحياة ولكنه يلفظ كل حركة تحاول أن تخرجه عن مقوماته . لقد تحولت الصورة على نحو مثير ، كشف عنه كثير من الكتاب الذين زاروا تركيا — وهذا تقرير محمد حسنين هيكل عام ١٩٤٩ : « لم أشهد قوة الإيمان بالدين فى بلد إسلامى شرقى كما شهدته فى تركيا ، وربما كان سبب التعصب هو محاربة الحكومة التركية له بكل الطرق وليس هناك بلد شرقى إسلامى لا يذكر أهله القرآن إلا بقولهم « حضرة قرآن كريم » إذا سمعوا القرآن فى أجهزة الراديو أطفأوا السجائر وخلعوا

الأحذية وتربعوا على مقاعدهم . هذا كله برغم الحواجز والعراقيل والحرب التى أعلنت على الدين حتى فرضت الحكومة أن يردد الآذان للصلاة باللغة التركية – يقول المؤذن « الله أكبر » باللغة Tanre uludur العربية وبالحروف اللاتينية ، والخطيب يلبس القبعة ويدخل بها المسجد ثم يخلعها ويضع عمامة ، والمقاومة السلبية التى قام بها الشعب التركى لهذه السياسة مقاومة بديعة رائعة ، لا تدخل بيتاً فى تركيا حتى تجد المصحف موضوعاً فى أعلى مكان فيه ، ولا تركب سيارة تاكسى يملكها مسلم أو يقودها حتى تجد آية قرآنية بخط عربى جميل ، ولا تدخل متجراً حتى تقابل نفس الشيء ، ولا تدخل مسجداً فى استانبول (وفى استانبول ألف مسجد) حتى تجد الحلقات غاصة بالمصليين . ثم بدأت المقاومة تأخذ شكلا عملياً ، كان خطباء المساجد يصعدون إلى المنابر ويبدأ الحديث فإذا كل ما يقولونه ينصب على حكومتهم ووصفها بأنها حكومة كفار ، وبدأت روح التذمر وإذا بمنشورات دينية توزع فى الطرق ، ثم رأت الحكومة أنه من الخير أن تسمح بإصدار المجلات الدينية ، فبدأت ستة عشر مجلة دينية تظهر ، وبدأ الاكتتاب لبناء مسجد ، وفى أوساط الفلاحين فى الأناضول : سلطان الدين هو السلطان . معظم الناس حتى الآن لا يستعملون الحروف اللاتينية بل العربية ، بها يكتبون وبها يقرأون القرآن حتى الأطفال الذين يزيد عمرهم على خمس سنوات . وفى أنقرة تجدبيوتاً كثيرة تنتظر موعد إذاعة القرآن من محطة إذاعة القاهرة ، وتجد حلقة كبيرة منعقدة حول الجهاز الذى ينبعث منه القرآن خافتاً مرتعشاً بتأثير ضعف محطة القاهرة . ونوع آخر من المقاومة : ذهب أحد المسلمين إلى المجلس الوطنى يوم انعقاده وفجأة من شرفة الزوار نهض أحدهم وصاح مؤذناً باللغة العربية بأعلى صوته وهجم الحرس يلقون القبض عليه فنهض زميله ليكمل الآذان وألقى القبض عليه فاندفعت طائفة أخرى فأكملت الآذان . وفى اليوم التالى شهدت شوارع استانبول منظراً فريداً ، حيث ذهب عدد كبير من أئمة المساجد والخطباء والمؤذنين وكان كل منهم يبحث عن جندى بوليس يعثر عليه فيقف أمامه ويصيح : الله أكبر وتكرر المنظر فى يوم واحد خمسين مرة . وقدمت الحكومة الذين أذنوا إلى المحاكمة والسجن أربعين يوماً ، أما هذا العدد الأكبر من الناقمين فأحيلوا إلى مستشفى المجاذيب . ورأت الحكومة أن الحالة ستطول وتتحول إلى حركة خطيرة ، فتقدم بعض النواب بمشروع لإدخال التعليم الدينى اختيارياً فى المدارس الإبتدائية . وكانت قد طمست بعض الآيات القرآنية باللغة العربية البا ية على بعض المستشفيات من عهد السلاطين فعادت ورفعت الطمس وأظهرت

الآيات وجددتها بماء الذهب ، وكانت قد أغلقت قبور الأولياء حتى نوافذها سدت بألواح عريضة من الخشب فعادت أخيراً وفتحت النوافذ . جاء هذا بعد أن ظهر جيلان أو ثلاثة أجيال على درجة مخيفة من الإلحاد. إن الهوة التى تفصل الأجيال القديمة والأجيال الجديدة الملحدة هوة سحيقة وهى من أعقد مشاكل تركيا . ومسجد أيا صوفيا فى تركيا تحول إلى كنيسة .. لقد جاءت الثورة التركية وقررت الحكومة أن لا يصبح مسجداً ولا كنيسة بل يصبح متحفاً ، الصلوات لا تقام فيه ، وكانت تغطى جدرانه الآيات القرآنية بالذهب وقد تبارى السلاطين فى إهدائه المنابر ، ثم تقدمت جماعة أمريكية وقالت : إن متحف أيا صوفيا يخفى تحت الآيات القرآنية وتحت نقوشه الإسلامية آثار بيزنطية نادرة قديمة وإنها على استعداد للكشف عن هذه الآثار . ووافقت حكومة تركيا فأزالت النقوش الإسلامية والآيات القرآنية وظهرت صورة تمثل أحد الأباطرة البيزنطيين يحمل فى يده الصليب وفوقه مباشرة الآيات القرآنية . وبعض أهالى تركيا المتدينين يقبلون على زيارة أيا صوفيا ليتنسموا العهد القديم وبعضهم يحلوا لهم أن يصلى الجمعة خلسة فى هذا المتحف الغريب الذى يتحول إلى كنيسة ، فإن البعثة الأمريكية أزالت نصف المعالم الإسلامية فى مسجد أيا صوفيا لتظهرالآثار البيزنطية لدرجة أن مدخل المسجد القديم أزيل ما كان عليه من آيات قرآنية فظهرت تحتها صورة للعذراء المقدسة فوقها مباشرة الآية الكريمة « إنما يعمر مساجد الله » ولا يحتاج الزائر إلى حدة بصر غير عادية ليرى الدموع فى مآقيهم أسى وحسرة على المسجد الشهير فى تاريخ الإسلام الذى يتحول إلى كنيسة فى ظل حكومة تحكم شعباً كاملا من المسلمين » ا . هـ . ويقول ناصر الدين النشاشيبى انه فى عام ١٩٥٠ جرت المفاجأة فإذا بحزب أتاتورك « حزب الشعب » يكاد يدفن تحت الرماد فلا يفوز بأكثر من ٦٩ مقعداً بينما فاز الحزب الديمقراطى بأكثر من ٤٠٨ مقاعد — لقد جاء الحزب الديمقراطى إلى الحكم من باب الدين ، من أصوات المؤذنين فى الجوامع . لقد سقط حزب أتاتورك بعد أن ظل يحكم منذ عام ١٩٢٢ ولكن يبدو أن النفوذ الغربى قد أزعجه هذا التحول فاتهم الحزب الديمقراطى بالتمرد على العلمانية وعلى تعاليم الجمهورية التركية ولكن رد الفعل الإسلامى استمر زمناً . يقول (كرافشكوفكى) فى كتابه «الشرق الأوسط» : « كم كان رد الفعل الدينى قوياً ، إن رد الفعل هذا كان يمثل من حيث النوعية نواة صلبة من أناس غير مسالمين نذروا أنفسهم للمبدأ وعزموا على شن حرب لا هوادة فيها من أجل تحقيق أهدافهم مع أنهم أقلية من الناس ، لقد شهدت الخمسينات فى سنى هذا القرن انتعاشاً واسع

النطاق فى الطرق الدينية مثل الطرق التيجانية . وبديع الزمان والبكتاشية والنقشبندية والقادرية والمنظمات الميالة للإسلام مثل الحزب الديمقراطى الإسلامى وحزب النهوض الوطنى ،وجماعة بيوك طوفو ، هذه الجماعات تعتنق فلسفة جريئة فى ميلها إلى الإسلام وتمارس فى بعض الأوقات تدمير الآثار وعلى الأخص تماثيل أتاتورك . وقد كان الإقبال على الحزب الديمقراطى] فى تقدير (كرافشكوفكى) أنه يرجع إلى إدخال الدين فى المدارس وإذاعة القرآن فى الراديو بالعربية وتكوين جناح إسلامى بين أعضائه ، وفى عام ١٩٥١ تقدم بعدة مطالب أهمها نبذ الحروف اللاتينية وإعادة استعمال الأحكام الشرعية الإسلامية » . غير أن محاكمة جرت لأعضاء هذا الحزب ، وصدرت قوانين صارمة تحمى ذكرى الغازى ومنع اتخاذ الدين وسيلة للأغراض السياسية وأعلن قادة الحزب أنهم يوافقون على جميع المظاهر الدالة على احترام الإسلام ولكنهم ما زالوا يعارضون الأحكام الشرعية » ا . هـ . غير أن الخطوات التى اتخذت منذ ١٩٤٦ واتسعت فيما بعد بإعادة التربية الدينية وفتح مدارس لتخريج أئمة وخطباءللمساجد وفتح كلية أصول الدين فى جامعة أنقره لم يلبث أن حقق نتائج فى خلال العشرين عاماً التالية فقد برزت الحركة الإسلامية واشتد عودها واستطاعت أن تخرج جيلا من الدعاة إلى الإسلام وأن توجد قاعدة عريضة ضخمة من جماهير الشعب التركى المسلم المؤمن بأن الإسلام دين ونظام مجتمع ، وأنه لا يستقيم أمر تركيا إلا بالعودة إلى الإسلام من جديد ، وقد تمكنت الحركة الإسلامية من أن تبرز خلال السنوات القليلة الماضية كحركة لها وزنها ووجودها بالنسبة للمجتمع التركى . وقد وجهت جريدة بوكون (اليوم) التركية عام ١٩٦٨ نداءاً تطالب فيه المسلمين أن يقيموا صلاة الصبح بصورة مجتمعة . وقد تحقق هذا عندما «اتجهت جموع المسلمين التى تقدر بالآلاف فى إشراقة الفجر فى هدوء كامل ينسجم مع عظمة الموقف إلى أكثر جوامع اسطنبول حيث زحف ٥٠ ألف شخص ليقيموا صلاة شهدتها تركيا منذ خمسين سنة » ويقول المعلقون أن هذه الصلاة كانت جزءاً من سلاح قوى تستخدمه الحركة الإسلامية لضرب القوى الإلحادية ، والمنحرفة فى تركيا . وكان لها رد فعل بين عناصراليهود والماسون والملاحدة مما حمل بعضهم على التهديد بنسف مسجد أنقره ، وقد انفجرت عدة قنابل فعلا ولكنها لم تخرج أى مصل من الصلاة ، وانصرف المسلمون بدون ضجة .

٣ — العودة إلى الإسلام

صدرت فى السنوات الأخيرة دراسات ضافية كشفت حقائق ثلاث (أولا) دور مصطفى

كمال أتاتورك وتبعيته للصهيونية العالمية وللنفوذ الاستعمارى (ثانياً) دور حركة المقاومة التى قادها كثيرون ضد الحركة الكمالية وفى مقدمتها حركة المجاهد المسلم بديع الزمان النورسى(٣) حقيقة دور السلطان عبد الحميد وموقفه البطولى فى مقاومة المؤامرة الصهيونية الاستعمارية .

وقد كشفت مذكرات السلطان عبد الحميد التى نشرت فى السبعينات ومذكرات هرتزل التى نشرت فى الستينات عن موقف السلطان عبد الحميد من الصهيونية بما يصحح ذلك الزيف الذى رددته الكتب المدرسية والجامعية والثقافية فى البلاد العربية خلال هذه الفترة الطويلة.

ولعل قضية العودة إلى الإسلام هى أبرز ملامح هذه المرحلة ، حركة الحركة التى تبلورت فى حرب السلام الوطنى بعبارة نجم الدين أرباكان (استاذ الميكانيكا فى الجامعة التكتيكية فى استانبول ، بما يوحى أن تركيا قد عادت فعلا إلى الأصالة الإسلامية بعد أن انحرفت عنها بفعل المحاولة الخطيرة التى جرت لتغزيتها على أيدى جماعة الدونمة :الاتحاديين الكماليين على طول الفترة التى امتدت خلال حكم السلطان عبد الحميد وبعد اسقاطه وخلال الفترة من ١٩٠٩ إلى الحرب العالمية الأولى حيث دخلت تركيا الحرب فى صف ألمانيا وحاقت بها الهزيمة ، وحيث سلم حزب الاتحاديين الحاكم طرابلس الغرب لإيطاليا وقبل معاهده لوزان التى قضت بتسليم الشام بأجزائه الأربعة إلى فرنسا وانجلترا ، وفلسطين إلى اليهودية العالمية .

كان السلطان عبد الحميد قد عرف خطة الصهيونية العالمية فى الاستيلاء على بيت المقدس ، وإقامة هيكل سليمان نتيجة للمخططات التى كان يجرى تنفيذها فى الأمبراطورية العثمانية ، تحت ستار التنظيمات الماسونية التى نشرتها وهكذا دفع السلطان عبدالحميد ثمن موقفه الحاسم من الصهيونية العالمية ، وكان للنفوذ الأجنبى مشاركة ضخمة فى هذا الأمر ، ذلك لأن اللواء الذى رفعه تحت اسم «الجامعة الإسلامية» خارج نطاق الدولة العثمانية : «يا مسلمى العالم اتحدوا» قد هز الدوائر الاستعمارية هزاً شديداً ومن ثم كانت المؤامرة ذات شقين :

١ — اسقاط السلطان عبد الحميد : وهذه كانت مهمة الاتحاديين . ٢ — اسقاط الخلافة العثمانية وهذه مهمة الكماليين . وبذلك وئدت الدعوة إلى الوحدة الإسلامية بحذف صاحبها من سجل الحكام . ولم يكن الكماليون والاتحاديون إلا فرعاً من دوحة واحدة: تقاسمت العمل على مرحلتين للاجهاز على الدولة العثمانية والخلافة ، وفتح الطريق أمام الصهيونية العالمية لتصل إلى فلسطين ، ولتمزق العرب والترك ولتمكن للاستعمار البريطانى والفرنسى من إقتسام تركة ما كان يطلق عليه الرجل المريض » ولقد كان السلطان عبد الحميد يعرف

دخائل هذا المخطط كله : بفروعه وخلفياته ، فيما يتصل بالدونمة والمحافل الماسونية ومخططات الاتحاديين وتركيا الفتاة وفى مقدمتهم مدحت وأحمد رضا . ويعرف الأهداف الخطيرة التى يدور حولها تآمر الصهيونية مع بريطانيا وغيرها من دول أوروبا ، ولكنه بعد كل الوساطات التى بذلها هرتزل أرسل إليه كلمته الواضحة الحاسمة الصريحة : « أنصح الدكتور هرتزل ألا يتخذ خطوات جديدة فى هذا الموضوع . انى لا أستطيع أن اتخلى عن شبر واحد من الأرض فهى ليست ملك يمينى بل هى مالك شعبى . لقد قاتل شعبى فى سبيل هذه الأرض ورواها بدمه فليحتفظ اليهود بملايينهم . إذا مزقت امبراطوريتى فلعلهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن ولكن يجب أن يبدأ ذلك التمزيق أولا فى جثتنا . وانى لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة » . وكان هذا الرد الحاسم هو منطلق الحملة العاصفة التى شنتها الصهيونية والاستعمار على السلطان عبد الحميد عن طريق الصحف العربية التى كان يصدرها الموارنة اللبنانيون خصماء الإسلام والخلافة الإسلامية وهم الذين حملوا على السلطات تلك الحملات الضخمة (المقطم ـ المقتطف ـ الهلال) أمثال : جرجى زيدان فارس نمر ، صروف مكاريوس ، سليم سركيس ، لويس صابونجى ،وما أطلق عليه من بعد اسم السلطان الأحمر ، وما ذهبوا يلفقونه من اتهامات كاذبة عن الدردنيل ومن يلقى فيه وعن والسجون والأحكام مما ثبت من بعد أنه وهم باطل حتى لقد قال أحدهم لجماعة من السوريين زاروا تركيا وركبوا فى الدردنيل مركباً : قولوا لنا اسم رجل واحد ألقاه السلطان أو أمر بالقائه فى الدردنيل ولكنها كانت المحاولة لتدمير السلطان وسمعته وهدم مواقفه الكريمة قبل التآمر عليه ولقد عاشت الصحف وداسات المدارس والمؤرخين تحمل هذه الأكاذيب سنوات وسنوات حتى تكشف فى الأخير فساد هذه الأباطيل والادعاءات . يقول حسان حلاق فى أطروحته : «فى الوقت الذى كانت المؤامرة تحاك فى الخارج ضد الدولة العثمانية كانت مؤامرات تحاك فى الداخل تضم مجموعات تركية ويهودية بتشجيع من الدول الاستعمارية وكانت تهدف إلى قلب نظام الحكم وخلع السلطان عبد الحميد الثانى عن العرش ، ذلك لأن السلطان كان العقبة التى تقف فى طريق الصهيونية إلى فلسطين ويؤكد القنصل البريطانى الجديد فى القدس ـ بلش ـ عام ١٩٠٨ المصاعب التى وضعها السلطان عبد الحميد الثانى فى مواجهة الاستيطان اليهودى فى فلسطين ويمكن القول أن اليهود لعبوا دوراً فعالا فى انقلاب عام ١٩٠٨ ويؤكد ستيون واتسون هذه الحقيقة بقوله :« ان أصحاب العقول

المحركة لحركة الانقلاب فى الاتحاد والترقى عام ١٩٠٨ كانوا يهوداً ومن الدونمة أما المساعدات المالية فانما كانت تصلهم عن طريق الدونمة ويهود سالونيك المتمولين ، وتقول صحيفة المشرق (ان الكل يعلم أن مركز الانقلاب إنما كان فى سالونيك واليهود فيها نيف وسبعون ألفاً » وهناك معلومات تؤكد أن الحقيقة الظاهرة فى تكوين جمعية الاتحاد والترقى أنها غير إسلامية وغير تركية فمنذ نشأتها لم يظهر من قادتها وزعمائها عضو واحد من أصل تركى خالص كان جاويد يهودياً من الدونمة وقارصوه من اليهود الأسبان وطلعت بلغاريا أما أحمد رضا فقد كان نصفه شركسياً والنصف الآخر مجرياً ، أما نسيم وسو ونسيم مازلياح فقد كانا يهوديين . ويقول : ويبرز دور اليهود ثانية فى حادثة خلع السلطان عبد الحميد الثانى عندما مارس الاتحاديون الضغوط على مفتى الإسلام محمد ضياء الدين بإصدار فتوى الخلع ثم أوفدوا هيئة مكونة من عارف حكمت وأسعد طوبتانى وغالب باشا ومن زعماء اليهود قراصوه رئيس المحفل الماسونى فى سلانيك وشلمون ابران ووصلوا إلى يلدز لابلاغ السلطان نبأ الخلع وكانت مشاعر التأثر والانزعاج بادية عليه فقال بغضب : ما هو عمل هذا اليهودى (يقصد قراصوه)فى مقام الخلافة. بأى قصد بهذا الرجل أمامى . ويذكر النقيب التركى (ديبريلى) بأن السلطان عبد الحميد حدثه عندما كان مسجوناً فى سلانيك عن آخر اجتماع له مع الزعيم الصهيونى هرتزل ورئيس الجاخامين فى تركيا فقال : تصور أن هذين اليهوديين مثلا أمامى ليقدما إلى سلطنتنا رشوة. صرخت فى وجههما قائلا : ان اخرجا من هنا . ان الوطن لا يباع بالنقود . طلبت إلى رجال القصر أن يقودهما حالا إلى خارج القصر . وبعد ذلك أصبح اليهود أعدائى فما ألاقيه هنا فى سلانيك من عذاب الاعتقال ليس سوى جزائى منهم حيث لم أقبل أن أقتطع لهم أرضاً لدولتهم المزعومة . ويذكر السلطان نفسه فى وثيقة على قدر من الأهمية موقف الاتحاديين والصهيونية من سياسته فيقول : «أن هؤلاء الاتحاديين أصروا على بأن أصادق على تأسيس وطن قومى لليهود فى الأرض المقدسة ـ فلسطين ـ ووعدوا بتقديم مائة وخمسين مليون ليرة انجليزية ذهباً فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية وبعد جوابى القطعى اتفقوا على خلعى وأبلغونى أنهم سيبعدوننى إلى سلانيك » . والمعروف أن السلطان عبد الحميد أقام إقامة جبرية فى سالونيك (مقر الدونمة اليهود) منذ عزل عام ١٩٠٩ إلى عام ١٩١٦ حيث توفى رحمه الله فى إقامة مجهدة سيئة ولا ريب أن مذكرات السلطان عبد الحميد التى نشرت أخيراً باللغة العربية قد كشفت كثيراً من الحقائق وأوضحت موقف هذا الرجل المسلم العظيم ، ودحضت تلك الصور الزائفة التى حشدها فى تاريخه الظالمون من الدونمة واليهود

والاستعماريين والموارنة فى تلك الكتب التى سبق أن ترجمت إلى العربية مثل كتاب عبد الحميد ظل الله على الأرض) أو قصة الإنقلاب العثمانى لجرجى زيدان وغيرها ، لقد عاشت هذه الحقائق مدفونة فى الأضابير منذ خمسون عاماً حتى أذن الله لها بأن تكشف وأن توضع الحقائق فى مكانها الحق وأن تصحح وقائع التاريخ . لقد كشفت المذكرات كيف كان السلطان عبد الحميد ضحية مؤامرات صهيونية واستعمارية غاشمة كانت تهدف إلى تفويض دعائم الخلافة وتفكيك أوصال الدولة امعثمانية وأن الخليفة واجه الإغراء والتآمر جميعاً بإباء وشمم إسلامى وكان يعرف مصيره ، ولكنه آثر إرضاء الله على رضاء اليهود ومطامع الدنيا . وقد أشار السلطان فى مذكراته إلى ما ظل منشوراً أكثر من خمسين عاماً من كذب وبهتان حين قال ان الأمة تنسى بسرعة فاستميحها العذر للذين يجادلوننى سياسياً دون تبصير بما يدور من وراء الستار من ألاعيب وما تهيئه الدول الكبرى من مؤامرات عدوانية . لقد اتهمونى بالخور لأنى لم أشترك بالحركات القومية قلباً وقالباً. لعلهم ينسون المآسى التى جابهتها » . لقد تحدث السلطان عن الدسائس الأجنبية والفساد فى أجهزة الحكم والحملات الصليبية على الدولة وتحدث عن ثروته ومخصصاته وكيفية انفاقها وما ترتب عليه من التزامات وواجبات. لقد كان القضاء على السلطان عبد الحميد مقدمة للقضاء على الخلافة الاسلامية ، وكان بطل هذه المرحلة مصطفى كمال : الذى أطلق على نفسه زوراً وبهتاناً (أتاتورك) أى أبى الشعب التركى . ولقد ألفت فى تمجيد أتاتورك وتكريمه مئات الكتب بلا مبالغة استهدفت خلق هالة متوهجة كاذبة لهذا الرجل الذى حطم طابع الإسلام فى دولة الخلافة ونقلها من أقصى مكان فى خدمة الاسلام إلى أقصى مكان فى خصومة الاسلام ومعارضته ويكفى أن يراجع المثقف المسلم رءوس الموضوعات التالية — ألغى الحروف العربية وفرض الحروف اللاتينية حتى فى طبع المصحف الشريف . — ألغى الشريعة الاسلامية وفرض قوانين الأحوال الشخصية . — حرم تعدد الزوجات وجعل الفصل وحده هو الفصل فى طلب الطلاق — عدل قوانين المواريث الاسلامية فسوى بين الابن والبنت . — أباح للمرأة الخروج والرقص والسفور ودفعها دفعاً إلى حانات الهوى والفساد . — أباح للمرأة المسلمة أن تتزوج بمن تشاء من أى دين.— قرر إلغاء الأوقاف الاسلامية.— جعل الدولة علمانيه وقرر أن الدين قضية شخصية. ألغى الخلافة الاسلامية والمحاكم الشرعية وقوانين الشريعة الاسلامية وقرر العمل بالقانون المدنى السويسرى والجنائى الايطالى والتجارى الألمانى . — منع التعليم الدينى ومنع الآذان بالعربية

وحطم الأساس الدينى وغير وجهة الشعب التركى . ولقد خدع مصطفى كمال المسلمين فى المرحلة الأولى من حياته بتعاونه مع جماعات إسلامية ولكنه ما أن تمكن من امتلاك إرادة الحكم حتى كشف القناع عن عداء سافر للاسلام حتى وصف بأنه واحد من ثلاثة إما من طائفة الدونمة أو من الماسونية وقع فى حبائل اليهودية العالمية أو من غلاة الطورانيه التركية والحقيقة أنه كل ذلك وقد كانت حياته الشخصية مثالا رديئاً لحاكم ينتسب اسماً إلى الاسلام فقد عرف باسرافه فى الخمر وعلاقات الفساد والاعتداء والسطو والقتل بالظنة وكشفت تصرفاته عن بغض الدين عامة وللاسلام بصفة خاصة ويرجع ذلك إلى أنه كان تلميذاً أصيلا لتعاليم ضياء كوك الب داعية الطورانية وعودة الأتراك إلى أجدادهم القدماء والتنكير لتاريخهم الاسلامى ولقد كان أشد قسوة بالنسبة لرجال الاسلام الذين عارضوه ودفعوا الناس إلى مقاومته والتخلص منه. وقد كشف الضابط التركى السابق فى كتابه (الرجل الصنم) كمال أتاتورك الذى ترجمه الأستاذ عبدالله عبد الرحمن هذه الجوانب المظلمة والغامضة والسوداء من حياة هذا الرجل على نحو واضح صريح وكانت آية الآيات فى حياته هو ذلك الولاء المزدوج لبريطانيا ولروسيا الشيوعية فى آن ، ولقد تكشف أن هناك معاهدة سرية أقرها مصطفى كمال وبها أعطى حق الحكم والسلطان فى تركيا تتضمن عدة مبادىء أهمها : — الحكم بالنظام الفردى واسقاط الشريعة الاسلامية وتطبيق القانون الوضعى . — والقضاء على علماء الاسلام وإخراجهم من البلاد . — القضاء على الخلافة الاسلامية . — القضاء على القرآن واللغة العربية. والمراجع لحياة كمال أتاتورك يتبين له بوضوح أنه قام بتنفيذ هذه المعاهدة السرية التى قيل أنها كانت مرفقة بمعاهدة لوزان تنفيذاً صحيحاً . ان هذا الكتاب يقدم مجموعة ضخمة من الوثائق عن حياة مصطفى كمال لا يستطيع الباحث المنصف أن يتجاوزها دون أن يسجل بعض الخيوط العامة فيها . عن صلته بالانجليز وما تحمله الوثائق تشير إلى عبارة قيامه ببيع الوطن إلى الانجليز (ص ٤٧٣) وأن البطل الحقيقى لمعارك أرميرهو (قره بكير) وليس مصطفى كمال وأنه كان يعمل ديكتاتوراً ويدير الدولة كما تدار مزرعة ، وأنه كان يقوم بفرض رأيه على كل عمل ويقول (ص ٤٨١) بعد أن حصل على منصب القائد العام بالحيل والطرق الملتوية لم يدع هذا المنصب يخرج أبداً من يديه وقد قام بواسطة رجاله الفدائيين من تهديد معارضيه والقضاء عليهم ولم يظهر فى الجيش العثمانى عسكرى ظالم وحريص على المنصب إلى هذه الدرجة مثله . استولى على مساعدات العالم الاسلامى (ص ٤٨٩) نفذ كل ما طلبه منه الانجليز : ١ — ترك الموصل ٢ — ترك الجزر لليونانيين ٣ — تنازل عن كل الحقوق

حول مصر وقبرص – ٤ – تنازل عن طلب التعويضات من اليونان ٥– عدم تحصين المضايق أو وضع جند حولها وتجريد المنطقة الممتدة من مضيق البحر الأسود حتى مضيق (جنة قلعة)– ٦ – ألغى الخلافة – ٧ – أكد العلمانية (ص٤٩٠) . كذلك كشفت هذه الوثائق عن أنه عضو ماسونى عامل (أورد ذلك فالح رفقى أتارى) مؤلف كتاب (جانقايا) يقول : لو لم يكن مصطفى كمال ماسونياً فمن كان يتطاول إلى الانتساب إلى مثل هذه الجمعية السرية فى عهده (ص ٤٩٢) كذلك أشارت الوثائق إلى موضوع الاتصال بالنساء وطالبات المدارس مما كان حديث المجالس ، ويشير الكاتب إلى أخطر موقف فى حياة مصطفى كمال وهو إلغاء الخلافة يقول الكاتب إنه عندما عرض الأمر على الهيئة المكونه لبحث الامر تردد الاعضاء فوقف يقول أن هذا أمر محتم وإنى أري أن من المستحسن أن يوافق المجتمعون هنا وأعضاء المجلس وكل واحد ولكن إذا حدث العكس فان هذا الأمر سينفذ وفى إطار المجرى الطبيعى ولكن من المحتمل أن بعض الرؤس ستقطع ولكن هذه السنوات المظلمة لم تمر دون مقاومة ، فقد ظهر كثير من دعاة الحق يكشفون زيف اتجاه مصطفى كمال وكان أبرزهم الشيخ بديع الزمان سعيد النورسى ، الذى كان قد حضر إلى استانبول من شرقى تركيا فى عهد السلطان عبد الحميد يطلب فتح المدارس وإنشاء جامعة فى ديار بكر ، وتطوع للقتال وأسره الروس ونفوه إلى سيبريا ولكنه تمكن من الفرار والعودة إلى تركيا،فانضم إلى حركة مصطفى كمال التى كانت تستهدف تحرير الوطن ثم اختلف مع أتاتورك حين ظهر الانحراف فنفته السلطة إلى غرب البلاد ، فظل بين نفى وسجن وتحديد إقامة من ١٩٢٨ إلى ١٩٥٠ ألف خلالها ألف ومائة وثلاثين كتاباً سماها (رسائل النور) شرح فيها الإسلام بأسلوب استهوى الشباب ، فتناقل الناس هذه الرسائل نسخاً باليد ، وأصبح قراء هذه الرسائل يسمون طلاب رسائل النور ، أو جماعة نور جو وبلغ عدهم ثلاثة ملايين شاب تركى ، وقد أصبحت هذه الجماعة القوة الحقيقية فى الجامعات التى سحقت حزب الشعب (حزب أتاتورك) وعزلت عصمت أينونو خليفة أتاتورك من الحكم . والواقع أن سعيد النورسى كما تقول مريم جميلة فى كتابها عنه كان رجلا عالى الإيمان مصدراً فى فهم الإسلام تقول : كانت روحانيته العالية فوق المحن والامتحان » ولذلك فإنه ما كاد يدخل السجن حتى أصبح سجانوه من تلاميذه ومن أحسن الناس تديناً وغيرة على العقيدة ، فقد تهافت زواره فى عزلته على استنساخ ما تنتجه عبقريته المؤمنة بحيث لم يمر وقت قصير حتى كانت عشرات الآلاف من مخطوطات هذا التفسير تتناقلها الأيدى وتدرس فى المدن والقرى والمدارس وحتى الوزارات : يقول بديع الزمان

النورسي : « لقد أتاحت لى آلام المنفى والسجن والاعتقال فترة هدوء وصفاء أتاحت لى التأمل فى الحقيقة القرآنية الخالدة » .غير أن السلطات لم تدعه يعمل ، فعمدت إلى تلفيق تهمة ضده وضد مائة وعشرين من أتباعه ومريديه ساقتهم إلى محكمة الجرائم . فأخذ يدلى بدفاعه أمامها فقال : « الحق أننى لا أنوى بأى حال من الأحوال الاستيلاء على زمام الحكم ، وكل ما أسعى إليه هو أن أهدى قومى إلى الصراط المستقيم صراط الله العزيز الحكيم . نحن لا ننتمى لأية نحلة من النحل ولا ندعو لعصبية ولا لفرقة ، ولكننا أنصار متحمسون للحقيقة ، الله غايتنا والرسول قائدنا ، والشرع الشريف دستورنا . إننا لا نملك أى تنظيم خاص ونحن بمعزل عن السياسة وكتابنا رسالة النور مدرسة بدون مدارس ولا مناهج ولا أموال ، أنها مدرسة روحية كتابها القرآن المنزل » ثم أضاف يقول : « لقد أكد وكيل الاتهام بأنه بلغ من مدى ذيوع (رسالة النور) أن قرأها عام ١٩٤٧ ستمائة ألف شخص منتشرين عبر إقليم الأناضول من أساتذة وعمال وفلاحين وطلبة وموظفين ، وماذا فى ذلك ؟؟ هل أدت تلك القراءة بواحد منهم بتهديد الأمن العام أو خرق دستور البلاد ، إذاً فكيف تبيحون لأنفسكم غلق هذه المدرسة التى تنبع أصولها من قلوب مثل هذا العدد العظيم من المواطنين الأتراك . أن البعض يأخذ باعتمادى طربوشاً على رأسى ويرى عدم خلعى له إهانة بمجلسكم الموقر . تذكروا أنهم قلة أولئك الذين استبدلوا عن طواعية ورضا عمائمهم بغطاء الرأس الأوربى واذكروا أن الملايين من الأتراك أكرهوا على ذلك الاستبدال اكراهاً ، ويجرى ذلك فى الوقت الذى يتاح فيه للماسونيين وأشياعهم من أن يسخروا ــ بكل حرية وفى جرأة ووقاحة ــ بالإسلام وأن يمتدحوا ويمجدوا ملذات الخمور وأن يزينوا الزنى وأن يشوقوا الناس إلى الخمر فى حين يحرم على وعلى أتباعى أن نذيع وننشر رسالة القرآن المجيد وأن ندعو إلى الله ، إنكم تتهمونى بأننى رجعى شرير ، وأنتم تعلمون أننى من أبطال الوطنية منذ نعومة أظفارى ، وإنى أخص النمل بجانب راتب من قوتى إعجاباً منى بتنظيمها الدمقراطى ، وإنكم لتزعمون أنى أدعو إلى ضرب من التصوف وأنا أؤكد لكم أن الجنة ليست للمتصوفة وحدهم ، ولكن من المؤكد أنه من المستحيل أن يدخل الجنة من لا يؤمن بالله ، ولا يلتزم بشرعه فى ظرف عشرين سنة تعاقبت أثناءها على دست الحكم ثلاث حكومات من لدن أتاتورك حتى الآن ، وفى خلال هذه الفترة مثلت أمام محكمتين ولكن أية منهما لم يتوفر لديها أى دليل على إدانتى ، بله تلك الفرية التى تزعم أننى عدو لتركيا . وإذا كان الأمر كذلك فاتركونى لأداء رسالتى » . ثم لم يلبثوا أن أحالوه مرة

أخرى إلى المحاكمة . قال اتفترضون أيها الحكام إننى أعمل لغاية نفعية . ها أنذا أمامكم شيخ يحمل على كتفيه أثقال الثمانين ، رجله فى القبر ، فقير لا يملك شيئاً من متاع الدنيا لا مالا ولا عقاراً فماذا تروننى صانعاً وأنا فى هذا السن بمتع الحياة الدنيا ، لقد قضيت حياتى فوق ساحات الوغى ، كما عانيت الاعتقال فى معسكرات الأسرى ، وعشت طريداً فى المنافى والسجون لقد طاردتمونى من مكان لآخر ، وأبعدتمونى من مدينة لغيرها كأننى متشرد منبوذ من المجتمع ولم تتورعوا حتى على حرمانى من الاتصال بأهلى وأقاربى ، ولو لم يكن إيمانى واحتسابى يعصماننى من الوقوع فى وهدة اليأس ، لاستطبت الموت وفضلته على مثل هذه الحياة المنغصة ، ولكن هذه الحياة على غصصها وآلامها أتاحت لى أن أكتب « رسالة النور » التى بفضلها أتيحت السلامة من العذاب الدائم ، لما يزيد عن النصف مليون من الناس فالله أحمد ألف مرة وإياه أشكر أن وفقنى بتضحية من أجل شعبي . إن عذاب النار أو نعيم الجنان عندى سيان إذا ما جحد القرآن فى هذه الدنيا لأننى وإن أكن منعما فى الجنة فإننى لأشعر بدبيب الألم يمشى فى أعماق نفسى إذا ما حصل ذلك , بيد أننى لأشعر بسعادة عارمة تملأ على نفسى إذا سلمت العقيدة فى وطنى تركيا ، ولو كنت أعذب فى أعماق الجحيم » . وهكذا قيض الله لتركيا رجلا حمته رحمة الله من أن يشنق أو يقتل حتى أدى رسالته فمن سعير هذا الجحيم ، نشأ وكتب ، وحفظ الله له ما كتب فوصل إلى كل مكان وانتفعت به الملايين ، وحرر الفكر الإسلامى التركى من التبعية . وكان النورسى عالماً بكل أساليب الاتحاد والترقى والكماليين ، مؤمناً بأن دعوة القرآن هى المنطلق الوحيد للإصلاح ولإنقاذ المسلمين . « لم ينفك يدعو الشعب بحرارة وإيمان إلى التمسك بأهداب القرآن الكريم كما لم ينفك يحذر مواطنيه من الوقوع فى حبائل الغرب مبيناً لهم أن البديل الوحيد للإسلام هو العبودية للغرب وأن المسير فى ركاب الغرب يؤدى حتما إلى فناء الذاتية وذوبان الشخصية » . ولقد كانت عبارته أمام محاكميه مليئة بالإيمان والقوة ، ولو كنت أملك ألف روح ، لضحيت بهن الواحدة تلو الأخرى طائعاً مختاراً فى سبيل الذود عن الإسلام ، إن أى عمل يتناقض مع الإسلام ما هو إلا باطل فى اعتقادى وإننى فى هذه اللحظة لأضع قدمى على أبواب البرزخ فى انتظار الرقدة التى ستقودنى إلى العالم الآخر ، وأنا مطمئن ومستعد كل الاستعداد للرحيل إلى الدار الباقية ، لألحق بإخوانى الذين انقذهم قرار محكمتكم الجائر من حياة الطغيان والعلو فى الأرض بغير الحق » . وفى كل مكان كان يدافع عن الحق : « لو أن المسلمين أخلصوا لعقيدتهم ودافعوا عنها بكل قوة

وإيمان لأمكن أن تحل الحضارة الإسلامية محل الحضارة الغربية التى ينخرها سوس الأطماع الخسيسة والشقاق بالإضافة إلى أنها خاوية من كل اتجاه روحى » . وتعرض للموت أكثر من مرة ، عندما حكموا عليه بالإعدام ثم أطلقوا سراحه وعندما أسره الروس فى الحرب العالمية الثانية وحكموا عليه بالإعدام ثم عفى عنه . ولقد كان يهز الناس كلما تكلم حتى أعضاء برلمان أتاتورك حين وجه إليهم مذكرة من عشر نقاط قال فى مقدمتها : « اتقوا يوماً تقفون فيه أمام الله سبحانه ولا يغرنكم انتصاركم بالأمس على العدو لتفسدوا هذا النصر بسلوك فخر ، إنكم إن تختارون تقليد الأوربيين فإنكم ستفقدون عطف ومؤازرة العالم الإسلامى الذى سيتحول عنكم إلى جهة أخرى .. فكان من أثرها أن التزم مائة وستون نائباً على الالتزام بشعائر الإسلام فى حياتهم وسلوكهم . وقد حاول مصطفى كمال أن يستدرجه لموالاة نظامه عن طريق الإغراء المادى فعرض عليه أن يكون الإمام الأكبر لإقليم الأناضول ، ولكن بديع الزمان كان فوق كل إغراء وفضل الانزواء والبعد عن ضجيج المدن ، حيث نصب نفسه داعية إلى الله فاجتمعت إليه هذه البذرة التى نمت من بعد وسرعان ما التفتت الفئة الحاكمة إلى هذا النشاط وعملت على تعطيله وأبعدته إلى منطقة نائية فى أعماق تركيا ظل مبعداً بها ثمانية أعوام محروماً من الاتصال بأفراد أسرته وأهله . ومات أتاتورك عام ١٩٢٨ وعاش النورسى إلى ١٩٦٨ ثلاثين عاماً بعد أتاتورك أفسح الله فيها العمل لدعوة الحق ، ومات ليلة السابع والعشرين من رمضان ليلة القدر عن ست وثمانين سنة ، بعد أن ترك ذلك التراث وتلك الجماعة المؤمنة التى هى عماد النهضة الإسلامية فى تركيا اليوم . ومن نقطة (رسائل النور) بدا التحول فى تركيا الإسلامية مرة أخرى عودة إلى المنابع ، ويرى المؤرخون أن انتخابات عام ١٩٥٠ تعتبر نقطة التحول فى تاريخ تركيا الحديث ، كانت بدأ سقوط ذلك الفكر العلمانى الفاسد الذى سيطر على تركيا هزيمة حزب الشعب . حزب أتاتورك ، فقد كان حزب عدنان مندريس (الحزب الديمقراطى) قد قدم برنامجاً ضخماً يتضمن عودة الأذان بالعربية ، والسماح للأتراك بالحج ، وإعادة تدريس الدين بالمدارس وإعادة أيا صوفيا مسجداً ، ومن ثم فقد حصل على ثلاثمائة وثمانية عشر مقعداً وسقط حزب أتاتورك الذى حصل على (٣٢ مقعداً) وكان من طالع التحول الجديد : أن عقد عدنان مندريس أول جلسة لمجلس الوزراء فى غرة رمضان وأعاد الآذان باللغة العربية وبدأ تعمير المساجد واستعادت الحكومة المساجد التى باعها أتاتورك وقرر تدريس الدين بالمدارس ، وفتحت مدرستان للأئمة وفتح خمس وثلاثون ألف مدرسة لتحفيظ القرآن .

ومن قلب هذه الأحداث نشأ حزب السلامة الوطنى الذى اقترن اسمه باسم الدكتور نجم الدين أرباكان أستاذ الميكانيكا فى الجامعة التكنيكية فى استانبول وبذلك برز فى تركيا اتجاه إسلامى واضح وعميق من خلال التحرك السياسى : وكان حزب السلامة علامة على الفكر الوطنى الأصيل الذى يستمد جذوره من الإسلام وسطا بين حزب الفكر الحر الليبرالى (حزب العدالة) والفكر اليسارى (حزب الشعب الجمهورى) وبذلك أصبح حزب السلامة عامل الموازنة فى الحياة السياسية التركية .. وقد كانت بيانات حزب السلامة تعلن دائماً أنها تهدف بالوصول بالأمة التركية إلى أن تنهض معنوياً ومادياً . وأن الشعور الوطنى للأمة كل لا يتجزأ . والشعب التركى مرتبط بماضيه يحترم تراثه وعرقه ويحافظ عليهم وهو بعيد عن كل تقليد ، مدرك تمام الإدراك لشخصيته الأصيلة ويقرر حزب السلامة : ضرورة إلغاء الربا بكل حزم والقضاء على الإسراف . وقد أعلن برنامجاً طويلا للتصنيع ومنها المصانع الحربية بدلا من الخضوع للدول الأجنبية ، ويقول نجم الدين : نريد أن تكون تركيا دولة رائدة ،وليست تابعة تدور فى فلك الآخرين . وقد قام الحزب خلال اشتراكه فى الحكم بتخصيص ٤٠ مليون ليرة تركية لمشروع جامع القرية ، وتخصيص ميزانية جديدة لكادر الأئمة والمؤذنين ومدارس تحفيظ القرآن ، ووجه الحزب عناية واضحة لمدارس الأئمة والخطباء . كذلك حمل الحزب على المطبوعات المخلة بالآداب ،وأقام أكاديمية للعلوم الإسلامية وأعد لها قانوناً بالفعل وضاعف عدد المعاهد الإسلامية العالية . وكشف نجم الدين عن فساد الفكر الوافد سواء الاشتراكى منه أو الرأسمالى : فقال عن الأول أنه فكر يهدر الحريات ويضر بالكيان القومى ويركز على مصادر أجنبية أما الفكر الرأسمالى فهو فكر يقوم على الربا ومصدره أجنبي أيضاً ، أما حزب السلامة فيمضى فى طريقه رافعاً راية الأخلاق والأصالة وقال أن النظام الرأسمالى والنظام الاشتراكى لا يقتصران على ميدان الاقتصاد وإنما يمتد تأثيرهما إلى الميدانين الاجتماعى والمعنوى ورغم اختلاف النظامين فى الظاهر فكلاهما مادى وكلاهما نفعى وكلاهما يريد ربط الأمم الأخرى به ثقافياً وكلاهما يعمل على النهوض بالجانب المادى فى مقابل انحطاط فى الأخلاق والمعنويات وكلاهما يزداد ارتفاعاً مادياً مع هبوط فى الثقافة والأخلاق . وفى مختلف ميادين السياسة الدولية قدم نجم الدين مفاهيم إسلامية أصيلة وقد لخصت جريدة انزبجر الألمانية هذا التحول الخطر بقولها إن عودة الإسلام لتركيا ومخالفتها بذلك لأسس الدولة العلمانية التى أرسى أتاتورك دعائمها لمثار تفكير من قبل جهات عدة ، إن المستفيد من هذا كله حزب السلامة الذى هو ضد عضوية تركيا فى حلف شمال الأطلنطى ودخول تركيا عضواً فى السوق الأوربية

المشتركة . ولقد دعا نجم الدين إلى ضرورة تطوير علاقات تركيا بالعالم الإسلامى من جميع الوجوه وأن لا تظل هذه العلاقة صورية وإنما يجب أن تكون علاقات فعلية متطورة . حيث أن فى العالم ما يقرب من خمسين دولة إسلامية يبلغ سكانها ملياراً وهذه الدول الإسلامية سوق طبيعية قوية لإنتاجنا . وهكذا حدث تحول كبير فى تركيا بعد أن ظل حزب الشعب الذى أنشأه مصطفى كمال أتاتورك ١٩٢٢ — ١٩٥٠ حزباً علمانياً وعندما مات أتاتورك ١٩٣٨ خلفه عصمت أينونو فى رئاسة الحزب ، ومنذ عام ١٩٥٠ لم يستطع هذا الحزب أن يحكم بمفرده وإن دخل أحياناً الوزارة فى ائتلاف مع أحزاب أخرى ، ويعبر حزب السلامة رسمياً عن اتجاهاته بعبارات الأخلاق والمعنويات والعودة إلى التراث والمحافظة على المقدسات وقد كان من أثر ذلك أنه عندما مات خليفة أينونو رفض الشعب الاشتراك فى الجنازة ، ولما حملوه إلى أحد المساجد رفض الإمام أن يصلى على جثمانه وترك المسجد وظلوا يتنقلون به من مسجد إلى آخر حتى عثروا على شيخ يقوم بهذه المهمة وما كاد الشعب يعرف ذلك حتى حاصر المسجد وهم بخطف الجثمان ولم تتم الصلاة على جثمانه إلا فى حماية الجيش . ولم تكسب تركيا من التجربة شيئاً ، قال إقبال : « إنكم أيها الأتراك أخذتم جوار أوروبا وصحبتها مع أنكم كنتم بفضل الإسلام على مقربة من النجوم والكواكب » ، ويقول ارنولد توينبى « إن تركيا عندما تغيرت أصبحت عالة على التكنولوجيا الغربية ولم تستطع أن تقدم شيئاً ، وقد ظلت تركيا حتى يومنا هذا متخلفة بمقاييس التقدم والحضارة لم يعترف بها الغرب كدولة أوروبية وما علاقتها بالغرب إلا علاقة الأحلاف والتبعية » . ولقد كان من أبرز عوامل التقارب مع العالم الإسلامى : انعقاد مؤتمر السيرة النبوية بتركيا عام ٧٧ فقد أحدث شعوراً طيباً بتعميق هذا الاتجاه الأصيل . ولقد كان من أبرز أحداث هذا المؤتمر ، أن تم بين المؤتمرين عقد اتفاق يجدد واجباتهم نحو عقيدتهم وبلادهم وقد حرر الاتفاق على صيغة تعهد التزم به المسئولون عن الصحافة الإسلامية التى شاركت فى المؤتمر وركز الميثاق على القول بأن الإسلام يدعو إلى تثبيت الأخوة الإسلامية ومحاربة كل فكرة عنصرية أو سلالية ولذلك فإن الصحافة الإسلامية تلتزم بالعمل لتثبيت فكرة الأخوة بين مختلف الشعوب الإسلامية . وهكذا تزحف تركيا مرة أخرى بقوة إلى استعادة مكانتها فى عالم الأصالة والقيم وحضارة الإسلام وتحطم ما عاقها خلال خمسين عاماً عن أداء دورها المرموق .

(٣)
إيران : الشيعه ومقاومه النفوذ الإجنبى

ما تزال « إيران » تمثل ثقلا هاماً وخطيراً فى خريطة العالم الإسلامى وتركيبه ، باعتبارها أحد العنصرين الكبيرين الذى تشكل منهما بناء الإسلام فى مرحلته الأُولى ، وأحد الأجناس الخمسة الكبرى : العرب والفرس والترك والبربر والزنوج ؛ الذين يتشكل منهم عالم الإسلام. وما تزال منذ العصر الإسلامى الأول تمثل قطاعاً له طابعه بحكم سيطرة اللغة الفارسية واستمرارها وبقائها إلى جوار اللغة العربية ودون الانصهار فيها أغلب اللغات فى هذه المرحلة ، وإن كانت اللغة الفارسية الجديدة بعد الإسلام قد كتبت بالحروف العربية . والمعروف أن الإسلام قضى على نفوذ الدولة الأسبانية وقوض العرش الكسروى ، غير أن فارس ظلت تقاوم انصهارها فى العرب ثم استطاعت فى ظل الدولة العباسية أن تصبغ الحضارة والفكر بطابعها ، وأن تزيد نفوذها وتدعمه . فقد قامت الدعوة العباسية فى خراسان بزعامة أبى مسلم الخراسانى ، وأقامت عرشها فى خراسان ، ثم كان من علو أمر البرامكة فى ظل الرشيد ، مما انتهى بالقضاء عليهم وكان انتصار المأمون على الأمين تركيزاً للطابع الفارسى وضعفاً للعنصر العربى ، ثم تقلص هذا النفوذ فى عهد المعتصم الذى استعان بالأتراك وقد أقام الفرس عديداً من الدول : الصفارية والسامانية والبويهية . وفى ظل فارس نمت الدعوة إلى آل البيت وكونت قطاعاً من المعارضة للقيادة السياسية الإسلامية ، ومنذ قتل الإمام على ، وقتل من بعده الحسين فى موقعة كربلاء أخذت دعوة آل البيت تتسع وتعمق . وبرز مفهوم الشيعة المعارضين لنظام الحكم ، وانضوى تحت اسمهم عدد من الفرق الغالية ، غير أن الإمامية الإثنى عشرية ظلت أقرب إلى مفهوم الإمامة العلوية . وفى إبان غزو التتار للعالم الإسلامى سيطر المغول على إيران ثم تركوها نهباً للولاة إلى أن قامت الدولة الصفوية ١٤٩٩م ، واستمرت إلى ١٧٣٦م وكانت إحدى الدول الإسلامية الثلاث : العثمانية فى تركيا والمغولية فى الهند وقد وقع الصراع بين العثمانيين والصفويين عهداً طويلا وكان هذا الصراع عاملا من عوامل الشقاق الذى فرض نفسه على المسلمين : بين السنة والشيعة . كان الشاه إسماعيل الصفوى قد تبنى مذهب الشيعة ، وكان السلطان سليم يناصر السنة ومن هنا فقد أصبح الخلاف بين إيران وتركيا ، صراعاً بين المذهبين . وقد غزا السلطان سليم إيران ١٥١٤ وهزم الإيرانيين ودخل السلطان سليم تبريز حاضرة إيران ووالى الأتراك غزو إيران وارتدوا عنها ولكنهم تركوا فى النفوس خصومة

وصراعاً بعيد المدى ، وقد أفاد النفوذ الاستعمارى الغربى الزاحف على العالم الإسلامى بهذا الصراع ، فاتصل البريطانيون بالشاه عباس (١٥٨٧ — ١٦٢٩) ووسعوا نفوذهم داخل إيران ، وكان لهذه الصلات أثرها فى تأريث الخلافات بين فارس وتركيا حتى لا تلتقى الجبهة الإسلامية على وحدة واحدة . ومن ثم عاود السلطان مراد الرابع ١٦٣٥ زحفه على أزربجان وملك تبرير وقصد إلى بغداد ليسترجعها من الإيرانيين فأخذها عنوة وظلت العراق فى يد العثمانيين منذ ١٦٣٨ حتى استولوا عليها مرة أخرى الإنجليز ١٩٢٠ . ثم سقطت إيران تحت حكم الأفغان وعادت مرة إلى حكم أبنائها فقامت فيها دول الافشار حتى ١٧٥٠ والدولة الزيدية إلى ١٧٤٩ والدولة القاجارية التى حكمت ١٧٩٤ إلى ١٩٢٥ حيث أحدث رضا خان انقلابه العسكرى واستولى على حكم إيران . وقد وقع فى هذه المرحلة التدخل المزدوج من الروس والإنجليز فى شئون إيران وظل الصراع بين النفوذين مستمراً . وقد وقع حكام إيران تحت نفوذ بريطانيا وحاول جمال الدين الأفغانى فى عهد ناصر الدين شاه (١٨٤٨ — ١٨٩٦) أن يصدر الدستور فرفض الشاه أن يقبل الحريات التى وضعها للشعب واختلف معه فترك البلاد ، ولقد ظل يناوىء ناصر الدين ويحرض عليه حتى قتل فى أول مايو ١٨٩٦ . وكانت الحركة الوطنية فى إيران قد تأججت .١٨٩٠ حين منح الشاه شركة انجليزية حق احتكار تجارة التبغ مقابل نصيب من أرباحها فأفتى العلماء بتحريم التبغ وأضرب الأهالى عن التدخين فاضطر ناصر الدين شاه إلى إلغائه بعد أن دفع نصف مليون من الجنيهات تعويضاً للشركة . ثم تأججت الثورة الفارسية ١٩٠٤ — ١٩٠٥ للمطالبة بحكومة دستورية تقيد سلطة الشاه. وكانت أول ثورة على النظام الاستبدادى فى الشرق ، واضطر الشاه إلى إعطاء الشعب الحكم الدستورى ١٥ - ٨ - ١٩٠٦ وأعلن الدستور ٣٠ كانون أول ١٩٠٦ غير أن روسيا وانجلترا لم تلبثا أن اتفقتا فيما بينهما ١٩٠٧ على تقسيم إيران إلى منطقتى نفوذ تجارى حيث عقدت بريطانيا مع روسيا الاتفاق الودى الثلاثى بانقسام مناطق النفوذ فى إيران حيث أصبح القسم الشمالى منها خاضعاً لنفوذ القيصر ، والقسم الجنوبى فى نفوذ بريطانيا ولم يبق إلا جزءٌ صغيراً ينحصر فى طهران وما حولها . ووقعت على اثر هذا « الثورة الإيرانية ١٩٠٨ » فى مواجهة الثورة الدستورية فى تركيا وقررت خلع الشاه محمد على وتولية الشاه أحمد بوصاية الأمير عضر الملك وأعيد الحكم الدستورى ، وقد استمر التنافس بين النفوذين الروسى والإنجليزى حتى فبراير ١٩١٨ حين رحلت القوات الروسية عن شمال إيران واستطاع الانجليز الوصول إلى

بحر قزوين والسيطرة على إيران كلها وثم بدأ نفوذهم منذ ١٩١٨ يزداد قوة ، حتى استطاعت بريطانيا عقد معاهدة ١٩١٩ التى صحب البلاد بموجبها تحت الحماية البريطانية . غير أن الروس أخذوا فى مراجعة بريطانيا من جديد حين توغلت قواتهم فى شمال إيران . وكان ذلك مقدمة لحركة فى الجيش الإيرانى بزعامة رضا خان وقيادة ضياء الدين طبا طبا أشهر كتاب إيران لإنقاذ البلاد من النفوذ الأجنبى . وقد اتسعت هذه الحركة حتى استطاعت خلع أسرة قاجار عام ١٩٢٥ وبذا بدأ عصر إيران الحديثة حيث حكم رضا خان (١٩٢٦ — ١٩٤١) . وقد استطاع النظام الجديد أن يقوم بكثير من أعمال الإصلاحات ، وفى مقدمتها موقفه من شركة البترول الانجليزية التى تسيطر على استغلال البلاد إذ ألغى امتيازها عام ١٩٣٢ واضطرها إلى قبول شروط جديدة ألغى الامتيازات (مايو ١٩٢٨) .

(٢)

استطاع النفوذ الأجنبى الزاحف على العالم الإسلامى أن يوسع شقة الخلاف بين الدولتين الكبيرتين فى القرن التاسع الهجرى (الدولة الصفوية الفارسية) و (الدولة العثمانية) . وأن تركز بريطانيا على فارس فى مواجهة الدولة العثمانية ومن ثم اتسع النفوذ الأجنبى فى فارس وبدأ التدخل واضحاً من كلا الجانبين : روسيا القيصرية وبريطانيا فى الميدانين السياسى والاقتصادى . وفى ظل هذا النفوذ أدخلت إيران النظم العسكرية الأوروبية على جيشها وأنشأ ناصر الدين شاه أكاديمية العلوم والفنون ١٨٥٢ على أساس أوروبى وكان أساتذتها من الأوروبين الذين يعلمون علم الغرب وثقافته وتاريخه ، وقد ترجموا إلى الفارسية كثيراً من الكتب هذه العلوم وظلت هذه الأكاديمية مركزاً لثقافة الغرب وعلومه حتى القرن العشرين . وفتح الفرنسيون والأمريكان والبريطانيون ثم الروس والألمان فيما بعد مدارس حملت مظاهر النفوذ العسكرى لهذه الدول وتوزع عليها ولاء الإيرانيين . ويرى بعض المؤرخين أن بداية ظهور النفوذ الأجنبى بإيران كان أبان حكم الشاه على شاه (١٧٩٨ — ١٨٣٤) ممثلا فى بريطانيا والروس . حيث كانت بريطانيا تسعى إلى بسط نفوذها على إيران خوفاً من نفاذ الخطر الروسى والفرنسى إلى الهند . ويمكن أن يقال إن البترول كان أخطر العوامل التى أحاطت فارس بهذا التزاحم والصراع ، وقد بدأ ذلك عندما عقد وليم دارسى ١٩٠١ مع الشاه مظهر الدين امتياز الاستغلال البترول (٦٠عاما) مقابل عشرين ألف جنيه انجليزى تدفع نقداً

وحصة ضئيلة من محصول الشركة المستغلة تبلغ ١٦ فى المائة من أرباحها كل عام . وقد بدأت مع هذا الامتياز قصة الصراع الكبرى بين الدول على هذا الامتياز حيث استطاع الراهب روزنيلوم أن يحصل عليه من دراسى لحساب بريطانيا عن طريق تلك المؤامرة الرهيبة ، وقد تبين هذا الراهب إنما هو جاسوس يهودى (سكرنى ريللى) كان يعمل فى دائرة المخابرات وكانت الدائرة قد عهدت إليه بالحصول على امتياز دراسى لشركة نفط بورما التى كانت تمدها إمارة البحر البريطانية بالعون والتى سميت فى نفس العام ١٩٠٨ شركة النفط الانجليزية الفارسية .ومنذ ذلك التاريخ والبترول هو العامل الهام والخطير الذى يحرك الأحداث فى إيران فقد تدخلت بريطانيا لتحول دون وقوع صفقة البترول الإيرانى فى أيد غير بريطانية ، حيث استطاعت تموين الأسطول البريطانى العامل فى الباسفيك وبحار الصين والمحيط الهندى والبحر الأبيض وفى عبادان : بنت أكبر مصفاة : لتكرير البترول فى العالم بالإضافة إلى مكانتها الاستراتيجية على خطوط المواصلات بين الشرق والغرب ، وجاءت الحرب العالمية الأولى فكان إنتاج مصفاة عبادان ٢٧٠ ألف طن من البترول زادت عام ١٩١٨ إلى تسعمائة ألف طن وبعد الحرب العالمية الأولى أصبحت إيران الدولة الرابعة فى إنتاج البترول فى العالم والدولة الثانية المصدرة للبترول بين دول العالم . وفى عام ١٩٥١ حيث قامت أكبر ثورة من أجل تأميم البترول كانت الآبار فى عبادان تنتج اثنين وثلاثين مليوناً من أطنان البترول . وفى ظل نفوذ البترول إبان الحرب العالمية الأولى وقع شاه إيران معاهدة تمثل الحماية البريطانية المقنعة حيث تعهدت بريطانيا تنظيم الجيش الإيرانى ومنح إيران ما يلزمها من المال. غير أن الحلفاء لم يلبثوا أن احتلوها ثم اتفقوا على اقتسام أسهم شركات البترول فى إيران والعراق بين فرنسا وأمريكا وبريطانيا بحظوظ متعادلة . وتجدد الحديث حول البترول عندما تولى رضا خان أمر إيران وبعد أن أنهى حكم أسرة قاجار عام ١٩٢٥ حيث جرت المفاوضات لتعديل اتفاقية البترول المجحفة بحقوق الشعب الإيرانى . حيث عقدت اتفاقية جديدة تفضل اتفاقية سنة ١٩٠١ فى بعض الوجوه تدفع الشركة فيها ٢٠ فى المائة ولكنها تجدد الاتفاق ٦٠ عاماً أخرى إلى ١٩٩٣ . ويمثل بترول إيران المركز الاستراتيجى الأول للأمبراطورية البريطانية وللأسطول البريطانى والأمريكى فى الحرب العالمية الثانية وكان الأمل معقوداً للجيوش وأسلحة الطيران على مصانع التكرير فى عبادان وكانت إيران صاحبة الفضل الأول فى انتصار الحلفاء . غير أن رضا شاه لم يلبث أن استعان بالخبراء الألمان

وعقد معاهدات تجارية مع ألمانيا الهتلرية فحجب نفوذ بريطانيا وروسيا وظل يحجبه حتى اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية فكان عاملا من عوامل عزل بريطانيا والحلفاء للشاه إفساحاً لجيوشها باحتلال إيران لتأمين وصول الامدادات إلى الجبهات الروسية بعد أن رفض رضا شاه إنذارهما ، احتلت بريطانيا وروسيا البلاد فى أيام معدودات ، (١٩٤١) بعد عشرين عاماً من حكم دكتاتورى حقق بعض الأعمال العظيمة . وكان الشاه فى خلال أعوام حكمه العشرين قد تحول إلى مثل شاهات قاجار الذين تخلص منهم . وفى ظل الاحتلال البريطانى اليقظ المتنبه إلى ما يريد عادت قوة القبائل لنفوذها بتسليحها وإفسادها وإغداق الأعطيات عليها لاستخدامها فى الضغط على القوى الوطنية وقت احتمت هذه القبائل بوجود الجيوش الأجنبية المحتلة والتى كانت تقوم بتسليحها تقوم أغلب هذه القبائل قرب الحدود الإيرانية العراقية أهمها (قبائل البختيارى) والقشقاى . وفى الشمال وفى الشرق على محاذاة الحدود التركية الروسية والأفغانية والباكستانية أولت القوات البريطانية اهتمامها للقبائل الكردية والتركية المختلفة بحيث أصبحت قادرة بهاعلى أن توجه الأحداث . وقد كان هذا التحدى استعداداً مسبقاً لذلك الشعور الجياش فى أعماق أهل إيران الذين يملكون البترول الغزير المتدفق ويقاسون أشد حالات الفقر وسرعان ما برزت قوى ثلاث هى الحزب الإسلامى والكتلة الوطنية وحزب توده الشيوعى تتصارع والنفط هو القضية . وتصدر الدكتور محمد مصدق وآية الله كاشانى قيادة العمل فى خطورة جريئة هى تأميم البترول ضد الشاه وبريطانيا . ولا شك أن معركة النفطعام١٩٥١هىمن أحداث العالم الإسلامى الكبرى بما آلت إليه من هزيمة للقوى الوطنية وانتصار للاستعمار ونفوذه ، وهى أن انتهت هذه النهاية فقد تركت بصماتها فى أحداث الشرق كله وما تزال تفعل الكثير ثم لم يلبث أن ظهر عامل جديد فى الأمر فبعد أن كان الصراع بين قوى نفوذى بريطانيا وروسيا أصبح النفوذ ثلاثياً بين أمريكا وبريطانيا وروسيا . وقد كشفت معركة تأميم البترول عن أن المفاهيم والثقافة الإسلامية ما تزال عاملا هاماً فى الحركة الوطنية والسياسية ، فقد قاد زعماء الشيعة حركة تأميم البترول بزعامة كاشانى وكان رجال الكتلة الوطنية بقيادةالدكتور مصدق من أتباعهم ، وقد ظل النصر معقوداً لهم ، حتى إذا وقع خلاف بين كاشانى ومصدق بدأت كفة الاستعمار ترجح . لمعت فكرة التأميم فى ٢١ أكتوبر سنة ١٩٤٧ حيث أصدر مجلس النواب الإيرانى قراره برفض منح امتيازات جديدة لأى رأس مال أجنبي للبحث عن

البترول فى إيران . وأضاف القرار العمل على مفاوضة شركة البترول الانجليزية – الإيرانية لرفع نصيب إيران من بترولها إلى ٣٠ فى المائة غير أن لجنة البترول فى مجلس النواب برئاسة الدكتور مصدق رئيس الكتلة الوطنية لم تلبث أن أصدرت قرارا مفادة أن خير عمل هو «تأميم البترول» . . وسقطت الوزارة وجاءت وزارة رزام أراه الذى اتفق الانجليز والأمريكان والشاه على أنه أقوى رجل فى إيران المواجهة الموقف وكان من رأى مصدق أن اتفاق رضا خان الذى عقده عام ١٩٣٣ باطل لأنه وقع فى عهد كممت فيه الحريات وليس للشركة سوى (اتفاق دارسى) الذى ينتهى بعد عشر سنوات . ولما كانت الشركة قد استهلكت خمس أسداس حقوقها فانه لم يبق لها إلا السدس من العشر سنوات القادمة ويمكن تعويضها عنه . ولم يلبث رازام راه فى الحكم أكثر من أربعة شهور ثم دوت أربع رصاصات أردت رئيس الوزراء قتيلا وقال قاتله(خليل طهمسى) : نعم قتلت رازم أراه ، ولم يكن لى شركاء فى شرف قتل الخائن ، وأصدر نواب صفوى رئيس جمعية فدائيان إسلام بياناً قال فيه : إن البطل الذى قتل رازم راه الخائن أدى واجبه . وأصدر آية الله كاشانى الزعيم الروحى بياناً قال فيه إن الرصاصات التى أردت رازم راه قتيلا قد أكسبتنا معركة البترول رغم أنف الخائن المضرج بدمه . ووجدوا فى جيب القاتل ورقة مكتوبة عليها (الجنة تحت ظلال السيوف) ورفض جميع أئمة المساجد فى طهران أن يشتركوا فى جنازة رئيس الوزراء . وأعادت الأحداث صورة جمال الدين الأفغانى والشاه ناصر الدين . وقد عرف آية الله كاشانى بعدائه الشديد للانجليز ، وكانت له سابقة فى الجهاد خلال ثورة رشيد الكيلانى عام ١٩٤١ ، وكان يملك السيطرة على أموال الشيعة الطائلة وله ولاء على الكتلة الوطنية التى تضم عشرة نواب فى البرلمان تخرج من السربون برئاسة الدكتور مصدق . وكان كاشانى يردد دائماً صيحة واضحة : الإنجليز أضاعوا قرآننا ، وكان غلادستون يقول : لا طريق للإنجليز بين الأمم الإسلامية ما دام فيها القرآن ، ليخرج الإنجليز من كل بلد إسلامى . ومضت الحركة خطوات فى سبيل الهدف وحاولت بريطانيا أن توقف الثورة حين أعلنت أنها تدفع ٥٠ فى المائة من الأرباح واضطرت بريطانيا أن ترحل مواطنيها ، غير أن النواب الذين ناصروا مصدق فى مجلس النواب سرعان ما انقلبوا عليه ، ورفضوا منحه الصلاحيات المطلقة لمدة ستة أشهر واضطر إلى الاستقالة ولم يستطع خلفه «قوام السلطة» العمل واضطر الشاه إلى استدعاء مصدق مرة أخرى لتأليف الوزارة وانتخب آية الله كاشانى رئيساً لمجلس النواب ، غير أن الخلاف ما لبث أن

وقع بين الزعيمين الدينى والسياسى . فقد كان من رأى مصدق أن لا سبيل للإصلاح إلا بتنفيذ قانون الإصلاح الزراعى وتطهير الجيش وإعطاء خمس محصول الأراضى للفلاحين المستأجرين الفقراء ، وعارض كاشانى هذا القرار ، واشتد الخلاف وبلغ درجة بعيدة من العنف والاتساع وكسب النفوذ الاستعمارى الموقف ، واضطربت الوحدة الوطنية الإيرانية وضربت شركات البترول ستاراً جديداً من الحصار الاقتصادى على زيت إيران فى الأسواق العالمية ورفضت أمريكا وروسيا شراء البترول أو توقيع اتفاقيات أو قروض معها . ولم يستطع الدكتور مصدق أن يفعل شيئاً بالرغم من إعلان خفض سعر البترول الإيرانى إلى نصف سعره العالمى ولم تغن ثروة الذهب الأسود الإيرانية هذه البلاد شيئاً فى محنتها ، بل ربما كانت عاملا هاماً فى إسقاط مصدق . وإن استطاع أن يوازن بين الصادرات والواردات على نحو مذهل .

(٣)

لا شك كانت التحديات بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية منذ القرن (العاشر) وتلك الحروب والغزوات المتصلة سبباً فى توسيع شقة الانقسام بين السنة والشيعة التى ظلت آثارها حية وقائمة إلى أن استطاع الاستعمار الزاحف لتطويق عالم الإسلام الانتفاع بهذا الصراع ودعمه والتركيز عليه . فقد آزرت بريطانيا فارس مؤازرة ضخمة ، فى نفس الوقت الذى كانت تعمل فيه للقضاء على الدولة العثمانية . وفى خلال هذه المعركة عمقت طوابع الخلاف واتسعت الشقة بين السنيين والشيعيين ، وما زالت عقابيل هذا الخلاف باقية إلى اليوم بالرغم من المحاولات المتعددة للقضاء عليها وللاستعمار أثر لا شك فى بقاء هذه الهوة للحيلولة دون وحدة العالم الإسلامى والتقائه فى «رابطة تامة» . وقد أكد هذا المعنى كثير من الباحثين الشيعين أنفسهم ،تقول مجلة العرفان : «إن الفرقة بين السنة والشيعة جاءت من الحكام الظلمة الذين لا يحكمون إلا إذا تعددت الكلمة وتفرق الشعب شيعاً وأحزاباً . ولما جاء الاستعمار غذى هذه الروح وعمل على تقويتها وقسم البلاد العربية وأقام بها الحدود والسدود وغذى الطائفيين فإذا أردنا أن نحمى الإسلام فعلينا أن نقضى على النفوذ الخارجى وأن نعرض الإسلام عرضاً سليما بدون سنة ولا شيعة» . ولا شك يحمل العثمانيون وزرا فى تغذية هذا الخلاف . ولكن النفوذ الاستعمارى كان من وراء تعميقه ولو ترك العثمانيون والفرس لأنفسهم

لالتقوا على جامعة تجمعهم هى جامعة الإسلام وكلمة لا إله إلا الله . وقد جرت فى العصر الحديث محاولات لتصفية هذا الخلاف وما تزال وكان للأزهر دوراً كبيراً فيها فقد حدثت لقاءات متعددة بين علماء السنة وعلماء الشيعة فى مجالات مختلفة أهمها المؤتمرات الإسلامية الكبرى . وفى طليعة من دعى إلى تصفية هذا الخلاف : جمال الدين الأفغانى ، جمال الدين القاسمى ، سليم البشرى ، ، محمد حسين آل كاشف العطاء شيخ جامع المنجف الأشرف ، محسن الأمين ، محسن الحكيم . ومن أشهر من نبه إلى قيمة الكنوز الدفينة فى فى مذهبى الإمامية والزيدية : محمد أبو زهرة ، السنهورى ، شلتوت ، محمد المدنى . ومن الحق أن يقال إنه ليس بين الشيعة والسنة من خلاف فى الأصول العامة فهم جميعاً أهل التوحيد ، وإنما فى الفروع ، وهو خلاف يشبه ما بين مذاهب السنة نفسها (الشافعية والحنفية) . فهم يدينون بأصول الدين كما وردت فى القرآن والسنة المطهرة ، كما يؤمنون بكل ما يجب الإيمان به ويبطل الإسلام بالخروج منه من الأحكام المعلومة من الدين بالضرورة ومن ، الحق أن السنة والشيعة هما مذهبان من مذاهب الإسلام يستمدان من كتاب الله وسنة رسوله وتتميز الشيعة بتقدير وافر لأهل البيت ولا يوجد فى أهل السنة من ينكر فضل آل البيت ومصر معروفة بحب آل البيت . ويحاول الشعوبية ودعاة التغريب دوماً إثارة الخلاف بين السنة والشيعة : فيقولون للشيعة إن السنة تنكر استحقاق «على» للخلافة قبل أبى بكر ، ويقولون للسنة إن الشيعة تفضل عليا على أبى بكر وعمر ، ويقولون للشيعة إن أبا بكر منع ميراث السيدة فاطمة من أبيها ، وقد ألف أحد المستشرقين كتاباً باسم «فدك» فى محاولة لإثارة شبهة عن الضيعة التى كانت تطلب بها السيدة فاطمة والتى احتج الخليفة أبو بكر فى الاعتذار عنها بأن الأنبياء لايورثون . وقد أكد كثير من أعلام الشيعة على أن الغالبية كالباطنية وغيرها ليست من الشيعة وأن الشيعة منها براء ، وأن الشيعة لا تتهم وإنما توجه التهم إلى الفرق التى أدعت أنها باسمها وأن للشيعة أعلام عظماء خدموا الإسلام وكانوا من كبار رجاله أمثال : عمار ابن ياسر وسلمان الفارسى والأحنف بن قيس وسعيد بن المسيب وأبو الأسود الدؤلى والفرزدق والكميت وابن الرومى والبحترى ومهيار الديلمى وابن هانىء الأندلسى وأبو فراس الحمدانى والطغرائى والشريف الرضى ولا شك أن الشيعى والعلوى والدرزى والاسماعيلى والسنى كلهم منضوون تحت كلمة التوحيد وخلافهم فى الفروع وحدها وهو خلاف لا يفرق ، وهم متفقون فى الأصول يقرون بأن لا يحكم بالكفر على أحد من

أهل القبيلة والشيعة الإمامية أكثر فرق الشيعة عدداً وانتشاراً ويسمون الاثنى عشرية ، ويبلغ الإمامية سبعون مليوناً موزعون فى العراق وإيران ومنها ٣٢ فى الهند وباكستان و ١٠ ملايين فى روسيا وتركستان وبخارى والأفغان ولبنان وبعضهم فى سوريا والحجاز واليمن ومنهم مجموعات فى الصين والتبت والصومال وجاوه وتركيا والبحرين والكويت وقد بذل أعيان الشيعة جهداً واسعاً فى سبيل تحرير الفقه الإسلامى من أغلاله ولهم اجتهادات دائمة لم تتوقف . وقد حاول المستشرقون وخاصة المستشرق رونلدس فى كتابه (عقيدة الشيعة) إيقاع الفتنة بين المسلمين ودعم هذا الدس بشتى الأساليب ، وقد دفع الإمامية ما جاء فى كتابه من إتهامهم بتحريف القرآن وإنكاره . وقد دعا كثير من مجتهدى الشيعة وفى مقدمتهم العلامة جواد مغنية إلى عدم التعصب لمذهب فقهى خاص ، فإن ذلك تعصب للسياسة التى كانت وراء المذهب ، وقال إن الشريعة لها أصول مقررة والخلاف والجدل بين المذاهب إنما حصل فيما تفرع عن تلك الأصول وما يستخرج منها . وقال : : إن فى كتب الشيعة الإمامية اجتهادات لا يعرفها أهل السنة ولو أطلعوا عليها لقويت ثقتهم بالشيعة ومفكريها ، نقول وكذلك الشأن بالقياس إلى كتب السنة وعلماء الشيعة . وجملة القول إن محاولات الغزو الفكرى والاستعمار الدملى والتغريب والشعوبية ما تزال تتدخل إلى حد كبير فى توسيع شقة الخلاف بين أهل السنة وبين الشيعة وفى إذاعة الشبهات وترديدها وتجديدها فى مختلف كتب الباحثين عملا على تمزيق وحدة المسلمين وتعميق الخلافات الفرعية وتحويلها إلى خلافات جذرية والحيلولة دون الالتقاء . وما يزال المذهب الجعفرى هو المذهب الأساسى للفقه الشيعى .

— ٤ —

فى هذا الضوء ينظر إلى حركة المقاومة للاستعمار التى حملت لواءها إيران فهى مرتبطة إلى حد كبير بالمفهوم الإسلامى الشيعى العنيد فى مقاومة كل غزو والذى حمل دوماً لواء المقاومة للحكام المستبدين . وقد تجلت هذه المقاومة فى مواقف حاسمة : (١) معركة التنباك . (٢) مقاومة الغزو البريطانى الفرنسى . (٣) مقاومة الاستبداد .. (٤) حركة تأميم البترول .

ولقد استغلت القوى الأجنبية فرصة الخلاف بين تركيا وإيران فأيدت إيران تأييدا أفسح لها مجال النفوذ فقد شرعت الارساليات الانجليزية والفرنسوية والأمريكية تتوافد

إلى إيران منذ أواخر حكم ناصر الدين شاه (١٨٨٠) وتفتح مدارسها فى وجوه الإيرانيين الذين ينتمون إلى الطبقات العليا والوسطى ، وكانت الشركات الأجنبية قد حصلت على امتيازات اقتصادية عظيمة الشأن ، ولم يكن فى وسع ناصر الدين أن يوقف هذا السيل الجارف من الأوربيين الذين يحملون معهم الثقافة الغربية . وكان الشاه قد سمح للانجليز باحتكار صناعة التبغ فقاطع الأهالى الدخان وقام العلماء بحملة عنيفة اضطرته إلى أن يلغى الاحتكار (١٨٩٠) . ومن حق أن يقال إن الايرانيين اتجهوا إلى الجامعات الأوربية ١٨٦٥ تقريباً . وإن ذلك الاتجاه الباكر الذى حاول النفوذ الاستعمارى تأكيده وتعميقه خلق حاجزاً ضخماً بين إيران وبين العالم الإسلامى وصبغها بصبغة التغريب من ناحية وحال بينها وبين الانصهار فى المجموعة . غير أن ثبات علماء الشيعة المسلمين قد حفظ مفهوم الاسلام فى مواجهة الغزو الغربى : سياسياً وعسكرياً وثقافياً ـ قادراً على الحياة فكان عامل المقاومة فى مختلف العصور وفى جميع حركات الثورة والمقاومة إسلامى الطابع . وفى خلال العقود المتوالية من القرن العشرين جرى تحول كثير فيه مرونة والتقاء بالعالم الإسلامى بعد أن ظلت فارس تمثل شخصية مستقلة عن العالم الإسلامى ، باعلاء مفهومها العقائدى ، ولكنها كانت عرضة لخطر النفوذ الغربى شأنها شأن مختلف إجراء العالم الاسلامى ، بل لعل موقعها الخطير قد عرضها لنفوذ مزدوج وصراع متصل بينها وبين الروس فى الشمال والربطانيين فى الجنوب ويرى كتاب الغرب ودعاة التعريب أن فارس كانت دوماً ذات طابع خاص بحسبانها مجموعة شيعية وسط الأغلبية السنية فى أفغان والهند والمجموعات السنية فى العراق ومصر وتركيا ، وأن هذا الخلاف العقائدى قد شكل مع الزمن . شعوراً قومياً كان دائماً موضع الصراع بين العرب والفرس . وبين الفرس والترك من ناحية أخرى . ولا شك كانت خطة الاستعمار واضحة منذ عاون عباس الأكبر (١٥٨٧) لإنشاء جيش مسلح لمواجهة الأتراك . وهى تستهدف السير فى مخطط توسيع الخلاف وتعميقه بين ايران وتركيا وبين إيران والعرب كخطة يسعى الاستعمار دائماً إلى ابقائها واستمرارها . غير أن المسلمين الترك والعرب قد تنبهوا إلى هدف الاستعمار وحاولوا إحباطه فقد تمت خطوات كثيرة فى السنوات الأخيرة للتقارب والالتقاء على المستوى السياسى والمستوى الفكرى أيضاً . عاشت إيران فى العصر الحديث مدة طويلة تحت حكم ال قاجار امتدت ١٥٠ سنة حتى اسقط حكمهم رضا خان

عام ١٩٢٠ وكان أهم آثار هذه الأسرة تقبل التدخل الأجنبي فى الأمور الداخلية فقد كان الأجانب يسيرون مختلف أمور إيران وكان للنفوذ الأجنبي أكبر الأثر فى ترسيخ أقــدام رؤساء الاقطاع وتشجيعهم على العصيان والثورة . وكان تدخل الانجليز فى أمور إيران يتمثل فى حجج مختلفة منها سياسة المحافظة والدفاع عن الهند ، وقد انتهز الانجليز ضعف إيران خلال حكم أسرة قاجار فوسعوا نفوذهم فى أطراف خليج فارس بحسبانه باب الهند ، وكانت سياسة إيران تضطرها إلى عدم التعرض لرواد البحار والسفن التابعة للدول الكبرى وتجارتها وبعثاتها الاستكشافية ، فقد أعطت الحرية التامة لتجارة الأجانب وعلى الأخص الإنجليز الذين اكتسحوا الأسبانيين والبرتغاليين من طريقهم . وقد مكنت هذه السياسة بريطانيا من التلاعب فى أمور إيران الاقتصادية والسياسية ، بفرض الامتيازات الهامة كالسكك الحديدية لجميع طرق إيران ١٨٨٩ وامتياز تأسيس المصارف ١٩٠٨ وامتياز التبغ والتباكو ١٩٠٨. وكانت حكومة قاجار كحكومة إسماعيل فى مصر مدينة مرهقة يحيطها النفوذ الأجنبي من مختلف أقطارها . وقد وضع الاستعمار البريطانى الخطط لإثارة القبائل وتجهيز الطوائف المختلفة بالأسلحة وشد أزر الأمراء والشيوخ ومحاولة تقسيم إيران إلى ولايات ومناطق عشائرية وكان اتصالها بأكبر القبائل والعشائر لإثارة الخلاف والارتباط مع الأجانب وكان ذلك جرياً على القاعدة البريطانية والاستعمارية التى تقول : « إن الوظيفة الكبرى المثلين البريطانيين البريطانيين فى البلاد الشرقية هى إضعاف الحكومات فى كل شيء وبث التفرقة وتشجيع تعدد المذاهب والآراء والعقائد ثم تأليب فئة على الأخرى وإشعال الحكومة والشعب على بعضها بغية التدخل وسيطرة بريطانيا العظمى عن تلك الدول » . غير أن العلماء الشيعيين المسلمين لم يتوقفوا عن العمل فى سبيل مقاومة النفوذ الأجنبي ، وكان جمال الدين الأفغانى قد قاوم استبداد « ناصر الدين شاه » وحاول أن يحقق لإيران دستوراً يكفل للشعب حقوقه ازاء سلطات الشاه المطلقة فأخرج من إيران ولكن لم يكد يعلن منح حق امتياز التمباك والدخان للمستر تالبوت فى ٨ مارس ١٨٩٠ وكانت مدة الامتياز خمسين سنة حتى كان هو نقطة الانتفاضة بعد أن أسرف الشاه فى منح امتيازات مختلفة للشركات الأجنبية بعد أن منع البارون جولياس روتر حق إنشاء البنك الشاهانى ١٨٨٩ كما منحه حق استخراج جميع المعادن فى إيران . ورأت الأمة الإيرانية إسراف الشاه فى منح الامتيازات للشركات الأجنبية فثارت ثائرتها ولم تطق بعد هذا صبراً ورأت حكومة الشاه أن تخمد اتجاه الرأى العام فألقت

القبض على زعماء الثائرين . وكان جمال الدين ـ الذى اقتاده جنود الشاه إلى منطقة الحدود العثمانية ـ يعرف ما للحاج مرزا حسن شرازى كبير العلماء والمهديين من نفوذ عظيم فأرسل إليه خطابه المشهور : « هذا يومك يا حجة الإسلام فإن لم تسمع نداء القوم وإن لم تنهض لجمع شملهم ، وتوحد كلمتهم وتضم صفوفهم ، وتدفع عنهم بقوة الشرع الذى أنت حامية ظلم الظالمين فقل على ممالك الإسلام السلام . إن العلماء ينتظرون بفروغ صبر كلمتك وإن التاريخ ليرمق عن بعد سيرتك فماذا أنت قائل والسلام » . وقد أصدر كبير المجتهدين من مقره فى (سر من رأى) فتوى تحريم التمباك والدخان ، « تلك الفتوى التى سرت مسرى الكهرباء فى جميع البلدان فأقفلت مخازن الدخان وأبى البائعون بيعه ، والشارون مشتراه ، حتى لقد هشم رئيس خدم الشاه كل مافى القصر الملكى من نراجيل ، واتلف ما فيه من دخان بدون أمر أو استئذان وعندما عنفه الشاه على فعلته قال : وهل استأذنتم قبل الإقدام على ذلك ، أجاب بشجاعة وسكون : « لقد أمر الشرع فلا بنا إلى استئذان السلطان » .

وبرزت منذ تلك اللحظات حركة مقاومة للشاه تمثلت فى اتحاد شامل وجمعيات وطنية ، وحاولت الحكومة أن تخفف من ضغط الأزمة فأعلنت إنها اتفقت مع شركة الاحتكار على ألا توظف فى إدارتها أجنبياً ، ولكن إعلانها لم ينقص من حماسة الأمة ولم يزد النار إلا ضراماً « فهاجم الشعب محلات الشركة فى كل مكان ومزق إعلاناتها فأرسلت الحكومة خمسمائة فارس بقيادة سعد الدولة للقبض على السيد (كالمكير كلاروستى) أحد زعماء الثائرين فلم يتمكن الجنود من ذلك إلا بعد معركة شديدة قتل فيها ما يزيد على مائتى نفس من الأحرار . « ونزول الشاه على إرادة الحكومة وأعلن أن الامتياز قد أصبح باطلا ، ولكن حجة الإسلام أبى أن يرفع فتوى التحريم حتى يتأكد من بطلانه تماماً وعلى ذلك استمر الشعب مقاطعاً ، فعز ذلك على ناصر الدين شاه فعمد إلى العنف وأرسل إنذاراً إلى الحاج ميرزا حسن ميرزا اشتيانى أحد كبار علماء طهران يخيره فيه بين التدخين والنفى ففضل الخروج من بلدته على الخروج على أمته وزحفت الجماهير على قصر الشاه معلنة سخطها ، وفى أواخر يناير ١٨٩٢ نالت الأمة ما أرادت فألغى الامتياز ، وكانت مسألة التنباك فرصة لإعلان الثورة ، فكانت على أشد ما تكون فى عهد محمد على شاه حفيد ناصر الدين الذى حاصر نواب الأمة فى البرلمان ، ثم سلط عليهم المدافع تدكه على من فيه » . وكان من نتيجة ذلك أن أقدم ميرزا

رضا كرمانى تلميذ جمال الدين الأفغانى على اغتيال ناصر الدين شاه يوم الجمعة ١٨ذى القعدة ١٣١٣ (١٨٩٦) فى إبان الاحتفال بمرور خمسين عاماً على سلطة ناصر الدين شاه أثناء زيارته لمقام شاه عبد العظيم وما حدث عام ١٨٩٢ شبيه بما حدث بعد ذلك سنة ١٩٥٢ من موقف علماء الشيعة فى إيران فى حركة تأميم النفط ودفعها إلى غايتها ، هذه الحركة التى كانت ستؤتى أكلها لولا وقوع الخلاف بين الزعيمين : آية الله كاشانى ومحمد مصدق . وقد ثارت إيران مرة أخرى عام ١٩٠٧ بعد توقيع المعاهدة الإنجليزية الروسية التى اقتسمت إيران وأملت عليها شروطهما . ونظمت مخطط النفوذ الروسى الإنجليزى وتقاسمت مناطق النفوذ (شمال إيران لروسيا وجنوبها لانجلترا) والمنطقة الوسطى محايدة ، وهذه المعاهدة شبيهة بالاتفاق الودى الذى عقد بين فرنسا وانجلترا عام ١٩٠٤ باقتسام النفوذ بين بريطانيا فى مصر وفرنسا فى تونس . وقد أيقظ هذا التنافس الروح الوطنية فى البلاد للتخلص من النفوذ الأجنبى وكانت هذه الثورة معاصرة لثورة ١٩٠٨ فى تركيا التى أعلنت الدستور العثمانى وقضت على حكم السلطان عبد الحميد وفتحت الطريق إلى نفوذ الاتحاديين . غير أن نذر الحرب العالمية الأولى لم تلبث أن وسعت نفوذ الروس والإنجليز معاً فقد سارع الروس إلى احتلال تبريز وأرسل البريطانيون قوتهم إلى بوشير والمجرة باسم حماية امتيازات البترول . ولا شك كان ظهور البترول فى إيران — الذى حصل الراهب روز نيلوم على امتيازه عام ١٩٠١ — قد زاد من خطر النفوذ البريطانى فى هذه المنطقة وكان للبترول أهميته الكبرى فى الحرب العالمية الأولى مما ساعد الحلفاء على قهر ألمانيا . وقد ظلت إيران مسرحاً للقتال والفتن طوالى مدة الحرب الأولى . وفى عام ١٩١٩ تم توقيع اتفاق إنجليزى إيرانى مجحف ، مهد للثورة على الاستعمار حتى حدث انقلاب ٢١ فبراير ١٩٢١ . بقيادة رضا شاه الذى دعا إلى طرد جميع العناصر الأجنبية من الجيش . يقول جورج ليشوفكى : إن إيران لم تعامل مطلقاً باعتبارها منطقة من مناطق التوسع الاستعمارى بل دولة فاصلة بين الهند وروسيا . وقع الانقلاب الفارسى الذى قاده رضا شاه فى نفس الوقت الذى وقع فيه الانقلاب التركى بقيادة مصطفى كمال . ولقد حاول رضا شاه أن يسير مسيرة مصطفى كمال ولكنه لم يجد الطريق ممهداً ، كانت قوة علماء المسلمين الشيعة عاملا ضخماً فى تحفظه . وقد أشار جورج لنشوفسكى فى كتابه : الشرق الأوسط إلى أن نفوذ رجال الدين الشيعة هو الذى أعطاه الحذر والتيقظ . وأومأ إلى أن الدستور الإيرانى ١٩٠٧ كان ينص صراحة على أن الدين الرسمى هو الإسلام على المذهب

الجعفرى وكان على شاه إيران أن يعتنق هذا المذهب ويعمل على نشره ، كما كان يحظر على المجلس أن يصدق على أى تشريع ينافى مبادئ الإسلام وينص على استشارة الفقهاء فى عملية التشريع والاستشارة ملزمة ، لذلك لم يشعر الشاه أن فى استطاعته أن يتحدى هذه النصوص كما أنه بدلا من أن يشن هجوماً أمامياً فى خططه الإصلاحية التجأ إلى طريق عدة ملتوية تحاشى فيها رجال الدين الشيعة وتجاهلهم دون أن يعمل على كبح جماحهم بصورة مباشرة .

وقد أشار لنشوفسكى إلى الفارق بين رضا خان ومصطفى كمال فقال إن شاه إيران نجح فى الإصلاح والتحرر من النفوذ الأجنبى وإن كان لم يصل فى الأخذ بأسباب الغرب إلى ما بلغه أتاتورك وقال « ولا شك كانت مهمته أشق من مهمة أتاتورك لأن بلاده كانت أكثر تأخراً ولأن ثقافته وشخصيته كانتا تختلفان عن ثقافة أتاتورك وشخصيته . ومن حق أن يقال أن رضا خان ومصطفى كمال وأمان الله كانوا فى عصر واحد هو عصر ما بعد الحرب العالمية الأولى ، وكان مصطفى كمال هو أجرأ هؤلاء جميعاً إلى الخطو نحو التغريب ، وكان عمله يلقى دهشة كبرى ، بحسبان أن تركيا التى كانت (الدولة العثمانية ودولة الخلافة) هى التى تقود فى العالم الإسلامى حركة التغرب والانفصال عن القيم الإسلامية . وقد سار الثلاثة فى خطوط مختلفة ، أما أتاتورك فقد استطاع أن يلغى كل مقومات الحياة الاجتماعية الإسلامية ويفرض نظاماً جديداً كان عرضة للانتقاض بين فترة وأخرى ولم يستقم طوال حياته ولا بعدها نظراً لخروجه عن طبيعة المجتمع الإسلامى الجذور . أما أمان الله خان فقد عجز عن فهم مدى قدرة أمته على التغيير فانفصل عنها ، أما رضا خان فقد استطاع أن يسير بخطوات بطيئة فى سبيل تحقيق إدخال الأنظمة الحديثة فادخل ١٩٢٧ النظام التشريعى الفرنسى ونظام التعليم الحديث وسار فى تحرير المرأة سيرة بطيئة . ولكنه حقق أمرين هامين هما جعل التعليم إجبارياً وإلغاء الامتيازات الأجنبية . ولا يخلو أمر الأنظمة المستوردة فى العالم الإسلامى من أخطاء وتجاوزات وخاصة فى إلغاء رضا خان التعليم الدينى الإلزامى فى المدارس الابتدائية والثانوية ١٩٣٠ وتأكيد الناحية المدنية وحدها والتخلص من أرضية الفكر الإسلامى فى مختلف مجالات الاقتصاد والاجتماع والسياسة والتربية .

— ٥ —

إن أخطر ما منيت به إيران فى تاريخها المعاصر هو محاولة إعادة « الكسروية الفارسية » المتمثلة فى قورش وممثير أى إعادة ما قبل الميلاد (قورش ٥٥٩ ق.م) بينما جاء الإسلام بعد

الميلاد بستة قرون ونصف القرن (٦٥١م) ودخلت فارس فى دين الله وزال من الوجود كسرى ورستم ويزرجرر وفتحت أبواب الأهواز ونهاوند أمام المغيرة بن شعبة وسعد بن أبي وقاص والنعمان بن مقرن . هذه الردة الخطيرة التى حمل لوائها رضا خان المتسمى ببهلوى إعادة لأمجاد الجاهلية وابنه محمد رضا بهلوى ، هى الوجهة الخطيرة التى اتجهت إليها إيران المسلمة منذ خمسين عاماً مرحلة بعد مرحلة عندما استولى رجل مغمور أمى هو رضا خان على السلطة ونصب نفسه ملكاً - ولم يكن ضابطاً قد تعلم فى مدرسة عسكرية بل متطوعاً فى لواء القوازق الإيرانى أمياً لا يعرف القراءة والكتابة حول اسمه من خان إلى يهلوى (الرمز الفارسى) إيماءً إلى غايته وهدفه الذى سار فيه وقطع مرحلة ثم جاء ابنه محمد رضا ليكمل المسيرة ومن هنا كانت ثورة إيران ١٣٩٩ هـ علامة على العودة إلى الأصالة والتماس الانتماء الإسلامى الحقيقى الذى تعرض للخطر فى تلك الاحتفالات الضخمة التى أقامها الشاه المخلوع علامة على العودة إلى الوثنية المجوسية الفارسية وقد صدقت محطة الإذاعة البريطانية حين قالت : إن الثورة الإيرانية قد انفجرت من جانب الأصالة الإسلامية ضد الجانب المظلم من التحديث بل ويمكن القول فى وضوح إن سقوط الشاه ونظامه الغربى هو علامة أخرى على فشل هذا التيار الذى قاده أتاتورك رضا خان فى العشرينات تحت تأثير النفوذ الأجنبى المسيطر الذى كان يرى أنه هو الأسلوب الذى يمكنه من احتواء هذه المنطقة والحيلولة دون امتلاكها إرادتها الحرة فى إطار طبيعتها الإسلامية وروحها المستمدة من الشريعة الإسلامية ومنهج الإسلام الاجتماعى والاقتصادى.وقد أشار مؤلف كتاب (إيران:الديكتاتورية والتطور) إلى هذا المعنى حين قال أن الثقافة الرسمية للنظام الحاكم كان يغلب عليها طابع النزعة المادية المتطرفة للحياة . وكانت هناك قلة محدودة فقط من المثقفين هى التى تنظر بصورة جدية إلى « الأساطير القومية »» المختلفة التى يروج لها الحكم وسط مزيج من النزعة العسكرية والتعصب القومى وهى ترفض فى نفس الوقت الثقافة الفارسية التى عاشت فى الماضى بتراثها الشعرى والفنى الحافل وتفضل عليها جوانب أكثر سطحية من المجتمع الغربى . وقد كان هؤلاء المثقفون الإيرانيون يشعرون أنهم فى مصيدة فمن ناحية كانوا يدركون حدود التاريخ والثقافة الإيرانية ومن ناحية أخرى كانوا ثائرين على نحو قومى وجمالى بسبب ذلك الشكل المحدود من الثقافة الغربية التى كانت تستورد إلى إيران ولذا تطلع عدد محدود من هؤلاء المثقفين إلى العودة إلى الماضى : إلى القيم الإسلامية ، وكان أصحاب التطلع إلى قيم ما قبل الإسلام يعتنقون أفكاراً متعصبة مناهضة للعرب وحاول الكثيرون القفز فوق حواجز الثقافة الغربية التى تنبثق من المجتمع الاستهلاكى » . وفى رأينا أن هذه النقطة هى الركيزة

الأساسية لسقوط نظام إيران الديمقراطى الغربى الذى كان يقوده الشاه المخلوع بهدف تشويه وجة إيران الإسلامى والقضاء عليه وإعادة وجه إيران الوثنى المجوسى القديم بإحياء التاريخ والحضارة بل وتغيير العام الهجرى والميلادى المعمول بهما لهذا الغرض المسموم . ولا ريب إن إعادة وجه إيران الإسلامى هو أبرز معالم حركة اليقظة التى قادها الإمام الخومينى والتىوصفت بعد أن تحققت نتائجها بأنها علامة على يقظة الإسلام ذاته وأن التجربة الغربية لم تستطع بعد خمسين عاماً إلا أن تعلن فشلها وسقوطها ، كما أعلنت التجربة الماركسية فشلها وسقوطها فى أجزاءٍ أخرى من العالم الإسلامى منها أندونيسيا ومصر ومهما قيل من أن شاه إيران المخلوع كان يهدف إلى « تحضير إيران » أو تمدينها أو دفعها إلى أن تكون دولة عظمى بالأسلوب الغربى فإن هذا العمل مقضى عليه بالفشل تماماً لأنه معارض لطبيعة الأسلوب الإسلامى فى العيش والعمل وأن المحاولة التى حاولها الشاه كانت فاشلة تماماً بتقدير المعلقين الغربيين أنفسهم وفى ظل التقدير الحقيقى لها ذلك لأن الشاه لم يكن يصدر فيها عن أسلوب أصيل وإنما عن محاولة استعلاء ضالة خادعة ويقول روبرت جراهام فى كتابه(إيران : وهم السلطة) أن الشاه لم يكن يعرف أسلوب العمل الحقيقى وكان كالسيارة التى تنتقل فجأة من السرعة الأولى إلى السرعة الرابعة وهى تندفع إلى أسفل منحدر ، وأن الشاه إنما كان يهدف بعباراته الطنانة « الدخول إلى مرحلة الحضارة العظمى أو القوة الخامسة ، إنما يهدف بأسلوب مضلل إلى دعم النظام الامبراطورى وتثبيت سلطته الشخصية (أسرة بهلوى على عرش إيران) بصرف النظر عن أصول الاقتصاد وقدرة المجتمع الإيرانى على استيعاب أحدث مبتكرات التكنولوجيا . وقد جاء المغامرون الغربيون من كل مكان للحصول على الإثراء السريع ، وعجزت إيرانعن استيعاب آلاف الملايين من الدولارات وفقا للمشروعات الاقتصادية المرتجلة وحين قال الشاه إنناعبرنا الحدود بالفعل إلى الحضارة العظمى كانت الخطط الاقتصادية تتجاهل الأوليات ،وعندما تختلط الحابل بالنابل يبدو الازدهار شاملا ، ولم يكن هذا الازدهار إلا مقصوراً على المحظوظين وأصحاب العلاقات الوثيقة بالقصر الذين جمعوا عشرات الملايين فى وقت قياسى ورأى غالبية الإيرانيين أن ثروة إيران القومية تتسرب إلى المغامرين الأجانب » . كان اتجاه الشاه الغربى معارضاً للأصالة وللطبيعة الإيرانية التى شكلها الإسلام منذ أربعة عشر عاماً ، وكان أسلوبه مضاداً للفطرة راغباً فى إخراج هذه الأمة من وجودها الحقيقى ولذلك ووجه بمعارضة اجماعية شاملة ، ظلت صامدة بالرغم من عوامل القسوة العنيفة فى مقاومتها وبالرغم من قتل الألوف الذين عبروا عن معارضتهم بالاحتشاد حيث لم يزد ذلك إلا اصراراً وعزماً على التحدى

والمقاومة ، ولم يكن نظام الشاه فى الواقع قادراً على الصمود لأنه لم يكن عادلا ولا مطابقاً لرغبات الشعب ولا محققاً لمطامح الأُمة ولكنه كان كما يصفه الغربيون أنفسهم أَمثال جيمس بيل وغيره : كان يتمثل فى مؤسسات هشة مهتزة تدور جميعها حول الشاه وتقع تحت السيطرة البهلوية التامة ، وكان حكم الشاه حكماً مطلقاً لا حكماً دستورياً جمع بين الهجوم الذى لا يعرف الرحمة أَو المراوغة التى تلجأُ إلى المناورات فضلا عن أن الشاه لم يكن – كما يقول جيمس بيل وغيره – يتمتع بصفات الزعامة ولم تهبه الطبيعة الشخصية الجذابة وقوة التأْثير وإنما فرض شخصيته فرضاً على أذهان الشعب وأَحاط نفسه بهالة من القوة الغامضة ، وكان الشاه يحمى نفسه وراء نظام من المخابرات والتجسس والحرس اسبغ على رجاله مميزات هائلة جعلته من الطبقات المترفة فى المجتمع الإيرانى فعرفت به إيران منذ ١٩٧١ عهداً من الروع والقمع الوحشى للمعارضة وامتلأَت السجون ونفذت أَحكام الإعدام فى كثير من وهوجمت المؤسسة الدينية هجوماً مباشراً . وكانت عملية تطوير الجيش وتسليحه بأَحدث المعدات العصرية لا تستهدف إلا مطامع شخصية وعرقية تقوم على السيطرة على الخليج وإعلاء الجيش الإيرانى وقد تعمد الشاه إلى القضاء على المعارضة وعلى الطبقة المثقفة المسلمة المستنيرة التى كانت ترى إن خطته السياسة هذه لا تستهدف خيراً للوطن ولكنها تعمل لتحقيق مطامح فردية وأَهداف لخدمة النفوذ الأَجنبى فكان يعمل على تضعيف هذا الاتجاه والقضاء عليه ولقد عمق الشاه هذا الاتجاه المعادى للأَصالة وللإسلام ولروح الأُمة الحقيقى حين أَغرق البلاد فى الجنس فكان له مدينة كاملة ودائرة واسعة حافلة بالملاهى الليلية والمراقص ، والفنادق التى تقدم المشروبات الروحية للأَجانب وفتيات الليل وما يتصل بهذا من ظهور مجلات مكشوفة تشجع القصص الجنسية وتقنين الفساد والإباحية وتدعو إلى الجريمة والأَهواء . وكان أَخطر وجوه الخطر فى الوضعية الإيرانية فى ظل نظام الشاه :

(أَولا) : الديكتاتورية والقضاءُ على الأَصالة .

(ثانياً) : إعادة صورة التاريخ الوثنى المجوسى قبل الإسلام .

(ثالثاً) : تحويل البلاد الإسلامية إلى تبعية كاملة للحضارة الغربية المنهارة .

(رابعاً) : موقفه من الصهيونية العالمية .

(خامساً) : الثروات الوطنية المنهوبة .

ومنذ وقت طويل تكشف هذا الانحراف الخطير فى النظام الإيرانى وتكشف تواطؤ الشاه مع

الصهيونية العالمية وتبعيته الواضحة للاستراتيجية الاستعمارية ، ولقد ورث الشاه عرشه عن والده الذى وصل إلى الحكم بواسطة انقلاب مشبوه فى ظروف غامضة لا يخفى ما وراءها من أهداف الصهيونية العالمية وبروتوكولات صهيون فضلا عن التبعية الواضحة للماسونية التى تعمل لإعادة هيكل سليمان وتغرير سيطرة اليهود على العالم وقد أعطى الشاه سلاحاً حاداً للتغريبيين الذين انطلقوا يهاجمون الإسلام وكل ماله علاقة به ويطالبون بإبعاده عن الصراع مع الصهيونية العالمية وكانت أخطر محاولاته إثارة الشعوبية والنعرات القومية بين العرب والفرس وكانت له خطة مغامرة لإحداث فتنة فى الخليج كان من شأنها أن يصبغ مياه الخليج بدماء المسلمين ولقد تركزت قوة المعارضة على أن شاه إيران لم يكن يمثل فى الحقيقة شعب إيران ولا المسلمين وأنه كان يقوم بتمثيلية وهمية تحت اسم الثورة البيضاء أو الإصلاح الاجتماعى ، بينما يعانى ملايين التعساء والبؤساء فى إيران حياة مريرة فى نفس الوقت الذى ينعم فيه الشاه بالضياع والقصور والمعونات الأجنبية وتقوم مؤسسة بهلوى على ألوف الملايين من الثروة القومية المنهوبة وعائدات البترول السخية . وقد واجه الإمام الخمينى هذه المحاولات منذ عام ١٩٥٩ فوجه إلى قادة الدول الإسلامية بيانات يدعو فيها إلى إنقاذ إيران وكشف عن أن الشاه ورث عن أبيه اللؤم والغدر والخيانة وكره العرب والمسلمين ، فقد غدر رضا شاه بهلوى بأُسرة قاجار وخلع الشاه الشرعى الذى كان اغدق عليه ورقاه من منصب عسكرى إلى منصب بلغ رتبة جنرال . ولقد كان رضا شاه أول من فتح هذا الطريق إلى مقاومة الأصالة وروح الإسلام فى المجتمع ونظام الحكم وعمل على انتزاع إيران من ذاتيتها ، وجاء محمد رضا فأكمل الخطة وكاد أن يبلغ بها إلى غايتها ومن هنا كانت الدعوة إلى محو آثار الظلم وإعادة إيران إلى موضعها الطبيعى بين دول العالم الإسلامى وتحرير ارادتها فى إقامة نظام إسلامى أصيل . إن سقوط النظام الإيرانى الليبرالى القائم على الاستبداد وابتعاث كورش وقمبز وما قبل الإسلام من مفاهيم يذكر تماماً بسقوط التجربة التركية التى قام بها مصطفى كمال ، والتى أوحت إلى الشاه فى نفس الفترة تقريباً الاتجاه بإيران بعيداً عن طابعها الإسلامى الأصيل وقد خلفت تجربة تركيا عبرة واضحة يجب أن تكون قائمة أمام المصلحين والمثقفين فى البلاد الإسلامية والعربية وخاصة بعد أن سقطت تجربة أندونسيا الماركسية وتجربة باكستان الغربية الماركسية معاً وتجربة الناصرية والبعث فى العالم العربى . من شأن دراسة هذه الأوضاع أن تكشف أمام

المسلمين على أبواب القرن الخامس عشر الهجرى أن لا سبيل إلى العمل الصحيح إلا من خلال قناة واحده هى القناة الاسلامية الرحية الفسيحة السمحة الكريمة الشماء التى تستمد مفاهيمها من منهج الله تبارك وتعالى وتستهدف قيام المجتمع الربانى بالحق والعدل على شرعة الله الخالصة التى جاء بها الدين الحق . الخطأ كل الخطأ فى اتخاذ أتاتورك مثلا أعلى فإن تجربته فشلت والعرب ربما كانوا أقدر على فهم أبعاد النهضة وأساليبها من الترك فقد أشار إلى ذلك هاملتون جب فقال أن العرب لن ينقضوا المثل الأعلى الإسلامى للنهضة .

(٤) أفغانستان : مقاومة الاستبداد والاستعمار

يمثل أفغانستان طوابع الإسلام على نحو يكاد يكون أشد عمقاً من الهند وإيران وتركيا جميعاً ، ويتمثل ذلك فى أمرين خطيرين : (أولا) : مقاومة الاستعمار الغربى مقاومة حاسمة جبارة اندحرت فيها بريطانيا فى ثلاث معارك كبرى امتدت على مدى ثمانين عاماً . (ثانياً) : دحض الخطة التى حمل لواءها (أمان الله) فى فرض الحضارة الغربية فى مواجهة حركة (مصطفى كمال) فى تركيا ، و (رضا خان) فى إيران . وقد أكد الباحثون والمؤرخون أن أفغانستان حين تلقت الإسلام آمنت به وتقمصته ووجدت فيه نفسها حيث عجزت المجوسية والبوذية والهندوكية أن تعطيها هذا الإحساس العميق بالله والتوحيد . يقول العلامة صلاح الدين السلجوقى « عندما دخل الإسلام إلى أفغانستان ، لم يكن نوره غريباً عن مشاعرهم وإحساساتهم ولا سيما أن هناك اختلافات فكرية عميقة بين المعقيدة الا وسطائية وبين الفكرتين الفكرتين البوذية والبرهمانية ، فلما دخل العرب الديار الأفغانية مبشرين بالاسلام استقبل الأفغانيون مقدمهم وأفكارهم التى تتعلق بالحياة بعد الموت أحسن استقبال .ويدحض السلجوقى اتهامات الغرب فى فرض الاسلام على الأفغانيين يقول : يزعم الغربيون أن العرب دخلوا البلاد الأفغانية عنوة وغصباً ، وهذا إفك مفترى على الحقيقة ، فنحن معاشر الأفغانيين أحببنا العرب منذ ثلاثة عشر قرناً وافتديناهم بكل ما عندنا من فكرة وعقيدة ، لأننا رأينا لديهم مبادىء قويمة لاءمت قلوبنا وضمائرنا وتراثنا . ولذلك فنحن لم نأخذ العقيدة التى أتوا بها إلينا فحسب ، بل أخذنا لسانهم العربى المبين ، وحتى القرن الرابع للهجرة كانت اللغة العربية هى اللسان الرسمى ، ولا تزال اللغة العربية حتى يومنا هذا لساننا الدينى والعلمى ، وليس لدينا لغة علمية غير اللغة العربية ، لقد فتح جنكيز خان (أفغانستان) عنوة وغصباً ،

وبعد معارك عنيفة ومذابح دموية ، وكذلك دخل الانجليز البلاد ، وما لبث الأفغانيون أن أبادوهم عن بكرة أبيهم ، ولكن العرب «حملة لواء الإسلام » فتحوا ديارنا بمبادئهم السامية، سواء كانت دينية أو خلقية أو ميتافيزيقية ، وفتح لهم الأفغانيون قلوبهم وصدورهم ، متقبلين هذه التعاليم ، حتى أنه عندما ضعف مركز العرب ومركز الخلافة ، وتوقفوا عن نشر الحضارة الإسلامية ، كنا نحن معاشر الأفغانيين ، المبشرين بهذه الحضارة والناشرين لها والمجاهدين فى سبيلها فى أنحاء العالم » ومن حق لقد قدمت أفغانستان إلى الفكر الإسلامى والحضارة عدداً من الأئمة الأعلام البارزين : أبو حنيفة النعمان وأحمد بن حنبل ، والبخارى والترمذى ، وابن قتيبة ، والرازى ، والغزالى . ومن الفلاسفة : ابن سينا والفارابى والبيرونى وجابر بن حيان والجورجانى . ومن الصوفية : البلخى والبسطامى . ومن علوم اللغة والبلاغة والأدب : الزمخشرى ، والسكاكى والتفتازانى والجامى . ومن علم الكلام : النسفى والقندهارى . والظاهرة البارزة فى أفغانستان هى أن اللغة العربية لا تزال تسيطر بحسبانها اللغة الثقافية لها . يقول السلجوقى : لا يجد الزائر للديار الأفغانية أية قرية — مهما صغرت ونأت — إلا وفيها مكتب أو اثنان على الأقل لتدريس اللغة العربية والإسلام ، ولذا فإن لغتنا العامية تحوى على اثنين فى المائة من المفردات العربية بينما لغتنا الفصحى تحتوى على ستين فى المائة من الكلمات العربية الصافية الخالصة مما لا يستعمل بعضها أكثر شعوب العالم فصاحة وبياناً . بل إننا نحفظ بعض كلمات عربية جميلة انقرض استعمالها فى البلاد العربية . كل ذلك لأن اللغة العربية الشريفة هى لغة القرآن الكريم ، لسان الله المبين ، ولأن العرب أمة خرج منها رسول الله ولأن الإسلام والحضارة العربية الإسلامية قوتاً فى قلوبنا مبادئنا السامية الخالدة التى ندين بها ».وما تزال آثار هؤلاء الأعلام الذين أنجبتهم أفغانستان (خراسان) تدرس فى الأفغان، كما أن التفسير الوحيد الذى يدرس هناك هو تفسير جلال الدين السيوطى . «ويرجع هذا الالتقاء الكامل بين الأفغان والإسلام إلى طباع مشابهة لطباع العرب حملة رسالة الإسلام ، وبين الأمة العربية والأفغانية مئات الصفات والسجايا الخلقية والذاتية المشتركة كالشجاعة والصدق والأمانة والكرم ومثالية الأخلاق وقرى الضيف والدفاع عن الحق والخير والحرية ». وقد دخلت اللغة العربية أفغانستان مع الإسلام وأصبحت تمثل نسبة لا تقل عن أربعين فى المائة من اللغة الوطنية (البشتو والفارسية) والعربية تدرس فى جميع مدارس أفغانستان لا على أنها لغة أجنبية بل على أنها جزء متمم للغتين البشتو والفارسية اللتين يتحدث بهما الأفغانيون ، وتتبع أفغانستان فى معاملاتها الدنيوية التاريخ الهجرى

الشمسى فهى كدولة شرقية تعتز بالإسلام قد رفضت أن تأخذ التاريخ الميلادى المسيحى كتاريخ رسمى لها ، وهى فى الوقت نفسه كدولة حديثة أبت أن تكون أيام الدولة والمواسم عرضة للتغيير فاتخذت الهجرة نقطة بداية للتاريخ ولكنها اتخذت شهوراً شمسية لا قمرية . ولا شك لهذا الطابع الإسلامى الواضح فى حياة أفغانستان صلة كبرى باللغة العربية التى تدرس فى جميع المدارس المتوسطة وفى المدارس العالية يتم تدريس مواد الشريعة الإسلامية واللغة العربية وإذا بها بصورة أكثر توسعاً وعمقاً مثل دار العلوم فى كامل وهرات وجلاد أباد . استطاعت أفغانستان أن تؤكد طابعها الإسلامى العميق بموقفها القوى من النفوذ البريطانى الذى زحف نحوها بعد أن دخل البريطانيون دلهى إذ كانوا حريصين على أن يسيطروا على الأفغان بحسبانها جارة الهند ، ولكنهم فشلوا فى كل محاولات احتلالها ، كانت بريطانيا فى كل مرة تعود وهى مثخنة بالجراح فقد حارب الأفغانيون الاستعمار ببسالة منقطعة النظير وخاضوا مع بريطانيا ثلاث حروب دموية طاحنة . فقد المستعمر جيشاً بأكمله فى المعركة الأولى ومنيت القوات البريطانية بخسائر فادحة ، فى حرب استمرت أربع سنوات حتى ١٨٣٨. ثم زحف البريطانيون على كابل وقاومهم الأفغان مرة أخرى واستطاعوا أن يبيدوا جيوشاً بريطانية بأكملها فى معارك استمرت ثلاث سنوات حتى ١٨٧٨ منها جيش بريطانى بأكمله قوامه سبعة عشر ألفاً من الجنود المجهزين بأحدث الأسلحة . وعاد البريطانيون مرة أخرى إلى الأفغان بحجة تأمين حدود الهند فقاومهم الأفغانيون فى كل مكان وأنزلوا بهم خسائر كبيرة وظلت هذه المقاومة حتى عام ١٩١٩ حيث استطاعت أفغانستان أن تنتزع استقلالها الكامل . وقد واجهت أفغانستان بعد معركة الاستقلال ، معركة البناء الفكرى والاجتماعى لها ، وكان أمان الله خان الذى تحقق على يديه هزيمة الانجليز ، قد اتخذ منزع الحركة التى قادها مصطفى كمال فى تركيا هادفاً إلى تغليب الطابع الغربى فى الفكر والحياة تغليباً كاملا ، ولم تتقبل الأفغان هذا الاتجاه . وقد اندفع أمان الله خان فى محاولته لتقليد المدنية الغربية دون أن يفهم روح النهضة وقد أولى اهتمامه للمظاهر الخارجية وحدها ، محاولاً مجاراة مصطفى كمال ناسياً الفوارق والخلافات بين البلدين . ومن أهم المسائل التى حاول أمان الله أن يتخذ منها موقفاً : مسألة تحرير المرأة على هدى من الخطة التى إتبعها مصطفى كمال فى تركيا . دون تقدير لأوجه الخلاف بين البلدين على نحو أشار إليه أحد المعلقين السياسيين فى تركيا حين قال : نظن أنه لا يمكن أن تكون مصر أو الهند أو إيران مثالا لبلاد

الأفغان . لابد للأفغان أن تسير بنظامها الاجتماعى وفاق خصوصياتها الجنية والمحلية ، وإنما يتسنى للأفغان أن تستعير بعض المبادىء من تركيا تكميلا لنظامها ، بل إننا نرى أن الهند وإيران ومصر لا يمكنها أن تهب الأفغان تلك المبادىء تنـ ، لأن هذه البلاد لانفك مرتبطة بتقاليدها . ويقول معلق آخر : لا نظن أن مايتطلبه الأمر من أفغان هو من هذا النوع من الإصلاح اللاديني ، بل إننا نعتقد أنها ستهتدى بهداية دينها المتين ، الذى رفع شأن المرأة إلى أعلى عليين وساوى بينها وبين الرجل قبل أن يخطر على بال أحد من المصلحين أن يسوى بينهما . وما دام الوجدان الأفغانى الفردى والاجتماعى مرتبطاً بالعقائد والمبادىء القرآنية فحريته الوجدانية تتحرك فى تلك الدائرة ، ولابد من أن تكون كل حركة إصلاحية مبنية على احترام هذه الحرية الوجدانية فى تلك البلاد .. إن سفور المرأة (وحده) لا يضمن لها أى رقى وإنما الرقى الحقيقى فى تربية المرأة تربية فاضلة تؤهلها لأن تعيش حرة شريفة نقية طاهرة ، فإذا كانت المرأة حائزة على هذه التربية فإنها أشرف وأرقى سواء كانت سافرة أم محجبة ، نود أن يكون نصيب المرأة الأفغانية من الرقى الحقيقى أعظم مبلغ ، نود أن نفتح المدارس والمعاهد التى ترى المرأة الأفغانية تلك التربية الإسلامية التى تجعلها عامل خير ونجاح فى حياة الأفغان » . هكذا كان مفهوم الكتاب المسلمين فى النظرة إلى الحركات المستحدثة فى تركيا وأفغانستان وإيران ، أما تركيا فقد استمرت فى خطواتها تحت نفوذ الحكم الاستبدادى الدكتاتورى المغتصب ، ومع ذلك فقد قاومت تركيا مرة أخرى هذا الحكم وقدمت ضحاياها وشهدائها ، أما فى إيران فقد خطا رضا خان خطوات متحفظة وئيدة فى أعمال الإصلاح ولكنه لم يخرج عن دائرة الإسلام ، أما أمان الله خان فقد تحطم ملكه نتيجة لتهوره فى الإصلاح . وقد وصف سردار أقبال على شاه فى كتابه عن أمان الله خان كيف «ظل أمان الله يبتعد عن شعبه يوماً فيوماً وهو غافل عن الله سائر فى اصلاحاته الحديثة التى أراد أن تصل بها البلاد طفرة واحدة فى حين أن غالبية الشعب متخلفة عنه لا ترى مجاراته فى هذا الشأن فلما أن وقعت الكارثة واشتعلت الثورة استفاق الملك من غفوته والتفت حوله فلم يجد معيناً ولا نصيراً ، ذلك أن ذوى الكلمة والنفوذ – على حد تعبير سردار إقبال شاه من الزعماء الدينيين كانوا يرون فى أعماله خروجاً على الدين والتقاليد قد أحفظهم ذلك عليه وكان أعيان البلاد وزعمائها يرون أن الملك تجاهل أمرهم وكان يعمل على تقويض ما لديهم من نفوذ قائم ، أما الشعب كان فقد متردداً حائراً ، ذلك أن الإصلاحات

السريعة التى ارتـأى الملك وجوب إدخالها فى بلاده قد جعلت أفراد الأمة يتوجسون منها شراً كثيراً ، ذلك أن عقولهم لم تستطع أن تفهمها من جهة لسرعة وقوعها ، وكان الزعماء الدينيون وخصوم الملك يصورونها لهم بأبشع الصور من جهة أخرى . وقد ألقت سياسة الملك (أمان الله) الرعب فى قلوبهم إذ أرهقتهم بالضرائب حتى أنه جمع منهم ضرائب ثلاث سنين دفعة واحدة لينفق منها على رحلته هو وزوجته إلى أوربا وما كاد يعود بعد أشهر قلائل حتى أخذ فى جمع ضرائب جديدة لأن ما جمعه منها كان قد أنفقه جميعه ».ويرى سرادار اقبال على شاه : أنه فى البلاد التى لا تقوم حكوماتها على أساس إدارى متين والتى تتوقف إدارة أعمالها الإدارية والسياسية على شخصية الحاكم وقوته ونفوذه يحدث مثل هذا الاضطراب ، وعنده أن أمان الله خان لم يكن له من الثقافة والتعليم ولا من الخبرة والتجربة ما يوحى إليه الخطة المثلى . وقد كان من نتائج خطة أمان الله أن تعرضت بلاده لسيطرة باجى سقا على الحكم وهو إبن سقا استطاع أن يهاجم العاصمة كابول ويستولى عليها ، غير أن هـذا الحاكم بالرغم من أنه ألغى جميع ما أدخله أمان الله من خطط ، فإن علماء المسلمين رفضوا قبوله والياً على البلاد مما مما مهد لنادر شاه أن يقود معركة إسقاطه . وقد استطاع نادر شاه أن يعيد ميزان الأمور ، وأن يحقق اصلاحات معتدلة فى إطار الإسلام وخطا خطوات عاقلة حذرة ، وبالرغم من أنه أعد قواته فى أرض الهند التى تحتلها بريطانيا فقد رفض أن يكون ألعوبة فى أيدى البريطانيين وظل محافظاً على التوازن بين بريطانيا وروسيا . وتعطى هاتين الصورتين عمق طوابع الإسلام فى أفغانستان ، ولعل ذلك يرجع إلى وحدة الأمة الأفغانية التى لم تعرف يوماً نزاعاً طائفياً أو صراعاً مذهبياً « فقد كان الدين الإسلامى باحتوائه على الأسس القويمة والمبادىء السامية » عاملا فعالا فى هذا التماسك والمودة أن الشعب الأفغانى بأسره يدين بالإسلام الحنيف ويتمسك بتعاليمه السنية وأن الديانة الإسلامية مادة أساسية فى المدارس والمعاهد . والقانون الأفغانى هو الشريعة الإسلامية ولا ترى فى حياة افغانستان شيئاً يتنافى مع الإسلام فالخمر ممنوعة . وعلماء الإسلام لهم نفوذ روحى عظيم . ومن أفغانستان انبعث رسالة جمال الدين الأفغانى فى «اليقظة» إلى مختلف أجزاء العالم الاسلامى وما زال اسمه مقترناً بحركات الكفاح والنضال المختلفة فى مواجهة الاستعمار والانجليز بالذات وما تزال هزيمة بريطانيا على تراب أفغانستان من المسائل ذات الأهمية المبالغة فى تقدير الأفغانيين ،

وقد أقاموا نصباً تذكارياً لهذه المناسبة الخطيرة ، وقد شهد «تويمبى» الذى شاهد هذا النصب للأفغانيين بأنهم دفنوا قتلى الانجليز مثل ما دفنوا شهداءهم . بل إنهم أقاموا تذكارا لهؤلاء الانجليز وقال «وهذا دليل على خلق كريم أصيل فى نفوس الأفغان» . وقد واجهت المنطقة الإسلامية الممتدة من الملايو - باكستان- أفغانستان إيران - تركيا إلى متغيرات كثيرة فى السنوات الأخيرة . وتعرضت أفغانستان إلى انقلاب شيوعى (١٩٧٨) الذى أطاح بحكم الرئيس محمد داود الذى كان قد اسقط النظام الملكى بتأيد من الشيوعيين المحليين الذين لم يلبثوا أن انقلبوا عليه وقد جاء ذلك فى إطار الصراع السوفيتى الصينى وتمزق باكستان إلى دولتين ومن وقوع الانقلاب لم تتوقف عناصر المعارضة المسلمة للنظام الماركسى الحاكم فى أفغانستان عن المقاومة ، وقد تزعمت قبائل اليابان هذه المقاومة وهى قبائل ذات شكيمة لها تاريخها كمقاتلين أشداء فى كل الحروب التى شهدتها أفغانستان وقد اعتبروا مقاومتهم لنظام الحاكم الماركسى فى البلاد بمثابة حرب مقدسة دفاعاً عن الإسلام وقد وجدت هذه القوى الزاحفة تأييداً شعبياً كاسحاً ، وظلت تتقدم بقوة وتستولى على المدن واحدة بعد أخرى ، وبالرغم من التعزيزات التى قامت بها الحكومة الشيوعية فان قوى النضال لم تتوقف وظلت تتقدم بقوة وخاصة بعد أن شنت القوات الشيوعية الحاكمة غارات على القرى والمساجد فى عدد من الأقاليم وقتلت عشرات الألوف وقد أعلنت هذه المقاومة أنها تعارض زعماء الحكومة الأفغانية فى دائرة نفوذ الاتحاد السوفيتى ، وهم يدركون أطماع الشيوعيين فى بلادهم منذ عهد القياصرة ، وتعتبر قبائل الباتان أضخم المجموعات الدينية الأفغانية وهى فرع من قبيلة المحمدين التى انحدرت منها سلالة الحكام الأفغانيين الذين تولوا حكم البلاد حتى ١٩٧٣ عندما أطاح الجنرال محمد داود بابن عمه الملك محمد ظاهر شاه وأعلن قيام الحكم الجمهورى وقد حاز الباتان احترام الجنود البريطانيين المعادين خلال الحروب الأفغانية فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن الحالى ولا ريب أن القوى الوطنية فى أفغانستان تتمسك تمسكاً شديداً بتعاليم الاسلام وهم يرون أن الإسلام أصبح مهدداً بخطر أجنبى رغم إدعاءات حكام كابول . ويهدف السوفييت من السيطرة على أفغانستان إلى تحقيق أهدافهم فى هذه المنطقة الإسلامية الموازية للبلاد العربية ولقد وجد السوفييت وأتباعهم أن فى أفغانستان شعباً مسلماً صب المراس لا يمكن أن يقبل الماركسية بأى حال من الأحوال ، ولا أن يدعها تستقر فى بلاده مهما كلفه ذلك من ضحايا وتضحيات وهزيمة الشيوعيين تأتى

موازية لهزيمة الاستعمار البريطانى من قبل.يقول العلامة محمد علال الفاسى : الأفغان المسلمة الدولة الأولى التى اعترفت بروسيا وجلس رئيسها مع لينين فى الوقت الذى لم يعترف أحـــد من الدول بثورة أكتوبر والحكم المنبثق منها . هذه الجارة الهادئة للاتحاد السوفيتى تبين انتهاذات مركز استراتيجى مهم فى هذه المرحلة من مراحل تطور مناطق النفوذ والتعايش والتعايش السلمى الأمريكى الروسى . ان أهميتها فى سيطرتها على ممر خيبر الذى يمر من كابول العاصمة فيجتاز سهول غرب الباكستان ويصل إلى البنجاب الهندية وتغطى حدود الأفغان الشمالية الاتحاد السوفيتى باستثناء قطعة صغرى فى أقصى الشمال الشرقى ، ولم يشك الملاحظون السياسيون أن الأفغان ستكون محل الضربة التالية من روسيا والهند بعد حادث انفصال البنغال ولقد قامت الثورة فى الباكستان باسم إعلان الجمهورية قام بها محمد داود خان المعروف منذ ١٩٥٢ـ١٩٦٢ خلال مدة توليه رئاسة الحكومة بتعامله التام مع روسيا وتشدده فى إثارة قبائل الباتشو لفصلها عن الباكستان ويعنى ذلك فصل جزء بضم عشرة ملايين من السكان عن باكستان ولا شك أن وجوده على رأس الدولة الجمهورية يضعه فى المركز الذى يؤمن مصالح روسيا والهند لاقامة دولة بلوخستان المرتقبة التى تنهى وجود دولة باكستان ويقول :لقد تعاون الرئيس محمد داود مع السوفييت فتخلصوا به من الملك محمد ظاهر وسرعان ما انقلبوا عليه وأسقطوا حكمه وتلقفوا الجمهورية الأفغانية لقمة سائغة ولكن الشعب الأفغانى المسلم لم يحقق لهم هذه الأمنية وقاومهم مقاومة شديدة . لقد وقفت أفغانستان بقواها الاسلامية الصامدة مرتين أمام الأحداث والغزو الأجنبى : أمام الاستعمار البريطانى الذى سيطر على المنطقة كلها من الهند إلى الخليج إلى مصر والسودان فقد قهرته فى عنفوانه وردته فى قوة ، وأمام النفوذ الشيوعى كرة أخرى بعد أكثر من قرن من الزمان وكان لها فيما بين من ذلك وقفات صامدة كان أبرزها موقفها عند سقوط القدس فى أيدى الصهيونية فضلا عن أنها آوت من المسلمين الذين هربوا من الاستعمار الروسى فى بخارى وسمرقند وازوزبكستان

(٥)

باكستان ومسلمو الهنــد

بعد الحرب العالمية الثانية قامت دولتان اسلاميتان : هما أندونيسيا والباكستان ولكى نعرف حقيقة قيام باكستان علينا أن نرجع إلى عام ١٩٣٠ عندما كتب محمد اقبال يقول :

ليست الوحدات فى المجتمع الهندى إقليمية كما هو شأنها فى البلاد الأوروبية فالهند قارة تضم إليها مجموعات بشرية تعود إلى أجناس مختلفة تتكلم بلغات متباينة وتدين بأديان غير متقاربة ، وأن المبدأ الذى تعتنقه أوربا الديمقراطية لا يمكن تطبيقه بحال على الهند دون أن يسبق ذلك اعتراف بوجود المجموعات الطائفية ، وعلى هذا فمطلب المسلمين له ما يبرره تماماً وبودى أن أرى البنجاب وإقليم الحدود الشمالية الغربية والسند وبلوخستان قد توحدت وأصبحت دولة ، ويبدو أنه ليس أمام المسلمين سوى هدف واحد ، هو تكوين حكومة ذاتية لهم ، إما داخل الامبراطورية البريطانية وإما خارجها : دولة إسلامية هندية تقع فى فى شمال غربى الهند ، وحياة الإسلام كعامل ثقافى وحضارى فى هذه الدولة إنما ينهض على تركيزه فى حدود معينة فقط ، فإذا ما أتيح لهذه الدولة الاسلامية الحديثة أن تقوم فإنها سيكون المدافع الأكبر عن الهند ضد أى هجوم أجنبى عليها ، وإنا لهذا نطالب بتكوين دولة إسلامية موحدة ، وقيامها هذا سيكون فى صالح الهند كما هو فى صالح الإسلام لأنها ستعمل على محو الطابع الاستعمارى الغربى الذى أجبر على طبعها به ولأنها ستتيح للقوانين والتعاليم الإسلامية أن تسود وللتعليم والثقافة أن يعملا جنباً إلى جنب وفى تعاون لإظهار الروح الاسلامية الحقة وإمكان تطبيقها فى هذا العصر الحديث ».وقد مر عشر سنوات حتى قبل حزب الرابطة الإسلامية فكرة إقبال فى الدورة التاريخية التى عقدتها الرابطة فى لاهور عام ١٩٤٠ وفى ١٤ أغسطس ١٩٤٧ تأسست الباكستان بقيادة محمد على جناح الذى حمل لواء فكرة إقبال وسار بها حتى تحققت . ولابد أن يوضع فى التقدير تاريخ المسلمين فى الهند أولا ، والدور الذى قامت به بريطانيا بالنسبة لهم عند احتلالها الهند وكيف أقصتهم عن مواطن القيادة وكيف إثارت أحقاد الهندوس عليهم بعد أن عاشوا فى كنفهم قروناً طويلة فى محبة ووئام ، وكيف فتحت أبواب التعليم والثقافة والثروة للهندوس وفرضت على المسلمين الفقر والجهل والتأخر.حكم المسلمون الهند ما يقرب من ألف عام وكان تاريخاً حافلا بدأه محمد بن القاسم الذى فتح السند ، وامتد بحركة محمود الغزنوى الذى أسس أسرة جعلت من مدينة (لاهور) أول مركز للحضارة الاسلامية وثقافتها فى هذه الأرجاء واستطاع محمود الغزنوى أن يمد رقعة الغزو الاسلامى حتى وصل البنغال ، وجاء بعد ذلك المغول : نسل الامبراطور التترى الكبير «تيمور لنك» ، ففى عام ١٥٢٦م غزا (بابر) شمال الهند ، وجاء بعده (همايون) الذى فتح الطريق أمام النفوذ الفكرى الفارسى وبلغ المغول ذروتهم أيام

الامبراطور (أكبر) وقد قامت الدولة المغولية واستمرت وظل سلطانها فى الهند إلى عام ١٨٥٨ وهى الدولة التى اتسع سلطانها وتولى عرشها ستة ملوك عظام فى مائتى سنة من بابر إلى محيي الدين أورنك زيت وأبرزهم جهانجير وشاه جيهان وقد حمت الدولة المغولية بعـــدل والاسلام الأجناس والأديان جميعاً . ثم جاء الانجليز بوصفهم تجار فى الوقت الذى كانت الامبراطورية قد بلغت مرحلة الضعف والتفكك وقد حصلوا على ميثاق للتجارة عام ١٦٠٠ ثم لم يلبثوا أن سيطروا على مقدرات البلاد وحتى عام ١٨٥٧ كان المسلمون سادة البلاد ، حين اندلعت الثورة التى ألقى المسلمون منها بكل قواهم بقصد التحرر من النفوذ البريطانى .

وللنفوذ الغربى فى الهند قصة ، فقد بلغ فاسكودى جاما ميناء كالكوت الواقعة على شاطىء ملبار من جنوب الهند ١٤٩٨ وأقام ستة شهور على شاطىء الدكن الغربى فى رحلته الأولى ، وكان العرب يحتكرون الملاحة بين موانى الهند وموانى الخليج الفارسى . وقد استظهر دى جامابالهندوس فى محاولة للتنكيل بالبحارة المسلمين من ناحية ومنافسة التجار المسلمين من ناحية أخرى ، وكان بعض الأمراء الهندوس قد حمل إلى ملك البرتغال رسالة يغريه فيها باحتلال الهنـــد . وعاد دى جاما إلى بلاده ، فاستقبل الفاتحين ، ولم يلبث أن كر عائداً إلى الهند فى ثلاثة عشر مركباً محملة بالجنود فاحتلوا كاليكوت وتتابعت البعثات البرتغالية حتى مام ١٥٠٩ فوصل إلى الهند (البوكرك) واحتل ثغر (جوا) باسم البرتغال عام ١٥١٠ وفى ١٥١١ احتل البرتغاليون ملقا فى جزر الهند الشرقية . وقد أيدت السياسة البرتغالية الهندوس فى ثوراتهم على الدولة وكانت الحملات البرتغالية تحمل فى ثناياها شيئاً من التبشير بالديانة المسيحية ، واستطاع ملك البرتغال أن يحصل من البابا على صك رسم فيه بأنه «سيد بحار العرب والعجم والهند والحبشة » وحاول البوكرك أن يثير الهندوس ضد المسلمين ، ثم أثار الهندوس ضد بعضهم بعضاً ، ولم يلبث البرتغاليون أن تواروا أمام أوربيون آخرون ، واقترن انهيار الدولة البرتغالية بظهور دولتى هولندا وانجلترا على مسرح السياسة الدولية والمنافسة البحرية .

وفى عصر المغول بدأ موكب القراصنة والمغامرين يفد إلى شواطىء الهند من البرتغال وهولندا وفرنسا وبريطانيا حتى استقر الأمر لشركة الهند الشرقية . وكانت معركة بلاسى فى البنغال عام ١٧٧٥ من الواقع الهامة فى حركة المقاومة التى بدأها المسلمون فى الهند منذ اليوم الأول : وقد سجلت مظاهر واضحة من البطولة والفداء . ولم ينتصر فيها البريطانيون إلا بسلاح الخيانة ، وقد حمل المسلمون وحدهم عبء المقاومة ضد الاستعمار البريطانى وتمثلت فى نوعين من المقاومة ، مقاومة الأمراء المسلمين ، ومقاومة الفقهاء المسلمون الذين قاوموا على أساس

شعبى شامل ، لأنهم رأوا فى الزحف الاستعمارى قضاء على الاسلام «وقد بدأ هذه الحركة فقيه مسلم زار نجد واعتنق الدعوة الوهابية ونظم تلاميذه ومريديه بطول الهند وعرضها تنظيا شعبياً ثورياً ضد الاستعمار البريطانى ودعا إلى تطهير الاسلام من البدع وتطهير الهند من الغزاة ، وكان هذا أعظم تنظيم ثورى شعبى عرفته الهند قبل حرب المؤتمر واستمرت صامدا فى معركة مقاومة نصف قرن كامل حتى سقط آخر قادته شهيداً فى معركة دامية فى شمال الهند» . وقد قام الانجليز بأعمال البطش الرهيبة التى قصروها على المسلمين فى نفس الوقت الذى حرموهم فيها من التعليم والمناصب . وأفسحوا المجال والتأييد والولاء للهندوس إلى حد آذان بانفجار ثورة الهند الإسلامية الكبرى عام ٨٥٧ فجأة «والتى بدأت كحركة تمرد بين بعض وحدات الجنود الهند فى الجيش الامبراطورى ثم انقلبت إلى حرب تحريرية قادها الأمراء والفقهاء المسلمون واشترك فيها المسلمون والهندوس والشيوخ والنساء والرجال واكتسحت شمال الهند ومراكز النفوذ البريطانى ، حتى أعلن بعض قواد بريطانيا الكبار أن كل شىء قد انتهى وأن كل ما بنته بريطانيا قد ضاع ، ولم تستطع بريطانيا استعادة نفوذها إلا عن طريق الخيانة والرشوة» . وقد حمل الإنجليز المسلمين مسئولية الثورة ، فقد اعلنت الثورة باسم (امبراطور دلهى) وقاد معظم معاركها قواد مسلمون ، ونادى الفقهاء المسلمون بالجهاد ، وأعلنوا الهند كلها (دار حرب) حى يباد الغزاة الغاصبون ، وصب الإنجليز كل حقدهم وانتقامهم على المسلمين وكان انتقاماً مريعاً ، أعلنوا أنه لن يقف حتى يباد المسلمون عن آخرهم وأهدر دمهم وأصبح من حق كل بريطانى أو مدنى أن يقتل من يشاء من الهنود وأعدمت النساء والأطفال وأبعدت أسر وعائلات بأكملها فى مذابح جماعية لكى «يباد جنين الثورة فى أى مكان فى الهند» كما قال القائد البريطانى ولم يسبق أن عرفت الهند أو عرف المسلمون رعباً ولا هولا كالذى عرفوه يومئذ وسميت هذه بالمحنة الكبرى ولم ينسوها أبداً . والمعروف أن البريطانيين كان قد استهلوا سياستهم فى الهند باضهاد المسلمين إذ أنهم كانوا سادة البلاد الذين نظموا المقاومة التى انتهت بثورة ١٨٥٧ وهم الذين نشروا الدعاية الحارة ضد الاحتلال البريطانى لبلادهم فضلا عن أن المسلمين كانوا ينظرون إليهم منذ البداية نظرتهم إلى مغتصبى حقوقهم المشروعة فى حكم البلاد . وقد عمد البريطانيون إلى إثارة العداوة بين المسلمين والهندو س وأوغلوا فى سياسة احتضان الهندوس دون المسلمين ، وعملوا على إقرار قوانين التفرقة بينهم تحت ستار من حرية الاعتقادات الدينية ، وقد قاطع المسلمون المستعمرين

فى كل شىء ، ولم يقبلوا على المدارس التى أنشأوها ، بينما أقبل عليها الهندوس وبذلك رجحت كفة الهندوس على كفة المسلمين فى العلم ، وأصبحت وظائف الحكومة وقفاً على الهندوس ؛ وفى ميدان المال والأعمال ساعدت الظروف الهندو س بعد أن تحطمت مالية المسلمين بعد ثورة ١٨٥٧ التى صادر فيها البريطانيون كثيراً من ممتلكاتهم وأوقافهم ، وطرق المسلمون أبواب الهندوس يستدينون ، وانتهى ذلك الإقراض إلى انتقال أملاك المسلمين إليهم فلم يبق لدى المسلمين ما يوازى خمسة فى المائة من عامة الأملاك فى الهند . غير أن المسلمين لم يلبثوا أن تنبهوا إلى الخطر الذى يهددهم من سياسة التجميد ، حيث قام المسلمون بإنشاء مدارس خاصة على نفقة المسلمين حرصاً على مجاوزة خطر مدارس الإرساليات الأجنبية التى ترفض الإسلام واللغة العربية ، وتفرض مناهج معارضة للقيم الإسلامية أساساً . وقد كانت حركة السيد أحمد خان هى نقطة التحول فى تاريخ المسلمين من الناحية الثقافية والاجتماعية جميعها ، فهى التى كسرت قيد التوقف والمقاطعة للمؤسسات الاستعمارية فى التعليم ، وذلك بإنشاء كلية عليكره التى أنشأت جيلا جديداً يجمع بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية . وقد كان عمل أحمد خان موضع النقد وموضع التقدير فى نفس الوقت فهو فى نظرة إلى عصره قد ألغى الخصومة بين المسلمين والاستعمار الانجليزى وحاول أن يحل بدلا منها تقارباً ومودة ، على صعيد الفكر ، وفى هذا الاتجاه أحصيت على أحمد خان آرائه فى شجب الجهاد ضد الإنجليز ، وموالاتهم ، وما عرف من تفسيرات للقرآن نسبت إليه تحمل معنى الطاعة والإذعان كما حملت مناهج مدرسته نفس الاتجاه فى اعلاء اللغة الإنجليزية والثقافة الغربية . وقد هاجم جمال الدين هذا الاتجاه وكان كتابه (الرد على الدهريين) منصباً على النتائج التى نجمت عنها محاولة أحمد خان ، غير أن النظرة اليوم تختلف ، فقد أحدث هذا العمل تحولا بعيد الأثر كانت له نتائجه الهامة التى جاءت من بعد فى صورة النهضة التى حمل شبلى النعمانى وتلاميذه ثم محمد إقبال ومدرسته . ويشبه أحمد خان فى هذا الاتجاه موقف الشيخ محمد عبده بعد هزيمة الثورة العرابية وسيطرة بريطانيا على مقاليد الأمور فى مصر ، وهى خطة اضطرارية احتاج إليها المسلمون خلال الأزمات التى واجهتهم ليتحركوا بدلا من أن يتوقفوا ثم جاءت بعد ذلك مرحلة التصحيح للمفاهيم التى حرفت أو حيل بينها وبين الاستغلال الكامل . وفى الهند اضطر مفكرو المسلمون — ويبدو أن ذلك استمر إلى وقت طويل — إلى مثل هذا الموقف الذى فرض عليهم تفسير آيات الجهاد فى القرآن على نحو كان نفوذ الإستعمار واضحاً عليه فى حجب مفاهيمه الصحيحة . أما بالنسبة لكلية عليكره فإنها قد

استطاعت من بعد أن صححت طريقها أن تعاود تنفيذ الخطة الصحيحة بالنسبة لمفاهيم الإسلام والفكر الإسلامى ، غير أن هذه الحركة التى قام بها أحمد خان كانت قد ركزت مفهوماً للإسلام يشجب الجهاد ويفصل بين الإسلام والمجتمع على النحو الذى يحرص الاستعمار على أن يصنع به وذلك فى مختلف أنحاء البلاد التى احتلتها فى محاولة الخلق جيل يؤمن بهذه المفاهيم وتكون له الصدارة فى تولى مقاليد الأمور ، فقد كان أثر هذه المفاهيم بعيد الأثر فى أغلب قادة الفكر أو السياسة الذين جاءوا من بعد ، وكان هذا تحولا عن الطريق الأصيل الذى مضت عليه حركة اليقظة والتى كانت والحق يقال إنها ركدت ولم تستطع مواجهة التحول الخطير الذى أحدثه الاستعمار البريطانى فى الهند . وغير أن عمل أحمد خان فى إنشاء كلية عليكرة التى كان يطلق عليها (الكلية الإسلامية الانجليزية الشرقية) قد دفع تيار الاصلاح الاسلامى القديم بالتحدى إلى تجديد أساليبه فنشأت (ديوبند) على الأساليب التقليدية ثم لم يلبث أن قام تيار وسط حاول أن يجمع بين دراسات عليكرة ودراسات ديوبند تمثل فى (ندوة العلماء) ودار العلوم فى لكنو (١٣١١ هـ) . ولم يلبث المسلمون فى الهند أن وسعوا نطاق الثقافة والتعليم فقامت جامعات إسلامية فى دكا ودلهى والكلية الاسلامية فى لاهور وبشاور ثم أنشأت مدرسة كلكتا وكلية الشيعة فى لكنو والجامعات العثمانية فى حيدر أباد والجامع العباسى فى بها دلبور . وقد خرجت هذه الجامعات عدداً ضخماً من أعلام الفكر الاسلامى فى الهند الاسلامى : من أمثال شبلى النعمانى وأمير على ومحمد على جناح ونذير ومحمد والطاف حسين وكثيرون .

— ٢ —

منذ انبعثت دعوة التوحيد من قلب الجزيرة العربية فى منتصف القرن الثامن عشر فقد تأثر بها العالم الإسلامى كله وقد جاء هذا التأثر الواضح نتيجة ورود المسلمين إلى مكة فى موسم الحج واستماعهم إلى هذا الصوت الجهير الذى يحمل لواء فكرة متعددة الجوانب قوامها التحرر الفكرى فى مجال العقيدة والتحرر السياسى فى مجال مقاومة النفوذ المسيطر والزاحف. وقد كان شاه ولى الله (أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى) (١١١٤ – ١١٧٦) م معاصراً للامام محمد بن عبد الوهاب غير أن الهند المسلمة امتازت بأنها قدمت مجدداً ومصلحاً سبق ذلك هو أحمد السرهندى (٩٧٧ – ١٠٣٤) والذى عاصر أيام حكم الامبراطور المغولى «أكبر» وكان له دوره فى تصحيح كثير من المفاهيم ويوصف بأنه مجددالألف الثانى . ويعد الدهلوى

واحداً من نوابغ المفكرين الإسلاميين : ، وكانت دعوته إلى التوحيد واضحة الأثر وأبرز آثاره كتابية : « حجة الله البالغة » و« وإزالة الخفا فى خلافة الخلفاء » وقد تابعه ابنه عبد العزيز الدهلوى ١٣٢٩ فدرس وألف ووالى عمل أبيه فى الدعوة الحق . ولم يلبث الإمام أحمد بن عرفان أن دعا بها إلى التوحيد الخالص ، وقام بجولات فى الهند كون بها جيلا من المخلصين ، ثم لم يلبث أن اتجه إلى تأسيس دولة إسلامية تمتد من الهند إلى حدود أفغانستان قاعدتها «بشاور» طبق نظام الاسلام المالى والإدارى تطبيقاً دقيقاً ، وجمع بين العبادة والجهاد ، وقد عرضه موقفه الحاسم إلى خصومه رؤساء القبائل الافغانية فثاروا على حكومته ، وكان هذا مقدمة للثورة الهندية الكبرى التى ثارها المسلمون فى مواجهة الإنجليز .
ولم توقف الطريقة العنيفة التى قادت بها بريطانيا ثورة ١٨٥٧ كفاح المسلمين إلا قليلا ، إذ لم يلبث أن تجدد مرة أخرى على هيئة جماعات ومدارس ومعاهد . فقد هب المسلمون لمقاومة التبشير المسيحى والتبشير الهندوكى معاً . وكان واضحاً من أسماء جمعياتهم وتشكيلاتهم الإحساس بالمقاومة والدفاع ، أمثال جمعية حماية الإسلام ، وجمعية الدفاع عن الإسلام .
يقول ك. برج : « كانت كلمة الدفاع هى الصيحة التى ينفر لها مسلمو الهند جميعاً » . الدفاع عن الجماعة أو عن الإسلام الذى يواجه ويحدق به خصمان خطران هما النفوذ الهندوسى والنفوذ البريطانى الحاكم . فقد انبعث المبشرون والمرسلون يدعون إلى أديانهم علناً ويهاجمون العقيدة الإسلامية ويعلنون أن دولة الإسلام قد زالت ، وأن الهند قد أدخلت فى الحكم الغربى المسيحى ، وأن هذا هو دين الحكومة ، وقد بدأ ذلك واضحاً فى مختلف المدارس والمعاهد التى أنشأها الاستعمار البريطانى . ولم يكن أمام المسلمين إلا خطتهم التى طبقوها فى كل مصر ، وهى إنشاء مدارسد إسلامية خاصة يستطيعون من خلالها تدريس الإسلام واللغة العربية (وقد فعلت ذلك الجمعية الخيرية التى أنشأها محمد عبده وآخرين فى مصر ، وفعل ذلك الإمام بن باديس فى الجزائر وقد بدأ هذا العمل حين أسس مولانا محمد قاسم النانوتوى مدرسة (ديوبند) عام ١٢٨٣ هوأسس مولانا سعادت على مدرسة مظاهر العلوم فى سهار بنور فى نفس ذلك العام ، وتعددت المدارس المدنية فى أنحاء الهند وكان لها أثرها الواضح فى نشر الدين والدعوة الإسلامية ، لم تكن هذه المدارس تنال مساعدة ما من الحكومة وكانت قائمة أساس جهد المسلمين واعتماداتهم الخاصة . مما أثار المقاومة والجهاد . ولم يكن لأبنائها

المتخرجين منها أقل أمل فى وظائف الحكومة ومن ثم فقد اتجه أكثرهم إلى الانقطاع للعمل فى تربية الشعب وتعليمه والخدمة بعيداً عن المناصب والرواتب . وبذلك نشأ جيل من الدعاة المتجردين المحتسبين الذين يقنعون بالكفاف (وهذا شبيه تماماً بما حدث فى الجزائر) وقد تنبه المفكرون المسلمون إلى أن المدارس الدينية القرآنية الخالصة لا تكفى ، فأنشأوا مدارس تجمع بين الدراسات الاسلامية والمدنية . فأسست ندوة العلماء فى لكهنو ثم مدرسة دار العلوم على نمط دار العلوم المصرية ، وقد أبرزت علماء ومؤلفين فى مقدمتهم : شبلى النعمانى . وسليمان الندوى . وهما أكبر مؤلفين فى السيرة النبوية وتعاليم الإسلام .وإذا كان شبلى النعمانى قد ساعد أحمد خان فى إنشاء عليكرة فإنه كان أشد حرصاً منه فى الحفاظ على التراث الفكرى الإسلامى وأشد إيماناً بأهمية هذا التراث . وكان يؤمن بالتحديد فى إطار الإسلام ، ولذلك فقد على عمل بعث تاريخ الإسلام فكتب عن عمر والمأمون . وناقش بعض القضايا التى أوغل فيها المستشرقون ، وكشف عن الرأى الصحيح كمسألة الجزية وإحراق مكتبه الاسكندرية وعارض الكثير من خلفاء المبشرين والمستشرقين وشن هجوماً ضخماً على جرجى زيدان وكشف عن أخطائه فى كتابه (تاريخ التمدن الإسلامى) وكان شبلى النعمانى علامة على التيار الوسط بين مدرستى المحافظة التقليدية وبين مدرسة التحديد المندفع إلى الاعجاب الكامل بالإنجليز والموالاة لمفاهيمهم الفكرية والداعى إلى اخضاع الإسلام لها.فقد دعا شبلى النعمانى إلى مخطط جديد للتربية والتعليم بين مسلمى الهند وحاول تنفيذه فى دار العلوم ، ويرمى هذا المنهج إلى إصلاح مناهج التعليم وتغيير الكتب القديمة كما دعا إلى تدريس اللغة العربية كلغة حية قرآنية كما كانت تدرس فى العصر العباسى وأضاف بالضرورة مواد علوم الاجتماع والاقتصاد والشريعة الإسلامية والثقافة العربية . وكان قد زار مصر عام ١٨٩١ وشاهد خطة على مبارك فى إنشاء دار العلوم وقد نجحت فكرة المدرسة الوسطى فى الهند ، كما نجحت فى مصر وحققت نتاجاً هاماً وتخرج منها كثير من المفكرين مثل : أبو الكلام إزاد وسليمان الندوى وعبد الماجد الدريابادى وعبد البارى الندوى ممن قادوا فكر المسلمين فى الهند وقد اتجه المسلمون إلى هذا العمل الخصب البناء فى ميدان التربية والتعليم فى مواجهة حركتين قام بهما الاستعمار البريطانى : الأول هى تغريب مناهج الدراسة فى المدارس التى أنشأها حيث خلت من علوم الإسلام واللغة العربية وفى مواجهة حملة التبشير الضخمة التى شنها الاستعمار فى مختلف أنحاء الهند ، وقد لفت هذا نظر الذين زاروا الهند من أمثال

دكتور عمر فروخ الذى يقول : إن المستعمر لا يريد أن يعلم أبناء البلاد الخاضعة له وإذا اضطر أن يعلمهم ، علمهم ما يضرهم أكثر هم مما ينفعهم ، من أجل ذلك لا يستغرب إذا علمنا أن الانجليز لما غادروا الهند كان عدد الأميين فيها قد أصبح ثمان وثمانين من المائة من مجموع أربعمائة مليون نفس ، أما الذين يستطيعون قراءة شيء من لغاتهم المحلية فكانوا نحو اثنى عشر بالمائة والذين تعلموا شيئاً من الانجليزية اثنين بالمائة فقط ، ويستطرد فيقول : فالجهل هو أحد أوجه التراث الذى يخلفه الاستعمار فى كل بلد ، هذا إذا اضطر إلى أن يغادر ذلك البلد.على أن الأمية كانت أكثر تفشياً بين المسلمين منها بين غير المسلمين ، ولما استولى الانجليز نهائياً على الهند أخذوا يقضون على عناصر القوة وعلى مظاهر القوة فى الهند ، ثم حاولوا أن يخضعوهم لمناحى حياتهم تماماً كما يفعل كل مستعمر ، وقضوا ما استطاعوا على الحركة الثقافية وفرضوا على الموالين لهم من أهل البلاد تعليما إنجليزياً استعمارياً ، قد ابتعد المسلمون فى الهند عن التعليم بعاملين أولهما : أن الانجليز أخذوا يزودونهم عن العلم حتى يغمرهم الجهل فيغفلوا عن ماضيهم ويفقدوا إدراكهم بقيم الحياة الحرة ، والمسلمون فى الهند كانوا أشد سكانها مقاومة للانجليز . ثانياً : كان كره المسلمين أنفسهم للعلم الذى جاء به الانجليز لأنه علم غربى أجنبى ولقد كان لهذه السلبية أسوأ الأثر فى المسلمين فقد غرقوا فى جهل بعيد القعر وخسروا الجزء الأوفر من نفوذهم السياسى ولكن سلبية المسلمين لم يكن مقدراً لها أن تطول وأشار إلى ذلك أحمد خان الذى أدرك أن انكماش المسلمين عن العلم مضر بهم فحثهم على طلب العلم الغربى وإلى تعلم اللغة الإنجليزية ثم أسس جامعة عليكرة ... الخ ومع ذلك فقد ظل المسلمون متخلفون فى مضمار العلوم نحواً من خمسين سنة عن الهندوس وكان تأخرهم فى الحياة السياسية على مقدار ذلك ». وقد عمد أحمد خان فى تنمية كلية عليكرة إلى جمع التبرعات من المسلمين من مختلف الأنحاء « ولم يكن ليترك باباً من أبواب سراة المسلمين بل أبواب فقرائهم إلا طرقه مستنداً الأكف لهذه الجامعة » . وكان أحمد خان قد أعلن أن أسباب ما حل بالمسلمين من ضعف وتخلف إنما يرجع إلى أنهم لم يتعلموا العلوم الحديثة واللغة الإنجليزية «لغة الغزاة» ، وقد استجاب له كثير من المسلمين وأطلق عليه اسم المنقذ الأعظم وقدر البعض أنه لولاه لانقرض المسلمون نهائياً . وان عارضه جمال الدين الأفغانى وعدد من الفقهاء والعلماء ، عارضوه فى آرائه لا فى عمله التعليمى لما عرف عن آرائه ومنحاه فى تفسير القرآن ويرى العلامة محمد اسماعيل الندوى (الذى انتفعنا بأبحاثه المتعددة فى هذه الدراسة)أن جمال الدين الذى ألف كتاب (الرد على الدهريين) فى مواجهة

ما أذيع عن أحمد خان ، لم تتح له فرصة طيبة ليطلع على الدعوة التى قام بها «وأن أحمد خان كمصلح دينى يذود عن كيان الدين تلك الحملات الفكرية الصليبية ولم ترقه الكتب التى وضعها المستشرقون مثل وليم موير وغيره من الذين طعنوا فى الإسلام وصاحب الشريعة وتعاليمه ، وقد صنف فى الرد عليهم بالأردية ، وقد أنكر الندوى ما ترددمن أن هناك صلة ما بين دعوة أحمد خان وبين دعوة القاديانية ، وكل ما وجه إلى أحمد خان أنه خالف دعوة الجهاد ضد الانجليز وكان هذا رد فعل لنزعة العلماء الذين أفتوا بأن الهند دار كفر وعند الندوى أن مسالمته للإنجليز كانت لمصلحة المسلمين وترقية أحوالهم وهو يشبه فى ذلك الشيخ محمد عبده » ، ويذكر فى هذا الصدد أن أحمد خان رد على كتاب مسلمى الهند الذى ألفه أحد المستشرقين بكتاب (أسباب العصيان الهندى) وضح فيه للبريطانيين فداحة الأخطاء التى إرتكبوها فى الهند وأبان عن مسئولياتهم وانعدام الاختلاط الاجتماعى بين الحكام والمحكومين وتدخل الحكومة فى الشئون الدينية تدخلا غير مرغوب فيه . ويرى بعض الباحثين أن الانجليز قد استطاعوا أن يكسبوا إلى صفهم طائفة ممن يتسمون بسمة الإسلام وقد أتاحوا لهم من من الشهرة ما يجعل لآرائهم مكانة وأن هؤلاء قد حرفوا مفاهيم الاسلام الأصلية بما تخدم مصالح بريطانيا ، وأن هؤلاء قد حملوا لواء الدعوة إلى الدهرية والطبيعية فكانوا أعواناً للانجليز فى إفساد العقيدة الإسلامية وأن دور الدهريين كان أخطر من دور المبشرين الذين هاجمهم الناس وأنكروهم . ويصل هؤلاء الباحثين أحمد خان بهذه الفئة وقد جعلوا من إنشاء جامعة «عليكرة» وسيلة إلى بث هذه الآراء . وأحصوا عليه ما ردده فى تفسيره للقرآن من أمور أهمها تهوينه من فرض القتال على المسلمين والتقليل من شأنه تحت ستار التسامح الإنسانى والتعاون العالمى وكذلك ما يتصل برأيه فى نفى المعجزات . ومن هنا كانت حملة جمال الدين عليه وكان ما قيل من أن آرائه كانت تمهيد لظهور المذهب القاديانى ، ولابد أن يكون لما ورد من ذلك أثر ما ، غير أنه لابد من الاحتياط فى تقدير اختلاف النظرة الجذرية فى موقف جمال الدين من الانجليز وموقف أحمد خان منهم . فالأفغانى رجل ثائر وخصم عنيد لبريطانيا وحامل دعوة تنكيس أعلام بريطانيا فى كل مكان يذهب إليه ، أما أحمد خان فهو مصلح قد اقتنع بأن مصلحة المسلمين الهنود اتخاذ خطة مسالمة مع البريطانيين حتى يستطيعون البقاء والنهوض ،ولا شك أن ماصنعه أحمد خان كان بعيد الأثر وإن كان ذلك لا يمنع من المؤاخذة على تطرفه فى بعض الآراء ، وإن كانت كليــة عليكرة قد

صححت بعد ذلك مناهجها حتى لا تصادم القيم الأساسية للفكر الإسلامى . ويبدو أن اليقظة الإسلامية فى الهند كانت مضطرة إلى أن تأخذ طابعاً معيناً اختلف شيئاً ما عن طابع اليقظة الإسلامية العربية وفى ذلك سبيل السماح لها أن تنطلق من تحت مدافع البريطانيين . ذلك أن بريطانيا والاستعمار جملة كان حريصاً على أن يقوض روح الإسلام فى المسلمين الهنود ويحل محلها طابع الذلة والفقر والجهل جميعاً ، فى شماتة وحقد بالغين ، وقد أشار إلى هذا (ك. ك. برج) فى كتاب وجهه الإسلام حين قال : «وأخذ المسلمون يتقهرون بانتظام حتى ألقوا أنفسهم فى منزلة من الانحطاط والمهانة ، ذاقوا ذل الحقيقة المرة وهى أنهم بعد أن كانوا سادة الهندوك منذ ستمائة سنة أصبحوا كالهنود رعية (للانجليز) » . وقد تمثلت هذه الضربات فى جعل اللغة الانجليزية لغة التعليم ، وإبطال قانون العقوبات وإلغاء القضاة الذين كانوا يطبقون الشريعة . ووجد المسلمون أن جاههم ولى وأن قوانينهم زحزت عن مكانها وأن لغتهم أهملت جانباً وأن تعليمهم فقد قيمته . ثم وقعت ضربات أقوى .... انتهت بمحو آخر ما بقى من مظاهر حكم المغول وبمصادرة أملاك المسلمين مصادرة واسعة النطاق ، هذه النكبة الأخيرة أنزلت المسلمين إلى أسفل درك من الكبرياء المثلوم واليأس القائم مما لاح أنهم لا يقدرون على الخلاص منه » . نعم بهذه اللهجة الحاقدة السيئة يتحدث مستشرق عن صورة الاحتلال البريطانى للهند ثم هو لا يتوقف عند هذا الحد بل يهاجم علماء المسلمين ويصفهم بالتعصب لأنهم أنشأوا جماعة «الرجوع إلى القرآن» ورفضوا — ما أسماه — الفرص التى أتاحها لهم الانجليز لتحصيل العلم الأوربى » . ولكن (ك. ك : برج) لم يكن منصفاً وتحمل شعاراً واحداً هو :لم يقل كل الحق ، فقد واجه المسلمون الاحتلال البريطانى بارادة صلبة وقوة وكرامة . ولم تتوقف حركات المقاومة منذ يوم الاحتلال ، واستمرت برغم كل ما فعلته بريطانيا من مجازر ومن وقيعة بينهم وبين الهندوس ، ومن تسييد الهندوس عليهم رغبة فى إذلالهم بحسبان أنهم كانوا هم الحكام والأمراء ، وكانت كل الحركات والجماعات والجهود التى قامت على أثر انقضاض بريطانيا تحمل شعاراً واحداً هو «الرجوع إلى القرآن» . وإن المسلمين حين رفضوا العلم فى مدارس الإرساليات التبشيرية البريطانية كانوا كراماً على أنفسهم لأنهم أنشأوا مدارسهم بنقودهم القليلة ، ولم يقفوا عند المدارس وحدها بل أنشأوا الكليات ثم برزت جمعياتهم من تحت حراب الاحتلال . فكانت جمعية علماء الهند فى امبالا وفى البنجاب ولها فروع فى مختلف البقاع مهمتها المزدوجة هى (١) ، مكافحة حركة (اريا سماج) التى شجعها البريطانيون بالدعوة إلى تخليص الجنس الآرى وهى حركة

تدعو إلى الوثنية القديمة وهى شبيهة بالدعوات التى أثارها الاستعمار فى مصر بالفرعونية وفى لبنان بالفينيقية وفى المغرب بالبربرية (٢) إرسال مبشرين يعلمون المسلمين المتأخرين : وبرزت أيضاً جمعية (حماية الاسلام) فى كل مدينة تعنى بتعليم المسلمين (ومركزها فى لاهور) وتعمل على دحض الافتراءات والشبهات الموجهة للإسلام والعناية بأيتام المسلمين : وعدا هذا عشرات من الجماعات والمدارس والمعاهد (الجامعة العثمانية ، الجامعة الملية ، دار العلوم ، ندوة العلماء ، مدرسة ديبوند) ولم يكن أحمد خان وحده ولا كلية عليكره وحدها هى مصدر اليقظة ولكنها كانت عملا مشاركاً لأعمال أخرى كثيرة وكان إيمان زعماء الجماعة الإسلامية فى الهند فى مواجهة الاستعمار البريطانى منصباً على قاعدة أن (التعليم أول ما يلزم كل إنسان) وهى نفس القاعدة التى دعا إليها محمد عبده فى مصر بعد الاحتلال البريطانى . ولقد كانت بريطانيا حريصة على أن تقضى على الاسلام كأساس إبقاء لنفوذها فى الهند ، وذلك بالقضاء على علماء المسلمين أو تحويلهم عن القيم الأساسية لمفاهيم الإسلام الجوهرية وخاصة مفهوم الجهاد وترابط الدين والمجتمع ، ويحفظ المسلمون الهنود فى هذا قول لورد النبرو : «إن العنصر الإسلامى عدو أصيل العداوة لنا وأن سياستنا الحقة ينبغى أن تتجه إلى تقريب الهندوس» ومن هنا فلما بدأت اليقظة الإسلامية واستشرت عمد الاستعمار البريطانى إلى أن يحول بينها وبين كمال دورتها وانطلاقها ، واستطاع أن يحجب قادة المسلمين الذين فهموا الاسلام فهماً صحيحاً ، عن مكان الصدارة والقيادة . وكان من أهم الظواهر فى هذا الشأن أن الذين حملوا لواء الرابطة الاسلامية «كانوا ممن تخرجوا من الكليات العصرية ولم يكن لهم سابق علم ولا معرفة بالإسلام ومبادئه ونظمه الخالدة». ومن هنا لم يتصدر للقيادة السياسية أصحاب المفاهيم الاسلامية ، وشأن الهند فى هذا شأن جميع السياسيين الذين تصدروا بعد الحرب العالمية الأولى فى أندونيسيا وفارس وتركيا وأفغانستان والعالم العربى . والمعروف أن الاستعمار فى الهند - كما فى مصر وغيرها قد حرص على الفصل بين التعليم الدينى والتعليم المدنى وحال دون اندماجهما وبذلك خلق «ثنائية ثقافية» أدت إلى الصراع الفكرى والنزاع التربوى وقد أتاح لأصحاب العلم المدنى الوصول إلى المناصب القيادية بينما جمد الآخرين . غير أنه فيما عدا قطاع السياسة فقد ظل المجتمع الإسلامى مؤمناً بمفهوم الإسلام متكاملا قوياً فى أخص خصائص جوهره . وقد تبلور هذا التيار واتسع فى الحركة الثقافية التى تمثل المدرسة الوسطى والتى فهمت الإسلام متكاملا

بقيادة شبلى النعمانى وحافظ نظير ومحمد حسن ازاد وأمير على وسيد الطاف حسين وكانت كتاباتهم (شعراً ونثراً) دعوة إلى انهاض الاسلام والكشف عن سر الأزمة التى أخرت المسلمين . وتوصف قصيدة (مد الاسلام وجزره) التى نظمها سيد الطاف بأنها من قمم هذه الدعوة إلى التحرر والمقاومة من مفهوم الإسلام : فقد دعت المسلمين إلى اطراح الاستسلام والإيمان بأن إرادة الله تدفع المسلم إلى العمل والمقاومة ، ورددت مفهوم القرآن فى دعوةالمسلمين إلى الحرية والكبرياء والكرامة . وهذا هو الخط الذى نماه أمير على فى كتابه المشهور « روح الإسلام » وتابعه (خدا بخش) ثم بلغ قمته فى أعمال « محمد إقبال » . ويدور مفهوم النهضة عند هذه المدرسة حول « تنقية » الإسلام من الشوائب والتماس « أساسيات الإسلام كما أوحاه الله فى القرآن ، فالإسلام ليس جامداً ولكنه قادر على مسايرة العصور والحضارة ، وعلى المسلمين أن يحتفظوا بقيمهم الأساسية ثم يحصلوا علم أوربا » وكان لجمعية أهل الحديث دورها فى هذه الحركة ، فقد عملت عن طريق مدارسها ووعاظها وصحفها على تطهير الإسلام فى الهند من المفاهيم الوثنية ، وكانت جماعة « أهل القرآن » تدعو إلى تأكيد قيمة القرآن أساساً ، وقد دحض هؤلاء جميعاً الآراء الخاطئة التى رددها خصوم الإسلام بغية القضاء على مقومات العزة والقوة فى نفوس المسلمين ، ومن رأى « أمير على » أن الإصلاح يجب أن يسبقه التعليم وتحرير العقل من القيود وهو من المؤمنين بأن للإسلام قدرة على صبغ ما عداه بصبغته . أما العلامة « خدا بخش » فيرى أن الإسلام يجب أن يدافع عن نفسه أمام الغرب بنفس الأسلحة التى صاغها الغربيون وعلى المسلمين أن يستفيدوا من أساليب التعليم والثقافة وطرق الغرب فى البحث ليجعلوا ذلك فى خدمة تقدمهم وهو من المؤمنين بأن روح الإسلام الحقيقى قادر على الوفاء بمقتضيات الزمان والمكان ومفتاحه وحدانية الله وشعاره الأخوةالإنسانية

وقد بلغ محمد إقبال غاية القوة والعمق فى الدعوة إلى إيقاظ المسلم وشجب نزعة (الجبرية التى سادت من خلال استشراء فهم خاطئ للتصرف ، ويعد « إقبال » رمزاً على المثقف المسلم الذى أتيحت له فرصة إحراز أرقى الدرجات ، والرحلة إلى الغرب والإقامة فيه ، دون أن يقضى ذلك على روحه المسلمة العميقة الإيمان بالله وبالإسلام . ويرى إقبال فى الإسلام « المثل الأعلى » الذى لو تحقق تماماً لأوفى بكل مطالب الإنسان فى هذه الحياة وفى الحياة الأخرى . وإذا كان (أمير على) قد حقق بمحاولته الضخمة فى كتاب (روح الإسلام) أن يكشف عن جوهر الإسلام على نحو يبنى المجتمع المسلم ، فإن (إقبال) قد عنى ببناء الفرد المسلم كأس

لبناء المجتمع وعنده أن الفكرة الأساسية الإسلامية هى إقامة أُخوة شاملة بين الناس ، غير أن انتصار الغرب السياسى الذى لم يكن متوقعاً وأن ما طبعه من طابع امبراطورى ، قد عاق تحقيق فكرة إقامة الأُخوة الشاملة بين الناس ، ويرى إقبال أن الخطر العظيم الذى يهدد الإسلام هو روح العصبية فى الشعوب ، تلك الروح التى لها دلائل كبيرة فى معظم البلاد الإسلامية ، « فالفرس الذين دعتهم عصبيتهم إلى الانحراف عن جمهور المسلمين طالماافتخروا بما كان لهم من تاريخ قبل الإسلام ، كما اشتد الشعور الجنسى فى تركيا ومصر حيث أخذ الناس يفخرون بتاريخهم الوثنى القديم بخرافيته وفراعنته . ويرى إقبال « أنه ليس فى الإسلام قوميات ولا هو نزعة امبراطورية بل هو « جمعية أمم » تعترف بالحدود الصناعية والفروق الجنسية لسهولة الإشارة فحسب لا لتضييق الأُفق الاجتماعى » . وقد طفق إقبال منذ عام ١٩٠٨ حتى وفاته يردد فى شعره أن تعاليم الإسلام المستمدة من القرآن هى وحدها التى فى استطاعتها اعادة الحياة إلى المسلمين ، كما دعا إلى العمل والحركة فى بناء الحياةوالارتفاع بالإنسان ، والإخاء الإنسانى والتوحيد والإيمان بالذات . وقد حملت دعوته أساس مقاومة الجبرية التى تأثر الإسلام بها حين اتصل بفلسفة البراهمة وبالمذاهب الفلسفية المنحرفة كوحدة الوجود والحلول والاتحاد مما كان سبيلا إلى ضعف المسلمين وهزيمتهم وتواكلهم . وسيطرة الاستعمار الغربى عليهم . وعنده أن العمل واليقظة والقوة هى من مقومات الإسلام أساساً قبل أن تكون من أدوات الحضارة المدنية . ومذهب « الذاتية » فى فلسفة إقبال يعنى : « الروح المنشىء الذى أودعه الله الإنسان وجعل العمل والدأب أساسه وقد دعا إلى نمو الذات بالسعى والعمل الذى لا ينقطع فى سبيل تجديد الحياة والقوة والقدرة على التحرر من تحكم الغير . كما دعا إلى أُخوة الإسلام . ومن أبرز القضايا التى حمل لواءها : الدعوة إلى إنشاء باكستان ، إيماناً بأن أساس الحياة فى المجتمع الإسلامى يختلف عن أساس الحياة فى المجتمع الهندوكى . ومما يضع العلاقات الأساسية لاتجاه « إقبال » العبارة التى صكت أُذنه حين قال له والده : « اقرأ القرآن كأنما أُنزل عليك » فهو يرى فى القرآن أعمالا وحقائق ، ويعتقد أن كل آية تنطوى على حركة وحياة تدفع المسلمين إلى الأمام ، وأن الإسلام كشف القناع عن أسرار الكون ، ولذلك فلا ضير أن يأخذ المسلمون الحضارة الحديثة « فإنها ليست سوى ازدهار لبعض الجوانب الهامة فى الفكر الإسلامى . هذا الفكر الإسلامى الذى حمله الأُوربى ونماه حتى يسيطر على الطبيعة بينما تخلى عنه المسلم وعاد إلى الاستكانة مع تصوف البوذية

وجبرية البرهمية » ويقول إقبال : إن النبي محمد هو روح الثقافة الإسلامية ، هذا النبي العظيم يبدو أنه يقوم بين العالم القديم والعالم الحديث فهو من العالم القديم باعتبار مصدر رسالته ، وهو من العالم الحديث باعتبار الروح التى انطوت عليها ، وأن مولد الإسلام هو مولد الاستدلال العقلى القائم على الاستقراء . وقد وقف إقبال ضد نظريات الحلاج وابن عربى وهاجم الرياضيات الصوفية وقال : إن قصد الرسول هو إنشاءُ أُمة صاحية ، ويؤكد أن الأُمة الإسلامية لم تتأخر ولم تتراجع إلى السلبية القاتلة إلا بعد انهيار سلطانها السياسى ودخول التيارات القرمطية والفارسية بمختلف أقطاها الداعية إلى الهرب من الحياة والداعية إلى قتل الذات وإفنائها ، وكل أُمة يصيبها ضعف كالأُمة الإسلامية تتبدل أنظارها وتحمل الاستكانة فى أعينها وتركن إلى ترك الدنيا وفى ترك الدنيا تخفى ضعفها وهزيمتها فى تنازع البقاء . وعنده أن النظرات التشاؤمية قد استمدت زادها من الفلسفات اليهودية والمسيحية ، وأن هذه الفلسفات كانت مصدر كل تشاؤمية جبرية قاتلة لكل مفاهيم الحرية والإرادة والإيمان الصحيح بالله والحياة « فإذا درسنا القرآن نجد أنه صحح المفاهيم التى أخطأ النظر فيها قارئو العهد القديم والجديد حين أوضح أن الله سبحانه جعل الأرض مستقراً ومتاعاً ومكاناً للسعى وتمكيناً للمعاش ولم يجعلها لعنة أو ساحة تعذيب سجنت فيها البشرية الشريرة العنصر بسبب ارتكابها الخطيئة ، فإن المعصية الأُولى للإنسان تدل فيما تدل على أنها أول فعل تتمثل فيه حرية الاختيار والإرادة ، ومن هنا كانت المسئولية ، لهذا تاب الله على آدم وغفر له » .

ومن هنا كانت نظرية إقبال هى توكيد الذات فى هدم نظرية وحدة الوجود بكل مفاهيمها المنفصلة عن روح التوحيد .

— ٣ —

بدأت الحركة الوطنية لتحرير الهند فى أحضان الحركة الإسلامية ، وقد أزعجت الاستعمار البريطانى هذه الخطوة فعمد إلى القضاء عليها بأُسلوب غاية فى المكر والبراعة نحا بها المسلمين عن قيادة الحركة الوطنية وأسلمها إلى الهندوس وأجراها على الأُسلوب الذى أراده . فالاستعمار البريطانى الذى سيطر على الهند بعد ثورة ١٨٥٧ التى قادها المسلمون كان حريصاً ألا يتحقق للمسلمين السيطرة على الهند التى ظلت تحكم الهند أكثر من خمسمائة عام مرة أُخرى بعد أن أسقط دولتهم والمعروف أن المسلمين قاطعوا مدارس الاحتلال وعزفوا عنها حتى أُتيح لهم إقامة نهضة تعليمية داخل إطار دينهم وثقافتهم وذلك بإنشاء عدد من المعاهد جاءت فى مقدمتها

الكلية المحمدية الإنجليزية التى أقامها أحمد خان وأطلق عليها من بعد كلية عليكره . ثم تعددت الجامعات والمعاهد فى لاهور ولكنو ولم تلبث أن حققت تقدماً واضحاً فى هذا المجال ثم اتجه إلى العمل لتحرير الهند فألفت الجمعية الإسلامية العامة فى لكنو (بومباى) وكان يشرف على أعمالها أكابر المسلمين فى الهند : (أغا خان وفاصل حسن ومظهر لحق الهادى) مطالبين بحقوق المسلمين الهند كوطنيين ، بدأ ذلك عام ١٩٠٧ واتسع وتعمق بإنشاء جمعية عامة تشرف على أعمال الأحزاب السياسية بقيادة شيخ المسلمين فى الهند مولانا محمودالحسن. وقد استمرت تعمل فى الخفاء عشر سنين وإليها يعود الفضل فى يقظة المسلمين السياسية فى الهند . وكان الهندوك قد أعلنوا إنشاء المؤتمر الوطنى العام ، وسموه المجلس المللى الوطنى الهندى العام وكانت غايته كما أشار تقرير (عبد العزيز الثعالبي) (١) أن ينالوا حقوقاً سياسية تخولهم السيادة على الأقليات (وهم لا يريدون من كلمة الأقليات غير المسلمين) وفى عام١٩١٦ تنبهت حكومة الاحتلال إلى حركة الجمعية الإسلامية فأوعزت إلى محمود الحسينى أن يغادر الهند وقبض على أعوانه : أبو الكلام أزاد ، حسرت مهانى ، ظفر الله خان ، محمد على ، شوكت . ولما عقدت الهدنة فى ١١ نوفمبر ١٩١٨ أعلنت الحكومة البريطانية استعدادهالإجراء اصلاحات فى قانون الهند فاتفق الفريقان (المسلمون والهندوس) على عقد مؤتمراً فى الكنو يجتمع فيه زعماء الفريقين وفى عام ١٩١٩ أطلقت الحكومة من المسجونين السياسيين المسلمين فاجتمع زعماؤهم فى لكنو بدعوة مولاى عبد البارى . رئيس علماء افرنجى محل ، فتداولوا فى تأسيس جمعية اسلامية لتنظيم مطالب الاستقلال ، وكان قد ظهر فى هذا الوقت تآمر الدول الكبرى مع تمزيق شمل الدولة العثمانية ، فأطلق على هذه الجماعة (جمعية انقاذالخلافة من مخالب الأعداء الطامعين) . وتأسست جمعية الخلافة فى بومباى (١٨ فبراير ١٩٢٠) برئاسة غلام محمد فتو ، ميان محمد حاجى خان ، ودخل فى عضويتها الزعماء المسلمون المعروفون فى الهند ، ودعت اللجنة المسلمين إلى جمع الإعانات للدفاع عن حوذة الخلافة فأقبل بسخاء وجمع مالا يقل عن سبعة عشر مليون روبية إلى أضعاف ذلك . يقول : عبد العزيز الثعالبي فى تقريره : كان (غاندى) إلى تلك الآونة غير معروف فى الهيئات السياسية فى الهند وكان متطوعاً فى فرقة تمريض الجنود ، ولما انتهت الحرب وانفصل عنها ، كانت جمعية الخلافة فى بدء تأليفها فأقبل عليها . . . وكان اسمه غير معروف إلا بين الأفراد القلائل الذين عرفوه فى الناتال وجنوب أفريقيا فتيامن به زعماء المسلمين رغم تحذير الملولوى

(خو جندى) وكان على صلة به من قبل ويعلم من أمره مالا يعلمون وبالأخص من ناحية تعصبه للهنادكة مع المسلمين . وشاءت الغفلة أن تنطوى هذه الحركة العظيمة على يديه ، فقعد فى جمعية الخلافة مقعد الناصح الأمين وجعل يشير عليها باستئلاف الهنادكة فقبل الأعضاء نصحه عن حسن نية وندبوه للسعى إلى ذلك . فقام وطاف الهند على حساب الجمعية يدعو إلى الوفاق . ويقول المطلعون على خفايا الأمور أنه كان يتصل بالهنادكة ويتآمر معهم معهم على شل الحركة الإسلامية ، ولما عاد من الرحلة سعى فى اقناع جمعية الخلافة بالانضمام إلى الكونجرس (المؤتمر الوطنى) الذى تأسس لملاحقة المسلمين وانتزاع حقوقهم فى الهند ، فانضمت إليه جمعية الخلافة وتبعتها بقية الأحزاب الإسلامية المعروفة ارتكاناً على الثقة بغاندى ، وعقد الكونجرس اجتماعاً فوق العادة بعد انضمام المسلمين إليه فى مارس ١٩٢٠ فى بلدة باكبور حضره ٢٥ ألف مندوب أكثرهم من المسلمين ولما تلى عليهم القانون الأساسى اقترحوا تعديل المادة التى تقول بإصلاح حالة الهند إلى عبارة (استقلال الهند) فوافق على ذلك المؤتمر ، وشرعت الأحزاب الهندوكية منذ ذلك اليوم تطالب بالاستقلال التام طبق رغبة المسلمين وكانوا قبل ذلك لا يطالبون إلا بإجراء اصلاحات ، فارتاعت الحكومة (البريطانية) لهذا التغيير وعدته فاجعة فى سياسة البلاد وعلى أثره ألقت القبض على الزعماء وزجتهم فى السجون . (واجتمع قادة الحركة) وعرض أبو الكلام أزاد اقتراحاً باسم الأعضاء المسلمين يتضمن إعلان الأمة الهندية بأن الحكومة الحاضرة غير مشروعة ، مع دعوة البلاد إلى مقاطعتها فوافقت الجمعية وانعقد على أثره (مؤتمر جمعية الخلافة) فأعلن موافقته أيضاً بالإجماع ، وبعد أن جرى تصديق المؤتمر على قرار المقاطعة قام غاندى خطيباً وقال : إن اتحاد الهنادكة يبقى متيناً ما لم يشرع المسلمون فى مناوءة الحكومة ويشهروا السلاح فى وجهها ، ورد عليه أبو الكلام ازاد فقال : إن كان غاندى يتصور أن أعمال المسلمين فى الهند لا تقوم إلا على مساعدة الهنادكة فقد آن أن يخرج هذه الفكرة من دماغه وليعلم أن المسلمين لم يعتمدوا قط على أحد إلا على الله وعلى أنفسهم .. وشرعت الأمة الهندية عقب ذلك فى مقاطعة الحكومة وإظهار العصيان المدنى فامتنعت عن دفع الضرائب والرسوم وتخلى المحامون عن الدفاع أمام المحاكم ، وأعاد أصحاب الرتب النياشين والبراءات للحكومة ، وأحرق التجار المسلمون جميع ما فى مخازنهم من البضائع الإنجليزية ، وترك المسلمون الموظفون مناصبهم فى الحكومة فحل الهنادكة محلهم ، وهاجر عدد كبير من أكابر المسلمين إلى الأفغان بعد أن تركوا

أملاكهم وأرضهم فى الهند واشتدت المقاطعة فى البنغال اشتداداً عظيما ليس له مثيل فقد امتلأت سجونها بالمقاطعين من المسلمين ، حتى إذا أعيي الحكومة أمرهم صارت تقبض كل يوم على ألف شخص فى الصباح وتطلقهم فى المساء ، لأن السجون لم تعد تسع المعتقلين . وخطب اللورد ريدنج (الحاكم العام) فى كلكتا فقال : إننى شديد الحيرة من جراء هذه الحركة ولست أدرى ماذا أصنع فيها . ومن هذا السياق تستطيع أن تتصور قوة المسلمين فى الحركة الوطنية وضعفها فى الهندوكية ولا شك أن الهندوكى بالغ ما بالغ من النشاط السياسى لا يستطيع أن يجابه الحكومة كما لا يستطيع أن يحارب المسلمين إلا بسلاح الدس . وقد اجتمع الزعماء عام ١٩٢١ وأعلنوا استقلال الهند استقلالا فعلياً وعينوا ولاة الولايات وحكام المقاطعات وقضاة المحاكم فى جميع المدن ، فكان الوطنيون يرفعون قضاياهم أمامهم ،ويتجاهلون محاكم الحكومة . وبسبب ذلك تعطلت أعمال الحكومة والبوليس وحدث ارتباك شديد فى الدوائر العالية بالهند ، غير أنها بدلا من أن تستعمل القوة القاهرة لكفاح الشعب الأعزل لجأت إلى المناورات السياسية وهى أشد خطراً وكان بطل هذه الحركة المهاتما غاندى زعيم الهند . فقد اتفق اللورد ريدنج مع غاندى على حل الوفاق القومى بين المسلمين والهندوك . وقد أذيع الحديث بواسطة المصادر البريطانية عقب ستة أشهر ، فقد نقل أن اللورد قال لغاندى : إن مصدر الحركة الاستقلالية فى الهند المسلمون ، وأهدافها بأيدى زعمائهم فلو أسرعنا وأجبناكم إلى طلباتكم وسلمنا لكم مقاليد الأحكام ، ألا ترى أن مصائر البلاد آيلة للمسلمين ، فماذا يكون حال الهنادكة بعد ذلك . هل تريدون الرجوع إلى ما كانوا عليه قبل الاحتلال البريطانى . وهل تفيدكم يومئذ كثرتكم وأنتم محاطون بالأمم الإسلامية من كل جانب وهم يستمدون قوتهم منها عليكم .. إذا كنتم تريدون أن تحتفظوا لأنفسكم باستقلال الهند فعليكم أن تسعوا أولا لكسر شوكة المسلمين وهذا لا يمكنكم بغير التعاون مع الحكومة ، وينبغى لكم أيضاً تنشيط الحركات الهندوكية للتفوق على المسلمين فى جميع الأعمال الحيوية وفى بلوغكم الدرجة المطلوبة فإنى أؤكد لكم أن حكومة بريطانيا لا تتمهل فى الاعتراف لكم بالاستقلال . وقبل انصراف غاندى أوعز اللورد إليه أن يشير على (مولانا محمد على) كتابة تعليق على خطاب كان ألقاه فى مؤتمر الخلافة وحمل فيه على الحكومة حملة عنيفة ، يقول فيه : « إن ما فهمته الحكومة كان مخالفاً لمرادى » فصدع غاندى بالأمر ودعا محمد محمد على لكتابة هذا البيان بعد أن أفهمه أن الكتاب سيكون سرياً لا يطلع عليه أحد غير

اللورد ، فكتب البيان تحت التأثير السحرى الذى كان لغاندى عليه وما كاد الخطاب يصل إلى اللورد حتى أذيع فى جميع أقطار الهند بعد أن صدرته الحكومة بمقدمة قالت فيها : « إن محمد على تقدم إلى الحكومة يطلب منها العفو عن الهفوة التى ارتكبها » واتهم محمد على من المسلمين بالتراجع ورمى بالخور والضعف ، غير أنه لم يحاول أن يصحح موقفه إلا حين عقد مؤتمر الخلافة فى كراتشى (أغسطس ١٩٢٠) حين أعلن سياسة المناوأة للحكومة لا موالاتها فتلقى منه الهنادكة والمسلمون هذا التصريح بالارتياح التام ، ولكن عقب انفضاض المؤتمر أمرت الحكومة باعتقاله مع ستة آخرين منهم : شوكت على ، حسين أحمد ، كثار أحمد ، بير غلام محمد ، الدكتور سيف الدين كتشلو ، وساقتهم جميعاً إلى المحكمة الخصوصية للمحاكمة فرفضوا الاعتراف بالحكومة وهيبة المحكمة عملا بقرار المؤتمر السابق وامتنعوا عن الدفاع عن التهم ، ولكن المحكمة أدانتهم بمجرد الاتهام وحكمت عليهم بالحبس عامين مع الأشغال الموجهة إليهم ، وبعد الحكم أصدر محمد على وسيف الدين كتشلو منشوراً بتوقيعهما يخاطبان فيه الشعب وينصحانه بعدم الاهتمام بما حصل ويعدان بأن الزعماء المعتقلين سيحضرون اجتماع الكونجرس القادم فى ديسمبر بمدينة أحمد أباد سواء رضيت الحكومة أم كرهت ، لاعتقادهما أن الكنجرس سيعلن بصفة رسمية استقلال الهند وتأليف حكومة وطنية هى التى ستقرر الإفراج عنهم ، ولكن الحكومة لم تأبه لهذا المنشور لأنها كانت واثقة أن الكونجرس لن يفعل . ولما عقد اجتماع الكونجرس (ديسمبر ١٩٢٠) حضر غاندى وقال بما أن الزعماء معتقلون ولا سبيل للمداولة معهم فى منهاج أعمال المؤتمر ، فأقترح عليكم تعيينى ديكتاتوراً للمؤتمر وتخويلى السلطة المطلقة لتنفيذ ما أراه صالحاً من الإجراءات فوافقته اللجنة على ذلك دون أن تنتبه إلى ما كان يضمره هو من المقاصد التى قد لا تتفق مع خطة المؤتمر ، وتقرر فيها أيضاً اسناد رئاسة مؤتمر الخلافة إلى أجمل خان ، ومؤتمر مسلم ليك لحسره مهاتى ، وقبل اجتماع مؤتمر الخلافة قال غاندى للحكيم أجمل خان أن اعلان الاستقلال فى الظروف الراهنة غير مناسب وما زال حتى أقنعه بالعدول عن إعلان ذلك مع أن الزعماء المسجونين كانوا ينتظرونه بفارغ الصبر ، وكانت الحكومة تتوقع صدوره من أحزاب المسلمين بقلق شديد وماذا عساها تصنع لو تخلف غاندى عن الوفاء لها بوعده. وفى أغسطس ١٩٢١ اجتمع الكونجرس تحت رئاسة غاندى فى أحمد أباد فأعلن أن الوقت الذى يصرح فيه المؤتمر

باستقلال الهند لم يحن بعد ، فهاج الأعضاء وماجوا وعقب انتهاء جلسات المؤتمر انعقد مؤتمر الخلافة وتهيب الحكيم أجمل خان أن يثير عاصفة من قبل المسلمين ، فأمسك عن اعلان الاستقلال ، أما حسرت مهانى فقد أعلن فى مؤتمر مسلم ليك أن الهند تريد أن تعرب بواسطتهم عن إرادتها فى الاستقلال ، فعلى الهنود أن يشعروا اليوم بأنهم مستقلون وألا يعترفوا بقوانين الحكومة الملغاة فأمرت الحكومة بالقبض عليه وأودع السجن عشر سنين مع الأشغال ،وأجمعت الصحف الهندية على نقده ووصفه بالشدة ، وخفضت العقوبة إلى سنتين وعقب ظهور هذا الفشل العظيم فى سياسة البلاد اعترت المسلمين شكوك فى تصرفات غاندى واستيقنوا « بأن زعماء الهنادكة متفقون على ذلك فدب الانشقاق بين الطرفين » . هذا هو النص الذى أورده العلامة (عبد العزيز الثعالبى) عن دور المسلمين فى الحركة الوطنية الهندية وكيف قضى عليه وانهار مخطط الاستقلال ، ومن المعتقد أن هذا العمل كان أكبر مقدمات الدعوة إلى مطالبة المسلمين بكيان خاص لهم فقد بدأت من خلال ذلك حركة مقاومة خطيرة للكيان الإسلامى ، مرتبطة بحركة تبشير هندوكى وتبشير غربى بريطانى فى محاولة لاقتلاع الإسلام والقضاء على دعائمه .

وقد أشار عبد العزيز الثعالبى إلى ضخامة مخطط التبشير فى الهند عام ١٩٣٧ حيث توجد ٣٧٧ ارسالية تضم (٣٦٣٤) مبشر ، بإضافة إلى ٥٠ كلية و ٣١٨ مدرسة ثانوية و ٤٢١ مدرسة ابتدائية و ٢٧٠ مدرسة منوعة أخرى بالإضافة إلى ١٧٠ جريدة وصحيفة ونشرة تدار كلها لحساب الإرساليات التبشيرية الغربية . وقد بلغ حجم النفقات السنوية للإرساليات بالهند ٣٣١ و ٢٢٧ مليون روبية . وقد واجه المسلمون هذه الغزوات بإنشاء جمعيات التبليغ بفروعها المختلفة الإسلامية فى أنحاء الهند وذلك لصيانة عقائد الضعفاء من المسلمين والدعوة إلى الإسلام . وفى أعقاب هذه الحركات أخذت الدعوة إلى القومية الهندوكية طريقاً متطرفاً أحس المسلمون معه إلى حاجتهم الشديدة إلى تعميق مفهوم الرابطة الإسلامية .

يقول سعيد الندوى : « إنه فى الثلاثينات ظهرت حركتان وحزبان متناقضان : حركة تدعو إلى القومية الهندية المشتركة والإنضمام إلى حوزة المؤتمر الوطنى الهندى وحركة تدعو إلى القومية المسلمة ، وغير خاف على المسلم المستبصر ما فى الحركتين من خروج على الإسلام وخطر على مستقبله فى هذه الديار . فالقومية الهندية المشتركة كانت تريد إدماج المسلمين

فى حظيرة القومية الهندوكية تمهيداً للقضاء على الإسلام وشعائره فى هذه الديار . وكذلك القومية المسلمة المتطرفة فى المقاومة للقومية الهندية لم تكن أقل خطراً على الإسلام من ضرتها لأن القائمين بها والداعين إليها وإن كانوا من أبناء المسلمين يتسمون بسمة الإسلام ويصيحون ويصرخون باسمه فى المحافل والمنتديات ما كانوا يعرفون من الدين إلا اسمه ، وكان جل همهم أن يحصلوا على مملكة على طراز الجمهورية التركية الكمالية وأخواتها من الجمهوريات اللادينية فى الغرب وكان من نتائج خطتهم المعوجة أن كثر التبرج والاختلاط ، وجهز زعماؤها بالقضاء على آداب الإسلام وأخلاقه الذكية الطاهرة بالإضافة إلى ما كانوا يبدون من اعتزامهم تتبع معالم الغرب فى الحياة الاجتماعية والسياسية . ويمضى فيقول : ظهرت هاتان الحركتان المتعارضتان بعد سنة ١٣٥٠هـ (١٩٣١م) واشتد الخلاف بينهما بعد بضع سنين إذ بلغ الأمر بأنصار الحركتين أن جعلوا يتنازعون فى كل ناد ومجلس وأخذت صحف الحزبين تمعن فى التنابز بالألقاب وعنده أن الرابطة الإسلامية لم تكن على مستوى الأحداث فقد حشدت فى دائرتها كل غث وسمين من مطايا الاستعمار وأذناب الشيوعية وأتباع الكمالية من أبناء المسلمين وقال أنها ليست من الجماعة الإسلامية فى شيء وإنما هى جمعية للمسلمين الجغرافيين توحدت كلمتها وانتظم عقدها لمحاربة القومية الهندوكية والمؤتمر الهندى وقال إن بعض صحف الرابطة الإسلامية وأنصارها سخروا من الدعوة الإسلامية وفريضة إقامة الدين ».

ويمكن القول أن الرابطة الإسلامية كانت شبيهة بالأحزاب السياسية التى ظهرت فى العالم العربى فى نفس هذه الفترة وتحررت من كل علاقة بين السياسة والأخلاق أو بين الدين والمجتمع .

(٢) لم تتمكن باكستان من مواجهة الأعاصير لأنها عجزت عن أن تلتمس أسلوب الأصالة الإسلامية فقد كانت منذ نشأتها أملاً ضخماً من آمال المسلمين فى قيام دولة إسلامية على مبادىء الإسلام ولكنها وقعت صريعة النظام الغربى الذى فتح لها أبواب الصراع حول القومية والديمقراطية وفرق الدولة الواحدة نتيجة إلتماس الأسلوب الغربى فى مواجهة الأمور وإعلاء جانب الحكم فى البنجاب على حساب المحكومين فى البنغال ، ولقد عجز قادة باكستان وزعمائها منذ نشأتها فى أن يوجهوا الدولة إلى النظام الاسلامى وصباغة المجتمع منها صياغة إسلامية فسقطوا فى سراديب صراع القوميات والمذاهب مع التبعية للقانون الوضعى والمناهج الغربية ، بل ان بعض المراقبين يرى أن تمزق باكستان جاء نتيجة طبيعية للتنكر للإسلام

وإهمال مبادئه فى أسلوب الحكم والسياسة والوقوع فى شراك المذاهب والايدلوجيات القومية والديمقراطية . ولا ريب أن المنهج الإسلامى هو طريق النصر والسداد ولو إتخذ حكام باكستان أسلوب الإسلام لما حدث الصراع ولكن سمة الأصالة لم تلبث أن اختفت وظهر الطغاة الذين قادوا البلاد إلى الدخول فى حرب عاصفة مزقت وحدة باكستان ومكنت الهند فى مساعدة البنغال على الانفصال عن باكستان عام ١٩٧١ ولقد قامت الهند بخطوتها هذه فى سبيل سحق القوة الإسلامية بمساعدة الاتحاد السوفيتى العسكرية ولضمانته الدولية ، وقد قام الشيوعيون بهذه المغامرة ليس ضد باكستان فحسب ولكن لتركيز نفوذهم فى منطقة أقرب ما تكون إلى حدود الصين ولقد كان تركيب باكستان من جزئين يفصلهما بحر متلاطم من الهندوكية ينذر بخطر شديد ، غير أن أسلوب الحكم الذى لم يحرص على العدالة والتوازن هو الذى أوجد فى أيدى أصحاب الأغراض سلاحاً للخلاف والحرب فان حكام باكستان الذين أقاموا فى النبجات لم يعدلوا مع اخوتهم فى البنغال فباكستان الشرقية أصغر مساحة وأكثر سكاناً (مساحة البنجاب ستة أضعاف مساحة بنغال وتعدادها أقل عشرة ملايين) وكان معظم ما ينتج فى المنطقة يصرف فى الغرب وبذلك أصبح الشرق (البنجال) مباءة خطيرة للفقر وازدحام السكان ومن هنا نشأت فكرة الانفصال ووجدت عوامل كثيرة لانمائها فقد كان هذا الانحراف فى التعامل وجشع القادة فى البنجاب عاملاً خطراً فى بذر بذور الجفاء بين أبناء البنغال وأبناء البنجاب ثم جاءت محاولة قهر الراغبين فى الانفصال عن تحقيق غايتهم مما دعا إلى تدخل الهند ، فقد رفض حاكم باكستان تسليم السلطة إلى الحزب الذى حصل على ولاء البنغاليين ، فضلاً عن امتناع القيادة الحاكمة بالاعتراف باللغة البنغالية كلغة رسمية ، لقد كانت الثغرة القومية قد نمت حيث لم توجد الفرصة لإقامة إخوة اسلامية حقيقية ، وتعرضت اخوة الدين والعقيدة لامتحان خطير ولا ريب فى غياب المفاهيم الإسلامية أن ينتصر التيار القومى فى البنغال حتى لقد رفضت الدولة الجديدة النص على ارتباطها بالإسلام وما تزال تضطرب بين مفاهيم القومية والاشتراكية .

ولا ريب أنه إذا كانت عملية تقسيم باكستان خطة مدبرة ساهمت منها الدول الكبرى لاضعاف أكبر دولة إسلامية فان حكام باكستان يحملون وزراً شديداً لأنهم لم يتمسكوا باسلوب الاسلام الذى يحقق العدل والتكافل

والتكامل ويحول دون السيطرة والاستعلاء . لقد انفصلت بنغال عن باكستان فى غيبة الحكم الاسلامى وغيبة الحاكم المسلم الذى يطبق ما جاءت به الشريعة الإسلامية ولقد أدان المراقبون المخطط كله على هذا النحو : (أولا) : استشراء دعوة مجيب الرحمان إلى القومية البنغالية على حساب الوحدة الإسلامية . (ثانياً) تقصير الساسة الباكستانيين فى الجناح الغربى حيث لم يأخذوا بعين الاعتبار «حاجات وعواطف» الجناح الشرقى (البنغال) . (ثالثاً) استغلت حكومة الهند التى لم يرق لها قيام دولة منفصلة عن شبه القارة الهندية على أسس إسلامية الضعف والانحلال الذىأصاب الوحدة الباكستانية فساعدت على إيقاد نار الحرب بين الجناحين ورمت بثقلها إلى جانب الجناح الانفصالى فى باكستان الشرقية .(رابعاً) : لقيت مأساة الانفصال تأييداً كبيراً من الدول الغربية ومن الدول الشيوعية على السواء . يقول الدكتور مطيور رخمى : من المعروف أن الباكستان قد أسست على مبدأ إسلامى صريح فكان المأمول أن تصبح نموذجاً يحتذى به فى ممارسة الآخاء والعدل ، وان ما حدث إنما جاء نتيجة تراخى الحكام فى العمل بأحكام الإسلام الذى على مبادئه أسست دولة باكستان ، ويوجد فى باكستان صراع بين العناصر العلمانية وبين العناصر الدينية المتزمتة والاسلام دين إنسانى لا يتعارض مع القومية ، بل انه يشملها فالقوميات فى الاسلام يجب أن تؤسس على التعارف والتآلف وليس على التناحر والتفاخر وان تعدد القوميات ضمن دولة واحدة ممكن التحقيق على أساس الآخاء والعدالة والاحترام المتبادل غير أن الحكومة المركزية لم تعر الاهتمام الكافى للقوميات التى تكونت منها دولة باكستان ولذلك وجدت الحركة الهدامة التى تزعمها مجيب الرحمن تربة خصبة فى الجناح الشرقى من باكستان ، وكان الأفضل قيام حكم إسلامى فيدرالى يسمح للقوميات المتعددة بقسط وافر من الحكم الذاتى .

ولا ريب أن إنفصال (البنغال) عن (الباكستان) الأم مأساة إنسانية لسكان بنجاليدش ولا سيما فى الحقل الاقتصادى فهى لا تستطيع الوقوف على قدميها اقتصادياً ما لم تلتجىء إلى الهند وتتعرض للذوبان فى الجسم الهندى أو تنتظر المساعدات من مصادر خارجية وليس هناك مخرج من الأزمة إلا بالعودة إلى الإسلام وإلى الالتئام مرة أخرى بين الجناحين مع تجنب أخطاء الماضى ويقول المراقبون أن البنغاليون هم الذين نادوا بالباكستان وكانوا أشد لها حماساً من أهل البنجاب ولكن الحكم العسكرى هو الذى أساء إليهم وكان لحكومات الجنرالات أثرها

البعيد فى المآسى التى لحقت بهم ولقد كان من أكبر الأخطاء أن تقوم باكستان على أساس الإسلام ثم توصف بالقومية الباكستانية ، وتأخذ أسلوباً مماثلاً للقوميات الأوربية بينما كان عليها أن تأخذ طريقها الوحيد إلى النظام الإسلامى.يقول أحد الباحثين : من المؤسف أنه منذ النشأة الأولى لباكستان لم تحاول أية واحدة من الحكومات المتعاقبة على دست الحكم فيها أن تفعل شيئاً يقوى من تالك الأوامر المدعمة للوحدة بل أن الواقع يشير إلى أن كل حكومة من تالك الحكومات قد أسهمت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة فى إضعاف تالك الأوامر . إن كبار القواد العسكريين (الجنرالات) والموظفين البروقراطيين الذين نشأهم الحكم البريطانى كانوا يعارضون قيام دولة إسلامية وقدروا أنه من الضرورة بمكان أن يحطموا الديمقراطية حتى يحكموا البلاد على هدى خطتهم وضد إرادة الجماهير ولذا تآمروا حتى يستطيعوا الاستيلاء على الحكم فالجنرال أيوب خان دام حكمه اثنى عشر سنة كاملة وفى أثناء ذلك أتيح لكل القوى المعادية للاسلام من قاديانيين وعلمانيين وماركسيين أن تنطلق من عقالها وتزيد من نشاطها مقابل تأييد تالك القوى لحكم أيوب خان الدكتاتورى وباضعاف نفوذ الإسلام السياسى والذى كان يوحد بين المواطنين فى باكستان وهم مختلفوا الألسن ففتح الباب للشعور الاقليمى والكيانى للناطقين بلغة ما من لغات الشعوب التى كان يضمها كيانباكستانالموحد فأصبح مفهوم القومية القائم على وحدة اللغة أو العرق حراً لأن يقوى ويشتد ساعده . وكانت الفوارق بين المواطنين من شتى باكستان فى السيطرة الاقتصادية أو الإدارية أو فى الرتب العسكرية تشكل مادة ملتهبة للأحاديث السياسية ، ولقد أفلح فى استغلالها الانفصاليون الاقليميون لاثارة الكراهية ضد الحكومة المركزية فى باكستان . وفى هذه الظروف المواتية لأهدافه استطاع داعية الاقليمية الشيخ مجيب أن يكتسب لنفسه شعبية ظاهرة قومية ولكنه لم يجرؤ قط على المجاهرة بعدائه للإسلام أو المطالبة بالإنفصال عن الدولة الموحدة ، وجاء الجنرال يحيى خان فاتخذ عدة قرارات سياسية فاحشة الخطأ مهدت الطريق لانتصار مجيب الانتخابى وقد منيت باكستان الشرقية بأضعف إدارة حكومية الأمر الذى مكنللشيخ مجيب من أن يستعمل كافة الأساليب الفاشية ليكتسح انتخابات انتخابات سنة ١٩٧٠ وأخفق يحيى خان ومجيب فى الوصول إلى تسوية سياسية حيث نظم الشيخ مجيب التمرد أو الثورة على الحكومة واستعمل يحيى خان القوة المسلحة لكبت تالك الثورة وكانت هذه الأحداث الدامية فرصة ذهبية بالنسبة للهند العدود اللدود

لباكستان للتدخل فى شئون باكستان الداخلية بغية تمزيق وحدتها وهو ما كانت الهند تصبو اليه منذ قيام دولة باكستان فلا يستطيع أحد أن ينكر أنه لولا تدخل الهند العدوانى السافر لما أمكن فصل باكستان الشرقية (البنغال) عن دولة باكستان الموحدة. وتشير الدلائل إلى مؤامرة دولية كبرى بين جمهورية الهند والصهيونية المالية فباكستان المعروفة بغيرتها الاسلامية لمصلحة العرب البالغة درجة التعصب لهم قد جعلت اليهودية تعتبرها العدو رقم واحد لها وفى محاولتهم المنكرة لإلحاق الأذى بباكستان قدم اليهود كل عون مادى ومعنوى وعتادى ودبلوماسى للهند فى مغامرتها الامبريالية التى قامت بها فنجحت فى احتلال نصف أراضى باكستان واستعباد خمسة وستين مليونا من المسلمين. ولقد واجه مسلمو البنغال من العذاب والتقتيل بسبب حبهم للإسلام وولیدته باكستان على نحو لم يعرف المجتمع العالمى مثيلا لها، ولم يعرف شيئاً من فصولها التى تقشعر لها الأبدان وتشيب لهولها الولدان على أثر سقوط (داكا) عاصمة باكستان الشرقية فالتقارير تذكر أن الناس قد عذبوا حتى الموت بوسائل غريبة فى فظاعتها ووحشيتها على يدى الجيش الهندى المخمور بالنصر وأعوانه من المحاربين من شرذمة الانفصاليين.

(٣)

ولقد خطت باكستان خطوة جديدة فى الطريق الصحيح على يد حاكمها ضياء الحق الذى أعلن تطبيق الشريعة الإسلامية محققا بذلك أملا طالما غمر قلوب المسلمين نحو باكستان منذ بدأ ظهورها عام ١٩٤٨ حيث قامت باكستان بالإسلام وللإسلام ولكن العواصف والأعاصير حالت بينها وبين أن تخطو نحو الطريق الصحيح وكانت آخر مراحل الاضطرابات انحراف (ذو الفقار على بوتو) إلى نفس الطريق الذى سار فيه التابعون للعلمانية والمؤمنون بالتجربة الغربية، وأخذ بوتو يعمل على تحويل باكستان إلى دولة علمانية مقلداً أسلوب أتاتورك والشاه وعبد الناصر وسمح للفساد الاجتماعى أن ينمو تحت اسم علب الليل والمراقص وبيوت البغاء، وقام فى مواجهة معارضيه بالبغى والبطش والتنكيل، وأمم المدارس الإسلامية الخاصة بتحفيظ القرآن الكريم (١٢ ألف مدرسة) وبدأت حركة اليقظة الإسلامية تواجه خطر الابادة وقاد الشيخ مفتى محمود مظاهرات الاحتجاج منذ قرار تأميم المدارس الإسلامية وضد الانحراف والفساد وعزل ضياء الدين على بوتو عن الحكم عندما تبين له أنه أوغل فى الطريق المظلم. وأعلن ضياء الحق أن الشريعة الإسلامية هى مصدر القوانين وأخذ فى تعديل مختلف

القوانين لتكون مطابقة للشريعة الإسلامية وأعلن فى مولد الرسول (٢١ربيع الأول ١٣٩٩) القوانين الإسلامية بتطبيق الحدود الإسلامية قطع اليد السارق ورجم الزانى وجلد شارب الخمر ، وبذلك دخلت باكستان التجربة الإسلامية التى نرجو أن تكون نبراساً صادقاً أمام المتطلعين إلى إقامة منهج الله تبارك وتعالى ولا شك أن ما تقوم بتحقيقه باكستان هو تجربة كبرى: ترمى إلى إعادة بناء النظام الاجتماعى الاقتصادى بها على أسس من أحكام الشريعة الإسلامية وقد أكد المسئولون الباكستانيون أن التجربة الجديدة ليست مجرد تعديل أو تغيير فى القوانين ، إنما هى بمثابة عملية تعتبر فى أساسيات المجتمع ويستتبع هذا بالقطع تغيير القوانين المطبقة لتلائم هذه الأساسيات الجديدة (الدكتور خورشيد أحمد) ويتبع هذا كله من تعاليم الاسلام والشريعة السمحة . الذى تقول : أن عملية التحول نحو الشريعة الإسلامية تتطلب تغييراً فى الجوانب الاجتماعية والتعليمية والاقتصادية والاعلامية وغيرها لإقامة المجتمع الإسلامى الصحيح . ، وقد جرت فى جانب التعليم تغييرات جذرية فى البرامج والمناهج التعليمية من أجل ربط هذه المناهج بأساس العقيدة وصبغ التعليم بالصبغة الإسلامية وكذلك فان الاعلام أصبح إسلامياً بحيث أصبحت تصاغ جميع مواد الإذاعة والتلفزيون الفكرية والثقافية وحتى الترفيهية صياغة إسلامية صحيحة وتقدم فى قالب يتمشى مع الهدف الذى يرمى إليه المجتمع الحديد كذلك فقد أخذت الصلاة تدخل فى جميع مراكز الدولة ومؤسساتها ومصانعها بما يساعد على تكوين خلق جديد من المواطنين هو الخلق الإسلامى بما يقضى على الانحرافات وقد أصبحت الشريعة الإسلامية هى المصدر الأساسى لجميع قوانين الدولة وتشريعاتها ، لما يكون لها الأولوية فى التطبيق فى حالة تعارض أحكام أحد بنود القوانين الوضعية معها وقد تم إقرار أربعة قوانين إسلامية هى تحريم الخمر والعقاب عليه والسرقة والزنا والقذف وحدوده ولقد كان المؤسسات الجماعة الاسلامية فى باكستان جهود بارزة منذ وقت طويل فى المطالبة والإعداد لتطبيق الشريعة الإسلامية وقد وضعت إمكاناتها فى هذا السبيل ، بالاضافة إلى مجلس التشريع الإسلامى الأعلى الذى يضم نخبة من كبار علماء باكستان فضلا عن لجنة من كبار الاقتصاديين فى المصارف . ويعد الجانب الاقتصادى من أهم جوانب التحول ، بعد أن تقرر إدخال مبادىء الاقتصاد الاسلامى فى جميع المعاملات الاقتصادية فى باكستان خاصة الزكاة والعشر ، والقضاء على مبدأ الفائدة والربا التى نحكم الاقتصاد فى هذا العصر وقامت مؤسسات لأربوية لتطبيق هذا المبدأ ، وتعد هذه هى التجربة

الاسلامية الكاملة الأولى التى يبدأ تطبيقها فى عالم الإسلام .

(٦)

أندو نسيا واضيل الملايو

مرت أندونيسيا فى تاريخها الإسلامى بمراحل ثلاث :

المرحلة الأولى : منذ دخول الإسلام حوالى ١٤٠٠ م إلى عصر الاستعمار الهولندى . المرحلة الثانية : عصر الاستعمار الهولندى ١٥٩٦ — ١٩٤١ . المرحلة الثالثة : عصر الاستقلال منذ سنة ١٩٤١ إلى اليوم .

(١)

دخل الإسلام أندونيسيا عن طريق الهنود والعرب الذين قدموا إلى البلاد للتجارة وحملوا معهم الإسلام واللغة العربية ، فقد وفد المسلمون على سومطرة فى القرن السادس الهجرى (١٢ م) وهبطوا جاوه فى القرن التاسع الهجرى (١٥ م) ، جاءوا من الهند أولا ثم تتابع سيلهم من حضرموت والبلاد العربية بعد القرن العاشر الهجرى (١٦ م) . قد نشر الحضارمة فى أندونيسيا التى تمثل سلسلة من الجزر الهندية الشرقية تمتد إلى سيلان واليابان والصين وأهمها جزيرتان هما : جاوه وسومطره وكان الأندنيسيون الأقدمون وثنيين . ثم جاءت بعد ذلك البرهمية والبوذية فانتشرتا بينهم وبعدهما جاء الإسلام ، وقد دخل الأندنيسيون فى الإسلام سراعاً واعتنقوه بأعداد هائلة حتى لم يبق على البرهمية والبوذية فى الجزر الألف إلا أقلية ضئيلة معظمهم يوجدون فى جزيرة بالى . وقد تم إعتناق الإسلام فى أندونيسيا بطريقة سليمة وبسرعة منقطعة النظير » إذ أقبل الناس عليه ووجدوا فى سماحة تعاليمه ما أنقذهم من الاضطراب النفسى الذى كان يسيطر عليهم نتيجة العقائد المتضاربة فدخلوا فى دين الله أفواجاً وما هى إلا فترة قصيرة حتى اكتسح الاسلام جميع الأديان الأخرى التى كانت منتشرة هناك ، وسطع نور الإسلام فى أرجاء الأرخبيل من أقصاه إلى أقصاه . بدأ الاسلام فى جاوه ثم امتد منها إلى سومطرة ثم إلى سائر الجزيرة وحمله التجار العرب والهنود المسلمون الذين كانوا يتحركون بهمة فائقة عبر مختلف الموآنى بين الهند والصين . ويرى المؤرخون أن الفضل فى ترسيخ أقدام الإسلام وتوطيد أركانه فى كل من الملايو وأندونيسيا إنما يرجع إلى دخول «ملقا» فى الإسلام واطراد قوتها فى شبه جزيرة الملايو بحسبان أنها مركز تجارة التوابل فى الشرق . ومالبث حكامها أن دخلوا فى الإسلام فى القرن التاسع الهجرى (١٥ م)

وشجعوا إقامة علاقات ودية مع أهل جاوه فأدى هذا العمل إلى دخول هؤلاء فى الإسلام ومضى مسلمو ملقا يعملون للدعوة الإسلامية فى شبه جزيرة الملايو وعلى محاذاة ساحل جزيرة سومطره . وأبرز الدعاة فى جاوه تسعة يعرفون بالأولياء فى مقدمتهم مولانا الملك إبراهيم أول من دعا إلى الإسلام فى أندونيسيا وهو مغربى الأصل . وعندما فتح البرتغاليون ملقا(٩١٧ هـ ـ ١٥١١ م) كان الاسلام قد استقر واتسع فى مختلف أرجاء الملايو وجزر أندونيسيا . ولكنه لم يتوقف عن الانتشار ففى القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى كان الاسلام قد استقر فى سومطره ، والملايو ، ملقا ، جاوه . غير أن حركة تطويق العالم الإسلامى التى شقت طريقها من أوربا عن طريق التجار بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح لم تلبث أن أصابت أرخبيل الملايو بضغوط شديدة . فقد جاء البرتغاليون ثم تبعهم البريطانيون والهولنديون وبذلك خضع مسلمو الملايو للسيطرة الأوربية قبل غيرهم من أجزاء العالم الإسلامى . والمعروف أن البرتغاليون بعد أن استعادوا الأندلس «أسبانيا الاسلامية» كانوا قد قطعوا على أنفسهم عهداً بشن حملة صليبية ضارية على الإسلام ، ولما لم يتمكنوا من ضربه فى مكان القلب الذى كان العثمانيون يحرسونه ، فقد اتجه تفكيرهم إلى إجراء حركة تطويق واسعة ، وعندما بدأت أعمال التبشير الغربى فى أرخبيل الملايو بدأت حركة هجرة كبرى من مسلمى الصين والهند إلى أندونيسيا كرد فعل للاسلام فى جنوب شرق آسيا للعودة إلى المجتمع الأم لإنعاش الاسلام ، واتصل بها إرسال الطلاب لدراسة عميقة فى مدن الحجاز المقدسة وفى الجامع الأزهر فى القاهرة ، وكان هؤلاء عندهم عودتهم ينشطون للقيام ببرامج تثقيفية إسلامية ، ، ومن هنا استقر هذا الترابط العميق بين الأندونيسيين وبين المراكز الإسلامية القديمة فى مكة والقاهرة. وفى أواخر القرن الخامس عشر جاءت البعثة الهولندية الأولى إلى ميناء بنتام بجزيرة جاوه سنة ١٨٩٦ وأقامت شركتها (الشركة الهولندية لجزر الهند الشرقية سنة ١٦٠٢) فامتلكت الأراضى واتخذت الجيوش والأساطيل باسم التجارة ثم لم تلبث عام ١٦١٠ أن عينت حاكماً عاماً لها فى مدينة جاكرتا . وقد قاوم الوطنيون هذا النفوذ الجديد مقاومة عنيفة حتى أجبروا الشركة على الانتقال إلى جاكرتا بعد أن عقدت معاهدة مع سلطانها . ثم تنازلت الشركة عن أملاكها فى أندونيسيا للحكومة الهولندية عام ١٨٠٠ ، ولم يتوقف الأندونيسيون عن المقاومة فتوالت ثوراتهم وفى مقدمتها ثورة الأمير ديبو نجارا فى جاوه التى استمرت الحرب بينه وبين الهولنديين خمس سنوات كاملة (٢٨٢٥ ـ ١٨٣٠) خسرت هولندا خلالها عشرات الملايين من

الجنيهات ولم تتمكن من إخماد الثورة إلا بعد أن ألقت القبض على الأمير وهو جالس إلى مائدة المفاوضات ، وفى سومطره إستمرت الحرب بين الهولنديين والوطنيين بقيادة على الدين محمود شاه حتى يناير ١٨٧٤ وبقيادة تنكو عمر حتى قتل سنة ١٨٩٩ فتولت القيادة إلى أن استطاع المستعمرون بعد خسائر فادحة أن يخمدوا الثورة سنة ١٨٠٤ . وكانت هولندا قد تخلت عن نفوذها لفرنسا على أثر هزيمتها فى أوربا ثم عادت بعد هزيمة فى معركة نابليون واترلو ، فاستردت لها مستعمراتها . وتم الاتفاق عام ١٨٢٤ وكانت بريطانيا قد استولت على جاوه فى هذه الفترة ثم تنازلت عنها مرة أخرى إلى هولندا مقابل نزول هولندا للانجليز عن شبه جزيرة الملايو . ولم تتوقف روح المقاومة ولم تنطفىء حيث بدأت مرحلة جديدة هى مرحلة جهاد الهيئات الاسلامية وكفاح الأحزاب السياسية وفى مقدمتها (حزب شركة إسلام — والحزب الوطنى الأندونيسى) فانتشر مبدأ المقاومة السلبية وعدم التعاون مع المستعمرين الذى حقق نجاحاً باهراً عام ١٩٢٢ ثم اندلعت الثورة ١٩٢٦ واستمرت إلى عام ١٩٢٧ ولم تستطع هولند إخمادها إلا بعد أن استعانت بانجلترا واستعملت أشد الأساليب وحشية ، وتزعم الحزب الوطنى بقيادة سوكارنو ثورة جديدة ولم تلبث الأحزاب الأندونيسية أن تكتلت فى جبهة واحدة عام ١٩٤١ مطالبة باستقلال . وفى مارس ١٩٤٢ استسلم الهولنديون فى أندونيسيا للجيش اليابانى بعد أن احتل الألمان هولندا فى واستأنف الأندونيسيون مقاومتهم لليابان وقاموا بثورات عدة . وانهزم اليابان فى الحرب العالمية واستسلموا فى أندونيسيا ، هناك أعلن الشعب الأندونيسى استقلاله فى ١٧ أغسطس سنة ١٩٤٥ ، وقام الأندونيسيون فى كل أنحاء وطنهم يهاجمون القوات اليابانية وينتزعون السلطة ، غير أن بريطانيا كانت تدبر لهم مؤامرة جديدة لإعادة سيطرة هولندا مرة أخرى على أندونيسيا ، وقاوم الأندونيسيون بريطانيا وهولندا معاً ، وشنوا حرباً غيرمتكافئة.وفىسورابايا دارتأضخم معركة حيث هاجم البريطانيون المدينة الباسلة من الجو والبحر والبر ليل نهار . وجرت ١٩٤٦ مفاوضات للاعتراف بسيادة أندونيسيا ولكن الهولنديون سرعان ما غدروا بالاتفاق وشنوا هجوماً جديداً عام ١٩٤٧ واستمرت المقاومة حتى عقدت الهدنة سنة ١٩٤٨ ولكن الهولنديون ما لبثوا أن غدرو مرة أخرى بشعب أندونيسيا الذى قاوم العدوان ببسالة حتى اعترف بالسيادة الكاملة لأندونيسيا عام ١٩٤٩ وإن بقيت (ايريان الغربية) محتلة بالقوات الهولندية . وهكذا قاومت أندونيسيا المحتلين ثلاثة قرون البرتغال والهولنديين والفرنسيين والانجليز واليابانيين .

(٢)

لم يتوقف الأندونيسيون عن المقاومة طوال حكم النفوذ الهولندى ، هذه المقاومة التى ترجع أساساً إلى يقظة المسلمين وتأسيس أول جماعة من جماعات الاصلاح والمقاومة (شركة إسلام) وكان طابع المقاومة اقتصادياً وثقافياً . وقد كان لدعوة الشيخ محمد عبده ومجلته المنــــار أثرها فى هذه الحركة . كما استفادت من تجارب قادة المسلمين فى الهند . قد كان من الطبيعى أن يتصدر المسلمون المقاومة لأمرين ، لأنهم أغلب سكان أندونيسيا حيث يبلغ عددهم أكثر من ٩٠ فى المائة فهم يكونون بالحق مجتمعاً إسلامياً ولأنهم بحكم إيمانهم بالإسلام ووفق منطق القرآن لا يتوقفون عن مقاومة الناصب . وقد تنبه المسلمون إلى خطرين أساسيين من أخطار الاستعمار الهولندى وهما : الاقتصاد والتعليم ، ولذلك فإن الجماعة الأولى التى تكونت قد عمدت إلى التركيز على هذين الخطرين . ولقد كان الاستعمار الهولندى حريصاً على القوة المعنوية لأندونيسيا روحاً وعقيدة ولغة وثقافة . مستهدفاً أن تصبح البلاد جزءًا من هولندا أو على حد تعبير المستشرق الهولندى جرونجيه : « أن تصبح أندونسيا أمة هولندية أخرى تعيش فى الشرق بروح هولندية قلباً وقالبا فتبنى مجد هولندا فى ثقافتها وتستعمل لغتها وتتخلق بعبادتها وتقاليدها » . ومن هنا فقد عمد الاستعمار الهولندى إلى ابتزاز ثروات أندونسيا الضخمة وفرض الثقافة الهولندية واللغة الهولندية على التعليم . فأصبحت لغة الدراسة فى جميع المدارس الأولية والابتدائية والثانوية باللغة الهولندية التى أصبحت اللغة الأولى فى أندونسيا .

كما عمد الاستعمار الهولندى إلى بث البعثات التبشيرية فى مختلف أنحاء البلاد واعتمدت هولندا على هذه الإرساليات فى تثبيت أقدامها . . وقد كان التعليم الذى قدمته الحكومة الهولندية لأهالى أندونسيا يتسم بأمرين الأول : أنه قاصر على نسبة صغيرة من الذين يحتضنهم الاستعمار ليكونوا موظفين فى الدواوين (الثانى) : أنه يقدم لهم الثقافة واللغة والتراث الهولندى . وكان هذا المخطط شبيه بالمخطط الذى قامت بتنفيذه بريطانيا فى مصر وفرنسا فى المغرب ؛ فإذا أضفنا إلى هذا مخطط التبشير المساوق لمخطط التعليم عرفنا كيف واجه الأندونسيون هذا التحدى بإنشاء المدارس والجمعيات لنشر التعليم الإسلامى . غير أن الذين استفادوا من الدراسة الإسلامية كانوا قلة بالنسبة للذين اتصلوا بالمدارس التى أنشأها الاستعمار الهولندى والتى حملت لواء التجرد من الدين بكافة . ومن خلال حركة التعليم الوطنى الأهلى

القائم على إعانات الأهالى والتعليم الحكومى القائم على مناهج غريبة خالصة والتعليم الذى تشرف عليه الإرساليات قامت ظاهرة الازدواج الخطير فى مجال الثقافة ، حيث نجد نوعين من التعليم : إسلامى خالص بعيد عن الدراسات العصرية وعصرى خالص لا يمت إلى أصول الإسلام أو الدين بسبب ، والاستعمار فى كل المناطق التى احتلها من عالم الإسلام كان حريصاً على خلق هذا الازدواج . وقد حرص الاستعمار من بعد على أن يوكل أمور الحكم والسلطة إلى خريجى مدارسه بحسبانهم أقرب إلى التعاون معه . وأقل حماسة لقيم بلادهم وأممهم أو على تعبير بعض المؤرخين : « جعل منهم أداة صالحة لخدمة السياسة الاستعمارية والتعاون مع الهولنديين بروح الولاء « ويتصل بهذا ارسال البعثات إلى هولندا لإعداد ولاة منهم للفكر الغربى » . وقد كان لظاهرة البعثات التبشيرية فى أندونيسيا أثرها وخطرها فقد نشرت المدارس فى مختلف الأنحاء ، واستطاعت أن تضم عدداً كبيراً من التلاميذ نظراً لفقر البلاد وعجزها عن إنشاء المدارس . ومن ثم غلبت الثقافة الأجنبية واللغة الهولندية وظهر جيل يجهل أغلبه لغة قومه ودينه . ولم تلبث أندونسيا المسلمة التى غلبت البوذية والهندوكية أن واجهت منافسة خطيرة من البعثات المسيحية . فالاستعمار قد أدخل النصرانية إلى أندونسيا ، واستطاع استغلال الظروف فى إخضاع القلوب ، واعتمدت هولندا على غير المسلمين فى تثبيت أقدامها ، واتخذت منهم جيشاً ، وكونت منهم أنصاراً ، وأصبحت منطقة (سولاويس) ملأى بالنصارى وكانوا أنصار هولنده ويتحدثون باللغة الهولندية بطلاقة منذ ليونة أظفارهم ويمتزجون بالهولنديين فى المعاشرة الزوجية حتى أطلقوا أسماء هولندية على أولادهم وبناتهم وتطبعوا بأخلاقهم وصفاتهم وعاداتهم » . ولم يقف الاستعمار عند هذا الحد فقد « قيد الشعب الأندونيسى فى حياته وشئونه وفى الظروف المحيطة بحياته تفكيراً وعقيدة وثقافة وضغط على روحه » . وكما حمى الاستعمار الهولندى حرية الحركة للبعثات التبشيرية وأتاح لها فرصة العمل . فقد وضع نصوصاً صريحة قوامها أن : كل إنسان حر فى عقيدته وضميره ودينه . هذا الحق يشمل حرية تغيير العقيدة والدين وحرية القيام بطقوس دينه وإظهار عقيدته » . وبالطبع فما دام النفوذ الاستعمارى مسيطراً على البلاد فإن حرية إظهار العقيدة وطقوسها سيكون أمراً موسعاً فيه لاتباع الهولنديين ومضيقاً فيه على غيرهم . وقد كشف باحث هولندى مسلم قدم إلى القاهرة فى سنة ١٩٣٤ يدعى (فان بتيم محمد على) خطة الاستعمار الهولندى فى مجال التبشير فقال : إن الخطة التى تقوم بها هولندا فى أندونسيا ترمى إلى إفناء الإسلام وإخضاعه والتحكم فيه . وفى أندونيسيا تتصارع

الكاثوليكية والبروتستانتية والتعاليم الموجودة فى كل منهما تناقض بعضها بعضاً حتى أنهم مختلفون فى اعتقادهم فى المسيح . وقال إن سياسة التبشير فى أندونيسيا تمدها الحكومة بالنفوذ والمال كما نشروا صحفاً بها مقالات عاصفة فى الهجوم على الإسلام . حتى ليمكن القول بأن سلطة الكنيسة فى مستعمرات هولندا أقوى من سلطة الحكومة نفسها . كما يجرى تنصير من من يذهب إلى هولندا من الأندونيسيين والصينيين ولا سيما طبقة الطلبة والمتعلمين الذين سيصبحون فيما بعد قادة البلاد وزعماءها . وإذا تمكن رجال البروتستانت من تنصير الطلبة الأندونيسيين الذين هم الآن متحمسون للروح الوطنية القومية التى ترمى إلى استقلال أندونيسيا فإنهم باعتناقهم الدين المسيحى يشعرون بمساواتهم بالهولنديين فى الدين فيتضاءل شيئًا فشيئا هذا الروح الوطنى ويصبح نوره بعد قريب ينطفئ انطفاءًا تامًا . وقد فتحت الحكومة أبواب أندونيسيا لهيئات التبشير من سائر الدول ، ويبدو تحيز الحكومة الهولندية فى أنها خصصت ٧٦٥٠ روبية لإعانة الدين الإسلامى الذى يضم ٩٠ فى المائة من السكان بينما خصصت مليون و ٧٩٥ ألف روبية لمساعدة عدة آلاف من المسيحيين » . وتشير كثير من الأبحاث والتقارير فى هذه الفترة أن حركة التبشير فى أندونيسيا كانت تتلقى مساعدات خارجية من بلدان كثيرة غير هولندا ، ومنها كندا وفرنسا والفاتيكان وأمريكا وألمانيا الغربية . وقد استطاع هذا العمل المستمر أن يكون طبقة من أعوان هولندا . هم فى نفس الوقت خصوم النضال التحررى ، وذلك على نفس النمط الذى فعلته بريطانيا فى مصر إبان الاحتلال — وقد اعتمدت هولندا على هذه القوة فى قمع حركات التحرر فى أندونيسيا وأن ظل موقف المسلمين منهم هو موقف « التسامح التام » بيد أن هؤلاء الأعوان كانوا يستغلون هذا التسامح استغلالا غير محدود فراحوا يشيدون الكنائس الضخمة فى أحياء المسلمين وزادوا نشاطهم التبشيرى فى المراكز الآهلة بالمسلمين وقد باشر النفوذ التبشيرى عملا واسعاً فى مجال تشييد الكنائس والملاجئ ودور الأيتام والمستشفيات وكانوا يدفعون أثماناً خيالية لامتلاك الأراضى الواقعة فى أحياء المسلمين تمهيداً لإقامة مبانى التبشير عليها ، وقد تمركز التبشير الكاثوليكى فى جزيرة تسمى (فاوريس) حيث توجد بها أقليات إسلامية متناثرة . ولا شك كان للتبشير أثره فى مجال التعليم والثقافة فالمدارس الحكومية والمدارس التبشيرية كانت تعمل وفق مخطط واحد ، حيث تغرس مدارس الاستعمار فى نفوس الطلاب المسلمين الإلحاد فى الدين ، كما تعمل مدارس الإرساليات لتنصيرهم ، وكانت كلتاهما تغلب اللغة الهولندية والثقافة الغربية وكان طلاب

هذه المدارس الحكومية من أبناء الطبقة العليا القادرة على دفع مصاريف التعليم . أما المدارس التبشيرية فقد فتحت أبوابها على مصاريعها أمام الشباب الأندونيسى فى محاولة لتنصيره . وكانت أهداف السياسة التعليمية جملة هى ابعاد النشء عن دينه وحضارة أسلافه وتجاهل تاريخ مجد بلاده مع إحياء اللغات الإقليمية المختلفة بقصد تفريق عناصر الأمة بعضها عن بعض ليشعر كل منهم أنه مستقل بلغته وتقاليده ، وتعليمه تاريخ بلاد المستعمرين : سياسياً وجغرافياً بتوسع . وعند مقارنة نسبة المتعلمين فى أندونيسيا قبل الاحتلال الهولندى نجد أنها كانت عالية وأن ثلاثة أرباع سكانها كانوا يعرفون الكتابة والقراءة ، فلما دخل الهولنديون أغلقوا أغلب المدارس وغيروا مناهج الباقى منها وحالوا دون نشوء تعليم أهلى .

— ٣ —

فى مواجهة هذا العمل التبشيرى الواسع واجه الأندونيسيون مسئوليتهم الإسلامية بقوة وتقدموا بأموالهم وتضحياتهم فى سبيل الوقوف فى هذه الموجة العاصفة وإذ كانت حركة المقاومة للاستعمار وحركة المقاومة للنفوذ الاستعمارى فى مجال الاقتصاد والتعليم والثقافة عملا واحداً . وكانت أندونيسيا شأنها فى ذلك شأن مصر والعالم العربى ، ومختلف أجزاء العالم الإسلامى كله قد انبثقت فيها حركة المقاومة من خلال الهيئات الإسلامية التى حملت لواء النضال لفترة طويلة ثم انبثقت منها بعد ذلك الأحزاب والهيئات . وفى مصر كان الأزهر هو هو مصدر حركة المقاومة والوطنية ؛ وفى السودان وليبيا بدأت المقاومة من خلال الحركتين المهدية والسنوسية ، وفى العراق كانت الحركة الإسلامية فى النجف هى مقاد الحركة الوطنية والثورة . وفى أندونيسيا كما فى مصر ظهرت اليقظة متمثلة فى حركة الإصلاح الثقافى الإسلامى فى الجزء الغربى من سومطره فى أوائل القرن التاسع عشر بزعامة المجاهد المعروف (إمام بو نجول) سنة ١٧٧٢ — ١٨٦٤ وكان شعار الحركة « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده » وقد واجهت انتشار البدع والخرافات وما بلغته العقائد من تشويه بعادات وتقاليد لا تتفق مع التوحيد الصحيح ، وقد كانت حركة الإصلاح الدينى ضرورة حاسمة فى أندونيسيا حيث لم يمض على استمرار الإسلام فى أندونيسيا ثلاثة قرون .

وفى أواخر القرن التاسع عشر تجددت حركة الإصلاح بقيادة الشيخ أحمد الخطيب الأندونيسى الذى جاور فى مكة وتلقى عليه الأندونيسى ، فلما عادوا ظهرت حركتهم فى سومطره الغربية منهم عبد الكريم أمر الله وكان خطيباً شجاعاً مجادلا بارعاً ، وزين الدين

يونس الذى أصدر مجلة المنبر لسان أنصار الإصلاح وهى أكبر المجلات الإسلامية فى أندونيسيا وقد أنشأت هذه الحركة عديداً من المدارس جمعت بين الإسلام والعلوم العصرية وألف لها عبد الكريم أمر الله كتباً للدراسة بها وبسطها حسب عقول التلاميذ . وقد كانت شركة إسلام هى أقدم هيئة احتضنت الحركة الوطنية والمقاومة فى مجال الاقتصاد والثقافة معاً فقد أنشئت عام ١٩١١ بقيادة الحاج عمر سكر وأمينوتد ، ثم الجمعية المحمدية التى أنشأها أحمد دحلان وقد تقدمتها جمعية الأخلاق الفاضلة (بودى أوتومو) التى بالغت فى جاكارتا ١٩٠٨ برئاسة الدكتور وحيد الدين الذى يعد بحق واضع أساس التنظيم للحركة الوطنية الحديثة ويرى المؤرخون الأندونيسيين أن جمعية الأخلاق الفاضلة كانت عماد الحركة القومية ، فقد كانت الجمعية ثقافية اجتماعية ولكنها تحولت إلى جمعية سياسية وطنية لها الأثر الفعال فى تحرير أندونيسيا ثم لم تلبث هذه الجماعات أن توحدت واندمجت بعد فى جمعية ماشوى وواجه المصلح أحمد دحلان البدع والخرافات ، كما هاجم شبهات المبشرين . وقد عرف بالصلاح والتقوى وصدق الإيمان ، وقد انتصب زعيماً إسلامياً ومعلماً اشتهر بالدين من غير ضعف والكياسة مع صدق العزيمة فى مواجهة الإرساليات التى كانت تقوم بدعاية منظمة ضد الإسلام تعضدها قوات الاستعمار . وكانت الجمعية المحمدية هى ثمرة عمله حيث جعلها وسيلته المنظمة للعمل وعن طريقها أنشئت المدارس وانبعث الدعاة للتبليغ . وقد أولت الحركة الإسلامية التى تحمل طابع الوطنية والإصلاح معاً اهتماماً كبيراً بالتعليم بحسبانه الطريق الحاسم لمواجهة الغزو الهولندى والإرساليات فمنذ أسس الدكتور عبد الله بن أحمد والدكتور عبد الكريم أمر الله جمعية المدرسين للمعاهد الإسلامية كثر من أعضائها البارزين من أتموا دراستهم فى مصر والحجاز ثم أنشئت الكلية الإسلامية فى سواربايا التى أشرف عليها الدكتور سوتومو وبذلك أخذت الحركة قيادة التربية والتعليم وقل الإقبال على المدارس الحكومية التى تهدف إلى تعليم الهولندية وتاريخ أوربا . غير أن الحكومة الهولندية لم تترك هذه الحركة تمضى فى طريقها رخاء بل أخذت فى عرقلتها وتوقيفها حيث أصدرت قانون رقابة المدارس الأهلية الذى أطلقت عليه قانون (المدارس المتوحشة) ١٩٢٣ ومظهر القانون حماية المدارس القومية ولكنه فى مضمونه يقوم على عرقلة تلك الجهود والقضاء على انطلاقة الحركة الإسلامية الأندونيسية فى فى اختيار التعليم الذى يتفق مع عقائده الأندونيسى ووطنيته . وقد كان من نتائج تنفيذ القانون أن أقفل الاحتلال أبواب المدارس الإسلامية بالقوة وشرد تلاميذها وزج مدرسيها فى

غياهب السجون . وهذه الخطة أشبه بما فعلت فرنسا فى الجزائر حين قامت جمعية العلماءُ بقيادة العلامة عبد الحميد بن باديس بإنشاء المدارس القرآنية فى مواجهة مدارس فرنسا التى تقوم على اللغة الفرنسية والتاريخ الأُوربى ، غير أن هذا التحدى الذى واجه الأَندونيسيين قد أدى إلى عمل إيجابى حاسم فقد اتحد الشعب بمختلف أحزابه وهيئاته على الاحتجاج وكان للصحافة الإسلامية فى أندونيسيا جهودها فى هذه الحركة معلنة أن القانون عامل خطير فى محو حرية الشعب الأَندونيسى فى اختيار التعليم الصالح . ومن ناحية أُخرى فقد عمدت الحركة الإسلامية إلى تعديل أساليب التعليم الدينى وادخال العلوم الحديثة وكانت مهتدية فى ذلك بحركة اصلاح الأَزهر وبما فعلته الحركة الإسلامية فى الهند . وقد نجحت الفكرة وقامت مدارس جمعية نهضة العلماءُ ، وكان أبرز ما حققه هذه الحركة هى أنها جمعت بين العلوم الحديثة والعلوم الإسلامية . وكان العلامة أحمد دحلان هو أول من نادى بذلك وحققه فى مدارس الجمعية المحمدية فى جاكارتا حيث يقول « لا نريد من التعليم الحديث أن يكون على تلك العلوم المدنية الحديثة التى تطبع الأَجيال المقبلة بالطابع المادى وتجعلها عبيداً للمادة كما هى الحال فى أُوربا اليوم ، وإنما نريد فوق ذلك جعل الدين الإسلامى الصحيح أساساً للتعليم القومى لإنقاذ تلك الأَجيال من التيار المادى الجارف وجعله ركناً من أركان قوى الشعب المعنوية التى لا يستغنى عنها البشر فى يوم من الأَيام » .

ويمكن القول إن السلاح الوحيد الذى اتخذه المسلمون فى مصر والهند وأندونيسيا والمغرب كان هو اعتماد الهيئات الإسلامية على نفسها فى إنشاء مدارس تجمع بين العلوم الحديثة والإسلام واللغة القومية . ومن خلال هذه الهيئات الإسلامية انبثقت الأَحزاب التى تعددت وتنوعت وكان فى مقدمتها حزب ماشوى الإسلامى ، والحزب الوطنى الذى قام على أساس سياسى قومى وقد حمل حزب ماشومى لواءَ الدعوة إلى إقامة صرح الإسلام ويمكن أن نعتبره التشكيل الذى انصهرت فيه الحركة الواسعة النطاق . وكانت الجمعيتان الكبيرتان جمعية المحمدية وجمعية نهضة العلماءُ قد تضامتا مع هيئات أُخرى فى تشكيل ما أُطلق عليه « المجلس الأَعلى الأَندونيسى وقد حل هذا المجلس أثناء الحرب العالمية الثانية وبعد الحرب وإعلان الاستقلال التقت جميع الجماعات والهيئات الإسلامية فى أندونيسيا على صعيد وأعلنت تأليف منظمة : « مجلس لشورى لمسلمى أندونيسيا » وكلمة ماشومى هى اختصار لهذا الاسم وقد وضع حزب ماشومى تعاليم الإسلام فى صلب مبادئه حاملا لواءَ التقدم ومقاومة الإلحاد

والدعوات المختلفة المعادية للإسلام . وتهدف الحركة الإسلامية فى أندونيسيا إلى المطالبة بإقامة النظام الإسلامى والأخذ بتعاليم القرآن وتطبيق أحكامه . وما زال الفكر الإسلامى فى أندونيسيا قائماً وقوياً فى مواجهة تحديات القوى الإلحادية والتغريبية ، وفى الجملة يمكن القول بأن الحركة الإسلامية فى أندونيسيا استطاعت أن تقاوم : النفوذ الاستعمارى وحركة الإرساليات والدعوات الإلحادية وكل دعوة إلى إبعاد الإسلام عن مجال المجتمع وخاصة فى مجال التربية والتعليم .

وقد عملت الحركة الإسلامية فى المجال الثقافى عملا كبيراً فكشفت عن مقاصد الإسلام والتشريع الإسلامى وحاربت التقليد ألقت الضوء على حقائق كبيرة أهمها سماحة الإسلام وجودة معطياته وخاصة فيما يتعلق بأن باب الاجتهاد لم يغلق لمن يتوفر له شروط الاجتهاد . وقد استطاعت هذه الحركة وخاصة فى مجال التربية والتعليم أن تحفظ للشعب الأندونيسى لغته ودينه فى نفس الوقت الذى قدمت له معطيات الثقافة الحديثة العصرية . وقد سد هذا النشاط الثقافى كثيراً من النقص الناتج من إحجام الحكومة الهولندية عن التوسع فى نشر التعليم . كما قضى – جزئياً – على خطة الإرساليات التبشيرية . وقد كانت للصحافة الإسلامية فى أندونيسيا دوراً هاماً فقد أظهرت كثيراً من الكتاب والباحثين وهاجمت كثيراً من المواقف الاستعمارية مما أدى إلى بروز الطابع الإسلامى فى الحياة السياسية فاتخذته بعض الأحزاب أساساً لجهادها الوطنى . وقد واجهت حكومة الاحتلال الصحافة الوطنية والإسلامية بقوانين غاية فى الصرامة والتضييق فأسقطت ٢٧ صحيفة فى ساعة واحدة وسجنت الكثيرين وفرضت الرقابة على الصحف ومنعت الاجتماعات وقد استطاعت الحركة الإسلامية أن تحقق وجودها عن طريق صحف تتحدث عن عظمة الإسلام وحسن تعاليمه وتراجم رجالاته وما بذلوا من جهد فى سبيل نشر تعاليمه . وفيما يتعلق باللغة الأندونيسية فقد حرص النفوذ الاستعمارى على أن يحول (أولا) : دون قيام لغة موحدة (ثانياً) : أن يحول دون ارتباطها باللغة العربية وذلك عن طريق نشر اللغة الهولندية وجعلها أساس التعليم فى المدارس منذ المراحل الأولى وللحفاظ على تعدد اللهجات حتى لا تتوحد أندونيسيا فى لغة واحدة . ومع ذلك فقد استطاعت اللغة الأندونيسية « باهاسا هندونيسيا » وهى مشتقة من لغة الملايو الشائعة أن تفرض نفسها كلغة موحدة بدلا من ٢٥ لغة كان يتخاطب بها السكان وتتشعب إلى ٢٥٠ لهجة محلية – إذ استطاعت الحركة الإسلامية والنهضة الوطنية أن تحقق تأكيد الوحدة الأندونيسية بلغة

واحدة وقد كانت اللغة الأندونيسية تكتب بالحروف العربية ولكن الهولنديون عمدوا إلى تحويلها إلى الحروف اللاتينية فى أوائل القرن العشرين ومع ذلك فإن فى اللغة الأندونيسية الآن كثيراً من الكلمات العربية ومنذ سيطر النفوذ الاستعمارى الأندونيسى أضمحلت اللغة العربية . ولم يبق لها نفوذ ، إلا فى مجال الدراسات الثقافية . أما اللغة الهولندية فقد انتشرت انتشاراً كبيراً إذ بقيت اللغة الرسمية للحكومة ثلاثة قرون كاملة حيث كان الهولنديون يعلمونها فى المدارس دون سواها فى الوقت الذى كانوا يحاربون فيه اللغات الوطنية فى جميع الجزر المحتلة . وقد كان للإسلام دوره الواضح فى الحركة الوطنية القوية العارمة التى استمرت ولم تتوقف ازاء نمو النفوذ الاستعمارى الهولندى ويظهر ذلك فى كتابات الحاج عمر سعيد عام ١٩١٣ . « إن الإسلام يدعونا إلى الجهاد لإعلان كلمته وسيعلو الإسلام فى هذه البقعة الإسلامية التى يعيش فيها ما يزيد على سبعين مليوناً من المسلمين » . وبإلقاء نظرة إلى حزب شركة إسلام الذى قام فى مواجهة الاحتلال الهولندى نرى أن العمل بدأ فى مجال الاقتصاد أساساً للمحافظة على الثروة الأهلية وأشاد صناعات تقوم بها الأيدى الوطنية ويتجلى برنامج الجمعية الأساسية ، - (١) ملاحظة شروط الدين الاسلامى فى العبادة والمعاملات . (٢) القيام بأعباء الحياة التى يتطلبها الدين . (٣) إنهاض الحركة الفكرية . (٤) الدفاع عن الاسلام . وقد كان الاهتمام بالناحية الاقتصادية مرتبطاً بالعمل فى مجال الاقتصاد والتعليم إيماناً بمفهوم الإسلام المتكامل نفسه ومواجهة الآثار الخطيرة التى ترتبت على الاحتلال الهولندى لأندونيسيا حتى قيل أنه لو جمعت الأموال التى سلبتها الحكومة الهولندية من الأندونيسيين منذ استعمارها أندونيسيا إلى اليوم لأمكن بناء جسر عظيم من ذهب يمتد من أندونيسيا إلى هولندا . وفى أندونيسيا يوجد زيت البترول ومزارع المطاط ومنتجات البحر والذهب . والمعروف أن عصر الاستعمار فى أندونيسيا اسمر من سنة ١٧٩٩ - ١٩٤٥ وإن كانت طلائع الاستعمار الهولندى فى جاوه بدأت سنة ١٥٩٥ باسم شركة الهند الشرقية الهولندية .

(٤)

كان أخطر ما واجهت أندونيسيا المسلمة محاولتين :

أولا : محاولة الشيوعية التى امتدت من عام ١٩٤٨ إلى ١٩٦٥ ثانياً : محاولة التبشير الغربى التى جاءت بعد ذلك ولا تزال مستمرة وممتدة إلى اليوم ١٩٨٠ (نهاية القرن الرابع عشر

الهجرى) وقد عمدت هولندا المستعمرة إلى تمزيق الجبهة الواحدة فى أندونيسيا والتى تدين فى أغلبية ساحقة للاسلام والتى برز طابعها الإسلامى منذ عام ١٩٠٦ بظهور جماعة شركة إسلام التى قاومت النفوذ الأجنبى بأن عملت على خلق تيارين خطيرين غذتهما بكل قوة : التيار القومى والتيار الماركسى وقد استقدمت المهندس سينفليت الذى أخذ ينشر التعاليم الماركسية فى أندونيسيا فى نفس الوقت الذى غذت فيه صراع القوميات المختلفة وكانت تهدف من هذا إلى أن هذا الصراع بين القوميات والماركسية من من ناحية دين الإسلام سيعمل على اسقاط التيار الأصيل .

وكان الشيوعيون يعتبرون أندونيسيا جزءاً من هولندا ثم أخذت هولندا تشجع الشيع المضادة للإسلام وخاصة القاديانية ووجد الشيوعيون فى القوميتين حلفاء لهم ضد المسلمين .

وعندما استقلت أندونيسيا بعد مقاومة شديدة للاستعمار قام بها جماعة شركة إسلام انتخبت سوكارنو الذى كان قد وضع نفسه منذ اليوم الأول موضع الحاكم الموالى للنفوذ الماركسى الخادع لقومه ، وقد اختلف مع جميع أعوانه وزملائه فى حركة المقاومة الاستعمارية وفى مقدمتهم الجنرال عبد الحارث ناسيتيون قائد القوة التى قضت على أول تمرد قام به الشيوعيون ١٩٤٨ . وكان الوحيد الذى نجا من المحاولة التى قام بها الشيوعيون للقضاء على الوطنيين . يقول : لم أهادن الشيوعية فى حياتى لأنى أعرفها على حقيقتها وقد كنت ضد الشيوعية خلال الفترة ١٩٤٨ – ١٩٦٥ وكان موقفى نابعاً من ولائى لأندونيسيا قبل أى اعتبار آخر ، وقد قاوم ناسيتيون الاحتلال الهولندى واليابانى والشيوعى وقاد عملية تحرير ايريان الغربية . أما سوكارنو فقد اتجه إلى اليسار وقد قامت فى عهده ثورتان شيوعيتان للانقضاض على أندونيسيا : أولهما شيوعية سوفيتية ١٩٤٨ أنقذته منها القوى الاسلامية وثورة شيوعية صينية ١٩٦٥ قضت عليه ، حيث فشلت الثورة وسقط سوكارنو وتحولت أندونيسيا إلى الغرب ولكنها أصبحت لقمة سائغة فى أيدى منظمات التبشير المسيحى وقد فشل الشيوعيون فى أندونيسيا فشلهم فى مصر وإيران وأفغانستان وفى كل مكان يدين بالإسلام مهما ارتفعت اسهمهم فى مرحلة من المراحل وقد كان سوكارنو خارجا للقوى الاسلامية التى ساندته وجاءت به وعمل موالياً للشيوعية وأعطى الشيوعيين كل النفوذ فى البلاد فكانوا يتمتعون بالسيطرة على مختلف أجهزة الحكم والأعلام ولكنهم طمعوا فى أن تكون الدولة شيوعية خالصة وحمراء صارخة وكان سوكارنو لا يتردد فى الاعلان بأن

استقلال أندونيسيا لم يقم إلا على أكتاف الشيوعيين فكان مصيره السقوط وأن ترك أندونيسيا لتسقط تحت براثن النفوذ الأجنبي والتبشيرى نتيجة الفقر والأزمات الشداد التى قاساها الوطنيون ويتمثل الخطر الذى يواجه مسلمو اندونيسيا فى هذه المرحلة (نهاية القرن الرابع الهجرى) فى حملات التنصير التى أستطاعت أن تؤثر فى عدد لا يقل عن عشرة ملايين من مجموع ١٢٠ مليون نسمة . هذا المخطط الرهيب الذى هو من توجيه وعمل الكنيسة الأندونسية حيث يزدهر نشاطها فى جزيرة جاوة موطن ٦٥ فى المائة من سكان أندونيسيا ويقوم على برامج التبشير أكثر من ثلاثة آلاف قسيس وسبعة آلاف متطوع من جنسيات أوربية تمثل عشرة آلاف كنيسة وهم يسيطرون اليوم على الصحافة ووسائل الأعلام ولما كان الرئيس سوهارنو يعتنق المذهب الباطنى وزوجته ذات النفوذ الواسع تعتنق النصرانية فان نفوذ حملات التبشير يوحى بمخاطر شديدة فى المستقبل القريب

مؤامره على الأسلام فى جنوب شرق آسيا

إندونيسيا – الملايو – الفيلبين

المؤامرة تهدف على القضاء على معالم الدين وكل العناصر الاسلامية والصهيونية العالمية من وراء مذابح المسلمين فى الفيلبين وتواجه (أولا) احتلال أراضى المسلمين واجلائهم عنها بالقوة وتسليمها للمسيحيين المتمردين لإرضائهم (ثانياً) : اتفاقية ماركوس واسرائيل تدفع بمقتضاها عشرة ملايين دولار للمساهمة فى إبادة المسلمين بالجملة . (ثالثاً) : المستشار الصهيونى لرئيس الجمهورية الذى تخصص فى تصفية المسلمين فى المناطق الجنوبية . (رابعاً) : الخطط النازية الاستعمارية التى يزود بها الغرب حكومة الفيلبين لطرد المسلمين من أراضيهم الخصبة . (خامساً) : ظهور الذهب والفضة والمعادن فى مناطق المسلمين يسيل لعاب الحكام فيعملون فيهم إرهاباً وقتلا وتعذيباً وتضم منظمة جنوب شرق آسيا الاسلامية عدداً كبيراً من الجزر أهمها جاوه وسومطره ومندانو وهى جغرافيا تسمى الآن : الفيلبين وأندونيسيا وماليزيا .

وقد وصل الاسلام إلى هذه البلاد قرابة القرن الثالث الهجرى ، فقد كانت هذه الجزر هى معاقل التجارة الاسلامية وموانى القوافل ، ومنذ القرن الثامن الهجرى انتشر المسلمون انتشاراً واسعاً فى الملايو ، ومنها إلى أندونيسيا وماليزيا والفليبين ، وكانت هذه المناطق تمثل دولة واحدة تسمى «الملايو الكبرى» وعاصمتها جاوه ، وقد قامت بها أول سلطنة إسلامية

قبل منتصف القرن الثامن الهجرى . وتبدأ قصة الإسلام بقدوم الاخوة العرب السبعة التجار، الذين جاءوا من الأحقاف (حضرموت) وبهم دخل الإسلام فى هذه المناطق وانتشر وكان أبرزهم أبو بكر (يادو كامها سارى) هو السلطان شريف الهاشمى وقد اعتنق الشعب دين أمرائه ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعندما قدم الرحالة (ماجلان) عام ١٥١٩ إلى الفيلبين وجد الإسلام هناك دين الأمة ودين الحكم ، وكانت أولى معارك الصراع بين الغرب (أسبانيا) والإسلام ومن ثم بدأت حملات إبادة المسلمين منذ ذلك اليوم ، ولما تتوقف بعد ، فقد جاء بعد الاسبان الهولنديون والأمريكيون .. إلى اليوم . وبعد فان المؤامرة على الاسلام فى جنوب شرق آسيا مستمرة ، وهى كالنار تحت الرماد وإذا كانت صيحات الفيلبين هى العالية الآن فرط قسوة التعذيب ، فان الجهات الأخرى تواجه لوناً آخر من المؤامرة أبرزها التبشير وتغيير العقول بأساليب غاية فى الإذلال والامتهان للكرامة الانسانية ولحرية التدين. ذلك أن المؤامرة تستهدف المنطقة كلها ، الفيلبين وأندونيسيا وماليزيا ولكن كل منها بأسلوب يختلف . وقد أشارت بعض التصريحات إلى أن هناك مخططاً يرمى إلى تصفية المسلمين فى هذه المناطق وأنه قد حدد له زمناً لا يتجاوز العشر سنوات ، وأن الأسلوب الذى اتخذ فى الفلبين هو التصفية الدموية ، أما فى أندونيسيا فهو التبشير المسيحى ، أما فى تايلاند فهو أسلوب التدمير الاقتصادى . وقد بدأت عمليات التصفية الدموية بين مسلمى الفيلبين منذ عام ١٩٧٠ عن طريق الاعتداءات الوحشية على جزر المسلمين بقصد إبادتهم وإحلال غيرهم من غير المسلمين مكانهم حتى تضعف نسبتهم فى الجزر الثلاث الكبرى التى هى معقلهم الأساسى : مندانا وسولو وبلاوان وبذلك تسقط فى أيدى الأغلبية المسيحية والمسلمون البالغ عددهم خمسة ملايين نسمة يسكنون فى هذه الجزر فى المنطقة الجنوبية ويمثلون دولة خاصة ، غير أن حكومة الفيلبين تستهدف القضاء على وجودهم الخاص بالهجرة الجماعية إلى جزرهم وتصفيتهم عن طريق الإبادة .وقد أشار التقرير الذى قدمه المسلمون إلى مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية فى كولا لمبور : أن هذه الجزر هى الموطن الأول لشعب (بانجامورو) وهذه البلاد مستقلة عن الفيلبين ولم تكن فى يوم من الأيام تابعة لها أو جزءاً منها ، وإنما ضمت هذه البلاد إلى حدود الفيلبين الجغرافية نتيجة للمؤامرات الاستعمارية والخيانة الدولية ، وبعد أن ضمت الفيلبين هذه الجزر إلى حدودها ، حاولت أن تستغل جميع خيراتها دون مراعاة لصالح شعبها المسلم بل لم تكتف بهذا الحد فقد قامت بمحاولة القضاء على سكان هذه البلاد

الأصلية لأنهم يدينون بدين آخر هو الإسلام . لم تكن بلاد (بانجامورو) تابعة أو جزءاً للفيلبين وإنما احتلت سلطات الفيلبين هذه البلاد بدافع التوسع ، ولكن شعب (بانجامورو) ظل يقاوم الاحتلال ، ويتشبث بالحرية والاستقلال ، فوضعت الحكومة الفيلبينية خططاً للقضاء على العناصر الاسلامية وعلى معالم الدين الاسلامى ، تستهدف محو الشخصية الاسلامية ، وإدماجها بالشخصية الفيلبينية ،ولكن المحاولة لم تنجح ، لذلك لجأت إلى استخدام العنف والقوة للقضاء على هذا الشعب المسلم . وتدعى الفيلبين إنها قدمت مشروعاً لإصلاح ما أفسدته ، وإعادة تعمير ما دمرته قواتها من البلدان والقرى وهذا كله افتراء وكذب يراد به تحريف الحقائق وتضليل الرأى العام ، وهى تقوم بعمليات حربية فى المناطق الاسلامية بواسطة خمس عشرة كتيبة من الجيش ، وثلاث وعشرين سرية من القوات الصاعة ، وما لا يقل عن ٧٥ ألفاً من أعضاء منظمة اياجا الكاثوليكية المسلحة بأسلحة حديثة ، وقد مزقوا وأحرقوا آلاف المصاحف ، وعشرات الآلاف من الكتب العربية والاسلامية ، كما تم تجريد أكثر من ٥٠ ألف أسرة مسلمة من ممتلكاتها » . وتتمثل حركة احتلال أراضى المسلمين وإجلائهم عنها فى تشجيع حكومة الفيلبين للمسيحيين على الهجرة إلى أراضى المسلمين فى المناطق الجنوبية ، وإعطاء الحكومة الفيلبينية للمسيحين الذين يتمردون ضدها جزءاً كبيراً من أراضى المسلمين لكى يكفوا عن تمردهم .وقد بدأت عمليات التهجير سافرة ومنظمة من شمال الفيلبين إلى جنوبها (منطقة المسلمين) فى عام ١٩٥٨ . التى لم تكن قد تم تسجيلها باسم ملاكها المسلمين وبذلك فقد المسلمون أرضهم بما عليها من ثروات إذ كان القادمون المسيحيون من الشمال يسجلون الأرض بأسمائهم بعد قليل من استقرارهم فى أراضى المسلمين فى الجنوب بينما لم يكن هناك من المسلمين من يفطن إلى ضرورة احتفاظه بسند يثبت ملكيته للأرض ، ذلك لأن معظم المسلمين يكتفون فى أحقيتهم وملكيتهم لأراضيهم ، بأن جزر الجنوب التى يعيشون فيها قد توارثوها عن أبائهم وأجدادهم جيلا بعد جيل ، لمدة تزيد على ستة قرون ، ولأن أغلبهم لا يعترفون بأن الدولة الفيلبينية هى دولتهم . وبعد التسجيل كان المسيحيون المهاجرون من الشمال يسعون إلى انتزاع الأرض من أصحابها المسلمين ، وعندما يصل الأمر إلى القضاء الفيلبينى يحكم لصالح من لديه إثبات الملكية ، وهكذا عاماً بعد عام فقد المسلمون آلاف الهكتارات من الأراضى الزراعية ، بل وطردوا منها ويقدر متوسط عدد الأسر التى تهاجر كل عام من الشمال إلى الجنوب بخمسمائة أسرة . ويشير الكثيرون إلى أن المذابح التى

يتعرض لها المسلمون وراءها بعض المصالح الأجنبية ، وأن إسرائيل على صلة بالمصادمات بين الطوائف ، وذلك بسبب مساندة مسلمى الفيلبين لموقف العرب ، وخاصة فيما يتعلق بقضية فلسطين والقدس ، والمعروف أن المسلمين طاردوا حكام إسرائيل فى الفيلبيين وحاصروا الجامعة أثناء زيارة (إيبان) وسدوا الطرقات المؤدية إليها من المطار ، مما اضطر ايبان إلى أن يخرج من باب جانبي من المطار ، وكانت مظاهرة الطلبة المسلمين فى مانيلا عاصمة الفيلبين عندما أعلن خبر إحراق إسرائيل للمسجد الأقصى ، احرقوا علم إسرائيل فوق سفارتها واحرقوا سيارة سفيرها ، وكادوا أن يحرقوا السفارة ويقتلوا السفير لولا جهود الشرطة الفيلبينية. وقد أجمعت المصادر على أن الصهيونية العالمية وراء كل المذابح التى تعرض ويتعرض لها المسلمون فى الفيلبين نتيجة هذا الموقف ، وكذلك فان الأدلة مؤكدة على تآمر إسرائيل مع حكومة الفيلبين والعصابات المسيحية للقضاء على الإسلام والمسلمين والاستيلاء على أراضيهم . كما تبين أن لماركوس رئيس الفيلبين مستشاراً يهودياً صهيونياً هو (مانويل اليسالدى) وهو المختص بشئون الأقليات من المسلمين والبوذيين وهو المتهم الأول فى حوادث الفيلبين .ولماركوس مستشار يهودى آخر هو (هانز فنرى) وكلاهما من أصحاب الملايين.والمعروف أنه كان قد تم الانفاق بين إسرائيل وزعماء المسيحيين على معونات مادية ومعنوية ، وخبراء فى مجال الزراعة ، واشترطت فى سبيل ذلك تحويل أراضى المسلمين إلى المسيحيين . وقد دفعت إسرائيل فعلا عشرة ملايين دلار مساعدة إلى ماركوس ، كما سلمت للعصابات كميات ضخمة من الأسلحة ومما تردد أخيراً أنه قد اكتشف فى جزيرة (ميدانا) كبرى مراكز المسلمين ، معادن مختلفة منها الذهبُ والفضة والنحاس والحديد والمنجنيز والألمونيوم وأن هذا كان من أهم الأسباب التى دفعت الحكومة إلى تشجيع العصابات المسيحية على طرد المسلمين من أراضيهم واحتلالها .

المخاطر التى تواجه الجماعة الاسلامية فى الفيلبين

أولا : حرب الإبادة بشتى الطرق وإكراه المسلمين على ترك دينهم . ثانياً : إغلاق المدارس الإسلامية وإحراق المساجد ونهب المكتبات الاسلامية . ثالثاً : سلب ممتلكات المسلمين ونهب تجارتهم ومزارعهم . رابعاً : تعطيل حقوق المسلمين المدنية حتى لا يكون لهم حق المواطنة . خامساً : التمييز بين المسلمين وغير المسلمين . سادساً : إبادة المزارع الاسلامية بالمواد الكيماوية الحارقة . سابعاً : منع أبناء المسلمين من الانتماء إلى الكليات العسكرية . ثامناً : إثارة الفتن الخلافات بين المسلمين حتى لا يكونوا يداً واحدة فى مواجهة الأحداث . تاسعاً : مواجهة

حرب المسيحية والشيوعية فى وقت واحد . عاشراً : محاولة إزالة اسم الشعب المسلم الذى يعيش فى جزر مندانا وسولوا وبلاوان المسمى (بانجا مورو) وهو الاسم القديم للشعب المسلم فى الجزر الاسلامية .

(٢)

يقول باحث إسلامى كبير أن حركة التنصير فى أندونيسيا ليست حدثاً منعزلا بل هى جزء من حركة أوسع هدفها النهائى «تنصير العالم بأكمله» ويمكن القول أن حملة التبشير فى أندونيسيا اليوم وبعد الاستقلال هى أقوى مما كانت فى أيام الحكم الاستعمارى الهولندى فى كل مكان والملاحظ أن الإسلام فى أندونيسيا فى الوقت الحاضر ونتيجة لضعف العمـــل الاسلامى فيها خلال فترة سوكارنوا (٢٠ عاماً تقريباً) فقد اختلط الاسلام بالعقائد والتقاليد والديانات التى كانت سائدة فى جنوب شرقى آسيا وفى مقدمتها البوذية والهندوكية الأمر الذى شوه لدى البعض فهمهم للعقيدة الإسلامية ذاتها :ويقول دكتور يس مراد أنه لهذا السبب ركز المبشرون نشاطهم فى أندونيسيا منذ الاحتلال الهولندى ولا يزالون يوصلون نشاطهم حتى الآن ويبلغ عددهم حسب آخر تقرير (٢٠ ألف مبشر) يملكون إمكانيات ضخمة فى الحركة والانتقال فضلا عن اهتمامهم البالغ بانشاء المدارس والمستشفيات لجذب الأهالى وإغرائهم ، وقد حاولوا عقد مؤتمر للمبشرين فى جاكرتا خلال العام الماضى ولكن الهيئات الاسلامية قاومت ذلك بشدة .

وتواجه أندونيسيا أخطر عملية تبشير مسيحى فى العصر الحديث لمائة مليون مسلم فى أندونيسيا موزعون على ثلاثة آلاف جزيرة يتوجهون إلى الكعبة كل يوم خمس مرات ، وقد دخلوا فى الإسلام منذ القرن السابع الهجرى ، وكانت سومطره أول جزيرة يعتنق أهلها دين الإسلام بحكم موقعها على الطريق التجارى بين جزيرة العرب والصين . ومنها انتقل الإسلام إلى مختلف الجزر إلى الملايو والفيلبين حتى كان الإسلام فى القرن العاشر سائداً تماماً فى هذه المناطق وحاكماً ومسيطراً قبل موجة الغزو الأسبانى البرتغالى التى تعرضت لها هذه البلاد وقاومتها مقاومة شديدة والتى أسلمتها للاحتلال البريطانى والهولندى . منذ تلك الفترة تواجه أندونيسيا عملية تبشير مسيحى غاية فى العنف ، والصرامة ، قامت هولندا بدور كبير فيها حيث عمل الاستشراق على تزييف الحقائق وسيطر على مناهج الدراسة وحول الكتابة

بالحروف العربية إلى الحروف اللاتينية ،ومنذ وقت طويل ورجال التبشير والاستشراق العاملون فى خدمة الحكومات الاستعمارية يخططون لمواجهة المد الإسلامى فى هذه المناطق . ومن هؤلاء الدكتور كرامر أستاذ تاريخ الأديان فى جامعة ليدن الذى يقول فى أبحاثه : ان هاتين المنطقتين الواسعتين (أفريقيا وأندونيسيا – يجب أن نوجه إليهما الجهد لمواجهة الإسلام بجرأة ولباقة ، وأن الإسلام ليس كغيره من الأديان فهو أقوى وأعظم مقاومة لكل الأعمال الهادفة لتغيير العقيدة وكذلك يقول السكندر أيدنبورخ وزير المستعمرات فى هولندا : أنه لابد من تحطيم الإسلام وذلك بعرض آداب الغرب فى نفوس المسلمين ليبتعدوا عن دينهم وهم لا يشعرون على أن يساير أدب الغرب الدين المسيحى فى وقت معاً . وقد عقدت المنظمات التبشيرية مؤتمرات عديدة فى أوربا وأمريكا وفى الهند والفيلبين وماليزيا وأندونيسيا وغيرها بحث فيها المؤتمرون خططاً كثيرة فى هذا الشأن وكان لسوكارنو دور كبير فى معاونة هـذا الاتجاه الخطير حتى أنه طالب بعقد أحد هذه المؤتمرات فى جاكارتا ليحضره وليبرهن للعالم على أن حرية الأديان مكفولة فى أندونيسيا وحمد الغربيون لسوكارنو عطفه هذا وكان ذلك عام ١٩٦٤ وقد كان سوكارنو يعمل فى النطاقين : دعم الحركات التبشيرية والحركات الشيوعية فى نفس الوقت . وتولى فى عهده (فرانس سيدا) منصب وزير المالية وقد منحه البابا وسام البطولة الأكبر مكافأة له على خدماته ولا سيما فى حقل التربية ، وتولى وزارة الأعلام الدكتور رومامبى وأعقبه وزراء غير مسلمين . وكان الدكتور أويتر يخيت الهولندى الجنسية واليهودى الأصلى قد أمر بحل منظمة الطلاب المسلمين وقد أدلى أحد كبار رجال التبشير (فن دربورخ) بحديث قال فيه أن الرئيس سوكارنو يساير خططنا (نقل هذا عن أحد كتاب أندونيسيا ومؤرخيها الأستاذ ضياء شهاب) وفى ذلك العهد أقيمت مدرسة تبشيرية لتعليم الأطفال مجاناً ومدرسة لتخريج المبشرين ، يبعث بخريجيها إلى الغرب وقد أقيمت هاتان المدرستان فى قرية سكانها مسلمون وفى تقرير من مدير البعثة التبشيرية الأسيوية يفيد بأن تحولا خطيراً يجرى فى أندونيسيا نتيجة التبشير . ويتدفق على المنظمات التبشيرية فى هولندا معونات ضخمة من الأموال والآلات الطبية ، وهناك مبشرون متبرعون يرحلون إلى الجزر البعيدة يقيمون بين القبائل البدائية التى تعيش فى أحضان الغابات الاستوائية والمعروف أنه بمجرد أن سقط حكم سوكارنو والنفوذ الماركسى الموالى له ، هجمت التبشيرية الغربية لاحتلال الفراغ وجندت نفسها للتنصير وبذلك سقط أهل أندونيسيا بين مخافتين

هما التبشير والشيوعية . وقد قدم الدكتور محمد ناصر رئيس وزراء أندونيسيا الأسبق تقريراً خطيراً إلى رابطة العالم الإسلامى عن ما تستهدفه أندونيسيا من حملة التبشير وأورد أدلة كثيرة على ذلك المخطط الذى أشرنا إليه وقال أن المجلس الأندونيسى للكنائس أصدر مؤخراً خريطة لأندونيسيا قسم فيها البلاد إلى مناطق كنيسة مع توضيح لعدد أعضاء الكنيسة فى كل منطقة ، كما أوضح أن اتحاد الكنائس بالتعاون مع الفاتيكان وهيئات التبشير الأخرى فى العالم قد اتخذ أسلوباً جديداً فى التضليل والخداع للتسلل إلى صفوف المسلمين وزرع عقائده فى نفوسهم وذلك بالاسهام فى مشروعات التنمية تحت شعار (من الكنيسة إلى المجتمعات) وقد استطاعت هيئة تابعة لاتحاد الكنائس العالمى أن تمارس نشاطها فى مختلف مجالات التنمية الاقتصادية تحت اسم مناطق «انمائية للتبشير» . وقد استطاعت هذه الهيئة الاجنبية بأموالها الضخمة ، وفيالق خبرائها المتخصصة أن تقيم المستشفيات والمدارس ، وتقوم هذه الهيئات بشراء الأراضى ذات الموقع الاستراتيجى ، بأسعار مرتفعة لتبنى عليها مؤسساتها وتقوم الكنائس بتوزيع الأرز والكساء والنقود مباشرة إلى المعنيين كما تقدم للمزارعين الفقراء قروضاً نقدية وعينية بشرط أن يلحقوا أبناءهم بمدارس التبشير ويجرى رجال التبشير اتصالات بأعضاء الحزب الشيوعى المحظور المعتقلين ويعرضون عليهم مساعدة ذويهم بصفة مستمرة بشرط أن يكرسوا التبشير ، وعمال المصانع الذين يفقدون أعمالهم يقدم لهم التبشير معونات نقدية وعينية . ويصور دكتور محمد ناصر كيف بدأ النظام التبشيرى المشبوه فى أندونيسيا فيقول أن ذلك يعود إلى الأيام الأولى لاستقلال البلاد عندما تدفقت ملايين الدولارات إلى أندونيسيا على شكل مساعدات خارجية لتحويل هذه الملايين الضخمة إلى مستشفيات ومطابع ودور نشر ومراكز للشباب وعمارات شاهقة للتبشير ، وأمام هذه الإمكانيات المادية الضخمة التى يملكها التبشير تقف المنظمات والجمعيات الإسلامية عاجزة ويكفى أن هيئة المعونات المسيحية العالمية رصدت (١٥٠ ألف دولار) للنشاط التبشيرى هناك كما رصد الاتحاد العالمى للكنائس (٢٠٠ ألف دولار) وذلك لعام ١٩٧٣ . وقد استغل رجال التبشير موجة القحط والمجاعة فى موسم الجفاف ليقدموا الألبان المعلبة والحبوب للمسلمين من أيدى القساوسة والرهبان القادمين من الخارج . وقد نشرت صحيفة (واشنطن بوست) فى عددها الصادر ٧ — ٩ — ٧٣ تعليقاً بعنوان (تعاظم التبشير فى أندونيسيا) أشارت فيه إلى ازدياد عدد الكنائس فى أوساط أندونيسيا المسلمة وذكرت أن جاوه وهى أكثر الجزر ازدحاماً بالسكان

إذ يبلغ نسبة عدد سكانها ٦٥ فى المائة من مجموع سكان أندونيسيا أصبحت تربة صالحة لنشاط الإرساليات التبشيرية . وأعادت الصحيفة إلى الأذهان أن طلائع البعثات دخلت أندونيسيا فى عام ١٥٠٠ مع البرتغاليين الذين استعمروا جزر البهارات وأن مناطق عديدة استهدفت لحملات التبشير من بينها سولاويسى الشمالية والوسطى وجزر تيمور وفلوريس ومنطقة الباتاك فى سومطرة ، وقد استمرت الحملات التبشيرية وبعثاتها تتوالى على البلاد فى مختلف العهود التى مرت بها . كما يلاحظ أن ازدياد النشاط التبشيرى قد أخذ دوراً أكثر ظهوراً وانتشاراً بعد الانقلاب الشيوعى الفاشل فى أندونيسيا . كما أخذت الأموال تدفق على أندونيسيا من دول الغرب وأمريكا بالذات وجلها ينصب على الفكرة العامة وهى فكرة « محاولة تنصير الشعب المسلم فى أندونيسيا » لأن الحكومة الأندونيسية وحدها لا تستطيع أن تجابه كل هذا الغزو الفكرى والعقائدى ضد شعب أندونيسيا المسلم فلابد من أن تتكتل الجهود والطاقات لجميع الدول الإسلامية والمؤسسات من أجل العمل على صد ومقاومة هذا الغزو الاستعمارى الغربى الذى جاء مستغلا أوضاع البلاد الاقتصادية والاجتماعية .

الاستعداد لشن حملة تبشير سالمة فى أندونيسيا المسلمة

وقد أشار تقرير تلقته رابطة العالم الإسلامى أن الفاتيكان قد عين كردينالا وأسقفاً لدعم حركة هذه الإرساليات التبشيرية ونشاطها ، وقد أشار كتاب (واجبنا فى أندونيسيا اليوم) الذى أصدره أحد رجال التبشير إلى مختلف الخطط والمشاريع والبرامج والطرق والأساليب التى تتبع والتى نسقت على أساس من البحث العلمى والتى يمكن أن تستعمل كدليل ومرشد لشن حملة تبشير شاملة فى أندونيسيا المسلمة .

صوت من أندونيسيا

ويوجد فى أندونيسيا خمس منظمات إسلامية هى : ١ — المجلس الأعلى الأندونيسى للدعوة الإسلامية . ٢ — المنظمة المحمدية . ٣ — منظمة الشبان المسلمين . ٤ — منظمة الوصلية . ٥ — وحدة الأمة الإسلامية .ويقول الأستاذ أحمد جونى رئيس منظمة الشبان المسلمين فى أندونيسيا أن المنظمة تعمل جادة من أجل بناء الجيل المسلم الصاعد الذى يستطيع القيام بأعبائه ومسئولياته تجاه الإسلام وقد أشار إلى أن المنظمة تعمل على مواجهة حركة التبشير فى أندونيسيا بإنشاء مستشفيات ومدارس وصرف أولياء الأمور عن إدخال أبنائهم فى مدارس

التبشير ثم يقول : نحن نواجه الاتجاهات الهدامة التى تنجم عن مؤسسات التبشير وذلك بإيجاد البدائل الإسلامية .

ويؤكد كثير من الباحثين أنه مما سهل مهمة الإرساليات : هو ضعف الثقافة الإسلامية والمعرفة بمفاهيم الإسلام وانحطاط المستوى الاقتصادى . وقد أكد كثيرون ما جاء فى تقرير إحدى الطوائف التبشيرية فى جاوه الشرقية من أنهم يعملون فى سبيل ملاشاة الإسلام من الإسلام من جزيرة جاوه وبها ستون مليوناً من المسلمين فى خلال العشرين سنة القادمة . ولا ريب أن هذا الموقف جدير بأن تتخذ فيه الهيئات الإسلامية فى كل مكان قراراً حاسما لدفع هذه المحاذير ومقاومة هذه الأخطار .

(٧)

أفريقيا : قارة الاسلام

١ ـ اقتحم الإسلام القارة الأفريقية من جهتين . وكان لكل جهة منهما مسارها وتكوينها وعمقها : شرق أفريقيا وغرب أفريقيا . أما شرق أفريقيا فترجع إلى اتصال الموانئ الأفريقية بالجزيرة العربية ويمكن القول بأن الإسلام قد دخل أثيوبيا قبل أى بلد أفريقى آخر ، وذلك عن طريق الهجرة الأولى فى عهد النبى (ص) ولم تلبث الدعوة الإسلامية أن انتشرت على أيدى القبائل التى هاجرت إلى أرتريا والصومال وأثيوبيا حتى أصبح الإسلام هو دين الغالبية فى هذه المناطق. والمعروف أن هذا الساحل (شاطىء الصومال وكينيا وتنجانيقا) كان مجال التجارة العربية ، فلما جاء الإسلام واعتنقه العرب تحولت تلك إلى مراكزإسلامية على الشاطئ الشرقى الأفريقى تتحكم فى طرق التجارة إلى داخل تنجانيقا وقلب الكونغو وتمتد إلى بحيرة فكتوريا . وكان من نتيجة إتصال العرب بالأهالى أن ظهرت اللهجة السواحلية وهى من اللهجات المحلية الأفريقية التى يتحدث بها أغلب شعوب القارة وهى خليط من ألفاظ زنجية وعربية وفارسية وهندية . ويعلق المؤرخون أهمية كبرى على الدفعتين القويتين اللتين قدمتا إحداهما من الشمال والأخرى من عمان عن طريق الخليج العربى فى القرن الثانى الهجرى . وقد اتجهت الأولى إلى أرتيريا والثانية إلى الصومال . وأثمرتا نجاحاً هائلا ، حيث تأسست (موجاديشو) سنة ٨٦٠ التى أشادها عرب وفدوا من الإحساء على الخليج العربى . ومن الصومال نفد الإسلام جنوباً إلى سواحل تنجانيقا وكينيا من الثالث الهجرى . ٢ ـ أما منطقة غرب أفريقيا فقد انتشر الإسلام فيها عن طريق قبائل البربر

المغربية التى اعتنقت الإسلام وعن طريق غرب السودان ، حيث يوجد خط القوافل التجارية المسافرة إلى غرب أفريقيا . ومن المغرب انتشر الإسلام فى السنغال ومملكة غانة القديمة وامتد إلى داهومى الشمالية وكذلك نيجيريا وسائر غرب أفريقيا انتشر فيها الإسلام عن طريق أهل المغرب ورجال الطرق الصوفية ولم يلبث النيجيريون أن أصبحوا دعاة للإسلام فى ترحالهم على الأقدام للحج سنوياً مخترقين قلب أفريقيا إلى غرب السودان فشرقة ثم عابرين البحر الأحمر . ومن غرب أفريقيا وسع الإسلام آفاقه وسط القارة . ويرجع أهمية التوسع الإسلامى فى غرب أفريقيا إلى قيام دولة (المرابطين) القرن الخامس الهجرى حيث توصف هذه الفترة بأنها فترة انتعاش للإسلام ، وكان أبرز مظاهر هذه الحركة الاندفاع نحو الجنوب إلى جبال إدرار ثم إلى البلاد المعروفة باسم موريتانيا ، ثم إلى نهر السنغال حتى إذا كان القرن التاسع الهجرى (١٥م) اتسعت حركة انتشار الإسلام واللغة العربية فى هذه المناطق لم تلبث أن اتسعت فى القرن العاشر الهجرى حيث استطاع الإسلام أن ينتشر بين القبائل ويحل محل الديانات الوثنية فى السنغال حيث اعتنق الإسلام حوالى مليون و ٣٠٠ ألف من مليونين هم مجموع السكان . وفى مالى والسودان الفرنسى سابقاً تأسست فى القرن الخامس الهجرى (١١ م) دولة بربرية عن طريقها انتشر الإسلام فى قبائل السودان الفرنسى فلما تولى المغاربة حكم هذه البلاد زادت نسبة المسلمين فيها إلى أكثر من ٦٠ فى المائة وفى جامبيا وغينيا انتشر الإسلام انتشاراً هائلا وكان لقبيلتى الفولا والإلمامية أثر كبير وكذلك كان لرجال الشيخ عمر أثر واضح ، فأصبحت الأغلبية إسلامية . وكذلك فى إقليم النيجر ، قامت دولة إسلامية واسعة ، وأنشأ الطوارق سلطنة بربرية منذ القرن العاشر الهجرى فانتشر الإسلام فى هذه المناطق . أقبلت بعد ذلك مرحلة الغزو الاستعمارى الذى بدأته البرتغالى وأسبانيا وتبعتها باقى الدول الأوربية وقد استطاع المسلمون فى أفريقيا مقاومة الغزو البرتغالى والأسبانى المتقدم الذى بدأ فى أوائل القرن التاسع الهجرى (١٥ م) بعد سقوط الأندلس ، غير أن الاستعمار الفرنسى والبريطانى لم يلبث أن حل محل النفوذ البرتغالى والأسبانى ، وقد استطاع هذا النفوذ أن يستمر طويلا . ويمكن القول بأن العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر ، كانا أشد مراحل الغزو الأوربى لأفريقيا قسوة واندفاعاً وفى خلال الفترة بين القرنين الخامس عشر والتاسع عشر ، استطاع الإسلام أن يحقق توسعات ذاتية كبيرة فعندما انهزم البرتغاليون فى القرن الثامن عشر نقل سلطان مسقط عاصمته إلى زنجبار وأصبح الساحل الشمالى لشرق

أفريقيا إسلامياً . غير أنه فى القرن التاسع عشر الميلادى ، وفى إبان حركة التوسع الغربى فى أفريقيا كان الإسلام يمر بأزهر فترات توسعه التى أوقفتها حركات الاحتلال والغزو وعوقتها ، وإن كانت قد استطاعت من بعد أن تحقق نتائج هامة فى مجال التحدى للإرساليات التبشيرية ، ففى هذه الفترة استطاع التاجر المسلم ورجال الصوفية والدعاة المنقطعون للإسلام إدخال عديد من القبائل الوثنية فى الإسلام فى تنجانيقا وكينيا وزنزبار واستطاعت بعض هذه الأمم أن يصبح الإسلام دين الأغلبية كما حدث فى أوغندا وكان للتجار العرب الوافدين من الخليج الفارسى أثر واضح فى نشر الإسلام فى كرموز وجزر المحيط الهندى (مدغشقر — سيشل — البرلوتبون — موريس حتى بلغ المسلمون فى مدغشقر وحدها مليون نسمة . وكان للجاليات الاسلامية التى وفدت من الهند والملايو واستقرت فى المناطق الواسعة الممتدة من فى جنوب افريقيا إلى كينيا شمالا أثرها فى نشر الاسلام وقد بلغت ٥٠ ألف هندى (٤ الف ملاوى) حتى لقد اعتنق الاسلام فى هذه المناطق ٥٠ ألفاً من السكان السود . وكان للاسماعيلية والأحمدية (وهما طائفتان من مسلمى الهند) أثرهما فى نشر الاسلام أيضاً ، كما كان للتجارة أثرها الواضح فى إدخال الناس فى الاسلام نتيجة لهجرة العمال من قبائلهم إنتجاعاً للرزق . ويرجع كثير من الباحثين الفضل فى انتشار الاسلام بين قبائل الزنوج فى إفريقيا منذ القرن ١٨ إلى نشاط الدعاة من أرباب الطرق الصوفية الاسلامية . وقد وجد فيه الزنوج الطمأنينة بفضل نظامه الاجتماعى وما يتمتعون فى ظله من أمن خلال أسفارهم للتجارة ويسر فى فرائضه ». والاسلام دين فطرة سهل التناول سهل التكيف والتطبيق على مختلف الظروف ولعل هذا من أهم العوامل التى سهلت اعتناق الوثنيين للإسلام . وقد بدل الاسلام مظاهر الحياة فى البقاع التى دخلها وأسبغ روح النظافة حيث يتميز المسلم عن بقية الناس بلباس فضفاض فضلا عن تحريم لحم الخنزير . ومشايخ الطرق فى هذه المناطق يتمتعون بالتقدير بحسبان أن الله أرسلهم هداة ، ويعتبرهم الخاصة مربيون روحانيون يوجهون النفوس . ومن أهم مظاهر الاسلام مسايرته لطبيعة التفكير الخاص بالعقلية الزنجية (هو بير ديشان) . وقد أشارت صحيفة دى وشنطون بوست إلى أهمية الدور الذى يقوم به الاسلام فقالت : ولا شك كان لعدد من الطرق الصوفية أثرها البعيد وفى مقدمتها : الطريقة القادرية : التى توسعت فى افريقيا السوداء فى جنوب إفريقيا الطريقة التيجانية : فى القرن ١٨ بمدينة فاس حيث تتميز بشدة معارضتها للوثنية وهى طريقة الحاج عمر التى حققت انتشاراً واسعاً

فى افريقيا السوداء . وتركزت فى افريقيا الغربية جهود المرابطين المغاربة وجلهم من أتباع الطريقتين القادرية والنيجانية . وقد امتد نشاطهم من السنغال إلى غينيا والسودان حتى سواحل العاج ومستعمرة النيجر . وهناك دور هام لا سبيل إلى تجاوزه هو أثر الدعوة السنوسية فى طرابلس وافريقيا وكذلك أثر الحركة المهدية فى السودان .

— ٢ —

لقد حقق انتشار الاسلام فى افريقيا نتائج بالغة الخطورة لا يمكن تقديرها إلا بتصوير قوة زحف الارساليات التبشيرية الغربية والمبالغ الطائلة التى تنفقها الدول الأوربية عليها ويمكن القول بأن تزايد قوة التوسع الاسلامى الذاتى راجع إلى مواجهة هذا التحدى أصلا . ويعترف هوبر ونشان مؤلف كتاب « الديانات فى إفريقيا السوداء » وهو أحد حكام المستعمرات الفرنسية بأن انتشار الدعوة الاسلامية — فى غالب الظروف — لم يقم على القهر والتسلط ، بل قام على الاقناع « لأن الذين قاموا به كانوا مشايخ متفرقين لا تحوطهم قوة أو تحميهم دولة ، وإنما كان الاخلاص دافعهم إلى إظهار محاسن الاسلام وسماحته ، وقد يسر انتشار الاسلام ، أنه دين فطرة سهل التناول خال من التعقيد لا يفرض على المسلم طقوساً ما ، بل لا يتطلب سوى النطق بالشهادتين ، ولذلك كان التجار والمسلمون من الديولا أو الهوزا يحملون بذور الدعوة الاسلامية فى سماحة ويسر بل أن الاسلام قد خالف ظن المبشرين والمراقبين الغربيين الذين كانوا يظنون أنه لا يستطيع الانتشار إلا فى مناطق الشمال حيث تكثر القيافى والقفار ، دون أن يستطيع اجتياز حاجز الغابات الحارة فى الجنوب والتوسع فى أوساط سكانها ، فان تقدم الاسلام فى سيراليون وشاطىء العاج وشاطىء الذهب وداهومى أثبت بما فيه الكفاية — على حد تعليق جريدة نيويورك تايمس — كم من القوة كان ذلك الاعتقاد بعيداً عن الصواب وقد شهد بالحقيقة بعض الباحثين أمثال بور ورث سميث فى كتابه Mohamed and Mohammedens : الذى أوضح كيف انتشر الإسلام سريعاً فى أفريقيا ودانت له ، وكيف اجتاح أغلب دول أفريقيا دون مقاومة تذكر ، وكيف امتدت موجة الاسلام جنوباً إلى الشمال الغربى من مراكش حيث بلغت فى زمن الفتح النورماندى تخوم تمبكتو ، ووصلت شرقاً وجنوباً حتى بلغت فى القرن الثالث عشر (١٩ م) بحيرة تشاد التى تصافح على ضفافها العرب القادمون من الشرق مع اخوانهم القادمين من الغرب ، وقال «أنا لنسمع عن قبائل بأسرها تطرح جانباً الوثنية والشعوذة وعبادة الشيطان لترقى إلى أعلى

مستويات العقيدة الدينية . وقد لاحظ المسافرون الغربيون رغم كل رغبة من جانبهم فى عكس هذا – أن الزنجى الذى يعتنق الاسلام لا يلبث أن يجتلى شعوراً بالعزة والكرامة الانسانية لا تلمس مثلها عادة بين هؤلاء الذين ينضمون إلى غيره ونقول ونحن متأكدون من جميع النواحى أن للسكان المسلمين رغبة عاطفية فى التعلم وحينما يوجد عدد المسلمين يسرعون إلى إنشاء مدارسهم الخاصة ومنهم غير قليل يقطعون المسافات الشاسعة للحصول على أفضل تعليم . ويلاحظ مراسل صحيفة ذى وشنطون بوست أنه فى خلال هذا القرن قد تحولت قرى بكاملها إلى الإسلام فى بحر سنوات قليلة ففى فولتا العليا اعتنق الاسلام «موغانايا» ملك المرسى مع مئات من رعاياه . ومنذ الحرب العالمية الثانية تقدم الاسلام تقدماً مماثلا فى ليبريا وساحل العاج والكونغو ، : ويوجد الآن السنغال وجاميا وغينيا ومالى وموريتانيا والصومال وزنجبار والنيجر وتشاد أكثر من ٨٠ فى المائة مسلمون ونفس الشىء تجده فى شرق أفريقيا » . ويعلل أسباب تفوق الاسلام إلى أنه أكثر بساطة إذ ليس فيـه أسرار مذهبية أو تعذيب للضمير ، فالاعتقاد باله واحد وتمجيد نبيه هما الشرطان الأساسيان فى الإسلام ، فضلا عن أنه يجيز تعدد الزوجات وقد لاحظ جون جنتر فى تطواقه فى أفريقيا حسبما سجله فى كتابه «داخل أفريقيا » إن أهم عوامل انتشار الاسلام أنه ليس فيه تمييز عنصرى ، ومن ثم لا يقوم حاجز يمنع تحول البانتو أو الزنوج إلى رحابه ، وقد انتشر انتشاراً شاملا عميقاً بين عباد الأوثان والحيوان لأن شعائره مبسطة للغاية وترجع أهمية الاسلام فى نظر الأفريقيين إلى أنه نظام اجتماعى كما هو دين ، يمنح المؤمن اعتقاده بالمساواة بين جميع المؤمنين . ولقد أشار ولفر هامبتون فى بحث له نشرته جريدة التيمس عام١٨٨٧ نتائج انشار الاسلام فقال : أنه عندما تدين به أمة من الأمم الأفريقية تختفى من بينها فى الحال عبادة الأوثان ، وتحرم أكل لحم الانسان وأود البنات وتضرب عن الكهانة وتأخذ أهلها فى أسباب الاصلاح وحب الطهارة . ويصبح عندهم قرى الضيف من الواجبات الدينية وشرب الخمور من الأمور الممنوعة ولعب الميسر والأزلام محرمة والرقص القبيح ومخالفة النساء اختلاطاً دون تمييز منعدمة ، يرون عفة المرأة من الفضائل ، أما الغلو فى الحرية والتهتك وراء الشهوات البالية فلا تجيزه الشريعة الاسلامية والاسلام هو الذى يعمم النظافات ويقمع النفس عن الهوى ويحرم إراقة الدماء ، والقسوة فى معاملة الحيوان والأرقاء ، ويحض على الخيرات ، ويقول بالاعتدال فى تعدد الزوجات والعدل فى الاسترقاق وزيادة على ذلك

فالاسلام عفيف بالكلية عن الشركات الدينية والتجارية وفى غنى عنها بالمرة ، والتجارة الأوربية تمهد وسائل المسكرات وتسوم الشعوب خسفاً واذلالا والاسلام ينشر لواء المدنية القائلة بالاحتشام فى الملبس والنظافة والاستقامة وعزة النفس . وفى نفس العام يكتب جوزيف توميسون فى التيمس عن انطباعاته بعد رحلة استكشافية فى قلب أفريقيا : إذا بلغنا غربى أفريقيا والسودان الأوسط نجد الاسلام كجسم قوى تدب فيه روح الحياة والنشاط وتتحرك فيه عوامل الحماسة والإقدام كما كان فى أيامه الأولى ، فترى الناس تدخل فيه أفواجاً وتقبل عليه بإقبال عجيب يشبه أيامه السالفة ، نرى أشعة نوره منبعثة من شوارع سيراليون وأخذه فى إنارة بصائر القبائل المنحطة فى وهاد الجهالة الآكلة لحوم البشر عند منبع النيجر . . رأيت أن أعظم فتوحات الاسلام فى أواسط السودان وغربه كانت على دين جماعة سليمى الطويلة متخفضى الجناح ، وكان قائماً بنشره واتساع دائرته يدعى « فيللانى » وكان يفترش الأرض ويلتحف السماء ، وفى الأزمان الحاضرة كان القائم بأمره تاجراً ذا همة وإقدام يقال له « هوذا أو نوبية » . وفى أوائل القرن الثانى عشر (١٨ م) كان ذاك الراعى يجهد نفسه فى نشر لواء ديانته من بحيرة تشاد إلى الأقيانوس الأتلانتيكى فحصل من ذلك أن أشرقت شمس الاسلام فى سماء هذه الجهة بأجمعها وظهرت فى أواخر القرن الماضى عدة فئات من المسلمين لم يكن يعوزهم إلا رئيس يحمى زمارهم ، ويدفع عن هذه البلاد غائلة الوثنية ، فلما قيض لهم فى بدء هذا الجيل رجلا يسمونه (فودبو) لم يمض غير قليل زمن حتى ساد الاسلام ، وامتد جناح سلطانه بسرعة غريبة فى بلاد شاسعة واسعة وانتشرت سلطته على القبائل المتبربرة فأصاب فوزاً عظيماً . و

ويصف الكاتب سلوك دعاة الاسلام فى أفريقيا وطريقة عملهم :

إن زعيم الإسلام فى هذه السنوات هو التاجر السودانى الذى كان يعتمد فى مهماته على تقواه ويستعين بها على أعماله ، وكان يتوغل فى كل قبيلة على مسافة بعيدة من بلدة ويختلط بالوثنيين المتبربرين ، وكان يبيت معهم ويأكل معهم من طعام واحد ، وكان أينما حل أو سار لا يألوا جهداً فى توسيع نطاق ديانته وإظهار مزاياها الخالية من الالتباس والوعظ بها بين الناس ، وفى الحقيقة أن الفرائض والسنن التى يعظ بها لا يعسر فهمها على أخيه الوثنى ، ولا يخرج عن قوة إدراكه ، هذا التاجر كان يقيم تارة شهراً وطورا ستة أشهر أو سنة ، فى خلال هذه المدة تراه موضع التعجب والاستحسان لنظافة ملبسه ولذلك ينكب الناس الذين حوله على تقليده واتباع طريقته ، وهم لا يرون شيئاً نصب أعينهم إلا ويتطلع إليه أمامهم ،

وليس فى ديانته شىء مبهم عليه معرفته ، وعلى هذا انغرست بذور المدينة فى عدة قبـائل همجية ونمى بينها الإسلام نمواً هائلا إلى حد رن فيه صدى هذه البلاد فى الآفاق » . هـذه صور توسعات الاسلام الذاتية فى العصر الحديث ، كما يصورها عدد من المراقبين الأجانب، ترسم طبيعة هذا الدين ، وقدرته على الذيوع فى مواجهة التحديات التى تعرض لها من خلال جائحة الاستعمار التى واجهت القارة الأفريقية فى العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر. والحق أن الأمور لو مضت على طبيعتها دون تدخل القوى الأجنبية والاستعمار وترك لدعاة التبشير من الأديان المختلفة حرية العمل لاستطاع الاسلام واللغة العربية معه أن يحرزا تفوقاً واضحاً وتوسعاً ضخماً فى أفريقيا ، غير أن النفوذ الاستعمارى كان حفياً بأن يوقف هذا النشاط ويعوقه .

٣ ـ الاستعمار والتبشير : والمعروف أن النفوذ الاستعمارى الزاحف قد أفسد المجمع الأفريقى وقضى على عوامل الازدهار فيه وحاول أن يغير صورة التاريخ ، والحاضر القوى ويقضى على آثاره الحية وذلك كمحاولة لتصوير الوجود الاستعمارى بأنه كان عاملا من عوامل التنوير وثقافتهم والنهضة والحق أن المستعمرين أدخلوا نظمهم السياسية وقواتهم العسكرية والأوروبية ومنظماتهم التبشيرية إلى أفريقيا وقضوا على السلطات الاسلامية أو سلبوها سطانها ووضعوها تحت الوصاية وفرضوا العزلة على هذه البلاد وقطعوا صلاتها بالعالم الخارجى وطوقوا القارة الافريقية بالقواعد العسكرية ونهبوا ثرواتها واستعبدوا أهلها وحاربوا الثقافة الاسلامية حرباً عير متكافئة ففرضوا اللغات الأوروبية على أفريقية وأنشأو المدارس التى تبث ثقافتهم وأفكارهم ، وخاض الاسلام فى أفريقيا معركة حياة أو موت وهى حركة يرى الدكتور حسن محمود أنها لم يؤرخ لها بعد تاريخاً شافياً . والمعروف أن الاستعمار فى أفريقيا قد حرص على أشياء فى هامة مقدمتها طمس معالم الحضارة الاسلامية والتراث الاسلامى بها حتى لا يستطيع المسلمون التعرف عليه ، وإقامة دعوى خطيرة بأن هذه البلاد كانت مجهولة وغير متحضرة وأن رجال الاستعمار الأوربى أمثال (ولفنجستون وبيكر) هم الذين اكتشفوها مع أنها كانت مكتشفة فعلا وللمؤرخين وللرحالة المسلمين أبحاث مسجلة عنها وكذلك عمدوا إلى نقل التراث الإسلامى إلى العواصم الأربية رغبة فى إخفائه والقضاء عليه ثم مضى الاستعمار فحمل على التجار العرب فى أنحاء أفريقيا والذين كانوا يحملون معهم الإسلام حملات عنيفة متهماً إياهم بأنهم تجار الرقيق وبذلك وضع قيود على تنقلاتهم حتى

يفسح المجال للبعثات التبشيرية التى تدفقت على مختلف الأَماكن تبنى مدارسها وكنائسها ومستشفياتها وتحاول إغراء المسلمين قبل إغراء الوثنيين — بتقديم خدماتها .

وقد أَشار الزعيم محمد فريد فى أَبحاثه عام ١٨٩٨ إلى خطة الاستعمار فى أَفريقيا وكان ذلك فى إبانها فقال إن مبادئهم إرسال الرواد أولا بدعوى اكتشاف المجهول من البلاد ثم يتبعهم التجار والمرسلون الدينيون لتمهيد الطريق وعندما تنتشر تجارتهم فى البلادويصبحون أَصحاب منافع عظيمة يؤلفون الشركات الكبرى التى تمنحها الحكومة حتى تعبئة الجيوش وضرب العملة ووضع القوانين والأَحكام حتى إذا ما فتحت البلاد ودوخت العباد حلت محلها الحكومة نفسها — بعد التعويض على مساهمى الشركة فتملك الدولة المحتلة بذلك بلاداً واسعة لو أَردت أَن تفتحها بالقوة بادئ بدءٍ لكلفتها الأَموال الطائلة والنفوس العديدة » .

وقد استهدف الاستعمار الفرنسى والبريطانى فى أَفريقيا — وهو أَبرز القوى الاستعمارية — القضاءَ على مقومات المسلمين فى أَفريقيا وذلك بوسائل مختلفة أَهمها القضاءُ على اللغة العربية والثقافة الإسلامية والتراث الإسلامى وكل ما يتصل بتاريخ الفترة المزدهرة التى عاشهاالمسلمون قبل اتساع النفوذ الأَجنبى . ولذلك فإن التركيز الاستعمارى كان على الثقافة أساساً عن طريقين : نشر المدارس والمؤسسات التبشيرية والإرساليات والقضاءُ على المدارس الوطنية وإعداد المدارس التى تشرف عليها الحكومة وإعداد الإرساليات وتنصب عملها على نشر لغة المستعمر ودينه وتاريخه وتغذية اللغات الإقليمية القومية وإيقاف اللغة العربية الأُم وتجميدها ويتجاهل الاستعمار الفرنسى اللغات واللهجات المحلية منذ التعليم الأَولى والابتدائى حتى ينشأ الجيل كله يتحدث بالفرنسية — ويختار الصفوة فيرسلهم إلى فرنسا ليتشبعوا بثقافته ومفاهيمه ، وهؤلاءُ هم الذين يعملون فى دولاب الحكومة مع رجال الاحتلال بينما يترك بقية الأَهالى على أُميتهم . كما يعتبر الفرنسى الأَرض الأَفريقية جزءًا من فرنسا ، ولذلك فهو يوزع صحفه الفرنسية (الفيجارو والموند) فى غرب أَفريقيا ويعتبرها صحافة وطنية .

أَما أُسلوب الإنجليز فيختلف قليلا ولكنه يرمى إلى نفس الغاية حيث يفصل الإنجليزى بينه وبين الذين يحتلهم ، ويدرس اللغات المحلية فى المراحل الأُولى ثم يدرس لغته فى المراحل المتقدمة ، وهو ينمى الإقليمية فى اللغة والتراث ويدعو إلى بعث الثقافات القديمة البالية السابقة للإسلام رغبة فى الفصل بين المسلمين وبين ماضيهم القريب . ويعمد البريطانيون إلى عزل مختلف المناطق الأَفريقية عن الجو العربى الذى قد يكون موجوداً بين الأَفريقيين ومن ذلك أَنهم حولوا أَهالى شرق أَفريقيا (كينيا وأُوغندة وتنجانيقا وزنجبار) من كتابة اللغة

السواحيلية بالحروف العربية إلى كتابتها بالحروف اللاتينية . كما يعمد الاحتلال البريطانى إلى السيطرة على الصحف وذلك بتحريك قضايا وشبهات من شأنها أن تثير الخلافات بين المذاهب المختلفة وتحول دون وحدة الأمة ، فهو يثير مشكلة الأقليات أحياناً والخلافات المذهبية أو السياسية أحياناً أو ينادى بانفصال مناطق معينة ، ويتلخص مفهوم الاحتلال الغربى (بأنواعه) :فرنسا وبريطانيا وبلجيكا فى أنه هو رسول الحضارة وناشر المدنيةوصاحب الرعاية الأبوية والتوجيه الدينى ولطالما أعلنوا فى كتاباتهم « أنهم أصحاب رسالة إلى شعب قاصر ليس له أن يبدى رأيه فى أمور يعرفونها هم وإنما عليه أن يقبل الرعاية الأبوية كطفل صغير . » ويغلب على التوجيه الثقافى والعلمى روح التبشير والإرساليات ، حيث يترك الاحتلال البلجيكى للبعثات التبشيرية الإشراف الكامل فى المجال التعليمى وخاصة التعليم الابتدائى ، وقد كان للبلجيكيين ٧٢٠ مجموعة تبشيرية تضم حوالى (٦) آلاف مبشر معظمهم من الكاثوليك ولغة التعليم هى الفرنسية . غير أن الاستعمار الفرنسى والإنجليزى والبلجيكى قد رأى أن معظم الذين يسافرون إلى أوربا من صفوة أبناء البلاد الممتازين لقيادة مجتمعاتهم وأصحاب الولاء الواضح للنفوذ الاستعمارى إنما يعودون بروح غير روح الولاء ويسجل ذلك جورج بادمور حيث يقول : نحن نرى الذين يزورون أوربا ويتلقون تعليما عالياً فيها لا يعودون إلى بلادهم بروح الحضارة من البلد الأم ولكنهم يعودون بروح معادية للبلد الذى فتح لهم أبواب الحضارة . ويمكن القول بأن الغزو الاستعمارى فى أفريقيا حمل لواء ثلاث عمليات خطيرة : الأولى : عملية تجارة الرقيق حيث عمد إلى خطف أكثر من عشرين مليوناً من أهالى أفريقيا وأرسلهم إلى أمريكا وقد مات منهم فى الطريق عدد كبير . وقد فعل هذا بينما كان يثير حملات عنيفة متهماً التاجر المسلم المتنقل بين أرجاء أفريقيا بأنه يعمل فى تجارة الرقيق ، وقد شهد للمسلمين والعرب كثير من الباحثين المنصفين وردوا هذه الشبهة المضللة وفى مقدمتهم بوزورث :.حين قال : لما كان التجار العرب الذين توغلوا فى القارة الأوروبية ليقترفوا فى يوم من الأيام جرائم الخطف والاسترقاق التى اقترفها المستعمرون بل كانوا رسل حضارة وإيمان إلى هذه القارة . (ثانياً) عمليات التبشير حيث تدفقت البعثات التبشيرية الأوربية المختلفةمن الكاثوليك والبروتستانت لنشرالمسيحية واللغات الأوربية ومقاومة الإسلام والثقافة الإسلامية وقد سار التبشير فى ركاب الاستعمار وارتبط به . (ثالثاً) إدخال جماعات بيضاء بكميات ضخمة فى كثير من المناطق للاستيلاء على الأراضى الخصبة وطرد أهلها الأفريقيين

منها وخلق كيان أوربى يجعل الوطنيين أقلية فى بلادهم . والمعروف أن البعثات التبشيرية لم تستطع أن تحقق كثيراً مما كانت تتطلع إليه فقدواجهتها حركة التبشير الإسلامية السلمية واكتسحت المجال أمامها وبلغت أقصى مكان فى القارة ، وقد أشار الدكتور زويمر فى أوائل هذا القرن فى دهشة إلى ما وجده فى جنوب أفريقيا من نهضة إسلامية فى مدن الكاب وحدها ما يزيد على ثلاثة عشر مسجداً وحيث يجرى تعلم اللغة العربية لنحو ٤٠٠ طالب يتلقون هذه اللغة فى مدرسة واحدة يوجد بالكاب ٢٤ ألف مسلم ويدهش لأنه عثر على كتاب صرف عربى انجليزى فى ثمانية مجلدات فى إحدى المكتبات ويقول إن زعماء النهضة لتعليم اللغة العربية فى الغالب من الحجاج الذين يعودون من مكة . والمعروف أن المنظمات الإسلامية قد خاضت معركة مريرة مع الغرب وقواته ومراكز تبشيره وتسابق الطرفان مع المبشرين الذين تسندهم أموال ، أيهما يكسب مزيداً من الزنوج الوثنيين وقد استطاع الإسلام أن ينتصر فى هذه الحرب وتطرق الدعاة المسلمون إلى أقاليم لم يكونوا قادرين على أن يبلغوها من قبل وكسبوا الملايين إلى الإسلام وأحرزت هذه المنظمات نصراً بعيد المدى على المنظمات المسيحية رغم أموالها وسلطانها ولما بدأت قبضات المستعمرين فى أفريقيا تتهاوى ولاحت نذر التحرر تطلع الأفريقيون إلى الفكاك من الأسر فكانت الجماعات المسلمة هى الخمائر التى خرجت منها صيحات التحرر حيث لعبت الجمعيات الإسلامية دوراً هاماً فى قيادة الحركة الاستقلالية فى غرب أفريقيا وشرقها وأسهم الزعماء المسلمون بدور فعال فى تغذيه الحركة الاستقلالية . واشترك المسلمون فى المنظمات السياسية وأقبلوا على التعليم . وأسهم الإسلام بنصيب كبير فى تحقيق الوحدة الأفريقية . (دكتور حسن محمود) ويؤكد الباحثون والمؤرخون أن أفريقيا هى القارة الوحيدة التى يزحف فيها الإسلام اليوم ، وإن الإسلام قد ضاعف نفسه فى أفريقيا خلال عشرين عاماً ، حيث ارتفع عدد المسلمين بين عام ١٩٣١ ، ١٩٥١ من ٤٠ مليوناً إلى ٨٠ مليوناً . ويرى دكتور جمال حمدان أن عدد المسلمين فى أفريقيا اليوم يعادل عدد العرب فى مجموعهم وأن أفريقيا أكبر القارات فى نسبة الإسلام ، وقد تمددت أطراف الإسلام منها إلى كل ركن وصقع فى القارة . ويصف حركة الإسلام فى أفريقيا « بالثورة الصامتة التى تكتسح القارة تحت ناظرينا » وعنده أن الإسلام فى حدود انتشاره الحالى فى أفريقيا يرتبط بكل أنواع البيئات المختلفة ، وأن هذا النمو على كافة المستويات يكذب ما ذهب إليه البعض من أن الإسلام دين الرعاة أو دين الصحارى أو دين السهول فهو دين الرعاة والصحارى

والسهول جميعاً . والإسلام متمثل اليوم فى كل وحدة سياسية فى أفريقيا وعددها خمسون وحدة، وهو قوة سياسية كبرى فى أفريقيا . وعنده أن الإسلام قوة لاحمة سياسية ، فهو جسر امتد بين أفريقيا العربية وأفريقيا الزنجية ويمثل قاسما مشتركاً أصغر بينهما بدد خرافة « زنوج وعرب » وسيظل الإسلام يزحف فى آسيا المدارية وينتقل من نجاح إلى نجاح . ويؤكد الباحثون أن الإسلام فى أفريقيا يتحرك فى فراغ دينى وأنه يعمل دون صراع مع المسيحية ولا يصادمها ، وإنما يتخذ مجال عمله بين الوثنيين ، والظاهرة الواضحة أن التبشير قد ارتبط بالنفوذ الأجنبى والاستعمار الأوربى ، وأن تناقضات المذاهب وصراعها قد قلل من أهمية التبشير نفسه ، بينما يبدو – الإسلام بسيطاً وسمحاً ، وقد أصبح الأفريقيون يقرنون بين المسيحية والاستعمار ، ويرون أن المسيحية دين البيض ، ومن هنا فإن الإسلام يكاد يكون محتوماً كدين المستقبل ويشير إلى هذا الدكتور جمال حمدان حين يقول : ربما سجل التاريخ قريباً أن تحرر أفريقيا كان معناه أكبر موجه حديثه فى انتشار الإسلام وقد تصبح أفريقيا قارة الإسلام بالضرورة . وبالجملة فإن الاستعمار قاوم الإسلام والثقافة العربية والتاريخ واللغة العربية جميعاً خلال أكثر من قرن كامل فى نفس الوقت الذى شق الإسلام طريقه وتوسع حتى أحاط بالقارة إحاطة شاملة وفرض نفوذه الفكرى والثقافى والاجتماعى كتيار تقدمى واضح الأثر .

ونحن على أبواب القرن الخامس عشر الهجرى نجد أفريقيا وهى تواجه صراعاً شديداً فى مناطق مختلفة منها حيث تزداد مطامع الدول الكبرى وحيث يضطرم الصراع بين النفوذين الغربى المقيم والشيوعى الزاحف ويحتدم فى مناطق اريتريا والصومال بمواجهة شديدة من أثيوبيا المسيحية الماركسية . ذلك أنه بعد أن تحررت أفريقيا من قبضة المستعمرين الأوربيين وقعت مرة أخرى فى براثن الاستعمار الجديد والتوسع الاستعمارى وأصبح حكم الاستعمار الجديد تحت ستار المثقفين المنتمين إلى قبائل الأقلية الصغيرة الذين تلقوا تعليمهم فى الغرب والذين هم نتاج المدارس التبشيرية المسيحية والمدارس اللاهوتية والإدارة الاستعمارية الأوربية – حقيقياً . هؤلاء المستعمرون الجدد هم الحكام غير المسلمين للأراضى الإسلامية فى أفريقيا حيث لا يسمح هؤلاء حتى لمجرد أن تصبح تلك الدول الإسلامية عضواً فى منظمة المؤتمر الإسلامى (وعلى سبيل المثال : نيجيريا ، أثيوبيا ، موزمبيق) تبعاً لهذا التطور فإن سلالة الاستعمار الجديد أصبحوا أيضاً فى المقدمة وهؤلاء هم الذين جعلوا أساساً كقادة للحركات التحريرية

التى تدعمها الدول الشيوعية والذين يلعبون أدواراً قيادية فى عدد من مناطق الأغلبية الإسلامية فى أفريقيا ولم يكن الاستعمار الجديد أقل خطراً من القديم وأبرز مظاهره فرق الجنود الكوبيين والأسلحة الشيوعية المكثفة فى مناطق البترول .

كما تواجه الجماعات الإسلامية فى غانا وغينيا ونيجيريا والسنغال والنيجر وتشاد مصاعب شديدة تعمل الحركات التبشيرية المؤيدة بالنفوذ الأجنبى والمال على ضرب القوى الإسلامية والسعى للقضاء عليها ويتآزر البيض والاستعمار عن طريق الكنائس والأديرة والمعابد الضخمة المشادة فى أنحاء كثيرة من المدن والقرى وقد وصل النشاط المسيحى إلى الغابات وجيث تتركز البعثات التبشيرية فى نيجيريا والكامرون وجنوب السنغال . ورغم هذه القوى الخضمة المتآزرة ضد الإسلام فإن الإسلام يزحف بقوته الذاتية لأنه يؤازر الفطرة ويؤيد الحرية بينما ترتبط زحوف التبشير بالنفوذ الأجنبى والاستعمار والمفاهيم المضطربة فى العقيدة ويتساءل ت . ه . ب سايله عميد الدراسات التبشيرية فى الولايات المتحدة فى كتابه (المسلم يواجه المستقبل) . لماذا يجلب الإسلام الزنوج ؟ ويقول : هناك الجاذبية الطبيعية من قبل الأفريقيين نحو الإسلام . لقد اعتبر البعض هذا الاتجاه مرغوباً وحتمياً لأن الإسلام يلائم الزنوج جداً وهو يحسن من أوضاعهم ولا أمل للمسيحية فى منافسة الإسلام وقد اعتبروا التحول إلى الإسلام سوءُ حظ كبير للرجل الأسود لأن الإسلام يجعله أكثر مقاومة للمسيحية ولذلك فهم ينادون الكنيسة لتشديد الجهود وعلى نطاق كبير لوقف المد الإسلامى . إن رسالة الإسلام إيجابية محددة وسهلة الفهم وليست مغالية فى طلباتها وأن الأخوة فى الإسلام ليست دينية فقط وإنما اجتماعية أيضاً والمسلم لا يرسم خطاً لونياً بين الأبيض والأسود والمسلم يأكل ويتزوج من ذوى الجلود السوداء . إن أبرز مظاهر التدخل الأجنبى فى أفريقيا على أبواب القرن الخامس عشر الهجرى هى ظاهرة سيطرة النفوذ السوفيتى على القارة عن طريق التدخل السوفيتى المباشر أو عن طريق إرسال قوى كوبية عسكرية بهدف السيطرة السوفيتية على بعض المناطق الاستراتيجية وقد بدا ذلك بتركيز وجود سوفيتى فى الحبشة وأنجولا يستهدف الحيلولة دون مقاومة ارتيريا والصومال والأوجادين ودفع السيطرة الشيوعية على حدود الخليج والجزيرة العربية .

إن التدخل السوفيتى فى أثيوبيا يستهدف الصومال من أجل السيطرة على البوابة الجنوبية للبحر الأحمر ، وأن محاولة السيطرة على القرن الأفريقى تهدف إلى تهديد أمن البحر الأحمر

هذا بالإضافة إلى محاولات سيطرة الصهيونية على أبواب البحر الأحمر ومنافذه .

(٨)

الدرة المغتصبة

هناك وقفة مستأنية تحتاج إلى دراسة ومراجعة للنفس المسلمة والعربية بمناسبة مرور ثلاثين عاماً على احتلال فلسطين وما تزال الخطط قاصرة عن استيعاب هذه القضية الكبرى وهذا الحدث الخطير وقد تكشفت فى السنوات الأخيرة حقائق كثيرة : أبرزها : أن وراء قيام إسرائيل مخطط يهودى استعمارى عالمى يستهدف قيام امبراطورية الربا وتنفيذ مخططات بروتوكولات صهيون التى تستهدف السيطرة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية على العالم كله عام ١٩٩٨ . وإن الخطة مرت فى عدة مراحل : أولاها محاولة احتواء الدولة العثمانية والسيطرة على السلطان عبد الحميد وفشل هذه المحاولة والتخطيط لتمزيق الدولة وإسقاط السلطان وقيام الدونما بهذه الخطة من خلال المحافل الماسونية وحزب الاتحاد والترقى الذى إحتوته الصهيونية ومنذ أسقط السلطان عبد الحميد ١٩٠٩ فقد انفتح الطريق إلى فلسطين عن طريق الاتحاديين حكام تركيا الذى أسلموها إلى الهزيمة فى الحرب العالمية الأولى كما سلموا طرابلس الغرب للاحتلال الإيطالى وكان ذلك مقدمة لإسقاط الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤ ولوعد بلفور ١٩١٨ وتوسع الهجرة اليهودية إلى الحد الذى مكن من إتمام مؤامرة قيام إسرائيل ١٩٤٨ ثم احتلال القدس ١٩٦٧ وقد كشفت الوثائق خلال هذه الفترة عن خطة ترمى إلى تهجير يهود العالم إلى إسرائيل وإقامة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات وكانت أبرز الظواهر فى الفترة الأخيرة هجرة اليهود السوفييت بأعداد ضخمة إلى إسرائيل . وإن كان أيضاً من الظواهر الواضحة ارتفاع عدد المهاجرين إلى خارج إسرائيل . وكذلك كشفت التصريحات التى جرت على ألسنة قادة إسرائيل هدف تدمير الحضارة العربية الإسلامية وإقامة الحضارة العبرية على أساسها ، كما كشفت عن هدف إعادة بناء هيكل سليمان فوق أرض المسجد الأقصى

وحيث يوجد اليوم فى فلسطين المحتلة حوالى ثلاثة ملايين نسمة ، فإن فى العالم ما يتراوح بين ١٣ و ١٨ مليون يهودى يقيمون بين أمريكا الشمالية والاتحاد السوفيتى وتستهدف الخطة جمع هؤلاء تحت راية إسرائيل ولذلك فإن فكرة التوسع هى من العوامل المقدمة فى النظرة اليهودية على مسألة الأمن وذلك جرياً وراء مخطط امتلاك القوة الاقتصادية التى تحاول السيطرة على مقدرات البلاد العربية . ولا ريب أن هذا المخطط فاسد من أساسه لأنه يقوم

على الاعتماد على معونة الدول الغربية وأنه بعد ثلاثين عاماً لم تستطع إسرائيل أن توجد لها كياناً اقتصادياً ذاتياً يمكنها من القيام بنفسها فضلا عن ذلك الشتات المنوع المتضارب المجموع من مختلف بلاد العالم فضلا عن تلك التفرقة العميقة بين يهود المشرق ويهود الغرب كل هذه العوامل فضلا عن الوجود الطبيعى على الأرض العربية من شأنه أن يكشف عن فساد قاعدة الاستمرار ويجعل الفناء محتوماً ، لا سيا وأن القوة العسكرية العربية تنمو يوماً بعد يوم بالاضافة إلى مقدرات الثروة والطاقة والتفوق. لقد تعالت أصوات دعاة الاسلام إلى تعديل أسلوب العمل بجعله اسلامياً واتخاذ منهج الاسلام بالجهاد طريقاً إلى تحقيق الغاية وتقريب النصر ولقد كانت تجربة (رمضان) وما تزال علامة على الطريق على أن هناك محاولة ضخمة لتسميم عقول المسلمين والعرب بعد التحول التاريخى الذى اتجه إليه المسلمون والعرب حين التمسوا منهجهم الأصيل فى العاشر من رمضان . هذه المحاولة تستهدف فرض تفسير زائف للتاريخ الاسلامى الحديث يحاول أن يجعل من (اسرائيل) وجوداً إقامته أوربا والغرب وكأنه ليس وجوداً قائماً بذاته من وراء مطامع الصهيونية العالمية وبروتوكولات صهيون ولا ريب أن المروجين لهذه السموم هم الماركسيون والتقدميون واليساريون ، الذين كانت الماركسية فى أيديهم ولا تزال خادمة للصهيونية العالمية وهى من صنعها أصلا : أن الهدف هو هذه المنطقة الفريدة فى العالم «منطقة دعوة الاسلام وقدرات المسلمين الضخمة التى تستهدف بالاحتواء والسيطرة والغزو والتى سوف تظل دائماً قادرة على المقاومة ساهرة على حراسة مقدراتها ، مرابطة فى سبيل الحفاظ على كيانها ووجودها ، وسوف لا يضحى المسلمون والعرب بعقيدتهم وتراثهم فى سبيل ما يسمى العلم والتكنولوجيا وأنهم لقادرون على امتلاك هذه القوة وقد أخذوا بها فعلا فلم يبق هناك ما يسمى بالصراع الحضارى : ذلك أن الوجود الاسرائيلى هو فى طبيعته وجود غير قائم بذاته لا يعتمد على أمة صحيحة وليس يهود اسرائيل هم يهود التوراة أو أبناء يعقوب ، وليس لدى اسرائيل ما لدى العرب من الطاقة والتفوق البشرى والقوة الاقتصادية وأن هذا المجتمع المهلهل المجمع من شذاذ الآفاق لا يمكن أن يكون أقوى على الحياة من أهل هذه الأرض ، فأين إذن التفوق الحضارى وأين يقوم الصراع الحضارى وإسرائيل تعيش على المساعدات الخارجية ولم تتمكن بعد ثلاثين عاماً اليوم من أن تعيش على مواردها وأن تكون قادرة

بمفردها للدفاع عن وجودها ذلك لأنها بطبيعة تركيبها العدوانى لا تستطيع أن تمثل مجتمعاً حقيقياً ولا وجوداً صحيحاً . ولولا دورها الذى تقوم به فى خدمة النفوذ الأجنبى على هيئة كلب الحراسة لسقطت من اليوم الأول لوجودها . ومن هنا فان تلك الأكاذيب والشبهات التى يحاول دعاة التقدم والماركسية واليسار وغيرهم إذاعتها لن تؤثر شيئاً فى النفس العربية الاسلامية التى أخذت فى امتلاك إرادتها وعرفت طريقها الصحيح . ولقدكانت هذه المنطقة منذ تسلمها المسلمون أمانة فى أيديهم للأديان الثلاث وقد آمنت كل القوى بأصالتهم وأحقيتهم للقيام بهذا الدور وسوف تعجز الصهيونية عما عجزت عنه الحروب الصليبية من انتزاع القدس من أيدى المسلمين الحماة الأمناء . يقول المؤرخ ريفمان : أن المسلمين لم يقروا بوجود هذه الدولة الأجنبية الدخيلة فى أرض يعتبرونها ملكاً لهم . نعم هذا هو الحق ومن ومن الحق أيضاً أن المسلمين انتصروا تحت اسم «مدرسة التسلح الخلقى» على كل الخلافات واستطاعوا أن يجتمعوا لمواجهة الخطر وكان دور الشعب الاسلامى أقوى من دور الحكومات. يقول ريفمان : أخذ العرب يلتمسون الوجهة بمجرد إدراكهم لمغزى قيام الدولة العدوة بينهم غير أن هذا التطور كان بطيئاً غاية البط . وبقى الصليبيون مدة طويلة وهم قادرون على مهاجمة أى من الأقطار المجاورة لهم ، واستطاع الصليبيون أن يصلوا إلى حدود مصر وضواحن دمشق وأن يتوغلوا فى حوران ، غير أن نجاح صلاح الدين فى توحيد مصر وسوريا واليمن تحت حكمه قضى على كل أمل للصليبيين فى التوسع ، وبالرغم من الأعداد القادمة من أوربا فقد بقى الصليبيون معتمدين على العالم المسيحى فى الرحال والمال واستمروا ما بقى العالم المسيحى يمدهم وزالوا عندما انتهى هذا الاهتمام . ونحن نجد أن المواجهة العربية الاسلامية للغزوة الصهيونية اليوم عن طريق أكثر قوة وعمقاً بالرغم من ضعفها فى المراحل الأولى فهى تدخل فى مرحلة الحسم والاقناع الصحيح بالطريق الأصيل للمواجهة : المواجهة بأسلوب الاسلام ، العقيدة والشريعة والتربية الاسلامية والجهاد ولن تخدعنا كتابات التلموديين وسموم التقدميين ومراوغة الماركسيين عن أن نعرف الحقيقة التى بدأت يوم عمدت الصحافة التى كان يمسك بمقاليدها المارونيين واللبنانيين فى مهاجمة السلطان عبد الحميد والدولة العثمانية والخلافة الاسلامية تمهيداً لفتح طريق الصهيونية إلى القدس ولقد أشارت مؤرخة يهودية منذ وقت مبكر إلى أن دخول اللورد اللنبى لمدينة القدس كان بمثابة الخطوة الأولى لتسلم اليهود إياها (دخلها اللنبى) ١٩١٧ وتسلمها اليهود ١٩٦٧ . ان الكتب التى

صدرت فى العام الأخير وخاصة ما كتبه جولدمان تحت عنوان (المأزق الصهيونى) يكشف وتكشف عن مجموعة من الحقائق يجب على العرب والمسلمين أن يعوها تماماً والا يخدعوا ببريق الكلام . ١ — ان الصهيونية تقسم نفسها إلى معتدلين ومتطرفين وتترك لمجموعة المعتدلين أمثال البيربرجو وجولدمان وغيرهم من الذين يحاولون أن يضعوا أنفسهم فى صف الراغبين إلى تفهم المواقف والاعتدال . ٢ — ان الأحداث الأخيرة قد كشفت عن أن الصهيونية طامعة فى تنفيذ برنامجها فى التوسع وأن دعواها فى السلام كاذبة . ٢ — أن ما يعبر عنه سكان اسرائيل لا أهمية له فى الحقيقة ازاء المخططات التى يرسمها عتاة الصهيونية وهم لا يعبأون بها . ذلك أن الهدف من المخططات كلها هو إقامة امبراطورية الربا بكل وسائل الخداع والغدر وتخدير العرب والحيلولة بينهم وبين امتلاك إرادة القوة والتآمر على مقدراتهم من الطاقة والثروة والتفوق البشرى فهم دعاة تحديد النسل لانقاص عدد العرب والمسلمين تحت شعار الانفجار السكانى وهم أصحاب مشروع السيطرة على موارد النفط وهم من وراء توجيه الأموال العربية وجهة الاستهلاك حتى لا يتمكن العرب من بناء قوتهم الذاتية . ولا ريب أن (الربا) هو المدخل الحقيقى للسيطرة التلمودية على العالمين الرأسمالى والشيوعى ويعد الذهب الذى يحتكره اليهود أقوى الأسلحة لاثارة الرأى العام وإفساد المجتمعات والقضاء على الضمائر والأديان والقوميات ونظام الأسر وعن طريق المال يسيطر اليهود على الأعلام والفكر فى عديد من بلدان الغرب حيث يملك اليهود البيوت التجارية والأسواق ولهم نفوذ قوى ومؤثر على الصحافة والتليفزيون. ولقد أشار اليهود فى كل وثائقهم إلى سيطرتهم على الذهب فى العالم وقيامهم بامتلاك مصادر الاقتصاد والمال وهم أنفسهم أصحاب القوة الرأسمالية والسيطرة الاقتصادية الذين صنعوا الماركسية والاشتراكية التى تبدو ظاهراً معارضة للرأسمالية. لقد استطاعوا احتواء كل المحاولات التى استهدفت معارضة الرأسمالية وضربوا كل القوى ليضعوا أيديهم على كلا النظامين اللذين ينتظمان العالم توطئة للسيطرة عليه حسبما جاء فى بروتوكولات صهيون. ولقد قصدت الدعوة الماركسية أساساً إلى هدم الدين نفسه ولم تكن قاصرة على معالجة مشكلة عدالة التوزيع . وكان أول مكاسب اليهودية الصهيونية هى هدم المسيحية وإدامة السيطرة على مقدرات الأمم كذلك فان قيام نظام ماركسى يعنى أول ما يعنى وضع جميع مقدرات الأمة فى يد المجموعة الحاكمة وإخراجه من أيدى عشرات الأغنياء

والموسرين شريطة أن يكونوا من غير اليهود . ومعنى هذا أن تسليم الثروات إلى هذه النخبة تمكنها من أن تفعل فى طريق تحقيق الهدف اليهودى أكثر مما يعمل الرأسماليون أنفسهم كذلك فان النظام الماركسى نفسه يحل فى العالم روح الشر والقتل والابادة ويحقق هدفه عن طريق الانقلابات التى تقتل وتحطم وليس عن طريق التطور والتدرج والاقناع وقد ظهر أن أغلب أحداث المؤامرات والانقلابات كانت نتاجاً يهودياً يستهدف تحقيق الغاية التى يقصد إليها أصحاب امبراطورية الربا . كذلك تكشف الكتابات الأخيرة أن وجود اسرائيل لم يحل المسألة اليهودية بل زادها تعقيداً ، قال بذلك ألبير كالى وميشيل رشيلان ، وقال غيرهم أن الصهيونية هى محاولة إرجاع تاريخ اليهود المعاصر إلى الوراء وأنه بمثابة نظرة جاهلية لأنها لا تأخذ فى الاعتبار العنصر الحاسم للتقدم فى التاريخ . ويقول الحاخام منسفيلد : ان الصهيونية انفجار شاذ لعاطفة منحرفة . ويقول رشيلان : ان اليهودى لن يشعر بالأمان فى أى مكان فى العالم لأنه يخلط بين اليهود فى العالم وسكان اسرائيل. ولقد أقامت الصهيونية تأييد الغرب لها على محاولة خادعة لئيمة :وذلك هو فرضها مفاهيم العهد القديم والتلمود على المسيحيين فى المدرسة والجامعة بما يوحى بأن دعوة الصهيونية إلى التوسع فى فلسطين هى من صميم العقيدة الدينية ، وكذلك فعلت الصهيونية فى أمريكا وبريطانيا وألمانيا ولقد كذبت الوقائع التاريخية الصحيحة ما ادعاه اليهود من أن وعد ابراهيم كان لاسرائيل أو لأحفاد اسحق وحدهم ، ذلك أن وعد الله لابراهيم كان لاسماعيل واسحاق ولأحفادهم جميعاً ، وللصالحين منهم وحدهم« وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن. قال انى جاعلك للناس إماماً . قال ومن ذريتى . قال لا ينال عهدى الظالمين» .وكذلك يكذب اليهود فى حين يقصرون الوعد على أنفسهم ويعتبرون أنهم شعب الله المختار مع أن الوعد كان لكل خلفاء اسماعيل وهم العرب والمسلمون وقد تحقق الوعد فعلا بسيطرة الاسلام على هذه المناطق كلها والمسلمون هم أحفاد اسماعيل . وتتعالى اليوم أصداء هذه المؤامرة الزائفة التى بدأت تتكشف أمام العقل البشرى على نحو أكثر وضوحاً مما كانت قبل ثلاثين عاماً فيقول المؤلف اليهودى الروسى (افرانيم سيفيلان) فى كتابه «وداعاً اسرائيل» : ان اسرائيل هى الدولة المسخ التى تأكل أبناءها . ويكشف فى وضوح زيف الكيان الصهيونى فى فلسطين المحتلة ، ويعرى الأساليب الإجرامية التى اتبعها زعماء الصهيونية لإقامة هذا الكيان الزائف ، ولابتزاز

الأموال من العالم بحجة جمع شمل اليهود ولاجتذاب اليهود من أرجاء العالم بطرق مغرية. ويقول أنه بعد أن مر مايقرب على ربع قرن منذ إنشاء هذه المؤسسة اليهودية على جزء من الأرض الفلسطينية لم تتحقق تكهنات زعماء الصهيونية بأن تصبح إسرائيل مغناطيسياً ليهود العالم ، حيث لم تستطع اسرائيل أن تجمع فوق الأرض الفلسطينية سوى خمس اليهود . فني نيويورك وحدها قدر ما فى اسرائيل بأكملها . وفى باريس يوجد من اليهود أكثر مما فى تل أبيب . وفى لندن يوجد تكثر مما فى القدس . ولقد تبين أنه من الصعب لا بل من المستحيل صبغ كافة اليهود بفكرة الصهيونية حيث طلب إليهم استبدالهم أماكنهم بحياة أقل أمناً فى مناخ حار وغير مألوف لديهم وبعيدة كل البعد عن حسن الحال الجسمانى والمادى على السواء . على أن الأسف على إنشاء المؤسسة اليهودية الجديدة لم يكن ليقذف دماً جديداً فى العروق القديمة بل بالعكس حط من مكانة اليهود فى القوميات الأخرى. لقد تعرضت الجاليات اليهودية للخراب الكلى بعد قيام دولة اسرائيل . ولكننا بعد أن لجأنا إلى إسرائيل : الملاذ الأخير للجاليات اليهودية ، ربما كنا قد أنقذنا أنفسنا من الاندماج فى القوميات الأخرى لكننا من ناحية أخرى حكمنا على أطفالنا وعلى أنفسنا بالانقراض الطبيعى لقد بدأت الجاليات اليهودية تنهار الواحدة بعد الأخرى ، وأصبحت صفوفها مبعثرة وهزيلة حدث هذا بسبب الهروب العاجل من اليهودية نحو الاندماج فى الديانات والقوميات الأخرى هرباً من كافة عوامل الضغط والاضطهاد. أن أكثر التحليلات سطحية للأحداث منذ عام ١٩٤٧ تؤكده مباشرة هذا الواقع الحتمى . لقد دمرت أكبر الجاليات اليهودية وأكثرها ازدهاراً وهى التى كانت تعيش فى الاتحاد السوفيتى ، لم يظهر التفكك السريع لهذه الجالية وبروز شتاتها وخرابها إلا بعد ظهور اسرائيل . وكذلك الأمر بشأن الجاليات اليهودية فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا الاسلامية . كان هناك ما يربو على المليون نسمة من اليهود من اليهود الذين يعيشون فى العالم العربى جاليات كثيفة مزدهرة جنباً إلى جنب مع السكان العرب وكانوا يتمتعون بكل حرية من ناحية الدين والثقافة والتقاليد اليهودية ، فى كل من الدار البيضاء ومراكش وطنجة والرباط والجزائر ووهران وتونس وطرابلس والقاهرة والاسكندرية وبغداد وبيروت ودمشق إلى أن جاء عام ١٩٤٧ الذى جعل من العرب وكافة المسلمين بضربة واحدة أعداء لدودين لليهود نتيجة احتلال الأرض الفلسطينية ومما زاد الطين بلة تدفق اللاجئين الفلسطينيين هرباً من ميادين الحرب الحرب إلى البلدان العربيـة المجاورة ،

الأمر الذى زاد من التعصب الوطنى والدينى بين العرب واليهود ، وينطبق الأمر نفسه على يهود أوربا الشرقية الذين لم يتعرضوا للاسامية سوى بعد إنشاء الدولة اليهودية وذلك بعد معاداة أنظمة الحكم الأوروبية الشرقية للصهيونية المتمثلة فى الدولة اليهودية الجديدة وهكذا تعرضت الجاليات اليهودية للخراب الكلى بعد قيام دولة اسرائيل ويقول الكاتب فى النهاية : أن اسرائيل محكوم عليها ألا تعيش غير عقد آخر من الزمان ومن غير المحتمل أن تتجاوز هذا الحد المقرر وأعتقد أنه فى عام ١٩٨٥ لن يكون لاسرائيل وجود على خارطة العالم بل سيتم ابتلاعها بلا شفقة . هذا ما يقوله يهودى منهم أما نحن فنعرف أن اليهود كانوا خادعين لكل الشعوب والأمم بما زيفوا من دوائر المعارف العالمية وأدخلوا إليها هذه السموم وقد كانوا أصحاب الأثر الكبير فى تزييف (دائرة المعارف الاسلامية). وكان لهم دورهم فى السيطرة على دراسات التاريخ ومقارنات الأديان فى مختلف أوربا وأمريكا حيث بثوا فيها سمومهم وشبهاتهم أزاء الاسلام ورسوله وكتابه وتاريخه ولغته. بل ان الصهيونية العالمية استخدمت منظمات الماسونية والشيوعية والبهائية لنفس الغرض فدخلوا هذه المحافل واستخدموها كما سيطروا على منظمات الليونز والروتارى فى العصر الحديث وعن طريقها ينقلون الأخبار والاشاعات ويذيعون الأكاذيب فى الأمم التى تقوم بها هذه المنظمات . ويكشف أحد حكماء صهيون :«جولدمان» زيف هذا الواقع المضلل المنهار حين يقول : لست أستطيع أن أتصور أن تنتهى آلاف من سنى العذاب والاضطهاد والمقاومة بدولة صغيرة مثل عشرات الدول الأخرى تعيش فى خطر وتتعرض للابادة مما يفرض عليها البقاء فى حالة تعبئة وتسليح شبر من أرضها وتركيز جهودها الرئيسية على الوجود المادى . اننى لست متأكداً من أن حماس وولاء الشعب اليهودى خارج اسرائيل سيظل وفياً لهذه الدولة إلى الأبد .. وهكذا تبدو روح التشاؤم واضحة على رأس ثلاثين عاماً من قيام هذا الكيان الزائف ويجمع الحكماء على أن وجود اسرائيل لم يحل القضية ولا يمكن أن يدوم كيان قام على الغصب والظلم والغدر مهما جرت المحاولات لأن يستمر . وسوف تعود الدرة المغتصبة إلى أصحابها إن عاجلا أو آجلا .

الباب الثاني

العالم الاسلامى وحركات الوحدة

(١)

الوحـــدة الاسلامية

ليس من متطلب منهج البحث فى هذه الدراسة التعرض للخلافة ومفهومها الفقهى الاسلامى وإنما نتعرض لها بقدر مكانتها من قضايا الاسلامى المحاضر . والخلافة فى الاصطلاح الفقهى الاسلامى هى الامامة الكبرى وإمارة المسلمين والمقصود بها أصلا للولاية العامة على شئون المسلمين من دينية ودنيوية وقد ترك النبى ﷺ للمسلمين الحرية فى اختيار الخليفة فلم يفرض أحداً ، واتفق المسلمون على اختيار أصلح المسلمين من قريش ثم انتقلت الخلافة من مرحلتها الراشدة حتى أصبحت ملكاً عضودا بتولى الأمويين الحكم ، ثم انتقلت إلى العباسيين ثم تعددت بمراكزها فى مصر والمغرب والأندلس إلى أن سقطت عام ٦٥٦ هـ بسقوط بغداد فى أيدى التتار ثم أعيدت فى القاهرة إلى أن حمل السلاطين العثمانيون لقب الخلافة . منذ القرن الرابع عشر الميلادى الثامن واعترف بهم جمهور المسلمين بعد اتساع الامبراطورية العثمانية ومن خلال الخلافة العثمانية نبعت فكرة الجامعة الاسلامية فى مرحلة حكم السلطان عبد الحميد الثانى (١٨٧٦ – ١٩٠٨) وكان مصدرها الأساسى الدعوة إلى تجمع المسلمين فى جبهة واحدة لمواجهة النفوذ الاستعمارى الغربى الزاحف . وقد لمعت هذه الفكرة على لسان جمال الدين الأفغانى الذى جاء مصر ١٨٧١ تقريباً والذى كان قد عاش تجربة مثيرة فى فارس وأفغانستان والهند قبل هذا التاريخ بقليل ، دفعته إلى أن يحمل لواء حركة اليقظة الاسلامية ويقصد بها إلى المجال الحيوى الأوسع لها : إلى استامبول حيث مقر دولة الخلافة وإلى القاهرة حيث الأزهر الشريف وقد آثر البقاء فى القاهرة عندما وجد البيئة الصالحة لفكرته فاستقر بها سبع سنوات . ولم تكن «الجامعة الاسلامية» هى الفكرة الوحيدة التى حملها جمال الدين ولكنها كانت القالب الذى صاغ فيه الايدولوجية الاسلامية التى أراد تحقيقها ، كان جمال الدين يطمع أساساً فى تحرير العالم الاسلامى من أدوائه : الجمود والتخلف والنفوذ الاستعمارى والتفكك وله فى كل هذه القضايا آراء حصيفة واعية ، ومتقدمة

على فكر العصر نفسه ، ولكنه كان يؤمن بأن هذه النهضة المرتقبة لا تتحقق إلا عن طريق عمل سياسى يبدأ من احدى الدول الاسلامية ويحمل لواء الوحدة الاسلامية الجامعة للمسلمين تحت لواء القرآن . ومن الحق أن يقال إن جمال الدين الأفغانى كان هو « المصلح» الذى يمكنه أن يحقق هذا البرنامج وينفذه سياسياً الذى كان يرى أن مصر هى أصلح المواقع لقيام هذه الحركة على أساس التقاء فكرى وسياسى جامع أشبه بالالتقاء الذى تحقق بين الامام محمد بن عبد الوهاب وأمير الدرعية من نجد . ولذلك كان أمله معلقاً بالأمير توفيق كخليفة للخديو عباس وقد التقى به كثيراً وتحدث معه ، وكان يرتقب الفرص لتوليه السلطة خلفاً لأبيه ، غير أن توفيق قد عق عهده وأخلف وعده للأفغانى ولم يلبث أن أخرجه من البلاد متهماً إياه بأنه رئيس جمعية سرية ثم حددت إقامته أكبر تلاميذه محمد عبده فى قريته وأصاب المدرسة التى كانت تتجمع حوله مصير التمزق والتفرق إلى حين . وكانت آماله معقودة يوماً بشاه فارس ، أو بمهدى السودان ، ولكن آماله لم تتحقق، فالتجأ أخيراً إلى قبول دعوة كانت دائمة ومتصلة من السلطان عبد الحميد الذى كان قد أخذ فعلا فى تحقيق هذه الفكرة ووضعها موضع التنفيذ على النحو الذى ارتضاه .

فقد التقط السلطان عبد الحميد فكرة الجامعة الاسلامية عندما وجدها خير سلاح يحارب به النفوذ الاستعمارى الغربى الزاحف على العالم الاسلامى وكان مفهومه أن يتوحد المسلمون تحت لواء الخلافة وإن لم يكونوا أجزاء من الدولة العثمانية وهو بذلك يفتح الطريق لاقامة جبهة مقاومة واسعة تضم مسلمى الهند وايران وأفغانستان وجزائر الملايو وأفريقيا ، وكان شعاره هو « الوحدة الاسلامية » ودعوته إلى مسلمى العالم للتجمع والاتحاد مع الدولة العثمانية فى وجه الخطر الغربى الأوربى الزاحف وذلك بحسبانها أقوى الوحدات الاسلامية وأقدرها على مقاومة العدو . ومن حق أن يقال إن هذه الحركة هزت دول العالم الغربى وخاصة بريطانيا وفرنسا ، وكلفتهما جهداً كبيراً فى سبيل مقاومتها ورميها بكل نقيصه واتهام السلطان عبد الحميد والتشكيك فيه ورميه بالجمود والتعصب والاستبداد على نحو لم يوجه لأحد من الزعماء من قبل ولا من بعد ، وقد جعل كرومر حملته على الجامعة الاسلامية فى مصر عملا أساسياً وضخماً وأتاح لصحيفتى المقطم والجريدة إعلان الحرب العنيفة على هذه على هذه الدعوة ، وأشارت تقاريره المتصلة إليها واستطاع أن يرسم فى سبيل مقاومتها خططاً خطيرة حمل لواءها لطفى السيد وسعد زغلول ، بحسبانهما إدعاءاً تلاميذ جمال الدين الأفغانى

وكان من أقوى الأسلحة التى واجهت بها الدول الأوربية حركة الجامعة الاسلامية : الدعوة الاقليمية واعلاء شأن الجنسية والوطن والعرق ، وقد استنفذت الحركة جهداً كبيراً واستطاع الكتاب المارون الذين تركزوا فى مصر أن يحملوا لواء مقاومة فكرة الجامعة الإسلامية على نحو مؤيد بالنفوذ الأجنبي وكانوا فى الحق إنما يحملون على الاسلام نفسه وعلى وحدة المسلمين وقد جرت فى سبيل مقاومة فكرة الجامعة الاسلامية مغالطات كثيرة ، كان أبرزها أنها حرب مقدسة يحاول المسلمون القيام بها ضد أوربا والغرب والمسيحية ، ولم تكن كذلك فى الحق حيث لم يكن المسلمون يملكون من الأسلحة ما يمكنهم من الدفاع عن أنفسهم بل مقاومة أوربا وغزوها ، فقد جرد الاستعمار الغربى العالم الإسلامى من كل سلاح وقوة حربية ومادية وتسلط على جيوشه وحكوماته ومقدراته فلم يكن ذلك الاتهام معقولا شكلا . كذلك جرى الادعاء بأن المحاولة ترمى إلى إنشاء حكومة إسلامية واحدة ، وجرى التشكيك فى إمكان قيام مثل هذه الحكومة ، والحق أن دعاة الجامعة الإسلامية سواءُ أكان جمال الدين الأفغانى مفكراً أم السلطان عبد الحميد حاكماً ومن معهما من النصراء لم يكونوا يهدفون إلى ذلك أو يطلبوه لاستحالته عقلا وإنما كان تطلعهم يستهدف تقارباً وتوثقاً والتقاءاً على مستوى الأحلاف والاتفاقات السياسية والعسكرية والاقتصادية المعروفة . وعبارة جمال الدين الأفغانى فى هذا الصدد واضحة صريحة « لا ألتمس بقولى هذا أن يكون مالك الأمر فى الجميع شخصاً واحداً فإن هذا ربما يكون عسيراً ، ولكنى أرجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن ووجهة وحدتهم الدين ، وكل ذى ملك على ملكه يسعى بجهده لحفظ الآخرين ما استطاع فإن حياته بحياتهم وبقاءه ببقائهم » . وقد استطاعت الدعوة الإقليمية والجنسية والعرفية أن تنمو بسلطان الاستعمار ونفوذه ، حتى تقاوم الجامعة الإسلامية وتكتسحها خلال حياة جمال الدين الأفغانى حتى وفاته ١٨٩٧ خلال السلطان عبد الحميد حتى عزله ١٩٠٩ . ومن الطبيعى أن الأطماع الاستعمارية والأطماع الصهيونية أيضاً تلك التى كانت قد تشكلت معاً فى مخطط واحد هى التى كانت تطمع فى القضاء على هذه الدعوة .

ولكن هل ماتت خطة الجامعة الإسلامية وانطوت . ذلك ما تستبعده جميع الدلائل والمخططات والدعوات التى ظهرت حتى بعد ذلك ، ولكن يمكن القول إن الاستعمار شغل الوحدات الإسلامية بقضاياها الخاصة ، وأنه حاول دون قيام مخطط للوحدة الإسلامية بالقضاء على نواتها حين قضى على الدولة العثمانية نفسها عام ١٩٠٨ بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الأولى وحين أسقط الاستعمار الخلافة باتفاق سرى ملحق بمعاهدة لوزان التى أقرها مصطفى

كمال حاكم تركيا بعد الحرب العالمية الأُولى . وإذا كانت الجامعة الإسلامية قد انطوت فى ظل الاحتلال الغربى للوحدات الإسلامية فإن روح الوحدة الإسلامية ظلت قائمة من خلف جميع حركات التحرر واليقظة والمقاومة وأنها كانت تبرز من حين وحين لتؤكد وجودها . أما سقوط الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤ فقد كان حدثاً بالغ الأَهمية بالنسبة للعالم الإسلامى كله وبالنسبة للأُمة العربية خاصة بحيث يمكن القول أنه ترك آثاراً بعيدة المدى ظهرت واضحة فى حركة الخلافة فى الهند، وفى إنشاء جمعيات الشبان والاخوان المسلمين العالمية التى بدأَت فى القاهرة وحملت فى أول نصوص تشكيلها العمل على إعادة الخلافة وهو نص التزمت به مختلف الجمعيات والحركات الإسلامية فى العالم الإسلامى كله والتى انبعثت أساساً من حركة الشبان المسلمين . وقد كانت تحديات الصهيونية فى فلسطين عاملا أَساسياً فى قيام وتشكيل المؤتمرات الإسلامية العالمية المتوالية ، التى واجهت هذه القضية كأَول وأَخطر قضايا العالم الإسلامى ، ثم كان من قيام دولة باكستان عاملا هاماً وأَساسياً لبروز دعوة الجامعة الإسلامية والوحدة الإسلامية إلى الوجود ١٩٤٧ . وقد توالى انعقاد مؤتمرات إسلامية مختلفة بعد هذا التاريخ ، فى الهند والقدس ومكة والقاهرة تكاد تكون كلها متابعة للخط الواضح ، خط الالتزام بالوحدة الإسلامية ، أما الخلافة الإسلامية فقد اتخذت حكومة أنقرة لإسقاطها مخططاً له مراحل وحاولت أن تنسب إليها كل عوامل التأَخر والجمود والضعف التى عاشتها تركيا ، ولم يكن ذلك فى الحق إلا تعلة لإنفاذ هذا الحدث الضخم ، ولو كان قادة أَنقرة يهدفون إلى الإصلاح لاستطاعوا إعادة تصحيح مفهوم الخلافة على النحو الذى يقرره الإسلام والذى كانت الخلافة بعيدة عنه فى الواقع ، بعد أن تأَثرت بمفاهيم البابوية الكاثولوكية فى روما ، وقد عرض عبد العزيز جاويش إلى هذا المعنى فى حديث مع مصطفى كمال حين التقى به وتحدث معه حول بقاء الخلافة وزوالها . وقد لمس فى حديث مصطفى كمال الإصرار مسبقاً على الإلغاء وإنما كان البحث حول التماس الأَسباب لهذا الإلغاء ، ولم يلمس جاويش فى كمال أَى رغبة فى إصلاح نظام قائم قد انحرف عن مفهومه الإسلامى . لقد كان إلغاءُ الخلافة حلقة أَساسية من الحلقات التى جرى بها ضغط النفوذ الأَجنبى الهادف إلى تمزيق الوحدة الإسلامية والقضاء على الدولة العثمانية الجامعة بين أكبر عنصرى الإسلام : « العرب والترك » وإيقاع الخلاف الدموى بينهما كما حدث تماماً بعد إقصاء عبد الحميد وتولى الاتحاديين للحكم وهدفهم الأَساسى هو تصفية الدولة العثمانية تمهيداً لتحقيق أكبر هدف

للاستعمار الغربى فىإزالة قوةالإسلام الكبرى كعامل فكرى وعامل وحدة من ناحية،وفى إتاحة الفرصة للدول الأوربية لتقسيم هذا الميراث بينها والسيطرة عليه وبلوغ أقصى ما كانت تحكم به أوربا منذ بدأت عملية تطويق عالم الإسلام فى القرن الخامس عشر بعد سقوط الأندلس وتحقيقاً لهدف مرسوم هو عودة أوربا إلى العالم الإسلامى مرة أخرى بعد هزيمتها فى الحروب الصليبية قبل ذلك (١٢٩١ — ١٩٠٨) بستمائة عام ، وهو ما عبر عنه اللورد اللنبي حين دخل مدينة القدس وأعلن عبارته المثيرة : « اليوم انتهت الحروب الصليبية » . لقد كان تمزيق الوحدة التركية العربية مقدمة لإزالة الدولة العثمانية كبرى الوحدات الإسلامية ونقطة التقاء المسلمين حول الخلافة ، وكان هزيمة الدولة العثمانية مقدمة لإلغاء الخلافة . وبذلك ضاعت « نقطة » التقاء المسلمين بحيث أصبح من العسير تحقيق الهدف . إصراراً من النفوذ الأجنبي على الحيلولة دون وجود نقطة بدء جديدة لهذه الوحدة . كان هدف النفوذ الاستعمارى إذن منذ أول الأمر هو تمزيق الرابطة بين العرب والترك أساساً للقضاء على نقطة الوحدة ، تحت شعار الخلافة ، وكان رأى غير المتحمسين لدعوة الانفصال هو أن الغرب لن يسمح بعد إسقاط الدولة العثمانية من قيام وحدة جديدة ولو على مستوى الأمة العربية كما كان يتوقع الكثيرون بعد الحرب العالمية الأولى . وقد صدقت النتائج هذا التوقع ، فقد وقع العداء والصراع بين العرب والترك . ولم تكن النتائج لحساب العرب كما يظنون ولا لحساب قيام دولة عربية وإنما لحساب التقسيم والنفوذ الاستعمارى ، غير أنه لا بد من إلقاء تبعة ذلك على العثمانيين : ليس كل العثمانيين وإنما على الاتحاديين الذين حكموا بعد أن أزالوا السلطان عبد الحميد ١٩٠٨ حتى الحرب العالمية الأولى ، هؤلاء وحدهم وفترة حكمهم هى التى يمكن أن توجه إليها اتهامات : ١ـ تمزيق الوحدة الاسلامية . ٢ — القضاء على الدولة العثمانية . ٣ — إرغام العرب بمختلف ألوان الظلم على الانفصال عن تركيا . هؤلاء « الاتحاديون » هم ثمرة الدعوة التى كان طابعها فى أول الأمر الحرية والدستور والتقدم . والتى بدأت عملها منذ وقت طويل وكانت خصما عنيداً طوال فترة حكم السلطان عبد الحميد تحت شعارات براقة مغرية : هى شعارات الحكم النيابى والخروج من الجمود والتأخر . نعم أن الدعوة فى مضامينها ومنهجها دعوة يقظة ولكن الأيدى التى قادتها والمخطط الذى كان يدفعها ، لم يكن هادفا إلى خير المسلمين والعرب ، ولم يكن عاملا على دعم المواجهة أمام الغزو الغربى الاستعمارى الزاحف ، بل على العكس من ذلك ، كان أداة هذا الزحف وكانت الحرية والخروج من

الاستبداد إنما تعنى إسقاط السلطان عبد الحميد والخلافة والجامعة الإسلامية جميعاً وجميعها من عوامل المقاومة ،ولذلك فإن أى مقارنة بين حكم السلطان عبد الحميد وبين حكم الاتحاديين دعاة الحرية والإخاء والمساواة يكشف مدى الفارق البعيد ويصور كيف تحولت دعوةالحرية فى أيديهم إلى تسلط وعنف وطغيان لا حد له وخاصة بالنسبة للعرب شركائهم فى الدولة حتى أنهم سمحوا لأنفسهم بتعليق أحرارهم على المشانق . ولقد عمت الفرحة أنحاء المملكة العثمانية بعد سقوط عبد الحميد ودقت طبول البشرى معلنة فى مختلف صحفها أن المملكة تخلصت من كابوس الاستبداد الممثل فى عبد الحميد ، ولكن ماذا تقول صحف التاريخ بعد ذلك:هل دامت هذه الفرحة كثيراً هل استطاعت أن تقول إن الذين احتفلوا بها كانوا صادقين : الحق أن لا . فقد كشف الاتحاديون عن حقد دفين للوحدة الإسلامية وللعرب ولكل القيم التى قامت عليها حركة المواجهة والمقاومة والتجمع أمام النفوذ الغربى فكان الاتحاديون هم سلاح الغرب والاستعمار وأداته فى القضاء على هذه القوة الباقية وتسليم البلاد العربية للاحتلال الفرنسى والإنجليزى وتسليم تركيا إلى نفوذ استعمارى تغريبى أشد عنفاً وقسوة ، قاضياً وماحقاً لكل ما هو إسلامى . ولقد انخدعنا طويلا وراء ما ترويه كتب التاريخ الحديث فى هذا الصدد وجرينا وراء العبارات التى حاولت أن تصور الدولة العثمانية فى صورة الاستبداد والظلم والتأخر وتركز هذا كله على رجل واحد وعصر واحد هو السلطان عبد الحميد فما أظن أن قائداً فى التاريخ كله أمكن أن توجه إليه مثل هذه الاتهامات الزائفة وأن تعيش طويلا ، فتظل تغذى أجيالا بعد أجيال دون أنتنكشف حقيقة الأمور التى تختلف كثيراً عما زيفه الكتاب المارونيين واللبنانيين الذين كانوا عملاء النفوذ الأجنبى والذين نفذوا خطة دقيقة رسمتها أيدى وعقول غريبة قادرة على الغزو الفكرى ، تعرف ما وراء الكلمة من قدرة على إقناع الشعوب والأمم على الاعتقاد بوقائع زائفة توضع موضع الحقائق وتسبغ عليها كل عوامل البقاء والاستمرار . فالواقع الذى تشهد به الحقائق التى ما تزال تنكشف بين أيدينا أن السلطان عبد الحميد لم يكن بهذه الصورة التى جرى تصويره بها ، وأنه كان على عكس ذلك تماماً ، وأن دعوته إلى الجامعة الإسلامية التى أحيطت بشيء كثير من المبالغة والتحريف إنما كانت تهدف إلى خلق رأى عام إسلامى ينضم مع الدولة العثمانية فى مواجهة النفوذ الاستعمارى الزاحف ، وأن هذه الدعوة التى حمل لوائها : دعوة الجامعة الإسلامية

قد هزت الدول الاستعمارية من الأعماق ودفعتها فى حقد وعصبية إلى كيل الضربات العنيفة لهذا القائد فى أكبر بقعة يمكن أن يصل منها الرأى المضلل ويتسع ، ومن قلب القاهرة حيث صحف المقطم والهلال والمقتطف والجامعة والمجلة المصرية وعشرات من المجلات إلى أطراف العالم الإسلامى كله . لم تكن هذه الحملة فى الحق على السلطان عبد الحميد إلا ثمناً لكلمة حق ، عندما وقف فى إصرار دون محاولة تمزيق الدولة العثمانية وحال دون تمكين الصهيونية من فلسطين ، ورفع راية الجامعة الإسلامية فى وجه الغرب الزاحف . ومن هنا كانت الحملة باسم العروبة لا تستهدف للعرب خيراً بل تستهدف تمزيق الوحدة والقضاء على البلاد العربية كما وقع من بعد الحرب العالمية الأُولى ، وكانت الدعوة إلى الحرية لا تستهدف تحقيق مساواة أو عدالة بقدر ما كانت تستهدف إسقاط عبد الحميد بحسبانه صاحب اللواء المنصوب فى وجه التقسيم والسيطرة الأجنبية وإلا فأين الحرية التى تحققت بعد عبد الحميد فى عهد الاتحاديين ، أو العروبة التى تحققت بعد انفصال العرب عن الدولة العثمانية وأن ما وقع بعد الحرب الأُولى . إنما كان انتقالا إلى السيطرة الغربية الكاملة . كانت الشعارات والدعوات وسائل لخداع الشعوب وتمزيق الأواصر والقضاء على القوى الموحدة حتى إذا تمزق المسلمون لم يعد فى الإمكان تجميعهم ، لا فى وحدات عربية ولا فى وحدات من أى نوع كان . ولقد استغل هؤلاء الدعاة كل كلمة صادقة وحرة ، وذهبوا بها إلى أبعد مدى واستخدموها أكثر مما كانت تقصد أو تحمل كما حدث بالنسبة لآراء عبد الرحمن الكواكبى . ولذلك فإن الدعوة إلى العروبة واللغة العربية التى بدأت تحت ظلال المؤسسات التبشيرية والإرساليات ما كان يمكن أن تكون صادقة أساساً وهادفة إلى مصلحة العرب وإنما كانت فى الحق سلاحاً ضد وحدة العنصرين وضد جدار الدولة العثمانية الجامعة بين العرب والأتراك باسم الإسلام ، وكذلك الدعوة إلى الحكم العادل والتخلص من نفوذ الفرد ما كان يقصد بها إلا التخلص من السلطان عبد الحميد المتهم بأنه مستبد وديكتاتور ، وإلا فأين أثر هذين الدعوتين بعد سقوط عبد الحميد وتمزق الدولة العثمانية ، لقد تحول دعاة العروبة فى الإرساليات إلى إعلاء لغاتهم الأساسية وأغضوا نهائياً عن اللغة العربية وذاقت الدولة التى دعا الاتحاديون فيها إلى الحرية والدستور والتخلص من الاستعداد ، أسوأ مظالم الاستبداد فى عهد الاتحاديين وفى عهد مصطفى كمال . لقد كان عبد الحميد الثانى هو آخر الحصون التى دافع بها الإسلام عن وجوده وكان إسقاطه هو آخر حلقة فى حلقات المقاومة للسيطرة الغربية الكاملة على العالم

الإسلامى : سقوط الدولة العثمانية الجامعة بين الترك والعرب ١٩٠٨ وإلغاء الخلافة الإسلامية ١٩٢٤ وقد كشفت وثائق الصهيونية كيف حاول هرتزل ودعاة الصهيونية بعد عقد مؤتمرهم الأول فى باذل بسويسرا عام ١٨٩٧ الالتقاء بالسلطان واغرائه لفتح الطريق إلى فلسطين وقد كانت أولى المحاولات هى محاولة هرتزل (١٩٠٠ — ١٩٠١) وكان رئيساً لتحرير جريدة نيوفرى فى فينا الذى تقدم بعرض مفاده أن يتعهد الصهيونيون بدفع الدين العثمانى البالغ ٢٢ مليون ليرة انجليزية » وبناء أسطول كامل للدفاع عن أراضى الدولة العلية وعقد قرض بمبلغ مائة مليون فرنك تصرف فى سبيل التسليح العام وذلك نظير نزول اليهود المضطهدين فى العالم بفلسطين ، وقد سجل هرتزل فى مذكراته رد السلطان عليه حيث قال : « بلغوا الدكتور هرتزل ألا يبذل بعد اليوم شيئاً من المحاولة فى هذا الأمر (التوطن بفلسطين) فإنى لست مستعداً لأن أتخلى عن شبر واحد من هذه البلاد ليذهب إلى الغير فالبلاد ليست ملكى بل هى ملك شعبى الذى روى ترابه بدمائه وليحتفظ اليهود بملايينهم من الذهب . وفى المحاولة الثانية تقدم ثلاثة من اليهود (مزراحى ، جال ، ليون) إلى السلطان عام ١٩٠٢ بعرض ضخم مغر ، يتضمن (١) الوفاء بجميع الديون المستحقة على الدولة العثمانية (٢) بناء أسطول لحماية ثغور الامبراطورية العثمانية (٣) تقديم قرض بخمسة وعشرين مليون ليرة ذهبية دون فائدة لإنعاش مالية الدولة . وذلك مقابل (١) إباحة دخول اليهود إلى فلسطين للزيارة (٢) السماح لليهود بإقامة مستعمرة ينزل بها أبناء جلدتهم قرب القدس الشريف . وقد رفض السلطان عبد الحميد هذا العرض فى إصرار عجيب . غير أن جمعية الاتحاد والترقى التى تأسست باسم الحرية والتقدم ثم لم تلبث عناصر الدونمة المقيمة فى سالونيك بالاشتراك مع المحافل الماسونية التى تستهدف إقامة عرش سليمان — أن سيطرت عليها ووجهتها وجهة خدمة أهداف الصهيونية الماسونية اليهودية — هذه الجماعة هى التى سمحت لليهود باستيطان فلسطين وليس السلطان عبد الحميد . وقد أكد الباحثون المثقفون أن جمعية الاتحاد والترقى كانت القناع الخارجى الذى تقنعت به جماعة الدونمة المتظاهرين بالإسلام من يهود أسبانيا الذين اتخذوا من مدينة سلانيك مقاماً لهم بعد فرارهم من محاكم التفتيش التى نصبها الأسبانيون لمخالفتهم فى العقيدة سواء من المسلمين أم اليهود. ولما كان السلطان عبد الحميد قد تفادى مؤتمرات النفوذ الاستعمارى بإعلان المشروطية ١٩٠٨ فإن ذلك قد دفع الصهيونيون والنفوذ الاستعمارى معاً خطوة إلى الأمام للتآمر لإسقاطه ، وقد تحقق ذلك بالخطة التى نفذوها باسم حركة الارتجاع قاصدين

من ذلك إحراج السلطان ودفع الاتحاديين إلى الثورة عليه والتخلص منه نهائياً تمهيداً للتخلص من الإسلام نفسه فيما بعد . وقد حققت هذه الحركة نتائجها فقام الجيش بحركته لعزل عبد الحميد وكان أحد المتقدمين إلى السلطان عبد الحميد بطلب التنازل « مزراحى أفندى قراصوه » أحد الذين تقدموا عام ١٩٠١ بطلبات الصهيونية ، وكان هذا الموقف خاتمة للموقف الأول ونتيجة له . ومن حق أن يقال أن كان لليهود محاولة سابقة لمحاولة هرتزل . وقد سجلت مجلة الشرق الكاثولوكية فى مجلدها الثانى ١٨٩٩ ص ١٠٩٤ موقف الصهيونية من الدولة العثمانية فقالت : « لما كان اللورد غوش الإسرائيلى سفيراً بالاستانة عرض على الحكومة السنية أن يجعل تلك النواحى (مافاد ومؤداب من عبر الأردن) التى مساحتها نحو ستمائة ألف هكتار مستعمرة لليهود ، تحت نظارة الباب العالى ، يسوسونها كما يشاءون بشرط أن يدفعوا لمولانا السلطان مبلغاً من الدراهم لا يقل عن بضعة ملايين من الفرنكات ، غير أن الدولة السنية لم تلب دعاء غوش وأغنياء اليهود فذهب مالهم أدراج الرياح وكانت غايتهم أن يمهدوا لأبناء جلدتهم إنشاء مملكة مستقلة بالأراضى المقدسة كما كانت قبل المسيح » . ا . هـ والمعروف أنه بعد أن تولى الاتحاديون السلطة لم تفتح أبواب فلسطين وحدها أمام تدفق اليهود بل أتيحت لهم الفرصة للسيطرة على الدولة كلها وذلك بحسبان أن الدستور العثمانى — قد أعطى جميع الطوائف حق المساواة ، وكان اليهود فى مقدمة هذه الطوائف وأذكاها وأقدرها على العمل فقد قفزوا إلى الوظائف العالية فى الدولة ، وكان إعلان الدستور فى تركيا بالنسبة لليهود شبيه بأثر الثورة الفرنسية بالنسبة لهم فى أوربا . فقد أخذت سيطرتهم تظهر على المراكز التوجيهية العام ومن ثم بدأوا عملهم فى الوقيعة والدس بين العرب والترك وبين الأتراك وسائر الشعوب المسيحية فى المملكة العثمانية ، وقد أشارت إلى ذلك مجلة المشرق الكاثولوكية أيضاً حين قالت : « لم يمض وقت طويل (على صدور الدستور العثمانى) حتى يتبين أن مديرى دفة جمعية تركيا الفتاة هم يهود . وإنهم أخذوا السلطة بواسطة أعوانهم يثيرون كوامن البغضاء بين الأتراك المسلمين وبين سائر الشعوب المسيحية فى المملكة العثمانية ومما يؤكد هذه الحقيقة أن جريدة التيمس الإنكليزية إحدى الجرائد المشهورة بممالأتها ، رأت أن تذكر بالدور الذى لعبوه فى تهييج النصارى ضد الإسلام . » وجملة القول أن الاتحاديين هم الذين سلموا فلسطين لليهود والدولة العثمانية للنفوذ الأجنبى وكانوا العامل الأساسى الفعال خلال فترة ثمانية سنوات (١٩٠٨ — ١٩١٦) على تمزيق هذه العروة العربية التركية مستعدين بذلك

لإسقاط الخلافة وأن مصطفى كمال يعتبر امتداداً أشد وأعنف للاتحاديين ومفاهيمهم وأنه هو ثمرة الحركة الاتحادية كما كان نابليون ثمرة الثورة الفرنسية . ومن حق أن يصحح اليوم هذا التاريخ وأن تجلى هذه الشبهات التى أحيط بها قائد مسلم ظل يقاوم النفوذ الأجنبي الزاحف بقوة خلال أربعين عاماً فى بسالة لا تبارى ، وأن يكشف عن زيف الاتهامات التى وجهت عليه من أمثال قولهم أنه كان يلقى فى البسفور الآلاف من الأحرار ، فقد ثبت أن ذلك لم يقع أصلا ، وأن إنساناً واحداً لم يسقط فى البسفور وإذا كان دعاة هذا القول صادقين فإن عليهم أن يذكروا اسماً واحداً . ويرجع الأستاذ المحقق سعيد الأفغانى تاريخ إنشاء جمعية الاتحاد والترقى إلى نفس العام الذى تمت فيه المقابلة بين هرتزل والسلطان عبد الحميد من جماعة يهود سالونيك على نمط المحافل الماسونية اليهودية الأصل ومن خلال هذا المخطط المشترك بين النفوذ الاستعمارى الزاحف ومطامع الصهيونية ، رسمت خطط الدعوات المتطرفة إلى العنصرية الطورانية وإذكاء العداء بين عناصر المملكة العثمانية من عرب وأكراد وأرمن وشركس وأرنؤوط ، وكان رد الفعل أن اعتنقت هذه الشعوب نفس الدعوة العنصرية ، وكان هذا أخطر تآمر صهيونى غربى فى وجه دعوة الجامعة الإسلامية والوحدة العربية التركية الممثلة فى كيان موحد للمسلمين فى مواجهة الغزو هو المملكة العثمانية . وبذلك فقد كان خلع السلطان عبد الحميد خطوة أساسية نحو تحقيق المخطط الذى تم بعد الحرب العالمية الثانية فى ثلاث مراحل : ١ — وعد بلفور وتسليم فلسطين للصهيونية . ٢ — تقسيم العالم العربى بين دول الاستعمار ٣ — تسليم تركيا لأبشع حركة تغريب وتدمير للقيم الإسلامية . ومن حق أن يوجه الاتهام ، كل الاتهام ، حول فصم أواصر أقوى رابطة من العالم الإسلامى بين الأتراك والعرب ، إلى الاتحاديين الذين ما أن تولوا الحكم ١٩٠٩ حتى عمدوا إلى إعلان الجامعة الطورانية وتتريك العرب واضطهاد العناصر التى تضمها الدولة . ويروى سعيد الأفغانى أن الزعماء العرب الذين ندد بالصهيونية وأحابيلها فى اقتطاع فلسطين قد قتلهم الاتحاديون ومن بينهم شكرى العسلى وعبد الوهاب الإنجليزى . بل أن هناك ما يثبت كيف أن اليهود وقوى النفوذ الأجنبي الزاحف قد دفعوا الاتحاديين إلى خوض الحرب بجوار ألمانيا بينما كان اليهود فى جانب انكلترا وفرنسا يولون الحرب ، وكانت النتيجة أن تمزقت تركيا وأعلن وعد بلفور ولم يكن بين هذا وبين خلع السلطان عبد الحميد إلا تسع سنوات .

(٢)

الجامعة الإسلامية

قال بعض الباحثين فى دعوة جمال الدين إلى الخلافة الإسلامية Pan Islamism بأن أساس الفكرة عنده « سياسى لا دينى » وهذا مما يخلط به الكثيرون ممن لا يفهمون أن الإسلام نظام متكامل « دينى وسياسى واجتماعى واقتصادى وقانونى » معاً . وأن مفهومها أساساً إنما هو تجمع المسلمين فى جبهة واحدة لمواجهة النفوذ الاستعمارى الزاحف ، وقد انتقلت الفكرة إلى حيز التطبيق حين حمل لواءها السلطان عبد الحميد ، خلال أغلب فترة حكمه ، حتى عام ١٩٠٨ حين تولى الاتحاديون الحكم حيث توقف مجرى الدعوة للجامعة الإسلامية وغلب عليه الصراع بين العرب والترك . ومن حق أن نقول إن مختلف الدعوات التى ظهرت منذ فجر اليقظة الإسلامية العربية كانت تجعل الجامعة الإسلامية هدفاً من أهدافها على نحو من الأنحاء ، وكان ذلك ظاهراً منذ حركة التوحيد الوهابية ، وحركتى السنوسى والمهدى ، ثم حركة جمال الدين ، وكذلك كانت بالنسبة للحركات الإسلامية التى ظهرت فى الهند والمغرب وإندونيسيا . غير أن حركة السلطان عبد الحميد تختلف عن هذه الدعوات كلها على أساس أن حامل لواءها كان فى سدة الحكم وكانت قدرته على العمل أكبر ، وقد استطاع فعلا أن يقرب إلى هدفه الوحدات الإسلامية المختلفة خارج الدولة العثمانية فأصبح قبلة آمال العالم الإسلامى . وسرعان ما استطاع النفوذ الاستعمارى تدمير هذا الاتجاه والقضاءُ عليه وذلك بإثارة الحملة الضارية على السلطان عبد الحميد ، والدولة العثمانية ، وخلق دعوات الاقليمية والوطنية الضيقة وتغذيتها بشعارات وقوى وفلسفات واستعان فى ذلك بنقل صورة الحركات الأوربية القومية التى قاومت الكنيسة البابوية وانفصلت عنها وحاول أن يعقد وجهاً للمقاومة وبين دولة الخلافة . وكان كرومر فى مصر أقوى خصوم الجامعة الاسلامية ، وقد حمل عليها حملة عاصفة ، وسرعان ما حمل حزب الأمة بقيادة لطفى السيد لواءِ الدعوة إلى الاقليمية الضيقة «مصر للمصريين» مشفوعة بالخصومة العنيفة للاسلام فكراً وجغرافيا وتاريخياً . وفى تركيا استطاع الاتحاديون أن يثيروا دعوة الطرانية ويضعونها موضع التنفيذ لتمزيق وحدة العرب والترك داخل الدولة العثمانية . ومن ثم فقد توقفت حركة الجامعة الاسلامية عن الحركة ، بعد الاحتلال البريطانى فى مصر سنة ١٨٨٢ حيث أصبحت القاهرة مقر الدعوة المعارضة برفع شعار العروبة أو شعار المصرية ، وكان الدعاة لهما هم كتاب الصحف المارونيين ، وأصحاب المقطم ولطفى السيد فى الجريدة . وفى سنة ١٩٠٧ قدم إلى القاهرة زعيم من مسلمى

القوقاز يحمل لواء الدعوة إلى مؤتمر إسلامى عام يضم جميع أمم العالم الاسلامى على اختلاف أجناسهم لمواجهة الأحداث ومحاولة الاتفاق على خطة موحدة ، واستطاع « اسماعيل عصبرنسكى » أن يقنع مجموعة من أعلام الفكر الاسلامى فى مصر فى مقدمتهم : البكرى ، شاكر ، بخيت ، العدوى ، والى ، أحمد تيمور ، الهلباوى ، أحمد زكى ، محمد فريد ، رفيق العظم ، طلعت حرب ، حافظ عوض ، على يوسف ، رشيد رضا . وقد أراد « عصبر نسكى » أن يتفادى خصومة أوربا وانزعاجها من الجامعة الاسلامية فحدد هدفه بأنه بحث الشئون الاسلامية على غير الصورة التى يتشاءم منها الأوربيون (بانسلانيزم) وقال : أنما غرضى البحث عن أسباب انحطاط الأمة الاسلامية وفتح أبواب النجاح فى الأمور الاقتصادية والاجتماعية واختيار السبل القويمة التى تصل بنا إلى أن نأخذ نصيباً من المدنية الغربية الحاضرة ، وقال إن مؤتمره « لايتطرق قط إلى البحث فى الأمور السياسية » وقال أن هناك تهمة ألقيت على عاتق الاسلام وهو براء منها وهى أنه (أى الاسلام) « علة الانحطاط » ومدعاة التأخر ولكن التاريخ يكذب هذه الفرية ويدحضها ، وقال إن هذه القضية : قضية دراسة أسباب انحطاط الأمة الاسلامية لا تتيسر تيسراً كاملا لفرد أو فردين فلا مندوحة من عقد مؤتمر إسلامى عام .

٣ — وفى نفس هذه الظروف صدر كتاب « المستقبل للإسلام » للسيد توفيق البكرى الذى تناول أثر الصوفية فى بناء « الجامعة الاسلامية » . وقد أشار البكرى إلى الجامعة الاسلامية فى مؤتمر عصبرنسكى فقال : « الجامعة الاسلامية قسمان دينية وجامعية ، أما السياسة فهى التى يعنيها الأفرنج بلفظ « بانسلاميزم » . أما الجامعة الدينية فهى موجودة لوجود روابطها وهى العقيدة الاسلامية أولا وآخراً الاسلام » . أما الجامعة الإسلامية فهى غير موجودة ولم توجد ولن توجد كما يتوهمون لعدم وجود الرابطة فى كل أمر سياسى ، فإذا أوجد المسلمون جامعة اسلامية ، أوجد الأوربيون أزاءها جامعة مسيحية أو جامعة سياسية وثنية ، فكون المضرة عليهم جراء ذلك أكثر من المنفعة » وكان البكرى يجرى فى هذا القول فى ركاب الاستعمار . غير أن الأحداث لم تلبث أن فرضت الدعوة إلى الجامعة الاسلامية مرة أخرى حين اعتدت إيطاليا على طرابلس المغرب ١٩١١ وبرزت الدول الاسلامية متحدة فى مواجهة العدوان وكانت مصر فى المقدمة مما احفظ لوردكرومر فشن خادم أفكاره لطفى السيد حملة عاصفة على مؤازرة العرب والمسلمين على مجاهدى طرابلس وقد شهدت معارك طرابلس مجاهدين من تونس والجزائر والمغرب ومصر والسودان والشام والترك والأفغان على اختلاف

أخباسهم وجمع أهالى مصر ١٥٠ ألف جنيه ذهباً فى يوم واحد تبرعاً لها . ثم كانت الحرب العالمية الأولى عاملا هاماً فى عودة الحديث عن الجامعة الاسلامية فقد اهتزت أجزاء العالم الاسلامى المختلفة للغزو الأوربى للدولة العثمانية بعد انتصار الحلفاء وهزيمة ألمانيا وحليفتها تركيا . وقدكان موقف المسلمين فى مختلف أنحاء العالم موقفاً موحداً إزاء دولة الخلافة ، وقد بعثوا بالمتطوعين والأموال إلى القائمين بالحركة الوطنية وكان يمكن أن يصبح الأمر أبعد أثر ا لو لم تكن مصر محتلة بانجلترا وطرابلس بايطاليا وإيران بروسيا والهند ببريطانيا ، وقد اعترفت الحكومة البريطانية بمدى الأثر البعيد لهزيمة تركيا فى البلاد الاسلامية من المغرب إلى الهند . وكان أقوى رد فعل لذلك فى الهند الاسلامية ، فقد تجمع المسلمون فى وجه بريطانيا المحتلة فى حركة عنيفة وألفوا حزب الخلافة وتدافعوا إلى مساعدة الدولة العثمانية وكان موقف العالم الاسلامى غاية فى المعارضة الصريحة الواضحة لموقف حكومة أنقره من إلغاء الخلافة الزمنية نهائياً . ثم شغل العالم الاسلامى تماماً بقضايا ه الوطنية ، وبأمور احتلاله بعد الحرب العالمية الأولى على نحو لم يكن يسمح له البحث فى قضية الجامعة الاسلامية أو الوحدة. غير أن العواطف المشبوبة والالتقاء الروحى والفكرى كان قائماً بين المسلمين أساساً ومتمثلا فى روابط الجماعات الاسلامية كالشبان المسلمين الاخون وبعض الطرق الصوفية ، وتأكدت أكبر صورة كل عام فى موسم الحج . وقد كان المسلمون يرون أن هذه السدود والقيود التى وضعت بين الوحدات المختلفة ، والأنظمة التى أقامها الاستعمار لعزل المسلمين ، إنما هى قيود مادية وسدود شكلية محضة ، لن تستطيع أن تقضى على وحدة الفكر والروح الإسلاميين ، وكانوا دائماً يؤمنون بأنه سيأتى اليوم الذى يتحقق فيه لقاء جامع ، ولقد أثبتت الأحداث عمق التجارب الواضح بين مختلف أجزاء العالم الإسلامى ، وأبان ثوراته المختلفة ، ومعاركه مع الاستعمار . وكان كرومر هو أول من الب أوربا والعالم الغربى على الجامعة الإسلامية فقد كان الاحتلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢ وقدوم كمررو إلى مصر ١٨٨٣ واستمراره ممثلا لبريطانيا وحاكماً فعلياً حتى عام ١٩٠٧ تقريباً عاملا هاماً فى رسم هذه السياسة ، فقد بثت انجلترا وفرنسا الدعوة فى أرجاء أوربا للفزع من الجامعة الإسلامية واستبشاعها ، ورسمت مختلف الخطط لمقاومتها وفى مقدمتها التبشير ودعوات الأقليمية الضيقة ومحاربة اللغة العربية وغيرها ، وقد حرص كرومر على أن يتحدث فى تقاريره السنوية عن الجامعة الإسلامية ببغض شديد وفى نفس الوقت نشرت الأهرام تصريحات مثيرة لوزير فرنسى

هو «هانوتو» هاجم فيها الجامعة الإسلامية .وكانت مهاجمة الجامعة الإسلامية تستتبع بالتالى مهاجمة الدولة العثمانية بحسبان أنها عقدة التقاء المسلمين خارج الدولة وداخلها ، وكانت هذه العقدة هى الهدف المحدد الذى ترمى بريطانيا وفرنسا وروسيا إلى قطعها حتى تتفرق الوحدة التى تجمع من حول الدول الاسلامية لتواجه النفوذ الاستعمارى الزاحف الذى قد رسم مخططه على أساس التهام هذه الوحدات مفرقة والحيلولة دون التقائها مرة أخرى فى أى نوع من الوحدة ليستديم سيطرته عليها . ولم يكن كثير من زعماء العالم الإسلامى ومفكريه يصرون على الاستمساك بالجامعة الاسلامية إلا من أجل هدف واحد هو بقاء جبهة المقاومة فى مواجهة النفوذ الاستعمارى ولم يكن ذلك يعنى تبعية من أى نوع وقد كان ذلك رأى كبار المستنيرين فى هذه الفترة ، جمال الدين الأفغانى الذى قصد إلى الدولة العثمانية أخيراً وقبل بالعمل معها لدعم الجامعة الاسلامية وقدم إلى عبد الحميد مشروع الخديويات ، كمقدمة لانضمام الدول الاسلامية خارج الدولة العثمانية إلى الوحدة الاسلامية باسم الخلافة . والشيخ محمد عبده الذى عرف عنه قوله ١٨٨٦ «إن المحافظة على الدولة العلية العثمانية ثالثة العقائد بعد الايمان بالله ورسوله فانها وحدها الحافظة لسلطان الدين الكافلة لبقاء حوزته ، وليس للدين سلطان فى سواها ». وموقف مصطفى كامل والحزب الوطنى واضح ومعروف فى الايمان بالجامعة الاسلامية ، والعمل على تأكيد بقاء الدولة العثمانية كقوة مواجهة للغزو الاستعمارى الغربى وقد هاجم كرومر بعد خروجه من مصر مشروع الجامعة الاسلامية وأشار إلى تمسك المصريين بعقيدتهم الاسلامية المتغلبة على الوطنية بمعناها الاقليمى التى تؤمن بالوحدة الكاملة بين المسلمين فى سائر أقطار الأرض . وقد واجهت حملته تلك هجوماً عنيفاً من مختلف المفكرين والكتاب ، الذين تسجل آثارهم وكتاباتهم المختلفة الايمان بالوحدة بين المسلمين وكذلك رد الشيخ محمد عبده على الاتهامات المماثلة التى وجهها هانوتو للجامعة الاسلامية . وفى مواجهة هذه الدعوة أجج النفوذ الاستعمارى عشرات الدعوات . منها فصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية ، وذلك حتى لا يصبح الخليفة جامعاً بين رئاسته الاسلامية وبين منصبه السياسى كحاكم وضربت الأمثلة بالبابا الكاثوليكى وكان ذلك بالقطع مخالفاً لمفهوم الاسلام الجامع بين السلطة الدينية والسلطة المدنية معاً فى المجتمع وفى يدخليفة المسلمين. كما برزت دعوة إلى الخلافة العربية أو الولاية الدينية على شئون المسلمين العرب وجرت حملات عنيفة على السلطان عبد الحميد بالذات بعد الحملة على الجامعة الاسلامية والخلافة

ورميه بالتهم المختلفة وإثارة الشبهات حوله . وقد ثبت اليوم وبعد مرور أكثر من ستين عاماً أن كل هذه الشبهات كان مبالغاً فيها وأن أغلبها كان ملفقاً ولا أساس له. وقد تأثر الكواكبي بالنظرية الغربية المسيحية فى البابوية وحاول تطبيقها فى مجال الجامعة الاسلامية والخلافة وقد عرض كرومر للجامعة الاسلامية فى كثير من تقاريره وآرائه ومجمل رأيه فيها هو ما أورده فى تقرير عام ١٩٠٦ حيث قال : «المقصود من الجامعة الاسلامية بوجه الاجماع اجتماع المسلمين فى العالم كله على تحدى قوات الدول (الأوربية) المسيحية ومقاومتها فإذا نظر إليها من هذا الوجه وجب على كل الأمم الأوربية التى لها مصالح سياسية فى الشرق أن تراقب هذه الحركة مراقبة دقيقة لأنها يمكن أن تؤدى إلى حوادث متفرقة فتضرم فيها نيران التعصب الدينى فى جهات مختلفة من العالم» . ثم أشار إلى أن للجامعة الاسلامية معان كثيرة منها الخضوع للسلطان العثمانى (أى الخليفة) وترويج مقاصده . ثم أشار إلى أن من أهم أهداف الجامعة الاسلامية ما يلى :- «السعى فى إصلاح أمر الاسلام على النهج الاسلامى ، وبعبارة أخرى السعى فى القرن العشرين لاعادة مبادىء وضعت منذ ألف سنة هدى لهيئة اجتماعية فى حالة الفطرة والسذاجة ، وقال إن عيب هذه المبادىء والسنن والشرائع هى المناقضة لآراء أهل العصر فى علاقة الرجال والنساء وأهم من ذلك وهو إفراغ القوانين المدنية والجنائية والملية فى قالب واحد لا يقبل تعقيداً ولا تحويراً وهذا ما أوقف تقدم البلدان التى دان أهلها بالاسلام » . هذه هى الصورة التى حاول كرومر أن يرسمها لمفهوم الجامعة الاسلامية وحاول بها الحملة على الإسلام ومهاجمته فى صميم عقائده ومقاصده من ناحية وتأليب الغرب على المسلمين الذين تدفعهم مقاومتهم للنفوذ الغربى الزاحف إذ ذاك على التجمع وتوحيد خططهم فى جبهة موجودة فعلا هى الدولة العثمانية حتى لا تحترق هذه الوجهة ، مهما كان من أمر ضعف هذه الجبهة ، وقد أعلن كرومر فى نفس الوقت استحالة سماح أوربا باتفاق المسلمين حين قال «أنى لأثق بقوة أوربا واقتدارها الاقتضاء على تلافى هذه الحركة من الجهة المادية » . وقد أشار السيد رشيد رضا إلى هذه الآراء وعلل هدفها حين قال : إن السبب الأول لكون الدولة البريطانية هى الخصم الأشد الأقوى من خصوم الخلافة الإسلامية هى أنها تحس أن بها تتجدد حياة الإسلام وتتحقق فكرة الجامعة الإسلامية ليحول ذلك دون استعبادها للشرق كله» . كما أورد رشيد رضا فى رده على كرومر – وقد رد عليه كثيرون فى مقدمتهم فريد وجدى ومصطفى الغلايينى وعلى يوسف (تراجع الصحف عام ١٩٠٧) –

فقال إن جمال الدين ومحمد عبده هما فى مقدمة الداعين إلى الجامعة الاسلامية وأن جمال الدين قد أعلن أنه لا يهدف من دعوته أن يكون للمسلمين إمام واحد فإن هذا ربما كان متعذراً وإنما عنى أن يكون إمامهم القرآن وأشار رشيد رضا إلى أنه يسير على نفس الدعوة إلى الجامعة الاسلامية ويفهمها على هذا النحو «أن الأساس الذى يجب أن يبنى عليه حال المسلمين هو تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة السلف قبل ظهور الخلاف ». وقال إن الدعوة الاسلامية تنحصر فى ترك البدع والجمع بين الدين وبين العلم والمدنية وقد أحس الأربيون بخطر دعوة الجامعة الاسلامية فحاربوها بكل قوتهم ، بصحفهم ومؤتمراتهم ، لما تبين لهم قوتها وخطرها إذا تحققت ولذلك فقد اتخذوا ، لذلك عدة أعمال أساسية : ١ – تعميق الدعوات الأقليمية والخاصة بالوطنية والأرض والأمة والعرق .

٢ – خلق جو فكرى عام لمحاربة الوحدة الاسلامية وتصفيتها . وكان ذلك من الأعمال التى ركزت عليها مؤتمرات المبشرين وفى مقدمتها (مؤتمر سبتمبر ١٩١١) الذى كان من أهم موضوعاته : الجامعة الاسلامية وكيفية مقاومتها فقد أشار زويمر إلى هذا الأمر الخطير فى نظرهم وقال : إن الاسلام تمخض فى السنوات الخمس الأخيرة عن حوادث خارقة لم يسبق لها نظير : ١ – الانقلاب الفارسى . ٢ – الانقلاب العثمانى . ٣ – امتداد خطوط السكة الحديد. ٤ – تأسست فى الهند مجالس ثورية . ٦ – دخلت الأمور الاسلامية فى قالب يلائم العصر. ٦ – انتشر الاسلام فى أفريقيا والهند الغربية والجزائر الجنوبية ، وكل هذا يحتم على المبشرين أن يعملوا بحزم وجد ، وقال . إن يقظة العالم الاسلامى ليست شيئاً اخترعه المبشرون بين ضفتى النيل وشرق أفريقيا وبلاد النيجر والكونغو ، ثم لخص المؤتمر الموقف بأن الاسلام متمحض الآن عن ثلاث حركات اصلاحية : ١ – اصلاح الطرق الصوفية . ٢ – تقريب الأفكار من الجامعة الاسلامية . ٣ – إفراغ العقائد والتقاليد القديمة فى قالب له بريق . وكان تركيز الاستعمار والنفوذ الغربى على العصبية الجنسية هو عمله الأكبر فى سبيل القضاء على الجامعة الاسلامية . ولكن جميع الدعوات القومية والوطنية التى ظهرت إنما كانت دعوات مؤقتة تهدف إلى تحرير الأوطان أولا ، ثم تجمعها فى وحدات قوامها الأمة واللغة ، كمقدمة لوحدة فكرية أكبر هى الوحدة الاسلامية ، وليست دعوة الوحدة العربية أساساً فى جوهرها (وبعيداً عن كل ما حرفت إليه أو أخل إليها من مفاهيم القوميات الغربية) إلا نواه الجامعة الاسلامية فقد كان المسلمون ولا زالوا يؤمنون بأنه إذا ذل العرب ذل الاسلام فلابد أن

يتحرر العرب أولا ويأخذوا بمقادة الأمور ، بحسبان أنهم أصحاب اللغة وحماة الكعبة ويحسبان أنهم مركز القيادة الفكرية الاسلامية أساساً ، ولن يستطع المسلمون إقامة وحدة أو جامعة إلا إذا تحرر العرب أساساً . وقد كتب المستر بلانت فى هذا المجال كتابة المشهور (مستقبل الاسلام) الذى تحدث فيه عن الخلافة الاسلامية وقال أن مكانها يجب أن يكون فى مكة وأن الخليفة فى المستقبل يجب أن يكون رئيساً دينياً لا ملكاً دنيوياً ، وقد مهد لدعوته هذه بشعر عربى جميل حين قال : لاتقنطوا فالدر ينثر عقده ليعود أحسن فى النظام وأجملا أى أنه يطمئن المسلمين إلى أن ولاية بريطانيا للعالم الاسلامى بديلا عن السلطنة العثمانية لن تضر المسلمين ولن تزعجهم بل ستعود بنتائج هى خير مما هو موجود الآن وقد هاجم «مصطفى كامل» هذه الدعوة التى كانت تحاول أن تمهد للخطوات التالية لها فى محاولة خلق رأى عامل لتقبلها فقال : «لقد رأت انكلترا أن بقاء السلطة العثمانية يكون عقبة فى طريقها ومنشأ للمشاكل والعقبات فى سبيل امتلاكها مصر ، وأن خير وسيلة تضمن لها البقاء فى مصر ووضع يدها على وادى النيل هو هدم السلطة العثمانية ونقل الخلافة الاسلامية إلى أيدى رجل يكون تحت وصاية الانجليز وبمثابة آلة فى أيديهم لذلك أخرج ساسة بريطانيا مشروع الخلافة العربية مؤملين استمالة العرب وقيامهم بالعصيان فى وجه الدولة العلية».

وقد جعلت جريدة المقطم (فارس نمر) لسان كرومر وجريدة (لطفى السيد) لسان حزب الأمة، من أهم أهدافها الدائمة مهاجمة الجامعة الاسلامية . وقالت المقطم إن الدعوة إلى الجامعة الاسلامية مصدرها الجهل بسنن الرقى الطبيعى ، وإن ذلك يهدد الدول الأوربية ، وكانت دائماً تردد قولها : نحن ضعفاء والأعداء محيطون بنا من كل جانب كما شاركت الأهرام لسان حال الفرنسيين هذه الدعوى وقالت إن الدعوة إلى تحقيق الجامعة الاسلامية مضر بالدولة وبالمسلمين ثم تصل إلى الغاية حين تقول . «تأييد الجامعة الاسلامية فى ظل الخلافة العثمانية سياسياً ودينياً أمر مستحيل لا يتسنى الحصول عليه إلا بالحرب وأين لنا أن نقاوم أوربا بأسرها» وقد كان الرد على خصوم الجامعة الاسلامية فى ذلك الوقت يجرى على أساس عن الكشف الاخطار التى تهدد المسلمين والتعرف على ما يقاسيه إخوانهم فى جاوه . من مظالم الهولنديين والهنود من مظالم جمهورية الترنسفال وما يقاسيه المسلمون فى داغستان وقازان وما يقاسيه أخوانهم المسلمون فى الهند وأن ليس فى هذا ما يستدعى قيام حرب عوان تقاوم بها أوربا بأسرها كما لا يستدعى ما يقول المقطم من حشد الألوف من الألبان والأكراد

والأتراك والعرب لمهاجمة أوربا . ويقول صاحب الأهرام باستحالة الوصول إلى تحقيق الجامعة الاسلامية اعتماداً على أن ذلك لم يحصل فى الماضى حيث كان الاسلام عزيز الجانب شديد البأس ، فكيف يتحقق فى حال ضعفه ما عجز عنه فى حال قوته — ويعتقد أن العمل لتحقيق الجامعة الاسلامية الآن مضرة كبرى على الاسلام والمسلمين لأن دول أوربا المسيحية التى لا يرون لها أن تصلح الدولة العلية أمورها لتقوى كذلك لا يروقها من باب أولى أن تشاهد المسلمين تحت سلطتها يتآلفون مع المسلمين تحت ظل الخلافة الاسلامية لذلك ننصح بترك الجامعة الآن لما فيه من إغراء أوربا على المسلمين لتفريق شملهم » . وقد أجابت المؤيد بأن الجامعة الاسلامية لم تكن من مطلب المسلمين أيام قوتهم حتى يقال كيف يدركون بعد ضعفهم ما عجزوا عنه أيام قوتهم ، وقالت : أما الآن ونحن ضعفاء والأعداء محيطون بنا من كل جانب فقد حسن أن يكون تحقيق هذه الجامعة مطلبهم ، وليس أقدر على العمل والألفة للاتحاد أكثر من الضعفاء . ويقول المقطم : إن معنى الدعوة إلى الجامعة الاسلامية هى الدعوة إلى الجهاد وتعنى تعزيز الاسلام عندهم وأهلاك غيرهم فهم لا يفهمون أن يكون الاسلام عزيزاً إلا بابادة خصومهم كما كان ذلك فى زمن الصليبيين وكما حدث فى جبل لبنان » . ولا شك أن ما ذهبت إليه المقطم فيه مغالطة كبيرة ومبالغة لا شك فيها فالمسلمين لم يكونوا معتدين قط بل معتدى عليهم ، وفى الحروب الصليبية — زحف المئات من أوربا إلى بلاد المسلمين لحربهم والسيطرة عليهم ، وكان موقف المسلمين هو موقف الدفاع والمقاومة. أما ما حدث عام ١٨٦٠ فان وثائق التاريخ المنصفة تشهد بأن المستعمرين هم الذين أثاروا المارون على الدروز وكانت فرنسا من وراء المارون وبريطانيا من وراء الدروز ، ولو أن المسلمين والمسيحيين تركوا لأنفسهم لما وقع بهم خلاف أو خصومة كما كان ذلك على طوال تاريخ العلاقة بينهما ولكن المقطم فى هذا إنما تنقل تهديدات بريطانيا ومغالطاتها ، ويذهب المقطم إلى حدود القول بأن الجامعة الاسلامية الدينية المحضة المجردة من المعانى السياسية هى التى يمكن اخراجها من القوة إلى الفعل ، وهو بهذا ينكر أمرين : أولهما : مفهوم الاسلام الجامع بين الدين والسياسة ووجود الدولة العثمانية التى تحمل لواء الخلافة والجامعة الاسلامية معاً . هكذا كان يدور السجال فى قضية الجامعة الاسلامية يحمل طابع الخوف الشديد من جانب الدول الغربية وطابع التحريض الشديد من جانب حلفاء النفوذ الغربى وتصويره بصورة اعتداء المسلمين على النصارى ، بينما يعرف الجميع كيف وقف المسلمون والنصارى فى وجه

الحملات الصليبية وفى وجه الاستعمار الغربى . ولكن الاستعمار كان دائماً يحاول الوقيعة بين الأديان والأجناس فى سبيل احتفاظه بالبقاء. ومن عجب أن تخشى أوربا فى ذلك الوقت بلاد المسلمين محتلة أو شبه محتلة ، وليس فى أيديهم قوة أوربا أو سلاحها من أن تؤدى الدعوة إلى الجامعة الاسلامية إلى خطر داهم يتهددالحضارة الغربية أو يؤدى بهم إلى اكتساح أوربا ، فقد مزق الاستعمار الغربى العالم الاسلامى وسيطر عليه ، وكان عليه أن يتم آخر خطواته وأخطرها بالقضاء على عقدة الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية وذلك حتى لا يصبح من المستطاع تنفيذ أى مخطط للوحدة أو التجمع تحت أى شعار كان وقدسقط أكبر دعاة الجامعة الاسلامية جمال الدين وعبد الحميد فى الميدان محاربين ومن بعدهما تمزقت الدولة العثمانية وأزيلت الخلافة . ولكن الدعوة إلى الجامعة الاسلامية لم تتوقف بعد ذلك ، فقد ظلت أبرز النقاط فى برامج الجمعيات والهيئات الاسلامية المختلفة من أندونيسيا والهند والبلاد العربية . وكان ابرز العوامل الداعية إليها تأجج مسألة فلسطين والاحتلال الصهيونى لها حيث عقد عديد من المؤتمرات الاسلامية التى كانت تحمل طابع الدعوة إلى الجامعة الاسلامية وفى مقدمتها مؤتمر القدس ١٩٣٢ ومؤتمرات الباكستان بعد استقلالها ١٩٤٧ وما بعدها . وقيام المؤتمر الإسلامى فى القاهرة وفى كراتشى والرابطة الإسلامية فى مكة ومن الحق أن يقال أن مضمون الخلافة الإسلامية ظل فى مفهوم عامة المسلمين إنما هو أمر بعيد كل البعد عن الأحلاف أو خدمة نفوذ أجنبى معين وليس من وسائله عندهم الاستعانة به على عمل غير مشروع وما تزال فكرة الجامعة الإسلامية على المحيط الشعبى الإسلامى فكرة نقية بعيدة عن محاولات السياسة والدول الكبرى التى تحاول للانتفاع بها عن طريق بعض الحكومات .

هذا ويؤكد مختلف الباحثين حتى من خصوم الإسلام إلى أن الوحدة الإسلامية هى مآل المسلمين مهما طال الزمن واختلفت الوسائل. فالشيوعيون بمفهوم أحد زعمائهم((تانمالاكا) يقول : إن الوحدة الإسلامية هى نضال وطنى للتحرر لأن الإسلام هو كل شىء بالنسبة للمسلم فهو ليس فقط ديناً وإنما هو كذلك دنيا ودولة . ومن الناحية الأخرى يقول أحد ممثلى الفكر الغربى (روبرت بيكر) « الإسلام فى صورته الأولية فكرة شاسعة عن مهمته فى الدنيا ، فلا القرآن ولا الأحاديث ولا أقوال الصحابة تفرق بين الأجناس أو اللغات وعلى أساس هذا

قامت نظرية وحدة سياسية وهى وحدة وإن لم تتحقق عملياً أبداً ، إلا أن المتمسكين بالدين بقوا على مر الظروف مؤمنين بأن تحقيقها رهن بوجود ظروف أصلح ووجود حلفاءٍ أقوى » .

لقد توالت محاولات المسلمين للتجمع وهى محاولات تبدأ دوماً فى ظل تحدى خطير وهى وحدة طبيعية أساساً ولكن النفوذ الأجنبي والقوة الاستعمارية قد حالا دائماً دون تحقيقها بخطوط دفاع كثيرة ولقد كانت دوماً مرتبطة بالتحديات وهى تبرز دائما على أثر الأحداث الكبرى كما ظهرت بعد احتلال الصليبيين للقدس ومنذ بدأ النفوذ الاستعمارى الغربى الحديث ولقد توقفت حركة الجامعة الإسلامية خلال حركة النضال بين العالم الإسلامى والاحتلال خلال الحربين العالميتين ولكن ضياع فلسطين واستقطاعها وقيام دولة إسرائيل قد أعاد من جديد فكرة تجمع المسلمين .

يقول المؤرخ نلسون فى تقريره عن الجامعة الإسلامية : « إن حركة الجامعة الإسلامية قد ضعفت جداً بعد خلع عبد الحميد ولكن لا تزال فى المسلمين روح تضامن مع ملازمة للإسلام » . إن الألوف يتجهون كل سنة إلى مكة ويشربون ماء زمزم ، إلا أنه بالرغم من وجود كل أسباب الارتباط الخارجى وبالرغم من وجود الاتحاد الذى يجعل فكرة الجامعة الإسلامية قوة حقيقية إلى حد يستدعى اهتمام المبشرين ، فإنه يستحيل أن يكون من المسلمين عنصر حقيقى فى استطاعته أن يجمع شمل السنيين والشيعة معاً ويضم الأتراك والفرس والهنود إلى العرب ليكافحوا ويدافعوا يداً واحدة على اتفاق وثقة متبادلة » . ويقول زويمر : إن مدينة مكة والطرق الصوفية هما من أكبر العوامل الدافعة إلى بث شعور الوحدة بين المسلمين والنفرة من كل شيء غير إسلامى وهذا ما يسمونه بالجامعة الإسلامية ومن المحقق أن التاجر المسلم يبث فى هؤلاء الوطنيين مع بضاعته التجارية دينه الإسلامى وحضارته الراقية . ويقول لوثروب ستوارد : إن الجامعة الإسلامية قامت على أساسين هما الطرق الصوفية الحديثة النظام كالطرق السنوسية والدعوة التى قامت بها فرقة من جلة العظماء وأكابر المفكرين والحكماء وفى مقدمتهم جمال الدين الأفغانى . وربما ظفر الإسلام فى أفريقية اليوم أعظم ظفر بما لاقاه المبشرون المسلمون حديثاً ، ففى بلاد التتر الروسية ، وفى الصين وفى الهند وفى جزائر الهند نهضات إسلامية رائعة ، ويرى كثير من الباحثين والمراقبين أن هناك عوامل كثيرة تقرب المسلمين الآن من النظر فى فكرة الجامعة الإسلامية واعتناقها : أهمها ضياع بيت المقدس واستيلاء الصهيونية عليه ومنها ذلك الانتعاش الإسلامى فى تركيا وبروز الدول الإسلامية الجديدة فى آسيا

(الملايووأندونيسيا والباكستان) بالإضافة إلى الدول الأفريقية المسلمة الجديدة .

الوحدة العربية حلقه على الطريق

هذا فضلا عن أن فكرة الوحدة العربية أخذت تتحرر من المفهوم الغربي للقومية وتعود إلى التماس مفهومها الفطرى المستمد من مزاجها النفسى وروحها وعقليتها والقائم على الترابط بين الإسلام والعروبة ، وذلك لتنسيق روابطها مع العناصر غير العربية والانفتاح على دول العالم الإسلامى فى أخوة وترابط ثقافى واقتصادى واجتماعى ، يضاف إلى ذلك التقارب والالتقاء بين فقه السنة والفقه الشيعى ، واجتماع السنيين والشيعيين على اليقظة والوعى والعمل على كشف أهداف الاستعمار فى الوقيعة والقطيعة بينهما . ولا شك أن الكتابات الجديدة فى تحليل العلاقات بين الفكر الإسلامى والثقافات العربية والتركية والإيرانية ، وتقارب المذاهب الإسلامية ، وإعادة تفسير العلاقة بين العروبة والإسلام على أساس أكثر نضجاً وإنصافاً ، كل هذا أخذ يقيم « وحدة فكر » بين المسلمين ستؤدى إلى بناء ثقافة إسلامية موحدة ، وهناك دعوة ذائعة تجد صداها اليوم فى كل مكان إلى جعل اللغة العربية هى لغة العالم الإسلامى الثقافية وأن تصبح لغة الدول الإسلامية فى أفريقيا وآسيا . قامت فكرة الجامعة الإسلامية إذن فى مواجهة التوسع الغربى وزحف النفوذ الاستعمارى فهى رد فعل للتحديات الخطيرة التى واجهها المسلمون فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وكانت هدف دعوات التوحيد التى قادها محمد بن عبد الوهاب والسنوسية التى قادها محمد بن على السنوسى والمهدية التى قادها محمد أحمد المهدى ثم دعوات جمال الدين ومدرسته ثم دعوة القرآن ، وقد استطاع النفوذ الاستعمارى تحطيم هذه الدعوات والقضاء على نفوذها السياسى واحدة بعد الأخرى وإن ثبت بعضها وتحول إلى المجال الفكرى الخالص . ولقد كانت حركات المقاومة العسكرية منبثقة من فكرة الجامعة الإسلامية أيضاً وقد قاومها الاستعمار وقضى عليها : قضى على كل حركات الأمير عبد القادر وعبد الكريم وأحمد عرابى والشيخ شامل وثورة الهند ١٨٥٨ .

وكان النفوذ الاستعمارى قادراً على إجهاض هذه الدعوات والحركات وضرب بعضها ببعض ، فإن أكبر عوامل القوة التى ظهرت فى خلال القرن التاسع عشر قد قضى عليها الاستعمار وفى مقدمتها حركة محمد على فى مصر التى حاولت أن تخرج الدولة العثمانية من جمودها ، وحركة الوهابية فى الجزيرة العربية ، ثم حركة أحمد عرابى فى مصر وحركة

المهدى فى السودان وحركة جمال الدين الأفغانى وحركة الجامعة الإسلامية التى قادها السلطان عبد الحميد ، كل هذه الدعوات التحررية التى حاولت دفع اليقظة الإسلامية إلى مكان القدرة. وقد ظهرت هذه الدعوات فى مراكز حساسة متعددة من العالم الإسلامى ، فى الجزائر ، فى مصر فى الجزيرة العربية ، فى الهند ، فى طرابلس ، فى السودان ، ولو أن هذه الدعوات أتيح لها حرية الحركة لنمت وتوسعت والتقت ، فإذا قال بعض كتاب التغريب عنها إنها انطفأت ، أو قصرت ، فليعلموا أنها إنما كانت تتحرك من تحت مدافع النفوذ الاستعمارى وقواته . ولكن القول الحق أن ما من حركة منها إلا وتركت آثارها القوية البعيدة المدى ، وكانت عاملا هاماً دفع حركة اليقظة الإسلامية العامة إلى الأمام قوة وزادت المسلمين يقظة وتماسكاً وتجمعاً من جديد لمواجهة النفوذ الاستعمارى . فهذه الدعوات لم تفشل ولكنها أُجهضت نتيجة للقوى الاستعمارية المتربصة التى استطاعت أن تقضى على هؤلاء الدعاة أو تفسد مخططاتهم بالتأليب عليهم أو سحقهم . وإذا كانت هذه الدعوات قد ظهرت وانطفأت كالشهب ، فإن الظاهرة الأساسية أنها والت الظهور ولم تنقطع فى عصر من العصور ، وإنها كلها اتصلت كحبات فى عقد واحد . وذلك آية صدقها ونجاحها والحاجة الأكيدة إليها . ولم تكن هذه الدعوات فى مجموعها تجهل ضرورة التلاقى مع روح العصر والانتفاع بالحضارة الغربية الحديثة ولكنها كانت تفرق بينها وبين الاستعمار من ناحية وبينها وبين الغزو الفكرى ومحاولة الغرب فرض قيمه والقضاء على قيم الإسلام نفسه . وكانت تعرف أن الاستعمار لن يسمح لها أن تنال من ثمرات الحضارة الغربية ما يزيدها قوة وأن ما سمح به الاستعمار من وجوه حضارية إنما اتصل بالجوانب الاستهلاكية والمادية والمتصلة بالترفيه واللذات والمتع وليست تلك الجوانب الإيجابية المكونة للأمم البانية للقوى العسكرية أو الصناعية . وليس صحيحاً ما يذهب إليه الغربيون ومن تابعهم من دعاة التغريب الذين يكتبون باللغة العربية من أن السلطان عبد الحميد التمس من الجامعة الإسلامية سبيلا إلى دعم سلطانه وإنما التمس من الجامعة الإسلامية سبيلا إلى دعم مركز الدولة العثمانية باعتبارها قوة قائمة وموجودة وقادرة على أن تكون نقطة التقاء وبلورة للقوى الإسلامية المتلفة فى واجهة النفوذ الاستعمارى . وقد استطاعت قوى النفوذ الاستعمارى أن تواجه هذه القوة حين بدأت تتجمع وتتضح بحركة الاتحاديين المغرقة فى العصبية الجنسية والدعوة الطورانية . ويمكن القول إن هذه الحركة المتجهة إلى الجامعة الإسلامية فى هذه المرحلة كانت منبثقة من

داخل المجتمع الإسلامى حقيقة ، ولكنها كانت فيما يبدو تشوبها شائبة النفوذ الاستعمارى الذى كان يطمع فى توجيهها وجهة معينة يغلب أن تكون وسيلة إلى أن تسير فى فلك الغرب . والمعروف أن الجامعة العربية كانت قد قامت بين الحكومات العربية خلال الحرب العالمية الثانية على نحو مقيد لا يسمح لها بالحركة الكاملة . وإذا كان من طبيعة الاستعمار أن يضرب الحركات بعضها ببعض فإن المفكرين المسلمين فى العالم الإسلامى كله ظلوا يحملون لواء الدعوة إلى الوحدة الإسلامية ومن خير ما كتب فى هذا مبحث للشيخ محمد أبو زهرة صدر فى القاهرة عام ١٩٥٨ فقد حاول من خلاله معالجة عوامل الفرقة ودعا إلى وضع مخطط شامل للتقارب والتقريب واستبعد فكرة « دولة إسلامية ذات حكومة موحدة » نظراً لتباعد الأفكار وتنائى الأمصار وهو فى ذلك يقول : لا يصلح أن يكون مقصدنا من الوحدة تكوين دولة إسلامية متحدة يدخل فى تكوينها كل الأقاليم الإسلامية » . وعنده أنه يصح أن تكون صورة الوحدة فى شكل كومنولث إسلامى أو عصبة أمم إسلامية أو جامعة إسلامية ، وإنما يجب أن يتحقق فيه اتحاد السياسة فى كل الأقاليم الإسلامية بحيث يوالى كل إقليم إسلامى من يوالى المسلمين ويعادى من يعاديهم . وقد ركز الباحث على العناية بالتعارف الإسلامىوسبيله أن تشمل المدارس فى البلاد الإسلامية كلها على دراسة جغرافية لكل إقليم إسلامى وتنظيم الرحلات وأولى للحج أهمية كبرى فى التعارف ، وكذلك أولى اللغة العربية اهتماماً بالغاً باعتبارها لغة المسلمين الجامعة.والمعروف أنحركة جمعيتا الاخوانالشبانالمسلمين والجمعيات التى انبثقت منها وجماعة مصر الفتاة قد وسعت مجال الحديث فى مصر عن الجامعة الإسلامية قبل الحرب العالمية الثانية فتكون رأى عام إسلامى متقبل للحديث مرة أخرى عن الجامعة الإسلامية ثم كان قيام الباكستان عام ١٩٤٧ بعيد الأثر فى تجدد الدعوة إلى الجامعةالإسلامية وكذلك ظهور الدولة الأندونيسية التى تضم أكثر من ٨٠ مليوناً من المسلمين وفى هذه المرحلة شابت أغلب الدعوات إلى الجامعة الإسلامية طابع السياسية العالمية والاستعمار .

فنى نوفمبر ١٩٤٨ نشأت فى باريس فكرة إنشاء جامعة إسلامية على الأساس الذى نشأت عليه جامعة الدول العربية على أن يكون لها نظام آخر فتضم جميع الشعوب سواءٌ أكانت مستقلة أم غير مستقلة والهدف الأول من إنشائها كما ذكر دعاتها هو إحياء مجد الإسلام والمحافظة على شعائره من الاستعمار والدعوات الإلحادية . ثم تعددت التصريحات والمؤتمرات

الصادرة من باكستان والتى تشير إلى التمهيد لتشكيل هيئة سياسية عالمية قيام دولة إسلامية عالمية ، وأشارت البرقيات إلى أن المؤتمر الإسلامى الذى عقد فى باكستان ١٩٤٩ قد وجه اهتماماً كبيراً إلى فكرة إقامة دولة قرآنية تحتضن الدول الإسلامية المستقلة . وتحدث أحد زعماء باكستان عن إنشاء اسلامستان (أى إدماج الدول الإسلامية تحت لواءٍ واحد) . ورددت تركيا فى تصريحات أشارت إلى أنها لن تقبل فى الاشتراك فى وحدة إسلامية ، وتلا ذلك تصريحات من المسلمين فى إيران من أن قيام كتلة إسلامية إنما يعود بالخير على الشعوب الإسلامية ويعزز مركزها الدولى ، ورددت أندونسيا نفس التصريحات التى تقول بالتفكير فى إنشاء كتلة آسيوية تضم الهند وباكستان وأندونيسيا وسيلان وإيران وتركيا والبلاد العربية ومصر . وشملت الدراسات التى قدمت فى هذا الشان كثيراً من الخطوط العامة : وكان أهمها مشروع من أربع نقاط لتوحيد البلدان الإسلامية قدمته مراكش ، وهذه النقط هى : ١–استخدام اللغة العربية كإحدى اللغات الرسمية لجميع البلاد الإسلامية . ٢–إقامة كتلة إسلامية مستقلة فى هيئة الأمم وإقامة هيئة إسلامية منفصلة . ٣–استخدام عملة مركزية منفصلة تتخذ وسيلة لتبادل العملة بين البلاد الإسلامية . ٤–رفع القيود والحواجز على حركة النقل والانتقال بين البلاد الإسلامية . وفى المؤتمر العالمى الإسلامى الذى عقد فى مراكش (١٩٥١) جرى الحديث حول الوحدة العربية ، وإنها ليست إلا جزءاً من الاتحاد الإسلامى العام . وأجمعت الآراءُ على « أن المسلمين يستطيعون المساهمة فى قضية السلام وتقدم البشرية على هدى من مبادئ الإسلام وتعاليمه » وأن العالم الإسلامى إذا اتحد أمكن أن يتحول إلى قوة فعالة قد تجعله القوة الثالثة التى يسعى العالم إليها ، ودعا أغا خان المسلمين إلى التعاضد وأعلن الحاجة إلى قيام اتحاد متماسك تام بين شعب هذه الدولة المسلمين » . وكان مؤتمر العالم الإسلامى الذى انعقد عامى ١٩٤٩ و ١٩٥١ قد جعل من أهم أهدافه : ١–النظر فى أحوال المسلمين وما يحيط بهم ثم يتعاونوا على خطة إسلامية تهديهم سواء السبيل وتنجيهم من الاضطراب الذى يعم العالم ومن الشر الذى يهدد ذلك العالم . ٢–محو جميع الفوارق المذهبية والقبيلة والوطنية من بين جميع شعوب العالم الإسلامى وأحكام الرابطة الإسلامية بين الجميع باتخاذ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريعة مصدرين للهداية والتوحيد والعمل على تحقيق الاتحاد بين زعماءُ الشعوب الإسلامية وإدخال عناصر التعليم الإسلامى فى جميع مناهج الدراسة . ٣–العمل على نشر لغة القرآن باعتبارها لغة للشعوب الإسلامية عامة فى جميع أنحاء العالم .–٤–تأسيس شركات

ووكالات لنشر الأنباء الصحيحة عن الدول الإسلامية وعن شعوبها . ٥- جعل التشريع فى أساسه قائماً على المبادى الإسلامية . ٦-تنظيم الزكاة وتخفيف تكاليف الحياة عن عائق العمال والزراع بتوفير المطعم والمسكن والملبس والتعليم والعلاج لهم . ٧-توجيه التعليم فى الأقطار الإسلامية توجيهاً إسلامياً حتى يحال بين ناشئيها وبين طغيان الجانب المادى فى الحياة ، ذلك الجانب الذى تقتضيه طبيعة العلوم التى أصبحت دراستها جزءُ لا غنى عنه فى هذا العالم المملوء بالنزاع والكفاح . أما فى البلاد الإسلامية المستقلة فيجب أن يكون التعليم الدينى إلزامياً كافياً مع تسهيل الطرق للباحثين على التعمق فى مظاهر الثقافة الإسلامية فى كل بلد . ٨-إنشاء مجمع علمى إسلامى دولى يضم إعلام العالم الإسلامى فى جميع مجال الثقافة . وكانت المؤتمرات الاقتصادية الإسلامية العالمية تضم بعض هذه المناهج : « المسلمون يؤلفون وحدة جغرافية بالإضافة إلى ما يوجد بينهم من دين مشترك وشعور مشترك وطراز مشترك ، فأكثر الأقطار الإسلامية مناطق متجاورة ، وهناك عامل ثالث من عوامل اشتراك المصالح بين هذه الشعوب ذلك هو طراز اقتصادياتها ، إذ أنها كلها ذات اقتصاديات زراعية لا تزال فى مرحلة الزراعة والعامل الهام هو أننا إذا كنا مستقلين نوعاً سياسياً ، إلا أننا لا نزال من الناحية لاقتصادية فى قبضة الأمم الغربية القوية ولم يستطع بعضنا حتى بعد الحصول على الاستقلال التخلص من العبودية الاقتصادية .

الخلافة الإسلامية

من أكبر قضايا العالم الإسلامى : قضية الاجهاز على الخلافة الاسلامية عام ١٩٢٤ كجزء من مخطط النفوذ الاستعمارى لالتهام مختلف وحدات العالم الاسلامى والقضاء على آخر معقل لتجمع المسلمين وتوحدهم فى وجه الغزو الاستعمارى الزاحف . فقد كان النفوذ الاستعمارى يرى أن الدولة العثمانية هى عقدة الترابط بين المسلمين سواء فى داخلها أم بالنسبة للدول الاسلامية خارجها كالهند وأندونيسيا وفارس وأفغانستان لذلك فقدكانت تلك الحملة المرتبة الدقيقة لتحطيم هذه القوة (مهما كانت من الضعف) فقدكانت الدولة العثمانية تجمع عنصرين من أكبر عناصر الاسلام (العرب والترك) وكانت حركة الجامعة الاسلامية التى حمل لواءها جمال الدين الأفغانى شعبياً وعبد الحميد بوصفه خليفة المسلمين وسلطان العثمانيين وهى دعوة مناضلة متحررة من دعوات التجمع للمقاومة والوقوف فى وجه الغزو الغربى — ولم

تكن دعوة عدوانية سواء لغير المسلمين فى العالم الاسلامى أو الغرب المسيحى — وقد ألح النفوذ الاستعمارى وفى مقدمته فرنسا وانجلترا على هذه الدعوة وهذه الدولة بحملات متصلة استمرت منذ ١٨٧١ إلى أن تولى الاتحاديين عام ١٩٠٨ وتحقق اسقاط عبد الحميد عام ١٩٠٩ وقد استطاع النفوذ الاستعمارى بمعونة الاتحاديين إسقاط الدولة العثمانية عام ١٩١٨ ثم كان مصطفى كمال بحركته المناهضة للوحدة الاسلامية والاسلام عاملا هاماً فى قطع آخر العلائق وذلك بفصل الخلافة عن السلطة أولا ثم الاجهاز على الخلافة نهائياً عام ١٩٢٤ .

وبذلك استطاع النفوذ الاستعمارى تحقيق آخر أهدافه فى القضاء على وحدة المسلمين والدولة العثمانية وتمزيق شمل هذه الوحدات والتهامها والسيطرة عليها والحيلولة دون قيام اتحاد بينها من أى نوع ، حتى الاتحاد بين أجزاء الأمة العربية لقى من معارضة النفوذ الاستعمارى والائتمار به عنتاً كبيراً بحسبانه أول تجمع فى سبيل الوحدة الجامعة . كان إلغاء الخلافة الاسلامية إذن هو خاتمة ما أسماه الاستعمار « الحروب الصليبية » كنتيجة لمخطط وصفه أحد الوزراء الفرنسيين دوجوفار بأنه « مائة مشروع لتقسيم تركيا » ولقد كانت قلوب المسلمين فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى تخفق ، خلال المعركة التى قادها المحاربون الأتراك فى مواجهة الاحتلال الذى قام به الحلفاء بعد هزيمة الدولة العثمانية فى الحرب العالمية الأولى ، وأيدوا كاظم قره بكير وزملائه الذين قادوا حركة المقاومة والتحرير والتى تكللت بالنصر قبل أن يستولى على زمام الحركة مصطفى كمال فيقصى جميع القادة المجاهدين ويضع فوق أكتافه وحده إكليل النصر وكانوا يعلنون تأييدهم لهذا الجهاد مشاركين فيه بالمال والأنفس من كل أجزاء العالم الاسلامى ، وكانت الهند أكثر بلاد العالم الاسلامى تأثراً وعملا وتأييداً ، وكانت أكثرها ثورة على بريطانيا المحتلة للدولة العثمانية . غير أن العالم الاسلامى لم يكن يعرف أن معاهدة لوزان قد ألحقت بها معاهدة سرية قبل بها مصطفى كمال تقضى بتصفية الروح الاسلامية فى مختلف مجالات القانون والاجتماع والتربية واللغة وتقبل الأنظمة الغربية قبولا كاملا واتجاه الدولة التركية إلى الطابع العلمانى الصرف ، ليس المتحرر من الدين فحسب بل المعادى له هذا الاتجاه الذى كان فى مقدمة خطراته الاجهاز على الخلافة الاسلامية وإعلان دعوى عريضة تحمل الاعلام اتهامات التأخر والضعف الذى منيت به تركيا وقد أتم مصطفى كمال مشروعه هذا على مرحلتين . الأولى : إلغاء الخلافة الزمنية وإقامة خلافة روحية مجردة عن السلطة . الثانية : إلغاء الخلافة نهائياً . وقد جاشت أقلام الكتاب بنقد بالغ

لحكومة أنقره فى أقدامها على إلغاء الخلافة بحسبان أنها ليست ملكاً للأتراك وحدهم ولأنها خلافة المسلمين جميعاً والترك لا يتجاوز عددهم جزء من المسلمين ، ووصف ما وقع «بأنه بلغ أقصى ما استطاع أعداء الاسلام وأشد ما كانوا به ائتماراً وأعدى ما كانوا عليه عدواناً وأصدق ما كانوا رغبة فى الكيد له والنكاية به أن يبلغوا ما بلغه هؤلاء الكماليون على مرأى ومسمع من المسلمين فاقدام الكماليين على إلغاء الخلافة أكبر جريمة فى عهد هذه الدولة على الدولة وأبشع جريمة فى تاريخ الاسلام » ووصف عملهم بأنه نقض موثق استمر ثمانية قرون وبعض قرن لم يتوقف المسلمون منذ ذلك عن الدعوة إلى إعادة الخلافة . وكان الأزهر على رأس الهيئات الاسلامية التى حملت لواء الدعوة إلى إعادة الخلافة ، فاجتمع المؤتمر الاسلامى (٢٥ مارس ١٩٢٤) الذى أفتى ببطلان بيعة عبد المجيد الذى كان الكماليون قد نصبوه قبل إلغاء الخلافة ، إيماناً بأن الإسلام لا يعرف الخلافة على النحو الذى تولاها به عبد المجيد منفصلة عن السلطة ، وأعلن دعوة جميع ممثلى الأمم الاسلامية إلى مؤتمر يعقد فى القاهرة برئاسة شيخ الاسلام للبت فيمن يجب أن تسند إليه الخلافة الاسلامية . ولكن هذا المؤتمر أجل مرة بعد مرة حتى اجتمع فى ١٣ مايو ١٩٢٦ دون أن يسفر عن شىء إيجابى ، وذلك أن النفوذ الاستعمارى كان قد حطم كل محاولة لاحياء الخلافة ووضع مختلف العراقيل والصعوبات ، وتبارى الملك فؤاد ، وأمان الله خان والحسين بن على فى تولى الخلافة .وكان الانجليز قد أعلنوا معارضتهم الشديدة لعودة الخلافة الاسلامية فى أى صورة من الصور وكانوا يعملون على تعقيد المساعى المبذولة فى إعادتها بوسائل ملتوية خفية . وقد أدى التدخل الاستعمارى والنفوذ الأجنبى إلى خلق جبهة معارضة للجبهة التى ترشح الملك فؤاد ، فانقسم علماء الأزهر بين مؤيدين ومعارضين ، وكان الخلاف بين الملك فؤاد وسعد زغلول عاملا من عوامل الصراع وكان سعد زغلول منذ بدء حياته السياسية معارضاً للجامعة الاسلامية ، وظن أن الانجليز يدفعون الملك فؤاد لترشيح نفسه للخلافة تحقيقاً لمشروعهم القديم : مشروع الخلافة العربية . ووقفت الصحافة نفس الموقف ، فهاجمت جريدة السياسة لسان حزب الأحرار الدستوريين موقف المعارضة. وشاركتها صحف الوفد . وانتهى المؤتمر المنعقد فى ١٣ مايو ١٩٣٦ إلى قرار يقول : «إن الخلافة الشرعية المستجمعة لشروطها المقررة فى كتب الشريعة الغراء ، التى من أهمها الدفاع عن حوزة الدين فى جميع بلاد المسلمين وتنفيذ أحكام الشريعة الغراء فيها لا يمكن تحقيقها بالنسبة للحالة التى عليها المسلمون الآن .» وعمد

حزب الأحرار الدستوريين فى سبيل معارضة اتجاه الملك فؤاد إلى تولى الخلافة بأن كلف أحد رجاله (على عبد الرازق) أن يضع بحثاً مراوغاً يحمل طابعاً علمياً فقهياً يقرر فيه وجهة نظر السياسة ، وقد اعتمد على عبد الرازق على المؤلفات التى نشرها حكام تركيا يعززون بها موقفهم من إلغاء الخلافة وكان مجمل هذه الآراء تقول بأن الخلافة ليست نظاماً إسلامياً خالصاً . بينما وقف رشيد رضا ومصطفى صبرى ومحمد بخيت فى مواجهة هذا الرأى كاشفين عن حقيقة مفهوم الخلافة فى الاسلام . وفى الحق أن كتاب على عبد الرازق لم يكن يهدف إلى إعلان رأى فى الاسلام خالصاً لوجه العلم بقدر ما كان يهدف إلى استغلال فقه الاسلام وتشريعه وتاريخه إلى تأييد رأى باطل ن الخلافة ، هذا الرأى ليس له أهمية ولا خطر إلا بقدر ما يتعرض لأصل من أصول الاسلام وهو قوله بالباطل أن الاسلام دين روحى لا صلة له بالمجتمع ولا بالسياسة منكراً أكبر معلم من معالم الاسلام الذى يختلف اختلافاً أساسياً عن الأديان الأخرى . ولم يكن لهذا الرأى الذى ارتاه على عبد الرازق ليرجح كفة سياسية على كفة أخرى ، أى أهمية أساسية لولا أنه من الآراء التى تلقفها المبشرون ودعاة التغريب وأعطوها أهمية كبرى فى إثارة شبهة من أخطر الشبهات وهى أن الاسلام دين لا صلة له بالمجتمع ولا السياسة ، وقد حاولوا أن يعتدوا بهذا الرأى الفرد الذى لم يصدر فى مجال بحث علمى ولم يلق من العلماء أى تأييد أو تقدير ، ولم يقبل به جمهرة العلماء المسلمين أو يرتضوه ، والذى كان فى حقيقته صادراً عن غرض سياسى وذاتى لم يكن يراد به وجه الله والعلم والحق . وقد واجه الشيخ مصطفى صبرى جميع الحجج التى ساقها مصطفى كمال وحكومة أنقره متعللين بها لإلغاء الخلافة ، كما كشف عن الدوافع الحقيقية والاسباب الخفية لهذا العمل وقال إن السبيل للاصلاح كان ممكناً بتبديل المصلحين بالمفسدين لا تبديل الشريعة والدين وفصل الدولة عن الدين . وقد دحض الشبهات التى أثيرت حول الدين والحرية : موقف الاسلام منها فقال أن الإسلام لا ينافى الحرية والاستغلال أن تكون حكومته ممنوعة من التخطى ما وراء حدود الدين . وأن المقصود بالحرية هو الأمم تجاه الحكومات لا حرية الحكومات فى القيام بأمور الأمة . وكشف عن أن الاتحاديين هم الذين زجوا بتركيا فى الحرب على غير رغبة السلطان وعلى غير رغبة كثير من المعارضين ثم وقعوا عقد الاحتلال ومع ذلك كله فهم يلومون الخليفة لاستسلامه لعواقب هذه الهزيمة التىجلبوها عليه بأيديهم . وأورد الشيخ مصطفى صبرى أدلة العارف الخبير بالأمور عن أن الكماليين

الذين حكموا بعد الحرب العالمية الأُولى هم والاتحاديون الذين حكموا قبل الحرب وبعد خلع السلطان عبد الحميد حزب واحد وأن الخلاف بينهم ليس خلافاً على المبادىء ، ولكنه خلاف شخصى مبعثه التنافس على الزعامة وكلاهما يستند على السلطة العسكرية فى زعامته وعنده أنهم المسئولون عن ضياع الامبراطورية العثمانية منذ وضعوا أيديهم على الدولة بعد خلع عبد الحميد . وكشف مفتى الاسلام العثمانى عن علاقة مصطفى كمال بالانجليز فقال إن الانجليز قد تشددوا فى معاملة السلطان وحيد الدين حتى أعجزوه ثم تساهلوا بعد ذلك مع مصطفى كمال ليجعلوا منه بطلا فتعظم فتنته فى أبصار المسلمين وبصائرهم «والرجل من لا تجد الانجليز مثله ولو جدت فى طلبه ، من حيث أنه يهدم ماديات الاسلام ومن أدبياته فى يوم مالا تهدم الانجليز نفسها فى عام فلما ثبتت كفايته وقدرته من كل الجهات استخلفته لنفسها وانسحبت من بلادنا » وإذا كان مؤتمر الخلافة عام ١٩٢٦ فى مصر ومؤتمر مكة فى نفس العام لم يسفر عن شىء فى أمر الخلافة فان البحث فى أمر الخلافة لم يتوقف ثمة وإلى أمدطويل ، فاتجهت الأنظار إلى مصر ، واتجهت إلى الجزيرة العربية ، وأثبتت جمعية الشبان المسلمين فى برنامجها الذى أعلنته سنة ١٩٢٧ أن من أهم أهدافها «إعادة الخلافة» .

كما أثبتت ذلك عديد من الجمعيات الاسلامية التى انبثقت من جمعية الشبان المسلمين ، وتناول الدكتور عبد الرازق السنهورى هذا الموضوع الخطير فى رسالة الدكتوراه التى قدمها إلى جامعة باريس فى هذه السنوات تقريباً تحت عنوان «الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية »، كتبه عقب سقوط الخلافة وقد كان التساؤل بسم العالم الاسلامى كله وهو ماذا بعد الخلافة من رابطة تجمع المسلمين وتعيد وحدتهم . وقد وصل الدكتور السنهورى فى بحثه إلى أن يتطور نظام الخلافة فيصبح عصبة أمم شرقية . وكان مجمل رأيه هو أن تشتد القوميات وتبلغ الرشد وتصبح قادرة على أن تكون نوعاً من الوحدة بين الأمم بعد أن تكون قد أصبحت أمماً ، وهذه عبارته : «حتى إذا توافرت لكل قومية كيانها وحرياتها الداخلية كان من الطبيعى أن تفكر هذه القوميات المختلفة فى التعاون والتضامن على أساس نوع من الوحدة لا يزالون حتى الآن يتلمسون إليه السبيل ». ثم يتساءل : أيحسن التفكير فى تكون المجموع قبل استكمال الأجزاء لمقوماتها أو يحسن ترك الأجزاء تستكمل ذاتيتها ثم التفكير بعد ذلك فى تكوين المجموع ، فلنترك الشرق تستكمل كل قومية فيه مقوماتها ، ولكن لتنفخ فى هذه القوميات روحاً شرقية واحدة ، تسترشد بها كل أمة فى نهضتها الوطنية

حتى يسود التآخى والتعاون فيما بين هذه الأمم ويسهل بعد زمن قريب أو بعيد أن تحقق نوعاً من الوحدة فى الشرق لا تزال أوربا تتلمس الطريق إليه ». وعرض السيد رشيد رضا لأمر الخلافة وقال : إن إقامة الخلافة الاسلامية يسوء رجال دول الاستعمار وأنهم قد يقاومونها بكل ما أوتوا من قوة وأحرصهم على ذلك الدولة البريطانية . وقد عاد البحث فى أمر الخلافة من جديد قبيل الحرب العالمية الثانية وحوالى سنة ١٩٣٠ وتعددت فيه الآراء . وكان من رأى الدكتور عبد الحميد سعيد أن الخلافة الاسلامية فى الشرق لازمة للاسلام والمسلمين . وإنها فى العصر الحاضر ألزم منعها فى أى عصر مضى ، غير أن تقدير ما تحمله فكرة الخلافة من قبل الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ وتعددت فيه الآراء وكان من رأى الدكتور عبدالحميد سعيد أن الخلافة الإسلامية فى الشرق لازمة للإسلام وأنها فى العصر الحاضر ألزم منها فى أى عصر مضى ، غير أنه يقدر ما تحمله فكرق الخلافة من تهديد لسياسة أوربا الاستعمارية والقضاء على أطماعها فى الأمم الاسلامية والتى عمل الغرب زمناً طويلا على تمزيق شملها ليصل إلى ما وصل إليه . ذلك أن الذى يرعب أوربا حقاً ويخيفها أن قيام الخلافة يؤدى إلى اتحاد الأمم الاسلامية وتعاونها فى سبيل نهضتها ونهضة الشرق كله وهذه النهضة إذا قويت باتحاد الأمم الاسلامية تحطمت مطامع الدول الأوربية وشهواتها الاستعمارية ». وإذا كانت هذه وجهة نظر ، فان هناك دائماً وجهة النظر الأخرى المعارضة يحمل لواءها كتاب سياسيون لهم ارتباطهم بأحزابهم وما وراء الأحزاب من علاقات دولية. فعبد القادر حمزه يرى أن الخلافة فى مصر تكون مصدر خطر عليها من الدول القوية ، وأن الخلافة ستجد من يعارضها كتركيا والمغرب الأقصى ولا فائدة من قيام نظام لا يعترف به الجميع ويقول : «ولا ريب أن الخلافة فى مصر تستدعى أن تصير حكومتها دينية ، ومعنى هذا أن جميع القوانين التى صارت عليها منذ ستين عاماً يجب أن تتغير ، وتوضع بدلها أحكام شرعية تسرى على المصريين والأجانب ، وهذا العمل ينافى ما ارتبطت به مصر فى المعاهدة المصرية البريطانية فقد نصت هذه المعاهدة على أن أى تشريع مصرى يطبق على الأجانب يجب أن لا يتنافى مع المبادىء المعمول بها فى التشريع الحديث ». ويورد عباس العقاد قريباً من هذه العقبات ويضيف إليها أعباء الخلافة التى تتحملها ميزانية مصر وفى مجال نقد واقع الخلافة الاسلامية فى الدولة العثمانية عرض عبد العزيز جاويش ورشيد رضا إلى ما وصلت الخلافة من انحراف عن مفهوم الاسلام حين نقل العثمانيون مفهوم البابوية

والامبراطورية وفى هذا يقول رشيد رضا «ليس فى الاسلام فوق الشرائع والأحكام أمير ولا خليفة ولا سلطان ، فقد قلدت تركيا أوربا فى شتى القوانين الرومانية قاعدة تقول بأن الخلفاء فوق القانون والشرائع فأصبح الخلفاء بهذا خلفاء رومانيون لا خلفاء اسلاميون» . ومن ذلك ما أشار إليه عبد العزيز جاويش حين ناقش مصطفى كمال فى أمر الخلافة حين قال : «إن الأعاجم أفسدوا أمر الخلافة بما دست الباطنة وبما أفرط الترك والفرس فى الغلو باطراء الخلفاء حتى فتحوا لهم باب الاستبعاد وقهروا الأمة على الخنوع ، وقد كان تقديس الخلفاء العثمانيون سبباً لاسقاط دولتهم» . كما دافع الفاتيكان عن اتهام جرىء طالما ردده الكماليون وهو أن ما وصلت إليه الدولة العثمانية من تأخر إنما كان مرجعه إلى الإسلام . والاسلام برىء مما وصلت إليه تركيا وأنه لا علاقة بين الاسلام وما اضطربت به الدولة من استعداد وفساد الاسلام لا يؤيد الاستبداد ، ولكنه يشجعه ، ولذلك فان الرأى القائل بأن النهضة لا تتم إلا بترك التقيد بالاسلام فى حكومتهم لم يكن رأياً منصفاً . وأغلب الظن أنه كان بإغراء النفوذ الغربى الطامع فى أن يقضى على الطابع الاسلامى وهدمه بعد اتهامه وإلصاق شبهة التأخر به . وبعد فاننا نصل من هذا العرض التاريخى إلى حقيقتين: الأولى : أن الخلافة هى بؤرة الجامعة الاسلامية ، وأن الجامعة الاسلامية يمكن أن تقوم أولا ثم تنبثق منها الخلافة ، وأن حركات التحرر والوحدة والتقارب التى تجرى اليوم فى عالم الاسلام يمكن أن يتحقق من خلايا نظام جامع للدول الاسلامية ترتبط به ثقافياً واجتماعياً قبل أن ترتبط به سياسياً وعسكرياً . ثانياً : أن المسلمين بعد إلغاء الخلافة لم يتفرقوا أيدى سبا وأن الهدف الذى كان يطمع فيه النفوذ الاستعمارى قد فشل تماماً ، وأن العالم الاسلامى قد تلاقى على مستويات كثيرة سواء فى مجال الوحدة العربية أو الوحدة الثقافية العامة ، وأن الفكر الاسلامى ما زال هو المصدر الأول للثقافات العربية والفارسية والتركية والهندية الإسلامية . وإذا كانت الخلافة قد سقطت بعمل سياسى استعمارى دفين أخفى أمره طويلا وبدقة وراء غلالات وتمويهات ، فإن المسلمين قد بدت أمامهم الحقائق سافرة وتنبهوا لما يراد منها فسارعوا إلى اتخاذ وسائل أخرى تحل محل الخلافة فاندغمت رابطتهم فى مؤتمر الحج السنوى وفى الاتجاه نحو الأزهر ، وفى مؤسسات مختلفة تقوم الآن بالربط بين المسلمين على صعيد الفكر والثقافة والتعليم . وزاد من قوة هذه الروابط تحرر دولتين كبيرتين بعد الحرب العالمية الثانية : هما الباكستان وأندونيسيا وعشرات الدول الأخرى

ذات الأغلبية المسلمة فى جنوب شرق آسيا وأفريقيا ، وكانت أزمة فلسطين والصهيونية عاملا بعيد المدى فى التقارب والالتقاء وخاصة بعد سقوط القدس فى يد الصهيونية وقد دفعتهم الأزمات إلى نسيان خلافاتهم وتقريب مفاهيمهم والالتقاء على الاسس وخاصة فيما يتصل بالسنين والشيعيين والأكراد والعرب والبربر فقد توثقت الصلات وازدادت عمقاً وخفت حدة الخصومات والخلافات التى أججها الاستعمار والنفوذ الغربى خلال فترة بين الحربين .

كما كشفت الوقائع حقائق كانت مطمورة عن السلطان عبد الحميد : الواقع أن تاريخ السلطان عبد الحميد لم يكتب بعد إلا من جهة واحدة ، هى جهة خصومه وأعدائه من اليهود والاستعماريين والغربيين وأتباعهم من أصحاب الأقلام التى تكتب باللغة العربية كأصحاب المقطم وسركيس وغيرهم وكتاباتهم عن السلطان فيها كثير من المبالغة الصادرة عن الخصومة الشخصية أو المذهبية . ومفتاح تصحيح شخصية السلطان عبد الحميد إنما يتصل بنقطة واحدة هى : موقفه من الصهيونية ومقاومته لها ، وتآمر الصهيونية مع النفوذ الأجنبى على إقصائه .

فالنفوذ الأجنبى قد أحس بالعمل الخطير الذى أزعج أوربا وهو دعوة عبد الحميد للمسلمين أن يتجمعوا فى جامعة إسلامية تواجه الزحف الاستعمارى وأن هذه الدعوة وجدت استجابة تحت تأثير الغزو العسكرى والسياسى الذى كان يجتاح جميع أجزاء العالم الاسلامى ولم يجد المسلمون نقطة التقاء أو عروة تجمُّع إلا فى الدولة العثمانية التى تضم العرب والترك

ومن هنا كان الضغط شديداً على هذه العروة لفصمها وتمزيقها وقد ضاعفت من هذا العمل ما تطلعت إليه الصهيونية بعد عقد مؤتمر بال ١٨٩٧ من الزحف على فلسطين والاستيلاء عليها ومقاومة السلطان لهذا العمل . وتبدأ نقطة الحملة عليه من اصطفاء النفوذ الأجنبى للاتحاديين وإعدادهم للسيطرة على الدولة العثمانية ، وقد نمت الحركة الاتحادية فى أحضان المحافل الماسونية التى أقامها الصهيونيون كوحدات متنقلة للعمل والتى كانت مبعثرة فى سالونيلك وصلة الاتحاديين باليهود مؤكدة وثابتة وليس هناك سبيل إلى دحضها . وقد بدأ الاتحاديون عملهم من نقطة التمزيق بينما كان يعمل عبد الحميد من نقطة الوحدة ، وكانت الدعوة الطورانية هى رسالة تمزيق الامبراطورية والقضاء على الجامعة الاسلامية وإيقاع الخصومة الدموية بين العرب والترك ، وقد صاحب الدعوة الطورانية مفاهيم غريبة جريئة تعارض القيم الاسلامية أساساً وتهاجمها فى عنف وتدعو إلى العلمانية واللادينية والالحاد وشجب الدين

من المجتمع أساساً وقد أشار الذين تعرضوا لهذه القضية أن السلطان عبدالحميد كان يخشى من أن يؤدى إصدار الدستور إلى تسلط هذا التيار . ومن هذا يبدو أن السلطان عبد الحميد كان ضحية المطامع الصهيونية من ناحية والنفوذ الغربى من ناحية أخرى . وقد جرت على أقلام الكتاب عبارة «الاستعمار التركى» بالنسبة للعرب وهى كلمة غريبة دخيلة وليست صحيحة فلم تكن الرابطة الجامعة للعرب والترك فى الدولة العثمانية «استعماراً» بقدر ما كانت «امتزاجاً» على أساس مفهوم الرابطة الاسلامية وحدها ، ويمكن أن يقال إن النفوذ الغربى هو الذى مزق هذه الرابطة بإثارة الدعوة الاقليمية المنبثقة من إحياء تراث طوران وجنكيزخان وهى دعوة حمل لواءها كتاب معروفون فى هذا الوقت فى مقدمتهم ضياء كوك الب وسيد بالك وأحمد أغايف ويوسف أقشورا وأغا أوغلى أحمد وحمدالله صبحى وجلال نورى ، وقدكان هدف هذه الدعوة فى ظاهره العمل على إخراج الدولة العثمانية من التأخر والجمود والعزلة ، غير أن النفوذ الغربى الكامن وراءها والمغذى لها كان طامعاً فى أن يحقق بها أهدافه جميعاً التى تحققت فعلا بعد الحرب العالمية الأولى وهى : (١) القضاء على الجامعة الاسلامية والخلافة . (٢) القضاء على الدولة العثمانية .

(٣) السيطرة على البلاد العربية واحتلالها . (٤) نقل تركيا من دولة ذات طابع إسلامى إلى دولة غربية الطابع . وقد عمدت جمعية الاتحاد والترقى – التى سيطر عليها الدونمة (يهود سالونيك) من الداخل وحولوها عن أهدافها إلى خدمة أغراضهم وذلك حين أقسموا لها عقد ندواتها فى المحافل الماسونية ، إلى تأليف الجمعيات واللجان ونشر الكتب الطاعنة فى الاسلام الداعية إلى التحول إلى الرابطة الطورانية بدلا من الاسلام وكانت لهم أناشيد قصائد ينشرونها سراً . وقد استطاعوا بقوة النفوذ الاستعمارى من اسقاط عبد الحميد وكان قره صوه اليهودى الذى اشترك فى مفاوضة السلطان واغرائه بالملايين لمنح اليهود حق دخول فلسطين واحداً من الذين اشتركوا فى خلعه علامة على إعلان أثر اليهود فى خلع الرجل الذى عارض نفوذهم ويمكن القول بأن الفترة التى بدأت من تاريخ تركيا بخلع عبد الحميد وتولى الاتحاديين للحكم هى الفترة التى اجتمعت فيها إدارة الحاكمين والاستعمار على تصفية الدولة العثمانية وابراز طابع الجامعة الطورانية وإبلاغ العلاقة بين الترك والعرب أشد مراحلها عنفاً وقسوة مما مهد بزوال الدولة وإلتهام الغرب للأجزاء العربية ومنح اليهود وعد بلفور الذى يعطيهم الحق فى إقامة دولة فلسطين . فى ضوء هذه الملاحظات يمكن النظر إلى موقف

السلطان عبد الحميد من التاريخ بعين الانصاف وفى السنوات الأخيرة أخذت تظهر وثائق كثيرة تكشف حقيقة هذا الرجل وتدفع عنه كثيراً مما شاب اسمه من اتهامات وشبهات ألصقها به النفوذ الاستعمارى والصهيونية على السواء .

الباب الثالث

(١)

الأمة العربية ومصر العربية الاسلامية

«الأمة العربية» حقيقة واقعة ملموسة بوضوح فى تاريخ المسلمين منذ فجر الاسلام إلى اليوم ، لم تختف يوماً وإن جنحت إلى الضعف والانطواء فى فترات قليلة . وفى العصر الحديث وحيث ضعفت قوة الوحدة الاسلامية القائمة على الرباط بين الترك والعرب ، برز دور الأمة العربية من جديد فى مجال اليقظة والاصلاح ، وعاد العرب إلى تسلم مقاليد مركزهم الاجتماعى والحضارى فى بناء العالم الاسلامى . ويمكن القول أن عوامل اليقظة الفكرية والاجتماعية فى العالم الاسلامى كله قد بدأت من قلب الأمة العربية ، ومن قلب الجزيرة التى انبثق فيها ذلك الضياء الوهاج ، ولقد ظل العرب أو فياء الوحدة الاسلامية حفظاً عليها حتى اضطرهم الاتحاديون – وليس الأتراك جميعاً – إلى الانفصال ورفع لواء الثورة . كان العرب يطالبون بحقهم – حق الأمة – من خلال الرابطة الاسلامية والدولة العثمانية وكانت حركاتهم جميعاً تستهدف قيام نظام لامركزى يقيم لهم حكومة مستقلة داخل إطار الدولة العثمانية ، وكانوا يؤمنون بالوحدة فى مواجهة الغزو الزاحف ، فلما ضعفت الدولة العثمانية بعد سقوط السلطان عبد الحميد وغلب طابع الاتحاديين مستهدفاً الدولة العثمانية والقضاء على الرابطة الموحدة بين العرب والترك خدمة للنفوذ الأجنبى الراغب إلى تمزيق هذه الأواصر وابتلاع هذه الأجزاء ، اتجه العرب إلى إقامة حركة المقاومة من خلال وحدتهم كأمه ، وهذا هو المفهوم الحقيقى للوحدة العربية كما فهمها العرب ، الذين أحسوا بأن كيانهم الذاتى قد بدأ يصيبه خطر كبير نتيجة الدعوة التى حمل لواءها الاتحاديون وهى «الجامعة الطورانية»

وهى جامعة تقوم على الجنس والدم وتحاول أن تجمع العناصر الطورانية فى قومية واحدة كما أحس العرب بخطر يواجه كيانهم من حيث غزو اللغة التركية فى مجال والمدرسة والتعليم والمحكمة والمجتمع . ومن خلال العمل الدائب على « تتريك العناصر » الداخلة فى الدولة العثمانية ومن بينها العرب . كان هذا هو التحدى الخطير الذى واجه العرب ، ودفعهم إلى التجمع من حول فكرة الوحدة العربية . وقد تمت الدعوة وتطورت حيث ضعفت الدولة العثمانية وزادت تحديات حكامها الاتحاديين للعرب حتى علقوا على المشانق فى دمشق وبيروت عام ١٩١٦ فكان هذا هو الحد الفاصل بين الوحدة العربية وبين الدولة العثمانية ، ثم توالت الأحداث وظل كثير من العرب خلال الحرب العالمية الأولى — وقد دخلها العثمانيون إلى جوار ألمانيا — يحذرون من انتفاض على الدولة حرصاً على تفويت الفرصة على النفوذ الاستعمارى الذى انتفع وحده من هذا الخلاف والذى خدع العرب حين دعاهم إلى الانضمام لصفه فى مقابل إقامة دولة عربية لهم بعد الحرب ، ثم لم يلبث الخلفاء أن خفروا عهدهم واحتلوا البلاد العربية وسيطروا عليها وأقاموا حكم الاحتلال والانتداب الوصاية على معظم هذه الأجزاء ، ووجد العرب أنفسهم قد وقعوا فى برائن وضع استعمارى أشد قسوة من الوضع الذى كانوا يشكونه فى الدولة العثمانية . ولما سقطت الخلافة عام ١٩٢٤ وانطوت الدولة العثمانية كانت مرحلة الدعوة إلى القوميات فى العالم الإسلامى كله قد أخذت تلعب دوراً خطيراً وتمثل مرحلة جهيرة ، وواجه الاستعمار الأمة العربية بالتحدى فأثار فى مختلف أجزائها دعوات إقليمية ضيقة ، سميت بالقومية المصرية والقومية السورية وحملت لواء الارتباط بالماضى التاريخى الغامض البعيد السابق على ماضيها الإسلامى الحى ، فنشرت دعوات الفرعونية فى مصر والفينيقية فى لبنان والبربرية فى المغرب وعلت هذه النصيحة التى كانت فى أول أمرها عاملا من عوامل المقاومة الوطنية وطابعاً ضرورياً فى مرحلة مقامة الاحتلال الذى كان يلقى إلى كل هذه البلاد شبهات تقول بأنهم ليسوا « أمة » فالمصريون ليسوا أمة والعرب ليسوا أمة ، كما حاول الاستعمار عن طريق المدارس والكتب والصحف أن يقول بأن هذه البلاد عاشت منذ أول التاريخ فى احتلال : احتلها الفرس والرومان ووصف العرب بأنهم محتلون ، وهكذا أثيرت دعوات إقليمية خطيرة ، وفرضت قيود كبيرة تحول دون التقاء هذه الأجزاء العربية معاً ، واستسلمت الأقطار لهذه الدعوات فى مرحلة « الوطنية » حيث كان الصراع دائراً بين المستعمر وأهل القطر الواحد ، فكانوا يتشبثون بالوطنية ويتخذون من تاريخهم الخاص وسيلة للمقاومة

والاستعلاء ، فكان المصريون حين يدعون إلى الفرعونية فى هذه الفترة إنما يريدون أن يقولوا إن لهم ماضياً وتاريخاً يبلغ خمسة آلاف سنة من العمر وأنه أقدم من تاريخ بريطانيا وأمريكا جميعاً . وفى العراق والشام بأجزائه (فلسطين وسوريا ولبنان) كانت الدعوة تحمل طابع الماضى العربى ثم تذهب إلى مرحلة ما قبل تاريخ الإسلام فتحاول التفاخر بالفينيقية والأشورية وخلق كيان محدود ، وكانت دعوة المصرية فى مصر فى هذه الفترة تحاول أن تنفصل عن الأمة العربية والفكر الإسلامى جميعاً وترتد إلى ماض من الفرعونية غير واضح التاريخ أو الثقافة أو التراث وفشلت هذه الدعوات جميعاً فى مصر والشام والمغرب ، واهتدى العرب إلى أن رابطتهم بالإسلام وتاريخه هى أقوى هذه الروابط ومنها ينبعث كيانهم الحقيقى ووجودهم الواضح المؤصل .

وكانت مسألة الاحتلال الفرنسى لسوريا ولبنان والجزائر ومراكش وتونس ، والاحتلال البريطانى لمصر والسودان والعراق والجنوب العربى والاحتلال الإيطالى لليبيا ، هذه مسألة الجهاد الذى لم يتوقف بالكلمة والمفاوضة والدعوة إلى الحرية فى حركات متصلة لم تتوقف . وقد سبقتها مرحلة الكفاح المسلح والجهاد المحارب على أيدى : عبد القادر الجزائرى فى الجزائر ، وأحمد عرابى فى مصر ، والمهدى فى السودان ، والسنوسى فى ليبيا ، وعبد الكريم فى المغرب الأقصى . غير أن هناك قضية أخرى كانت أخطر من ذلك كله : هى قضية الغزو اليهودى لفلسطين والذى اتخذ خطواته الأولى منذ سنوات طويلة بعد عقد مؤتمر بال ١٨٩٧ والمفاوضات التى جرت بين هرتزل والسلطان عبد الحميد والتى قضت على آمال اليهود فى فلسطين والتى عمد الاستعمار والصهيونية إلى تحقيقها بإسقاط عبد الحميد وفتح الطريق إليها فى ظل نفوذ الاتحاديين إلى روتشلد عام ١٩١٨ والذى كان نقطة تحول خطيرة فى الوجود العربى حيث أقام فاصلا بشرياً بين جزئى الأمة العربية الأفريقى والآسيوى وفى أخطر موقع على البحر الأبيض المتوسط وعلى البحر الأحمر وفى نفس المنطقة التى سيطرت عليها الحملات الصليبية وقد تدافعت خطوات هذا الغزو فى العصر الحديث حيث انتهى باحتلال الصهيونية لفلسطين ١٩٤٨ واحتلال القدس ١٩٦٧ وتشكيل أخطر تحد واجه الأمة العربية . هذا الخطر كان علامة القوة فى التركيز على الوحدة العربية ، حيث بدأت هذه الحركة تتضح وتستحصد حتى بلغت مرحلة هامة من مراحلها بقيام الجامعة العربية ١٩٤٦ (قبل احتلال الصهيونية للقدس بعامين) ثم انتقلت حركة الوحدة العربية إلى مرحلة أشد قوة

وعمقاً منذ عام ١٩٥٦ عندما أعلنت مصر أنها جزءٌ من الأُمة العربية وتصدرت لقيادة الحركة العربية بالاشتراك مع الهيئات العاملة فى مجال الوحدة العربية فى سوريا والعراق والأُردن . وقد حققت هذه الحركة خطوات بعيدة المدى فى سبيل البناء القومى العربى ، ومن خلاله حدثت تجربة الوحدة بين مصر وسوريا التى أعطت العمل العربى خبرة واسعة ، ثم اتسع نطاق الحركة العربية حتى شمل العالم العربى كله .

مصر : العربية الإسلامية

ولقد كانت مصر دوماً قلب الأُمة العربية ومنار العالم الإسلامى كله ، وذلك بوجودها الجغرافى والتاريخى والثقافى الفريد ، ومن هنا فقد حرص الاستعمار والنفوذ الأجنبى على التذكيز عليها منذ وقت بعيد ، حيث زحفت الحملة الفرنسية ١٧٩٨ لاحتلالها ثم ارتدت عنها ثم تبعتها حملة فريزر الانجليزية ، ثم كان إنشاءُ قناة السويس عاملا هاماً وخطيراً فى مكان مصر من أطماع النفوذ الاستعمارى الزاحف الذى قضى على الحركة الوهابية فى الجزيرة العربية وحركة محمد على فى مصر ، وهما حركتان كانتا من عوامل اليقظة العربية ، ثم كان احتلال فرنسا للجزائر ١٨٣٠ واحتلال انجلترا لمصر ١٨٨٢ مقدمة لاحتواء هذه المنطقة داخل النفوذ البريطانى الفرنسى . ومن ذلك فقد ظلت مصر هى قلب الأُمة العربية بالرغم من الدعوات التى دعت إلى تمصيرها ، وظلت منار العالم الإسلامى لوجود « الأزهر » وهو ثالث القوى الإسلامية فى هذه الفترة : حيث مكة هى قبلة المسلمين والدولة العثمانية مقر الخلافة الإسلامية وكانت مصر مقر الأزهر مصدر الثقافة العربية الإسلامية . ولقد لعبت مصر دورها على المدى الطويل فى حركة الغزو الفرنسى ، وفى مقاومة استبداد محمد على وفى الثورة العربية وفى ثورة ١٩١٩ وكان الأزهر هو مصدر ... هذه الحركات ومعقلها وكانت مفاهيم الفكر الإسلامى فى العالم كله هى مصدر حركات المقاومة والتجمع والوحدة ، ولقد كانت مصر رابطة جامعة للدعوات والحركات التحريرية تؤمن بأنها مصرية وعربية واسلامية ففى مجال الأرض كانت تؤمن بالأُمة العربية ورابطتها الأكيدة معها ، وفى مجال الفكر كانت تؤمن بالإسلام التى تربطها بالمسلمين فى كل مكان . وفى العصر الحديث دعمت مصر دورها فى هذه المجالات عن طريق هيئاتها العربية والإسلامية فهى مقر الأزهر ومقر الجامعة العربية ومقر الهيئات الإسلامية المختلفة (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ومجمع البحوث والمؤتمر الإسلامى) وقد

ربطت نفسها بالعالم الإسلامى كله ، فلها طريقها إلى الدول الأفريقية المسلمة وطريقها إلى الدول الأفريقية المسلمة وطريقها إلى أرخبيل الملايو وطريقها إلى تركيا وباكستان والهند وإندونيسيا وأفغانستان ، تؤدى دورها القيادى الإسلامى الحضارى بالنسبة للأخوة الإسلامية والوحدة العربية فهى لم تتخل قط عن إيمانها المصرى مثلا فى الوطنية والعناية بالتراث الفرعونى والقبطى ، ولم تتخل عن دورها القومى فى الإيمان بالعروبة وروابطها مع الأمة العربية ولم تتخل عن دورها الإسلامى فى الأخوة الإسلامية مع المسلمين فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى وشاركت فى مختلف المؤتمرات والحركات والدعوات التى حملت لواء التحرر والوحدة والمقاومة وتصفية الاستعمار وتحرر الشعوب بإيمان صادق أكيد .

(٢)

الوحدة العربيه والدعوات الاقليمية

عاش المسلمون فى تاريخهم الحديث بين ثلاث روابط :

١ـ الرابطة الإسلامية العامة . ٢ـ والرابطة القومية المرتبطة بالأمة وبالقوم . ٣ـ والرابطة الوطنية المتصلة بالوطن والأرض . أما الرابطة الإسلامية العامة فقد كانت تتمثل فى مفهوم فكرى واحد يجمع المسلمين قوامه الإسلام نفسه : دين الأغلبية الساحقة فى العالم الإسلامى ، ولذلك وصفت هذه الرابطة بأنها رابطة دينية أو جامعة دينية فى مواجهة الرابطة الأخرى التى بدأت تغزو المجمع الإسلامى وهى الرابطة القومية أو كما كانوا يطلقون عليها الجامعة الجنسية . ولقد كان الصراع بين الجامعتين الإسلامية والقومية طويلا وبعيد المدى وقد مر بمرحلتين : المرحلة الأولى خلال الفترة السابقة للحرب العالمية الأولى ، وقبل سقوط الدولة العثمانية وقد تمثل فى هذه المرحلة فى دعوتين . دعوة الجامعة الإسلامية التى تحمل لواءها الدولة العثمانية خلال حكم السلطان عبد الحميد الذى انتهى عام ١٩٠٨ وهى دعوة الإسلام بحسبانه جامعة لأهله ليس داخل الدولة العثمانية وحدها وإنما للمسلمين عامة من حيث أن الدولة العثمانية تحمل لواء الخلافة . وقد كانت هذه الدعوة دعوة ضرورة فى هذا الوقت بالذات حينما اتسع نطاق الغزو الاستعمارى الزاحف وتوالى سقوط الوحدات الإسلامية فى قبضة النفوذ الغربى ، فكان إعلان شعار الوحدة الإسلامية أو الجامعة الإسلامية إنمايستهدف

تجمع المسلمين ومقاومتهم وقيام جبهة صامدة قوامها الدولة العثمانية التى تضم عنصرى العرب والترك إلى باقى المسلمين فى الهند وأفغانستان وإيران وأفريقيا وأرخبيل والملايو . أما دعوة الوحدة العربية ، أو الجامعة العربية ، أو القومية العربية ، أو الجامعة الجنسية فإنما كانت قد برزت أساساً من خلال الاتجاه الذى نما فى الشام بالذات ومن خلال منابر الإرساليات الغربية وبثته بيروت بالذات ولها وضعها الخاص القائم على أنها كيان مستقل داخل الدولة العثمانية ، وكانت الدعوة إلى العروبة إنما تعنى تمزيق الرابطة السياسية القائمة بين العرب والترك فى كيان الدولة العثمانية ، ولم تكن الدعوة فى هذا الوقت وبالصورة التى برزت بها نتاج طبيعى وإنما كانت محاولة أولى لإعلاء شأن الجنس والدم والعرق رغبة فى تمزيق وحدة العناصر المختلفة التى تضمها الدولة العثمانية وفى معارضة وتضارب مع حركة الجامعة الإسلامية التى دعا إليها جمال الدين الأفغانى وحاول تحقيقها السلطان عبد الحميد . ولم يكن غاية الدعاة إلى تحقيق مطالب العرب إلى أبعد وقت بعد ذلك تطالب بأكثر من حكم قوامه اللامركزية أو خلق وضع عربى مستقل داخل كيان الدولة العثمانية ، أو على أكثر تقدير ما دعا إليه عزيز المصرى وزملاؤه من أن يتم إقامة كيان عربى داخل اتحاد فدرالى تكون قيادته عثمانية (أى عربية وتركية) يبقى به وضع الدولة العثمانية قائماً وجامعاً بين الترك والعرب . ولقد اقترب العرب كثيراً من الجامعة الجنسية أو الوحدة العربية ولكن ذلك إنما تم على مراحل طويلة ولم يبرز فى صورة واضحة إلا بعد سقوط السلطان عبد الحميد وانطواء دعوة الجامعة الإسلامية وزاده قوة وتأكيداً تمزيق الاتحاديين للرابطة التركية العربية ودفعها إلى آخر مراحل الخلاف والصراع والتمزق بتعليق أحرار العرب على المشانق . ثم كانت الدعوة إلى الوحدة العربية ضرورة حتمية بعد أن مزق الغرب الأمة العربية إلى دول وكيانات إقليمية منفصلة بعد الحرب العالمية الأولى وفى ظل أخطر تحدى واجه العرب وهو التحول الذى فرضه الاستعمار على فلسطين وتاهيلها لتقوم بها دولة صهيونية ونضال العرب فى سبيل مقاومة هذا التحول الخطير . فالوحدة العربية فى الحق لم تصبح جامعة أساسية فى تقدير العرب ، ولم يتجه إليها نضالهم إلا بعد أن سقطت الرابطة الكبرى : الجامعة الإسلامية أو الوحدة العربية التركية الممثلة فى الدولة العثمانية ، وذلك بحسبان أن تحل هذه الجامعة محل الجامعة الإسلامية فى مقاومة الغزو الغربى والنفوذ الأجنبى والاستعمار الأوروبى . ولقد كان للاستعمار دوراً كبيراً مؤثراً فى الاضطراب والصراع بين هذه الدعوات المختلفة . إذ كان قد اتجه

إلى اتخاذ سلاح التفرقة وتمزيق الكيان الأكبر وسيلة إلى القضاء على وحدة العالم الإسلامى وذلك فى سبيل خلق كيانات متعددة يحكمها وتتوزع بين قواه الاستعمارية : المغرب والجزائر وتونس لفرنسا وليبيا لإيطاليا ومصر والسودان والعراق لانجلترا وفلسطين لليهود . ومن هنا فقد أبرز الاستعمار الدعوة القومية وأعلاها وأتاح لها فرصة النماء والقوة فى حدود محدودة وإلى مراحل معينة ، فقد بدأت الدعوة إلى القومية العربية من بعض المؤسسات الأجنبية التبشيرية فى بيروت تحمل لواء الحرية والديمقراطية واللغة العربية فى مواجهة ما وصفت به الدولة العثمانية فى هذه الفترة من الاستبداد وإعلاء اللغة التركية . فلما تحقق سقوط النظام الذى كان يقوم عليه السلطان عبد الحميد من الجامعة الإسلامية ، تحولت هذه المؤسسات عن دعوتها وأخذت تخاصم اللغة العربية وتعلى من شأن لغاتها الأجنبية كما سكتت عن الكلام عن الحرية والديمقراطية فقد قامت حكومة قوامها الاتحاديين الموالين للنفوذ الاستعمارى فى حربه للوحدة الإسلامية وفى توسيع نطاق الدعوة إلى القومية التركية باسم الجامعة الطورانية ومحاولة إعلاء شأن الجنس التركى والعمل على تتريك العناصر المختلفة فى الدولة العثمانية وفى هذه العناصر العرب .

هناك وقع الخلاف وقامت الخصومة بين الاتحاديين والعرب أساساً ، وبدأ الصدام بين الجامعة الطورانية والجامعة العربية وبذلك سقط الحاجز الضخم الكبير الذى كان يجمع العرب والترك فى الوحدة الإسلامية الجامعة . ولقد كان العالم الإسلامى يتمثل فى ثلاث قوى إسلامية : هى : الدولة العثمانية (تضم العرب والترك) والدولة الفارسية ، والدولة المغولية فى الهند ، ولقد سيطر الاستعمار على هذه المناطق الثلاث بدرجات مختلفة .

أما الدولة المغولية فى الهند فقد اجتاحها الاحتلال البريطانى فى نفس الوقت الذى سيطر الهولنديون على جاوة وسومطره بالاشتراك مع الإنجليز الذين سيطروا على الملايو . أما الدولة الفارسية فقد تقرب إليها النفوذ البريطانى منذ وقت بعيد فى مساندة لصراعها مع الدولة العثمانية حتى تظل أكبر قوتين فى هذا الوقت فى صراع دائم .

أما الدولة العثمانية فقد كانت الشغل الشاغل للنفوذ الأجنبى ولأوربا وللغرب كله بحسبان أنها الدولة التى اقتحمت أوربا واحتلت القسطنطينية وسيطرت على البلقان وصارعت الغرب كله خلال ثلاثة قرون ووصلت قواتها ونفوذها إلى سوارفينا . ولذلك فقد حرص النفوذ الأجنبى المتمثل فى فرنسا وانجلترا وروسيا إلى اقتطاع أجزائها واحدة بعد أخرى ، وأطلق

يد روسيا فى مناطق آسيا وسيبيريا ، كما أُطلق يد بريطانيا فى مصر والسودان والخليج الفارسى والبحر الأبيض وأطلق يد الفرنسيين فى المغرب والجزائر وتونس . ولم يبق فى يد الدولة العثمانية إلا الجزيرة العربية والشام بأجزائه والعراق ، ومن خلال هذه البؤرة بدأت معركة الصراع الأخير للقضاء على الدولة العثمانية وتمزيقها . ومن هذه المنطقة ظهرت دعوة الوحدة العربية التى تحولت إلى ما أُطلق عليه الثورة العربية بحسبان وعد بريطانيا بإقامة دولة عربية كبرى بعد الحرب العالمية الأُولى تضم هذه الأجزاء التى حملت لواء الحرب مع الدولة العثمانية ، وقد كان مفكرو المسلمين والعرب فى هذه الفترة بين رجلين : أحدهما يرى أن بريطانيا ستفى للعرب بما وعدت وتمكنهم من إقامة دولة عربية بعد الحرب نتيجة للمؤازرة الضخمة التى قدمها العرب لبريطانيا فى مواجهة الدول التى انضمت إلى أعداء بريطانيا . أما الآخر فيرى الإبقاء على دعم الكيان العثمانى كقوة قائمة فى وجه النفوذ الأجنبى الزاحف ، إيماناً بأن بريطانيا والغرب لن يسمحا بقيام دولة للعرب فإنهم بسبيل تمزيق الدولة العثمانية والتهامها ، ومن ثم فإنهم سوف يخدعون العرب حتى يقدموا معونتهم فإذا انتهت الحرب ، فسوف يغدرون بهم . وقد تحقق فعلا ما توقعه أصحاب هذا الرأى وكان أصحابه أصدق نظرة إلى الاستعمار من الآخرين الذين أيدوا بريطانيا ، وبالحق فقد خدعت بريطانيا العرب ثم مزقت المنطقة بعد الحرب إلى كيانات ومنعتها تحت نفوذها باسم الانتداب أو الوصاية من الالتقاء والتكامل ، وكان أخطر نقطة فى تآمر الاستعمار هو تمكين الصهيونية من فلسطين لإقامة كيان غريب فى قلب الأُمة العربية . وبهزيمة تركيا فى الحرب العالمية الأُولى ، انتهت المعركة بين الاستعمار والدولة العثمانية التى سقطت وتمزقت ، وقامت بدلا منها دولة تركية قومية ذات صبغة غربية خالصة منفصلة عن العرب والإسلام جميعاً . وبذلك غلب طابع القومية العربية مع تمزق الكيان الموحد الذى كان يجمع العرب والترك . وأصبح العمل للجامعة العربية فى نظر العرب هدف كبير ، من خلال محنة تمزق الكيانات وإعلاء الاستعمار للإقليميات وإثارة الدعوات القديمة كالفرعونية والفينيقية والأشورية والبربرية لعزل هذه الأجزاء عن بعضها والتفريق بينها تفريقاً يحول دون التقائها على وحدة عربية .

ولقد كانت دعوة القومية العربية فى مفهومها الفطرى والطبيعى أنها لا تنفصل عن الأساس الإسلامى الذى يشكل فكرها وثقافتها وقيمها الأساسية ، غير أن بعض دعاة القومية لم يلتمسوا مفهومها من تاريخ الأُمة العربية وموقعها من العالم الإسلامى ومن الإسلام نفسه ،

وإنما التمسوا مفهومها من نظريات القوميات الأُوربية التى كان لقيامها وتشكلها ظروف تختلف ، وأوضاع تتباين . ولذلك فقد حرص دعاة القومية العربية ذات المفهوم الغربى أن يؤكدوا ابتعاد أُسس الوحدة العربية عن الدين ، والدين هنا هو الإسلام ، ومن حق أن يقال إن القومية تختلف عن الدين فى مجالات عدة ، فإن القومية دعوة جنس ودم وقوم ووحدة أُمة ، وإن الدين بمفهوم اللاهوت الغربى له مجال آخر يرتبط بالعقول والأرواح والروابط المتصلة بين الإنسان وربه ، ولذلك فمن هذه الناحية ليس الدين أساس من أُسس القومية ولكن هذا الأَمر على إطلاقه فى مفهوم الدين لا يتفق مع « الإسلام » نفسه ، فليس الإسلام ديناً كالأَديان الأُخرى التى واجهتها نظرية القومية فى أُوربا ، بل الإسلام دين وزيادة ، دين ونظام مجتمع ، ومن هنا فإن مفهوم الإسلام بالنسبة للقومية يختلف عن مفهوم الدين وحده ، ومفهوم الإسلام هنا بالنسبة للقومية العربية أو الوحدة العربية يختلف عن مفهوم الأَديان فى القوميات الأُوربية ، ذلك أن الأُسس الكبرى والقيم الأَساسية للثقافة العربية واللغة العربية والتاريخ العربى وهى العناصر الأَساسية للقومية فى المفهوم الغربى إنما تستمد وجودها من الإسلام والفكر الإسلامى ولا تنفصل عنه فالإسلام بحسبانه نظام مجتمع قد أثر تأثيراً كبيراً فى اللغة والتاريخ جميعاً وليس هناك لغة عربية منفصلة عن لغة القرآن والإسلام ، وليس هناك تاريخ للعرب منفصل من تاريخ الإسلام ، ولذلك فإن القيم الأَساسية للوحدة العربية أو مقومات اللغة العربية لا تجد إلا الإسلام نفسه بحسبانه فكراً ونظام مجتمع هو القاعدة الأَساسية له . وليس للدين فى الإسلام كبير دخل فى هذا المجال . ومن هنا تسقط دعوى التصارع المفتعل بين الإسلام والعروبة وبين القومية العربية والإسلام .

ومن الحق أن يقال إن الدوائر الثلاث : دائرة الوطنية ، وتسمى « دائرة الأَرض » . ودائرة القومية ، وتسمى « دائرة الأُمة » . ودائرة الإسلام ، وتسمى « دائرة الفكر » .

ليس بين هذه الدوائر الثلاث صراع أو تقابل ولكنها دوائر متداخلة متساندة : الوطنية أصغرها وأوسطها والقومية أكبر منها وتليها فى الدائرة والإسلام هو الدائرة الكبرى . ولقد كانت الدعوة الوطنية فى مواجهة النفوذ الاستعمارى دعوة ضرورية وهامة حيث كان النفوذ الاستعمارى يمحق كيان الأُمم فيقول : إن مصر مثلا ليست أُمة وليست وطناً وأنها لم تكن يوماً من الأَيام حرة ، وقد تواتر عليها المستعمرون من الفراعنة والترك والفرس والإنجليز ، ويقول مثل هذا عن كل أُمة ووطن ، فكان لابد أن تقوم فى مصر دعوة وطنية مصرة على

أن مصر أُمة ووطن يجرى النيل بين شاطئيه وله تاريخ قوامه الفراعنة أصحاب الحضارة الأُولى وممدنو العالم وأنه رد الغزاة وحمى الحضارة وامتد إلى السودان والحجاز والشام وهكذا . ومن هنا كان الضغط على مفاخر التاريخ ، ومفاخر الأَرض وسيلة أساسية ومرحلة طبيعية فى طريق اليقظة والحرية .

ثم كانت المرحلة الثانية : مرحلة الأُمة : فمصر جزء من الأُمة العربية يربطها بها تاريخ موحد ولغة ومقومات جغرافية وسياسية واجتماعية لا سبيل إلى انفصامها ولذلك فإن الأَوطان حين تبلغ درجة ما من الحرية تتداعى أَجزائها إلى وحدة الأُمة ، وهذا هو مفهوم الوحدة العربية . ولكن هذه الدعوة الوطنية : وحدة الأَرض ، وهذه الدعوة القومية : وحدة الأُمة ، إنما تتحرك فى إطار واسع هو إطار الوحدة الفكرية الإسلامية التى جمعت هذا العالم منذ أربعة عشر قرناً من خلال ثقافة موحدة وقيم أَساسية واحدة صاغت العقل والقلب والضمير ، ومن هنا فإن الوحدة الإسلامية ليست وحدة سياسية إلا كنتيجة أَساسية قوامها الروح والمجتمع وعوامل الوحدة الفكرية .

هذا هو المفهوم الواضح الطبيعى ، ولكن النفوذ الأَجنبى يحاول أن يجعل من دعوات الجامعة الوطنية والجامعة القومية والجامعة الإسلامية جامعات متعارضة متضاربة متخاصمة ، بينما هى مراحل طبيعية تاريخية فرضتها ظروف النفوذ الأَجنبى والاستعمار التى سيطرت على العالم الإسلامى .

فالدول الاسلامية قد عمقت وجودها الوطنى ووجودها القومى ، ولكنها لم تنفصل عن دائرتها الواسعة واطارها العام وان بعدت عنه فترة من الزمن فانها فى الفترة الأَخيرة تتقارب وتلتقى وتحاول أن تقضى على العوامل الخلافية الفرعية التى عمقها الاستعمار ليجعل منها عوامل تمزيق ويحول بها دون الالتقاء والتوحيد . وقد كشفت مقررات المؤتمرات الكبرى العامة التى ضمت دول العالم الاسلامى مرات متعددة من سلامة مفهوم الرابطة الاسلامية والالتقاء الجامع وعمق هذا المفهوم وضرورته واستمراره دون أن تقلل منه عملية العزل والتمزيق الواسعة التى امتدت الآن أكثر من مائة عام . وما تزال الرابطة الفكرية والروحية معاً قائمة فى مختلف أجزاء العالم الاسلامى بالرغم من الكيانات ووجود الخلافات الفرعية التى أثارها الاستعمار وأكدها وعمقها فى خلال مرحلة الاستعمار وما تزال ردود فعل هذه الرابطة الفكرية والروحية واضحة فى كل موقف أو تحد أو حدث من الأَحداث المختلفة التى تواجه

أي وحدة من وحدات العالم الاسلامى . وهى تتجلى واضحة فى قضية فلسطين ، وفى مختلف معارك الصراع بين الاستعمار والعالم لتطوارات الاسلامى ممثلا فى المختلفة ومن أقرب هذه النماذج : معركة الجزائر .

(٣)

الاسلام وحركات المقاومة العربيه

إلى ما قبل أن تندلع الحرب العالمية الأولى كان العالم الاسلامى يتمثل فى الدولة العثمانية وتضم العرب والترك ثم أفغانستان وإيران .

وكانت هناك ثلاث مجموعات أخرى

(١) الهند التى سقطت فيها الدولة الاسلامية بالاحتلال البريطانى (٢) أرخبيل الملايو بمجموعة الاسلامى الذى قسمه الاستعمار إلى أندونيسيا تحت الاحتلال الهولندى والملايو تحت الاستعمار البريطانى . (٣) أفريقيا الاسلامية التى مزقها الاستعمار وتوزعتها دوله والتهمتها قبل نهاية القرن التاسع عشر . وكان الزحف الاستعمارى الذى بدأ منذ أوائل القرن الخامس عشر على العالم الاسلامى قد اتجه نحو أفريقيا ودار حول رأس الرجاء الصالح ومد خطواته إلى كانتون ثم تواصلت موجاته المتدافعة : البرتغال والأسبان والهولنديون ، والفرنسيون والبريطانيون ومنذ اتصل الأوربيون بالعالم الاسلامى لم يتوقف الصدام ولم تتوقف المقاومة . هذه المقاومة التى حمل لواءها العالم الاسلامى فى مختلف أجزائه دون توقف . وقد تمثلت هذه المقاومة فى الحرب والمعارك العسكرية حينا فلما ازدادت سيطرة الاستعمار تمثلت فى صور أخرى من المقاومة ولكنها لم تتوقف قط ، ولم يستسلم جزء من العالم الاسلامى إلا بالخدعة والمكر وتأليب الخيانة على حركة المقاومة ، ولم تسلم قوة من قوات المقاومة إلا بعد أن نفد كل ما تملك من عتاد وزاد . وقد واجه النفوذ الاستعمارى هذه المقاومة بالعنف وبالحيلة معاً . أما العنف فقد قضى به على قادة حركات المقاومة ثم فرق جموعها بالسجن أو الاغراء أما الحيلة فقد كانت تتمثل فى تكوين أجيال جديدة تؤمن به وترضاه وتصادقه وتتعاون معه . وقد اختار بعض مفكرى الاسلام وقادته مبدأ المصالحة مع الاستعمار ، ورأوا أنه « طريق ضرورة » لابد منه فى هذه الفترة . وأن من الحمق أن يستمر المسلمون فى طريق واحد هو طريق المقاومة والتجمد ، بينما العناصر الاخرى تتقدم عليهم وتسيطر على مجالات

القيادة السياسية والفكرية . ويحضر هنا مثلين أحدهما الشيخ محمد عبده فى مصر وأحمد خان فى الهند . فقد دفع الاستعمار من غير المسلمين فى كل مكان حل فيه وفتح لهم آفاق التعليم والثقافة والبعثات ثم جعل منهم ركائزه وخدامه ، وبذلك تخلف المسلمون حتى جاء مثل محمد عبده وأحمد خان فدعيا إلى ضرورة مهادنة الاستعمار وفتح الطريق أمام الطلائع المسلمة لأن تتعلم تعليما منحرفاً ولكنه على كل حال خير من الجمود والتوقف ولذلك فقد كان إقبال المسلمين على البعثات والارساليات والمدارس الأجنبية التى نشرها النفوذ الأجنبى فى العالم الاسلامى مسألة ضرورة . وكان قادة المسلمين يعلمون ما تحفل به هذه المعاهد من مقاومة للاسلام واللغة العربية وقيم الأمة ومقدراتها ولكنهم كانوا فى سباق مع الزمن فإما أن أن يتعلموا هذا التعليم أو يموتوا ، فقد جمد المستعمرون المعاهد الاسلامية المختلفة فى العالم الاسلامى ، ولم يجعلوا لخريجيها أهمية تذكر فى مجال العمل والحياة ، وفتحوا الطريق أمام الثقافة الحديثة عن طريق المدارس التى وضعوا برامجها واستهدفوا بها خلق أجيال ترضى بالاستعمار وتصادقه وتعاون المستعمرين وتحتقر القيم العربية والاسلامية والوطنية وتقدر بطولات التاريخ الأوربى الانجليزى والفرنسى . غير أن هذه المجموعات من المثقفين التى أتيح لها أن تتصدر لقيادة أوطانها فى العالم الاسلامى ممن تأثرت بأفكار المستعمرين لم تخلص كلها للنفوذ الاستعمارى بل تحرر كثير منها نتيجة لقوة الضمير العربى الاسلامى الموجود والقائم فى طوايا الثقافة العربية وفى جماهير العالم الاسلامى التى كانت تقود من مواقعها العامة وتفرض نفوذها على قادتها وتحول اتجاه بعض المفكرين إلى الطريق الأصيل بل إن من سار فى طريق الغرب ثمة ، لم يلبث أن عاد إلى حمل لواء القيم الأساسية بأصالة أمثال منصور فهمى وهيكل والعقاد . وكان لابد أن تبقى مجموعة قليلة متعلقة بالنفوذ الاستعمارى تحمل لواء التبشير والتغريب والشعوبية ، وقد كانت هذه الجماعة دائماً مكشوفة معروفة ، ولم تستطع كسب ثقة المجموع ، بل أن تطور الأحداث وبروز الحركات المجددة قد كشفت عن الدسائس التى حوتها مؤلفات هؤلاء كما تكشفت أخطاء سلامه موسى وطه حسين واسماعيل مظهر ومحمود عزمى وعلى عبد الرازق ، وبان هدفها التغريبى الذى اندفعت إليه حال بروزها . ويرجع ذلك فى الأغلب إلى قوة القيم الأساسية للفكر الأسلامى الأصيلة العميقة الجذور فى بناء الأمة الاسلامية خلال أربعة عشر قرناً ، بحيث لم يستطع الاستعمار الغربى من خلال قرن من الزمان بأساليبه المختلفة (المدارس . النظريات الصحف . الكتب . الدعاة) أن

يطمس هذه الحقيقة . ولقد واجه النفوذ الاستعمارى فى زحفه على العالم الاسلامى قوة متجددة يقظى كانت موضع ازعاج شديد له تمثلت فى الدعوات العربية الاسلامية التى برزت فى مناطق الصحراء : الوهابية فى جزيرة العرب والسنوسية فى صحراء ليبيا والمهدية فى السودان وقد كانت حرباً عنيفة على نفوذه ، حملت لواء المقاومة من ناحية ، ولواء الانشاء والتمدد والتوسع من ناحية أخرى ، فاذا بالوهابية فى جزيرة العرب تشكل خطراً على النفوذ البريطانى فى الهند حين قام بعض من آمن بها ببناء دولة قاومت بريطانيا وكبدتها كثيراً . وواجهت السنوسية النفوذ الايطالى مواجهة ضخمة ، وامتدت آثار السنوسية فواجهت النفوذ الفرنسى فى الجزائر نفسها وكان هو الخطر الدائم فى كل مناطق أفريقيا . أما المهدية فقد كبدت بريطانيا فى السودان دماءاً وهزائم لا حد لها وكذلك فعل المسلمون فى أندونيسيا وفى الهند وفى إيران وفى أفغانستان على نحو واسع عريض فى معارك ثلاث ضخمة فاصلة . وواجهت فرنسا الجزائر وتونس والمغرب مقاومة وصراعاً لا حد له . وواجهت دول أوربا المستعمرة المستعمرة فى أفريقيا مقاومة لم تتوقف فى المناطق التى يكثر فيها عدد المسلمين . وحين انطوت صفحة الأمير عبد القادر فى الجزائر وعرابى فى مصر وعبدالكريم فى الريف المغربى وشامل فى القوقاز بدأت صفحة جديدة من المقاومة . فالنفوذ الاستعمارى قد حرص على أن يستخلف على أقطار العالم الاسلامى قوى جديدة ليس لها طابع إسلامى صريح ، تمثلت فى الأحزاب السياسية ولكن هل كانت هذه القوى الجديدة خالية من مضمون القيم الأساسية الاسلامية التى تحمل دوماً طابع المقاومة والجهاد للمحتل والغاصب . من الحق أن يقال إن هذه القوى الجديدة التى ظهرت فى أوائل القرن العشرين لم تكن إلا صورة مجددة للقوى القديمة فحركة الحزب الوطنى فى مصر هى الوليد والبديل لحركة مكرم وجمال الدين الأفغانى وأحمد عرابى ، وأحزاب السودان كانت بديلا عن المهدية والأنصار ، وفى المغرب تحولت الحركة السلفية إلى أحزاب سياسية تحمل فى أعماقها طابع المقاومة على مفهوم الاسلام – نعم ، «إن الحركة القومية لم تكن مطابقة للاسلام فحسب بل هى جزء لا يتجزأ من فكرة بعث الاسلام ، فنضال المسلمين للتخلص من الهولنديين وكفاح السوريين ومسلمى المغرب للتخلص من الفرنسيين ونضال مسلمى الهند ضد البريطانيين كل ذلك كان جزءاً من حركة المسلمين لبناء مجتمع إسلامى فى العصر الحاضر ، ومن هذا القبيل قيام الأتراك بطرد اليونانيين سنة ١٩٢٢ والإيرانيين للقضاء على منطقة النفوذ الروسية الانجليزية كانت جميعاً خطوات نحو احياء

الاسلام فكل المسلمون مسلمون إجتماعياً وسياسياً وإذا كان ثمة اختلاف بين الزعماء الوطنيين والزعماء الدينيين فهو خلاف لم يتخذ مظهر النضال والكفاح . «وقد كانت الصفة الاسلامية غالبة على جميع هذه الحركات حتى فى الحالات التي يكون فيها القادة ممن تأثروا بالغرب فتصبح هذه الحركات إسلامية بالنسبة للجماهير والاتباع . «وكانت الجامعة الاسلامية شعوراً لدى المسلمين بضرورة تماسكهم إذ أن وحدة المسلمين فى العالم الاسلامى هى وحدة مشاعر ، وظلت الجامعة الاسلامية إلىاليوم حلما جميلا تعز تحقيقه ،كانت مستقرة فى الوعى الدينى الاسلامى القديم وبقيت محتفظةبقوتها .. وليس ثمة تعارض بين الجامعة الاسلامية وبين الروح القومية فى البلادالاسلامية. «وصفوة القول فيما تقدم أن الاسلام فى العصر الحاضر قد احتضن النزعات والحركات القومية التي رآها تتفق ونهجه فى استعادة أمجاده الماضية ما دامت متمشية وفق التقاليد الاسلامية ، هذا باستثناء تركيا» .هذه العبارات نقلناها بتصرف عن ولفرد كانتول سميث من كتابه «الاسلام فى التاريخ الحديث» وهى تحمل مضموناً أساسياً معترفاً به ومقرراً بأن حركات المقاومة والتحرر من النفوذ الاجنبى مهما تطورت ولبست أثواباً مختلفة فانها جميعاً أجزاء أساسية من حركة المقاومة الاسلامية للاستعمار والنفوذ الغربى وفى سبيل وحدة فكر ، وقد مضت هذه الحركات تعمل فى مجالين متصلين : مقاومة الاحتلال والاستبداد معاً نظراً لتساندهما واتصالهما ، وقد مرت بمراحل المقاومة المسلحة فى معارك حربية متصلة : اتصلت بين البرتغال والمسلمين على شواطىء أفريقيا والهند وجزر الملايو ، ثم تحولت فيما بعد إلى معارك من نوع آخر تمثلت فى مقاومة الحملة الفرنسية فى مصر وفى معارك الجزائر بقيادة عبد القادر الجزائرى والثورة المصرية بقيادة أحمد عرابى ومعارك شامل فى القوقاز ، وعبد الكريم فى المغرب ، وثورة المسلمين فى الهند ١٨٥٧ وحركات المقاومة بين المسلمين والهولنديين فى أندونسيا والمعارك الثلاث الكبرى بين الأفغان والاحتلال الانجليزى ومعركة ميسلون فى سوريا وثورة العراق . وقد انتصر الاحتلال فى هذه المعارك بالتآمر والخداع وبقواه الحربية الحديثة غير أن المسلمين فى أى بقعة من العالم الاسلامى لم يستسلموا إلا بعد أن نفذت ذخائرهم ولم يجدوا مفراً من التسليم . ولكن حركات المقاومة لم تتوقف ولم تلبث أن تحولت إلى مقاومة فكرية وجماعية تمثلت فى الجمعيات الاسلامية والهيئات والأحزاب ، وفى هذه المرحلة أخذت هذه الحركات طابعاً سياسياً واضحاً ، وقام عليها بعض الزعماء المدنيين ، هذه الحركات لم تتخل عن طابع

الاسلام فقد كان مفهوم المقاومة فى الاسلام هو الأساس للعمل وكانت روح الايمان بالله والوطن هى أساس أعمال هذه الهيئات ، ولم تتوقف مفاهيم الاسلام عن العمل من خلال الحركات السياسية ، ذلك أن الاسلام جماع بين الدين والسياسة والاجتماع والاقتصاد وأنه لا توجد لهذه الحركات طابعاً دينياً خالصاً ، منفصلا عن الطابع السياسى ، فالاسلام دين ونظام مجتمع ، جامع بين السياسة والدين معاً ولما كان الغرب حريصا فى السيطرة على مقدرات عالم الاسلام لعدة أسباب أهمها : ١ - أن يظل عالم الاسلام غير قادر على إمتلاك مقدراته ومقومات فكره التى تصنع دولة قوية قادرة متكاملة يخشى منها على الغرب نفسه.

٢ - أن تظل فى يد الغرب هذه المقدرات الاقتصادية المادية : البترول والثروات المكثفة .

٣ - المركز الاستراتيجى الذى يحوى مواقع هامة على البحرين الأبيض والأحمر وبين القارات الثلاث أوربا وآسيا وأفريقيا . هذا الحرص ، هو الخطر الذى ما يزال يواجه عالم الاسلام بمزيد من حركات الغزو ، وبحركات الصراع والتنافس بين الكتل المختلفة ، والايدلوجيات المتباينة حيث يبدو كأنه بوتقة للتيارات العسكرية الغربية والشرقية معاً ، ونظريات الفردية والجماعية على السواء . ومع ذلك فان العالم الاسلامى ما يزال يقاوم بصمود ولن يستطع الاستسلام لأن مقوماته الأساسية الأصيلة ما تزال تكون الأجيال وتدفعهم إلى الرباط والصمود . إن حركة المقاومة التى واجه بها عالم الاسلام الاستعمار كانت تنطلق من تحت مدافع الغرب ومن خلال حملاته المتوالية عسكرية وسياسية وفكرية ،وهى حملات لم تتوقف وإنما تتوالى بصور مختلفة وتدور حول غزو هذه القيم الفكرية والقضاء عليها بحسبانها هى مصدر القوة والقدرة على المقاومة ، ومن هنا تبدو أهمية حركات التبشير والتغريب والشعوبية المتصلة المستمرة وما تثيره من شبهات وما تحاوله من إيجاد الخلاف وتعميقه بين الفرق المختلفة ، والمذاهب المتعددة ولذلك فان قصور حركة الفكر الاسلامى والثقافة العربية عن مقاومة التغريب والغزو الفكرى وتمزقها هى مما لا يستغرب ، ذلك أن هذه الحركة لا تتم فى جو مطلق الحرية وإنما تتم من خلال سيطرة العدو الطاغية ، بواسطة أدواته وقواه وأقلامه وأجهزته الضخمة المتمركزة فى بعض الأقطار . وقد قاوم الغرب كلمة الاسلام ، والوحدة الاسلامية ، والجامعة الاسلامية ، والرابطة الاسلامية ، وحاول أن يجعل حركات الأقليمية أساساً للعمل ، كما أكد على الفصل بين الاسلام والمجتمع فى مجال القانون والاقتصاد والتعليم والسياسة . واتخذ من الأقليات فى كل بلد ذريعة للضغط فى

فى مجال تجميدمفهوم الاسلام . وقد خلق فى كل مكان مشاكل طائفية وتفرقة مذهبية وعنصرية وحزبية ، وأثار دعوات قديمة ماتت مع الزمن وأججها من جديد ، وأكدها بقوة القانون كما فعل بين المسلمين والنصارى فى مصر والبربر والعرب فى المغرب ، كما حرص على بقاء القبلية ودعمها ولم يسمح بانصهارها فى المجتمعات الكبرى، واتخذ من الطائفية القبلية أداة سياسية يدعم بها وجوده ، فقد احتضن الاستعمار فى مختلف أجزاء عالم الاسلام الأقليات وعمل على خلق شعور بكيان خاص لهم وفتح الباب للتبشير والارساليات والمدارس الدينيةوركز الاستعمار علىالفرق والمذاهبداخل عالم الاسلامعلى للضغط بها وأكدها وجمدها بحيث لا تنصهر .ولما كان مفهوم الاسلام هو الطابع الأساسى لكل حركات اليقظة والمقاومة معاً ، ولما كانت مختلف الحركات السياسية والاجتماعية إنما تدور فى إطار الفكر الإسلامى ، فقد عمد الاستعمار إلى بناء قوى تابعة له ، مؤمنة بفكره ، وأعطاها أماكن القيادة فى الوطن الاسلامى (بعد الحرب العالمية الأولى) وحرصت هذه القوى على ابعاد الاسلام عن موضع الفعل فى السياسة أو الاجتماع أو القانون أو التربية ، وبذلك فصل المدرسة عن المسجد والقانون عن الشريعة .

(٤)

ثورة الجــزائر

تعد ثورة الجزائر (١٩٥٤ - ١٩٦١) من علامات الأصالة الاسلامية والبطولة العربية وهى ثمرة من ثمار اليقظة العربية الاسلامية وعملا من أعمال المرحلة الجديدة الناهضة للأمة العربية فى عصر اليقظة . ولقد أدهش المراقبون فى العالم الغربى كله تلك الصلابة والاستمرار فى المقاومة ومواجهة القوات الضخمة وعمليات الابادة الفرنسية وردها الكثير من المؤرخين والكتاب إلى مصدرها الأصيل : قوة الايمان الروحى فى الاسلام وعمق الصلابة العربية ولا شك كانت ثورة الجزائر عملا خطيرا وضخما فى سبيل تحطيم النفوذ الاستعمارى والأدالة منه وأن قدمت مليوناً من الشهداء ولكنها حققت معنى رائعا سيكون بعيد المدى فى اليقظة العربية الاسلامية . فقد تمزقت كل دعاوى الاستعمار فى محاولة إدماج الجزائر فى فرنسا وأعلن أكثر من واحد من كتاب فرنسا ومؤرخيها وفى مقدمتهم (شارل أندريه جوليد) : أن هناك وحدة متكاملة من الجنس واللغة والحدود تجمع تونس والجزائر ومراكش

وأن سلسلة جبال الأطلسى التى تبدأ من المحيط الأطلسى من مراكش والتى تخترق الجزائر وتنتهى فى تونس من البحر الأبيض المتوسط تكون العمود الفقرى الذى يربط دول شمال أفريقيا الثلاث بعضها ببعض وتجعل منها وحدة فى الجنس واللغة والحدود الجغرافية وأن هذا الجزء من أفريقيا لا صلة من أى نوع تربطه بفرنسا كما أثبت غير واحد من المؤرخين أن سلسلة جبال الأطلس الممتدة عبر المغرب العربى وكثبان رمال الصحراء الدافئة والجنوب وأمواج البحر المتوسط من الشمال طبعت هذا الجزء من الدنيا بطابع واحد .ولم يذكر هؤلاء المؤرخين أن الاسلام فى الحق هو الذى أكد وحده العروبة فى المغرب كله وأنه هو الطابع الأصيل لها ، والذى يجمع بينها وبين الأجزاء المختلفة للائمة العربية . وقد انبثقت ثورة الجزائر من أشد مناطق الجزائر إيماناً بالاسلام وتعمقاً لفهمه ، وأن هذا الاصرار والثبات والعزم إنما مصدره هذا الإيمان الذى يؤكد الاسلام بالقتال دون الأرض والعرض والذمار وأن هذا المعنى هو «الخطر» الذى واجهه الاستعمار فى العالم الاسلامى كله وحاول بكثير من الأساليب القضاء عليه حين قاوم دراسات الجهاد فى المعاهد الاسلامية وحين أيد الدعوات القاديانية والبهائية القائلة بالاستسلام أمام النفوذ الاستعمارى وتقبله وكذلك حين أكد دعوات الغاندية والتولستوية من حيث أنها تفرض عدم المقاومة . ولقد عارض النفوذ الفرنسى مقومات الاسلام واللغة العربية فى الجزائر مقاومة ضخمة وبأساليب بعيدة المدى فى الفصل بين الجزائريين ودينهم ولغتهم ومنيت اللغة العربية فى الجزائر بمحنة شديدة كان منها القضاء على اللسان علامة القومية ، وكذلك القضاء على القرآن مصدر التشريع . وقد عمدت فرنسا إلى اعتبار الجزائريين فرنسيين بمقتضى دستور ١٧٤٨ واعتبار الجزائر فرنسية واعتبار اللغة العربية لغة أجنبية من الجزائر ومن خلال مناهج التعليم جعلت السلطات الفرنسية التعليم من رياض الأطفال إلى الفرق العالية باللغة الفرنسية وحدها وجعلت كل مدرسة تقوم بتدريس اللغة العربية فى عداد المدارس الأجنبية ، وكذلك الشأن فى الصحف وكل رسالة بريد تعنون باللغة العربية يكون مصيرها الاهمال . كما سجلت السلطات الفرنسية المدرسين الجزائريين الذين حاولوا أن يدرسوا لتلاميذهم تاريخ الجزائر العربية الفرنسية وكانوا يرون أن تاريخ الجزائر يجب أن يبدأ منذ عام ١٨٣٠ . وإذا كانت اللغة العربية قد أصيبت فى الجزائر بالضعف والتأخر ، فقد ظل الاسلام نفسه هو العامل الأقوى فى الحفاظ على الشخصية الجزائرية العربية المسلمة . وأمامى نصوص عديدة تؤكد هذا المعنى عن كتاب

فرنسيين ، ومن هنا ما يقوله (جاك بيرك) لولا الاسلام فى الجزائر لفقدت الشخصية الجزائرية ذاتيتها لأن ضغط الاستعمار ومفاسده كان يمكن أن يؤدى إلى إذابة الشخصية الجزائرية ولكن فكرة إذابة الشخصية الجزائرية فى الشخصية الفرنسية بما فيها من جاذبية لمن سحرتهم الحضارة الغربية من الجزائريين هى التى كونت الخط الأكبر من الشخصية الجزائرية فى المغرب » . إن هذه الظاهرة هامة وخطيرة ويجب أن تكون موضع تقدير الباحثين لقد كان الاسلام هو العنصر الفعال الحقيقى فى دفع الجزائريين إلى طلب الحرية « لقد أيقن الجزائريون منذ اليوم الأول للاحتلال أن هدف الفرنسيين كان القضاء على الاسلام ، من أجل ذلك أدركوا جميعاً أن عليهم أن يعتصموا بالاسلام حتى يقدروا على التحرر » . وردد هذا المعنى كثير من الباحثين المنصفين . « لقد قهرت الجزائر الغرب بالاسلام » لقد صمدت الثقافة العربية فى الجزائر : ويقول الاستاذ نعيم قداح « فرض على الجزائريين أن يتعلموا تاريخ الجزائر يبدأ من عام ١٨٣٠ وأن على الجزائرى أن يجهل كل شىء عن تاريخ العرب الحضارى فى بغداد وقرطبة وأن فيكو الايطالى هو واضع أسس علم الاجتماع لا ابن خلدون ، ودانتى لا المعرى ، ولامرتين لا عمر بن أبى ربيعة ، وكلود بانار وليس ابن سينا » .وقدجرت مناقشات مطولة بين مجموعة من الباحثين العرب حضرها (جاك بيرك) الذى عاش فترة طويلة فى الجزائر حول ثورة الجزائر ومفهومها الإسلام العربى : يقول الكاتب « لقد كنا نتفق على أن الإسلام قام بأكبر الأدوار فى المقاومة الجزائرية بل كدنا نتفق على أن الإسلام كقوة فكرية وروحية كان هو السياج الأخير والوحيد الذى لم يستطع الاستعمار الفرنسى أن يزيحه من طريقه ، فقد كانت الحرب الاستعمارية الفرنسية حرباً حضارية وجهها الاستعمار الفرنسى ضد اللغة والدين والتنظيم الاجتماعى وملكية الأرض وطريقة الإنتاج وقد استطاع الاستعمار أن يبدل اللغة العربية فجعلها اللغة الفرنسية واستطاع أن يحرق أرض الجزائريين (١٨٣٠ — ١٨٤٥) واستطاع أن يوزع هذه الأرض على المستوطنين الذين هاجروا معه ومع قواته وأساطيله ، ولم يكن الاحتلال الفرنسى غزواً واحتلالا فقط بل كان محاولة الاستبدال حضارة بحضارة وتنظيما اجتماعياً بتنظيم اجتماعى ولغة بلغة فلم تكن هذه الحرب لاستعمارية سوى حرب حضارية شملت الاقتصاد والأرض دعمت اللغة والدين وأصابت التنظيم الاجتماعى والفكرى ، ولكن ذلك كله لم يسهل مهمة الاستعمار الفرنسى فى الجزائر لأن المقاومة بدأت بإصرار الجزائريين من دعاة الإصلاح بالثبات على تعلم اللغة

العربية ، ولعل هذه الحملة التى بدأها مشايخ الجزائريين حين كانوا يجمعون الفرنكات القليلة لإقامة المدارس الابتدائية الإسلامية لتعليم الصغار مبادئ اللغة والقرآن ، كانت أول طلقات هذه الثورة الجارفة الشاملة . وخلاصة ما أُريد أن أقول إن الدفاع عن اللغة والإسلام كان هو الخط أو الخندق الرئيسى الذى لم يستطع عنده الاستعمار مزيداً من التوغل ومزيداً من العدوان .

وهكذا فإن ثورة الجزائر هى « إسلامية » فى بادئ الأمر ، ومن أعمق أعماقها ، فإن كانت المدن الساحلية والمدن الصناعية قد تقوضت وانهارت بأكملها أو انهار بعضها فإن هذا السياج الداخلى لم ينقب ولم يستطع عليه الاستعمار شيئاً . لقد تعرض إسلامهم للامتحان وانتزعوا إسلامهم من براثن حملة شديدة الوطأة كثيرة العدة رهين النوايا » .. وهكذايتضح أن الإسلام هو الذى حفظ العروبة والقومية والشخصية الجزائرية فى معترك الإذابة فى فرنسا ، ومن خلال هذه الجذور الأساسية القومية للقيم الإسلامية استحالت الشخصية الجزائرية على الموت والانصهار خلال أكثر من مائة وثلاثين عاماً حاول فيها الاستعمار الفرنسى محاولاته المتصلة ، محاولات القوى المسيطر ، للقضاء على « ذاتية الجزائر » وإذا كانت اللغة العربية قد أصابها التخلف إزاء خطة خطيرة ألغت المدارس العربية الإسلامية وأحلت محلها المدارس الفرنسية اللغة ، وقد أغلقت فرنسا نحواً من ألف مدرسة يدرس فيها ١٥٠ ألف طالب أو يزيد عندما احتلت الجزائر وأباحت للإرساليات التبشيرية أن تحل محل هذه المدارس وتطبق برامج أقل مافيها أنها ترسّم عظمة فرنسا وحضارة الغرب وتحط من قدر حضارة العرب والمسلمين وتدعو إلى ما تدعو إليه الإرساليات من تحويل المسلمين عن دينهم وقيمهم وتدمير مقومات فكرهم دفعاً لهم إلى الاستسلام أمام النفوذ الفرنسى وتقبله . والمعروف أن فرنسا لم تلبث فى الجزائر بعد احتلالها إلا قليلا حتى أخذت تخطط لاستيعاب الجزائر بحسبانها فرنسا الجنوبية ، كما أغرقتها بسيول من الكتب والصحف والاسطوانات والأفلام الفرنسية ، وأنشأت بعد عشر سنوات من الاحتلال مكتبتى (شبكس) و (هاشيت) برأس مال قدره ستة ملايين جنيه استرلينى عام ١٨٤٢ لتكون هذه نواة الحركة الثقافية الفرنسية فى شمال أفريقيا ثم أنشأت مراكز فى وهران للزحف على غرب الجزائر ، وفى قسطنطينة للزحف الثقافى على شرق الجزائر ، ولم يلبث أن أصبح (لهاشيت) ثلاثمائة مركز وأصبحت جريدة لموند توزع فى الجزائر ٧٨٠٠ نسخة كما توزع الفراقى سوار ١٣٦٠٠ نسخة . غير أن المقاومة

الصلبة العنيدة لهذا الإفناء للشخصية الجزائرية لغة وثقافة لم تصدر من الأحزاب السياسية المختلفة التى كانت تذهب وراء الألفاظ وتتحرك داخل إطار النفوذ السياسى الفرنسى وفيها من يدعى بأنه لا توجد للجزائر شخصية خاصة ، إنما جاءت المقاومة من خارج الدائرة التى والت النفوذ الاستعمارى ، جاءت من دائرة اليقظة الإسلامية التى بدأت فى الجزيرة العربية وامتدت إلى مصر والشام والأزهر وظلت تشق طريقها حتى تسلم رايتها فى الجزائر علامتها الإمام عبد الحميد بن باديس وزملائه البشير الإبراهيمى ومحمد المبلى وأحمد توفيق المدنى وغيرهم . فقد لمع هذا المجدد المصلح لمعان النجم وأشرق إشراق الفجر ووضع الكلمة التى رددتها الأجيال ولم تمت منذ ذلك اليوم ، والتى دحضت أكاذيب وادعاءات وأباطيل الاستعمار خلال مائة عام كاملة ، كانت كلمة ابن باديس : « إننا نرى الأمة الجزائرية موجودة ومتكونة على مثال ما تكونت به سائر أمم الأرض ، وهى لا تزال حية ولم تزل ولهذه الأمة تاريخها اللامع ووحدتها الدينية واللغوية ولها ثقافتها وتقاليدها ، هذه الأمة الجزائرية ليست هى فرنسا ولا تريد أن تصبح فرنسا ومن المستحيل أن تصبح فرنسا » .

بدأ ابن باديس عمله سنة ١٩١٣ فى صمت وخفاء وأناة حتى استطاع أن ينشئ جمعية العلماء المسلمين سنة ١٩٣١ ووجه جهده كله إلى التعليم العربى الإسلامى فى المساجد ، فى مواجهة سياسة فرنسا الاستعمارية التى تحاول أن تمحو العربية والعروبة والإسلام ، وبعيداً عن ضجيج السياسة وصراع الأحزاب ، بدأ وزملاؤه يعملون فى المساجد ويحمون لغة القرآن من الزوال حتى تم إنشاء مائة وخمسين مدرسة فى شرق الجزائر وغربها ولم تلبث فرنسا أن أحست بخطر عمله حتى بدأت تحاربه بكل وسيلة ولكنه كان قد دعم قوة لا سبيل إلى دحرها . واستيقظت اللغة العربية ودراسات الإسلام مرة أخرى على النحو الذى وصفه جاك بيرك وغيره والذى كان بعيد المدى فى حركة التحرر الجزائرية وثورة الجزائر . وهكذا رفضت الشخصية الجزائرية باستمرار وخلال قرن وثلث قرن ، رفضت الذوبان فى الإطار الفرنسى المفروض عليها فرضاً ، وقضى الاستعمار على اللغة ولكنه لم يقض على الإسلام . لقد طلبت فرنسا من الجزائريين أن يعتبروا أنفسهم فرنسيين ، بعد أن أخضعوا منذ ١٨٨٩ فى الأحوال الشخصية للقانون الفرنسى وكانت السلطات الفرنسية ترمى من وراء ذلك إلى السير بهم نحو « الإدماج » الكامل ، إلا أن الجزائرى كان مؤمناً بأنه ليس فرنسياً ، وهو مسلم قبل كل شئ وعندما فصلت فرنسا الدين عن الدولة فى ٢٧ أيلول سنة ١٩٠٧ لم ينفذ هذا القرار

بالنسبة للجزائر وبعد أربعين سنة من ذلك التاريخ كانت الدولة الفرنسية تدفع من خزانتها مرتبات لمائتين وتسعة وخمسين رجل دين كاثوليكي وبروتستنتي ويهودي . ولقد عمدت فرنسا أول ما عمدت إلى السيطرة على أوقاف المسلمين والسيطرة عليها ، ثم اتجهت إلى المساجد بحسبانها مراكز الإسلام فأجرت لها عملية تصفية أليمة ، وفي مدينة الجزائر وحدها ذات الـ ١١٢ مسجداً لم يبق منها إلا خمسة فقط وحول اثنان إلى كنائس وهدم الباقي ، وفي كل مكان حولت مساجد الجزائر إلى كنائس . ويروى القائد روفيجو مؤلف « الجزائر الثائرة » كيف حول أضخم مسجد في مدينة الجزائر إلى كاتدرائية الجزائر بعد أن هدم أربعة آلاف مسلم كانوا قد اعتصموا به . وفي أعقاب هذا العمل أتيحت الفرصة للمبشرين وتكونت جماعة الآباء البيض التي أنشأها الكردينال لافيجرى . وقد أشار إلى هذا مؤلف كتاب تاريخ الجزائر : « إن أول ضربة ضربها الاستعمار الفرنسي في الجزائر بعد تقويض أساس الدولة الجزائرية هي ضربة الأوقاف الإسلامية فكل المساجد الإسلامية والمؤسسات الإسلامية قد أصبحت ممتلكات الدولة الفرنسية الخاصة . فرجال الإفتاء وأئمة المساجد وسدنتها وقراء القرآن فيها يتقاضون أجورهم من الخزينة الفرنسية وهم موظفون تابعون لفرنسا لا يتسلمون عملهم إلا إذا قدموا للاستعمار ما يوجب رضاه » . وهكذا مضت الحملة الاستعمارية الثقافية وخطة التغريب لتقضى على الأمة الجزائرية واللغة العربية والإسلام في الجزائر جميعاً وتغلبت اللغة الفرنسية بعد أن حوربت العربية حرباً متصلة لم تنقطع ولم تفتر استخدمت فيها كل الأسلحة . وعلى رأس المائة من أعوام الاحتلال حيث بدأ الاستعمار يحتفل بالإدماج الكامل للجزائر كان صوت عبد الحميد بن باديس وجميع العلماء المسلمين يؤكد في قوة وجهارة أن الجزائر عربية مسلمة وأنها تستحيل على الفناء في الوجود الفرنسي .

وكان هذا علامة ضخمة في تاريخ الإسلام الحديث لها أثرها العميق ومداها الواسع مقدمة حرب ضروس استمرت سبعة أعوام من أجل بقاء « الذاتية الجزائرية العربية الإسلامية » ويرى كثيرون وفي مقدمتهم جاك بيرك أن اللغة العربية (الفصحى) أو الكلاسيكية هي التي حملت الجزائر من الانصهار ، يقول بيرك : « إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية ، بل اللغة العربية الكلاسيكية الفصحى بالذات فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا » . كيف كان ذلك ! . يقول « لقد كان للمستعمر قوة مادية مدهشة ، واقتصاديات عالية ، ومدينة جذابة ومع ذلك يلاحظ أن شيخ علماء

الجزائر الذى كان يعتبر نفسه رجلا غير سياسى ، وكان يتجنب السياسة ويقولون عنه فى الجزائر إنه شخص جاد أكثر من أى شخص آخر ، كان هذا الرجل من أعظم رموز مقاومة الاستعمار فإن صحت هذه الدعوة المعنوية الثقافية بل أقول الرمزية كانت أقوى العوامل فى النهوض الحقيقى لشعب الجزائر . إن الكلاسيكية العربية هى التى بلورت الأصالة الجزائرية وقد تركت هذه الكلاسيكية العربية عاملا قوياً فى بقاء الشعوب العربية » . ويبدو هذا الدور حقيقة ممثلا فى خطاب ابن باديس عام ١٩٣٧ قبل وفاته بسنوات ثلاث الذى ألقاه فى جمعية العلماء حيث يقول : « حوربت فيكم العروبة » حتى ظن أن قد مات منكم عرقها ونسخ منكم نطقها فقمتم بعد قرن تصدح بلابلكم بأشعارها فتثير الشعور والمشاعر وبهدر خطبائكم بشقائقها فتدك الحصون والمعاقل ويهز كتابكم أقلامها فيصيب الكلاوالمفاصل . * حورب فيكم « الإسلام » حتى ظن أن قد طمست أمامكم معالمه وانتزعت عقائده ومكارمه ، فجئتم بعد قرن ترفعون علم التوحيد وتنشرون من الإصلاح لواء التجديد وتدعون إلى الإسلام كما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لا كما حرفه الجاهلون وشوهه الدجالون . * وحورب فيكم « العلم » حتى ظن أن قد رضيتم بالجهالة فجئتم بعد قرن ترفعون للعلم بناء شامخاً وتشيدون له صرحاً شاهقاً فأسستم على قواعد الإسلام والعروبة والعلم جمعيتكم ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . * وحوربت فيكم الفضيلة فسمتم الخسف ورميتم بالصغار حتى ظن أن قد زالت منكم المروءة والنجدة وفارقتكم العزة والكرامة ، فجئتم بعد قرن تنفضون غبار الذل وتهزون أسس الظلم ، وتزمجرون زمجرة العزيز المهان وتطالبون مطالبة من يعرف أن له حقاً لا بد أن يُعطاه أو يأخذه . نعم ، نهضنا بعد أن صهرنا بنار الفتنة والابتلاء ، وقارعتنا الخطوب ودافعتنا ودافعناها . « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » . نعم نهضنا بعد قرن ، بعد ما متنا وأُقبرنا ، أُحيينا وبُعثنا ، سنة كونية فقهناها من القرآن ونعمة (ربانية) لقيناها من الملك الديان ، نعم نهضنا نهضة بنينا على الدين أركانها فكانت سلاماً على البشرية . العروبة والإسلام والعلم والفضيلة هذه أركان نهضتنا ، وأركان جمعية العلماء ، فما زالت هذه الجمعية منذ كانت تفقهنا فى الدين وتعلمنا اللغة وتنيرنا بالعلم وتحلينا بالأخلاق الإسلامية وتحفظ علينا جنسيتنا وقوميتنا وتربطنا بوطننا ، وما كانت جمعية العلماء حتى كان العلماء القرآنيون الذين فقهوا الدين والدنيا بفقه القرآن وعرفوا السنن الأقوم بمعرفة سنة محمد صلى الله عليه وسلم وهدوا واهتدوا بما كان عليه السلف الصالح . إن الإسلام عقد

أجتماعى عام فيه جميع ما يحتاج إليه الإنسان فى جميع نواحى الحياة لسعادته ورقيه ، وقد دلت تجارب الحياة كثيراً من علماء الأمم المتمدينة على أنه لا نجاة للعلم مما هو فيه إلا بإصلاح عام على مبادئ الإسلام » ا . ﻫ . هذه هى علامات التحول التى حققتها الدعوة الإصلاحية القائمة على الإسلام واللغة العربية وهى أرضية الثورة الجزائرية والحرية ، ومن خلال هذه الحركة برزت الشخصية الجزائرية « عربية مسلمة » بعد أن ظن الاستعمار أنها انتهت ، وكان ذلك مقدمة طبيعية للثورة المسلحة التى حققت « الذاتية الجزائرية » بعد سبع سنوات من الجهاد والاستشهاد . ولقد استطاع النفوذ التغريبى الثقافى الفرنسى المسيطر أن يخدع بعض المثقفين الجزائريين عن جوهر شخصيتهم وعن حقيقة وجودهم العربى الإسلامى فترة من الزمن حين ظنوا أن أوربا هى كل شىء ، وأن الجزائر ليس لها وجود ذاتى منفصل عن فرنسا ؟ ولكن كثيراً من هؤلاء الزعماء قد رجعوا عن آرائهم وعادوا إلى الإيمان بالشخصية الجزائرية « عربية إسلامية » ، وكان لجمعية العلماء أثرها القوى فى تصحيح هذه المفاهيم . وفى مقدمة هؤلاء عباس فرحات الذى قال فى كتابه (الظلمة الاستعمارية) إن الجزائر بلد عربى ومن ذا الذى ينكر هذه الحقيقة ، وهى أرض إسلامية أصلة وذلك حق أيضاً ومهما يكن من إرادة الإمبريالية فى الماضى والحاضر فإن هذه الظاهرة التاريخية تظل صادقة تمام الصدق » . ومن أعماق جبال أوراس اندلعت الثورة ، من البيئة التى كانت أكثر تمسكاً بالإسلام ، ومن حق أن يقول « مالك بن نبى » ، من العقيدة الإسلامية نفسها إنطلقت ثورة الجزائر وكانت العقيدة الإسلامية نفسها المحرك والدافع الكبير للتيار الثورى فى الجزائر . ويؤكد هذا المعنى عمار وزقان فى كتابه (الجهاد الأفضل) حيث يشير إلى أن الفكر الجزائرى المشبع بروح الإسلام لم يفقد نفسه فى غمار التيارات الفكرية الدولية . « بل إن احتكاكه بهذه التيارات لا يزيده إلا اطلاعاً على مظاهر الحقيقة والزيف فيها وتدعيم الإيمان بقيمه المثل والمبادئ التى تحتضنها حضارتنا العربية الإسلامية » . ويقول : إنها لمفارقة واضحة أن يكون الولاء للإسلام الذى اضطهده الاستعمار واستخف به هو الأكثر ثورية بالفعل على الصعيدين الديالتيكى والتاريخى وأن حركة الإصلاح الدينى حركة نهضة إسلامية ذات طابع ثقافى وسياسى وتستهدف القضاء الاجتماعى (الاستعمارى) « وأنها كانت منهجاً يتلخص فى هذه الصيغة الأخاذة » . « الإسلام ديننا . العروبة لغتنا . الجزائر وطننا » . وكان

سر الرسالة القومية لحركة الإصلاح الجزائرى يكمن فى الترابط العضوى بين هذه الكلمات الثلاث .

ويصور الكاتب كيف عملت حركة الإصلاح التى قادها ابن باديس على **تصفية العيوب** الاستعمارية للمجتمع الجزائرى ففتحت الطريق إلى اليقظة حين صفته من : « **البدع** . الجمود . القدرية . السلبية . الخرافة » . وقد حاول المؤلف أن يقدم تفسيراً لتغلب « اللغة العربية » على « اللاتينية » فى أفريقيا وقال : إن العقلية البربرية ليست غريبة إلى الحد الذى يظن عن اللغة العربية . وقال : إن التجربة البربرية التى أجراها الاستعمار كنزعة للتجزئة قد فشلت على الصعيد الاجتماعى والفكرى والسياسى . ويصور عمار وزقان — بوصفه أحد المشتركين فى قيادة الثورة الجزائرية — دور الإسلام فيها فيقول « إن موقفنا إزاء الإسلام لا يختلف لأننا ثوريون مرتبطون بالشعب ، وذلك أن رفض الأيدلوجية الإسلامية فى بلاد مستعمرة يضطهدون الأكثرية الساحقة فيها هو علامة تجدد أخرى تنادى به فئة منفصلة منفصلة عن الشعب غريبة الحياة والفكر امتصتها أو شلتها أيدلوجياً العدو المستعمر » . ثم يشير إلى دور التغريب فى العالم الإسلامى فيقول : تستعجل العقلية العصرية كثيراً فى توديع الأديان كلها توديعاً مأتمياً دون أن تدرك أن الأيدلوجية الإسلامية ليست مختصرة بل هى فى كامل اندفاعها وحركتها . ويبدو مفهوم الشخصية الجزائرية واضحاً فى ميثاق الجزائر عام ١٩٦٤ . « إن الجزائر بلد عربى إسلامى ولذا فإن هذا التحديد ينفى أى رجوع إلى مقاييس عرفية ويتعارض مع كل انتقاص من الإسهام السابق على الفتح العربى . ورغم تجزئة العالم العربى إلى وحدات جغرافية أو اقتصادية مميزة فإن عوامل الوحدة المكونة من تاريخ وثقافة إسلامية ولغة مشتركة ظلت تحتل المقام الأول . فالجماهير الجزائرية العميقة الإيمان قاومت بصلابة لتخليص الإسلام من كل الشوائب والخرافات التى خنقته أو شوهته وناهضت دائماً الدجالين الذين كانوا يريدون أن يجعلوا منه مذهباً للخنوع والتوكل وربطه بإرادتها من إنهاء استغلال الإنسان للإنسان . وعلى الثورة الجزائرية أن تعيد إلى الإسلام وجهه الحقيقى ، وجه التقدم ، إن الجوهر العربى الإسلامى للأمة الجزائرية قد شكل حصناً منيعاً ضد تهديمها من طرف الاستعمار » .

(٥)

جذور الوحدة العربية

قلنا فى كتابنا « الإسلام وحركة التاريخ » إنه حين ضعفت حركة قائدة فى العالم الإسلامى نبعت من مرحلة الضعف « حركة يقظة جديدة » ، وهى هذه المرة من قلب الأمة العربية ، وقد كانت ارهاصاً لنهضة ما زال مدها يزداد كل يوم قوة ، وهى على الطريق إلى غايتها تصارع قوى كثيرة تحاول أن تعوقها أو تحولها عن جوهر فكرها ومضمونه ، وهى فى نفس الطريق وبالرغم من كل التحديات فهى شأنها دائماً مفتوحة الآفاق على الثقافات العالمية والفكر الإنسانى تأخذ منه ما يتفق مع مقوماتها وما يزيدها قوة على الحركة والتقدم كما هى معطية دوماً لا تتوقف عن منح الإنسانية من ثمار فكرها الإيجابى البعيد الأثر فى تكوين الحضارة الحديثة والفكر البشرى . والأمة العربية اليوم تواجه تصفية عصر الاستعماروتواجه تحديات النفوذ الثقافى والتغريب فلا تستسلم له وتقاوم أخطر تحديات الاستعمار فى تاريخها وتاريخ العالم الإسلامى وهو « الغزو الصهيونى » المدعم بالنفوذ الاستعمارى الذى أقام فلسطين حاجزاً بشرياً بين شطرى الأمة العربية وبين قارتى أفريقيا وآسيا وفى قلب العالم الإسلامى وما زالت الأمة العربية تواجه وجوده بالمقاومة خلال أكثر من عشرين عاماً. ولا شك كان لهذا الوجود الصهيونى فى فلسطين منذ ١٩٤٨ وفى القدس بالذات ١٩٦٧ أبعد الأثر فى حركة المقاومة واليقظة التى تواجهها الأمة العربية من خلال ثوراته المختلفة واتجاهه إلى بناء كيانه بناء قادراً على الصمود فى وجه التحدى الزاحف من خلال السياسة والاقتصاد والاجتماع . ولذلك فقد أصبحت الدعوة إلى الوحدة العربية التى كانت مطمح الأمة العربية منذ انفصلت عن الدولة العثمانية — أصبحت هذه الدعوة ضرورة محتومة للتجمع فى وجه النفوذ الصهيونى والمطامح الاستعمارية الدولية . ولقد استغرقت السنوات الخمسة عشر الأخيرة من عمر الأمة العربية محاورات مفتوحة حول مفهوم هذه الوحدة وفلسفتها ومداها ومضمونها السياسى والاجتماعى وذلك بعد أن تبنت هذه الدعوة معظم الأمم العربية فى دساتيرها وفى هيئاتها السياسية وتشكيلاتها الحزبية ، وقد كان لمصر بعد عام ١٩٥٦ حين اعترفت بارتباطها بالوجود العربى وعملت فى حقه عملا إيجابياً قيادياً أبعد الأثر فى دعم فكرة الوحدة واقترابها من مرحلة التحقيق حيث قامت أول تجربة للوحدة بين مصر وسوريا ١٩٥٨ ثم توالت التجارب بين

مصر وسوريا والعراق . ولقد كان مفهوم الوحدة العربية الذى انبعث من القاهرة أعمق مفاهيم هذه الوحدة وأقربها إلى التطور الطبيعى والتشكيل الجذرى المرتبط بالقيم الأساسية للأمة العربية والثقافة العربية ، فقد كان منبعثاً انبعاثاً طبيعيا بعيداً عن جميع المحاولات التى تريد أن تغرقه فى طوفان المفاهيم الغربية أو تنتزعه من جذوره وقيمة وأصالته . وكان إلى ذلك بعيداً عن ما يحمله مفهوم القومية فى بلاد كثيرة من الاستعلاء الجنسى أو العنصرية أو التعصب أو المفاخرة العصبية . وقد حافظت مصر بفهمها للوحدة العربية على مكانتها فى العالم الإسلامى بحسبانها واجهة حامية للتراث الإسلامى حيث يقوم فيها الأزهر ، وحيث تغذى عشرات الأقطار الإسلامية فى أفريقيا وآسيا بهذا التراث . وبذلك بعدت عن القومية فى مفهومها العنصرى الحاد الذى يبلغ مرحلة العقائد أو يحل محلها ، وبعدت أيضاً عن المفهوم العلمانى الذى يفصل بين القومية وبين القيم الروحية وبين الدين أو بين الإسلام نفسه الذى كان دوماً ديناً وفكراً جامعاً . لقد كانت النزعة القومية ضرورة طبيعية فى العالم كله ، وقدفرضت نفوذها فى العالم الإسلامى فظهرت القومية الأندونوسية والقومية التركية والقومية الباكستانية ولكنها فى ذلك كله كانت تحافظ على جذورها وروابطها التى تربطها بالإسلام باعتباره مصدراً أساسياً للفكر والثقافة . وفى مفهوم الوحدة العربية كان العاملان الأساسيان لها وهما اللغة والتاريخ ، اللغة لسان الأمة والتاريخ ذاكرتها ، كان هذان العاملان مرتبطين أشد الارتباط بالإسلام والفكر الإسلامى . أما الذين قالوا بأن الدين ليس عاملا من عوامل القومية فإنهم صدقوا من حيث أرادوا « الدين » بمفهومه اللاهوتى والعبادى الذى يفرق بين أصحاب الأديان المختلفة ، أما بالنسبة للإسلام فالقول بأنه دين فحسب إنما هو خطأ شائع ، أو ظلم مقصود ، فالإسلام له جانبه الروحى والعبادى وهذا خاص بالمسلمين ولكن للإسلام جوانبه الأخرى فى مجال الفكر والثقافة والتاريخ والتراث وهذه الجوانب كلها ليست ملكاً للمسلمين وحدهم ولا تمثل تقاليدهم وقيمهم وحدهم ولكنها تمثل قيم « الشرق » كله ، والشرق هنا هو كل ما ليس من العالم الغربى ، هذا الجانب الضخم من التراث الفكرى والثقافى هو « أرضية » أصيلة وجذور عميقة للوحدة العربية .

والأمة العربية حين ينبعث وجودها على هذا النحو البعيد عن المفهوم الغربى العلمانى وحين ينبعد أيضاً عن التعصب الإقليمى أو الاستعلاء العنصرى فإنه لا يجد من الخصومة أو الصراع أو المخالفة للقوميات الإسلامية الأخرى بل يلتقى معها فى الأصول والجذور والقيم الأساسية

والمعالم الكبرى . لقد حاول الاستعمار أن يستفيد من حركة الوحدة العربية من أجل تمزيق الروابط التى كانت تجمع العالم الإسلامى وتربط بين العرب والترك والفرس ولكن عوامل جديدة أخذت فى إحياء هذه الروابط ودعمها من جديد . وكانت الدعوة إلى الوحدة العربية بعد الحرب العالمية الثانية عاملا هاماً فى القضاء على الدعوات الأقليمية التى أرثها النفوذ الأجنبى فى مرحلة ما بين الحربين ، وكان عودة إلى التقاء الأمة العربية فى فكر موحد على الأصول الأساسية والقيم والجذور الثابتة وعلى نحو ما كان يفهمه دعاة الوحدة العربية القدامى وقريباً من مفهوم محمد عبده وشكيب أرسلان ومحب الدين الخطيب وعبد العزيز جاويش وشجباً للدعوة التى برزت فى الأربعينات واستشرت بعد ذلك محاولة فصل العروبة عن روابط الفكر الإسلامى وقيمه . والتماس مفهوم القومية الغربى المجرد الذى يفصل الأمة عن جذورها . وفى أوربا كانت المسيحية غريبة عن طبيعتها وتاريخها ، ولم تكن إلا عقيدة أخلاقية وتعبدية صرفة ، وفى نفس الوقت لم تتصل أصولها بلغاتهم ، ولم تمتزج بتاريخهم . أما بالنسبة للاسلام فان الأمر يختلف إختلافاً جوهرياً فهو ليس أخلاقاً أو عقيدة أخروية أو تعبدية وإنما هو منهج حياة شامل متصل بمختلف أمور السياسة والاجتماع والاقتصاد ، وهو ليس مرحلة تاريخية فى حياة الأمة العربية يمكن أن يقال أنها إنقضت ، ولكنه يربط التربة بالجذور حيث يختلط التراث والتاريخ واللغة بين الأمة العربية وبين الإسلام نفسه وتتداخل على نحو يصعب التفريق فيه بين العروبة وبين الاسلام فهو للمسلم دين ومنهج حياة وللمسيحى ثقافة قومية ومصدراً لمقومات الفكر والشعور والذوق والحياة . «فعلاقة الإسلام بالعروبة ليست إذن كعلاقة أى دين بأى قومية » . ولقد تكشف للأجيال الحديثة أن الفرعونية كانت من موجات الأمة العربية وكذلك كانت الفينيقية والبربرية فى بعض أقوال علماء الاثار والمؤرخين وبذلك لم يعد هناك تعارض فقد انصهرت الموجات القديمة بعد الاسلام وتبلورت وتلاقت واضحى الاعتزاز بالتاريخ الفرعونى فى مصر لا يتعارض مع العروبة أو الاسلام إلا من حيث اتصاله بالوثنية أو تيارات الفكر التى قضت عليها دعوة التوحيد ، فهى مقبولة من حيث الشكل التاريخى ولكنها متعارضة إذا قدمت على أنها ثقافة خالصة ، وكذلك مختلف الدعوات والتيارات فقد صهر الاسلام الأمة العربية فى كيان موحد ، وصهر الفكر الشرقى فى بوتقته وتشكل من جديد . والاسلام لا يعارض وجود الامم وغيرها ، ولكنه يعارض صراعها وقيام الخلافات التى تحول دون تحقيق « الوحدة

الانسانية» والالتقاء الفكرى والروحى للأمم البشرية المختلفة . والنفوذ الاستعمارى دائماً من وراء عملية التمزيق والتفرقة بين الأمم ووراء التناحر والصراع بين القوميات . وللوحدة العربية أهميتها فى مجال التحدى الذى يواجه العالم الاسلامى اليوم مع الاستعمار وبالنسبة لأخطر قوى هذا التحدى وهى «الصهيونية» فى فلسطين ، ولقد تنبه إلى هذا المعنى كثير من زعماء الاسلام ومفكريه وأعلنوا فى وضوح ضرورة قيام الوحدة العربية كأساس للأخوة الاسلامية فالأمة العربية هى مبعث الاسلام ولغته وقرآنه ، وهى الأمة التى حملت لواءه إلى العالمين ، وهى جغرافياً وسياسياً وتاريخياً موئل العالم الاسلامى النابض ، والأمة العربية وما تزال هى الأمل فى رفع راية الاسلام والحفاظ عليه ونشره . ولقد ظلت مصر تلتمس لنفسها طريقاً منذ أوائل النهضة الحديثة حتى اهتدت إليه «وطنية مصرية» ذات جذور ترتبط بالأرض ، «و«عروبة» ترتبط بالأمة واللغة ، و«اسلاما» هو أساس الفكر والثقافة. وقد ارتفعت صيحات كثيرة بالدعوة إلى الفرعونية ولكنها عجزت أن تجد لها ثقافة أو فكراً أو منطق حياة،ولم تلبث الدعوة إلى الفرعونية أن اصطدمت بالوثنية بعدأن غمر التوحيد مصر ثلاثة عشر قرناً . وقد تخطاها أغلب المنصفين الذين دافعوا عنها وعرفوا بعدها الطريق الأصح مقدمة هؤلاء دكتور محمد حسين هيكل . ولقد كانت زعامة الأمة العربية دوماً تستمد مقوماتها الصحيحة من المؤمنين بتراثها المرتبطين بتاريخها الممتد ، ولذلك فقد سقطت دعوات القومية التى حاولت أن تفصل الأمة العربية عن مقومات اللغة والتاريخ وجذورهما الثقافية ، وبدأت الآراء المتعددة تنصهر الآن فى مفهوم سمح بعيد عن ذلك الجفاء المصطنع للفكر الإسلامى الذى أوجده بعض دعاة المفهوم الغربى للقومية ، ذلك أن الثقافة العربية التى تتمثل بأبرز صورها فى التاريخ إنما هى وليدة أصيلة للفكر الاسلامى فلا تمكن أن تنفصل عنه . وواضح أن النفوذ الغربى وحركات التغريب قد حاولت بالنسبة للوحدة العربية محاولتين : حاولت بالدعوة إليها «أولا» الفصل بين العرب والمسلمين فى كيان الدولة العثمانية الوحد ، فلما قامت الوحدة العربية ذات أصالة كقوة للمقاومة والوقوف فى وجه النفوذ الغربى فقد اتجهت الحركات والدعوات إلى محاولة تصفيتها من مضمونها الثقافى الاسلامى العربى الأصيل ، ولذلك حتى لا تلتئم هذه الوحدة لتكون قوة كبرى فى وجه النفوذ الأجنبى . ومن هنا تظهر كل هذه المحاولات التى ترمى إلى التشكيك فى التاريخ أو هدم اللغة الفصحى أو بعث العامية أو اغراق الثقافة العر ية باليونانيات الوثنية أو

الفرعونيات أو العربيات الجاهلية السابقة للاسلام ، وكلها عوامل تفرقة ومحاولات للتجزئة ولتعميق الأقليمية ودعمها . وهى محاولات يائسة ضد حركة التاريخ نفسه الذى يتجه إلى توحيد الأجزاء وإلى التجمع والالتقاء بين العناصر ذات الأصول الواحدة . لقد قامت الحركات القومية فى الغرب فى محاولة التخلص من نفوذ الكنيسة والاقطاع ، ولكن الحركات القومية فى العالم الاسلامى إنما تقوم فى محاولة التخلص من النفوذ الاستعمارى الغربى فى صوره المختلفة ولذلك فهى تعتمد أساساً على مقوماتها التى حققت لها النصر فى مختلف معارك المقاومة وصدامات الصليبيين والتتار والقوى الزاحفة ، ولقد كانت القيم الأساسية المستمدة من الاسلام والعروبة هى مصدر القوة والصمود وآخر هذه الصور إنما تتمثل فى معركة الجزائر . وإذا كان للغرب نظرية فى القومية فانها مستمدة من ظروفه ووجوده وكيانه ولابد أن يكون للعرب والقوميات فى العالم الاسلامى نظريات مستقلة مستمدة من ظروف هذه الأمة وكيانها وقيمها الأساسية ، وإذا كانت نظرية القومية الغربية قد رفضت الدين الغربى فليس ذلك مساوياً للمفهوم الذى يقول بأن نظرية القومية العربية لابد أن ترفض الدين ، لأسباب عدة أهمها أن الاسلام ليس ديناً لاهوتياً تعبدياً بالمعنى الذى رفضت به أوربا الدين المسيحى وليس للاسلام قوة تتمثل فى شيء مثل الكنيسة الأوربية التى قاومتها الدعوة القومية فى الغرب وكل ما أورده ساطع الحصرى وغيره فى هذا الصدد لم يكن فيه متحرياً جوهر الحقيقة ولم يكن متمثلا مفهوم الفكر الاسلامى فى شموله وتكامله . وقد تجاوزت الثقافة العربية فى تطورها نظريات ساطع الحصرى وغيره فى ظل الايمان بقيمها . ولقد حاول الغرب دائماً أن يفرض نظرياته ومفاهيمه على هذه المناطق الواقعة تحت نفوذه الاستعمارى والسياسى ، ولقد آن للعالم الاسلامى والأمة العربية أن تتحرر من التبعية للنظريات الغربية أو المفاهيم الغربية للقيم المختلفة . وقد أشار أرنولد توينبى إلى هذا المعنى حين قال إن طغيان الغرب يتجلى فى تحويل تجاربه إلى قوانين عامة للجنس البشرى ، فالعالم عند الغرب هو مادة الحضارة للجنس الأبيض الممتاز . والمعروف أن الاستعمار هو الذى قضى على الوحدة الاسلامية وهى فى طريقها إلى الدعم ، محاولا أن يحل بدلا منها الدعوة العربية المرحلية فى مقدمة الدعوات الأقليمية والتجزئة ، ولكن الوحدة العربية تمت فى ظل تحديات قضية فلسطين . ولذلك فقد حاول الاستعمار حين أيد قيام جامعة الدول العربية إلى تأخير وجودها الحقيقى ، وذلك بوضع العقبات فى طريقها ، ولكنها اليوم بعد أن قطعت مراحل

متعددة ، وتغلبت فى عقبات كثيرة تحاول أن تحقق التئاماً وتقارباً فى مجالات مختلفة كالمجال والتربوى والثقافى الاقتصادى .

الباب الرابع

حركات الإصلاح فى العالم الاسلامى

الدعوات الاسلامية

تتمثل اشارة اليقظة فى العالم الاسلامى فى صيحة المصلحين لالتماس المفاهيم الأساسية للإسلام بحسبان أن مرحلة الضعف والاستعمار إنما ترجع أساساً إلى أن فقدان المسلمين قوتهم وكيانهم إنما جاء نتيجة فقدانهم لقيمهم الأساسية التى تحمل طابع التأهب الدائم والحرص المستمر فالمسلمون فى رباط دائم إزاء عدو قائم(ودالذين كفروالوتغفلون عن أمتعتكم واسلحتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) ومن هنا فقد كان الجهاد فى مفهومه الشامل الكامل تأهب كامل ورباط دائم وتجدد مع الزمن فى أساليب الدفاع والمقاومة .تلك هى الدعوة التى حمل لواءها المصلحون طوال عصور تاريخ الاسلام ، وهى مفتاح اليقظة فى مختلف المراحل التى تتوالى على المسلمين . ومنذ أوائل القرن الثالث عشر الهجرى دخلت الدولة الكبرى التى تحمل لواء الاسلام فى مرحلة الضعف بعد أربعمائه عام من النضال والمقاومة وقفت خلالها فى وجه الزحف الأوربى المتربص ، غير أن تخلف المسلمين ممثلا فى قيادتهم السياسية عن سنن الكون وضعهم فى موضع الضعف ووضع عدوهم فى موضع القوة ، ومن ثم تحول الميزان فأصبحوا فى منطقة الظل واستطاع خصمهم أن يطوق عالمهم على مهل خلال القرون الخامس عشر والسادس عشر والثامن عشر الميلادى ، وإن يشد الحبل فى القرن التاسع عشر حيث سقطت وحدات العالم الاسلامى واحدة بعد أخرى فى يده . نعم استطاعت الدولة العثمانية أن تحمى منطقة ضخمة هى منطقة شرق البحر الأبيض والعالم العربى،وأن تصمدفيهاللمقاومةولكن عالم الاسلام الممتدعبرأفريقياوالهندوأندونيسيا قد أتاح للنفوذ الأجنبى فرصة واسعة فى الإيغال هناك حتى وصل إلى حدود الصين ، ومكن لنفسه فى أرخبيل الملايو وشواطىء أفريقيةوالشرقية وفى الهند نفسها ، وكان له نفوذه فى قلب إيران حيث كانت الحرب سجالا بينها وبين تركيا غير أنه يمكن القول بصدق أن جميع بواعث اليقظة فى عالم الاسلام كانت نابعة أصلا من تقدير كامل لموقف الضعف الذى يمر به المسلمون ، وفى كلا المنطقتين اللتين علت فهما صيحة اليقظة والتجديد. كانت منبثقة من أعماق الأمة الاسلامية وفى كلا الحركتين

ظهرتا فى الهند وفى الجزيرة العربية كانت الدعوة إلى الاصلاح تصدر عن الاحساس بأن طوابع الفكر الاسلامى قد بهتت وأصبحت فى حاجة إلى الانفصال . ويمكن القول أن دعاة الأصلاح فى الهند ممثلين فى السر هندى١٦٣٤م. ١٠٣٤ ه والدهاوى ١٧٦٢ م١١٧٦ ه قد سبقوا دعوة التوحيد التى حمل لواءها الإمام محمد عبد الوهاب فى قلب الجزيرة العربية غير أن نجم دعوة التوحيد ما كاد يبزغ ، وصوتها يعلو من حول الكعبة حتى هزت العالم الاسلامى كله وأصبحت مصدراً لكل ما تلاها من حركات أيا كان نوعها ومصدرها ، سواء الفكرية الخالصة منها أو السياسية أو الوطنية وذلك فى تصحيح مفاهيم الاسلام ، لا غرابة فى ذلك ، كان الاسلام ولا يزال جامعاً متكاملا بين السياسة والاجتماع والوطنية والثقافية والتربية ، فكل الحركات فى أى وحدة من هذه الوحدات إنما تتصل بالكل وتؤثر فيها . والواقع أن حركة «السرهندى» إنما كانت محلية أساساً ، وكانت تهدف إلى إصلاح أداة الحكم ونظام المجتمع فى الهند بعد أن أوغل فى الانحراف بدعوة «أكبر» إلى توحيد الأديان رغبة فى تاكيد نفوذه وهو فى تقدير كثير من الباحثين مجدد الألف الثانى (٩٧٧-١٠٣٤) وقد رأى ما صارت إليه الدعوة الاسلامية من انحطاط وتقهقر بسبب اهتمام الحكام المسلمين بتوطد نفوذهم ، وكان جهاده أساساً ينصب على مناصحة الأمراء والحكام ومحاربة البدع والمنكرات والعقائد الفاسدة ، والمجاهدة فى الكشف عن بدع وأباطيل العلماء ، وتحرير ما ابتدعوه ونسبوه إلى الاسلام ومهاجمة الصوفية الذين تأثروا بفلسفة البراهمة والأقطار والأخرى غير الاسلامية . وقد رفض فكرة وحدة الوجود والحلول والاتحاد ، ودعا التصوف الاسلامى الخالص المستمد من المنابع القرآنية . ظل السرهندى يقاوم ظل دعوة الامبراطور أكبر إلى ماأسماه الدين الالهى المبنى على تلفيقات من الاسلام والهندوكية. وقد قاوم ذلك السهر هندى، واستطاع فى خلال حكم ابنه (جهابكير) ١٠٩٤ ه (١٦٠٥) م أن ينجح إذ وجد رأيه تقبلا قوياً لدى الحاكم فالغى الكثير من البدع وفى مقدمتها الأمر بالسجود أمام الملك . وإيجاد التقويم الهجرى بعد أن حل محله التقويم الإلهى الذى يبدأ تاريخه بجلوس الامبراطور أكبر . ويعد «السرهندى» نقطة تحول فى تاريخ الاسلام فى الهند فى العصر الحديث وإرهاصا بحركات الاصلاح المتعددة التى جاءت بعده (توفى ١٠٣٤) أما «الدهلوى» فقد جاء بعده بقرن كامل . كان دوره أشد خطراً وعمقاً ، وكان أثره الفكرى أبعد مدى من أثره الاجتماعى فقد «أصل» الفكر الاسلامى وواجه به مجدداً تحديات المرحلة الحاسمة التى كانت تمر بها

الهند وهى فى طريقها إلى السيطرة البريطانية . كان عمله الأكبر هو تصحيح مفهوم التوحيد الاسلامى والدعوة إلى الاتصال المباشر بالكتاب والسنة ونشر علم الحديث ، وبيان أساليب الاسلام وأسسه فى تنظيم الحياة والمجتمع وهو معدود فى الفكر الاسلامى والثقافة الاسلامية الهندية من طراز حجة الاسلام الغزالى وشيخ الاسلام ابن تيمية . ويمكن القول بأن «السرهندى» والدهلوى هما حلقتان من حلقات المجددين المصلحين الذين تابعوا العمل على نفس المنهج الذى رسمه ابن تيمية والذى توالى متابعوه والعاملون به جيلا بعد جيل وإن لم يسمع صوتهم الخافت خلال مرحلة الضعف والتخلف البالغة .

(١)

دعوة التوحيـد

أما دعوة محمد بن عبد الوهاب التى أعلنها فى قلب الجزيرة العربية فقد كان أبرز عوامل نجاحها وقوتها أنها ظهرت فى منطقة بعيدة عن التحديات الخطيرة التى واجهها العالم الاسلامى كله من خلال النفوذ الأجنبى الزاحف ، وهذا ما أعطاها قوتها ومكن وأتاح لها فرصة البقاء والتأثير ، كما زاد من قوتها وأثرها أنها انبعثت فى مكان الدعوة الاسلامية ، وأنها استهدفت كل المسلمين القادمين من مختلف أنحاء العالم قاصدين بيت الله الحرام ، ومن هنا وجدت من الملتفين حولها قوة إذاعتها ونقلتها إلى مختلف أنحاء العالم الاسلامى . ولم تكن حركة محمد بن عبد الوهاب كما حاول أن يصورها خصومه دعوة «دينية» من حيث أنها حملت لواء التوحيد ، بل كانت دعوة إسلامية كاملة ، ولم يكن التوحيد منها إلا أقوى عاملات المقاومة للاستعمار والاستبداد والنفوذ الأجنبى بحسبان أن الإسلام دعوة خالصة لا تقر بالعبودية إلا لله وحده ، وهذا عامل قوتها الذى أزعج النفوذ الأجنبى الحريص على أن يظل عالم الاسلام غارقا فى مفهوم منحرف عن الاسلام سيطر عليه خلال فترة الضعف عن طريق جبرية التصوف ، كان طابعه التواكل وتقبل نفوذ السلطان الظالم . فكانت هذه النصيحة إلى التوحيد من قلب الجزيرة العربية إنما تمثل حركة مقاومة ضخمة فى مواجهة زحف النفوذ الغربى . ولذلك فقد حرص الاستعمار على أن يأد الحركة التى تحولت إلى دولة ، وذلك بما حمل عليها من حملات وبما أوغل عليها الصدر لدى الدولة العثمانية التى كانت ترى فيها خطراً على نفوذها ، هنالك اصطلحت القوى على القضاء

عليها حين عمدت الدولة العثمانية إلى دفع محمد على إلى إعلان الحرب عليها فلما انتهى محمد على من اسقاطها ، استدار خصوم حركات اليقظة سياسية كانت أم فكرية إلى حركة محمد على نفسها فقضوا عليها . ولم تكن ثمرة ذلك لمصلحة الدولة العثمانية بقدر ما كانت لمصلحة النفوذ الاجنبي الزاحف . غير أنه إذا كان قد قضى على الدولة التى أقامت حركة التوحيد فان الحركة نفسها لم تمت بل قد وسعت مداها ، وأوقدت شعلة قوية فى كل أعماق دعوة للاصلاح وقد تأثر بها دعاة السلفية فى الهند والعراق والشام ومصر والمغرب جميعاً ، وكان من تلاميذها الالوسى الكبير فى بغداد والأفغانى ومحمد عبده فى مصر وجمال القاسمى فى الشام وخير الدين فى تونس وصديق حسن خان فى بهو بال الهند . ومزية دعوة التوحيد التى الهمتها إلى كل الحركات والدعوات والمصلحين الذين تابعوها هى فهم الاسلام فهما متكاملا قائماً على أنه دين ونظام مجتمع ومنهج حياة فقد قامت هذه الدعوة « دينية سياسية » (١) لأن الاسلام دين وقانون واجتماع فى نظام موحد ومن العسير فصل هذه العناصر بعضها عن بعض . والمعروف أن النفوذ الغربى وفى مقدمته بريطانيا قد قاومت هذه الدعوة لأسباب عدة أهمها أنها كانت لا تريد أن يسمع فى هذه المنطقة صوت يقظة حتى يتم تمزيقها وسلخها من الدولة العثمانية وإدخالها فى مناطق نفوذها ، وكانت منطقة الخليج العربى فى هذه الفترة هى أخطر هذه المناطق التى تطمع فيها بريطانيا ، ومن هنا فقد قاومت هذه الدعوة ، وحملت عليها محاولات مختلفة حاولت أن تصورها خارجة عن الاسلام التقليدى الذى تمثله الدولة العثمانية . وإذا من كراهية بريطانيا الدعوة التوحيد أن قوماً من الهنود التمسوها سلاحاً لمقاومة بريطانيا فى مقدمتهم الإمام أحمد بن عرفان الذى بدأ دعوته فى الهند ١٨٢٠م (١٢٣١هـ) فدعى الناس إلى التوحيد الخالص واتباع السنة وحارب البدع محاربة سافرة وأنشأ مع أعوانه دولة فى بشاور طبق فيها نظام الاسلام وجمع بين العبادة والجهاد ، وكان عمله إرهاصاً بالثورة التى قادها المسلمون عام ١٨٥٧ وقد عمد النفوذ الاجنبى إلى خلق الازدراء بدعوة التوحيد فى مصر وفى الهند وبلاد الدولة العثمانية . وأغضى عن اسمها الحقيقى وأطلق عليها اسم الوهابية وأشاع هذه التسمية وأدخلها معاجمه الحديثة ، وقد أخطأ عمداً حين وصفها بأنها مذهباً جديداً فى الاسلام . وقد قاومت الدولة العثمانية دعوة التوحيد رغبة منها فى الاحتفاظ بنفوذها على العالم الاسلامى عن طريق السيطرة على مكة والمدينة ، فلما اجتاحت —

قوات الوهابين هاتين المدينتين عام ١٨٥٣ واجهت الدولة العثمانية موقفاً صعباً لم تتمكن من إصلاحه إلا بعد وقت طويل ، فان المدينتين لم تعودا مرة أخرى إلى نفوذ الدولة العثمانية إلا عام ١٨٧٠ تقريباً . وقد أكد «دعوة التوحيد» بما كتبه الامام محمد بن عبد الوهاب ضروة التماس مفهوم الأساس من القرآن «وأن وسيلة الاصلاح والنهضة لن تتحقق إلا بحملة ضخمة قوامها القوة والاقناع معاً للقضاء على «البدع والمفاسد التى دخلت الإسلام ظلماً والعودة إلى نقاوته الأولى وعدم الاعتراف بما تركه المفسدون مما يتعارض مع أصول الاسلام فى بساطته وسماحته وترك الطقوس وأنواع الاحتفالات والبدع الخاصة بتقديس الأولياء وقصر العبادة على توحيد الله وحده وفق ما دعا إليه الرسول واتبعه ووفق تعاليم القرآن »

ولا شك أن صدق عبد الوهاب وعمق إيمانه وصلابته كانت كلها عوامل أساسية فى النتائج التى حققتها الدعوة فقد عاش عمراً مديداً قضى أكثر من خمسين عاماً فى قلب الحركة التى قام بها عام ١٧٤٠ والتى ظل يواليها حتى توفى عام ١٧٩٢ ، أضف إلى ذلك تقبل الأمير محمدبن سعود لها مما دفعها إلى مجال القوة والسلطان حيث أصبحت أسلوباً تطبيقياً للمجتمع مما أعطاها حيوية وانطلاقاً وخلق لها جذوراً ثابتة . وقد كانت فى تقدير المؤرخين والمفكرين بحق نقطة انطلاق الأمة العربية وتسلمها لقيادة الحركة الاسلامية فى العصر الحديث وإيذاناً بانتهاء دور الدولة العثمانية التى شاخت وضعفت . وكان أبرز معطياتها عملين كبيرين : أنها فتحت باب الاجتهاد فى الفروع بعد أن ظل مغلقاً منذ سقوط بغداد ٦٥٦ هـ وضرورة القيام بواجب الجهاد واحياء هذه الفريضة التى أصابها الوهن وأنها - إلى ذلك - كانت ثورة بدوية على الاستبداد والضعف والانحلال الذى آل إليه حال العالم الاسلامى ، وكانت كذلك أول حركة تحريرية عربية اسلامية . وقد حملت الدعوة فى عنف على الوجه الاسلامى التقليدى القائم وعلى علماء المسلمين التقليديين الذين كانوا يسيرون فى ركب الأمراء والولاه ، وهزت قوائم مراكز هم ونفوذهم ، ومن هنا واجهت خصومه «الاسلام الرسمى» الذى تصدى رجاله لها وحرصوا على تشويه مبادئها بحسبانها عاملا هادماً لوجودهم .ومن حق أن الوهابيين كانوا غاية فى «القسوة والعنف» وتلك طبعة الدعوات مواجهة التخلف والضعف ، فقد أعلنوا سخطهم على كل الطوائف الاسلامية الحضرية التى استسلمت للترف ، بل أنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك فى محاولتهم مهاجمة حدود الدولة العثمانية ، التى أغراها النفوذ الاستعمارى ومطامع محمد على - على أن تضرب به هذه الحركة الوليدة ، والاستعمار

قادر على أن يوقع الخلاف بين القوتين الثابتين : الفكرية فى نجد والسياسة فى مصر ، ولو أنهما التقيا لتغير وجه التاريخ . ومن حق أن الدعوة الوهابية لم تجد أمامها من الوقت ما يهيئها لتنمو ، ولتتصل بروح العصر ، وتستخدم أسلحته وأساليبه ، حتى تستطيع أن تواجه خصومها ، ولم تكن قوة الفكر وحدها قادرة على العمل . وقد كان الاستعمار وراء القضاء على هذه الحركة قبل القضاء على حركة محمد على فى مصر ، بحسبان أنها حركة أيدلوجية فكرية عميقة الجذور متصلة بالإسلام نفسه الذى كان ولا يزال هو الخطر الأول المستيقظ فى مواجهة الغزو الغربى المتطلع إلى السيطرة على المنطقة كلها . ومن هنا جاز للكاتب : لوثروب استوارد أن يقول إن الوهابية لم تقو على الوقوف فى وجه البنادق والمدافع الأوربية ومن حق أن يقال أن محمد على لم يستطع القضاء على الدعوة الوهابية قبل ١٨٢٨ وكان قد بدأها ١٨١١ . فقد صمدت أمامه صموداً عجيباً بالرغم من أسلحته الحديثة ولولا أن محمد على استعمل الرشوة إلى بعض قبائل العرب وأغراها بالمال ليستعين بها على الوهابيين لما استطاع تصفية هذه الحركة (راجع الجبرتى) . غير أن دعوة التوحيد التى قادها محمد بن عبد الوهاب قد سجلت أمراً خطيراً وبعيد الأثر فى حركة اليقظة المعاصرة كلها ذلك إنها أيقظت عالم الإسلام والأمة العربية قبل قدوم حملة نابليون بأكثر من ستين عاماً وهدته إلى وسائل النهضة وأسبابها .

وقد استطاع النفوذ الاستعمارى الزاحف ، التى أعد خطة القضاء على الدولة العثمانية ، وتمزيق أواصرها والسيطرة عليها أن يقضى على مختلف الحركات الإصلاحية التى قامت فى هذه الفترة . سواء ذات الطابع الإسلامى منها أو العسكرى والسياسى : كحركة السلطان محمود فى تركيا أو محمد على فى مصر . وكان التركيز على الحركة الوهابية أشد ، فقد أحس الاستعمار أنها تمثل مفهوم الإسلام فى اليقظة والمقاومة والعودة إلى عوامل القوة ، وكان الوهابيون قد وضعوا أمامهم خطاً أساسياً هو الدفاع عن حوزة الإسلام ضد الخطر الأوروبى بعد أن حسبوا مدى الوهن والتراخى الذى طرأ على الوحدة الإسلامية العثمانية فى الأستانة وانحلال الدول . وإذا كانت « الدولة » التى أقامتها الحركة الوهابية قد انتهت عام ١٨١١ . فقد تركت آثارها القوية التى انتشرت فى أنحاء العالم على حد تعبير لوثروب ستوارت « لقد ظل الوهابيون يبثون روح الحركة فى مئات الألوف من الحجاج الوافدين كل عام إلى مكة والمدينة . واستطاع الوهابيون أن يبذروا بذروا تلاها الاختمار الشديد للثورة الدينية فى كل فج إسلامى حتى وصلت دعوتهم إلى أقصى المعمورة » . وقد اتصلت الدعوة بالهند وأفغانستان وكان من ثمارها « محمد بن على السنوسى » الذى تلقاها فى مكة وأنشأ طريقة مهدت للجامعة الإسلامية ،

وبالجملة فإن دعوة التوحيد كانت صيحة التوحيد فى مواجهة خطر سقوط العالم الإسلامى فى براثن النفوذ الغربى ، ومن هنا جاز للكاتب لوثروب ستوارت أن يعتبرها وبحق مبدأ اليقظة حيث يقول « استيقظت روح الإسلام فى كل رقعة من رقاع العالم الإسلامى فهب أتباع محمد من مراكش إلى الصين ومن تركستان إلى الكونغو ، هبوب العاصفة الزعزع لا يعرف مستقرها قدح الزناد فى صحراء شبه الجزيرة ، ثم أخذ الشرر يتطاير إلى كل جانب من جوانب العالم الإسلامى .

وأبرز المعالم الفكرية لدعوة التوحيد : ١ - تحرير فكرة التوحيد من الآراء الدخيلة باسم وحدة الوجود ، وعندهم أن الوحدانية التى تكون العنصر الأساسى للإسلام هى الوحدانية التى تترتب على سلوك الموحد وهو ما يسمونه بوحدانية الربوبية ، أى أن المؤمن لا يكون موحداً إلا إذا قصر عبادته على كل كائن واحد . ٢ - ضرورة عودة الفقهاء والقضاة إلى المصادر الأصلية رأساً وهى القرآن والحديث وإجماع المسلمين على حكم معين إلى آخر القرن الثالث الهجرى . ويترتب على هذا فتح باب الاجتهاد فى الفروع ، وقد أولى الوهابيون هذا الحق اهتماماً كبيراً . ٣ - دعوتهم إلى عدم التقيد بمذهب معين من المذاهب الأربعة ، وإنما يجوز لكل قاض أن يأخذ من أى مذهب بما يرى أنه أقرب إلى الصواب ولا يباح التقليد إلا عند العجز من الرجوع إلى هذه النصوص . ٤ - إنكار التحدث فى مسائل الخلاف التقليدية ، والتى كانت مصدر الفرقة بين المذاهب الإسلامية المختلفة كمسألة الذات والصفات والجبر والاختيار . ٥ - ضرورة قيام إمام للأمة الإسلامية ، والإمامة عندهم غير الخلافة فهى لا تتضمن صفة العموم بالنسبة للعالم الإسلامى . والخلافة فى رأى الوهابية لم تدم أكثر من ثلاثين سنة ثم تحولت إلى ملك . ومنذ ذلك التاريخ يمكن الاعتراف بعدة أئمة فى وقت واحد ولا يشترط فى الإمام النسب القرشى . والإمام ضرورة جماعية للمحافظة على مصالح الجماعة الإسلامية(١)

(٢)

الدعوة السنوسية

أولى الحركات التى انبعثت من دعوة التوحيد هى السنوسية وهى حركة ودعوة وطريقة قد صيغت على نحو جامع محرر لمفهوم الإسلام المتكامل بين التصوف والفقه والعقيدة . فى ذات صلة بالنسب مع مفاهيم دعوة التوحيد وهى فى نفس الوقت تشكيل اجتماعى تربوى على

نمط الصوفية ودعوات الفتوة والجهاد متحرراً من الأخطاء والانحرافات التى وقع فيها بعض الصوفية . وإذا كانت دعوة التوحيد قد استطاعت أن تقيم دولة . فإن الحركة السنوسية قد استطاعت أن تكون جيلا قادراً على أن ينشر الإسلام فى أنحاء أفريقيا ويشكل فى نفس الوقت كتائب الجهاد فى سبيل الله والإنماء الاقتصادى والاجتماعى أيضاً . وإذا كانت حركة التوحيد التى قادها محمد بن عبد الوهاب قد انبعثت من تخلف الدولة العثمانية وتحولها عن المفهوم الصحيح للإسلام وهى قائدته ، فإن دعوة محمد بن على السنوسى كانت رد الفعل للتحدى الضخم الذى واجه العالم الإسلامى باحتلال الجزائر فى معركة غير متكافئة ظلت تقاوم ستة عشر عاماً ثم سقطت بين براثن الاستعمار الفرنسى . كان محمد بن على السنوسى فى خلال هذه الفترة ينظر إلى موجة جديدة من الحروب الصليبية قد بدأت بالجزائر وستمضى فى طريقها فلا يقف أمامها شىءُ لذلك كان فكرته ترمى إلى عمل جامع من أعمال المقاومة والمواجهة لهذا الغزو الغربى الزاحف . وكان تطلعه وكانت دراسته تحاول أن توجد عملا جماعياً كاملا تشترك فيه الأُمة الإسلامية جميعاً ولعل عبارته التى لخص بها موقفه تصور اتجاهه واضحاً : يقول : « أُفكر فى العالم الإسلامى فبالرغم من سلاطينه وأُمرائه ورؤسائه وعلمائه ، فهم لا يزيدون على أن يكونوا كقطيع من الغنم الذى لا راعى له ، فى كل محل من محلات الإسلام تجد المسلمين وعلماءَ الدين ، ولكنك لا تجد فى العالم الإسلامى مرشداً حقيقياً تكون غايته سوق الجميع إلى هدف واحد أن ديننا الحنيف دين توحيد أُسس على الاتحاد ولكن الخلاف والتفريق قد سادا جميع النواحى لأَن العلماءُ والمشايخ ليست لهم غيرة دينية حتى ينشروا العلوم والمعارف . انظروا إلى أَحوال السودان والصحراءِ تحدوا أفواجاً من الشعوب يعبدون الأَوثان ، ويوجد فى كل مسجد من مساجد المعمورة جماعة من العلماء غير العاملين لا هم لهم غير راحة أَجسادهم ، حريصين على لذاتهم ، غير قائمين بواجباتهم ،لاضمائر لهم تؤنبهم على إهمالهم إرشاد هؤلاءِ المساكين ، وقد اتصل بنا خبر أَحوال العالم الإسلامى من القوافل التى ترد إلى بلادنا ، أَننا مغلوبون فى كل محل ، وإن المقاطعات والخطط المعمورة تذهب من أَيدى المسلمين فى كل وقت وبسرعة البرق فالإسلام فى حالة من التدهور المخيف وهو ما فكرت فيه » . ومن هذه النقطة كان انطلاقه إلى دعوته التى تضم خمس أُصول أساسية :

* العودة بالإسلام إلى منابعه الأُولى . * توحيد المذاهب . * فتح باب الاجتهاد . * نشر [illegible] مقاومة النفوذ الأَجنبى . وقد بدأ عمله الجاد عام ١٨٤٢

فى زاويته الأولى « البيضاء » ، بالجبل الأخضر حتى توفى ١٩٥٦ وفى خلال سبعة عشر عاماً استطاع أن يحقق الكثير وأن يرسى أساس نظام تربوى مطبق فعلا لبناء الشخصية الإسلامية من خلال (الزاوية السنوسية) . وتضم الزاوية السنوسية مسجداً ومدرسة لتحفيظ القرآن ومعهداً لتدريس العلوم الإسلامية ومساكن للطلاب الغرباء ومكتبة علمية . وقد ضمت زاوية جغبوب حوالى ثمانية آلاف مجلد فى الفقه الإسلامى والتاريخ وتفسير القرآن الكريم والأدب.

وتقام الزاوية عادة بجوار الآبار أو على الأطلال التى خلفها الرومان فى الصحراء الغربية أو فى مواضع الزراعة أو المواقع الاستراتيجية ، أو تقاطع الطرق وملتقى القوافل ، أو على حدود مصر أو تونس أو الجزائر أو السودان . والمعروف أن هذه الزوايا تحولت عام ١٩١١ عندما بدأ الغزو الإيطالى إلى مراكز للمقاومة التى استمرت حتى عام ١٩٢٨ . وتبدو الحركة السنوسية منفردة بتنظيم جديد يختلف عن حركة التوحيد ، فقد قامت على التربية أساساً ولم تلجأ إلى العمل السياسى إلا بعد وقت طويل . وقد جمعت بين امنهج حركة التوحيد وبين منهج الحركة الصوفية ومزجت بينهما فى دقة ومرونة ، حيث حققت لأول مرة فى العصر الحديث محاولة بناء الشخصية الإسلامية عن طريق التربية الإسلامية تأخذ من الفقه ما يثير العقول ومن التصوف ما يصلح النفوس ، ومن هنا كان خطرها على حركة التبشير التى انطلقت بعد احتلال الجزائر فى قلب أفريقيا . فقد استطاعت أن تنشر وتقود حركة للدعوة الإسلامية فى مختلف أنحاء القارة وبواسطة السنوسية صارت نواحى بحيرة تشاد مركزاً للإسلام فى أواسط أفريقيا ، ثم امتد عملهم حتى بلغ النيجر الأدنى .

وقد عمدت السنوسية إلى تولى عدد كبير من الأرقاء وتربيتهم فى جغبوب وغدامس ، وغيرها حتى إذا بلغوا أشدهم وأكملوا تحصيل العلم أعتقوهم وسرحوهم إلى أطراف السودان يهدون أبناء بلدتهم إلى الإسلام . وهكذا يرحلون كل عام مئات من مبشرى السنوسية لبث دعاية الإسلام فى جميع أفريقية الداخلية من سواحل الصومال شرقاً إلى سواحل السينغامبية غرباً ومن هنا فقد تعددت الزوايا واتسع نطاقها من شمال أفريقيا إلى أقصى أقاصى السودان وتأسست ممالك إسلامية مثل سلطنات رابح وأحمد وساموری . وقد ظلت قوى النفوذ الغربى ترقب بحذر بالغ خطوات نمو الحركة السنوسية وزواياها وكان كتاب أوربا الاستعماريين يحذرون منها ومن خطرها ، ومن ذلك ما كتبه الكابتن دانرى من رجال الجيش البريطانى فى أوائل القرن التاسع عشر ، يحذر من ظهور زعيم إسلامى تتوحد تحت لوائه قبائل الطوارق

وعشائر العرب والبربر ، ويقول إنه « إذا استفحل أمره عززت نجد قواته فسارت وصار العالم الإسلامى يداً واحدة وزحف على أوربا فاكتسحها حتى تحاصر جيوش المسلمين باريس . . » . ومن هنا فقد مضت أوربا تؤلب الدولة العثمانية على هذه الحركة كما فعلت بالنسبة للحركة الوهابية ، وتغرى بها مؤكدة للأستانة بأن خطرها على السلطنة العثمانية قريب. غير أن محمد بن على السنوسى استطاع بحرصه وذكائه أن ينال ثقة الدولة العثمانية ومضى يعمل فى حيطة وصمت داخل أفريقيا ، بعيداً عن أسلوبى الثورة والتدخل مع حيدة تامة بالنسبة للخليفة العثمانى ، وقد رفض أى تدخل مع ألمانيا أو إيطاليا أو تركيا أو مع عرابى أو المهدى جميعاً ، وكانت ألمانيا قد طلبت من السنوسية مساعدتها ضد فرنسا فى إفريقيا ، كما طلبت تركيا منها مساعدتها ضد روسيا ، وكذلك طلبت إيطاليا مساعدتها ضد تقدم فرنسا فى تونس . ولكن السنوسيين كانوا قد حددوا موقفهم فى هذا الصدد وهو أن لا يدخلوا معارك من شأنها أن تكشف قوتهم ، أو توقع الخلاف بينهم وبين دولة الخلافة . وكان عمل السنوسية فى المقاومة للغزو الأوربى لأفريقيا متكتما مضمراً ، مع عمل مكشوف فى نشر الإسلام ، ويسجل ذلك مسيور دوفرير جن يقول : إن السنوسية هى المسئولة عن جميع أعمال المقاومة التى قامت ضد فرنسا فى الجزائر ، وأن السنوسية هى المدبرة لجميع نكبات فرنسا فى الشمال الأفريقى وفى السنغال . وإنها أيدت ثورة محمد بن عبد الله فى تلمسان وصحراء الجزائر ١٨٤٨–١٨٦١ وثورة الصادق بجبال الأوراس ١٨٧٩ وثورات أولاد سيدى الشيخ ١٨٧٩–١٨٨١) . ويضيف قوله : إن السنوسية هى أخطر أعداء نفوذنا (نحن الفرنسيين) فى شمال أفريقيا وفى السنغال ، والعقبة فى سبيل توسعنا الاقتصادى والسياسى داخل أفريقية ، وهى عائق فى طريق أهدافنا فى القارة الواقعة شمال خط الاستواء ولا شك أن السنوسية بهذه الصورة تختلف كثيراً عن الحركات الصوفية الحديثة : التيجانية والشاذلية والإدريسية والقادرية ، حيث جمعت بين عمليتين أساسيتين : هما نشر الإسلام (وهو ما حاولته الطرق الصوفية) ومقاومة النفوذ الأجنبى بالقوة المسلحة وبناء مواقع المقاومة الاجتماعية والعسكرية . واتصل بذلك عملها فى سبيل إقامة وحدة إسلامية كبرى . وغاية القول أن السنوسية بعد وفاة الإمام محمد على وازداد عدد مواقعها فى عهد محمد المهدى إلى ثلاثمائة زاوية وأصبحت السنوسية قوة اجتماعية وفكرية فى كل مكان ، وعندما ولى أحمد الشريف السنوسى » أمر الدعوة عام ١٩٠٢ دخلت الحركة فى دور جديد أشد قوة ، غير أن الغزو الإيطالى الذى وجهته إيطاليا إلى طرابلس ١٩١١

حول الدعوة كلها إلى حركة مقاومة عسكرية مسلحة . وقد دام نضال السنوسية بقيادةالشريف حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . وقد ظلت الصحراءُ تحت حكم السنوسيين خلال مائة سنة لم يتمكن الاستعمار خلالها من السيطرة إلا على السواحل فقط . وجملة القول أن الحركة السنوسية كانت دعوة إسلامية جامعة هدفها النهوض بالمسلمين فى مواجهة الغزو الغربى . ولذلك فقد أخذت بالأسباب على اتساع وشمول . من حيث (١) التربية (٢؛ بناء شخصية المسلم وبناء المجتمع الإسلامى (٣) مقاومة العدو (٤) الاجتهاد وتنقية الإسلام مما علق به من أوهام . وقد أقام أحد الباحثين المقارنة بين الوهابية والسنوسية فقال : إن الوهابية إصلاح دينى وإنابة إلى عقيدة السلف ، أما السنوسية فهى طريقة عمل بالسنة والشريعة . وكما واجهت بريطانيا خطر الدعوة الوهابية فى كل مكان حتى فى الهند كذلك واجهت فرنسا خطر الدعوة السنوسية فى قلب أفريقيا إذا كانت مصدراً لكل أعمال المقاومة فى مختلف الأقطار التى عمدت فرنسا إلى احتلالها . ويقول جيمس هاملتون فى كتابه جولات فى شمال أفريقيا الصادر عام ١٨٥٦ أنه عندما أرادت فرنسا التوغل فى داخل أفريقيا عبر الصحراءُ اصطدمت بمقاومة عنيدة تولى تنظيمها وقيادتها أتباع السنوسية . وأشار إلى أن الكتب الفرنسية التى تناولت التوسع الفرنسى عبر الصحراءُ قد أعطت الجزءُ الأكبر للكلام على المقاومة التى وجدتها القوات الفرنسية من أتباع الدعوة السنوسية هناك ، وقد بلغ من اهتمام فرنسا بالدعوة السنوسية أن خصصت وزارة الخارجية الفرنسية أرشيفاً خاصاً بها ، وأشار لوريس رين باهتمام كبير إلى المقاومة الصلبة التى اتخذتها السنوسية والطوارق أُمراءَ الصحراءُ تجاه التوسع الفرنسى . والمعروف أن السيد محمد بن على السنوسى قد حرص أساساً على إقامة وحدة إسلامية فى أفريقية داخل نطاق وحدة إسلامية كبرى ، ولما كان هذا مقصداً أساسياً له فقد مهد له بالمزج بين المذاهب السنية الموروثة (المذاهب الأربعة) بما صح وكمل من أقوالها ، ثم أضاف إليه ما استنبطه من السنة والمذاهب لم يعد هناك اتباع لها واستطاع أن يجعل من هذا المزيج الدقيق مذهباً واحداً هو هو مرآة المذاهب الأربعة وزبدتها . وعمله فى هذا مجال الاجتهاد بارز واضح فقد دعا إلى تحرير الفكر الإسلامى من التقليد الأعمى والتسليم العاجز وتطهير السنة المحمدية من الأقوال المشبوهة والأساطير الموروثة والصوفية المنحرفة الزاعمة بأن الإسلام ليس من شأنه الدنيا وأن المسلم ليس من شأنه المادة ، وخلص التصوف من الشطح والغلو والتواكل المميت لشخصية المسلم والدافع له على الاعتماد على غيره فى رزقه . وقد حارب دعوى الاتحاد الحلول ووحدة

الوجود ، كما دعا إلى فتح باب الاجتهاد للقادرين عليه وإرجاع الأقوال كلها إلى مصادرها الأصيل من الكتاب والسنة وجاهر بالعداء للتقليد المطلق ، وطالب العامى أن يسأل المفتى عن دليله ، الذى استند إليه فى فتواه وحكمه ، فإذا أخبره بالدليل اقتنع وإلا تركه إلى غيره ممن هو أقدر منه على الإتيان بالدليل ، وهذا عنده هو اجتهاد العامى . ويرى أن الاجتهاد وضرورة عقلية لأن فتح باب الاجتهاد يجعل لدى المسلم حيوية وتمسكاً بالإسلام ، حيث يجد الحلول المناسبة للمشاكل التى تتجدد فى كل زمان . وقد استفاد الإمام السنوسى من مختلف الدعوات التى سبقته وتجيب المآخذ التى أخذت عليها واهتم بالتربية العملية والتطبيق العلمى للإسلام .

ويمكن القول بأن الحركة السنوسية كانت مدرسة نموذجية لتجديد الإسلام جامعة بين الحركتين السائدتين : حركة التوحيد وحركة الصوفية .

(٣)

الدعوة « المهدية »

وفى السودان برزت الحركة الثالثة من الحركات الإسلامية التى أخذت طابع العمل السياسى والاجتماعى معاً ، حين أعلن « محمد أحمد » حركة الجهاد ضد النفوذ الأجنبى وتحرير مفهوم الإسلام من البدع والخرافات معاً ، وقد قامت حركته على الجهاد واستشرقت إنشاء مجتمع إسلامى وحكومة إسلامية عادلة تقوم على أساس مفهوم الإسلام وقد استطاعت هذه الحركة أن تواجه الحملات التى شنتها بريطانيا فى ظل احتلال مصر وأن تسحق كل عمليات الغزو التى وجهت إليها.وقدواجهت هذه الدعوة كما واجهت دعوة التوحيد والحركة السنوسية مقاومة عاصفة من الاستعمار والنفوذ الأجنبى الزاحف ، ولكنها صمدت فى وجهة وكبدته خسائر فادحة . واستطاعت أن تقاوم فترة طويلة . وقد انتصرت المهدية فى جميع المعارك التى قادها غردون وهكس ومونكريف وستيوارت ، ويبكو وجراهام وولسلى . كما تطلع « محمد أحمد » إلى الزحف لإنقاذ مصر من النفوذ الإنجليزى بعد فشل الثورة العرابية ووجد تأييداً من جمال الدين ومحمد عبده . وقد قامت دعوته على نظرية كاملة ضمنها مناشيره وبياناته المتعددة « أمرنا هذا مبنى على هدى من الله ونور من رسول الله وما مقصدنا إلا إحياءُ الدين وإظهار آثار الأنبياءُ والمرسلين ولا يزيد مع هذا ملكاً ولا جاهاً ولا مالا . إن مذهبنا هو : الكتاب والسنة والتوكل على الله وقد طرحت العمل بالمذاهب ورأى المشايخ . وقد نجحت

الحركة المهدية فى مختلف المجالات السياسية والاجتماعية إذ حملت لواء المفاهيم الإسلامية المتحررة من سلبية التصوف وجمود الفقه وجبرية الزهادة . واتسمت بإيجابية واضحة فى مختلف المجالات . فقد عمد « محمد أحمد » المهدى إلى إيقاف العمل بالمذاهب المختلفة وأذاب جميع الفرق الصوفية بكل طوائفها فى طريقة واحدة . وكانت حجته فى ذلك ضرورة الرجوع مباشرة إلى الكتاب والسنة دون شروح معقدة ، واستهدف إلغاء الخلافات المذهبية بين الناس فى أمور العبادات وتوجيه أنظارهم إلى الوحدة الفكرية ورفض عملية الانعزال فى الخلوات مع الأوراد والأذكار . هذا مع الدعوة إلى الجهاد والقوة حماية للحق والعدل ،والسيف لحماية الحق ، ولذلك فقد تحدث طويلا عن آداب الفروسية والفتوة فى زمان الحرب والسلم وأعلن أن مقام الصبر عند البلاء أقوى من مقام الشكر على النعماء . وقد مزج بين الصوفية ومفاهيم التوحيد مزجاً رائعاً . وأعطى مفاهيم القلب والروح قوة على دفع الإنسان للعمل كما نفذ تعاليم الإسلام فى القصاص والسرقة والزنا والحدود الشرعية ، وأبطل زيارة القبور والأضرحة . وقد استطاع النفوذ الاستعمارى أن يوجه إلى الدعوة المهدية عن طريق علماء الدين الرسميين كثيراً من النقد والمعارضة وتحذير الناس منه رغبة فى زلزلة ثقة أنصاره به ، ولكنه صمد ووالى دعوته وتأكد صدقه وسلامة مقصده .

ومن حق أن (محمد أحمد المهدى) قد حرر الفكر الإسلامى السودانى من طابع الصوفية المغرق فى الجبرية واتجه إلى منابع الثقافة الإسلامية العربية الأصيلة وفق المنهج الذى سارت عليه دعوة التوحيد والسنوسية وهو تأكيد العمل بالكتاب والسنة وتحرير الفقه من روح الخلافات ، ومن ثم ظهر « أدب عربى إعلامى » له طابع أكثر إيجابية بعيداً عن أسلوب السجع والزركشة ، وكانت أقوى أعماله توحيد المذاهب الأربعة فى مذهب واحد باختيار الأصلح من كل منها معتمداً على الكتاب والسنة ، رافضاً لكل الخلافات التى فرقت الناس ، وقال « إن هؤلاء الأئمة رجال ونحن رجال ولو أنهم أدركونا لاتبعونا . ولذلك قد طرحت بالمذاهب ورأى المشايخ » . وفى مجال المجتمع عمد إلى تحريره من التقاليد المعارضة للإسلام فحرم الاحتفال بالأعراس احتفالا يدعو إلى السرف ومنع شرب الخمر وخفض مهر الزواج وأبدل ولائم الأعراس بطعام من التمر واللبن وأبطل الرقص واللعب ودعا إلى القصد فى الزخرف فأبطل الألقاب وساوى بين الغنى والفقير فى مواقف المحاكمة والحق وفرض على أتباعه لباساً

خاصاً يمتازون به ، ولقى عمله تقبلا حتى قال أحد المؤرخين : إن المهدى هو الرجل الوحيد الذى يدين له السودان باسترجاع حريته واستقلاله . وكانت حركة المهدية واحدة من سلسلة حركات الجهاد ضد الاستعمار والنفوذ الأجنبي فى مختلف بلاد العالم الإسلامى وامتداداً للمبادئ الأساسية للإسلام التى كانت دوماً مصدر المقاومة وسبيلا لرفض كل نفوذ أجنبي ورفع راية الجهاد فى سبيل مقاومة الغاصب ، ومن هنا حاول النفوذ الاستعمارى تشويه الوهابية والسنوسية والمهدية وعمد إلى القضاء عليها جميعاً ، وظل يهدد دوماً بخطر ظهور حركات مثلها تقوم على أساس مفهوم الإسلام فى الحكم وتعلن الجهاد فى وجه الغاصب ، وكان لهذه الحركات الثلاث أثرها فى خطط الاستعمار . فقد عمد إلى فصل الدين عن السياسة والمجتمع فى مختلف الأقطار التى احتلها كما عمل أتباعه من أصحاب الدعوات الهدامة إلى إنكار الجهاد ومحاولة التقليل من شأنه . وقد عمد النفوذ الإنجليزى إلى خطة ماكرة فيما يتصل بالمهدية ، فحيث حرضّ محمد على للقضاء على « الوهابية » قضى هو على حركة محمد على ، ثم قاد الإنجليز جيشاً مصرياً على رأسه ضباط إنجليز للقضاء على الحكومة التى كان يرأسها التعايشى بعد وفاة المهدى . وعمدوا إلى هدم وإزالة كل آثار هذه الحركة ، فقد دخلت بريطانيا السودان بقيادة كتشنر فى سبتمبر ١٩٩٨ ونسف كتشنر قبة الإمام المهدى ونبش قبره فى بربرية وهمجية وبعثر جثمانه وبعث بجمجمته إلى المتحف البريطانى فى لندن إنتقاماً لمقتل غردون . وقضى على الدعوة المهدية كلية . ولم يقبل عودتها إلا بعد ذلك بوقت طويل بعد أن كان قد سيطر سيطرة كاملة على مقدرات الأمور .

(٤)

الحركات الإصلاحية

بدأت دعوة التوحيد (محمد بن عبد الوهاب) ١٧٤٠م — ١٧٩٢ وامتدت بعد دعوة ودولة . وبدأت المهدية (محمد أحمد المهدى) ١٨٨١ — ١٨٨٤ وامتدت إلى سقوط السودان ١٨٩٨ . وما تزال الدعوات الثلاث قائمة إلى اليوم فى صورة أو أُخرى وما تزال تمثل الطليعة الأُولى لحركة اليقظة التى اتخذت منهجاً آخر فى العمل ومن خلال هذه الدعوات قامت حركات المقاومة العسكرية فى العالم الإسلامى فى مواجهة الاستعمار وأبرز هذه الحركات :

* حركة الأمير عبد القادر (١٨٣٠ – ١٨٤٦) * حركة أحمد عرابى – ١٨٨٢ * حركة السنوسية ضد الغزو الإيطالى ١٩١١ * ثورة الهند ضد الإنجليز – ١٨٥٢ * حركة المهدية ضد النفوذ الأجنبى ١٨٨٤ * حركة الشيخ شامل فى القوقاز * حركة عبد الكريم الخطابى فى المغرب ١٩٢٦

وقد برزت حركة اليقظة الإسلامية منذ القرن التاسع عشر فى الهند وإندونيسيا والأمة العربية وارتبط فيها تجديد الإسلام بحركة المقاومة للنفوذ الأجنبى . وفى أوائل القرن التاسع عشر ظهرت فى العالم الإسلامى حركات تستمد مفهومها أساساً من دعوة التوحيد وفى مقدمتها دعوة « الشوكانى » فى اليمن ودعوة « الألوسى » فى بغداد . وحركة أحمد خان فى الهند ، وفى نفس الوقت كانت حركة التجديد الأدبى والفكرى تبدو بارزة بقيادة رفاعة رافع الطهطاوى وعلى مبارك فى مصر وخير الدين فى تونس ، وعاكف ونامق فى تركيا . غير أن بروز جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده فى الحلقة السابقة من القرن التاسع عشر كان بعيد الأثر فى حركة اليقظة حيث ظهر من بعد عدد كبير من تلاميذ هذه المدرسة فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى ، وكان لظهور جريدة « العروة الوثقى » فى باريس ١٨٨٤ ثم المنار فى القاهرة ١٨٩٨وانتشارها فى مختلف الأقطار وكانت تحركات جمال الدين بين الهند وفارس وأفغانستان وبين فرنسا وروسيا واستنبول ، ثم وقوع الاحتلال البريطانى لمصر وتحركات محمد عبده بين الشام وباريس وتونس والجزائر ، كل هذا كان من شأنه أن يخلق مدرسة جديدة أطلق عليها اسم « المدرسة السلفية » وكان أكبر إمتدادها إلى الغرب الأقصى ، وإلى أندونيسيا والهند الاسلامية . وفى هذه الفترة ظهر فى تونس المصلح خير الدين وكان له دوره فى تجديد الفكر الاسلامى ، وفى أوائل هذا القرن ظهر فى الشام علامة الشام طاهر الجزائرى وزملائه وتلاميذه : القاسمى والبيطار وعبد القادر المغربى . وفى الهند برز : أبو الكلام أزاد وأمير على وشبلى النعمانى ومحمد اقبال . وفى المغرب برز : محمد بن العربى العلوى وأبوشعيب الدكالى ، وعبد الحميد ابن باديس ، وعبد العزيز الثعالبى ، والطاهر بن عاشور وفى مصر ظهر : رشيد رضا . وفريد وجدى ومصطفى المراغى ومحب الدين الخطيب .

(٤)

حركة جمال الدين - محمد عبده

تعد [حركة جمال الدين - محمد عبده] مرحلة جديدة على طريق اليقظة العربية الاسلامية لها طابعها ولها استجابتها للتحديات التى كانت قد ازدادت من خلال مواجهة العالم الاسلامى للنفوذ الأجنبي . ومع ذلك فقد كانت فى كلتا مرحلتيها تختلف عن الأخرى . مرحلة ما قبل الثورة العرابية والاحتلال البريطانى لمصر ومرحلة ما بعد ذلك . وأبرز ملامح حركة جمال الدين هى الدعوة إلى الجامعة الاسلامية أما عمل محمد عبده بعد انفصاله عن جمال الدين عام ١٨٨٥ تقريباً فقد كانت دعوته إلى العلم والتربية كاسلوب أساسى فى مقاومة النفوذ الأجنبى . وقدكانت الجامعة الاسلامية التى دعا إليها جمال الدين عملا من أعمال التجمع فى منطقة طابعها إسلامى أساساً لمواجهة الغزو الاستعمارى الزاحف الذى شهد جمال الدين طلائعه فى فارس وأفغانستان . ولم يلبث أن وقع بالفعل فى مصر وتونس فقد أكدت له تجربته وخبرته وثقافته أن السبيل الوحيد لمقاومة الاستعمار هو التضامن الاسلامى عن طريق التمسك بالقرآن وإلغاء العصبية المذهبية والاجتهاد فى فهم القرآن والملاءمة بين مبادئه وظروف الحياة التى يعيش فيها المسلمون ، وطرح الخرافات والبدع التى صبغت الاسلام بلون مغاير لطابعه الأصيل . ومن هنا فقد كان جمال الدين يرى أن القرآن هو أساس الوحدة وقطبها الأصيل . ولم يكن يعنيه بعد أى نظام يمكن أن تتم على أساسه الوحدة ما دام العامل الأساسى فى الالتقاء بين أجزاء العالم الاسلامى هى وحدة الفكر ممثلة فى القرآن الكريم . وقد رأى جمال الدين أن أصلح مجال لدعوته هو الأمة العربية بحسبانها منطلق الاسلام الأول وقاعدته ، ومذ ثم اتخذ منبره فى مصر إيماناً بأنها أبعد ما تكون عن خلافات المذاهب وصراعات العمل . فقد رأى أن مصر أقدر من يستطيع حمل اللواء . ومن الحق أن يقال أن تجربة جمال الدين كانت مثيرة وبعيدة الأثر فى الفكر الاسلامى العربى . فقد أخذ الأصول الأساسية لدعوة التوحيدوأضفى عليها ثوباً عصرياً وربط بينها وبين الزمن والحضارة والفكر الحديث فكان استجابة صادقة لعصره وتحديات النفوذ الاستعمارى فى زمنه - فقد جمع فيها بين (١) تصحيح مفاهيم الاسلام وتحرير قيمة وإعادة صياغتها من جديد على نحو مناسب مع المحافظة على قيمتها الأساسية كاملة(٢) وبين اتخاذ الوسائل الكفيلة بمناهضة الاحتلال الأجنبى . وكانت أبرز قواعد دعوته (١) التقارب

والالتقاء بين أهل السنة والشيعة على أساس أن التفرقة بينهما إنما أحدثتها مطامع الدول وجهل الأمة . (٢) التوفيق بين العلم والقرآن (٣) تأكيد الأساس الواحد للأديان الثلاثة . وقد ضمن برنامجه الذى أذاعته «العروة الوثقى» علامات طريق واضحة إلى النهضة ، إذادعاإلىأن يبين المصلحون للشرق واجباته التى كان التفريط فيها موجباً لضعفه وسقوطه وتوضيح الطريق التى يجب سلوكها لتدارك ما فات وأن النجاح ميسور إذا عقدت الغزائم ، وإذا كان قائماً على أساس الأصول التى حققت لأسلافنا العزة والقوة . دعا جمال الدين إلى أن تتكون عقائد الأمة «وهى أول رقم ينقش فى ألواح نفوسها» مبنية على البراهين القومية ، والأدلة الصحيحة وأن تتحامى عقولهم مطالعة الظنون فى عقائدها وتترفع عن الاكتفاء بتقليد الآباء فيها وذلك بحسبان أن الاسلام يكاد يكون منفرداً بتقريع المعتقدين بلا دليل وتوبيخ المتبعين للظنون» . وعنده إن أهم الأمور التى تتم بها سعادة الأمم هو «صقل القلوب بصقال التوحيد وخلع كل عقيدة بأن الله جل شأنه يظهر بلباس البشر أو أن تلك الذات المقدسة نالت فى بعض أطوارها شديد الايلام وأليم الأسقام لمصلحة أحد من الخلق» . وهو يدعو النفس الانسانية إلى النهضة ويلح فى الدعاء إلى أن يستقبل وجهة الشرف طامح إلى بلوغ الغاية من مراتب الكمال الانسانى ما عدا مرتبة النبوة فإنها بمعزل عن المطمع وذلك تسابقاً فى مجالات الفضائل ، وقد حرص جمال الدين إلى تأكيد القول بفتح باب الاجتهاد وأن القرآن بشر بالمخترعات والعلوم الحديثة . وقد أولى جمال الدعوة اهتمامه بالنفوذ الاستعمارى وحرص على كشفه ومهاجمته دون توقف ، وكانت بريطانيا هى هدفه الأكبر بحسبانهاالعامل الأكبر فى الحيلولة بين المسلمين والوحدة وبينهم وبين القوة والنهضة . وقد درس أخطار الاستعمار وتحقق أسباب تغلغله فى عالم الإسلام ، مفرقاً بين النفوذ الاستعمارى وبين تفوق الغرب العلمى . وكان يهاجم بشدة أمراء المسلمين المستسلمين للنفوذ الأجنبى ، مقاومة الاستبداد فى تقديره تجرى مع مقاومة الاستعمار فى خط واحد . وهو أول من التفت إلى أسلوب الاستعمار الذى يتخذ صورة القضاء على الشخصية الاسلامية التى مصدرها القرآن ، حين بدأ ذلك فى محاولة إفساد عقيدة المسلم ، إما بتشكيكه فيها أو بمحاولة صرفه عنها . وكيف أن بريطانيا احتفت بالمذهب الطبيعى فى الهند ونشرته ، واتخذت منه سلاحاً خطراً ضد المسلمين . فحين عجز الاستعمار عن تحويل المسلم عن الاسلام بالتبشير ، عمد إلى هدم عقيدته بالمذاهب المادية وفى مقدماتها مذهب الدهرية . ولذلك فقد حمل حملة عاصفة

على هذه المحاولة وعراها . وانطلاقاً من طبيعة جمال الدين ومزاجه الشخصى كانت محاولة الإصلاح التى قادها تهدف إلى اتخاذ الثورة السياسية كأسرع الوسائل إلى تحرير الشعوب الإسلامية ، ولذلك فهو لم يتجه إلى وسائل الاصلاح الاجماعى والتربوى والتعليم ، ولم يتعمق دور المفكر فى حل المشكلات فقد كان ذلك كله عنده إنما يجىء بعد قيام حكومة تحمل لواء دعوته فى أى مكان من عالم الاسلام ولذلك فقد كان دعوته أساساً تتجه إلى الثورة كوسيلة جذرية للقضاء على الفساد والجمود والأنظمة والقوانين المتخلفة . مؤقتاً بأن الثورة تفتح الطريق أمام الوحدة والالتقاء بين أجزاء العالم . الاسلامى وتحرره من نفوذ الاستبداد والاستعمار معاً . وقد كانت دعوته إلى الجامعة الاسلامية من أخطر ما واجهه الاستعمار والنفوذ الأجنبى الزاحف لتقطيع أوصال العالم الاسلامى والسيطرة عليه ، ولذلك فقد قاومها مقاومة كبرى ووجه إلى الدعوة وإلى القائمين بها كل اهتمام وقد بلغ به الأمر أن أصدر قراراً بمنع دخول جريدة العروة الوثقى إلى العالم الإسلامى وحدد عقوبة صارمة لكل من يوجد عنده عدد منها ، ومع ذلك فقد وصلت العروة الوثقى إلى كل مكان وكانت مدرسة تكون من خلالها نوابغ العصر ودعاة الاصلاح . ومن الحق أن يقال أن التجنى كان بالغاً بالنسبة لرأى جمال الدين فى الجامعة الاسلامية ، ولكن الاستعمار كان حريصاً عن أن يسكت هذا الصوت ، ذلك أن جمال الدين لم يكن فى مطالبته بالوحدة الاسلامية يستهدف قيام دولة إسلامية كبرى وإنما كان فى حدود ما عبر عنه «لا التمس بقولى هذا أن يكون مالك الأمر فى الجميع شخصياً واحداً فان هذا ربما يكون عسيراً ، ولكنى أرجو أن يكون سلطان جمعهم القرآن ووجهه وحدتهم الدين ، وكل ذى ملك على ملكه يسعى بجهده لحفظ الآخرين ما استطاع فان حياته بحياتهم وبقاءه ببقائهم » . ويقول رشيد رضا : إن ما اشتهر عن جمال الدين من كونه يريد بالجامعة الاسلامية أن يكون للمسلمين كلهم دولة واحدة فلم أره فى شىء من العروة الوثقى ولا فى غيره مما كان يرويه عنه الاستاذ الامام (أى محمد عبده) وهو أعلم الناس بمقاصده وأعماله ». وربما كان يتطلع إلى مصر كنقطة بدء لهذه الدعوة ويتجلى ذلك فى عبارة الشيخ محمد عبده : «كان غرضه ترقية دولة إسلامية ، أية دولة كانت ، فبدأ بمصر فلما أخفقت خططه تعلقت آماله بالمهدى ثم ببلاد إيران وأخيراً بالدولة العثمانية ». وتبعاً لمزاجه الدموى فقد إختار وسائل الثورة السياسية «وخيل إليه أنها أسرع الطرق وآكدها فى تحرير الشعوب الاسلامية . أما وسائل الإصلاح التدريجى

والتعليم فكان يرى أنها بطيئة وغير محققة لغايته » . ويبدو اختلاف الوسائل بين جمال الدين وبين الوهابية والسنوسية والمهدية ، اختلافاً بين حركات استطاعت أن تحكم ، ودعوة لم يتحقق لها ذلك ، لعدة عوامل حتى ليمكن القول بأن حركة (جمال الدين — محمدعبده) هى حركة بناءة خارج مجال النفوذ السياسى ومن هنا كان عمق أثرها ومفعولها . وللفارق بين جمال الدين والحركات الثلاث،هو فرق فى الزمن ،وفرق فى المكان وفرق فى التصور العقلى ، وفى تطور النفوذ الأجنبى نفسه وتغييره لأسلحته فقد ظهر جمال الدين فى الحواضر [إيران ، تركيا) وفى ظل حكومات قائمة (الشاة — اسماعيل— السلطان عبد الحميد). كما ظهر فى مواجهة تقدم الزحف الاستعمارى حيث لم تواجه الدعوات الثلاث هذا الزحف مباشرة فى تاريخها كما واجهه جمال الدين — بريطانيا فى الهند وفى فارس وفى مصر . وأمام مواقف حاسمة كامتياز التنباك فى فارس ، وقناة السويس فى مصر ، ثم الثورة العرابية ، والاحتلال البريطانى لمصر والسودان وتونس . لقد جاء فى مواجهة العاصفة الزاحفة على العالم الاسلامى لتدمير مقوماته الفكرية . امتاز جمال الدين بأنه كان واسع الثقافة العصرية بالاضافة إلى الثقافة الاسلامية فقد قصد إلى لندن وباريس وبرلين وبطرسبرج ورأى العالم الغربى وهو يتأهب لالتهام العالم الاسلامى، وقرأ مختلف الفلسفات والأديان والمذاهب ووقف على تاريخ الحضارات والدعوات وأفاد من ذلك للاسلام نظرة سريعة قوامها تحرير الفقه الاسلامى من الجمود وتحرير العقائد من التقليد ، وكانت دعوته إلى عقد أواصر الوحدة والألفة بين السنة والشيعة بعد خلاف مرير استمر أكثر من ثلاثمائة عام عملا هاماً بعيد المدى ، وكان يكافح من أجل تغيير الأنظمة القائمة فى العالم الاسلامى بالقوة والثورة «وكان يرى جواز خلع وقتل أمراء المسلمين الذى يشجعون الاعتداء الأوربى أو يرضون عنه فيقيمون بذلك الحوائل بين الناس وبين خلاصهم على ما يرجون » . وكان يرى أن إنقضاء أجل الاستعمار إنما يتم بزوال الأسباب التى مكنت أهله من التسلط وأكرهت الشعوب على الخضوع له . وذلك متى تعلمت . وتيقظت وقويت وبدأت بالتمرد على الغاصب الدخيل . وعنده أن التفاوت بين الشعوب واستعمار دولة لأخرى ليس قانوناً أزلياً لا يمكن تبديله ، بل هو حادث وقتى يزول بزوال مسبباته ، كغيره من الحوادث التاريخية والاجتماعية الخاضعة لنواميس التطور . «ولما كان لحياة الأمم والدول أدوار وآجال ولحدوثها وتكونها ثم ضعفها وانحطاطها أسباب وعوامل فالاستعمار خاضع لتلك النواميس الكونية بمعنى أنه يصل إلى

حد محدودوأجل معلوم ». وبذلك كشف جمال عن النفس الاسلامية ذلك الاحساس المظلم الذى عايشها خلال فترة الضعف وتحت تأثير مفهوم الجبرية ، وأعطاها روح الاحساس بالحياة والعمل والتطلع إلى الحرية . وقد كانت مفاهيم جمال الدين التى ضمنها «العروة الوثق » بعيدة الأثر فى الجيل المتطلع إلى العمل فى مجال الاصلاح والتجديد ، يقول رشيد رضا وهو واحد من هذا الجيل الذى تابع جمال الدين ومحمد عبده وحمل لواء الحركة بعدها : «إن العروة الوثق نقلتنى إلى طريق جديد من فهم الذين الاسلامى ، وهو أن الاسلام ليس روحانياً أخروياً فقط بل هو دين روحانى جسمانى ، أخروى ودنيوى وأن مقاصده هداية الانسان إلى السيادة فى الأرض بالحق ليكون خليقة الله فى تقرير المجد والعدل . وأحدث لى هذا الفهم الجديد فى الاسلام رأياً قوى الذى كنت أراه فى إرشاد المسلمين ، وكان همى محصوراً فى تصحيح عقائد المسلمين ونهيهم عن المحرمات . وتزهيدهم فى الدنيا ، فقد تعلقت نفسى بارشاد المسلمين عامة إلى المدنية والمحافظة على ملكهم ومباراة الأمم العزيزة فى العلوم والفنون والصناعات وجميع مقومات الحياة » ومن الحق أن يقال أن جمال الدين قد غير العقلية العربية الاسلامية فى مجال المجتمع والسياسة تغييراً بعيد المدى يتمثل فى عبارة محمد عبده : «وكان أهل مصر قبل قدوم جمال الدين يرون شئونهم العامة بل الخاصة ملكاً لحاكمهم الأعلى يتصرف فيها حسب إرادته ويعتقدون أن سعادتهم وشقاءهم موكولان إلى أمانته وعدله أو خيانته وظلمه ، ولا يرى أحداً منهم لنفسه رأياً يحق له أن يبديه فى إدارة بلاده . وفى آخر أيامه ألح فى طلب الحكم النيابى وحرص عليه وكان ذلك آية المقاومة الفكرية السياسية ». وعبارة جمال الدين فى هذا المجال تكشف عن مفهومه العميق للحرية كما جاء بها الاسلام وعقدها القرآن ونفذها محمد : «أنكم معاشر المصريين قد نشأتم فى الاستعباد وربيتم فى حجر الاستبداد وتوالت عليكم قرون منذ زمن الملوك الرعاة وأنتم تحملون عبء نير الفاتحين وتعنون لوطأة الغزاة الظالمين ، تسومكم حكوماتكم الحيف والجور وتنزل بكم الخسف والذل وأنتم صابرون بل راضون وتستنزف قوام حياتكم التى تجمعت بما يتحلب من عرق جباهكم — بالعصا والمقرعة والسوط وأنتم صامتون . انظروا أهرام مصر ، ومشاهد سيوة ، وحصون دمياط فهى شاهدة بمنعة أبائكم وعزة أجدادكم ، هبوا من غفلتكم ، أصحوا من سكرتكم ، عيشوا كباقى الأمم أحرار سعداء » . هذا أهم ما ألقاه جمال الدين إلى قلب ذلك الجيل الذى اتصل به ، ومن حق أن جمال الدين قد

استطاع أن يترك خلال ثمانى سنوات ركيزة هامة فى مصر والشام والمغرب ، ركيزة ضخمة كانت بعيدة الأثر فى حركة اليقظة الاسلامية ويمكن أن يقال أن مدرسة جمال الدين قد ضمت أولئك الأعلام الذين تصدروا منذ أول القرن : طاهر الجزائرى والقاسمى والبيطار وعبد القادر المغربى وكرد على ورفيق العظم ، وشكيب أرسلان ورشيد رضا ، والمراغى ، وعبد العزيز جاوش ، وأبراهيم اللقانى ، وفريد وجدى ، وطنطاوى جوهرى ، ومصطفى عبد الرازق وعبد الحميد بن باديس ، ومحب الدين الخطيب ، وأحمد زكى باشا ، والبارودى ، وعبد المحسن الكاظمى ، والخضر حسين ، وأحمد تيمور ، وعبد العزيز الثعالبى ، والطاهر بن عاشور ، والعربى العلوى ، وكان على مقدمة هذه المجموعة الشيخ محمد عبده .
وبعد الاحتلال البريطانى بدأ دور هام لحركة اليقظة . ذلك أن عمل جمال الدين قد مضى فى طريقه واستقر أخيراً فى عاصمة الدولة العثمانية أما محمد عبده فقد رسم منهجاً للدعوة وفق حاجة المرحلة نفسها وله طابعه المستمد من مزاجه ومفاهيمه . ذلك أن انفصال محمد عبده عن جمال الدين كان أمراً محتوماً فى الأغلب بحسبان الفارق بين «عقلية الثائر» و«عقلية المربى» . وبحكم الزمن نفسه . وعندنا أن اتجاه محمد عبده كان تطويراً وتعميقاً لحركة اليقظة نفسها بعد أن ثبت أن عمل جمال الدين الأفغانى حقق دوره الطبيعى فى أنه هز الحياة الاجتماعية والسياسية فى العالم الاسلامى (الهند- إيران- مصر) وكان لابد من دور جديد ، ذلك هو دور محمد عبده فى التربية وبناء الدعاة وكان هذا هو مناط الخلاف حين اقترح الشيخ عبده كضرورة لتحقيق خطوة أكبر فى مجال حركة اليقظة من تربية جيل من الشباب فى مكان بعيد عن تحديات الاستعمار وهو ما لم يقبله جمال الدين واتهمه من أجل اقتراحه هذا بأنه مثبط ،غير أن الزمن نفسه قد كشف عن عمق مفهوم محمد عبده فى معرفة ضرورات المرحلة وحاجة الحركة ، وقدمضى جمال الدين دون أن يستطيع تحقيق هدفه من حيث إقامة حكومة إسلامية تتولى تنفيذ التعاليم الاسلامية وتجمع الحكومات الاسلامية الأخرى فى وحدة تواجه بها الاحتلال والنفوذ الأجنبى وتناهضه .

وبدأ فى ظل اندفاعة الاستعمار العنيفة التى تمثلت فى احتلال مصر وتونس أن أسلوب العمل يجب أن يتغير ، وأن يكون المخطط قائماً على خطة واسعة مرنة قوامها العمل فى مجال التعليم والتربية والثقافة ، ومن هنا كانت دعوة محمد عبده التى أذاعها فى مصر وتونس والجزائر حينما حذر من السياسة وحين نصح بنقل مجال المعركة كلها إلى مجال الثقافة والتعليم

وبذلك حقق نتائج بعيدة المدى فى خلال السنوات العشر الأخيرة من حياته (١٨٩٦–١٩٠٥) وقد امتدت هذه الحركة ممثلة فى جريدة المنار التى وصلت إلى أقصى مكان فى العالم الاسلامى وشاركها عمل فريد وجدى ومحب الدين والخطيب وكثيرين . وقد شكلت هذه الحركة ما أطلق عليه : « المدرسة السلفية » .

وكان اعتماد محمد عبده الأساسى فى تبليغ الدعوة هو تفسير القرآن على نحو عصرى سلفى معاً ، محرراً مختلف القضايا والمعضلات التى كانت تواجه المسلمين فى هذه المرحلة أزاء التحديات إلى فرضها الاستعمار والنفوذ الأجنبي وحملات المبشرين والمستشرقين وكتاب الغرب على الاسلام واللغة العربية وثراث المسلمين والعرب وتاريخهم . وعن طريق تفسير القرآن استطاع محمد عبده أن يقول رأيه فى حرية بالغة ، مما لم يكن يتيسر له عن طريق الكلمة المطلقة بعيداً عن تفسير القرآن ، قد ركز على مجال التربية والتعليم تركيزاً هاماً ، وكان له دوره فى تحرير اللغة العربية أسلوباً ومضموناً من السجع والمقدمات معاً وكان ردوده الحاسمة على « هانوتو » و « فرح أنطون » مجالا واسعاً لالقاء نظرة واسعة على جميع القضايا المثارة والشبهات الموجهة إلى الاسلام ومن حق أنه عالجها بحكمة وبراعة وأضاف إلى عمل قادة الحركة إضافات جديدة . وجملة موقف محمد عبده أنه كان حريصاً على أن يبرز الاسلام فى مكان القدرة على مواجهة الحضارة الغربية بدون تخلف ، سواء فى مجال الرابطة بين العلم والدين ، أو بين الدين والمجتمع . وكانت فتاواه فى القضايا الهامة : مثل ذبائح أهل الكتاب ولبس القبعة وغيرها قد ألقت ضوءاً ساطعاً على قدرة الاسلام فى مواجهة الحضارة والزمن وعلى فتح باب الاجتهاد فى الفروع ويعد هذا العمل خطوة جديدة بعد عمل جمال الدين الأفغانى الذى توقف عمله عند العموميات والكليات ومن حق أن محمد عبده كان معلماً ومفتياً . وكان عمله فى جال إصلاح الأزهر بعيد المدى فقد أدخل تعليم الحساب والجبر والهندسة والتاريخ فى الأزهر وكان إيمانه بأمرين لا يبلغهما إيمان : إصلاح الكومة وتربية الرجال وكان يقول : أن القيام على الحكومات الاستبدادية وتقييد سلطتها وإلزامها بالشورى والمساواة بين الرعية إنما يكون من الطبقات الوسطى والدنيا إذا فشا فيهم التعليم الصحيح والتربية النافعة وصار لهم رأى عام . وأنه لم يعهد فى أمة من الأمم أن الخواص والأغنياء ورجال الحكومة هم الذين يطلبون مساواة أنفسهم بسائر الناس وإزالة إمتيازاتهم » . وكان من أبرز دعوات محمد عبده معارضة الجبرية الصوفية والدعوة إلى العمل

اولبناء : «لماذا تعتزل الدنيا ، إن علينا أن نخالط الناس وأن نعيش فى المجتمع عاملين وأن واجب كل مسلم صحيح الاسلام أن يؤدى رسالة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر». وقد جعل من أهم ما عنى به التفرقة الدقيقة بين الاسلام وبين المسلمين . وكان مما قال وجرى مجرى الأمثال : «الاسلام محجوب بالمسلمين» هذا الجمود مما لا يصح أن ينسب إلى الاسلام ، ما أبعد هذا عن صورة الاسلام فى صفائها ووضوح بياضها . حدث هذا عندما دخل على قلوبهم عقائد أخرى ساكنت عقيدة الاسلام فى أفئدتهم . وكان السبب فى تمكنها من نفوسهم «السياسة» . «تلك الشجرة الملعونة فى القرآن ، نظر المسلمون إلى فخفخة الوثنية ، واستعاروا من ذلك للاسلام ما هو عنه برآء ، وسنوا عبادة الأولياء والعلماء ، واتخذوا من عقيدة القدر مثبطاً للغرائم. هذه السياسة التى أدخلت على الدين ما لا يعرفه ، دخول البدع والخرافات والجمود ، جنى هذا الجمود على اللغة وأساليبها وعلى النظام والاجتماع ، مما أدى إلى الاختلاف وتفرق المذاهب والشيع فى الدين ، وجناية الجمود على الشريعة وأهلها مما جعلها تضيق عن أهلها . كان كل متأخر يقصر فهمه على النظر فى كلام من يليه هو غير مبال لسلفه الأول ، بل ولا بما كان يحف بالقول من أحوال الزمان وفقدت كتب السلف الأولين مكانتها» . «قام الاسلام على العقل «والاقناع بالحجة» وأقر الاسلام قاعدة تقديم العقـــل على ظاهر الشرع عند التعارض — والتجارب مع الزمن وتطوره ومراعاة البيئة واختلافها ، وقام على الشورى «وعدم وجود وساطة» والحاكم ليس بالمعصوم ولا هو مهبط الوحى وهو مطاع ما دآم على الحق ، ورضى المسلمون عنه ، وليس فى الاسلام سلطان إلهى ، مع التسامح مع العلم ، والتسامح مع الطوائف الأخرى ، وحماية حقوقها وحرية اعتقادها ، والجمع بين مصالح الدنيا والآخرة ، واباحة الزينة والطيبات والمزج بين الروحية والمادية» . وبالجملة فقد كان منهج فكرته فى إصلاح الاسلام على هذا النحو : الأول : تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف والرجوع فى كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى . واعتباره ضمن موازين العقل البشرى التى وصفها الله لترد من شططه وتقلل من خلطه وخبطه لتتم حكمه الله فى حفظ نظام العالم الانسانى وفتح باب الاجتهاد . ومحاربة الخرافات والأباطيل التى نسبت إلى الاسلام . الثانى : إصلاح التعلم فى الجامع الأزهر وملحقاته . بحسبانه مصدر النهضة الاسلامية وحصن الدين ومعقل اللغة وإنشاء جيل من علماء الدين القادرين على مواجهة العصر وبالجملة فقد كان منهج

فكرته فى إصلاح الاسلام على هذا النحو . الثالث : تجديد شباب اللغة العربية إصلاح أساليبها فى التحرير سواء فى المخاطبات الرسمية أو المراسلات بين الناس وكان عمله فى إصلاح اللغة على درجتين :أحدهما إلقاء دروسه كلها باللغة الفصحى الممتازة برشاقة التعبير وبلاغة التأثير . والأخرى مقالاته وكتاباته . والرابع : الاصلاح السياسى . يقول : أمر كنت من دعاته : حق الحكومة على الشعب وحقه على الحكومة والاعتقاد بأن الحاكم وان وجبت طاعته هو من البشر الذين يخطئون وتغلبهم شهواتهم وأنه لا يرده عن خطئه ولا يقف طغيان شهواته إلا نصح الأمة له بالقول والفعل ، وأن تقوم بين الراعى والرعية علاقة قوامها الطاعة من الشعب والعدالة من الدولة . الخامس: العناية بتربية الأمة تربية خاصة وأنها مقدمة على العمل السياسى . السادس : الاتحاد العام أمام العدو الخارجى ونسيان الحزازات والخلافات أثناء الخطر . السابع : اعتبار الدين صديقاً للعلم لا موضع لتصادمهما ، إذ لكل منها وظيفته التى يؤديها ، وهى حاجتان من حاجات البشر لا غنى لأحدهما عن الاخرى . الثامن : « القرآن » : يجب أن يكون أصلا تحمل عليه المذاهب والاراء فى الدين.

(٥)

الحـركة السلفية

أصّل محمد عبده منهج الاصلاح الاسلامى — ورسم بكتاباته فكرة كاملة لإيقاظ الفكر الاسلامى العربى ، وواجه تحديات عصره وخاصة فى السنوات الأخرى من عمره ١٨٨٥ — ١٩٠٥ فى ظل توسع النفوذ الأجنبى واحتلال مصر وتونس والسودان . وسيطرة فرنسا على الجزائر . وقدامتدت دعوة محمد عبده فى ثلاث جهات متوازية فى الشام ومصر والمغرب ومنها إلى أندونيسيا وكان للهند حركتها الاسلامية المتوازية مع هذه الحركة ولها منهجها المستقل وفق ظروفها . وكانت المنار هى رابطة المسلمين بعد العروة الوثق ، على نفس النسق والهدف مع اختلاف الأساليب ، وقد استطاعت المنار أن تغذى هذه الحركة حتى عام ١٩٣٥ وشاركها فى هذا الوقت دعاة كثيرين وكتاب كثيرون . وكان أبرز مجالى هذه الدعوة « المغرب » فقد وجد محمد عبده فى تونس والجزائر من يؤمنون بفكرته ويسايرون خطوه ثم كان للمغرب الأقصى إمتداد آخر وأن لم يذهب إليها الشيخ عبده وفى تونس والمغرب كانت الدعوة السلفية متقدمة فى الزمن . وفى الجزائر بدأت جمعية العلماء

فى العقد الثانى من القرن العشرين وبرزت فى العقد الرابع قوة بعيدة المدى . والمعروف أنه فى عام ١٨٨٤ أسس محمد عبده وجمال الدين «العروة الوثقى» جمعية سرية بباريس وقد شمل نفوذها السواحل الشرقية للبحر المتوسط وقصد عبده إلى تونس ١٨٨٥ وأثرت فتاواه فى علمائها فأيدوها ، وكانت تونس رصيد فى الاصلاح منذ برز الشيخ قبادو وخير الدين التونسى فى محاولة الربط بين الاسلام والحضارة الحديثة . وقد عاود محمد عبده زيارة تونس والجزائر ١٩٠٣ وكانت دعوته قد تطورت فلم يكن يدعو إلى مقاومة الغاصب بالثورة بل كان يدعو إلى العلم كوسيلة لمقاومة النفوذ الأجنبى . ويرى المغاربة لشكيب أرسلان أبعد الأثر فى نفوسهم فقد وقف مع الليبيين فى حربهم مع إيطاليا . وكذلك تنسب إليه ازدهار الحركة السلفية وفق غايات استاذه محمد عبده وزميله رشيد رضا صاحب المنار الذى كان من أهم وسائل تغذية الحركة وقد اتصل شكيب فى تونس برجلين من أبرز رجال الفكر : صالح الشريف وعلى باش حبنه وكان جمعيتى الخلدونية والصادقية بعيدة الأثر فى تأريث الحركة السلفية وكان لظهور الطاهر بن عاشور شيخ الاسلام وصديق الشيخ عبده أثر كبير وقد ظل شكيب أرسلان ومحب الدين الخطيب ورشيد رضا فى صحف المنار والفتح ومعهم فى مصر الخضر حسين يواجهون الحملات العاصفة على المغرب وعلى تونس ومراكش وبخاصة فى أخطر أزمتين : وهى المؤتمر الافخارستى فى تونس والظهير البربرى فى مراكش (المغرب الأقصى) . ومن الذين عملوا فى هذا الميدان خارج الوطن [عبد العزيز الثعالبى] الذى ظل مبعداً عن تونس أكثر من عشرين عاماً . وعرض رشيد رضا فى المنار الرأى فى هذه القضايا كما واصل شكيب أرسلان من لوزان مقالاته وشاركهما على الصعيد العربى محمد على الطاهر فى (الشورى) وكان شكيب أرسلان عليماً بأحوال المسلمين فى أفريقيا من ليبيا إلى الدار البيضاء بصيراً بشبهات الاستعمار التى كان يثيرها للوقيعة بين بين المسلمين والبربر وكان مما يقوله : « فى شمال أفريقيا يعرفون المسلم العربى ، والعربى هو المسلم فالإسلام والعروبة مترادفان » . أما الحركة السلفية فى مراكش فقد كانت قوة ضخمة بعيدة المدى فى مقاومة الاستعمار وكان قوامها قاده أعلام من أمثال : عبد الله السنوسى ، والمهدى الوزانى وأبو شعيب الدكالى ومحمد بن العربى العلوى . وقد امتزجت الدعوة السلفية بالدعوة الوطنية فكانت دعوة إلى إصلاح شامل ومقاومة للتخلف والجمود فى كل مناحى الحياة . ويؤكد العلامة علال الفاسى ارتباط الدعوة السلفية فى المغرب بابن حنبل وابن تيمية

وحركة الإمام محمد بن عبد الوهاب وذلك فى مواجهة مرحلة الجبرية التى مرت بها الدولة العثمانية فى الفترة الأخيرة . ويرى أن علة التأخر فى العالم الإسلامى كانت كامنة فى « خطأ الفهم بعقيدة الجبر : وتأول عقيدة القضاء والقدر الإسلامية على أنها تعبر عن حتمية لامناص منها ، ولا يمكن التحرر من أحداثها ، لذلك فلا محل لبذل المحاولات للخروج من أية نكبة تنزل بنا — وهذا ما دفع الحكام والولاة إلى احتضان الصوفية لأنها كانت تدعو الأمم إلى الاستسلام والرضا وكذلك اتخذها الاستعمار سلاحاً لهذا الغرض . يقول : وذلك ما نشأ عن انتشار « الشاذلية » فى بلادنا مع سوء الفهم لصوفيتها الحقيقية ، وترتب على ذلك ازدهار شأن طبقة من المشايخ والمرابطين أصبحوا يملكون زمام الأمر فى الأمة ويسيرونها فى الاتجاه الذين يريدون. وأعانتهم على ذلك الأسر الحاكمة » . وفى المغرب دعا السلطان المولى سليمان العلوى إلى السلفية الأولى ومقاومة الطرق وتشعباتها . وواصل الملوك الذين تعاقبوا على عرش المغرب الدعوة إلى السلفية ، فلما سقطت الجزائر تحت نفوذ فرنسا بدأت يقظة دفعت المسلمين فى المغرب إلى التفكير فى التجديد العسكرى والاجتماعى وكتب أحد علماء المغرب كتاباً أسماه « كشف الغمة فى أن الحرب النظامية واجبة على الأمة » وقال فى كتابه : إن الأوربيين تطوروا فى أساليبهم العامة بينما نحن لازلنا نواصل الأساليب العتيقة فى جهادنا وفى تدبيرنا . ومضى فحلل أسباب الجمود الفكرى والجمود العلمى ، وكشف عن حيوية الإسلام وكونه صالحاً لكل زمان ومكان . وقد كان لازدهار الدعوة السلفية فى العالم العربى فى أوائل هذا القرن وإعادة طبع مؤلفات ابن تيمية وابن القيم والشاطبى ، هذه الحركة التى قام بها رشيد رضا فى مصر وظاهر الجزائرى فى دمشق ، والألوسى فى بغداد ، ثم ما كان من جهود الحركة الوهابية بعد تجددها فى العقد الثالث ، وكان أول من تصدى لنشر دعوة كاملة للسلفية فى المغرب هو « عبد الله السنوسى » أحد علماء القرويين والذى سافر إلى المشرق واتصل بأقطاب الدعوة وصدع بدعوته داخل جامعة القرويين (الجامعة القروية) بفاس وتتلمذ عليه محمد بن العربى العلوى بينما كان شعيب الدكالى يرفع صوته بالدعوة فى الرباط ، ويرى الأستاذ الفاسى : إن الجانب السياسى طغى على المدرسة السلفية فى مصر والمشرق بينما طغى الجانب الاجتماعى والعقلى فى الهند . أما المغرب فقد تأثر بكلتا المدرستين .

وكان للهجوم الفرنسى على البلاد ودسائس الفرنسيين فى استعمال بعض مشايخ الطرق قلب سلم المعركة إلى عنف شديد فقد جر إلى إغلاق الزاوية « «الكتانية» والحكم على رئيسها

بالإعدام وتنفيذه . واتخاذ وسائل شديدة فى الحكم على « التيجانية » وغيرهم من رجال الطرق. ومقاومة المشايخ الذين كانوا يستغلون الدين والتصوف لأغراضهم الشخصية . وقد انضموا لصفوف الفرنسيين والأسبان وأخذوا يوجهون الرسائل المختلفة يغرون فيها القبائل المكافحة فى سبيل الله والوطن إلى العدول عن الجهاد والاستسلام للأعداء . وبذلك حلت السلفية محل التصوف ممثلة قوة الإسلام وسلامة مفاهيمه وكان لتحالف بعض الصوفية مع النفوذ الأجنبى دورها فى هزيمة الأمير عبد الكريم فى الحرب الريفية عام ١٩٢٦ فقد تحالف عبد الحى الكتانى وعبد الرحمن الدرقاوى مع الفرنسيين ضد الثوار والأمير عبد الكريم . وبعد ذلك اتجه الفرنسيون إلى مقاومة الشريعة الإسلامية ووضع المناهج الرسمية العلنية لفرنسا والمغرب عن طريق تمسيحة ، وكان الظهير البربرى فى ١٦ مايو ١٩٣٠ رمزاً على هذا المخطط . هنالك تحولت الحركة السلفية إلى حركة سلفية ووطنية فى وقت واحد ، سلفية فى إقرار الشرع الإسلامى ووطنية فى مقاومة السيطرة الأجنبية .

(٦)

جمعيــة العلمـــاء

وكانت جمعية العلماء فى الجزائر عملا ضخماً بعيد المدى فى مجال اليقظة والإصلاح الإسلامى وقد كانت بعيدة الأثر بقدر خطورة مهمتها فلم تكن مهمتها قاصرة على تصحيح المفاهيم أو مقاومة نفوذ الجبرية الصوفية فحسب ، ولكن كان أمامها ما هو أخطر من ذلك : وهو حماية اللغة العربية التى كانت على وشك الضياع بحسب ما خطط لها النفوذ الاستعمارى خلال مائة عام كاملة . وقد برزت جمعية العلماء فى عام ١٩٣٠ فى ذكرى مرور مائة عام على احتلال الجزائر ، حيث حسبت فرنسا أنها قد فرنست الجزائر نهائياً ، فمضت تزدهى بأنها حققت عملا باهراً بعيد المدى غير أن الإمام عبد الحميد بن باديس كذب ذلك حين أعلن صيحته فى هذا الوقت وبالذات وإن كان يعمل فى مجال الإصلاح منذ ١٩١٤ تقريباً . هذه الثورة التعليمية التى أحدثها ابن باديس كانت بعيدة المدى فى إعداد جيل جديد يفهم الإسلام فهماً صحيحاً ويكتب ويتحدث باللغة العربية . حتى ليمكن أن يقال بصدق أن كل من يعرف اللغة العربية اليوم فى الجزائر مدين للعمل الضخم الذى قام به هذا الداعية الدؤوب وكانت مجالس التذكير التى يعقدها فى المساجد ذات أهمية بعيدة المدى فى الكشف عن

عن جوهر الإسلام وهى شبيهة بمجالس الشيخ محمد عبده فى الرواق العباسى والتى سجلها رشيد رضا فى المنار وقد سجلت مجالس التذكير الباديسية فى مجلة الشهاب وهى تدل على معرفة شاملة بأمور العصر وما يكتنفه من ظروف طارئة ، ومدى معالجة الإسلام لهذه المشكلات والمعضلات على نحو سمح يسير ، وقد أخذ بأسلوب الاجتهاد « فى اختيار الرأى المناسب وترجيح الحكم المدقق دون أن يتقيد بمذهب من المذاهب ولا بإمام من الأئمة ، شأن السلف الصالح للخروج بالفكر الإسلامى من دائرة الضيق والجمود » . « وقد جرى فى دروسه على أن شريعة الله خالدة لا تتأثر بالمكان ولا تتغير بالزمان ولا تتسم بالخصوص ولا تضيق بالحضارة ولا تتبرم بالعلم ولا تنبو عن التطور » وقد رسم « عبد الحميد بن باديس » منهاجه على نحو واضح مشرق :« على مرشدى المسلمين أن يعالجوا أدواءهم بالعلاجات النافعة ، ويشخصوها لهم عند الحاجة بالعبارات الرقيقة المؤثرة فى رفق وهوادة ، مجتنبين كل ما فيه تقنيط أو تثبيط . وأن يعرفونهم وإن ساءت نواح ما تزال هناك نواح صالحة وهناك علاجات من الإسلام قريبة وناجعة . وأن يعرفوا ماهم فيهم من فضائل،وما لهم من مجد وما لهم بهذا الإسلام من قدر وعز ، ليثيروا فيهم النخوة ويبعثوهم عن العمل والخير . هذا أصل عظيم فى التربية المبنية على علم النفس البشرية فإن النفوس عندما تشعر بحريتها وقدرتها على الكمال تنبعث بقوة ورغبة وعزيمة لنيل المطلوب ، وعندما تشعر بحقارتها وعجزها تقعد عن العمل ، إن التحقير والتقنيط وقطع حبل الرجاء قتل للنفوس : نفوس الأفراد والجماعات وذلك ضد التربية . وهذا مصداق لقول الرسول : « إذا سمعت الرجل يقول : هالك الناس فهو أهلكهم » « نحن المسلمين ربينا تربية إسلامية على ألفة الجوع والتقلل من الأكل والاقتصار على قدر الحاجة ، فطعام الواحد يكفى الإثنين ، بهذه التربية استطعنا أن نبقى ونعيش فى مثل ما عليه معظم الأمة الجزائرية من الفاقة والعوز والجوع والمسغبة .

وكما ربانا الإسلام هذه التربية من ناحية الغذاء ، فقد ربانا تربية أخرى من نواحى أخرى ، ربانا على مجد العلم بالمعرفة والرغبة فيها والتلهف على ما فات منهما والاحترام لمن له حظ فيهما . وبهذه التربية استطعنا أن نحافظ على قرآننا وخطنا وبقايا علوم لغتنا وديانتنا وجملة معارفنا واندفعنا إلى تأسيس المكاتب العربية رغم ما يحول بيننا وبينها . ولولا تلك التربية الإسلامية التى زرعتها القرون فاستقرت فى قرارات النفوس ، وصارت من الخلق

الموروث ، لكان ما نحن فيه من ظلم وتعاسة وتقديم كل أحد علينا فى وطننا والترك لمعامل التجريع والتمهيل شاغلا لنا عن العلم وعن الشعور به . « ظنوا أن الخبز هو كل ما نريد ، لا يقوم ، إننا أحياء ، وأننا نريد الحياة ، للحياة خلقنا وأن الحياة لا تكون بالخبز وحده فهنالك ما علمتم من مطالبنا العلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وكلها ضرورات فى الحياة » .

(٧)

الحركة الإسلامية فى الهند الإسلامية والباكستان

بدأت اليقظة فى الهند الإسلامية قبل وصول الاحتلال البريطانى بوقت طويل فقد ظهر الإمام السرهندى (أحمد عبد الأحد) فى القرن الحادى عشر الهجرى (١٧ م) فى خلال حكم الإمبراطور جلال الدين أكبر الذى دعا إلى ما أسماه الدين الإلهى ، وقد حكم الملك أكبر خمسون عاماً (٩٦٤ ـ ١٠١٤) م وواجهت المسلمين بدعوته إلى الدين الجديد محنة خطيرة ، غير أن السرهندى لم يقبل تأييد الإمبراطور فى دعوته ووقف موقفاً مجيداً أمام المحنة القاسية ونزل ميدان الجهاد ضد طغيان الإمبراطور ودعوته الضالة وهاجم العلماء التقليديين الذين لم يعارضوا الملك بل شجعوه على نشر هذه الفتنة فى أواخر القرن الحادى عشر للهجرة وبعد أن تولى ابنه « جهانكير » اشتدت هذه الفتنة وتعرض كثير من العلماء والفقهاء للاضطهاد ولم يتوقف الملك عن زج الشيخ السرهندى فى السجن وكان ذلك نقطة تحول فى تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ،فقد اهتدى به المسجونون إلى الله وأقلعوا عن الجريمة فلم يلبث مدير السجن أن كتب بذلك إلى الملك حتى أصدر أمره بالإفراج عنه واستقدمه بالترحيب فلما دخل على الملك سلم عليه بتحية الإسلام ولم يسجد ولم ينحن وأسدى إلى الملك مواعظه ونصائحه . وكان من نتائج مساعيه أن أصدر الملك قراراً بإلغاء كثير من البدع والمنكرات ومنها ما ابتدعه أبوه نفسه ، وفى مقدمة القرارات التى أصدرها جهانكير أمراً بتحريم السجود أمام الملك تعظيما له وكذلك أبطل جميع القوانين المعارضة للتعاليم الإسلامية وعين قضاة مسلمين فى كل بلدة . وقد واصل السرهندى دعوته بين جميع طبقات الأمة وكاتب الأمراء والرؤساء فى الحكومة والجيش يدعوهم إلى اتباع الحق ويقاوم البدع والمنكرات . ويعد السرهندى مجدد الألف الثانى الهجرى فقد جرد قلمه للرد على البدع والأباطيل وهاجم دعاة التصوف الذين تأثروا بمذاهب البرهمية

وفلسفتها ، من وحدة الوجود والاتحاد والحلول . ولم يتوقف عن نقض آرائهم . وقد أعلن السرهندى أن المسئولية الأولى فى نشر التعاليم الإسلامية الحقة والمبادئ القرآنية الخالصة يقع على عواتق العلماء المسلمين . كما أن تبعات النكبات التى يصاب بها المسلمون من ذلة وهوان ترجع إلى العلماء التقليديين الذين يتهافتون على حطام الدنيا ويردد قول الرسول عليه السلام : « صنفان من أمتى إذا صلحا صلح الناس جميعاً : وإذا فسدا فسد الناس جميعاً : العلماء والأمراء» كما جاهد فى الكشف عن البدع والأباطيل وأوقف قلمه للرد على ما ابتدعوه ونسبوه إلى الإسلام وعمل على إصلاح الأمراء والحكام ووجه اهتمامه نحو إسداء النصائح لحكام البلاد . وقد ألف عديداً من الكتب فى الرد على فكرة وحدة الوجود والحلول والاتحاد وكشف عن زيفها وأبعد الإسلام عنها كما دعا إلى التصوف الإسلامى الخالص الذى ترجع أصوله إلى المنابع القرآنية والنبوية . وأبرز أعماله أنه قضى على عقيدة وحدة الوجود التى تغلغلت فى أحشاء التصوف والأدب والشعر وقضى على فكرة استقلال الطرق عن الشريعة وعلى كثير من العقائد والأفكار والعادات التى تسربت من الفلسفات الضالة . (٩٧٧ — ١٠٣٤ م)

٢ — شاه ولى الله (أحمد عبد الرحيم الدهلوى) . أما شاه ولى الله فقد كان مجدداً من أبرز مجددى الفكر الإسلامى فى العصر الحديث وقد عاصر الإمام محمد بن عبد الوهاب وتأثر به وهو واحد من طراز الإمام الغزالى وشيخ الإسلام ابن تيميه. كان من أكبر أعماله تصحيح مفهوم التوحيد الإسلامى والدعوة إلى الاتصال المباشر بالقرآن والسنة الصحيحة . وكتابه (حجة الله البالغة) من الكتب المعدودة فى هذا المجال . وقد قاوم ولى الله ما ساد عصره من انحلال وفساد ، وهاجم التساهل وعدم الاكتراث واجتهد فى إيجاد تفسير يجمع بين التصوف والسنة الخالصة . ويكون أكثر مرونة تقبلا وللتطور . وقال ولى الله : إن المسلم الحق يجب أن لا يقبل الانحطاط المعاصر .

— ٢ —

تتمثل النهضة فى هذه المرحلة بعد الاحتلال البريطانى للهند المسلمة فى صورة النهضة الثقافية التى قام بها محمد قاسم النانوترى وسيد أحمد خان ومحمد على المونكيرى وبرز خلال هذه الحركة : شبلى النعمانى وأمير على وأبو الكلام ازاد . وقد كانت الدعوة إلى إنشاء المدارس والمعاهد والجامعات بمثابة رد فعل لحركة التعليم الاستعمارى الذى رفض المسلمون الاندماج فيه محافظة على دينهم .

فأسس النانوتوى مدرسة ديوبند عام ١١٨٣ هـ ١٨٦٦ م . وسعادت مظاهر العلوم فى سهارنبور ومحمد على المونيكرى : مدرسة دار العلوم عام ١٣١٢ هـ ١٨٩٤ م فى ليكنو وأنشأ سيد أحمد خان مدرسة عليكرة الشهيرة عام ١٢٦٣ . ١٨٧٦ م وكان شبلى النعمانى هو أبرز معاونى أحمد خان ومؤسس ندوة العلماء وقد خلفه فيها سليمان الندوى ومسعود الندوى الذى أصدر مجلة الضياء العربية (١٣٥١ - ١٣٥٤) ١٩٣٢ م وأصدر أبو الكلام ازاد صحيفة الهلال ١٣٣٢ هـ - ١٩١٣ م . وكانت الحركة الثقافية التى تصدرها شبلى النعمانى تضم حافظ نظير ومحمد حسين أزاد وسعد الطاف حسين تدعو إلى انهاض المسلمين فى مجال التأليف والشعر والكتابة وتعد قصيدة (مدرسة الاسلام وجزره) لسيد الطاف من الشعر الرفيع الذى هز النفس الاسلامية الهندية . ولما رأى المسلمون أن خطة أحمد خان فى كلية عليكرة قد اقتصرت على الثقافة الحديثة أكملوا عمله بمدارس أخرى تعني بالدراسات الاسلامية الخالصة وكان أبرز أعلام اليقظة فى الهند الاسلامية . شبلى النعمانى وأبو الكلام أزاد وأمير على وسيد أحمد خان واقبال .

(٨)

حركة الإصلاح فى أندونيسيا والملايو

على الرغم من أن أرخبيل الملايو قد دخل فى الإسلام بعد الهند وفارس وأفغان بقرون عديدة فإنه قد وجد للإسلام تقبلا روحياً ونفسياً كبيراً مما كان له أبعد الأثر فى مواجهة الغزو الاستعمارى البريطانى والهولندى للملايو وإندونيسيا ومقاومة حركات التبشير والتغريب التى تكاتفت فى سبيل إخراج هذه المنطقة من عالم الإسلام . وتتسم حركة الإصلاح فيها بروح عالية من المقاومة والعمق وقد عملت فى ميدانين فى وقت واحد : ميدان تصحيح العقيدة وتجديد الفكر الإسلامى بما يجعله قادراً على الكشف عن جوهره وصلاحيته للنهضة ، وفى ميدان مدافعة الشبهات وحملات التشكيك وشبهات التبشير . وقد استمدت حركة الإصلاح فى إندونيسيا والملايو من حركة الإصلاح الإسلامية التى حمل لواءها محمد عبده وجريدة المنار زادها وأسلحتها فأحدثت يقظة كبرى فى سومطرة وجاوة . وكانت شركة إسلام التى تأسست ١٩١٢ ومن بعدها مجلس العلماء والجمعية المحمدية ، كلها قوى إيجابية عاملة فى هذا المجال على الرغم من اختلاف ميادين عملها . وقد حملت هذه الجماعات لواء العمل فى كل الميادين

وبدأت بالعمل فى الميدان الاقتصادى فى محاولة لتحرير الاقتصاد القومى من براثن النفوذ الأجنبى وخلق اقتصاد إسلامى يحفظ للمسلمين ثرواتهم ، ومن خلال هذا العمل توسعت أهداف عمل الإصلاح فى مختلف الميادين وأهمها الوحدة الإسلامية والكفاح المشترك للخلاص من الإستعمار والحركة الوطنية ومقاومة التبشير وبناء المساجد والمدارس والمعاهد والأندية لمواجهة القوى المؤيدة بالنفوذ الاستعمارى . وقد استغل المصلحون المسلمون كل أسلحة المستعمر فى سبيل مقاومته وخاصة ما كان يحمله طابع الحكم الاستعمارى فى إندونسيا عن طريق الهولنديين يصبغ استعمارهم بصبغة دينية وتحدثهم دوماً عن القضاء على دين محمد والقول بأنهم فى إندونيسيا بإرادة الله وأنهم يحملون السيف ويقاتلون لهذا الغرض . وفشل النفوذ الاستعمارى بالقضاء على الوعى الإسلامى واستطاعت المعاهد والمدارس الإسلامية أن تحدد من نفوذ التبشير وأن تقاوم حركة الفصل بين العرب والوطنيين . كما عمدت هذه الهيئات إلى مقاومة نفوذ الوثنية والهندوكية . وقد أعلنت عن ذلك صراحة الجمعية المحمدية التى أنشأها المجاهد أحمد دحلان عام ١٩١٢ فى جاكرتا حين سجلت فى ميثاقها « تنقية عقيدة الإسلام من آثار الديانات الأخرى كالبرهمية والبوذية وأوهامهما » . كما عنيت هذه الهيئات بالمرأة المسلمة فأنشأت أقساماً خاصة لتربيتها وتعليمها وتكوينها تحت اسم « العائشية » ضمت الفتيات المسلمات من مختلف أنحاء إندونيسيا وعملت على تنشئتهن تنشئة إسلامية قوية . وقد كانت هذه الحركة الإسلامية هى نواة الحركة الوطنية ، فقد أوقدت المقاومة ضد الاستعمار الهولندى بحيث لم يتوقف من بعده .

وقد اعترف سنوك هروجنية (كبير خبراء التبشير والتغريب) فى إندونيسيا بأن هذه الحركة كانت بعيدة الأثر فى مقاومة النفوذ الاستعمارى والحيلولة دون تحويل إندونيسيا إلى الغرب كلية ، وعزى ذلك إلى أثر الأزهر وخريجى إندونيسيا والملايو منه ومن الدارسين فى مكة . ويمثل عصر الاستعمار الهولندى ، أخطر عهود المقاومة فى الفترة من عام ١٥٩٦ إلى ١٩٤١ وقد كان لهذه الفترة أثرها البالغ فى الحد من نفوذ الإسلام وتوسعه والقضاء على اللغة العربية فى إندونيسيا وفرض كتابة اللغة الأندونيسية بالحروف اللاتينية على الرغم من رغبة الأهالى الذين كانوا يرون فى اللغة العربية رباطاً قوياً بالإسلام — يقول فؤاد محمد فخر الدين « إن الإسلام قد جاء بالعربية إلى هذه البلاد.هذه اللغة التى لا تفارق الإسلام أينما ذهب ، هى لغة الوحدة الدينية لجميع المسلمين وهى تربط أرواحهم رغم اختلاف أجناسهم وبها يتلون

القرآن ويقفون على أسراره . واللغة الأندونيسية قد اقتبست واستمدت كثيراً من كلماتها من اللغة العربية واتخذت منها مصطلحات عديدة وقد جاء ذلك عن طريق الإسلام نفسه » .
وما تزال اللغة العربية بعيدة الأثر فى نفسية الشعب الأندونيسى بينما لم تؤثر الهولندية أو اليابانية فى روح الشعب لأنها فرضت فرضاً خلال فترة الاحتلال الأندونيسى أو الاحتلال اليابانى (١٩٤٢ — ١٩٤٥) م . كما عمد النفوذ الأجنبى على اصطفاء طائفة من الشباب الأندونيسى ونقلهم إلى انجلترا وهولندا . وكونهم تكويناً خاصاً أراد به فرض نفوذه عن طريقهم . وقد حرص التعليم الغربى والتبشيرى إلى توهين أسس الإسلام فى نفوس الشباب وأن تحمله على كراهية ثقافته القديمة فتقطعه بذلك عن تاريخ وروح الأمة التى ولد فيها والتى سيعمل من أجلها ، وهذا هو ما تقوم به السياسة الاستعمارية فى مختلف بلاد الإسلام وكان من دعواه إحياء مجد الإمبراطوريات الوثنية القديمة السابقة للإسلام كما فعل فى العالم العربى حين دعا إلى الفرعونية فى مصر والفينيقية فى لبنان ، وفى أندونيسيا اتجهت الدعوة إلى إحياء امبراطورية ماجاباهت الوثنية والمغالاة فى تقدير هذا التاريخ ومحاولة اتخاذه مثلا أعلى فى البطولة ، وكذلك كان لعلماء الآثار وعلماء اللغات القديمة دعواهم فى هذا المجال ، وقد جرت محاولات لمقارنة العصر الهندوكى الجارى القديم بمجد العصر الإسلامى فى محاولة لرفع شأن الهندوكية على حساب الإسلام ، كما حاولت القوى الاستعمارية صبغ الجامعة الأندونيسية بصبغة قومية خالصة لإخراجها من جوهرها الإسلامى وطبعها بروح إقليمية ووثنية قديمة ، وذلك فى محاولة لإقصاء مفهوم الوحدة الإسلامية التى تدعو إليه الحركات الإسلامية . وقد عمقت قوى التبشير أعمالها وزاد من نشاطها ما قدمت الدول الأوربية من مساعدات بشكل واضح منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر ، حيث أبدوا نشاطاً واسعاً وأحرزوا بعض النجاح فى مناطق نائية وجزر غير رئيسية ، أما فى أهم نواحى أندونيسيا فأنهم قد واجهوا مقاومة واسعة ، ووجدوا فى الإسلام منافساً قوياً لبساطته وسماحته التى تملأ القلوب وقد عانت البعثات التبشيرية والإرساليات خسائر كبيرة فى هذا المجال ، فهم يربطون بين هذه البعثات وبين النفوذ الاستعمارى بينما يربطون بين الدعوة الإسلاميةوبين الحرية والمساواة والإخاء .
وقد واجهت جماعات شركة إسلام والمحمدية والشبان المسلمين حركة التبشير واستطاعت مقاومتها عملياً . وقد اعترف (المستشرق ك.ك.برج) فى كتابه (وجهة الإسلام) إلى الدور الضخم الذى قامت به هذه الجماعات فقال : كان لها شأن عظيم بإنشائها المدارس وتأسيسها

المكاتب وفتحها إياها على المصراعين وبيع الكتب وإنشاء المستشفيات ومأوى الفقراء وملاجئ الأيتام ونشر الثقافة الإسلامية والدعاية وترجمة الكتب الإسلامية إلى لغة البلاد (فضلا) عن الأخذ والتوفيق بين الإسلام وبين الظروف الجديدة (وبذلك) قطعت الطريق على المبشرين المسيحيين من وجوه كثيرة بعد أن اصطنعت وسائلهم . ويقول الدكتور سنوك هروجنية الهولندى الذى أمضى سبعة عشر عاماً فى الهند الشرقية الهولندية مستشاراً لحكومة هولندا واستطاع أن يدرس قضايا الإسلام ويواجه مشاكل النفوذ الهولندى مع ٣٥ مليوناً من المسلمين فى (أندونيسيا) وساح فى البلاد الإسلامية خلال ربع قرن يراقب الحركات الإسلامية . قال :

إن المبشرين لا يزالون يتوقعون انضمام كل الأديان إليهم ، أما بالنسبة للإسلام فلا تتحقق أحلامهم ، لأن الدين الإسلامى سيظل ديناً قوياً نشيطاً . ذلك أن للإسلام شرائع تتعلق بالحياة فى كل أطوارها ، شخصية وعمومية ، وفردية واجتماعية . ومن الحق أن الإسلام فى القرن الماضى تعرى من استقلاله السياسى باعتداء الدول الأوربية عليه ، ونتج عن ذلك أن الإسلام اضطر أن يعدل آرائه وأعماله . « وقد استنتج الباحثون أن القضايا الروحية متصلة تمام الاتصال بالقضايا المادية فى الإسلام ، بحيث أن سقوط الإسلام السياسى يستلزم سقوط الإسلام نفسه . ولكننى لا أوافقهم على هذا الرأى . « وإذا كان الإسلام قادراً على احتمال ذلك التغيير ، فهو قادر على أن يطبق نفسه على قضايا الحياة الحديثة بطريقة يستطيع بها تابعوه أن يكونوا فى مقدمة الصفوف فى ارتقاء العالم ومدنيته . « والمسلمون لا يقصدون أن يغيروا دينهم ، وقد احتاطوا أعظم الاحتياط ، لهذا الأمر الذى أدركه كل المبشرين المتنورين فى أرض الإسلام ، ففى الهند الشرقية الهولندية ، حيث قضيت سبع عشرة سنة ملتصقاً تمام الالتصاق بالمؤسسات الإسلامية لا يقدر المرسل الدينى أن يربح تابعين لدينه . « ولا أعتقد أبداً أن الدين الإسلامى يسقط أمام الأديان الأخرى ، لأن المسلم محتاط أشد الاحتياط لمقاومة النفوذ الغريب ، وقد يرى أن تدينه بدين سابق خطوة إلى الوراء ... « وقد تغلغلت الأفكار الأوربية فى كل جهة من الأراضى الإسلامية ، ولكن لم يجد فيها الشعور الغربى مركزاً ، ولهذا أتجرأ على القول بأن المسلمين سيستمرون على دينهم مهما اتخذوا من التهذيب والمدنية الغربيين . « وفى كل المدارس الأوربية نجد كثيراً من الطلبة المسلمين قد درسوا العلوم الغربية بفروعها ، ولكن مجرى عقلهم لا يزال إسلامياً ، وقد كان بين يدى طلاب مسلمون ، وعندما كنت أتناول مباحثهم التى يكتبونها ، كنت أرى فيها مظاهر فكر إسلامى فى شكل

يختلف كل الاختلاف عما يكتبه طلبتي الآخرون . بل كنت أعرف الطالب المسلم من مباحثه. « ولا يمكن أن يقع انحطاط تدريجي في الإسلام ، حيث توجد بواعث خارجة تمنعه ،فالإسلام قوى لم يضعف ولا سيما في القرن الماضي ، وقلت فيه الانشقاقات الداخلية ، وزاد على ذلك أن الإسلام يربح أكثر من غيره تابعين له من الوثنية . فالذى يصير مسلماً لا يطلب منه شئ كثير ، إذ لا يوجد تقديس ولا طقوس دينية ، ولا تعليم طويل . فكل ما يطلب منه أن يعترف بالله أنه كلى القوة ومن ثم يتدرج إلى تعليم الفضائل الإسلامية ، وعندما يصير مسلماً يتغير مركزه الاجتماعى ولكن إذا اختار ديناً آخر . فإنه يبقى دون غيره . » ا . هـ

(٩)

الحركات الصوفيـة

لا يستطيع الباحث فى تاريخ العالم الاسلامى المعاصر أن يتجاهل الدور الضخم الذى قامت به الحركات كجزء من حركة اليقظة والاصلاح الاسلامى ، فالحركة السنوسية والحركة المهدية لها طابع صوفى . وإن كانت قد ربطت بين دورها الصوفى القائم على تربية النفس وبين الاصلاح الاجتماعى ومقاومة النفوذ الاستعمارى . والحركة الصوفية فى مفهومها الأصيل هى تكوين أجيال من المسلمين على التربية النفسية المفطومة عن الشهوات القادرة على مواجهة انحلال المجتمعات بايجابية وقوة ،ومجابهة الغزو الخارجي بنفسيه المجاهد المستعد للاستشهاد فى سبيل حماية الفكرة والذود عن البيضة والدفاع عن الأرض والوطن . غير أن الحركة للصوفية لم تلبث أن انحرفت عن مفهومها الأصيل حين دخلت عليها فلسفية هندية ويونانية ، قتلت فيها روح الجهاد والمقاومة وأسلمتها إلى التواكل والجبرية ، هذه الصوفية التى قاومها ابن تيمية ، ثم قاومها محمد بن عبد الوهاب فى العصر الحديث بعد أن تركت آثارها البعيدة المدى فى المجتمع العثمانى فى العصور الأخيرة . لذلك فقد كانت السنوسية والمهدية من بعدها تحريرا للصوفية من جمودها وتخليصاً لها من مفهوم الجبرية ومفاهيم الحلول والاتحاد ووحدة الوجود،وكانت السنوسية والمهدية ثمرتين خالصتين من ثمار دعوة التوحيد التى قادها محمد ابن عبد الوهاب غير أن هناك طرقاً صوفية أخرى ظهرت فى آسيا وأفريقيا كان لها دورها الضخم ، كالشاذلية ، والتيجانية والرفاعية والقادرية هذه الطرق كانت بعيدة المدى فى نشر الاسلام ومقاومة حركات التبشير الغربية التى انطلقت موازية للنفوذ الأجنبى منذ

أواخر القرن التاسع عشر ودور هذه الطرق بالاضافة إلى السنوسية والمهدية لاحد لأهميته فى الدعوة إلى الاسلام غير أن انحرافات قد أصابت هذه الحركات حيث اتصل بعضها بالنفوذ الاستعمارى وعاونه على توطيد نفوذه وإذا كانت السنوسية قد نشأت فى مواجهة تحدى الغزو الفرنسى للجزائر، فكانت عاملا خطيراً فى وجه التوسع الغربى فى إفريقيا، فان الطريقة النقشبندية التى نشأت فى أواسط آسيا وامتدت شرقاً حتى بلغت الصين قامت عاملا هاماً فى ثورة المسلمين الكبرى فى تركستان الصينية، كما أوقدت الثورات ضد النفوذ الاستمارى فى جزائر الهند الشرقية، وكذلك كانت المهدية عاملا فى نشوب الثورة ضد النفوذ الأجنبى فى أفريقيا. وفى قلب أفريقيا ظهر «مهدى الصومال» التى أرث الحرب ضد النفوذ الأجنبى بها سنوات، ويسجل المؤرخون ظاهرة انتعاش الاسلام، خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادين من طريق نشاط حركة التصوف «فقد شهدت هذه الفترة ولادة الطرق الصوفية التى كانت تتميز باتساع رقعة الفرق القديمة وتأسيس فرق جديدة كما ازدهرت الحركة الصوفية فى البلاد الاسلامية غير العربية» «وتحتل المجموعة العربية البربرية فى إفريقيا المغربية التى لعبت فى الماضى دوراً هاماً فى الحركة الصوفية خلال القرون الوسطى مركزاً فى الدرجة الأولى من هذه النهضة الحديثة لحركة الصوفية، وقد أسس عدد من الطرائق الجديدة فى القرن ١٨ الميلادى فى كل من الجزائر ومراكش وقامت هذه الفرق بنشاط شديد لا فى مواطنها فحسب ولكن كذلك فى الصحارى وفى أفريقيا الغربية».وقد كان لهذه الطرق الصوفية أثرها الواضح فى توسيع رقعة الاسلام فى أفريقيا وجنوب شرق فى العصر الحديث فقد أدخلت ملايين كثيرة من الوتنيين وحققت نسبة عالية للاسلام فى أفريقيا بالذات وقد كان لتوجيهات جمال الدين ومحمد عبده فى مفهوم الصوفية وتحريره من الجبرية أبعد الأثر فى طابع الايجابية الواضح فى هذه الطرق والفرق، غير أن هذه الطرق هى القوة الذاتية الوحيدة التى وقفت ولا تزال تقف أمام البعثات التبشيرية فى الهند وأندونيسيا وجزائر الملايو وافريقيا. وقد إختطت الحركة طريقها فى الأغلب فى المناطق الوثنية، أما فى المغرب والجزائر فقد تعارضت بعض الطرق والفرق مع الحركة الوطنية ومن هنا دافعتها الحركة السلفية وقضت عليها بعد أن ثبت اتصال بعض الطرقيين بالمستعمرين واستغلال تصوف الاسلام استغلالا خاطئاً منحرفاً. وهناك ظاهرة واضحة جديرة بالتسجيل هو أن النفوذ الاستعمارى قد حاول الانتفاع بالطرق الصوفية فى مصر وشمال أفريقيا وكان أمثال

الشيخ الدمرداش فى مصر وشيوخ النيجانية والكتانية فى المغرب من أعوانه. ولقد كان للتيجانية دور خطير فى مقاومة جهاد الأمير عبد القادر الجزائرى والأمير عبد الكريم الخطابى فقد أعانوا النفوذ الاستعمارى الفرنسى وأيدوه . وقد قامت الحركة السلفية فى المغرب وجمعية العلماء فى الجزائر بدور كبير فى معارضة الدور الذى قامت به هذه الطرق ، وكشفتها أمام الجماهير الاسلامية وسجلت عليها أخطاءها وتصرفاتها المعارضة للوطنية والاسلام معاً. وقد اتخذت الحركة السلفية فى مواجهة ذلك أسلوب العمل الايجابى حيث بدأت بانشاء المدارس القرآنية فى مختلف القرى . وكشفت عن مفهوم الاسلام فى مفهوم التصوف نفسه . وكان للحركة السلفية التى قادها الشيخ محمد عبده فى مصر دورها فى توجيه الطرق الصوفية فى مصر فألف محمد توفيق البكرى نقيب الأشراف كتاباً عاماً فى هذا الصدد كشف فيه عن مفهوم الصوفية للاسلام تحت عنوان (التعليم والارشاد) أشار فيه أن للمعرفة طريقين : طريق النظر والاستدلال وطريق الرياضة والكشف وقال إن العلوم الضرورية هى العقائد والعبادات وتدبير المال وتدبير الأمة وتدبير المنزل . وعنده أن للتربية ثلاث مدارس : مدرسة العائلة ومدرسة التعليم ومدرسة الدنيا ، والمبادىء السائدة فى المدارس الثلاث متناقضة للآن ، فيما تعلمه مدرسة العائلة ومدرسة التعليم هما الأساس الذى تشاد على دعامة آثار التربية فى المدرسة الثقافية ، لهذا وجب أن يكون فى الأمة رجال أقاموا أنفسهم مرشدين يختص كل منهم بفئة من الناس تلازمهم وتراقب أعمالهم وتردهم إلى الفضيلة عن الرذيلة ، وإلى الصواب عن الخطأ ولا ينقطع أثر تهذيبه وتقويمه عنهم مدى العمر . ولما كان مشايخ الصوفية وخلفائهم هم الذين انتدبوا للارشاد بين الناس فهم فرسان هذا الميدان ورجال هذا المعترك وعليهم المعول فى التقويم والتثقيف» .وفى مختلف أنحاء العالم الاسلامى تجد فرق الصوفية وخاصة فى تركيا طريقها إلى التماس مفهوم الاسلام والتجرر من مفاهيم الفلسفات الهندية واليونانية التى تتصل بوحدة الوجود والاتحاد والحلول .

(١٠)

ثمرة الحركات الاسلامية

قامت حركة اليقظة والاصلاح الاسلامية على ابداع جهاز دفاعى للاسلام عماده التماس المنابع الأصيلة وجوهر الاسلام ، وقد عملت إلى تحقيق أمور ثلاثة : ١ ـ تحرير الفكر

الاسلامى من التقليد والجبرية والجمود وإعلان أن باب الاجتهاد مفتوح لم يغلق وإزالة ما تجمع خلال فترة الضعف مما نسب إلى الاسلام أو وصل به وهو ليس منه وفى مقدمتها الوثنيات وطوابع الفلسفات المادية والقديمة . ٢ — التوفيق بين الاسلام وقضايا العصر والحضارة على النحو الذى يحقق قيام المجتمع الاسلامى على روح الاسلام ،وقيمة مع انفتاح الحضارة وعرض الاسلام كايدلوجية صالحة لنظام المجتمع والكشف عن أنه دين ومدنية معاً وليس دنيا لاهوتياً خالصاً وأنه لا يقف عند جانب معين من حياة الانسان وشئونه وأنه يربط بين عنصرى الفرد والجماعة ويصهرهما معاً كما يربط بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة . ٣ —مقاومة الاستعمار والنفوذ الاستعمارى والتفرقة بين الاستعمار والحضارة من ناحية والثقافة والحضارة من ناحية أخرى ، وقد تتابعت حركات اليقظة حلقات متصلة بدعوة التوحيد وتوسعت فروعها فى تغطية مختلف الجوانب ومواجهة مختلف التحديات دون أن تنزع نفسها من الترابط التاريخى العضوى المتصل أساساً بمفهوم الاسلام كما رسمه صلى الله عليه وسلم . وقد كان عمل المجددين المسلمين من المخلصين والسلفيين بالغ الأهمية والخطر فقد كانوا يواجهون روحاً من الجمود والجبرية ، وكان العمل للخروج من ظلمات مرحلة الضعف والتخلف يحتاج إلى كثير من الحضافة والمرونة . وكان الهدف هو توحيد فكر المسلمين على مفاهيم مستمدة من القرآن أساساً : باعتباره ينبوع الفكر الاسلامى ومصدر الثقافات العربية والفارسية والتركية والهندية والملاوية والأندنيسية ،وهى مفاهيم أكثر إيجابية وتحرراً مما وصل إليه المسلمون من جمود وجبرية . وكذلك التقريب بينهم اجتماعياً وفكرياً بعد أن باعدت بينهم خلافات مذاهب الفقه والفلسفة والتصوف وأهمها الخلاف بين السنة والشيعة . ولم تكن هذه الخلافات فى مجموعها إلا خلافات الأحزاب السياسية التى إنطوت وانتهت وكان على هذه الخلافات أن تنتهى معاً ، ثم أنها لم تكن تنصب إلا على مسائل فرعية لا عبرة بها ، ولكن الأحزاب السياسية القديمة المختلفة قدغالت وقسمت الناس إليها ثم توارث الناس هذا الانقسام . فلما جاء الاستعمار الغربى والنفوذ الأجنبى حرص على إبقاء هذا الخلاف وتأريثه وذلك بالتحريض الذى شجع عليه للايقاع بين السنة العثمانية والشيعة الفارسية وكان له دور كبير فى إبلاغ الخصومة مبلغها بين فريقين من المسلمين يقولان لا إله إلا الله ويجتمعان فى أصول فكرهما حول مفهوم التوحيد والنبوة . وقد حرص الاستعمار والنفوذ الغربى فى كل مكان حل فيه على آثاره الخلافات والمذاهب القديمة ،

كالفينيقية فى الشام والفرعونية فى مصر والبربرية فى المغرب وأوقد الصراع بين المسلمين والهندوس فى الهند وحاول إحياء التاريخ القديم السابق للاسلام فى فارس وأندونيسيا والهند وتركيا ، وذلك فى محاولة خطيرة للحيلولة دون تجمع المسلمين على فكر موحد يكونون به أقدر على الإلتقاء والمواجهة الموحدة للنفوذ الاستعمارى ومقاومته والقضاء عليه وقد عمد جمال الدين الأفغانى إلى تحقيق ذلك حين حمل لواء الدعوة إلى اللقاء بين السنة والشيعة وقد سارت هذه الدعوة من بعد خطوات واسعة كذلك عمد الإلوسى (أبو الثناء) إلى التقارب بين الفقهاء والصوفية ، وتوحيد قلوب أهل العراق خاصة والمسلمين عامة سنيهم وشيعهم ورفض الخلافات بينهم عن طريق التقريب بين المذاهب . ومثله فعل العلامة جمال الدين القاسمى فى الشام حين أعلن أن الاسلام لا يجيز تكفير أحد ممن استقبل القبلة كما هاجم التعصب بحسبانه مفرقاً بين الناس ومقيداً للعقول . وقد نجحت الحركة السلفية الاصلاحية فى كل مكان سارت إليه ، حين تخطت الحدود غرباً حتى وصلت إلى المغرب الأقصى وشرقاً حين وصلت إلى الهند الاسلامية وأندونيديا ، وأعطت الأعمال السياسية والاجتماعية صبغة إسلامية خالصة وعملت إلى التوفيق بين الاسلام وحاجات العصر . وكان الإمام الشوكانى فى اليمن (١١٧٣ — ١٢٥٠ هـ)مقدمة لليقظة التى تلت حركة التوحيد فى شبه الجزيرة وكان قد سبقته دعوة محمد بن اسماعيل الأمير(١٠٩٩ — ١١٨٢م).وكانت كتابات الشوكانى ذات أثر فى إزالة الركود المتراكم خلال القرون وإن لم يكن مصلحاً داعياً وقد اكتفى بالتأليف شأنه شأن الكثيرين وعاد الشيخ أبو شعيب الدكالى إلى المغرب (من زيارة المشرق مصر والحجاز) داعياً إلى التوحيد والإصلاح والتماس مفاهيم الكتاب والسنة والتف حوله جماعة من الشباب النابغ ووزع الكتب التى كان يطبعها المنار فى مصر كما ظهر محمد بن العربى العلوى فى فاس فشن الحملة على الصوفية الجبرية ، وكان ذلك مقدمة لقرار مولاى عبد الحفيظ الذى تولى الحكم فى مراكش ١٩٠٧ باقفال الزوايا الكتابية وقد كان للحركة السلفية الفضل فى إحياء القومية الجزائرية بعد أن أنكرها الموالون للفكر الفرنسى الاستعمارى وكانت لها فضل الحفاظ على التراث العربى الاسلامى للجزائر بعد أن كاد أن يمحى اسمه ، وكان للامام عبد الحميد بن باديس وجمعية العلماء بالغ الأثر فى ذلك . وقاومت السنوسية فى كفاح طويل حرب الابادة الايطالية (١٩١١ — ١٩٣٣) فى حركة بطولية رائعة ضد قوة أوربية مسلحة وكان فى مقدمة رجالها أحمد الشريف السنوسى وعمر المختار . وكان لأتباع

«المنار» فى تونس والمغرب دورهم البالغ فى مقاومة الاستعمار الفرنسى ، وقد أطلقوا على أنفسهم اسم المدرسة العبدية (انتساباً إلى محمد عبده) وقاومت الحركة الاصلاحية تقرب العلماء للأمراء والسلاطين وتهافتهم على أموالهم وحاربت رجال الدين التقليديين ورجال الصوفية المعاونيين للاستعمار كما قامت بطبع مختلف كتب التوحيد كما فهمه ابن تيمية ومحمد عبد الوهاب ووزعتها فى مختلف أنحاء العالم المتعددة بفضل جهود طاهر الجزائرى فى الشام ، ومحمد عبده ورشيد رضا فى مصر والدكالى والعربى العلوى فى المغرب وجماعة أهل الحديث فى الهند والسعودية فى نجد والحجاز . وفى مصر قامت مدرسة دار العلوم ١٩٠٧ بقيادة عبد العزيز جاويش وحفنى ناصف ومحمد المهدى ومحمد عبد المطلب وعبد الوهاب النجار وأحمد السكندرى وحملت لواء حماية اللغة العربية وكانت مدرسة الهند الاسلامية من المدارس الكبرى ذات الأثر البعيد وفى رجالها السرهندى والدهلوى وأحمد خان وشبلى النعمانى وأمير على وأبو الكلام أزاد ومحمد إقبال .

(٢) كانت المرحلة التى قاد خلالها الإمام محمد عبده حركة اليقظة يطلق عليها «الاصلاح» وكلمة الاصلاح كانت معروفة وشائعة فى مجال الفكر الاسلامى فى الدولة العثمانية وقد كانت ترمى إلى الاصلاح السياسى المدنى لقول رشيد رضا . «مرادنا بالاصلاح الدينى ما يؤدى إلى المحافظة على الدين . والعمل به جمع كلمة المسلمين ، وأهم أركان الإصلاح الاسلامى جمع المسلمين على عقيدة واحدة وقانون شرعى واحد لا يحكم عليهم غيره من أى نوع من أنواع الأحكام ولغة واحدة» وتوحيد العقائد والآداب ، فى أصولها الثلاثة صحة الاعتقاد . وتهذيب الأخلاق . وإحسان الأعمال . وقد استهدفت حركة الاصلاح أقامة وحدة الفكر بين المسلمين ، هذه الوحدة لا تمنع الاختلاف فى المسائل الفرعية والتى ليست من أسس الاسلام . ودعت إلى : (١) توحيد الأحكام وعمل منهج يوحد بين جميع المذاهب الاسلامية ما ينطبق علية حالة العصر ، وفى توحيد الأحكام الشرعية إرضاء لجميع مذاهب المسلمين فى الفروع ، (٢) توحيد اللغة ، فاللغة هى مناط الجنسية ومعقد الإرتباط وذلك بحسبان أن اللغة العربية هى لغة العالم الاسلامى وهى ترجح اللغة للتركية بأنها لغة الدين (٣) تلافى البدع والتعاليم الفاسدة . وكانت دعوة الاصلاح ترى أن هذا المنهج فى تجديد الاسلام من شأنه أن يوحد المسلمين ضد هجمات أوربا عليهم ، والالتقاء بين السنة والشيعة وبين مذاهب السنة المختلفة

وقد استهدفت دعوة الاصلاح : إصلاح التعليم فى الأزهر وإصلاح الإدارة والاصلاحات السياسية . وكان من أبرز أهداف حركة الاصلاح فتح باب الاجتهاد ، وقد كشف الأستاذ رضا ١٩٠١ عن ذلك فى المنار فقال :إن الأحكام القطعية المعلومة من الدين بالضرورة لا إجتهاد فيها لأن طلب معرفتها تحصيل حاصل كتحريم الظلم والخمر وفرض الصلاة والعدل وجملة القول أن الاجتهاد هو النظر فى الأمور الشرعية التى هى فى الكتاب والسنن والاجماع والقياس لمعرفة أحكام الفروع التى لم تثبت بالأدلة القطعية المتواترة والمقيدة فى شروط فهم الكتاب والسنة ومعرفة مقاصد الشرع والوقوف على أحوال الناس وعاداتهم لأن الشريعة ولا سيما المعاملات دائرة على مصالح الناس فى معاشهم ومعادهم أى على قاعدة المفاسد وجاب المنافع . وقال إن إقفال باب الاجتهاد : معناه أنه لم يبق فى الناس من تتوفر فيه شروط المجتهد ، وقال هذا القول بعض المقلدين لضعف ثقتهم بأنفسهم ، وتعظيم عقول السابقين ولذلك جمع الناس على المذاهب الأربع ، لو أجيز للعلماء الاجتهاد لجاءوا بمذاهب كثيرة . والمحققون يعلمون أن منشأ هذا الحجر هو السياسة . فالسلاطين والأمراء المستبدون كانوا يخافون العلم ولا علم لهم إلا بالاجتهاد . والمقلد هو الذى يقلد السابقين ، فهو ناقل لا عالم ، وقد أقفل باب الاجتهاد بعد القرن الخامس ولكن كثيراً من العلماء اجتهدوا بعد ذلك فلم يكونوا يعملون إلا بما يقوم عندهم من الأدلة ولا يخلو زمن من هؤلاء . . » كان هدف الاصلاح واليقظة أساساً هو تحرير التوحيد ورسم خطط الالتقاء بين الاسلام والحضارة ومفاهيم العلم والعصر . وقد امتد عمل محمد عبده فى الثقافة والتربية والصحافة والأزهر وكانت له توجيهاته فى مجال الطرق الصوفية واللغة العربية جميعاً ، وامتد عمله مغرباً حتى وصل مراكش وتابع المنار هذا العمل أما مدرسة الشام فكان أبرز أعلامها القاسمى والبيطار وشكيب أرسلان وطاهر الجزائرى وكان أبرز رجال مدرسة المغرب : الدكالى والعربى المهدى ، أما مدرسة العراق : فقد كان من قادتها الألوسى أما مدرسة تونس فكان على رأسها الخضر حسين ، والطاهر بن عاشور وعبد العزيز الثعالبى .

(٣)

تتسم المدرسة السلفية المغربية التى انبثقت عن دعوة محمد عبده والمنار بالربط بين روح العمل فى مجال الاصلاح الإسلامى والحركة الوطنية معاً ، وهى تلتمس مفهوم الإسلام

الأساسى فى الربط بين الدين والمدنية ، يقول علال الفاسى أن السلفية المغربية ترفض فكرة لادينة الدولة وبذلك تجعل الحكومة الاسلامية حارساً على الأخلاق والفضيلة فى وسط الأمة وتطالبها بتهيئة سائر الوسائل التى تسهل على الفرد القيام بالواجبات الفردية والاجتماعية وتحمله عن طريق الاقتداء المتابعة على السلوك الحسن فى علاقته مع عائلته . ويؤمن بأنه لا يبتعد المسلمون عن القانون المستمد من الشريعة الذى يصبح منظوراً للفقه الاسلامى أصولا وفروعاً كمادة تشريع مدنى عام . وتؤمن المدرسة السلفية الحديثة كما يصورها علال الفاسى بالقومية بحيث لا تضيق إلى الحد الذى يحول بين التقارب المطلق بين سائر الشعوب الاسلامية والعربية بصفة خاصة . «وإلا أصبحت عنصرية تتنافى مع الأصل الأصيل للإسلام». ويرى أنه لتسهيل هذا التقارب يجب أن تتوافق أساليب الثقافة فى وسط المسلمين وأن تعمل على جعل اللغة العربية صالحة لتكون لسان العالم الاسلامى كله وصلة الوصل بين سائر أفراده وللوصول إلى هذه الغاية لابد أن تتحرر البلدان الاسلامية من سيطرة الأجنبى المادية والمعنوية . ومن أبرز رجال المدرسة السلفية المغربية عبد العزيز الثعالبى وعبد الحميد بن باديس ومحمد بن العربى العلوى . وقد كان الثعالبى مصلحاً اجتماعياً وسياسياً ووطنياً فى آن ، وهو يؤمن بأن العرب قصروا فى أداء واجبهم وحماية الأمانة ، ومن ثم طغت عليهم الأمراض الاجتماعية وقامت أوربا تنازعهم السيادة ، وكان يردد دائماً أن تونس جزء من الأمة العربية وأن مصر مستقر الدعوة والكفاح . وعنها تلقى رجال الاصلاح فى المستعمرين دعوتهم وعلى مثالها سيروا كفاحهم وقد بث الثعالبى دعوة الحرية وناضل المستعمرين فى سبيل حصول الأمم المغلوبة على حقها وأهاب بأبناء الأمة إلى التناصح بالحق والتعاون فى إنشاء المؤسسات النافعة فلزم أن تكون الدعوة هذه راجعة إلى مبدأ يؤلف بينها وخطة توحد وجهتها نحو الغاية المثلى . وقد دعا الثعالبى إلى الكشف عن أمجاد تاريخنا وفلسفة نشؤونا القومى وقال إن ذلك يستتبع العمل على توحيد مصادر الثقافة فى البلدان العربية كلها » . وقد طاف الثعالبى بالعالم الاسلامى كله وأقام فى مصر فترة طويلة ، وكتب فى صحفها فصولا رائعة عن أزمة العالم الإسلامى الاجتماعية والاقتصادية وله كتاب أسماه «روح القرآن» دعا فيه إلى الاصلاح والبعد عن الجمود . أما الإمام عبد الحميد بن باديس فقد حقق بانشاء جمعية العلماء الجزائريين عملا ضخماً بعيد المدى فى المحافظة على اللغة العربية من الاندثار فى الجزائر ، والاصلاح الاسلامى ومقاومة الجبرية والجمود وفتح أكثر من ثلاثمائة مدرسة فى المساجد وخلق فكراً إسلامياً

يقظاً ، كان مصدراً ووقوداً للثورة الجزائرية . وقد اتسم بالحزم وحصانة الرأى والتحرر من الجمود ، وتطهير العقيدة الاسلامية من الدخيل وإحياء اللغة العربية وتقوية الشعور بالشخصية العربية فى الجزائرية . ومن ذلك قوله «إننا نرى الأُمة الجزائرية موجودة ومتكونة على مثال ما تكونت به سائر أمم الأرض وهى لا تزال حية ولم تزل ، لهذه الأُمة تاريخها اللامع ووحدتها الدينية واللغوية ولها ثقافتها وتقاليدها . هذه الأُمة الجزائرية ليست هى فرنسا ولا تريد أن تصبح فرنسا ومن المستحيل أن تصبح هى فرنسا » . وكان الامام محمد محمد بن العربى العلوى داعية لاصلاح واليقظة فى القطر الثالث المغرب وله آثار البعيدة المدى فى إعدد جيل جديد من أبرز رجاله الفاسى وكنون وغيرهمامن مفكرى المغرب المغرب اليوم .

(٤)

أما المدرسة الاصلاحية التجديدية فى الشام فقد كانت خصبة غنية وأبرز رجالها طاهر الجزائرى (١٨٥٢ ـ ١٩٢٠) . وقد عمل الجزائرى على تكوين جيل من المصلحين كان فى مقدمة رجاله : القاسمى والبيطار ومحمد كرد على ومحب الدين الخطيب وعبد القادر المغربى . يقول : إن الأُمة فى إحتياج شديد إلى من يبين لها الطريق الاقوم من أرباب الاخلاص ، وأعظم ما تحتاج إليه هو أمر الأخلاق وما يتعلق بها ومعرفة الأُمور العمرانية على وجه لا يكون فيه إخلال بمعالى الأُمور ويقول «إن لكل أمة شعاراً إذ تركته طمع فيها واستضعف جانبها ، وربما صارت مندمجة فى غيرها ». وقد أحيا طاهر الجزائرى مئات من الكتب الاسلامية والمخطوطات وألف كثيراً ، وكان عمله فى مجال النهضة بعيد المدى . ويعد جمال الدين القاسمى فى مقدمة المصلحين إيماناً بدور الأُمة العربية فى اليقظة الاسلامية «لما كانت الأُمة العربية هى المختارة لتهذيب الأُمم وتعديل عوجها وإقامة منار العدل فى ذلك العالم المظلم فقد وجب أن التهذيب الالهى ينزل بلغتها خاصة حتى تستعد وتتهيأ لأداء وظيفتها . وجمال القاسمى هو إمام الشام فى عصره (١٨٦٦ ـ ١٩٢٤) ومن أهم مؤلفاته : قواعد التحديث فى فنون مصطلح الحديث . وله تفسير للقرآن فى إثنى عشر مجلداً ، وقد قام مع زميله الشيخ عبد الرازق البيطار بالدعوة إلى الاجتهاد والجهر بكلمة الحق فى دمشق عام١٣١٣هـ وقد احتملا فى سبيل ذلك كثيراً من المشقة والأعنات . وكان

عبد القادر المغربى من المصلحين والعلماء فى مجال الاسلام واللغة العربية وله إثارة فى مجال الاشتقاق والتعريب ، والأخلاق والواجبات . ومن آثاره قوله : إن أى أنوع من الاصلاح لا يتم إلا بسعى الذين يعنيهم أمره واصلاحنا الاسلامى إنما يعنى علماء الدين فهم المكلفون به المخاطبون شرعاً بالعمل على تحصيله ، وليس العمل منهم سوى الدعوة إليه بخطبهم وكتاباتهم وتأليفهم حتى إذا إقتنع بذلك جمهور الأمة ومعظم أفرادها هبوا هبة واحدة ، وعماد الاصلاح بوجه عام إنما هو التربية والتعليم الاسلاميان أو يقال هو المدرسة الاسلامية ، هذا هو أصل الأصول » وقد اتجه عبد القادر المغربى إلى النظر فى عديد من قضايا الاصلاح والاجتهاد وله فى مجال المرأة وموقف الاسلام منها آراء طيبة : قال عبد القادر المغربى . إن الحجاب ليس من الاسلام ، الحجاب الاسلامى أثر من آثار ارستقراطية المرأة وملكيتها فى الاسلام وليس هو أثراً من آثار احتقارها أو عبوديتها . وقال فى (توريث البنت نصف إرث أخيها) أن الابناء لما كانوا هم الذين يخلفون أباءهم فى أسرهم كانوا فى حاجة إلى المال الكثير من أخواتهم البنات اللواتى يندمجن فى أسرة أخرى غير مكلفات فيها النفقة وقال فى (شهادة المرأة نصف شهادة الرجل) المرأة بعيدة عن معترك الاعمال التى يقوم بها الرجال والتى تكثر فيها الدسائس والمخادعات ، لذلك رأى الاسلام أن تتعزز عن تحمل الشهادة بواحدة من بنات جنسها فتذكر كل منها صاحبتها . ومن مدرسة الشام العلامة الإمام رشيد رضا تلميذ محمد عبده وخليفته على نهجه وصاحب المنار (١٨٦٥ — ١٩٣٥) وقد جاء إلى مصر ١٨٨٩وعمل مع الشيخ المفتى وأنشأ مدرسة الدعوة والإرشاد فى مصر ، وله آثاره تفسير المنار (١٢ مجلداً) ومجله المنار(٣٤ مجلداً)وتاريخ الامام الشيخ محمد عبده ومن قبل خرجت الشام علامتها الكبير عبد الرحمن الكواكبى (١٨٤٩ — ١٩٠٢) صاحب الدعوة إلى قيام الأمة العربية بدورها فى يقظة الاسلام وصاحب أم القرى وطبائع الاستبداد . وله كتابات متعددة فى الاقتصاد والزكاة وقد وضع الكواكبى تخطيطاً لوحدة المسلمين السياسية فى النطاق الدولى وعالج أزمات الفكر الاسلامى على هيئة مؤتمر ضمنه مختلف المعضلات وحلولها أما مدرسة العراق فكان علامتها «الألوسى أبو الثناء » وتبعه الألوسيون وأشهرهم حفيدة محمودشكرى الألوسى : وهو صاحب التفسير المشهور(روح المعانى) فى تسعة مجلدات الذى طبع فى بولاق ١٣٠١ هـ وقد كان الألوسى مجدداً واضح الأثر فى أوائل القرن التاسع عشر ، وهو مفتى بغداد وإمام العراق فى اللغة والدين والتفسير فى النصف الأول من ذلك القرن

وله عشرات الفتاوى والمؤلفات والكتابات النافعة وكان مجلسه مجلس العلم والأدب وعنه تخرج مجموعة كبيرة من الأدباء والمؤرخين والفقهاء . ومن خلفاء مدرسة الألوسى اليوم العلامة محمد بهجة الأثرى . وقد جمع الألوسى الكبير بين مذهب التوحيد والتصوف والفقه جميعاً وصاغ ذلك كله صياغة جديدة حاول بها الجمع بين هذه الطوائف وتوحيد الأمة على فكر واحد قوامه التوحيد ، وكان حذراً فى خطواته حتى لا يصطدم بالمتعصبين ، وكان عاملا من عوامل التقريب والتجمع والتلاقى والقضاء على الخصومات والفوارق المذهبية الضارة . وقد رد على الغلاة من دعاة الفلسفة الصوفية ووحدة الوجود وفضح الملحدين والباطنية وقطع ببطلان الفلسفة اليونانية والأفلاطونية الحديثة ودعا إلى منطق القرآن كما فهمه الغزالى وابن تيمية .

(٥)

أما المدرسة الهندية الإسلامية فقدكانت ذات أثر واضح فى الفكر الاسلامى كله ولم يقف أثرها عند مسلمى الهند وحدهم . ويعد أحمد السرهندى (٩٧٧ – ١٠٣٤) مجدد الألف الثانى فقد ظهر فى خلال الأزمة التى أثارها الامبراطور «أكبر» بالدعوة إلى مزج الأديان المختلفة فى دين واحد ، واستطاع أن يحرر الفكر الاسلامى والمجتمع الاسلامى الهندى من أخطار هذه الدعوة وتمكن فى عهد خلفه «جهانجير» أن يعيد كثيراً من الأصول الاسلامية إلى المجتمع الاسلامى الهندى . كما عمل السهرهندى على مهاجمة الصوفية التى تأثرت بفلسفة البراهنة والفلسفات الأخرى ورد على فكرة وحدة الوجود والحلول والاتحاد ، ودعا إلى التصوف الاسلامى الخالص المستمد من المنابع الاسلامية ، كما نصح للأمراء والحكام واستطاع أن يقاوم عدداً من البدع وفى مقدمتها بدعة السجود أمام الملك .

وكان شاه ولى الله الدهلوى (١١١٤–١١٧٦ ه) من أبرز الدعاة المسلمين فى فترة من أدق فترات المجتمع الاسلامى الهندى وهى مرحلة الاحتلال البريطانى فقد صحح مفهوم التوحيد الاسلامى ، ودعا إلى الاتصال المباشر بالكتاب والسنة وبين أصول الاسلام وأسسه فى تنظيم الحياة والمجتمع وقام بمهمة التجديد الاسلامى ، وقاوم ما ساد فى عصره من إنحلال وفساد ، وهاجم العوامل التى أدت إلى تدهور المجتمع ، وعمل على الجمع بين الصوفية الخالصة والسنة الخالصة . وقال : إن المسلم الحق يجب ألا يقبل الانحطاط المعاصر . وقد عالج الدهلوى نظرية الاسلام السياسية ودخص المعتقدات المخالفة للسنة ، وأهمية كتابه التحفة الاثنا عشرية فى قوله أن الاسلام

ليس مسألة ولاء لأشخاص ولكنه حركة يكون الفضل الأساسى فيها والولاء للمثل العليا ، وقد فاق الدهلوى الغزالى وابن تيمية وجمع بين التصوف السلف وترك أثراً لا يمحى فى تطور الفكر الاسلامى وكان لنظرياته أثرها فى حركة المد التى أدت إلى نضال المسلمين فى سبيل الاستقلال من خلال دور التدهور والانحلال وقد عاصر الدهلوى حركة التوحيد التى قادها الامام محمد بن عبد الوهاب فى الجزيرة العربية وللدهلوى مؤلفاته الكثيرة وفى مقدمتها كتابه الخطير : « حجة الله البالغة » . وقد كان لهذه الحركة أثرها فى المقاومة العنيدة التى أبداها المسلمون أزاء النفوذ البريطانى مما أجج ثورة ١٨٥٧ م التى أزعجت الاستعمار البريطانى وبدأت على أثر ذلك حركات إسلامية فكرية تدعو المسلمين إلى التعليم والمحافظة على التراث الاسلامى ، وقد عملت هذه الحكات فى الميدانين التقليدى والحديث وكانت كلية عليكرة التى أسسها أحمد خان عام ١٨٨٧ أول خطوة نحو الدراسات الحديثة للمسلمين فقد كانت دعوته إنما ترمى إلى أن يكون التعليم الحديث أكبر عامل لتحرير المسلمين وتقدمهم وفى نفس الوقت قامت جمعيات مختلفة أهمها جمعية علماء الهند فى البنجاب ودار العلوم فى ديوبند ، وندوة العلماء فى لكنو والجامع العباسى فى بهادلبور واستهدفت هذه الهيئات المختلفة مقاومة التبشير الاستعمارى . وخلق جو مدرسى إسلامى يجمع شباب المسلمين ويحميهم من أخطار المعاهد التبشيرية ومدارس الارساليات التى تعمل للقضاء على الثقافة الاسلامية ، وقد نشأت فى مختلف المدن الاسلامية على أثر تفشى التبشير ، جمعيات مختلفة لحماية الاسلام قامت بالدعوة إلى الاسلام والرد على الشبهات وبذلك نهضت الحركة الإسلامية الإصلاحية نهضة كبرى على مختلف مستويات الثقافة والتعليم ، ومن خلال هذه الهئيات ظهرت حركة ثقافة إسلامية قوامها : شبلى النعمانى وحافظ نظير ومحمد حسين أزاد وسيد الطاف حسين . وكان لها تراث أدبى قوامه [الرجوع إلى أساسيات الاسلام كما أوحاه الله فى القرآن] وكان رجال جمعية أهل القرآن يدعون إلى تأكيد قيمة القرآن وكانت جماعة أهل الحديث تقوم بتطهير الاسلام فى الهند من أعمال الوثنية ، وقد كان للجامعة الاسلامية وجامعة عليكرة والجامعة الملية ودار العلوم وندوة العلماء آثارها الكبرى . وقد قدم شبلى النعمانى وأمير على وأبو الكلام أزاد أعمالا كبرى للفكر الاسلامى ، ثم تبعهما محمد إقبال الذى يعد أعظم ثمرة لليقظة الاسلامية الهندية للفكر الاسلامى العالمى ، فقد أعاد شبلى النعمانى كتابة التاريخ الاسلامى وتاريخ أعلام الاسلام من جديد ، مصححاً شبهات التبشير والاستعمار ،

كما كان توليه لقيادة ندوة العلماء أثره البعيد فى تكوين جيل من الباحثين والمصلحين وقد لقب بشمس العلماء ، وقد امتاز بقدرته على اتقان اللغة العربية وحسن الذوق فى فهم منثورها ومنظومها والقدرة على الكتابة بها ووصفه رشيد رضا بأنه «وسط بين الجامدين على التقليد القديمة وبين المفتونين بالتقاليد الحديثة وصاحب مشاركة صالحة فى العلوم الاسلامية والعلوم الكونية ، ومن أهم آثارها ردوده على جرجى زيدان فى كتابه «التمدن الاسلامى » أما «أمير على» فقد عمل على كشف صورة الاسلام لأهل الغرب فكتب باللغة الانجليزية عن الاسلام داحضاً الآراء الخاطئة التى أثارها خصوم الاسلام . وعمل على التعريف بالاسلام فى المجتمعات الأدبية ودافع عن الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى فى مجال الشريعة الاسلامية وحقوق المرأة ، وقد وصفه رشيد رضا بأنه أول مسلم استطاع أن يخرج للغرب صورة صادقة للمبادىء الاسلامية ويعرضها فى ثوب علمى محدث يتذوقه الذهن الغربى ولا ينكره الذهن الاسلامى » . وقد كان أمير على خطيباً بارعاً وكان بليغاً يقف فى وجه كل من يحاول أن ينال من الاسلام ، وكان إلى ذلك داعية جاداً فى انهاض المسلمين لإدراك حقوقهم ، ومن أهم مؤلفاته : روح الاسلام ، ومختصر تاريخ المسلمين . وهو يؤمن بأن الاصلاح يجب أن يسبقه التعليم وتحرير العقل من القيود ، ويقول إن للاسلام قدرة على صبغ ما عداه بصبغته وسيبقى جوهرة وإن تغير مظهره . وكان «لأبى الكلام أزاد» دور هام فى مجلتى الهلال والبلاغ فى الدفاع عن الاسلام وإيقاظ النفوس لمفهومه الصحيح : وقد واجه النفوذ البريطانى الاستعمارى فى مقاومة ضخمة كانت بعيدة المدى يقول : الاسلام من أوله إلى آخره دعوة عاملة إلى البسالة والجزالة والتضحية والاستشهاد بالموت فى سبيل كلمة الحق ، وقد ابيضت عين الدهر ولم تر مثل هذه التضحيات الكثيرة فى اعلاء كلمة الحق التى قدمتها الأمة الاسلامية فى كل دور من أدوار حياتها ، إلا فلتعلم الحكومة الانجليزية أن المسلم الذى أمره ربه أن يرحب بالموت ويتغلغل فى لجج الدواهى والكوارث ولا يقبل السكوت عن الحق ، لا يخيفه قانون العقوبات الاستعمارى » . ومن مؤلفات العلامة أبو الكلام أزاد الهامة كتابه : ترجمان القرآن وهو من أعظم آثاره الفكرية فقد عرض خلاله ترجمة للقرآن وتفسيراً له على منوال حديث فى اللغة الأوروبية . ومن أعلام الفكر الاسلامى الهندى العلامة «خدابخش» الذى يقول «ويجب أن يدافع الاسلام عن نفسه أمام الغرب ويجب أن يستعمل جميع الأسلحة التى صاغتها أيدى الغرب أينما ولينا وجوهنا » .

أما الفيلسوف الاسلامى «محمد إقبال» فقد كان بعيد الأثر فى إيقاظ الفكر الاسلامى الهندى بدعوته إلى التحرر من الجبرية ، ويرى إقبال فى الاسلام «المثل الأعلى الذى لو تحقق تماماً لوفى بكل مطلب هذه الحياة وفى الحياة الأخرى». وعنده أن الفكرة الأساسية للاسلام هى اقامة أخوة شاملة بين الناس ، وقد طبعت هذه الصفة الشريعة الاسلامية بطابعها . ويرى إقبال : أن الخطر الذى يتهدد الاسلام هو روح العصبية فى الشعوب ، ويقول إقبال : ليس فى الاسلام قوميات ولا هو نزعة أمبراطورية بل هو جمعية أمم تعترف بالحدود الصناعية والفروق الجنسية لسهولة الاشارة فحسب ، لا لتضييق الأفق الاجتماعى للمسلمين ». ويقول إقبال : إن النبى محمد هو روح الثقافة الاسلامية ، هذا النبى العظيم يبدو أنه يقوم بين العالم القديم والعالم الحديث فهو من العالم القديم باعتبار مصدر رسالته ، وهو من العالم الحديث باعتبار الروح التى انطوت عليها فان للحياة فى نظره مصادر أخرى للمعرفة تلائمها فى اتجاهها الجديد . وعنده أن العمل واليقظة والجرأة والقوة من صفات الاسلام أساساً قبل أن تكون من أدوات الحضارة الحديثة ، ومذهب الذاتية الذى دعا إليه يتمثل فى أن الذات هى الروح المنشىء الذى أودعته الله الانسان وجعل العمل والدأب فيه وسيلتنا إلى انتشار هذه الروح ، حيث تنمو الذاتية بالسعى والعمل الدائب الذى لا ينقطع لتجديد الحياة والقدرة على التحرر من تحكم الغير.

(٦)

وفى مصر كان عبد العزيز جاويش وتوفيق البكرى ورشيد رضا وفريد وجدى والمراغى من العاملين فى مجال اليقظة ، ففى مجلة الهداية (١٩١٠) وما بعدها أخذ عبد العزيز جاويش ينهج منهج الشيخ محمد عبده ويتحدث عن أثر القرآن الكريم فى تحرير الفكر النشرى ، ويرد على شبهات خصوم الاسلام . يقول : القرآن مشتجر الطعان ، قلما يمر يوم دون أن نسمع فلاناً من كتاب الافرنج طعن فى القرآن ، كان للقرآن منقبة لا يشوبها نقص فهى الفصاحة والبلاغة ، وإذا كان له مزية عظمى يفخر بها ثلاثمائة مليون من البشر فهى استعلاؤه على سائر الكتب السماوية من حيث سلامة مبانيه وجمال معانية ، إن القرآن بمثابة ندوة علمية للعلماء ومعجم لغة للغويين وأجرومية نحو لمن أراد تقويم لسانه ، وكتاب عروض لمحب الشعر وانسكلوبيدية عامة للشرائع والقوانين » وقد كان أبرز أعمال عبد العزيز جاويش فى الاصلاح والتجديد الإسلامى فى مجال التربية فهو الذى درس التربية الاسلامية والتربية

الغربية وقارن بينهما وتحدث للعرب والمصريين عن مفهوم التربية الذى ينفعهم : يقول : الخطأ الأول فى فهم التربية والخطأ الثانى فى إرسال الأحداث إلى أوربا قبل أن يبلغوا سن الرشد وعنده أن إرسال الشباب إلى أوربا قبل أن يثقف ثقافة إسلامية أصيلة إنما يحولهم إلى أوربيين حتى إذا عادوا إلينا لم نفد منهم » . وتوفيق البكرى يكشف فى كتابه « المستقبل للإسلام » الدور الذى سيحققه الاسلام فى مقتبل أيامه وهو يتمدد وينتشر فى مناطق جديدة لم يصل إليها الفاتحون العرب ويعتبر أن التعليم هو أعظم وسائل النهضة. ومحمد كرد على فى صحيفته المقتبس التى أصدرها فى القاهرة يدعو إلى إصلاح نظم التعليم ويكشف عن روح الاسلام الصحيح ويتحدث عن اللغة العربية واسلام المسلمين المعاصرين ، ومحمد فريد وجدى فى مجلته (الحياة) وما تبعها من ابحاث يهاجم الفلسفة المادية ويتصدى للدكتور شبلى شميل فيكشف عن مفهوم الاسلام فى هذه النظريات الوافدة ويصحح المفاهيم فى مجال الروح والمادة ويرد على اللورد كرومر وعلى خصوم الاسلام . ويفتح رشيد رضا بمجلة المنار أفاقاً واسعة للدعوة الاسلامية والاصلاح الاسلامى متابعاً صحيفة العروة الوثقى فى تحرير مفهوم الاسلام والتوحيد والقضاء على الاعتقادات الدخيلة فى الاسلام ومحاربة التعاليم الضالة ومحاربة التعصب لمذهب من المذاهب يقول « المنار يدعو من أول نشأته إلى التوحيد الخالص ومذهب السلف الصالح فى عقائد الاسلام وهدايته » ويقول إنما أنشىء المنار لإيقاظ الشرق وتجديد الإسلام باعادة تكوين الأمة وحياة الملة والدولة . ونشر الإصلاحات الاجتماعية والدينية والاقتصادية وإقامة الحجة على أن الاسلام باعتباره نظاماً دينياً لا يتنافر مع الظروف الحاضرة وأن الشريعة أداة عظيمة صالحة للحكم » . ويمضى الإمام المراغى فى إصلاح الأزهر على منهج الشيخ محمد عبده ويدعو دعوته الحارة إلى « العمل على إزالة الفوارق المذهبية وتضييق شقة الخلاف » ويقول : معروف لدى العلماء أن الرجوع إلى أسباب الخلاف ودراستها دراسة بعيدة عن التعصيب المذهبي تهدى إلى الحق فى أكثر الأوقات وأن بعض المذاهب والآراء قد أحدثتها السياسة فى القرون الماضية لمناصرتها وخلقت فى أهلها تعصباً يساير التعصب السياسى ثم إنقضت تلك المذاهب السياسية وبقيت تلك الآراء الدينية لا ترتكز إلا على ما يصوغه الخيال وما افتراه أهلها » . وبالجملة فقد أبرزت الوهابية (دعوة التوحيد) أهمية دعوة التوحيد ، وربطت الحركة السنوسية الدين بالسعى والإنتاج فى الحياة الدنيا ، يقول « كيرك » أن برامج السنوسية هى جمع صفوف المسلمين فى إفريقيا أولا ثم

بعد ذلك فى مختلف أنحاء العالم تحت لواء الاسلام فى نقاوته الأُولى . وكانت دعوة الكواكبى تهدف إلى محاربة الاستبداد والتماس العدل الاجتماعى . وكان مفهوم جمال الدين مقاومة الاستعمار الأُوربى أما محمد عبده فقد جعل العقل معيار الفكر ودعا رشيد رضا إلى نشر الدعوة الاسلامية . وقد توالت الحركات الاسلامية ولم تتكامل ، ولكنها كانت فى كل مرحلة تصحح أخطاءالحركة التى سبقتها وتحاول أن تعوض النقص الذى لم تحققه وكان عمل هذه الأَجيال من المصلحين الاعلام جد خطير فى مواجهة خطرين ماثلين:خطر الجبرية والجمود وخطر الاستعمار والتبشير ، وكان عليهم أن يعملوا فى المجالين معاً ، يكشفون عن روح الاسلام وجوهره ، ويدعون إلى مفهوم التكامل فى الاسلام دون الانحراف إلى جانب الروح دون العقل أو العاطفة دون الفكر وقد عملوا كثيراً فى سبيل كشف الغشاء الذى فرضته الوراثيات التقليدية فوق جوهر الاسلام وأزالوا تلك القشرة الجامدة ، وكشفوا عن قيمة الاسلام الأَساسية وجعلوه ، قادراً على مقاومة النفوذ الأَجنبى والتبشير المتعصب المذهبى يهدى إلى الحق فى كل الأَوقات ويدحض المذاهب والآراء والتغريب والشعوبية جميعاً ، وواجهوا به الغزو السياسى العسكرى الغربى الذى فرض نفسه على عالم الاسلام ، حتى الحركات الوطنية التى انبثقت من الحركات الاسلامية ، كانت مرتبطة بها وكانت تستهدف نفس أهداف اليقظة الاسلامية وهى عائدة إليهما بعد ذلك غير منفصلة وقد كان دعاة الاصلاح بين جماعة أو حركة وبين رجل يحمل القلم ويصحح المفاهيم أو رجل يحمل لواء الاصلاح بالتوجيه من خلال الجماعات فى المساجد والمعاهد . وقد استطاعت الحركات الاسلامية أن تواجه قوى الاستعمار وأن تكشف عن مخططها وتفسد أهدافها ، وكانت هذه القوى تحرص على تغيير مفهوم الاسلام فى نفوس أصحابه فتقنعهم بأنه دين لاهوتى عبادى صرف ، وأن تغمسهم فى مفاهيم جامدةوأن تلقى عليهم ظلال الاسرائيليات وكتابات الباطنية والصابئة والوثنيات المتعددة والشعوبيات المتجددة ، مع مذاهب أوربا والغرب المختلفة وذلك حتى يظل المسلمون فى صراع لا ينتهى وانقسام لا يتوحد ، وبذلك سيصرفون عن مفهوم الاسلام فكرياً بالتجزئة أو بالانحراف عن مفهوم الاسلام اجتماعياً بالتخلف فى مجال العلم والقوة . واستطاعت هذه الحركات الاسلامية أن تكشف عن أن الاسلام قادر على مجاراة الأَزمنة والعصور والأُمم المختلفة ، وأنه لا يعارض الحضارة

ولا يضار العلم ولا يرفض النهضة بل هو عامل إيجابي فعال فى مجال الحرية والقوة والبناء ، وأن المسلمين حين التمسوا جوهره ومفاهيمه ومقوماته استطاعوا بناء حضارة ضخمة . ولأول مرة فى تاريخ الحضارة إرتبط الضمير بالعلم والخلق بالسياسة ، والروح بالمادة وأضفى الاسلام على الأمم والحضارات قدرة على الحركة والبناء والانتاج مع بقاء جوهر الخلق الانسانى رفيعاً عالياً متطلعاً إلى المعنى الانسانى الكريم ، القائم على الحب والأخاء والمساواة ولأول مره ربط الاسلام الفرد بالمجتمع والمجتمع بالفرد وقضى على الثنائية التى لا تزال تصارع الحضارة الحديثة.

(٧)

وبعد فما هى النتائج التى حققتها دعوات المصلحين والحركات الحديثة فى الاسلام . لقد حققت نتائج كبرى ما تزال بعيدة الأثر فى خط حركة اليقظة وتطورها وفى مقدمتها : (أولا) محاربة التقليد وفتح باب الاجتهاد والتخلص من الجمود. (ثانياً) كشف المصلحون حقيقة أساسية هى أن ضعف المسلمين إنما كان مرده إلى انصرافهم عن تعاليم الاسلام الصحيح. (ثالثاً) التماس منابع الاسلام الصافية وتطهير الاسلام من الشوئب. (رابعاً) مناهضة استبداد الحكام ومناصحتهم وتأكيد مشورة أهل الحل والعقد. (خامساً) لفت النظر إلى أن الاسلام قد اشتمل على نظام اقتصادى اجتماعى يكفل توزيع الثروة بالعدل ويمنع استبداد الغنى بالفقير . (سادساً) الجهر بأن التعليم لا يكفى وأن التربية أعظم أهمية لبناء التعليم على أساس أخلاقى. (سابعاً) دعوة المسلمين إلى الاقتراب من القانون المستمد من الشريعة وللوصول إلى ذلك يجب العمل إلى أن يصبح منظوراً للفقه الاسلامى أصولا وفروعاً كمادة لتشريع مدنى عام . (ثامناً) العمل على مقاومة الاستعمار وايجاد وحدة فكرية إسلامية . (تاسعاً) إدخال الاصلاحات فى مختلف المجالات وبث نور العلم فى جميع أرجاء العالم الاسلامى . (عاشراً) رفع لواء الانبعاث الإسلامى من القرآن ، والعودة إلى التماس القرآن كمنهج إنسانى اجتماعى كامل صالح للمسلمين وأصلح لهم من مختلف المذاهب والمناهج.

الباب الخامس

الثقافة فى العالم الإسلامى

(١)

التعليم

كانت أعقد المشاكل التى واجهها العالم الاسلامى هى مشكلة « التعليم والثقافة » : فقد أحس المسلمون مدى حاجتهم إلى توسيع مجال التعليم وتجديد مجال الثقافة كعامل هام من عوامل النهضة . وعرف النفوذ الاستعمارى هذا المقتل فى حياة المسلمين فحاول أن يفيد منه إلى أبعد الحدود . وكان الاستعمار حين عاد إلى عالم الاسلام فى دوره الجديد قد أعد مخططه على النحو الذى الذى يكفل له تغيير العقيدة الاسلامية والقضاء على مقوماتها الأساسية عن طريق التعليم والثقافة واعتبر هذه الحركة القائمة على الغزو الثقافى والتغريب الفكرى هى كبرى معاركه وأعظم عوامل تثبيت قواعده وتنبه المسلمون إلى هذا الخطر فحاولوا من ناحيتهم مواجهة هذا الموقف ببناء مدارس وجامعات لها طابع الحفاظ على المقومات ولكنهم لم يكن ليبلغوا فى هذا المجال المدى الذى يحقق لهم ما يريدون ، فقد كان وراء الارساليات والمدارس والجامعات الأجنبية التى إنبثت فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى قوى مادية وأجهزة قوية قادرة على العمل ، تهيء لهذه الطريق ويرسد لها البقاء نفوذ دولها فى العالم الاسلامى فهى محمية بالامتيازات الأجنبية مفتوح أمامها الطريق بالإعفاء الجمركى لكل ما تستقدم مما تشاء من أدوات وكتب ، وكانت الدول المختلفة الطامعة فى قروض الدول الكبرى تتقرب إليها بمنح الأراضى والإعانات لهذه الهيئات العديدة . ومن هنا نشأ تياران متعارضان : تيار التعليم التقليدى القديم ، وتيار التعليم الغربى الجديد ، وكانت مدارس الدولة فى الأغلب فى ظل الاستعمار تسير على مناهج أقرب إلى مدارس الإرساليات والمدارس الأجنبية وظلت أزمة « الحلقة المفقودة » التى تجمع بين ثقافة الغرب والثقافة الاسلامية قائمة لما تتحقق بعد على النحو الذى يقضى على تلك الثنائية التى مزقت وحدة الفكر فى

العالم الاسلامى وخلقت صراعاً فكرياً بعيد المدى استحال معه إلتقاء المسلمين على رأى موحد .
والواقع أن القول بأن الاستعمار كان حريصاً من توجيه التعليم إلى تخريج طائفة من المتعلمين يخدمون فى مصالح الحكومة والشركات ، هذا القول قاصر فى الحق عن الغاية الكبرى ، فقد كان الاستعمار حريصاً على أن يرافق الفتح السياسى فتح معنوى بحيث يتقرب أهالى المستعمرات من المستعمرين إلى أن يندمجوا فيهم إندماجاً ، وذلك بنشر لغة المستعمر ، وتعليم الأهالى تعليماً ينشىء فى نفوسهم حب المستعمر فيستسلمون له عن طريق طواعيه » فذلك من الحق هو الهدف الأكبر ، ويتصل به هدف آخر هو القضاء على الثقافة القومية و ذلك بالطعن فيها وإثارة الشكوك من حولها والشبهات فى أعماقها حتى ينظر إليها المواطن نظرة الازدراء والاحتقار ويعلى عليها ثقافة المستعمر التى تقدم فى قالب براق ، وتعرض عليه عرضاً حافلا بالبطولة والقوة ، ولا يتوقف الأمر عن هذا وإنما يتصل بأمور أخرى ترمى إلى هدم اللغة العربية نفسها بحسبانها لغة القرآن ، ومصدر الثقافة ، جميعاً وذلك بنشر لغته الأجنبية ، ونشر اللهجات العامية ، وذلك بهدف المباعدة بين الوحدات الاسلامية والأقطار العربية . وقدحاول المستعمر لتأييد هذا الهدف أن يذيع دعايات براقة أقواها القول بأن الجماهير لا تعرف اللغة الفصحى فعلينا أن نقرب إليهم وسائل التعليم باللغة المحلية أو العامية .
وهذه كلها أهداف أساسية فى خطة الغزو الثقافى والتغريب ترمى إلى إيقاف اللغة العربية وتجميدها ، إلى القضاء على مقومات الفكر الاسلامى . وفى مصر تبدو صورة هذا الغزو فى مجال التعليم واضحه فى الخطط التى رسمها كرومر ونفذها المبشر دنلوب مستشار وزارة المعارف فقد استطاع أن ينزع من برامج التعليم الدين وروح الأدب العربى وتاريخ العرب وصلة مصر بالعرب والعربية ، ثم أدخل فى برامج المدارس أن مصر فرعونية » . وفى كل وحدات العالم الاسلامى تجد نفس الهدف ، قد أعد بصورة وأخرى ، فنى الهند الاسلامية يحاول التعلم التركيز على الحضارات الوثنية ، وفى أندونيسيا يجرى الاهتمام بتاريخ ماقبل الاسلام ، فى فى إيران وأفغانستان وفى تركيا كان الاهتمام بالتاريخ الطورانى والجامعة الطورانية وأمجاد جنكيزخان وكلها محاولات للقضاء على العوامل الجامعة للعالم الاسلامى وهو تاريخ الاسلام وثقافته وكل ما يتصل باللغة العربية والقرآن . وقد جرت محاولات لتوحيد برامج التعليم فى العالم العربى ، ولكنها كانت جميعها تدور فى نطاق المخططات التى وضعها الاستعمار والتى تحول دون إبراز الذاتية العربية والنفس العربية مستمدة من الفكر الاسلامى . وقد وجدت هذه

المخططات من يعارضها ويقاومها ويحول دون تحقيقها فتبقى فى حدود المخططات غير المنفذة والآراء التى لا تستطيع أن ترقى إلى درجة التنفيذ . ولقد حرصت الهيئات الاسلامية وكثير من العلماء والباحثين توجيه النظر إلى استمداد التعليم فى العالم الاسلامى من الاسلام ، ولكن هذه المحاولات كلها لم تحقق شيئاً وغاية مناهج التعليم فى البلاد المحتلة هو خلق عزلة إقليمية بين الأمم والشعوب فلا تتناول بالدرس إلا الاقليم الذى تعيش فيه ، فإذا عرضت لغيره من الأقاليم فإنما تعرض إلى الخلافات والفوارق التاريخية حتى تخلق جواً من الخصومة والفرقة وقد نشأ المسلمون فى ظل هذه المدارس لا يعرفون شيئاً عن العالم الاسلامى إلا ما تورده كتب أوربا وصحفها ، وهى كتب مكتوبة بأغراض معينة ، فإذا عرضت لقضايا هذه الممالك والأقطار فإنما تعرضها من وجهة النظر الغربيةحيث تبرز ماحقق النفوذالاستعمارىالذى حال بين مناهج التعليم فى المدرسة الوطنية وبين اتصال الوطن نفسه ماضيه بحاضره ، واتصال الوطن بالأوطان الأخرى التى كانت قبل الاحتلال وحده كاملة . ويعرف الباحث دون حاجة إلى مزيد من التفاصيل السر فى اتجاه السياسة الاستعمارية فى وطن من أوطان الاسلام نحو جعل التعليم مجرداً من الدين والأخلاق لأن هذا هو ما تقضى به مصلحته ويؤدى إلى تسلط نفوذ المستعمر بدينه ولغته .

(٢)

أما المدارس الأجنبية فى العالم الاسلامى فقد حرصت على أن تقصى ابناءها عن الاسلام واللغة العربية والتاريخ الإسلامى جميعاً ، وعمدت إلى إذاعة تاريخ نابليون وفرنسا وبريطانيا واللغات الانجليزية والفرنسية وآدابها ، ، بل وذهبت إلى أبعد من ذلك فقد قدمت لطلابها كتباً تتناول بالهجوم والتشكيك مختلف القيم الاسلامية والعربية . وعلى مدى هذا التاريخ الطويل انتقلت الصيحات بالاعتراض على عدد من الكتب التى تدرس فى هذه المعاهد والجامعات وكلها حملات ضارية على رسول الاسلام وعلى القرآن وعلى الاسلام نفسه . ومن شأن هذه المدارس أنه تخرج شباب المسلمين على ولاء لثقافة معينة ، ونظراً لتعدد هذه المعاهد بين فرنسية وأمريكية وانجليزية وإيطالية وألمانية وروسية فان شباب العالم الاسلامى ظل يتمزق بين هذه الثقافات وبين الولاء لها على النحو الذى يحول دون قيام وحدة فكر إسلامية أساسية . وقد حرص النفوذ الاستعمارى أنه يجعل من جامعاته ومعاهده مصدراً لتخريج

القادة والحكام فى العالم الاسلامى ، وكانت خطابات القائمين بأعمال الدول الكبرى فى هذه الجامعات فى كل عام تكشف عن هذه الأغراض ، يقول اللورد اويد ممثل بريطانيا فى مصر حفل كلية فكتوريا بالأسكندرية عام ١٩٢٦ «أن أبناء هذه الكلية من ثمانية أجناس أو تسعة أجناس مختلفة وأن من الطلبة الآن مصريون وانكلوسكسون ويونان ويهود وإيطاليون وأرمن وسوريون وأحباش وغيرهم ، كل هؤلاء لا يمضى عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية بفضل العشرة الوثيقة بين المعلمين والتلاميذ فيكونوا قادرين على أن يفهموا أساليبنا ويعطفوا علينا ، وأود أن أشعر أن كلية فكتوريا تنجب نفراً تنمى فيهم من الشعور الانجليزى ما يكون كافياً لجعلهم صلة للتفاهم بين الشرق والغرب ، وهذه المشاكل التى بين بريطانيا ومصر تحل إذا تعلم كل من الانجليز والمصريين أن ينظر كل منهم إلى رأى الفريق الآخر نظراً مقروناً بالفهم والعطف » وهكذا يكشف العميد الانجليزى عن الغاية من التعليم البريطانى ، إنه يحاول أن يخلق جيلا مؤمناً متعاطفاً معها ، مغضياً عن استعمارها ونفوذها فى بلاده عاملا على دعم المودة والصداقة بين المحتل والوطنى » وهذه غاية خطيرة غاية الخطورة لم تقتصر على كلية فكتوريا ولا على التعليم الانجليزى ».

وقد كشفت الأحداث عن خبيئة كثير من هذه المعاهد والجامعات المختلفة فى العالم الاسلامى واستعلن ما حاولت أنه تخفيه ، فبين حين وآخر يذاع أن هناك كتاب يدرس يحمل ثمار التبشير أو الشكوك فى الاسلام أو الإساءة إلى نبيه أو اتهام القرآن . والمعروف أن هذه المعاهد قد بدأت فى العالم الإسلامى فى الثلاثينات من القرن التاسع عشر ، وأنها كانت ذات طابع تبشيرى واضح مكشوف ، وكانت تقوم فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى بالدعوة الصريحة للمسيحية ، وكان لها فى هذه الفترة مواقف مؤسفة بالغة الجرأة اعتمدت الارساليات التبشيرية فيها على نفوذها وحماية الامتيازات الأجنبية لها وعلى نفوذ القناصل وضعف الدول الإسلامية غير أن هذه المعاهد لم تلبث أن غيرت أسماءها ومناهجها وحاولت أن تستوى فى صورة جامعات علمانية بعد كانت معاهد تبشيرية صريحة ، وقد ركزت مناهجها فى كلتا الحالتين على غاية واحدة وإن اختلفت الأساليب ، تحمل ثقافة المستعمر وتاريخه ولغته ودينه على نحو واسع الاغراء للشاب المسلم ، مبعدة به عن تاريخه ولغته ودينه ، بالهجوم والتشكيك وإثارة الشبهات والربط بين تاريخ المستعمر ودينه ولغته ومكانة الحضارة ، والربط بين تاريخ الأمم الاسلامية ودينها وبين وقوعها تحت نفوذ الاستعمار وتخلفها . وقد حدث

فى إحدى الجامعات المتصلة بإحدى الدول الغربية فى عاصمة من أكبر العواصم العربية أن وقف شاب من خريجى هذه الجامعة ، أن بعد أحرز شهادتها العالية ، فى حفلها السنوى الضخم ليظهر الناس على حقيقة هذه الجامعة وأهدافها فقال: «إن هذه الجامعة تظهر أمام الناس فى مظهر المدرسة العلمية لكنها فى الحقيقة تعمل لافساد عقائد الشباب الدينية وتطعن فى الإسلام ». ومن خلال بعض هذه المعاهد انطلقت حركات التبشير ، وقد جعلت من طلابها حقل تجارب لذلك ، وكشفت التحقيقات والأحداث عن نتائج خطيرة . وهكذا وقف المسلمون من هذه المدارس طوال هذه السنوات موقف الحذر ، كاشفين لها ، ولم يستسلموا مطلقاً لاغرائها ، ولم يثقوا بها ، وما تزال ومن تخرج منها يمثلون فى المجتمع الاسلامى ولاء غير خالص للوطن ولا للأمة ولا للفكر الاسلامى أو الثقافة العربية . ولقد شنت الصحف فى مصر فى الثلاثينات حملة ضخمة على هذه المعاهد وعلى حركة التبشير التى انبعث منها وكشفت عن خطر هذه المعاهد . وقد قوبلت هذه الارساليات جميعها من المسلمين بالاعراض التام ، ثم لم يلبثوا أن استسلموا لها تحت ضغط عوامل مختلفة ، أهمها عجز التعليم الرسمى الوطنى عن إفساح المجال للراغبين فى التعليم وكان أغلب الذين أقبلوا على هذه المعاهد أبناء الطبقة الحاكمة ذات الثراء التى أنفت من المدارس العامة وحاولت أن ترضى غرورها النفسى بالالتحاق بالمدارس الأجنبية ، وكان النفوذ الاستعمارى حريصاً على إغرائها بدخول مدارسه وذلك حرصاً على أن يربى الجيل القادم من الحكام والقادة على مفاهيمه وقيمه ، وقد تحقق ذلك فى العالم الاسلامى كله إلى أبعد حد ، فلما جاء هذا الجيل قبل التفاهم مع الاستعمار ولم يعارضه على الأقل من ناحية علاقة الدين بالمجتمع أو علاقة الدين بالسياسة وقبل مفهومه فى فصل الدين عن المجتمع والدولة ، وقد كان الاستعمار حريصاً من إنشاء هذه المدارس والمعاهد أن يضع المسلمين أمام خطرين كلاهما شر وخطر : الأول أن يتخلفوا عن التعليم ويتقدم غيرهم وبذلك يفقدون نفوذهم بحكم أنهم أصحاب الأغلبية فى بعض الأقطار كالعالم العربى ومصر أو كانوا حكامها وأمراءها كالهند . (الثانى) : إن يقبلوا على هذه المدارس فيفقدوا إيمانهم بأمتهم وبقدرتهم على مقاومة النفوذ الأجنبى . وقد رضى المسلمون بالأمر الأول ، فتخلفوا فى كثير من البلاد خاصة فى الهند وسبقهم الهندوس إلى التعليم وإلى مراكز القيادة والحكم ، ولكنهم لم يلبثوا أن عوضوا ذلك بانشاء معاهدهم الخاصة وجامعاتهم ومدارسهم التى تحمل رسالة فكرهم ودينهم ، ويبدو ذلك جلياً

فى مصر والهند والجزائر وأندونيسيا فان جماعات ضخمة من المسلمين اندفعت للبذل والانفاق والتبرع لإقامة مثل هذه المعاهد والمدارس . وقد ساهمت هذه المعاهد والمدارس بنصيب كبير فى إضعاف اللغة العربية لدى تلاميذها ، وقد عمدت إلى تنشئة شبابنا على معرفة اللغات الأجنبية والجهل بلغتهم الوطنية ، كما أسهمت إلى حد كبير فى تلقين أبنائنا تاريخ أوربا والدول الأجنبية المختلفة وامبراطوريتهم ونسيت أو تناست أن تلقن هذا النشء ذاته تاريخ أو جغرافية وطنه . ولما كان التعليم الأجنبى الذى قامت به الارساليات التبشيرية مستقلا بمناهجه وليس خاضعاً لمناهج الدولة ولا إشرافها ، فقد سهل هذا الأمر على الذين أقاموا هذه المدارس توجيه النشء وجهة خاصة دون ما رقابة من الدولة ، وبذلك كانت الكتب المستعملة بهذه المدارس مليئة بتمجيد الدول ، والأمم والأديان الغربية ، مع معلومات خاطئة ومضللة كلها الشبهات والأخطاء عن الاسلام والعرب والمسلمين والمصريين وعن اللغة العربية والتاريخ ، وكان ذلك كله يدرس للشباب المسلم الذى يلتحق بهذه المعاهد ، حتى لكان أغلب خريجى هذه المدارس يعرف عن الأديان الأخرى كل شيء ، ولا يعرف عن دينه شيئاً ، وكذلك عن اللغات والتاريخ . فإذا به كبير الولاء لما تعلم من دين ولغة وتاريخ ، ناقم ساخط ساخر بكل ما يتصل بالعرب والمسلمين واللغة العربية والتاريخ الاسلامى . هذا فضلا عما كان يتاح لهذا الشباب من فرص إذا أخلص الولاء لهذه الثقافات من بعثات إلى تلك البلاد ، فإذا عاد إقتعد مناصب الصدارة وأماكن القيادة فى وطنه بفضل النفوذ الأجنبى المسيطر . هذه صورة الخطر الذى تعرض له العالم الاسلامى فى مجال التعليم والذى ما زال أثره قائماً إلى الآن فى بعض الأقطار بالرغم من تغيير هذه المعاهد لمناهجها أو توافر المدارس الوطنية . فقد قارب النفوذ الأجنبى وأعوانه بين مناهج المعاهد الأهلية الوطنية وبين مناهج هذه المعاهد التبشيرية على نحو كبير ، وإن كانت المعاهد الأهلية والوطنية قد أولت اهتمامها باللغة العربية والتاريخ القومى فانها حملت معها الخطوط العامة لفكر المستعمر وأهدافه فى التعليم وهى أبعاد القيم الأساسية للفكر الاسلامى عن أن تكون القاعدة التى تنبثق منها المناهج ، ولذلك فان أقصى ما كان يطمع فيه المصلحون فى المعاهد الوطنية أن تدرس مادة الدين وهى تدرس الآن فى أغلب بلاد العالم الاسلامى فى المدارس الابتدائية والثانوية على نحو لا يعطى النفس الاسلامية أو العربية أى ربط حقيقى بين الاسلام وبين المجتمع والفكر والثقافة أما فى الجامعات فان الفلسفات والمذاهب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية الغربية

فإنها تدرس بحسبانها هى العلوم الأساسية دون أن يوضع موضع التقدير إن للفكر الاسلامى مفاهيم وقيم ونظرات فى الاجتماع والسياسة والاقتصاد . والتربية هى أصلح لأهل العالم الاسلامى وأقرب إلى أمزجتهم وعقلياتهم وأقدر على إصلاح مجتمعهم وتهذيب نفوسهم من الثقافات الأجنبية التى يدرسونها على أنها وجهات نظر ربما فشلت فى تحقيق نتائج إيجابية فى أوطانها . وأمر آخر بالغ الأهمية حرص النفوذ الاستعمارى على استدامته وإبقائه وتعميقه فى العالم الاسلامى هو « ثنائية التعليم – التعليم الدينى والتعليم المدنى » وذلك لخلق تمييز طبقى بين المواطنين . ولتحقيق الفروق بين الطبقتين لابعاد الشقة بينهما فى الثقافة والميول والاتجاهات ليجعل من أحداهما حاكمة والسبيل أمامها إلى الصدارة مفتوحة فى نفس الوقت الذى أبعد فيه الأخرى عن مجال القيادة أو العمل المباشر » والاستعمار يهدف فى ذلك إلى تأصيل بقائه وخلق طبقة تسانده ويختبىء وراءها لإرغام المواطنين على استساغة وضعه ». كما « أقام الفارق بين التعليمين الشعبي والحديث على الفقر والغنى فأصبحت هناك أغراض تعليمية تستهدف الفقراء وأخرى للأغنياء ، وتفاوتت خطوط المواطنين تفاوتها بين الاقطاعيين والأمراء » وقد حرص النفوذ الاستعمارى على تجميد المعاهد الاسلامية الكبرى : كالأزهر والقرويين والزيتونة وأنشأ نظاماً آخر مستقلا عنه له طابعه الغربى الخالص ، وخلق خصومة وصراعاً بين المتعلمين وجعل مدارسه ومعاهده هى التى توصل إلى المناصب والنفوذ والثروة حين أبقى خريجى المعاهد الاسلامية فى درجة منخفضة . وقد كان لهذا الازدواج العلمى وهذه الثنائية أثرهما البعيد المدى فى الأخطار التى واجهها العالم الاسلامى طوال هذه الفترة . والمعروف أن جميع الثورات والحركات الوطنية والمقاومة للنفوذ الاستعمارى إنما انبعثت من هذه المعاهد الاسلامية ، التى قادت دعوات الحرية والنهضة أساساً ، وقد كشف كثير من الباحثين عن خطر هذه الثنائية ودعا إلى القضاء على التعارض وإزالة هذه الهوة الواسعة بين المتعلمين تعليما مدنياً عصرياً والمتعلمين تعليما دينياً إسلامياً ولا يكون ذلك إلا بسلخ الصبغة الأجنبية عن التعليم المدنى وإعطائه صبغة أخرى من لون محيطه الاسلامى تكون ملائمة لتقاليد الأمة وعقائدها ، ويكون القسط الأول فيه لاعلان مفاخرها وتنوير تاريخها وإحياء ماضيها وربط الحاضر به ، وكذلك تعليمنا الاسلامى يجب أن يجهز بأساليب العصر ، ومعارفه ليكون أئمة المسلمين من أعرف الناس بزمانهم وأدواته وأسباب معالجتها ».وقدعرض كثير من الباحثين للجامعات العصرية التى أنشئت فى العالم الاسلامى ، وكيف طمع منشئوها فى أن

تكون وسيلة لدعم الوطنية والقيم العربية الاسلامية ، لكنهم عجبوا كيف تحولت هذه الجامعات لخدمة النفوذ الاستعمارى وأبرز مثل لذلك الجامعة المصرية الأهلية التى أنشأها المصريون بأموالهم دعماً لليقظة الوطنية فاذا بها تقع تحت سيطرة التغريب ، وتصبح مصدراً للشبهات التى تثار حول الاسلام واللغة العربية والتاريخ الاسلامى العربى على النحو الذى قام به الدكتور طه حسين وزملائه وتلاميذه والتى كشف عنها عام ١٩٢٥ كتاب «الشعر الجاهلى» و ««حديث الأربعاء» ، ومن بعدهما «مستقبل الثقافة فى مصر» . فقد حملت لواء الدعوة إلى الفرعونية والتشكيك فى القرآن ، ومحاولة خلق جيل من الشباب المثقف يتنكر لعروبته وإسلامه وقيمه واعلاء شأن الأدب الغربى والثقافة الفرنسية والدعوةإلى الفرعونية. وعن الجامعة بأقلام تلاميذها صدرت رسالة طه حسين فى نقد ابن خلدون والتشكيك فى مكانته العلمية ورسالة زكى مبارك عن الغزالى واتهام آرائه ، ورسالة منصور فهمى عن المرأة المسلمة وفيها حملات على الاسلام والرسول .وقد حرص المسلمون فى مواجهة المدرسة الوطنية الخاضعة للنفوذ الاستعمارى والمدرسة الارسالية الخاضعة لنفوذ التبشير وكلاهما يهاجم الثقافة الأساسية وفى مقدمتها الاسلام والقرآن ، حرص المسلمون إلى سد هذا النقص بإنشاء المدارس الأهلية ، وقد جرى هذا العمل بهمة بالغة فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى وحقق نتائج طيبة ، كان أقل قدر منها أنها استنقذت جانباً من الشباب من قصور المدرسة الأهلية وتدمير المدرسة التبشيرية ، وقد كان للجمعية الخيرية الاسلامية فى مصر والجمعية المحمدية فى أندونيسيا ومدرسة دار العلوم فى لكنو بالهند ومدارس جمعية العلماء فى أندونيسيا أبعد الأثر فى هذا المجال . ولا شك كان للجامعات الاسلامية التقليدية فى هذا المجال دور هام وخطير ، هذه الجامعات التى انبثقت منها جميع حركات المقاومة للنفوذ الاستعمارى والحركات الوطنية ومواقف المواجهة لكل حركات النفوذ الاستعمارى ودعوات الالحادوالتبشير والاباحة ومعارضة مختلف الآثار المكتوبة التى أثار أصحابها شبهات حول الاسلام واللغة العربية . وفى مقدمة هذه المعاهد : الأزهر والقرويين والزيتونة ، ومعاهد النجف . أما الأزهر فقد عمل على حفظ التراث العربى الأسلامى فى وجه الحملات الصليبية وغارات التتار ومحاولات العدوان المتكررة على العالم الاسلامى فضلا عن أنه قاوم الحملة الفرنسية والاستعمار البريطانى وكان له مواقفه فى الثورة العرابية وثورة ١٩١٩ كما قاوم الأمراء المستبدين من المماليك حتى قال عنه اللورد لويد فى كتابه (مصر خلال حكم كرومر) : إن أهمية الأزهر بوصفه مركزاً من

مراكز الدعاية المعادية لبريطانيا كبيرة متعددة الإمكانيات ، وقد أدرك الوطنيون ذلك فحاولوا استغلاله ، لتأييد مآربهم وترتب على ذلك نمو روح المعارضة الشديدة لسيطرة الانجليز على التعليم به . إن التعليم الوطني عندما قدم الانجليز مصر كان في قبضة الجامع الأزهر الشديد التمسك بالدين والذي كان أسلوبه الجاف القديم يقف حاجزاً عن طريق أي إصلاح تعليمي وكان الطلبة الذين يتخرجون منه يحملون معهم قدراً عظيماً من غرور التعصب الديني » ومن الطبيعي أن يكون رأي المندوب البريطاني في الأزهر سيئاً وأن يكيل له عبارات الجمود والجفاف ، فقد كان الأزهر هو الصخرة التي وقفت أمام مطامع الاستعمار ومن بؤرتها قامت كل الحركات المعارضة للاستعمار على طول المدى ولقد كانت سياسة النفوذ البريطاني في مصر إزاء الأزهر وفرنسا إزاء القرويين والزيتونة ، العمل على تجميد هذا النوع من التعليم مع المحافظة على بقائه . تجميده على النحو الذي يعزله عن الحياة الاجتماعية والسياسية والابقاء عليه لخلق الثنائية والتضارب والحيلولة دون قيام ثقافة وطنية أو قومية موحدة . وكما فعل النفوذ الاستعماري البريطاني في الأزهر ، فعلت فرنسا بالنسبة لجامعة «القرويين في فاس فقد أثر عن الحاكم الفرنسي ليوطي — صنو كرومر في مصر قوله : إذا تم لفرنسا القضاء على القرويين فقدضمنت لنفسها الخلود في المغرب ولذلك فقد تسلط النفوذ الاستعماري الفرنسي عليها حيث توجد بها «الطاقة التي تكون فيها قوة المغرب» فأوحى إلى عملائه فمنعوا دراسة العلوم بها واكتفوا بالقشور وتحولت كلية القرويين إلى شيء لا فائدة منه «فدراسة أحوال اعراب«ما» تستغرق شهرين وقد حاولت الحكومة المغربية أثناء السيطرة الاستعمارية أن تحقق بعض الاصلاحات التعليمية فيه فكانت دائماً تجد معارضة شديدة من الاستعمار وهكذا عمد النفوذ الاستعماري إلى القضاء على نفوذ الأزهر في مصر والقرويين في فاس والزيتونة في تونس ، فوضع خطة محكمة تستهدف إضعاف هذه المعاهد وتهوين مركزها وإضاعة نفوذها ، حيث وقف المستعمرون «في طريق علمائه وحالوا بينهم وبين مراكز القيادة ، ومناصب الحكم ، ووظائف الارادة وأشاعوا بين الناس أنهم يهدفون إلى تكريم الدين ، على أن يكون الاسلام على حد تعبيرهم بعيداً عن السياسة وبمعزل عن الحكم . فأعفوا علماء الدين من التجنيد وأسقطوا الجهاد عمن يحفظ كتاب الجهاد «القرآن» وكأنهم أرادوا أن يبعدوا السلاح عن أيدي أولئك الذين يتعاملون بالقراءة وبذلك أبعد القرآن وتعاليم الدين عن المدارس والمحاكم وسائر دواوين الحكومة » . واستطاع النفوذ الاستعماري أن يجعل عدداً

من أبناءِ هذه المعاهد فى موقع أكبر الخصوم لها الحاملين عليها الساخرين بها : مثل على عبد الرازق وطه حسين ولكن هذه المعاهد لم تجمد برغم ما قدر لها المستعمر أن تجمد ، فإنها خرجت رجالا كباراً متحررين قادوا خطوها إلى الأمام أمثال محمد عبده والمراغى وشعيب الدكالى ومحمد العلوى العربى والطاهر بن عاشور ، وعبد الحميد بن باديس وعبد العزيز الثعالبى . وقد حدد الأستاذالمراغى أهداف الأزهر فى أهداف أربع كبرى كبرى أعتقد أنها هى رسالة الجامعات الاسلامية : (أولا) تعليم الأمم الاسلامية المتأخرة فى المعارف وهدايتها إلى أصول الدين وإلى فهم الكتاب والسنة ومعرفة الفقه الاسلامى وتاريخ الاسلام ورجاله . (ثانياً) إثارة كنوز العلم التى خلفها علماءِ الاسلام فى العلوم الدينية والعربية والعقلية وهى مجموعة مرتبطة بعضها ببعض وتاريخها متصل الحلقات . (ثالثاً) عرض الاسلام على الأمم غير المسلمة عرضاً صحيحاً فى ثوب نقى خال من الغواشى المشوهة لجماله ، وخال مما أدخل وزيد فيه الفروض المتكلفة التى يأباها الذوق ويمجها طبع اللغة العربية . (رابعاً) العمل على إزالة الفروق المذهبية أو تضييق شقة الخلاف بينها ، فان الأمة فى محنة من هذا التفريق ومن العصبية لهذه الفرق ، ودراسةأسباب الخلاف دراسة بعيدة عن التعصب المذهبى يهدى إلى الحق .

(٢)

الثقـــافة

يشكل الفكر الاسلامى أساساً موحداً للدراسات العقلية والروحية فى العالم الاسلامى كله ، ومنه تنبثق الثقافات المختلفة التى تتصل بكيان الأمم التى برزت معالمها الاجماعية والنفسية باختلاف اللغات . ذلك أن اللغة العربية ، لغة القرآن لم تتح لها الفرصة لكى تكون لغة العالم الاسلامى كله ، ومن ثم فقد ظهرت ثقافات مرتبطة باللغات العربية والفارسية والتركية وهى الثقافات الثلاث الكبرى ، ثم برزت ثقافة المسلمين الهنود باللغة الأردية وثقافة المسلمين فى جزائر الملايو باللغة الملاوية غير أن هذه الثقافات المرتبطة باللغات والأمم قد احتفظت ولا تزال تحتفظ بأساس موحد هو الاسلام وإطار موحد هو القرآن . وفى العصر الحديث - وفى عصر اليقظة بدت فوارق مختلفة بين هذه الثقافات حيث غلب على بعضها الطابع الروحى أو الصوفى وظلت الثقافة العربية تقوم فى أساسها على جوهر الإسلام جامعاً بين جناحى

العقل والروح . وقد كان للاستعمار الغربي ونفوذه الضخم المسيطر منتصف القرن الثامن عشر على أغلب أجزاء العالم الاسلامى أثره البعيد فى تجميد اللغة العربية فى الوحدات الاسلامية القديمة والنامية فقد جعل من قواعد مخططة الأساسية تنمية اللغات الأوربية واللهجات واللهجات الاقليمية ، كما عمد إلى إجراء مباعدات وفواصل كثيرة بين الثقافة العربية والثقافات التركية والفارسية والهندية . وكان لحركة التغريب العاتية التى جرت فى تركيا بعد الحرب العالمية الأولى آثارها البعيدة فى تقارب ثقافات الاسلام ولغات الاسلام فقد عمد الكماليون حكام أنقره على كتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية ، وكذلك أجبر النفوذ الاستعمارى الهولندى «جزائر الملايو وأندونيسيا» على مثل ذلك حيث كانت الحروف العربية تمثل جامعة اللغات الاسلامية المختلفة . كما جرى هذا التباعد فى مجال الثقافات التى انحرفت عن مفاهيم الاسلام ، ولكن كثيراً من هذا التباعد لم يلبث أن ضعف وحل محله تقارب ، من حيث خفت يد الضغط غير الطبيعى على تمزيق وحدة الفكر الاسلامى الجامعة بين العرب والترك برباط الاسلام ، وحينما يضعف ضغط نفوذ الاستعمار أو نفوذ وريثه التغريب فان الثقافات الاسلامية فى مختلف أنحاء عالم الاسلام تتقارب من حيث ارتباطها وتوحدها باللغة العربية والقرآن ، ذلك أن الجذور الاسلامية ما زالت عميقة فى هذه الأمم مهما فرقتها لغات أو نزعات سياسية أو عرقية ، ذلك أنه بالرغم مما غلب بعد الحرب العالمية الأولى وانحلال الرابطة الاسلامية الجامعة واستعلاء طابع القوميات من نزعات إقليمية مصدرها «الدافع الوطنى» . الذى اتخذت منه الأمم سبيلها إلى مقاومة الاستعمار فأعلت من شأنه وربطته بالماضى القديم لتؤكد ذاتها ، أقول : بالرغم من هذه الدعوات الاقليمية فقد ظلت هذه الاقليميات ذات رابطة أكيدة بالوحدة الاسلامية الكبرى ، وعاشت الأمم الاسلامية المختلفة فى ثلاث دوائر متداخلة مترابطة ، لم تقهر إحداها ولم تنقطع ، وأن غلب طابع واحدة منها ، تلك : هى دوائر الوطنية المرتبطة بالأرض ، ودائرة القومية المرتبطة بالأمة أو الجنس والعرق ودائرة الفكر والعقيدة المرتبطة بالاسلام والقرآن والثقافة وقد حاولت بعض الأمم والثقافات إعلاء ماضيها قبل الاسلام واحيائه والاعتزاز به ، وكان ذلك فى الأغلب بدافع من تيارات الغزو الفكرى والتغريب ، ولكن هذه المحاولات لم تقطع الصلة الاسلامية الجذرية ، أعرق هذه الروابط وأقواها لاتصالها بالعقائد والعقليات والكيانات الاجتماعية والنفسية ، ولقد كان هدف دعوات إحياء ما قبل الاسلام من تاريخ الهنود أو الفرس

أو الترك أو العرب أو المصريين أو اللبنانيين أو المغاربة هو تمزيق وحدة هذه الأُمة لتطرح العامل الجامع لوحدتها والقاسم المشترك لرابطتها وهو الاسلام ، ولكن الثقافات تسامحت وتوسعت فشملت الماضى القديم الدارس الوثنى إلى جوار الماضى القريب الاسلامى إلى جوار الوافد من الثقافات الغربية الحديثة ، وأجرت تذويباً للعناصر الثلاث فى بوتقتها وصهراً لكل هذه المعطيات . وقد استطاعت بعض هذه الثقافات أن تحتفظ بمقوماتها وعجزت بعضها الأُخرى وغلب عليها الطابع الأُممى ، أو الطابع الاقليمى الذى استعلى فيه الجنس والدم والعرق . وقد كانت كتابات شبلى النعمانى ، وأمير على واقبال فى الهند بعيدة الأَثر فى تعميق مفهوم الاسلام ،وكانت دراسات معاهد الشيعة وتجديدات الفقهاء الجعفريون فى إيران وفى أندونيسيا هيئات إسلامية لها دراسات وأعمالها الفكرية الاسلامية التجديدية أما فى مجال الأُمة العربية فقد أثرى مجددو الاسلام الفكر الاسلامى بنظرات شاملة تمثلت فى كتابات محمد بن عبد الوهاب والسنوسى والمهدى وجمال الدين الأَفغانى ومحمد عبده ورشيد رضا ومحب الدين الخطيب وفريد وجدى والقاسمى والكواكبى والجزائرى وشكيب أرسلان وحسن البنا وكان للهيئات الاسلامية : الأَزهر والجماعات الاسلامية والاخوان فى مصر والزيتونة (فى تونس) والقرويين فى فاس وديوبند فى الهند ومعهد النجف فى العراق وجمعية العلماء فى الجزائر ، وجمعية أهل الحديث فى دلهى واتحاد الاسلام فى سومطرا وشركة إسلام جاوة والجمعية المحمدية فى جاكرتا وجمعية ترقى الاسلام فى الصين . وقد عملت هذه المدارس والجماعات فى مختلف مجالات الفكر الاسلامى فهناك المدرسة الفقهية ، التى حاولت الكشف عن جوهر الشريعة الاسلامية ، وأبرزت طابع الاجتهاد فى الاسلام وقدرته على مواجهة العصور المختلفة والبيئات المتعددة ، وهناك المدرسة اللغوية التى عملت على إدخال المصطلحات الحديثة والكشف عن عظمة اللغة العربية ومكانتها وهناك المدارس التاريخية والاجتماعية والتربوية التى قدمت عشرات الأَبحاث فى هذه المجالات وكان الذى يطبع هذه الدراسات الاسلامية المتعددة طابعان(١)الكشف عن قدرة الاسلام على الالتقاء بالفكر الانسانى والحضارة الحديثة ومدى حيوية قيمة الأَساسية فى منح الانسانية زاداً جديداً وحلولا مرنة سمحة لمختلف معضلات المجتمع الحديث على نحو يفوق الأَيدلوجيات الغربية واقناع أهل الاسلام بصلاحيته لهم صلاحية تتناسب مع أمزجتهم وعقلياتهم وأرواحهم ، على نحو يفوق التطلع إلى اقتباس مناهج المجتمع والحياة من الغرب ، وفضلا عن ذلك فهو مفتوح الآفاق لتقبل العلوم وعوامل الرقى المستحدثه وتقبل كل فكر

إيجابى صالح لترقية المجتمعات ودفعها إلى الأمام ٢ ـ الرد على حملات التعريب والتبشير والشعوبية ، هذه الحملات الضارية التى تحمل طوابع الشبهات والتشكيك للقيم الاسلامية الأساسية وإثارة المغالطات حول اللغة العربية والقرآن والتاريخ والفكر الاسلامى . ويمكن القول بأن جانباً كبيراً من عمل الحركة الثقافية فى العالم الاسلامى كان منصباً على مهمة الدفاع عن الاسلام فى مواجهة حملات خصومه ، والمعروف أن النفوذ الاستعمارى الغربى قد حرص عند سيطرته على مختلف وحدات العالم الاسلامى إيجاد نوعين من التعليم بالإضافة إلى التعليم التقليدى الذى حرص على تجميده ومنعه من النمو وعزل خريجيه عن مجال الحركة فى المجتمع . هذان النوعان هما : ١ ـ التعليم التبشيرى الذى تقوم به الارساليات الأجنبية . ٢ ـ التعليم المدنى الذى أشرف عليه مستشارون من المحتلين يرسمون مخططاته ويحولون بينه وبين دعم ثقافة القرآن وفكر الاسلام واللغة العربية والتاريخ الاسلامى ولقد حرص المسلمون فى مواجهة هذه النظم التغريبية إلى سد الثغرة بانشاء المدارس الأهلية والوطنية والقرآنية . وجرى فى بعض أجزاء العالم الاسلامى محاولات للتقريب بين المدارس الاسلامية والمدارس الوطنية ، والتوفيق بينهما لصالح الاسلام كما فعلت ندوة العلماء فى لكنو بالهند كما كان حرص المجددون للثقافة العربية المستمدة من الفكر الاسلامى وكذلك الثقافات الهندية الاسلامية ، والأندونيسية الاسلامية ، على تأكيد عدة معانى أساسية لها أهميتها فى مجال التغريب والشبهات المثارة : (أولا) وهو أن الاسلام ليس ديناً بالمعنى المألوف لهذه الكلمة ولكنه دين ونظام اجتماعى فى آن واحد ، وقد حرص النفوذ الاستعمارى فى مدارسه ومعاهده وخريجيه على دعم هذا المفهوم الخاطىء والحيلولة دون تعمق المفهوم الأصيل (ثانياً) حرص المجددون المسلمون على تأكيد مفهوم الجهاد فى الاسلام باعتباره فريضة من فرائضه وكان النفوذ الاستعمارى يحرص على الإغضاء عن هذا المفهوم بل إن الاستعمار البريطانى فى الهند قد حرص على ظهور جماعات تحمل لواء الدعوة إلى الاسلام تعلن أن الجهاد ليس أساساً من أسس الاسلام ، فضلا عن حرص الاستعمار على إبعاد آيات الجهاد ودارساته عن مجال المدارس والجامعات والمعاهد . (ثالثة) الاهتمامات هى تأكيد مفهوم صلاحية الشريعة الاسلامية للعالم الاسلامى وامتيازها عن القانون الوضعى ، وخاصة بعد أن أعلن مؤتمر لاهاى ١٩٣٧ ومؤتمر سان فرنسسكو ١٩٥١ أن الشريعة الاسلامية شريعة تامة وأفرد لها كرسياً فى محكمة العدل الدولية تولاه مستشارمسلم .(رابعة) ومن الاهتمامات كانت الدعوة إلى استمداد التربية

والتعليم فى العالم الاسلامى من مناهج التربية الاسلامية القائمة على الاخلاق والسياسة، والرابطة بين الدين والمجتمع . (خامسة) هذه الاهتمامات تأكيد اعتبار اللغة العربية الفصحى لغة أساسية فى المدارس والجامعات وأساس أكيد للثقافة ومقاومة دعوات العامية أو الكتابة بالحروف اللاتينية . وكانت أكبر أهداف حركة التغريب والتبشير والنفوذ الاستعمارى والغزو الثقافى هى القضاء على هذه المقومات ورفع شعار (العلمانية) فى التربية باقصاء الدين أساساً من برامج التعليم ومناهج المجتمع ، ورفع شعار (الأممية) فى مجال الفكر ، فى محاولة القضاء على المقومات الأساسية للثقافات العربية والتركية والفارسية والهندية المستمدة من الاسلام بدعوى مضللة هى « وحدة الثقافة العالمية » ، وكان مفهوم هذه الدعوة هى إذابة الثقافات الاسلامية فى الثقافة العربية المستعمرة والمسيطرة . وقد عرض كثير من الباحثين لهذه التحديات ، وأشار إليها (ساريدار بابنكار) فى كتابة (مشكلات الثقافة الأفريقية والآسيوية) فقد أبان أن الاحتلال الأجنبي الذى عانته هذه الدول عمل على سيطرة اللغة الأجنبية على التعليم . ففى كل مكان ما عدا العالم العربى كان التعليم يجرى بلغة أجنبية فى الهند لأول مرة وضع نظام تربوى شامل بلغة أوروبية وفى أندونيسيا لوحظ أن عدد الذين أنهوا علومهم الثانوية باللغة الهولندية لا يتجاوز ١٤ ألفاً . وفى السودان هبط مستوى التعليم إذ لم يكن يوجد إلا كلية واحدة فى الخرطوم وفى المغرب وتونس كان التعليم الفرنسى سطحياً . وكانت التربية فى ظروف الوضع الاستعمارى محافظة جامدة لأنه لم يكن من مصلحة الأجنبي المستعمر الذى يبغى استغلال البلاد أن تروج تربية حيوية ، وكانت الكتب المستعملة فى المدارس والنفسية التى كان يراد خلقها لدى النشء تميل بالطبع إلى التقليل من قيمة الثقافة الوطنية مع تمجيد فضائل السيد الأجنبي ، وكان أبرز أهداف التربية الاستعمارية إثارة الروح الانهزامية فى المواطنين لتتمكن من التحكم فيهم . وكان التعليم يتم فى مختلف بلاد العالم الاسلامى باللغة الأجنبية . كالانجليزية فى المستعمرات البريطانية ، واللغة الهولندية فى أسبانيا والفرنسية فى الهند والصين والمغرب وتونس . فضلا عن تضييق نطاق التعليم حتى يصبح قاصراً على الطبقة العليا التى ستحكم وإلى هذا المعنى كانت دعوة لطفى السيد فى مصر (١٩٠٧ — ١٩١٤) بايحاء من النفوذ الاستعمارى فى مصر . وتبدو صورة الاستعمار الثقافى فى أفريقيا أشد وطأة وأبعد أثراً حيث ما تزال حركة الغزو الفكرى قائمة على أشدها ، فى أفريقيا بالذات بينما تحررت كثير من وحدات العالم الاسلامى من الاستعمار وإن لم تتحرر من النفوذ

الثقافى والتغريب . ويكمن الاستعمار الثقافى فى مجالات ثلاث : التعليم ، الصحافة ، الثقافة والخطة الأساسية للغزو الثقافى : هو توجيه الإنسان الأفريقى إلى الخضوع للاستعمار وتقبل حضارتهم والتعاطف معها . فالثقافة فى مختلف المناطق المحتلة تقوم على نفوذ مدارس التبشير والاستعمار ، هذه المدارس التى كانت سبباً أساسياً فى تقهقر الثقافة الاسلامية . حيث أبعد الإسلام واللغة العربية نهائياً وقدم بدلا منها لغة المستعمر ودينه وثقافته وتاريخه . وإعلاء شأن بعض المناطق للقضاء على اللغة العربية وللتمهيد للغة الأجنبية وقد أجبر البريطانيون مختلف المناطق التى احتلوها على استخدام الحروف اللاتينية فى كتاباتهم ، كما التهمت نيران الجيوش فى مدن أفريقية الغربية كثيراً من المكتبات الاسلامية القديمة كما نقلت مئات من كتب التراث الاسلامى والعربى إلى أوربا وذلك لقطع التيار العربى والاسلامى نهائياً وتحويل هذه المناطق عن الثقافة الوافدة من شمال أفريقيا ومصر كما تعرضت الزوايا والمدارس الاسلامية والكتاتيب للمحاصرة ، والانقراض لعجزها عن الوصول إلى إعانات . ويستهدف الاستعمار من هذه المخططات الاساسية أن يوجد مفهوماً ثقافياً قوامه الالتقاء بين الوطنيين والمستعمر ، فى تعاون وتقبل للوجود الاستعمارى ، وهو نفس ما دعا إليه كرومر فى مصر عند احتلالها فى عبارته المرنة الدقيقة « التقاء أهل البلاد بالمدنيين بالغربيين فى منتصف الطريق » هذا المنطق الذى خلق أجيالا ترى العلاقة بين الأوطان والمحتلين ليست احتلالا ولكنها تمديناً وتعاوناً وصداقة ، وهذا يتطلب تقارباً فكرياً وثقافياً يتم عن طريق اللغة الأجنبية وعن طريق عقائد المستعمر الدينية والاجتماعية وقوانينه . بحسبان أن هذه هى أمانة الرجل الأبيض الذى عهدت إليه العناية الالهية (!) تمدين الأمم المتخلفة . وهذا يتطلب أساساً إبعاد الإسلام واللغة العربية بحسبانها أساس المقومات الداعية إلى مقاومة المستعمر ومعاداته ورفض وجوده الشرعى . وقد جرى التركيز على أفريقيا فى خلال المائة عام الأخيرة تركيزاً أساسياً باعتبارها هى الجبهة الأخيرة للاستعمار على حد تعبير جون جنتر . وتهدف المناهج التعليمية والثقافية والصحفية إلى إعداد السكان الوطنيين على نحو يحقق فهم روح الطاعة والاستسلام والذلة . وتربية روح الخضوع والاستسلام مع الاعجاب والعرفان والتقدير للرجل الأبيض صاحب الفضل فى تمدين البلاد والمنقذ الذى أدخره القدر . وقد كان نظام الارساليات من العوامل الفعالة فى تنفيذ هذا المخطط ويبلغ عدد الارساليات الأوربية والأمريكية فى أفريقيا رقماً يزيد على ١٠ آلاف إرسالية . ويصور هذا التحدى الخطير مؤلف كتاب الثقافة

الافريقية حين يقول : «ما من ثقافة أفريقية إلا وتأثرت باحتكاكها بالأوربيين ولكن في الوقت نفسه لم تستسلم أية ثقافة استسلاماً كلياً للغزو الثقافي الأوربي » . . ولا ننكر هنا أنه يجري تدريب عدد متزايد من الأفريقيين على النظر إلى دين أجدادهم كما لو كان ضربا من الخرافة وأن ينبذوا المعتقدات والتقاليد الأخرى على اعتبار أنها بالية ولم تعد تجاري العصر الحديث» . ولكن هذا المخطط الاستعماري التبشيري على الرغم من اتساع نطاقه ووسائل دعمه فانه واجه تحدياً أشد قوة حال وما زال يحول دون تنفيذ مخططه على الوجه الذي يرضاه الاستعمار ، فان حركة انتشار الاسلام تحطم كثيراً من هذه الخطط وتفرض نفوذ الاسلام وثقافته ، فما تزال زوايا التعلم القرآني المتواضعة تؤدي دورها ، وكل الذين تعلموا في الأزهر عندما عادوا إلى بلادهم أنشأوا عدداً من المدارس الاسلامية ..وما زالت الفرق الصوفية : التيجانية والقادرية والشاذلية بنفوذها الواسع الممتد تقوم بانشاء المدارس، وما يزال «القرآن» يشكل حجر الزاوية في البناء الثقافي وأغلب سكان نجيريا وأفريقيا الغربية يكتبون مراسلاتهم باللغة العربية وتسير حركة الاصلاح الاسلامي جنباً إلى جنب مع انتشار اللغة العربية في بلاد أفريقيا . والحركات الوطنية جميعها مرتبطة بالثقافة الاسلامية ، حيث ارتبطت الدعوات التبشيرية الأخرى بالاستعمار ، ومن ثم فقد حمل الاستعمار في أفريقيا طابع الحرية والمقاومة والكفاح ضد النفوذ الأجنبي . ويرجع جون جنتز في كتابه «داخل إفريقيا» السر في ذلك إلى «أن الاسلام نظام اجتماعي كما هو دين ، نظام اجتماعي يمنح المؤمن اعتقاده بالمساواة مع جميع المؤمنين الاخرين ، وكثيراً ما يوصف الاسلام بأنه الأكثر ديمقراطية بين ديانات العالم الكبرى ، وليس في الاسلام تمييز عنصري ولا يحول دون تحول (البانتو) إلى رحابه ، لقد انتشر الاسلام انتشاراً شاملا عملياً بين عبادة الأوثان والحيوان ، لأن شعائره مبسطة للغاية بقدر ما فيه من جاذبية أصيلة راسخة » ا. هـ

(٣)

اللغة العربية في العالم الاسلامي

اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم ولذلك فقد رافقت رحلة الاسلام وانتشاره إلى مختلف أنحاء العالم الاسلامي وكان لها تأثيرها الواضح في لغات الأمم على عدة أوضاع :(أولا) ورثت في مصر اللغة القبطية وفي سوريا اللغتين اليونانية واللاتينية واللغة السامرية . واللهجات الارامية

العربية ، وفى العراق وبلاد الجزيزة ورثت اللغة السريانية وغيرها من اللهجات الارامية وغيرها من اللغات التى كانت شائعة فى العالم العربى ، كما تغلب الخط العربى على خطوطها .
(ثانياً) كانت بعيدة الأثر فى اللغات الاسلامية الكبرى الثلاث الفارسية ، والتركية ، والأردية أما بالنسبة للغة الفارسية فقد أنشأت لغة جديدة هى الفارسية الحديثة التى يتكلم بها الفرس الآن ، وهى غير اللغة الفارسية السابقة قبل الاسلام والتى تسمى البهلوية التى انقرضت تماماً أمام اللغة العربية وحلت محلها الفارسية الحديثة التى تميزت بكثرة الألفاظ العربية التى زادت زيادة كبرى خلال حكم الدولة العباسية كما أن الفرس كتبوها بالحروف العربية والخط العربى وقامت أساساً عن طريق إدماج اللغة الفارسية بالألفاظ العربية ، وقد ظل شعراء الفرس لا يتمولون الشعر نحو قرنين إلا باللغة العربية وما تزال اللغة العربية فى إيران تحتل مكانة واضحة فى مجال الدراسات الاسلامية ، وبها تؤلف الكتب ويتحدث بها المعلمون والأساتذة وما زال الايرانيون يعلمون أبناءهم فى مدارسهم الاسلامية باللغة العربية ومعظمهم يقول الشعر باللغة العربية الفصحى . وقد استعمل الافغانيون الحروف العربية لكتابة لغتهم البامبرية . (ثالثاً) أما بالنسبة للغة التركية فان العربية تؤلف الجزء الأكبر من الأجزاء الثلاثة التى تتألف منها اللغة التركية العثمانية (وهى :اللغة الفارسية ـ اللغة التركية اللغة العربية) . وقد دخلها من الألفاظ العربية أكثر من خمسين فى المائة من مجموع ألفاظها بل إن قواعد صرفها ونحوها مستمدة من القواعد التى اقتبسها العجم من العرب . ولما كانت اللغة الفارسية هى لغة العلم والأدب والسياسة فى عصر السلاجقة فقد كانت مصدراً أساسياً للأدب التركى واللغة التركية ، ولما كانت اللغة الفارسية أساساً تحوى عناصر كبرى من اللغة العربية وآدابها فإن هذه الآثار قد انتقلت بالطبع إلى اللغة التركية فضلا عما نقله الأتراك العثمانيون من اللغة العربية رأساً فيما بعد ، ولذلك فإن الألفاظ العربية فى اللغة التركية تبلغ أضعاف الألفاظ الفارسية فيها . ولقد كان المسلمون يتطلعون إلى أن الدولة العثمانية تأخذ باللغة العربية لغة للدولة ، غير أن التحول الذى واجهته تركيا بعد الحرب وانسلاخها عن العالم العربى وعن الإسلام قد دفعها إلى التخلص من الأثر العربى ، وكان أساس الانقلاب هو كتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية بدأ ذلك عام ١٩٢٧ ثم جرى تصفية اللغة من الكلمات العربية ، حيث عقد عدد من المؤتمرات التى قامت بإخراج ١٣٦٥٠ كلمة عربية حلت بدلا منها كلمات تركية حيث اعتبرت الكلمات العربية كلمات أجنبية ، وقد أشار

الباحثون إلى مدى الأثر الخطير الذى حققته هذه التجربة حيث فقدت تركيا تراثاً ضخماً يتمثل فى مئات المجلدات فى الأدب والنقد والثقافة التى كتبت باللغة التركية العثمانية ، فضلاً عنْ استعمال الأتراك للحروف اللاتينية أفقدهم تصوير الأحرف المشابهة كالفاء والحاء والصاد والضاد والظاء والعين فإن هذه الأحرف لا يمكن أن تجد فى اللاتينية ما يصورها بحرف واحد يقوم مقامها . (رابعاً) وكذلك كان أثر اللغة العربية دائماً فى اللغة الأردية (التى كانوا يطلقون عليها الهندوستانية) ويتكلم بها أكثر مسلمى الهند وهى مأخوذة من اللسان الهندى ومن الألفاظ العربية والفارسية . وتأثير العربية فيها من تاثير الفارسية . (خامساً) وللغة العربية أثرها الواضح فى لغات سكان أرخبيل الملايو فقد اتخذوا حروفها لكتابة لغتهم كما استعملها المسلمون والصينيون لكتابة لغتهم المحلية ، والأمم التترية لكتابة لغاتهم الخاصة فى مناطق بين سيحون وجيحون الممتدة حول بحر قزوين شمالى البحر الأسود وجنوبى الأورال وجنوبى الروسيا . وكذلك لها مكانها فى لغة الفكر وأخواتها التركية فى الشمال ولغة الأكراد وغيرها من اللغات الفارسية . (سادساً) واللغة العربية لها مكانها الأصيل فى لغات أفريقيا فهى فى السنغال لغة المسلمين وتعتمد بقية اللغات الوطنية على الحروف العربية فى كتابة لغتها (تقويم العالم الإسلامى لماسنيون) وهى شائعة فى السودان الفرنسى وعلى شاطئ العاج ويعتمدون فى النيجر على الحروف العربية ، وكذلك فى نيجيريا ، والعربية ميسرة فى أقاليم تشاد وجيبوتى والحبشة واللغات الوطنية أغلبها يكتب بحروف عربية .

والسواحلية والهوسا فى أفريقيا هى والعربية أعضاء فى أسرة اللغات الاسلامية تتقارب فى المفردات والمصطلحات وتلقى اللغة العربية فى بلاد الصين إقبالا عظيما حيث يوجد ٤٠ ألف مسجد تدرس فيها العلوم واللغة العربية .

(٢)

واجهت اللغة العربية منذ اتسع النفوذ الأجنبى للعالم الإسلامى مقاومة بعيدة الأثر من اللغات الثلاث : الفرنسية والانجليزية فى أنحاء العالم الاسلامى والهولندية فى أندونيسيا فقد قطع الاستعمار الغربى الطريق على توسع اللغة بين مسلمى العالم حيث كان من الطبيعى أن يتسع انتشارها فى مختلف المناطق التى يصل إليها الاسلام لارتباطها العضوى به : بحسبانها لغة الصلاة والدين والثقافة وقد استطاع النفوذ الاستعمارى أن يضرب عدة ضربات خطيرة : (الأولى) نقل كثير من اللغات إلى الحروف اللاتينية وفى مقدمتها اللغة الأندونيسية واللغة

التركية . (الثانية) توسيع نطاق لغته وجعلها اللغة الرئيسية كما فعل فى الهند الاسلامية والباكستان وفى قلب أفريقيا . (الثالثة) تجميد اللغات الاسلامية القادرة على النمو كالأردية فى الهند مع الحملة عليها وتحريض الهنود على اتخاذ لغة أخرى باعتبار الأردية لغة الثقافة الاسلامية واعلاء اللغات الأوربية وتقديمها . ومن حيث أن اللغة العربية هى لغة القرآن فان الاستعمار والنفوذ الأجنبى يعمل لهدمها وتجميدها وإيقافها بحسبانها لسان الاسلام وما تزال اللغة العربية عاملا مساعداً لنشر الاسلام وتعميقه .وما تزال اللغة العربية قائمة بقيام كتابها ودينها ولن تموت كما ماتت لغات أخرى انفصلت عن دينها وكتبها المنزلة (الرابعة)استخدام الدعوة إلى العامية والتحريض على جعلها لغة للتأليف والكتابة كما فعل اللورد دوفرين السياسى البريطانى حين طالب فى أوائل الاحتلال البريطانى لمصر بتدوين العلوم باللغة العامية للمصريين وكما حاول الاستعمار فى الجزائر . وليست اللغة العربية الفصحى لغة دينية بالمعنى الذى يلجأ إليه بعض المبشرين والمستشرقين وإنما هى لغة فكرية ذلك أن اللغة العربية تحمل ثمار الفكر الإسلامى الذى يشتمل على الدين والاقتصاد والاجتماع والسياسية والتربية جميعاً وهى كلها فروع تتصل بأصل واحد هو الاسلام الذى ليس ديناً فحسب ولكنه دين ونظام حياة . واللغة العربية ليست لغة أمة فقط ، ينطبق عليها قوانين اللغات الخاصة بالأمم وتطورها وإنما هى لغة ثقافة مرتبطة بكيان كامل من الفكر الاسلامى وهى لغة كل مسلم عربى كان أم غير عربى يعلم أن القرآن كلام الله ، وأن على المسلم أن يتعلم لغة القرآن ليفهمه . وإذا كانت اللغة العربية الفصحى هى الرباط الذى يجمع الأمة العربية ويحميها من التفكك ، فإن اللغة العربية هى لغة الوحدة الفكرية للعالم الاسلامى كله وهناك قاسم مشترك مع البلاد الاسلامية غير العربية هو القرآن كلام الله ولذلك فان الاستعمار يحاول أن يحول دون أن يجتمع العالم الاسلامى على لسان واحد هو اللغة العربية . وعند الإمام الشافعى أن العلم بالعربية كالعلم بالسنن ولذلك فقد تعالت الصيحات منذ وقت بعيد بالدعوة إلى أن لغة القرآن هى لغة العالم الاسلام وبحسبان أن اللغة العربية هى (إسبرانتو الشرق) . ومن هذه الصيحات صيحة رشيد رضا فى العقد الثانى من هذا القرن بدعوة المسلمين إلى استعمال لغة واحدة بينهم ، هى اللغة العربية لغة الاسلام ولغة القارة الافريقية الشمالى عن الغرب إلى الشرق وشطر آسيا الشرقى من البحر الأحمر إلى خليج فارس ، هذه اللغة التى يتلقى بها المسلمون الثقافة الاسلامية فى جميع الأقطار . «ولما كان الإسلام دين التوحيد» ديناً عاما لجميع البشر ، وكان من

مقاصدة أن يؤلف بينهم ، فرض عليهم توحيد اللغة فخرجت هذه اللغة عن أن تكون لغة شعب واحد منهم ولولا ذلك لم تؤثرها جميع الشعوب الإسلامية على لغاتها حتى عم انتشارها فى المشرق والمغرب مع الاسلام » . ولسنا هنا فى مجال عرض المؤامرات التى قامت من أجل القضاء على اللغة الفصحى ، وذلك عن طريق دعم العامية أو بعث الحروف اللاتينية وقد واجه كتاب الاسلام والعرب وعلمائها هذه الحملات بابراز الحقائق ودحض الشبهات حتى أن بعض المستشرقين أيدوا الاتجاه العربى الإسلامى وفى مقدمتهم كارلو ا. نلينو الذى أكد أن الحروف اللاتينية لا تصلح للكتابة العربية حين قال : «قد حفظ الخط العربى للآن وحدة اللغة العربية ، حيث أن الحروف اللاتينية مبنية على أساس أن صوت الحرف واحد غير متبدل ، أما فى العربية فهناك أصوات لكل حرف لا سيا فيما يختص بالحركات . فاذا تغير الخط العربى بالخط اللاتينى أصبحت النتيجة خطيرة للغاية ، فكيف يكون مصير الكنوز العظيمة التى خلقتها الآداب الاسلامية فى الدين والفقه والفلسفة والعلوم والآداب والفنون وغيرها وكلها مدونة بالخط العربى » . وفى العصر الحديث جرت محاولات كثيرة متعددة فى سبيل دفع اللغة العربية إلى مكانها الأول فى العالم الاسلامى : بحسبانها لغة القرآن : لغة عالمية لجميع المسلمين مع وجوب تعلمها وتعليمها . وفى مقدمة ذلك القررات التى اتخذتها المؤتمرات الإسلامية التى عقدت فى القدس وباكستان وغيرها من العواصم الاسلامية بأن تكون اللغة العربية لغة دولية فى العالم الاسلامى تتفاهم بها الدول الاسلامية فى مكاتباتها ولذلك فلابد أن تكون مادة إجبارية تدرس فى مدارس العالم الاسلامى كله . غير أن عقبات كثيرة وقفت دون هذا الهدف ، فما يزال النفوذ الأجنبى وقوى التغريب والتبشير والشعوبية تسيطر على كثير من الجهات التى تحول دون تحقيق هذا الهدف . وقد واجهت اللغة العربية فى شمال أفريقيا وفى الأقطار التى احتلها فرنسا (تونس – الجزائر – المغرب) محاولات متعددة للقضاء عليها ، أما فى الجزائر فقد كان الأمر أشد خطورة حيث كادت اللغة العربية أن تمحى محواً تاماً ، حتى أتيح لجمعية العلماء الجزائرية وقادتها : عبد الحميد بن باديس والبشير الابراهيمى وغيرهم ، أن تعيد بناء اللغة العربية من خلال ثلاثمائة مدرسة اقيمت فى المساجد على نحو بارع استطاع أن يتحقق تحت مدافع الاستعمار وفوهات بنادقه وقد كان لهذا العمل الخطير أبعد الأثر فى التحول التاريخى الذى شهدته الجزائر وقد أشار إلى ذلك المؤرخ الفرنسى «جاك بيرك» حين قال : «إن أقوى القوى التى قاومت الاستعمار الفرنسى فى الغرب

هى اللغة العربية ، بل اللغة العربية الكلاسكية (الفصحى) بالذات ، فهى التى حالت دون ذوبان المغرب فى فرنسا ، إن الكلاسيكة العربية هى التى بلورت الاصالة الجزائرية وقد كانت هذه الكلاسيكية العربية عاملا قوياً فى بقاء الشعوب العربية . » ا.هـ

اللغات الاسلامية واللغة العربية
فى الباكستان والهند الإسلامية

كانت اللغة العربية فى الهند الاسلامية هى لغة الثقافة ولغة الدين ، بالاضافة إلى اللغة الفارسية التى كانت حصيلتها وحروفها عربية ، وكانت اللغة الفارسية فى الهند هى اللغة الرسمية طوال العصور الاسلامية وكانت تحمل فى طياتها ذخيرة هائلة من التراث العربى . ثم كانت اللغة الأردية الغالبة فى المناطق الاسلامية فقدحملت الثقافة الاسلامية قرابة تسعة قرون وذخرت بالكلمات العربية والفارسية ، ولما كان فى القارة الهندية (التى انقسمت من بعد إلى الهند والباكستان) نحو اثنين وثلاثين لغة مستقلة عن الأخرى لأن كل لغة إقليم لا يعرفها إقليم آخر ، بينما كانت اللغة الأردية غالبة على مجتمعات المسلمين ، وكان هنالك عدد كبير يتكلمون اللغة العربية الفصحى ، منهم من يجيدون الخطابة بها ويحفظون أشعار شعرائها ومنهم من يقرأها ويكتبها كما كان هناك مؤلفون بالعربية فى الفقه والتفسير والحديث وكانت هناك معاهد كثيرة فى أنحاء الهند الاسلامية تجرى فيها الدراسة باللغة باللغة العربية . غير أن الموقف قد تغير تغيراً شاملا بعد الاحتلال الانجليزى للهند فقد جعل الانجليز فى مقدمة أهدافهم تجميد اللغة العربية والحيلولة دون قيام لغة واحدة للمسلمين والهندوس وفرض اللغة الانجليزية للهند كلها وإعلانها لتصبح اللغة الأولى الجامعة للهند كلها . وقد تحقق ذلك خلال فترة احتلال الهند الطويلة إلى أبعد حد فقد قرر حاكم الهند لوردويسلى عام ١٨٠٠ إنشاء كلية (فوركوليم) فى مدينة كلكتا بالهند وأسند مهام إدارتها إلى المستشرق الدكتور دان جيكرست وقد تولت أول الأمر تدريس العربية والسنسكريتية والأردية والبنغالية بالإضافة إلى الإنجليزية واللاتينية واليونانية . ثم لم تلبث أن قصرت مهمة هذه الكلية على اللغات الشرقية «حيث حاول الانجليز لأول مرة فى تاريخ الهند بذر بذور الشقاق بين المسلمين والهندوس ، لأنهم شرحوا لهم عن طريق خططهم المدبرة أن كلا من المسلمين والهندوس لهما حضارتان مختلفتان ، وثقافتان متباينتان ، مستقلتان ، وعلى هذا الأساس فقد دفع الانجليز

الهندوس إلى رفض اللغة الأردية كلغة موحدة للهند وجعلوا حجتهم التى ترضى الهندوس بإثارة القومية الهندية القديمة على أساس أن الاردية لغة إسلامية وحاملة للفكر الاسلامى ومن هنا فلابد من إيجاد لغة هندية للهندوس يشتقونها من نفس اللغة الأردية مع شطب الكمية الكبيرة من الكلمات العربية والفارسية وحروفها من ناحية وإخراجها من اللغة وإدخال كلمات سنكسريتية وحروفها من ناحية أخرى وبهذا شكل الانجليز لغة جديدة للهندوس ، تكون بمثابة الغة القومية لهم وقسموا هذه الكلية إلى دراسة لغتين : الأردية والهندية وأسندت مهام الرئاسة للغة الأردية إلى أستاذ مسلم ومهام الرئاسة للغة الهندية إلى كهنوت هندى .

وتطورت هذه المؤامرات حتى أصبحت بمرور الأيام مثار خلاف بين الهندوس والمسلمين وبذلك تكونت فى مستهل القرن التاسع عشر لغتان مع أنها لغة مشتركة واحدة وقد كان من نتيجة ذلك أن شعر الهندوس بأنهم تحرروا من سيطرة المسلمين ولابد لهم أن أن ينفضوا عنهم جميع الآثار الاسلامية التى رسخت بهم طوال القرون الماضية وتغلغلت فى نفوسهم ، وظهر هذا الشعور من النفور من مظهر اللغة المشتركة فبدأ ينفرون من اللغة الأردية لأنها حافلة بالآثار الاسلامية. وأنشأوا لغة جديدة هى «الهندية» وكرسوا لإحيائها ونشرها جميع جهودهم وطاقاتهم ، كما أخرجوا جميع الحروف العربية والفارسية التى كانت تستخدم فى اللغة الأردية من بعض الولايات التى كانوا يتمتعون بها بأغلبية ساحقة ، ثم وجهوا عناية كبرى إلى الأدب الهندى القديم وإحيائه وإتخاذه نبراساً لمستقبل اللغة الهندية ، ثم كان أن فرض الهنود «اللغة الهندية» لغة مشتركة على المسلمين . وقد اتسع هذا الخلاف بعد إنشاء دولتى الهند وباكستان وظهر الخلاف بين المسلمين حين اتجه الرأى إلى إتخاذ الأردية اللغة الرسمية ذلك ، لأن باكستان الشرقية تتكلم اللغة البنغالية ، وباكستان الشرقية أقرب إلى الهند منها إلى باكستان الغربية كما أنها تتغذى بالإنتاج الفكرى للهندوس البنغالية بدلا من الأردية ، لذلك رفضت باكستان الشرقية (الأردية) لغة رسمية وحيدة لدولة الباكستان . أما باكستان الغربية فهى أكبر معقل للفكر الإسلامى وفيها ظهر (إقبال) وفيها ولاية (السند) التى بدأ فيها الاسلام الضخم وحيث أبناء باكستان الغربية الذين يمتازون بأصالتهم فى الإسلام والإنتاج الضخم فى الفكر الاسلامى . ومما يتصل بهذا التحول الخطير أن غاندى زعيم الهندوس كان قد أعلن أنه من الخير لسكان الهند ألا يلجأوا إلى اللغة الأردية لأنها تكتب بأحرف القرآن وهو كتاب المسلمين وحدهم وعلى الهند أن تختار اللغة المحفوظة

عن الأمهات فقط وهى اللغة السنسكريتية . وقد عارض المسلمون ذلك الرأى وقالوا إن لغة الأمهات هى اللسان العربى المبين ، وكان الهدف التغريبى يرمى إلى تذويب المسلمين مع الهندوس فى اللغة السنسكريتية ، تعصباً ضد الأردية التى تحمل الثقافة الاسلامية وضد العربية وفتحا للطريق أمام اللغة الانجليزية التى سيطرت على الهند كلها بعد الاستقلال . وترجع صلة الثقافة الاسلامية باللغة الأردية إلى مدى تسعة قرون وإن لم تبلغ اللغة الأردية مكانة واسعة فى الهند الاسلامية بعد آلت دولة المغول إلى الزوال ، واندثرت لغتها (الفارسية) فى أوائل القرن التاسع عشر ، حيث تركزت عناية المسلمين على اللغة الأردية وحظيت بعناية الشعراء والكتاب ، وبفضل التأليف بها والترجمة إليها أصبحت سهلة ميسرة عذبة فى أسلوبها ، وترجع غزارة مادة اللغة الأردية إلى اتصالها بالثقافة الاسلامية فقد ترجمت إلى الأردية أمهات الكتب الفقهية للمذهب الحنفى وأمهات كتب السنة ومنها (الموطأ والبخارى ومسلم) . وقاد هذه النهضة أعلام المسلمين الذين أخذوا بنصيب موفور من الثقافة العربية ، ويعد العلامة شبلى النعمانى ومدرسته فى لكنو ودار العلوم بها وندوة لكنو وخريجيها الأفذاذ الذين عرفتهم الصحافة العربية وعرفهم ميدان التأليف من أقدر من كتبوا باللغة العربية كما كتب بها عدد كبير من الأعلام . وفى اللغة الأردية تراث إسلامى حديث قدمته أقلام كثيرة فى مقدمتها الطاف حسين الذى صور بالشعر قضايا المسلمين والحرية ودعا إلى أدب القوة وهاجم الجبرية ومن أبرز إنتاجه قصيدة (مسدس حالى) حيث يروى الحضارة الإسلامية ومجدها ويصور تخلف المسلمين وأسباب انحطاطهم ذاكراً أسباب النجاح وعوامل التقدم حاثا المسلمين على إعادة مجدهم ومسايرتهم موكب الحضارة الحديثة وتفوقهم فى العلوم المعاصرة . وتدرس اللغة العربية فى الجامعات الإسلامية الهندية والباكستان كلغة أكاديمية لنيل الشهادات العليا فى الآداب وقد عنى بها الكثيرون باعتبارها لغة القرآن الكريم والحديث الشريف كما أعد بعض الباحثين دراسات مقارنة مشتركة بين اللغة العربية واللغة الأردية مثل محمد حسن الأعظمى صاحب المعجم الأعظم الجامع بين اللغتين العربية والاردية ويوجد فى حيدر أباد الدكن مركزاً هاماً لنشر العربية حيث يوجد مائة ألف أو يزيد من العرب ويوجد بباكستان مئات الألوف من دارسى اللغة العربية وفى باكستان الشرقية نصف مليون تلميذ يدرسون العربية ولا شك كان للغة العربية تأثيرها الواضح فى مختلف اللغات الهندية بصفة عامة وخاصة اللغة السندية عن طريق الجيوش العربية التى دخلت السند بقيادة محمد

ابن القاسم (٩١ هـ) وتوسع سلطانهم فيما بعد إلى ملقان وما جاورها حتى أصبحت العربية في السند لغة التخاطب وما تزال السندية تكتب بالخط العربي وتضم مفردات عربية تتجاوز الحصر ويرى الباحثون أن تأثير اللغة العربية غير المباشر فى اللغات الهندية إنما يأتى عن طريق الفارسية التى غمرتها العربية مادة واشتقاقاً وغلبتها نفوذاً وانتشاراً. أما اللغة الأردية فقد تأثرت باللغة العربية تأثراً كبيراً ، والكلمات العربية فى الأردية تفوق عددها فى الفارسية وتتراوح نسبتها بين عشرون وستين فى المائة وتبلغ الكلمات العربية فى الأردية عشرات الألوف وتتراوح الألفاظ العربية فى جميع لغات باكستان المحلية بين ٣٠ و ٦٠ فى المائة وهى الأردية والسندية والبنغالية والبلوشية والكشميرية والبشتية ومعظمها يكتب بالخط العربي وقدكان لقيام دولة الباكستان الأثر البعيد فى إحياء اللغة العربية فقد تأكد أنه إذا كانت الأردية لغة رسمية للباكستان إلا أن اللغة العربية هى لغة الثقافة الاسلامية ، وقال «اقبال» إنه إذا استثنينا اللغات الأوربية فلا مستقبل لأى لغة شرقية غير اللغة العربية . والواضح أن المسلمين فى الهند يتلهفون على اللغة العربية كلغة لهم ،والبنغاليون شديدوا الاقبال على تعلم العربية . وقد علت صيحة (أغاخان) بالدعوة إلى اتخاذ اللغة العربية لغة أساسية للباكستان بدلا من الأردية . وقد خطت باكستان خطوات واضحة فى هذا الشأن ، فقد قرر المؤتمر الاسلامى فى كرأتشى (١٩٥١) باتخاذ اللغة العربية لغة دولية فى العالم الاسلامى تتفاهم بها الدول الاسلامية فى مكاتباتها الرسمية (باكستان — إيران — تركيا — أندونيسيا) وإنشاء معهد لتعليم اللغة العربية فى كل من باكستان وأندونيسيا . وأكد كثيرون من مفكرى الباكستان بأن معرفة اللغة العربية أمر ضرورى جداً لكى تتخذ «الوحدة الاسلامية» صورتها العملية أنه ليس فى مكنة العالم الاسلامى أن يحكم اتصالاته وأن يدعم روابطه إلا إذا اتخذ اللغة العربية لغة مشتركة ومن الضرورى أن تتخذ الحروف المطبعية حروفاً للغات الاسلامية وفى سبيل دعم هذه الغاية قامت دولة الباكستان عام ١٩٤٨ بإعادة الحروف العربية إلى اللغة البنغالية حتى تزيد التقارب ، عن طريق جمعية حروف القرآن الثقافية وإن كان هناك بعض دعاة التغريب الذين دعوا إلى استعمال الحروف اللاتينية للغة الأردية بدلا من الحروف العربية كما حدث فى تركيا وفى أندونيسيا ويعلق كثير من الباحثين أهمية كبرى على استعمال حروف لغة القرآن لكتابة اللغات الاسلامية المختلفة مما يزيد قوة الروابط الثقافية ، خاصة وأن المسلمين جميعاً يشتركون فى لغة واحدة هى لغة القرآن الكريم وتجرى الدعوة

فى تركيا إلى استعادة تعلم اللغة التركية بالحروف العربية حتى تتمكن الأجيال الحاضرة والقادمة من قراءة التراث الاسلامى التركى الفنى المكتوب بالحروف العربية ولا يزال هذا الاتجاه . «استعمال حروف القرآن لجميع لغات المسلمين » ركيزة هامة من ركائز الوحدة الاسلامية الفكرية .

اللغة الأندونيسية واللغة العربية

اللغة السائدة فى أندونيسيا هى لغة الملايو ويسمونها اليوم «اللغة الأندونيسية» وهى لغة التعليم فى المدارس الأهلية ، إسلامية كانت أو حرة . وقد كانت هذه اللغة بعد دخول الاسلام إلى أندونيسيا تكتب بالحروف العربية ، بعد أن كانت تكتب بالحروف الأندونيسية القديمة التى لا تزال موجودة حتى اليوم ، وتكتب بعض اللغات الاقليمية فى أندونيسيا مثل الجاوية ولغة سوندا فى جزيرة جاوة ، وقد ظلت اللغة الملاوية تكتب بالحروف العربية خلال ستة قرون كاملة . غير أن النفوذ الاستعمارى الهولندى الذى سيطر على أندونيسيا أكثر من مائة عام كان له أثره البعيد المدى فى إلغاء الحروف العربية عن الأندونيسية وكتابتها بالحروف اللاتينية غير أن هذا التحول اللغوى الخطر لم يقلل من أهمية الثقافة العربية بحسبان أن العربية هى لغة الدين والقرآن . وقد ظلت اللغة الأندونيسية تكتب بالحروف منذ دخل الاسلام أرخبيل الملايو فعاشت تترجم إليها الكتب الفارسية والهندية والعربية وتقدمت دراسة اللغة فألف بها كثير من العلماء . وأثر اللغة العربية ما زال قائماً فى اللغات فى الملاوية حيث تجد آلافاً من الكلمات العربية . «وقلما يتكلم إنسان فى الملاوية جملة واحدة دون أن يلفظ بكلمة عربية وتأثير العربية فى الملاوية أكبر وأقوى من تأثيرها فى لغات أندونيسيا الأخرى : الجاوية والسوندانية وقد ألف بعض العلماء الأندونيسيين كتباً باللغة العربية» منهم العالم السومترى الشيخ خطيب فنانكبوا والشيخ محفوظ .

حاضر اللغة العربية فى أفريقيا

دخلت اللغة العربية إلى القارة الأفريقية قبل الاسلام وتركت آثارها فى لغات الحبشة والصومال وزنجبار ثم انتشرت اللغة العربية فى أفريقيا كنتيجة طبيعية لانتشار الاسلام واعتناق شعوب البلاد له . وامتدت على أيدى العلماء والفقهاء . وأصبحت بعد توقف التوسع لغة الأقطار الكبرى شمال الصحراء ، وتركت طابعها الواضح على لغات باقى الأقطار

والأجناس وقد قامت المساجد التى أنشئت والكتاتيب والزوايا بتحفيظ القرآن وتعليم القراءة والكتابة ، ويؤكد أغلب المؤرخين على أنه فى القرن الرابع الهجرى (١٠م) تغلغلت الثقافة العربية فى أفريقيا (الغربية) وأصبحت اللغة العربية لغة التخاطب فى المراسلات الرسمية للدول الأفريقية الاسلامية بالإضافة إلى أنها كانت اللغة المستعملة فى التجارة التى كانت بأيدى العرب وكان للعرب فى عاصمة غانة القديمة اثنى عشر مسجداً ألحق بكل مسجد مدرسة لتعليم اللغة والفقه الاسلامى ، ثم أصبحت اللغة العربية لغة التدوين فى شتى أنحاء القارة وأن السلاطين الأفريقيين كانوا يتحدثون العربية وكذلك الأمراء الأفريقيون يستعملونها فى مكاتباتهم الرسمية وقد عقدوا معاهداتهم مع المستعمرين بالفرنسية والعربية ، وقد اصطحب السلطان موسى الأول صاحب مالى ١٣٣٢ م من القاهرة بعد مقابلة محمد بن قلاوون عدداً من الفقهاء والعلماء ، كما أرسل هذا السلطان البعوث العلمية إلى القاهرة وأقام علاقات طيبة مع المرينين فى فاس ، وقد عاد المتعلمون فى هذين البلدين ليعملوا فى القضاء وفى إقامة المساجد وأصبحوا نواة للمراكز الثقافية الاسلامية فى بنانى عاصمة مالى وكوسى صالح عاصمة غانا وفى تمبوكتو ودينية فى النيجر الوسط وكان قوام هذه المراكز الثقافة الإسلامية ، وكان القرآن هو المحور الأساسى الذى تدور حوله علوم التفاسير والقراءات والفقه والنحو والصرف . وكانت اللغة العربية الوحيدة المستعملة فى التكلم ، وقد امتد أثرها إلى اللغات الأفريقية المحلية التى كتبت بحروف عربية أو تسربت إليها بعض الكلمات العربية ، ويوجد فى مكتبة المعهد الفرنسى فى دكار منذ عام ١٩٠٠ أكثر من ثلاثمائة مخطوط باللغة العربية وهى قسم مما استولى عليه المستعمرون الفرنسيون أثناء احتلالهم للسودان (جمهورية مالى حالياً) عام ١٩٨٣ وقد سرق الفرنسيون جميع المخطوطات التى كانت فى حوزة السلطان أحمد بن الحاج عمر وقد ساهمت الطرق الصوفية فى إنشاء أعداد كبيرة من المساجد والكتاتيب ونشرت بعض العلوم الحربية باسم الجهاد والمقاومة للنفوذ الاستعمارى ، فى السنغال ظهر فى القرن الخامس الهجرى (١١ م) « الرباط » وهو مدرسة دينية عسكرية ثقافية ومستشفى ودار للمسافرين ، فلما احتل الفرنسيون مالى أغلقوا (١٣ معهداً) وكثيراً من المكتبات ، ونقل الفرنسيون محتوياتها إلى فرنسا . وقد صور هذه المرحلة فرنسيس مور فى كتابه «رحلات إلى ربوع أفريقيا» الصادر عام ١٧٣١ : حين قال : فى كل بلد من جانبى النهر (نهر كامبيا)، توجد جماعات ذات بشرة سمراء تدعى القيلبى أو الفلا وهم يشبهون العرب ومعظمهم يتكلم

اللغة العربية لأنهم يتعلمونها فى مدارسهم ولأن القرآن وهو أيضاً شريعتهم مكتوب بهذه اللغة . وأشار توماس أرنولد فى كتابه (الدعوة إلى الإسلام) إلى اللغة العربية وهى لغة الديانة الإسلامية قد بلغت حداً يفوق كل وصف بل إنها أصبحت لغة التخاطب بين قبائل نصف القارة الأفريقية وهى إلى ذلك لغة شريفة مكتوبة ، كما أشار أرنولد إلى التقرير الذى عرض على مجلس العموم البريطانى عام ١٨٠٢ والخاص بمستعمرة سيراليون وقد جاء فيه : « إنه منذ سبعين عاماً استقرت جماعة صغيرة من المسلمين فى الشمال من سيراليون فتحوا مدارس تدرس فيها اللغة العربية والعقائد التى جاء بها « محمد » وجروا على عادة المسلمين فى عدم بيع أبناء دينهم بيع الرقيق وقد أقاموا لأنفسهم شرائع استخرجوها من القرآن وجلبوا إلى البلاد حضارة بلغت درجة عظيمة وقد تمتع المتعلمون بكثير من الاحترام ، ثم أصبحوا معلمين يبجلهم الناس بعد أن يعودوا مزودين بالعلم الكثير من مساجد القيروان وفاس وتلمسان وطرابلس والأزهر » . وقد أشار شاريت كانيا المؤرخ الفرنسى فى كتابة تاريخ أفريقيا : إن أهم ما يعتمد عليه فى تاريخ أفريقيا هى المصادر العربية التى ألفت فى هذه الفترة (القرن ١٦ و ١٧ الميلادى (١٠ — ١١ هـ) باللغة العربية لمؤلفين أفريقيين هما عبد الرحمن السعدى (كتاب تاريخ السودان) ومحمود كاتى : ويقول انتاروب : لقد تغلغل العرب إلى أفريقيا السوداء سلمياً وأثروا فى الأفريقيين دينياً وفكرياً وكانوا على وفاق مع العرب .

٢ — توسعت العربية وسيطرت بحكم أنها لغة الإسلام على عديد من اللغات الأفريقية : (الهوسا ، الماندنجو ، الوولوف ، السواحلية ، الصومالية ولغات النيجرة والدنا كل فى أثيوبيا وأرتيريا ، وما بقى من هذه اللغات) فقد استعار الكثير من الألفاظ العربية وخاصة الألفاظ الخاصة بالشرائع والنظم الإسلامية ، وكان لانتشار التجار العرب فى الأسواق التجارية أبعد أثر ، وكذلك إنشاء الخلوات والكتاتيب ومعظم هذه اللغات كانت تكتب بالحروف العربية ، وقد تداخلت العربية والسواحلية حتى أن ٣٠ فى المائة من مفردات السواحلية من الكلمات العربية مباشرة .. واللغة السواحلية أكثر اللغات انتشاراً فى شرق أفريقيا وتمتد المنطقة التى تتكلم اللغة السواحلية فتشمل زنجبار والمناطق الساحلية فى كينيا وتنجانيقا وتمتد فى الداخل حتى المناطق الشرقية من حوض الكونغو . وقد دخلت إليها الألفاظ العربية وانصهرت فيها وفى مستعمرات شرق أفريقيا البريطانية (كينيا وتنجانيقا وزنجبار يكتبون السواحلية بحروف عربية) . فقد عمد الاستعمار إلى دفع هذه القبائل إلى استعمال الحروف اللاتينية فى كتاباتهم

بدلا من العربية . وجميع اللهجات الأفريقية الموجودة فى غانة والسنغال ونيجيريا والكونغو البلجيكى ويوغندا وتنجانيقا وكينيا وزنجبار قد طعمت باللغة العربية على مر العصور ، والعربية فى جميع هذه المناطق هى لغة القرآن والثقافة وتنتشر فيها كتاتيب تحفيظ القرآن وتنتشر بين قبائل الطوارق وشعب الهوسة وفى أنحاء نيجيريا وبحيرة تشاد ، وتهتم الطوارق — التى لها لهجتها — باللغة العربية ومعها فقهاؤها الذين يعلمون أطفالها القرآن والحديث ، وللهوسة أيضاً لغتهم الخاصة التى هى تحريف* للألفاظ العربية وفى مقدمتهم (كانوا—كادونا) حيث تنتشر المدارس التى تعلم اللغة العربية . وإقليم تشاد عريق فى ثقافته الإسلامية ، ومن أهل هذا الإقليم كثير من علماء اللغة والدين الذين تركوا مؤلفات لها قيمتها فى الفقه والتفسير ومعظم قبائل الدينكا والشلوك والنوير والباريا والزاندى رطانتها عربية فيها حروف الحلق وخاصة العين والحاء ، وجوهر الكلام عربى يحتاج إلى جهد صادق لكى يتجلى عن عربية قد تماثل عربية المغرب الأقصى . وشعوب البانتو تتكلم لغة تعتبر فرعاً مباشراً من اللغة العربية ومن اللغة السواحلية وهى فى مجموعها أقرب اللغات إلى الرطانة العربية فى السودان الجنوبى ولكنها تمتاز عن تلك الرطانة بأنها لغة مكتوبة (٣) وترتبط اللغة العربية فى أفريقيا بالثقافة العربية والفكر الإسلامى ، وهى تستند أساساً إلى القرآن وعلومه ، مما يعطيها شخصية متميزة من العسير أن تذوب فى مؤثرات الثقافات الأخرى ، وهى قوية بالنسبة للثقافات الأفريقية الساذجة التى يستطيع الإسلام أن يصهرها فى بوتقة . ومن هنا فإن حرص الاستعمار على اضطهاد اللغة العربية ، إنما كان يهدف إلى القضاء على الثقافة العربية المستمدة من الفكر الإسلامى بمقوماته وشخصيته . وقد اتبع كل من هذه القوى الاستعمارية خطة مختلفة فى ظاهرها ، ولكنها تلتقى عند هدف موحد هو صرف الأنظار عن تعليم اللغة العربية ، إلى تعليم لغاتهم الأجنبية . فالفرنسيون اتبعوا سياسة مباشرة فى القضاء على اللغات المحلية واللغة العربية على حد سواء وهدفهم هو امتصاص الشعوب وفرنستها فأهملوا المحلية والعربية وقصروا التعليم على الفرنسية فى المدارس وأقروا اللغة الفرنسية أيضاً كلغة رسمية فى المصالح والشركات الانخراط فى الوظائف على الملمين بالفرنسية ، وكذلك اتبعت بلجيكا والبرتغال ذلك فى مستعمراتها . أما الإنجليز فقد هدفوا إلى إيقاف تيار الثقافة العربية وتأثيرها بإحياء الثقافات الأفريقية الأصلية وصبغها بصبغة قبلية تساعد على إثارة العصبيات والقوميات المحلية المحدودة فى نطاق قبلى ، هادفين من إحياء هذه الروح إقامة سد فى وجه انتشار الثقافة العربية التى

يعدونها خطراً على نفوذهم ومصالحهم الاستعمارية . وقد عمد الإنجليز إلى تشجيع دراسة اللغات المحلية على يد المبشرين وعلماء اللغات ، وتكوين لغات جماعية لمواجهة احتياجات التعليم بحيث توضع لغات جديدة مختارة تطعم ببعض الألفاظ من لغات أخرى قريبة منها أو لهجات من نفس اللهجة . وعندما تقوم المحاولات لإيجاد لغات أفريقية شبه موحدة ، يتجه الرأى إلى اختيار إحدى اللهجات ويجرى إحياءها وتقليبها على سائر اللغات بترجمة الكتاب المقدس إليها وتعليمها فى المدارس ، مع العمل على تشجيع اللغة الإنجليزية المحلية (Pidgin English) كتمهيد لسيادة اللغة الإنجليزية . وتعد اللغة الإنجليزية هي لغة التعليم فى مختلف المدارس العالية تدرسها تلك الصفوة التى يختارها المستعمر ليعدها لشغل الوظائف البسيطة فى المصالح والشركات . ويتصل بهذا – فى سبيل تجميد اللغة العربية وإيقاف نموها – إبعاد الذين يتخرجون من المدارس العربية وعدم تقديم العون للتعليم العربى وعدم الاعتراف به ، وذلك كوسيلة للضغط على المسلمين للاتجاه إلى المدارس التبشيرية والمدارس الاستعمارية حتى يقعوا فى أخطبوط التغريب والاستعمار . وهكذا كان للنفوذ الاستعمارى فى القارة الأفريقية الذى امتد خلال قرن كامل أثره العميق فى إيقاف نمو اللغة العربية التى كان انتشار الإسلام ذاتياً فى أفريقيا عاملا هاماً فى انتشارها وذلك بإدخال اللغات الأوربية وإحياء اللهجات المحلية . ونظراً لتعدد اللغات الأفريقية الوطنية ، فقد أصبحت اللغات الأوربية هى لغات التفاهم العامة ، وما تزال اللغة عاملا هاماً فى مخطط الاستعمار للاحتفاظ بسيطرته الثقافية على عقول الأفريقيين واتجاهاتهم . ففرنسا تعمل على خلق أجيال من المتحدثين بالفرنسية ، وبريطانيا تدرب المدرسين فى انجلترا تدريباً خاصاً ثم تبعث بهم إلى هذه الأقطار الأفريقية (أبريل ١٩٥٣ : درب ١٦ ألف مدرس) . وفى مناطق كثيرة حال المستعمرون بصورة عامة بين المسلمين والتعلم إذ كانوا يشترطون على المسلم أن يغير اسمه إلى اسم لاتينى ويشترطون حضور الصلوات فى الكنيسة ودراسة التاريخ الاستعماري . (٤) وقد عمدت بريطانيا فى شرق أفريقيا إلى إحياء اللغة السواحلية لإيقاف اللغة العربية التى كانت تنتشر مع انتشار الإسلام ومع تزايد عدد العرب المهاجرين إلى هذه المناطق ، وبذلك صرف الناس عن اللغة العربية وأدخلت اللغة السواحلية فى التعلم . ولما كانت كتابة السواحلية باللغة العربية عاملا هاماً فى ربط الساحلية بالثقافة العربية فقد انبعثت الدعوة إلى كتابة اللغة السواحلية بالحروف اللاتينية عام ١٩٣٢ ووضعت الأسس والقواعد لكتابتها بالحروف اللاتينية

وتم ذلك عام ١٩٤٨ . وصدرت عشرات الكتب المدرسية باللغة السواحلية الحديثة . وفى شرق أفريقيا عمدت بريطانيا إلى القضاء على الثقافة العربية التى تقوم على نظام الحصص القرآنية وذلك لإفساح الطريق أمام اللغة الإنجليزية فوضعت خطة لإحلال اللغة الإنجليزية تدريجياً فى زنجبار وكينيا وتنجانيقا. كما جرى تطعيم اللغة السواحلية بالألفاظ الإنجليزية لإيجاد لغة أفريقية إنجليزية مختلفة.(٥) وبالرغم من هذه الحملات العنيفة المشهرة على اللغة العربية والحرف العربى فى اللهجات واللغات الأفريقية ما زالوا يرون أن اللغة الإنجليزية أو الفرنسية غريبة عنهم وأنها لغة المستعمر ، وما يزال إقبال أهالى شرق أفريقيا على اللغة العربية وإن قلت فرص تعلمها ، وهم يقبلون عليها باعتبارها لغة القرآن وهم يطلقون عليها (ربانى قرآنى) أى لسان القرآن لأنها لغة العقيدة : « الإسلام » . وقد استطاعت الشعوب القريبة من المغرب أن تستقدم المعلمين وحفظة القرآن الكريم وخاصة شعب غانا والسنغال . وما تزال اللغة العربية فى أفريقيا أصلح اللغات لتحقيق وحدة القارة الأفريقية وهى منتشرة فى أنحاء كثيرة من القارة وبخاصة بين المسلمين الذين يسكنون فى جهات كثيرة من أفريقيا فيما يلى الصحراء وستظل اللغة العربية طلبة المسلمين فى أفريقيا خاصة حيث يوجد أساس من اللغة العربية فى أكثر اللغات الأفريقية ، نتيجة العقيدة الإسلامية والاحتكاك بالعرب قبل الاستعمار ، ولا زال هناك إقبال عارم لدى الشعوب الأفريقية على تعلم اللغة العربية لإعادة صلاتها بالعالم الإسلامى ، والأمة العربية ، وتركز أفريقيا كثيراً على جامعتى الأزهر والقرويين . وقد أجرى الباحث العربى المسلم العلامة محمد عبد العزيز إسحق (رحمه الله) تحقيقاً حياً فى هذا المجال فوصل إلى حقائق أساسية تتمثل فى ترحيب شعب غانا ترحيباً عظيماً بالثقافة العربية والدين الإسلامى وكذلك القسم الإسلامى من نيجيريا وأقرب الأقطار العربية إلى نيجيريا هى ليبيا ، وفى السنغال المجاورة لشنقيط — مصدر الإشعاع القديم — تستمد من المغرب المعلمين وحفظة القرآن ، وفى إقليم تشاد تسود الثقافة العربية القديمة والأزهر حافل بأبناء تشاد ، ويجرى تعريب المناطق الشاسعة من السودان الغربى والجنوبى ، وفى مناطق السواحيلى يتم إنشاء سلسلة من الكتاتيب والخلوات ومعاهد تدريب المعلمين على حدود السودان الجنوبى الغربى .

الباب السادس

الاستعمار والعالم الاسلامى

(١) الاستعمار

واجه « العالم الإسلامى » على مجرى تاريخه الطويل تحديات متصلة من القوى المعارضة لم تتوقف . فقد كان الوجود الإسلامى الذى تشكل بظهور الإسلام خلال القرن الأول الهجرى عاملا هاماً فى تحرك قوى الدولة الرومانية ـ التى كانت تحتل بعض الأجزاء التى سيطر عليها الإسلام ـ بالمناوشة والغزو على خطوط الحدود بين الدولة الإسلامية والدولة البيزنطية . وقد امتدت هذه المناوشات زمناً طويلا ، وظلت أوربا تغذيها دون انقطاع ، فلما آن للدولة البيزنطية أن تضعف ، وتفقد مقوماتها فى مهاجمة أطراف العالم الإسلامى تدافعت أوربا فى مغامرة ضخمة شرسة تحت علم الحروب الصليبية لغزو العالم الإسلامى باسم تحرير بيت المقدس من سيطرة المسلمين . وقد اتصلت هذه الغزوات قرنين كاملين ، فى نفس الوقت الذى تدافعت فيه قوى الفرنجة من فرنسا والبرتغال إلى استعادة « أسبانيا الإسلامية » الأندلس ، وقد جرت المعارك فى الميدانين فى وقت واحد ، غير أن قوة غازية أخرى لم تلبث أن اندفعت للسيطرة على العالم الإسلامى ، تلك هى قوة المغول والتتار ، التى اجتاحت المشرق واندفعت حتى التقت بالقوى الصليبية فى محاولة لوضع العالم الإسلامى بين شقى الرحى . وانتهت هذه الصفحة أو كادت بانهزام الحملات الصليبية وعودتها على أعقابها وانصهار القوات التترية المغولية فى بوتقة الإسلام ، ثم لم تلبث أن ظهرت القوة الإسلامية التركية شامخة لتحمى العالم الإسلامى من محاولات الغزو الأوروبى المتجددة فظلت صامدة تحرس شواطئ البحر الأبيض والأمة العربية فى نفس الوقت الذى تدافعت القوى الأوربية التى استعادت الأندلس إلى مهاجمة الساحل الغربى لأفريقيا والتوغل فيها وذلك وفق خطة عرفت من بعد أنها تهدف إلى تطويق العالم الإسلامى كمقدمة للسيطرة عليه واحتلاله . وبذلك تكون حركة « الاستعمار الحديث » قد بدأت من نقطة سيطرة الدولة العثمانية على (القسطنطينية) قلعة الدولة الرومانية الشرقية وسقوط آخر معاقل الإسلام فى الأندلس (قرطبة) فى أيدى الفرنجة عام . فقد اندفعت

أوربا على أثر ذلك فى عملية غزو جديدة للعالم الإسلامى ، تعارف الكتاب من بعد على إطلاق كلمة (الاستعمار) عليها ، وهى حلقة جديدة ومرحلة متصلة بالحروب الصليبية القديمة ، وآية ذلك أن اللورد اللنبي بعد أن دخلت القوات البريطانية إلى القدس سنة **١٩١٨ قال** كلمته الموحية بهذا المعنى « الآن انتهت الحروب الصليبية » . وقد حفظت النصوص والوثائق مضامين رسمية تثبت كيف أن خطة الاستيلاء على العالم الإسلامى كانت أمراً متصلا لم تتوقف أوروبا والغرب عن التفكير فيه والسعى له والعمل لتحقيقه خلال هذه المرحلة الطويلة التى تزيد على سبعة قرون ، وكان هذا هو الخلفية الطبيعية للتصريح الخطير الذى ألقى به اللورد اللنبي محاولا أن يؤكد أن هزيمة الحروب الصليبية وإجلائها من العالم الإسلامى لم يكن هو نهاية الجولة فى ذلك العمل الدائب الذى استمر قروناً طويلة منذ خرجت القوات البرتغالية والأسبانية للسيطرة على سواحل أفريقيا إلى أن تم ذلك اليوم . وكأنما قد استطاعت أوروبا المسيحية أخيراً أن تهزم القوى الإسلامية وأن تستعيد (بيت المقدس) إلى نفوذها من جديد ، وإذا كانت أوربا المسيحية قد استعادت بيت المقدس بالسيطرة على العالم الإسلامى فإن الصهيونية العالمية كانت تدفع هذا العمل بقوة فى سبيل نقل هذا النفوذ إليها كما تحقق ذلك عام ١٩٦٧ بسيطرة الصهيونية العالمية وإسرائيل على (بيت المقدس) بديلا للاستعمار الغربى . وفى هذا تقول الكاتبة اليهودية (بربارة توخمان) فى كتابها « التوراة والسيف » .. وهكذا دخل الجنرال اللنبي إلى القدس ١٩١٨ فنجح حيث كان (ريكاردس قلب الأسد) قد أخفق ولولا ذلك الانتصار لما كانت إسرائيل الآن قد أصبحت حقيقة واقعة ، وكذلك لم يكن بإمكان اللنبي أن ينجح لولا محاولة ريتشارد ، أى لو لم تكن النصرانية قد أقامت فى الأصل الأساس الذى يحمل النصارى على التعلق بالأرض المقدسة وإن من غريب التهكم أن يكون اليهود قد قد استعادوا موطنهم وإلى حد ما بفعل الدين الذى أعطوه للأميين . وتحاول هذه النصوص أن تكشف المطامع الخفية المتصارعة بين قوى الاستعمار الغربى ، وقوى الاستعمار الصهيونى التى يمثل أعتى صور هذا الاستعمار وكأنما كانت هذه القوى المختلفة قد اتخذت من الروابط التى ترتبط الأديان الثلاثة بالقدس مدخلا إلى العالم الإسلامى ورأس جسر للغزو والسيطرة عليه ومن عجب أن ثلاثة أرباع الجنود الذين فتحوا الطريق للبريطانيين إلى القدس كانوا من أبناء الإسلام وقائدهم الأمير فيصل بن الحسين . ويمكن القول بأن الغزو الغربى للعالم الإسلامى **قد تم** خلال مرحلتين : (١) المرحلة الأولى : مرحلة تطويق العالم الإسلامى وهذه هى المرحلة

التى بدأت قبل نهاية القرن الخامس عشر وأبطالها هنرى الملاح وفاسكودى جاما وخلفائهم .

وقد وصفها المؤرخ كيرك : بأنهم « كانوا يهدفون إلى السيطرة على الشاطى الأفريقى من المحيط الأطلنطى مولين وجهتهم نحو الجنوب ، فى محاولة الالتفاف حول ديار الإسلام وحصرها من الوجهتين الحربية والتجارية مع انتزاع تجارة الذهب وغيره من حاصلات أفريقيا الغربية من يد المسلمين ، ثم الاتصال مما وراء الصحراء الكبرى جنوبا بنجاشى أثيوبيا (برستر جون) والاشتراك معهم فى مهاجمة المسلمين من الجنوب » . وقد هاجمت هذه القوات ثغور العالم الإسلامى التى لم تكن متأهبة لمقاومة الأساطيل الأوربية ولكنها قاومت طويلا وسقط منها الشهداء ، ولم تقبل بالتسليم إلا بعد أن فقدت كل ما كانت تملك من قوى وعتاد . وقد استطاع فاسكودى جاما أن يصل عام ١٤٨٨ إلى رأس الرجاء ثم اتجه إلى الهند وكان أحمد ابن ماجد هو قائد سفنه إلى ثغور الهند . ومن ثم تحولت التجارة إلى رأس الرجاء الصالح بعد أن كانت تمر بالبحر الأبيض المتوسط واستطاعت البرتغال أن تستولى على مسقط وهرمز والبحرين عام ١٥١٥ وأن تصل إلى فاليقوط (كلكتا) أعظم ثغور الهند . ولم يلبث الفرنسيون والإنجليز أن إن ورثوا البرتغاليين وأزاحوهم وسيطروا على هذه المناطق وبلغت هولندا جزر الملايو فاقتسمتها مع بريطانيا (جاوه وسومطره فى يد هولندا والملايو فى يد بريطانيا) كما سيطرت بريطانيا على الهند : درة التاج البريطانى لأزمان طويلة ومصدر كل الخطط التى سيطرت بها على مصر والعراق وغيرها وعلى قناة السويس باعتبارها تامينا لطريق الهند ، وكان ذلك فى منتصف القرن السادس عشر . وفى نفس الوقت كانت روسيا قد بدأت تحقق مطامع بطرس الأكبر فى الاستيلاء على أجزاء مختلفة من العالم الإسلامى حيث استولت على قازان واسترخان فى منتصف القرن السادس عشر حيث بدأ التوسع الروسى فى الأراضى الإسلامية ثم امتد حتى وصل الروس إلى القوقاز وسهول تركستان ثم توالت حركة استيلائها فى خط واحد مع فرنسا وانجلترا . كانت كبرى الدول الإسلامية فى هذه الفترة هى : (١) العثمانية فى الأناضول والعالم العربى والبلقان . (٢) الفارسية فى إيران . (٣) المغولية فى الهند . وكان الصراع قائماً بين العثمانية والفارسية وقد استغلته بريطانيا والغرب إلى أبعد حد ، وحيث أيدت فارس فى صراعها مع الدولة العثمانية ومن ثم فتحت فارس أبوابها للنفوذ الأجنبى مبكرة واتخذت من ذلك ركيزة لحماية درة التاج . وفى هذه الفترة : عصر تطويق الإسلام والسيطرة والأوربية : تركزت انكلترا فى الهند والملايو ، وهولندا فى أندونيسيا ، وروسيا فى آسيا الوسطى . وفرنسا فى البحر المتوسط .

(المرحلة الثانية : مرحلة تقسيم العالم الإسلامى)

بدأت بالحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨ وانتهت بهدنة الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ حيث تمت توزيع الأجزاء الباقية من البلاد العربية والتابعة للدولة العثمانية بين فرنسا وانجلترا وهى العراق و الشام بأجزائه وإصدار وعد بلفور الذى أعطى للصهيونية العالمية حق إقامة دولة فى فلسطين : وقد تمت عملية التقسيم هذه خلال مائة وعشرين عاماً تحركت فيها الأحداث فى طريق إتمام سيطرة النفوذ الغربى على العالم الإسلامى كله ، بالاحتلال العسكرى أوالمعاهدات، وكانت هذه هى المرحلة التنفيذية للمرحلة الأولى : مرحلة تطويق العالم الإسلامى التى بدأت منذ انتهى آخر خيط لتحرير أوربا (البرتغال) من النفوذ الإسلامى وفى أعقاب الحروب الصليبية التى انهزمت فى المشرق وانتهت بقيام دولة إسلام شامخة هى الدولة العمانية التى استولت على القسطنطينية عام ١٤٥٣ بينما استطاعت الحروب الصليبية فى المغرب أن تحقق إجلاء المسلمين و الدولة العربية عن الأندلس . وقد ترابطت هذهالحركة منذ قيام هنرى الملاح بحملته على العالم الإسلامى بادئاً عملية التطويق عام ١٤٥٠ تقريباً حتى دخل اللورد اللنبى اللورد اللنبى إلى القدس عام ١٩١٨ وأعلن فى عبارة قصيرة « انتهاء الحروب الصليبية » .بدأت هذه المرحلة ، انكلترا فى الهند ، وروسيا فى آسيا الوسطى ؛ وهولندا فى أندونيسيا ، وفرنسا فى البحر المتوسط . وقد تحقق فى هذه المرحلة خطوات هامة فى دعم عملية تقسيم العالم الإسلامى أولا : عام ١٨٣٠–استيلاء فرنسا على الجزائر وهزيمة الأمير عبد القادر وقواته بعد أربعة عشر عاما من المقاومة . ثانياً : عام ١٨٥٧ — القضاء على ثورة المسلمين فى الهند . ثالثاً : عام ١٨٥٩ — القضاء على ثورة الأمير شامل واستيلاء روسيا على القوقاز . رابعاً : عام ١٨٦٩— افتتاح قناة السويس وسيطرة الدول الأوربية على عنق الزجاجة فى مصر فى أدق موقع بين آسيا وأفريقيا وأوربا . خامساً : عام ١٨٦٠ — تدخل الدول الأوربية فى لبنان واشتعال الثورة بين المارون والدروز وخلق كيان خاص تبدأ منه حركة الغزو الفكرى بالبعثات التبشيرية إلى العالم الإسلامى كافة . سادساً : عام ١٨٣٨ — نتارين وتحطيم القوة المصرية الجديدة المخوفة النباء . سابعاً : عام ١٨١٨— تحطيم القوة الوهابية الصاعدة فى الجزيرة العربية ثامناً : عام ١٨٦٧ — قيام الحركة الصهيونية وإطلاق وعد بلفور ١٩١٧ . تاسعاً : عام ١٩١٨ — اسقاط الدولة العثمانية . عاشراً : عام ١٩٢٤ — إلغاء الخلافة الإسلامية . ويمكن تقديم الحقائق التالية فى إيجاز : أولا : إن الاستعمار هو الجولة الصليبية الثانية فى مواجهة عالم الإسلام .

ثانياً : إن انجلترا هى صاحبة الدور الأكبر من جولة الاستعمار حتى الحرب العالمية الثانية . ثالثاً : كانت أوربا هى القارة التى واجهت العالم الإسلامى منذ عام ١٥٠٠ إلى الآن حين تحول هذا النفوذ بعد الحرب العالمية الثانية إلى الولايات المتحدة . رابعاً : بدأ تطويق العالم الإسلامى عام ١٥٠٠ وبدأ الغزو بالحملة الفرنسية عام ١٧٩٨ . خامساً : كانت الأمة العربية موضع التركيز الشديد والعنيف لأنها حاملة لواء الإسلام واللغة العربية . سادساً : كان إسقاط الدولة العثمانية باعتبارها عروة وحدة العالم الإسلامى هو الهدف الأول وإسقاط الخلافة هو الهدف الأكبر . سابعاً : برزت الحركة الصهيونية عام ١٨٩٧ وبدأت صراعها مع السلطان عبد الحميد الذى عارضها حتى أسقطته عام ١٩٠٩ ثم أسقطت الدولة العثمانية عام ١٩١٨ .

ثامناً : بسقوط الدولة العثمانية (رابطة العقد بين العرب والترك) سقطت كلمة العالم الإسلامى وبدأت كلمة القوميات ، فظهرت القومية الهندية فى مواجهة المسلمين فى الهند ، والقومية الطورانية فى مواجهة العرب والقومية اليهودية بالإضافة إلى تحديات الإقليمية والقبلية والطائفية. تاسعاً: برزت القوميات الإيرانية والتركية والأندونيسية والباكستانية. وقد حاول الاستعمار أن يوقع بينها من ناحية وبين الأمة العربية من ناحية أخرى عاشراً : الاستعمار قضية كلية ، والسيطرة الصهيونية على فلسطين واجهة لقوة استعمارية جديدة هى الصهيونية العالمية وقد تركزت فى قلب العالم الاسلامى (فلسطين) حيث بدأت عام ١٨٩٧ وعد بلفور ١٩١٧ قيام إسرائيل ١٩٤٨ سقوط القدس ١٩٦٧ . وبعد سقوط القدس فى يد الصهيونية العالمية هو أكبر حدث فى العصر الحديث بعد إلغاء الخلافة : ومن الناحية الأخرى يمكن القول بأن قوة اليقظة الاسلامية العربية قد حققت نتائج إيجابية هى : ١ ـ قيام اليقظة الاسلامية العربية بالحركات الاسلامية لتصحيح العقيدة وقيادة حركة مقاومة الاستعمار. ٢ ـ قيام دولتين إسلاميتين كبيرتين : أندونيسيا والباكستان ٣ ـ ظهور الحركة الثورية العربية كمنطلق للنهضة وبروز الثورات المختلفة فى أنحاء العالم الاسلامى. ٤ ـ قيام الجامعة العربية بعد الحرب العالمية الثانية ١٩٤٤ ٥ ـ بروز عدد من المجاهدين والقادة الذين حملوا لواء اليقظة والنهضة فى أنحاء العالم الإسلامى . ٦ ـ بدأت مرحلة التصنيع والقوة الصناعية والتكنولوجيا فى العالم الاسلامى . ٧ ـ مقاومة الغزو الصهيونى والاستعمارى . ٨ ـ كشف شبهات التغريب والغزو الثقافى المتسلط على الفكر الاسلامى . ٩ ـ بدأ التقارب والالتقاء بين المذاهب الاسلامية وفى مقدمتها : (السنة والشيعة). ١٠ ـ التقاء الدوائر : العربية والافريقية والأسيوية

فى مواجهة الاستعمار .مواجهة الاستعمار.

تاريخ الاحتلال الغربى للعالم الاسلامى

(١)الاحتلال الفرنسى :

١٨٤٧ الجزائر ، حيث بدأ الغزو عام (١٨٣٠)

١٨٨١ تونس

١٨٨٢ السنغال

١٨٨٢ مدغشقر

١٩١١ المغرب

(٢)الاحتلال الايطالى:

١٩١١ ليبيا

١٨٨٧ الصومال وأرتيريا

(٣) الاحتلال الأسبانى :

١٩١٤ (الريف) لم يتم احتلاله إلا عام ١٩٢٦ بعدتسليم عبد الكريم .

(٤) الاحتلال الروسى :

١٥٨١ سيبريا

١٦٥٤ دولة استراخان

١٦٧٠ أراضى مسلمى أورال أورال

١٨٦٤ جزيرة القريم بالبحر الأسود

١٨٦٤ بلاد القوقاز (شامل) بعد وقوعه أسيراً عام ١٨٥٩

١٨٥٩ احتلال طشقند

١٨٨٢ إمارتى بخارى وجنوة

١٨٨٤ الاستيلاء على التركستان

(٥) الاحتلال الهولندى :

١٦٢١ جزيرة جاوه
١٨٧٤ جزيرة سومطرا } وهما تعرفان الآن باسم أندونيسيا

(٦) الاحتلال البريطانى :

١٧٥٧ البنغـال :

١٨٤٩ البنجاب :

١٨٥١ نيجريا

١٨٨٢ مصر

١٨٩٨ السودان

١٩١٩ العـراق

١٩١٠ الأَردن (وفلسطين)

١٨٧٠ زنجبـار

١٨٧٨ جزيرة قبرص

(٢) حاول الاستعمار الغربى أَن يعزز موقف الغزو العسكرى الذى اجتاح به العالم الإسلامى بنظرية فكرية تهدف إلى أَن تعطى الاستعمار مفهوماً فلسفياً قوامه أَن الأُوربيين باعتبارهم أَكثر تقدماً من الأُمم المستعمرة فان الحضارة تكل إليهم أَمانة إنسانية هى تمدين هذه الأُمم ، ولذلك فمن حق الاستعمار أَن يسيطر عليها وأَن يعدها للتقدم ، واتصل بهذا المنطق ذلك القول بأَن الجنس الأَبيض هو صاحب الحضارة وأَن الأَجناس الملونة هى أَبناء الأُمم الواقعة تحت نفوذ الاستعمار وقد تعددت نظريات الاستعمار التى تحاول تبرير سيطرتها وكان غلاة دعاة الاستعمار يحاولون تصوير العلاقة بين البلاد المستعمرة وبين المستعمرين على نحو يمحو شخصية هذه الأُمم وينكر حقها فى أَرضها فى محاولة للقول بأَن هذه الأَجناس محرومة من أَى قابلية للتقدم ، فمن حق الجنس الأَبيض السيادة عليها واستخدامها لخدمة البشرية ، وأَن الأَراضى ليست ملكاً لمن يسكنها بل هى للبشرية جمعاء ، فإذا كانت مسكونة لشعب غير راق يكون من حق الشعوب الراقية بل من واجبها أَن تستولى عليها وتستعمرها لمصلحة البشرية . غير أَن هذه النظريات لم تلق تقبلا علمياً وثبت كذبها وتضليلها وتكشف أَنها لم تكن أَكثر من محاولة لتبرير الأَعمال البربرية التى قام الاستعمار فى السيطرة على البلاد التى تم إحتلالها والمظالم القاسية التى كانت تصل إلى درجة الإبادة بالجملة ، حيث ثبت خلال هذه الفترة الطويلة أَن الدولة المستعمرة لم تكن تعمل على تأَهيل أَهل البلاد للحضارة أَو التقدم بل كانت تعمل على تجميدهم فى حالة من الفقر والجهل

لا يمكنهم من التحرر . وقد تصارعت الدول الأوربية فيما بينها على مناطق النفوذ ولكنها لم تلبث أن اتفقت على اقتسام هذه المناطق وعقدت المعاهدات التى تطلق أيدى بعضهاالبعض فى أقطار فى مقابل أقطار ، فعقد عدد من الاتفاقات الودية بين فرنسا وانجلترا وروسيا . وقد عرف الباحثون الاستعمار بأنه قيام دولة بفرض حكمها ونفوذها أو سيطرتها السياسية والاقتصادية خارج حدودها على شعب أو دولة أجنبية على غير رضا أهلها وقد اندفع الاستعمار أساساً من أوروبا إلى أفريقيا وآسيا باسم الارتياد والاستكشاف والتجارة فأقام الأسبان والبرتغاليون امبراطوريات تجارية ثم خلفهم البرتغاليون والفرنسيون فشيدوا امبراطوريات استيطان وكان للكشوف العلمية وبناء البواخر الضخمة والحاجة إلى الخامات وإنشاء الأسواق للتجارة من العوامل الهامة فى توسع نطاق الاستعمار وسيطرته وعمله فى القضاء على مقومات الأمم المستعبدة لإدامة استعماره ونفوذه ، واستمرار احتكار حاصلات المستعمرات واستغلال مواردها الطبيعية والسيطرة على المواقع الاستراتيجية وقد ارتبط الاستعمار العسكرى بالاستعمار السياسى والاقتصادى والثقافى وإذا كان الاستعمار قد بدأ باسم التجارة والتبشير فانه لم يلبث أن تحول إلى الفتح والغزو والحكم وانتزاع الأراضى من أصحابها ، وإقامة حكومات بديلا عن الشركات . وقد أقام الاستعمار فى العالم الاسلامى دعائمه على أساليب مختلفة كان أخطرها توطيد الأوربيين فيها عن طريق التجارة كما فعل فى الجزائر التى أوفد لها نصف مليون فرنسى أوربى ، وكذلك أوفد إلى البلاد العربية مئات الألوف من الأوربيين وأغلبهم من اليهود . وكما أقام الاستعمار القلاع والمعاقل الحربية التى تؤمن بقاءه وتحفظ له السيطرة على البر والبحر وتمكنه من الحصول على الموارد الأولية والحاصلات والزراعية بأبخس الأثمان ، فقد أقام المؤسسات الاقتصادية والبنوك لتوظيف ذهب أوربا الذى طفحت به خزائن بنوكها فى أواخر القرن الماضى وفتح الأسواق لمصنوعاتها ومنتجاتها وخاصة الاستهلاكية والترفيهية ثم عمد الاستعمار إلى إقراض الأمراء والحكومات للسيطرة عليها وتكبيلها بالنفوذ الغربى ، وإيقاع ذوى اليسار فى الديون للاستيلاء على أملاكهم وتصفية القوى الوطنية وتحويل مختلف الأراضى والتجارات والأموال إلى البنوك الأجنبية وأقراض الفلاح بالربا الفاحش وتجنيد المرابين والصيارف واصحاب الخمارات فى مختلف القرى لسلب الأهالى ، وبالجملة فان الاستعمار كان يخفى فى أعماق خطه العمل على سلب كل موارد البلاد الإسلامية وإرسالها إلى أوربا والغرب ، رغبة فى افقار هذه البلاد وإيقاعها فريسة

الجوع والاستدانة لادامة السيطرة عليها ، كما عمدت القوى الاستعمارية إلى إحكام السيطرة بإنشاء الموانى وحفر القنوات التى تمكنها من القبض على ناصية الاستيراد والتصدير ، كشق قناة السويس والاستيلاء على البواخر كجبل طارق وباب المندب وغيرها . توحدت إذن خطط الدول المستعمرة وان اختلفت الأساليب وجمعها هدف واحد هو السيطرة وإخضاع المسلمين للنفوذ الغربى والولاء ومن هنا نشأت فكرة «وحدة الحضارة» ورسالة الرجل الأبيض فى محاولة لاخضاع الفكر الإسلامى والثقافات العربية والتركية والفارسية والهندية والأندونيسية لنفوذ الفكر الغربى والقضاء على مقومات الاسلام والقرآن واللغة العربية وذلك بقيام مؤسسات خاصة لإثارة الشبهات وتدمير الحقوق الداخلية كمؤسسة التبشير العالمية . ويمكن القول بناءً على الحقائق الواقعة أن الأوربى لم يفد إلى الشرق كممدن بل كمستعمر وأن أخوف ما يخافه هو الانبعاث واليقظة عن طريق الاسلام ومن هنا تأتى محاولته للسيطرة على التعليم والثقافة والتربية

(٣) لا ريب أن الخطط التى تقوم بها الدول المستعمرة بالنسبة لعالم الإسلام واحدة الهدف مختلفة الأساليب يجمعها مفهوم واحد هو السيطرة وإخضاع المسلمين لنفوذهم وحضارتهم وفكرهم وخلق جو من الولاء لها . وقد تحقق من الخطط المختلفة التى تكشفت أن هناك تنسيقا بين الاستعمار والمستعمرين ، وهناك خططا متفق عليها للتفاهم والتقسيم كالاتفاق الودى بين بريطانيا وفرنسا ١٩٠٤ واتفاق سايكس بيكو ١٩١٦ والاتفاق بين انجلترا وهولندا فى أرخبيل والملايو. والدعوة التى يبرر بها الاستعمار اقتحامه واحتلاله للعالم الاسلامى إنما هى دعوى براقة خداعة ، إذ أطلق عليها «حق تحضير الأمم المتخلفة» ورسالة الرجل الأبيض إلى العالم الأسود والأصفر ، شريطة أن يتم هذا التحضير باخضاع هذه الشعوب لوحدة الحضارة الغربية ، وهى تقضى » على قيم الأمم ومقدساتها ، وتحل محلها مفاهيم الحضارة الغربية والهدف من ذلك إنما هو أن تنتهى مقاومة هذه الأمم للنفوذ الاستعمارى ليحل بدلا منهاخضوع واندماج وصداقة وتقدير للاستعمار بحسبانه عمل تمدينى مع الاعتراض على أى مفهوم للاستقلال أو الذاتية أو التحرر من النفوذ . وقد درس الاستعمار وقدر ورأى أن خير وسيلة لاخضاع المسلمين هو تغيير عقليتهم والقضاء على ثقافتهم وتراثهم ، ولما كانت عقلية العالم الإسلامى وثقافته مرتبطة بالاسلام واللغة العربية فقد ركز عليها ، ولما كانت وسيلة التغيير إنما تكمن فى التعليم فقد حرص على غزو تعليمى وثقافى ضخم واسع النطاق ،

وذلك عن طريق إرسالياته ومعاهده الأجنبية ، فاستطاع تخريج أجيال جديدة وفق مفاهيمه وأتاح لهذه الأجيال السيطرة والقيادة والزعامة والحكم فى أغلب العالم الاسلامى ، كما أطلق حركة التبشير لتحكم تنفيذ هذه الخطة وفرض على الدولة المحتلة أنظمة تعليمية قوامها تحقيق هذا الهدف . ومن هنا جاء ما وصف بأنه محاربة للاسلام واللغة العربية أن هذا الجانب الثقافى والفكرى من الاستعمار وما يتصل به من شئون التبشير والتعليم والتربية لم يحظ بأى اهتمام فى دراسات الباحثين عن الاستعمار الذين أولوا اهتمامهم للجوانب السياسية والاقتصادية والعسكرية وحدها . وقد مضت حرب الاستعمار للاسلام لا هوارة فيها باعتبارها العامل الدافع إلى القوة والجهاد والمقاومة ، وكانت هذه الحرب بأساليب مختلفة (أولا) نقض مفاهيم الاسلام وتحريفها وخلق دعوات تحمل لواء الاسلام وتتنكر لأهم مقوماته وهو «الجهاد» الذى هو ذروة سنام الاسلام ، حيث الغته الغاء أو قللت من أهمية أو عملت على تفسيره تفسيراً خاطئاً . (ثانياً) الطعن على الاسلام والحملة على مقوماته واتهامه بأنه مصدر تأخر المسلمين وضعفهم . أما اللغة العربية فقد استهدفت الحملة عليها إيقاف نموها ، حيث يجرى نموها بنمو الاسلام نفسه والعمل على تغليب اللغات الأجنبية عليها والدعوة إلى العامية لاحلالها محل العربية والتنادى بإحلال الحروف اللاتينية بديلة للحروف العربية فقد كانت اللغة ولا تزال هى ضمير الفكر نفسه ، وما تزال اللغة الفصحى هى مدخل الفهم إلى القرآن الكريم ، وفى القضاء عليها محاولة للاغراب والبعد بمستوى الفهم عن القرآن والحيلولة دون الارتباط به وقد كانت حركة التبشير هى أكبر الأعمال الأساسية لتحقيق هذه الغاية ، فهى القوة المتحركة فى جيش الاستعمار لغزو العقول والقلوب فى مختلف الجبهات وإثارة الشبهات فى مجالات المدرسة والجامعة والصحافة والثقافة وكانت حركة الاستشراق هى المصنع الذى يعد «أدوات» العمل : الشبهات والطعون والشكوك والاتهامات التى يقدمها العلماء الذين يعملون تابعين لوزارات الاستعمار فى الدول المختلفة ، يقدمونها إلى حقل التبشير لنشرها والاذاعة بها فلما فضحت خطط التبشير ، تخفى التبشير وراء التعليم والصحافة والثقافة ، وإن كان لا يزال ظاهراً ومتحركاً على جبهات كثيرة من العالم الاسلامى وخاصة فى قلب أفريقيا وأرخبيل الملايو . وقد كشف التبشير عن هدفه الذى لم يكن أساساً تحويل المسلمين إلى أديان أخرى بعد أن تأكدت استحالة ذلك للدعاة الذين اقتحموا الأزهر ، ووزعوا نشراتهم داخله ، وعقدوا مؤتمراتهم فى قلاع الاسلام والوطنية مثل بيت أحمد عرابى

فى باب اللوق أو فى لكنهو معقل الاسلام وندوة العلماء ودار العلوم فى الهند ، ولكن الهدف هو إخراج المسلمين من قيم دينهم ومفاهيمه أساساً وبذلك يصبحون عجينة طيعة للتشكل وفق مفاهيمهم . ولذلك فإن حركة التبشير أساساً هى حركة استعمارية تهدف إلى خدمة النفوذ الأجنبى وتأكيده ودعم بقائه . ولم يقف مخطط الاستعمار عند الغزو الفكرى والثقافى عن طريق حركة التبشير الذى ركزت على المدارس والجامعات والتعليم . بل إنه دفع قوى أخرى خطيرة لتكون ركائز له فى الداخل: من أهم هذه القوى حركة «الماسونية» مقدمة «الصهيونية» وربيبتها التى مهدت لها الطريق ، و«البهائية» التى حملت لواء الدعوة إلى هدم الأديان بتوحيدها .وكذلك استغل الاستعمار أوجه الخلاف الفرعية بين المسلمين فحاول تعميقها وحرض على الابقاء عليها خلال فترة حكمه الطويل ، كما أبقى على الأقليات وأغرق بعضها بالبعض الآخر . وحرض على تجميد الطوائف والقبائل حتى لا تنصهر فى المجتمعات الواسعة ، وأوجد بينها وبين الأكثريات خصومات وأحقاداً ، مستغلاً ذلك كله لتأكيد بقائه . فالاستعمارهو الذى عمق أسباب الصراع بين تركيا وفارس وغذى الخلاف بين السنة والشيعة فوسع شقه الخلاف بينهم . ولم تنفصل المشكلة الطائفية فى أى من المراحل عن الاستعمار الذى خلقها وغذاها واتخذ منها أداة سياسية يدعم بها وجوده ، فقد احتضن الاستعمار الأقليات وعمل فيهم على خلق الشعور بكيان خاص ، له انفصال وتميز بحيث لا يلتقى فى مجال الوحدة الكبرى كما فتح الباب للتبشير والاساليات . كما أكد الاستعمار فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى عوامل التفرقة العنصرية والجنسية واستغل فى سبيل تثبت ركائزه كل الوسائل وفى مقدمتها «الامتيازات الأجنبية » التى منحت الأجانب فى الأقطار الاسلامية مراكز خاصة ونفوذاً متميزاً بحيث لا يخضعون لقوانين البلاد وتظل مؤسساتهم فى حصانة كاملة دون التفتيش أو الرقابة أو التحقيق معها بما يتيح لها أن تتصرف على النحو الذى تراه دون أن تستطيع الحكومات إيقافها أو محاكمتها وقاوم الاستعمار كلمة الاسلام والجامعة الاسلامية والوحدة الاسلامية وشن عليها جميها حرباً عنيفة ، ووصفها بغير ما كانت على الحقيقة ، وركز حملته على «السلطان عبد الحميد» الذى قاد حركة المقاومة ضد زحف النفوذ الاستعمارى حين دعا لمسلمين خارج الدولة العثمانية إلى الالتفاف حول راية الخلافة الاسلامية فى حركة جامعة لمواجهة الغزو الزاحف ، ومن هنا كانت تلك الصورة السيئة التى رسمها عملاء الاستعمار للسلطان عبد الحميد وما وصف به وما نشر عنه من أعمال

كشفت الأيام من بعد أن ليس لها نصيب من الحقيقة فقد تضافرت قوى النفوذ الاستعمارى وقوى الصهيونية على تدمير هذه الحركة واسقاط السلطان عبد الحميد الذى كان موقفه الصامد حائلا دون تمزق العالم الاسلامى واستيلاء الدول الغربية عليه واحتلاله ، فضلا عن موقفه المشرف من هدف الصهيونية باستيلاء على فلسطين ، بالغ القوة والصمود ، مما حمل المحافل الماسونية فى سالونيك وجلها من البرونمة (اليهود الذين أسلموا تقية) السيطرة على جميعة الاتحاد والترقى ودفعها إلى هدفين : (١) إسقاط النظام الذى يحمل لواء الجامعة الاسلامية . (٢) إيقاع الخلاف الدموى بين عنصرى الدولة العثمانية : الآتراك والعرب . وقد تحقق ذلك عام ١٩٠٨ بتولى الاتحاديين للحكم وحمل لواء الدعوة الطورانية ومحاولة تتريك العرب وتمزيق الدولة ، وفى المرحلة الثانية ١٩١٨ بهزيمة تركيا والغاء الخلافة الاسلامية . وتقسيم الأجزاء العربية بين فرنسا وانجلترا وصدور وعد بلفور باعطاء اليهود الحق فى إنشاء دولة صهيونية فى فلسطين كما ألح الاستعمار على القبائل البدوية وحرص على عدم انصهارها فى المجتمعات حتى لا تسود الوحدة الشاملة : وحال دون دفع الوحدات الصحراوية إلى التمدن لتظل الأمم ممزقة بين طبقات مختلفة وقوى متفاوتة . وهناك حقيقة هامة لا سبيل إلى تجاهلها هى أن الاستعمار ركز على الأمة العربية أكثر مما ركز على أى جزء آخر من العالم الاسلامى وجعل لمصر فى مخطط الاستعمار والتبشير والتغريب قدحاً معلى ، باعتبارها قلب العالم الاسلامى ومركز القيادة من الأمة العربية ، فصحف مصر هى التى كانت تحمل الأفكار والدعوات المختلفة ، وعملاء الاستعمار الذين يكتبون باللغة العربية فى المقطم والأهرام والهلال والمقتطف والجامعة وغيرها من صحف اللبنانيين المتآمرين كانت تحمل لواء مخطط التغريب كاملا ، هذه الصحف التى عاشت وامتد بها العمر ، بينما سقطت الصحف الوطنية واحدة بعد أخرى ثم كان لظهور دعائم التغريب والشعوبية فى مصر : الأسماء التى لمعت وتصدرت للشهرة أثرها البعيد المدى : طه حسين وعلى عبد الرازق ومحمود عزمى . وقد صور «لوثروب ستوارد» مدى خطر النفوذ الأجنبي فى العالم الاسلامى بأصدق عبارة حين قال «إن سيطرة الغرب الحديثة على الشرق لا مثيل لها فى التاريخ من حيث الفظاعة والخطورة والمدى والمجال ، فما كان لليونان ورومية من قبل السيطرة المحدودة على بعض من العالم لا يعد بالاضافة إلى سيطرة الغرب اليوم شيئاً مذكوراً .

(٤) انجلترا والعالم الاسلامى :

كانت بريطانيا أشد الدول الأوربية المستعمرة خطراً على العالم الاسلامى نفسه ، وأن تكن وسائلها أقل حماقة من فرنسا وإيطاليا ، وكان أخطر المناطق التى استولت عليها الهند «القارة الضخمة التى كان يحكمها المسلمون فأصارتهم فيها محكومين متأخرين تعليما وثقافة وثروة ومصر (قلب العالم الإسلامى) وتقاسمت مع روسيا السيطرة والنفوذ فى إيران والاستيلاء على الخليج العربى وسلطناته وقد جندت بريطانيا مئات الألوف من الجنود فى الحرب العالمية الأولى من الهند ومصر ودفعت المسلمين العرب إلى محاربة اخوتهم المسلمين الترك مغرية إياهم بإقامة دولة عربية حتى إذا تحررت تلك البلاد العربية من الأتراك احتلها الفرنسيون والانجليز ولقد كان الاستعمار البريطانى أشد قسوة على الاسلام وعالم الاسلام وكان لانتصار انجلترا بعد الحرب العالمية الأولى — ذلك الانتصار الساحق بحسبانها كبرى دول العالم الاستعمارى — أثره البعيد المدى فى الأعمال التى تمت خلال ما بين الحربين والتى ركزت دعائم الاستعمار فى نفس الوقت الذى كانت الثورات تشتعل ولا تتوقف عن الاشتعال فى مختلف أجزاء العالم الاسلامى . وفى الحق أن الانجليز هم الذين قضوا على الدولة الاسلامية الكبرى ، والتى كانت تمثل القوة الصامدة للنفوذ الأجنبى وهم الذين أزالوا دولة الخلافة العثمانية وأذلوا المسلمين فى كل البلاد . والاستعمار البريطانى هو الذى نظم الهيئات التبشيرية والارساليات الأجنبية وحماها فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى وأتاح لها الحرية الكافية والفرصة المواتية لتحريف عقلية الشباب المسلم سواء فى الهند أو الصين أو مصر والسودان والصومال وفلسطين والعراق وسائر أرجاء آسيا وأفريقيا الاسلامية وأمدها بالمال وساعدها كما منع المسلمين وعلمائهم من النزول إلى جنوب السودان وحال بينهم وبين تعليم المسلمين من سكان تلك الجهات أحكام الدين وآداب المسلمين .والاستعمار البريطانى هو الذى هدم دولة المسلمين فى الهند وأزال أهلها المسلمين وهو الذى أزال الدولة العثمانية (دولة الخلافة) واستعمر بلادها ومزقها كل ممزق وألغى الخلافة وحال بين المسلمين وبين إعادتها ، وإليه يرجع الخطر الأكبر فى إقامة دولة إسرائيل فى قلب العالم الاسلامى فهو الذى مكن لها ذلك وأتاح لها الفرصة لنقل مليون يهودى اقطعهم الأراضى وأمدهم بالسلاح والعتاد وجعل منهم قوة عسكرية ذات بأس تهدد الحجاز ومصر وسوريا ولبنان والعراق وسائر بلاد العرب ثم كان للاستعمار البريطانى وللدول الكبرى الأثر الأكبر فى إقامة دولة إسرائيل وتشريد مليوناً من العرب ، ثم ما كان من التوسع الخطير

الذى حققته الصهيونية باحتلال القدس. والاستعمار البريطانى هو الذى أيد الاستعمار الهولندى على تركيز مقامه فى أندونيسيا سنوات طوال وعلى عودته إليها بعد خروجه منها كما عرف الاستعمار البريطانى بفرض المعاهدات ذات المواد الغامضة، وفى مقدمتها معاهداته مع السلاطين فى جنوب الجزيرة العربية التى تنص على أنها تنتهى عندما (يشيب الغراب ويبيد التراب).

(٥) لقد اندفع الاستعمار بأقسى وسائل القمع والتدمير للقضاء على كيان العالم الاسلامى، ولم يحقق وجوده فى مكان ما إلا بالتآمر والكيد. وقد كان يظن أن فلسفته وأساليبه قادرة على أن تحقق له الأمن وتحقق للشعوب المستعمرة الاستسلام ولكن العالم الاسلامى قاوم بحق وألقى بثقله فى مواجهة الغزو والاستعمار وهو لا يملك من الأسلحة ما يجعله كفاء المقاومة، ولكنه كان يقاتل بكل ما يملك حتى باحتشاد الأجساد، هذه المقاومة اذهلت الاستعمار، الذى عرف أن مقومات هذه الأمة وروح إيمانها المستمدة من إيمانها بالله والاسلام والقرآن هى التى تعطيها ذلك الصمود العجيب فى وجه الغزو والمقاومة الرائعة، غير أن الاستعمار استمر يعمل على قمع هذه الحركات بأساليب بالغة العنف إلى منتهاه، دون أن يتراجع عن أهدافه وأن غير وسائله مرحلة بعد مرحلة محاولا خلق جو من التهدئة، وذلك بالتخفى وراء أقنعة غامضة كالانتداب والوصاية مدعياً أنه إنما يدير شئون هذه الشعوب حتى يعدها لحكم نفسها. غير أنه فى طريق تحقيق سيطرته بأساليب مختلفة منها تجزئة البلاد إلى دول ودويلات وإيقاظ الثغرات الطائفية والدينية وإيقاع الطوائف بعضها فى البعض الاخر وإثارة روح الفتنة والخلاف بينها وتأييد طائفة على طائفة، وإحياء القبليات ودعمها وتعميقها. وكان أخطر أعماله فى هذا الصدد خلق محاور بين المسلمين والمسيحيين، وبين السنة والشيعة، وبين العرب والبربر، مع الدعوة إلى إحياء النزعات القديمة كالفرعونية والبابلية والأشورية والفينيقية، وإنشاء مؤسسات خطيرة للعمل ضد القوى الوطنية بإثارة الدعوات الهدامة والدعوات العلمانية التغريبية والالحادية، وقد اعتمد الاستعمار فى ذلك كله على «الارساليات والبعثات التبشيرية» التى ركزت دعائمها فى مختلف أجزاء العالم الاسلامى وأخذت تسيطر على أسباب التعليم ومناهج التربية والثقافة، وكانت - ولا تزال - للتبشير مخططات بعيدة المدى فى غزو الفكر الاسلامى والثقافات العربية والتركية والفارسية

والهندية والملاوية وغيرها.وكان أخطر ما عمد إليه الاستعمار فى سبيل تأكيد وجوده هو إقامة جسر بشرى يمزق وحدة الأُمة العربية ويضع أسفيناً خطيراً فى قلب العالم الإسلامى ، ذلك هو غرس إسرائيل ومن ورائها الحركة الصهيونية العالمية التى هى وليدة الاستعمار نفسه ، وأقوى ثماره وأشدها خطراً . وكانت بريطانيا فى عام ١٩٠٧ قد أخذت تدرس عن طريق رؤوس الاستعمار ومفكريه الوسائل التى تؤدى إلى تدعيم بقاء الاستعمار وتقضى على كل مقاومة ضده ، وقد انتهت طائفة من الاستعماريين إلى وضع مشروع عرف باسم « كامبل » يرى أن أخطر مناطق الاستعمار فى العالم وأشدها تعرضاً للثورة والانتفاض هى منطقة « العالم الإسلامى » وقلبها « الأُمة العربية » ولذلك فإن الوسيلة المثلى فى نظر الاستعمار للحيلولة دون تماسكها وتلاقى أجزائها فى وحدة هو خلق أسفين يمزق قلبها وذلك بإقامة جسم غريب فى المنطقة الواقعة شرق قناة السويس ، ولما كان الاستعمار الغربى يضع مخططات الحروب الصليبية أمامه فإنه قد اتخذ من فلسطين ومنطقة القدس بالذات نقطة ارتكاز لإثارة الخلافات بين الأَديان الثلاثة فسيطر على فلسطين عام ١٩١٨ فى ظل مؤامرة خطيرة تهدف إلى خلق هذا الكيان الغريب وإقامة هذا الجسم البشرى من اليهود . وبذلك نفذ الاستعمار خطة تهدف إلى تثبيت وجوده فى العالم الإسلامى كله بوضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى لما لها من الموقع الحربى والأَهمية الروحية لجميع الشعوب مما يجعل السيطرة عليها أمراً بعيد المدى فى التطورات التى وقعت فيما بعد ، والتى حققت هدف الاستعمار فى إدخال عنصر جديد من السكان ، وإقامة استعمار استيطانى يوغر صدور العرب ، وقد امتد هذا وبلغ مداه حين انسحبت بريطانيا من فلسطين وتركت للصهيونية القوة التى تمكنها من السيطرة على النحو الذى تحقق من بعد حتى استطاعت إسرائيل عام ١٩٦٧ فى السيطرة على فلسطين جميعها ووضع يدها على بيت المقدس . وقد بلغ الاستعمار حين وضع هذا المخطط موضع التنفيذ ، إلى تأكيد دعائم نفوذه ووضع يده على قلب العالم الإسلامى وبذلك بلغ الاستعمار مراحل السيطرة التى بدأها بتطويق عالم الإسلام ، ثم الاستيلاء عليه ثم تأكيد الوجود الاستعمارى على النحو الذى يتيح للاستعمار أن يقبل الجلاء العسكرى والسياسى عن هذه المناطق بعد أن تأكد وجوده فيها بنفوذ ثقافى داخلى قائم على تخريج أجيال لها ولاء لوجوده وبقائه . غير أن العالم الإسلامى لم يتوقف منذ اليوم الأَول لحركة الغزو الاستعمارى عن العمل فعمل فى دائرتين : (١) الدائرة الإسلامية الوطنية التى ارتبط فيها الجهاد بالقاعدة الإسلامية وهى الدائرة التى أجهدت الاستعمار فعمل

على تصفيتها والقضاء عليها . (٢) الدائرة الوطنية الخالصة وهى الدائرة التى حاول الاستعمار أن يجعل منها بديلا للمقاومة العسكرية ، والخصومة الكاملة وأن يحولها عن العمل الإيجابى إلى الصراع السياسى وأن يقيمها داخل فكره وتعاليمه (وفى مصر ظهر أمثال لطفى السيد وسعد زغلول بديلا لأحمد عرابى ومصطفى كامل) وأمثال هؤلاء الزعماء مهما بلغ أمر وطنيتهم فإنهم يتعاملون مع الاستعمار من داخل دائرة الولاء والاقتناع بأنه لا سبيل إلى تحقيق أى قدر من التحرر إلا بالتفاهم مع الاستعمار نفسه . وهذه هى المرحلة التى واجهها العالم الإسلامى كله فى مرحلة ما بين الحربين . أما الدائرة الإسلامية فقد كان لها دورها الخطير الذى أزعج الاستعمار وأدال منه وقد قاد الثورة العسكرية على النفوذ الاستعمارى :– عبد القادرالجزائرى الذى قاوم احتلال فرنسا للجزائر ستة عشر عاماً (١٨٣٠ – ١٨٤٦)

– الشيخ شامل الذى قاوم نفوذ روسيا واحتلالها للقوقاز والقرم والتركستان . قام الشيخ شامل عام ١٨٠٨ بحركة فى مقاومة الغزو الروسى للقوقاز والقرم والتركستان وظل يكافح ويناضل على رأس جيوشه وتابعيه البواسل المجاهدين الذين تجمعوا تحت لوائه من مختلف القبائل والديار الإسلامية خلال تسعة وثلاثين عاماً متواصلة ، وكبد الروس خلالها مئات الألوف من القتلى وكما كبدهم إنفاق الملايين الوفيرة من الأموال ، وكانت مقاومته ترمى إلى تحرير أمة تبلغ ٤٠ مليون نسمة من نير الاستعمار الروسى الزاحف .

– محمد أحمد المهدى قاوم نفوذ بريطانيا فى السودان .

– أحمد عرابى قاوم نفوذ بريطانيا فى مصر .

– عبد الكريم الخطابى قاوم نفوذ فرنسا فى الريف المغربى .

– المسلمون فى الهند الذين ثاروا عام ١٨٥٧ فى مقاومة للنفوذ البريطانى .

– ثورة المسلمين فى أندونيسيا فى مواجهة الاستعمار الهولندى .

– السيد أحمدالشريف السنوسى وعمر المختار فى مقاومة الاستعمار الإيطالى لبرقة .

– ثورة يعقوب فى التركستان .

وعيب هذه الجهود أنها كانت متفرقة غير موحدة بينما كان الاستعمار الغربى موحداً فى مواجهتها مما عجل بالقضاء على هذه الحركات أو إجهاضها قبل أن تحقق غرضها . وحين توقف الجهاد العسكرى لم يتوقف المسلمون عن مقاومة الاستعمار فى مختلف أجزاء العالم الإسلامى ، فى مختلف المجالات ، فى مجال التعليم والثقافة والسياسة والاجتماع والاقتصاد

وعملوا على معارضة خطط الغزو المختلفة ، ولم يستسلموا أو يتقبلوا بالوجود الاستعمارى ، وبرزت هذه المعارضة فى دعوات المعلمين المصلحين ، وفى مختلف الجماعات والهيئات الإسلامية والطرق الصوفية وفى أعمال كثير من المفكرين التى حملت لواء الدعوة إلى تصحيح المفاهيم وتخليص الفكر الإسلامى والثقافات العربية والفارسية والتركية والهندية من شوائب البدع والخرافات . وقد انتظم المصلحون والمفكرون فى مختلف أجزاء العالم الإسلامى . ١ — جمال الدين فى إيران والهند ومصر وتركيا . ٢ — المهدى فى السودان . ٣ — السنوسى فى ليبيا . ٤ — محمدعبده فى مصر . ٥ — الألوسى فى العراق . ٦ — حسين الجسر وطاهر الجزائرى والقاسمى والكواكبى فى الشام . ٧ — الدهلوى وأحمد خان وإقبال فى الهند الإسلامية . ٨ — أبو شعيب الدكالى والعلوى العربى فى المغرب . ٩ — ابن باديس فى الجزائر . ١٠ — خير الدين والطاهر بن عاشور فى تونس . ١١ — إسماعيل عصبر نسكى فى القرم . وكان لهؤلاء المصلحين الأثر العميق والمدى البعيد فى يقظة الفكر الإسلامى وخلق روح من الثقة والحيوية والقدرة على مواجهة الغزو الاستعمارى فى مختلف مجالاته السياسية والفكرية على نحو كشف عن جوهر الإسلام وإيجابيته التى تؤكد أنه هو الأساس الأصيل لكل نهضة فى العالم الإسلامى ، كما كشف هذا الصمود عن مدى عمق الأثر الإسلامى فى النفس الإسلامية والمزاج الإسلامى من حيث ظن النفوذ الاستعمارى أن المسلمين سوف يستسلمون للقيم والمفاهيم الغربية وأنهم سينصهرون فى بوتقة الفكر الغربى ومفاهيم الاستعمار وفلسفته . وظلت مقاومة الغزو الغربى مستمرة فى صمود عالم الإسلام كله ، كرد فعل لمخططات الاستعمار التى عملت على .(١) إعمال الإبادة بالقتل والسجن والقضاء على القيادات الفكرية والسياسية القوية القادرة على العمل . (٢) التبشير والتغريب وإثارة الشبهات وقتل مقومات الإسلام العالمية . (٣) حرمان عالم الإسلام من علامات القوة التكنيكية والصناعية وعوامل الثقة بالنفس : وإذا كانت هذه الحركات قد أخذت طابعاً إسلامياً عاماً أم طابعاً عربياً أو وطنياً أو قومياً فإنها كانت جميعها تنبعث من مفهوم إسلامى أصيل ، وإذا كان الغرب قد حول المسلمين عن مفهوم الوحدة ، فى محاولتين لتغلب جانب الإقليميات الضيقة والقوميات فإن الاستعمار لم يلبث أن انزعج عندما وجدت حركة الوحدة العربية الذى حاول أن يشجعها أول الأمر ويجعلها بديلاً للجامعة الإسلامية فى خلال مرحلة ما بين الحربين . (٤) ركز الاستعمار فى مرحلة ما بين الحربين على توطيد نفوذه عن طريق إقامة ركائز ثابتة حتى إذا اضطرته الحركات الوطنية إلى إخراج

قواته العسكرية أو نفوذه السياسى كان له من هذه الركائز عاملا فعالا قادراً على تأكيد وجوده . ولذلك عول كثيراً على حركة التبشير وأعطاها أقصى ما يستطاع من التأييد وكان جل اهتمامها بمعاهد التعليم وبرامج التربية وذلك عن طريق مدارس الإرساليات ومدارس الاستعمار وبعض المدارس الحكومية . وفى نفس الوقت دفع مخططاته إلى القمة بإعلان الظهير البربرى فى المغرب الذى يفصل البربر عن العرب ويعزلهم ثقافياً وقضائياً وتعليمياً ويردهم إلى منظمات خاصة تستمد قوانينها وأنظمتها من الأعراف القديمة . وكانت حركات التجنيس أيضاً التى نفذها الاستعمار فى تونس محاولة أخرى لإخراج المسلمين من جنسيتهم الوطنية إلى الجنسية الفرنسية . وكانت الصهيونية خلال فترة ما بين الحربين هى الخطر النامى بين أعين المسلمين ومسامعهم ، بحماية النفوذ الاستعمارى ، ومن الناحية الأخرى كانت الحركات الهدامة تتجمع وتتركز فى دعوات وأحزاب وكان أبرزها البهائية التى أولتها بعض الصحف المصرية اهتماماً كبيراً ورحبت بها وأشادت بمفهومها الجامع بين الأديان جميعاً والهادم للأديان جميعاً . وكذلك ظهرت دعوات تحاول أن تفسر الإسلام تفسيراً جزئياً ، كالقاديائية التى ألغت الجهاد من مفهوم الإسلام أو مؤلفات تدعو إلى فصل الإسلام عن المجتمع كدعوة على عبد الرازق . وفى نفس الوقت علت أصوات دعوات ابتعاث ما قبل الإسلام من حضارات كالفرعونية فى مصر والفينيقية فى لبنان والأشورية فى العراق والبربرية فى المغرب مع الدعوة إلى عاميات اللغة ومحاولة جعلها تواجه العربية وتنفصل عنها . كما حملت الدعوة إلى القومية الضيقة ، دعوة أخرى إلى إعلاء الماضى الوثنى السابق للإسلام وإبرازه وتأكيده ، كما حدث فى الهند وأندونيسيا وإيران . وكانت الدعوة الطورانية فى تركيا المسلمة دولة الخلافة والامبراطورية العثمانية من أبرز هذه الحركات التى أعادت أمجاد جنكيز خان . وحاولت أن تصور الأتراك وكأنهم مصدر الحضارات وأساس المدنية وأول التاريخ . وقد حاولت هذه الدعوات أن تصبغ الأبطال والأعلام بصبغة الأقطار والأوطان كالفردوسى إيرانياوالفارابى تركيا . وكانت حركة أنقرة وانقلاب مصطفى كمال فى تركيا تحولا خطيراً فى مجال التغريب وقدوة بارزة ظلت تؤثر فى مجريات الفكر العربى سنوات طويلة وتفتح لدعاة التغريب والشعوبية أبواباً من الإغراء فى محاولة دفع الأمة العربية إلى أن تقبل خطوة مماثلة ، وكان هدف هذه الحركات جميعاً هو : « محو الذاتية الماثل فى وجود الأمة بالقضاء على مقوماتها وشخصياتها من لغة وأدب ودين ، جرياً وراء تنفيذ خطة الاستعمار التى ترمى إلى

إزالة سلطان المسلمين من هذه الأرض » . كان سلاح إعلاء النزعات الجنسية والعرقية والإقليمية وإحياء القوميات الضيقة ، وإذكاء روح العنصرية والانكفاء على الماضى القديم للأمم التى جمعها الإسلام ووحدها فكرياً وثقافياً وسياسياً هو أخطر سلاح تعامل به الاستعمار مع المسلمين فقد كان المسلمون قد تجمعوا منذ قرون طويلة بالإسلام أمة واحدة وفكراً واحداً . ولما كان الاستعمار يحصل من محاولة التمزيق والتقسيم والتفرقة على ركيزة هامة لإقامة نفوذه ، فقد صبغ هذه المحاولة بصبغة لها طابع علمى فلسفى ، فأقام الحواجز من جديد بين أجزاء العالم الإسلامى بالعمل على إعلاء مفاهيم الدم والجنس والإقليم والأرض وابتعاث المذاهب القديمة ، هذه المفاهيم التى انطوت وذلك فى سبيل معارضة الوحدة الإسلامية الذى قامت أساساً على أساس وحدة العقل والفكر والشعور . وليس عيباً أن يتخذ المسلمون سلاح الوطنية أو القومية سبيلا إلى مقاومة النفوذ الاستعمارى ، ولكن الخطر أن يجرى هذا التحرك خارج إطار الإيمان بالوحدة الفكرية الإسلامية التى أقامها القرآن . فلقد اتخذ المسلمون فى خلال حركة اليقظة ومقاومة النفوذ الاستعمارى ، ثلاث دعوات متداخلة ومتواترة : هى دعوات الوطنية والأمة والفكر . فالدعوة الوطنية كانت دعوة طبيعية إزاء احتلال الاستعمار للأوطان ومحاولة تصوير هذه الأوطان بأنها ليست ذات كيان أساسى فكان لابد أن تتخذ المقاومة طابع الدعوة الوطنية بالكشف عن أمجاد الأمم وتاريخها القديم العريق . وكان لابد أن تبرز الدعوة إلى الأمة كأن يلتقى العرب فى نطاق دعوة إلى وحدة الأمة العربية ، ليس فى هذا من بأس ولكن الخطر هو أن تصل هذه الدعوات إلى التطرف فتنسى جذورها وأسسها المرتبطة بوحدة الفكر الإسلامى الجامع للعالم الإسلامى . ولقد تحرك العالم الإسلامى فى الحلقات الثلاث خلال هذه الفترة ، ولكن الاستعمار جمد تحركهم فى دائرة واحدة وحال بينهم وبين التحرك الطبيعى بين الحلقات الثلاث . (٥) واجه العالم الإسلامى فى خلال القرنين الأخيرين أكثر من قوة من قوى الصراع على السيطرة والنفوذ العالمى وأهم هذه القوى هى فرنسا وبريطانيا وروسيا وهولندا كما واجهت الصراع بين القوى الثلاث بعد الحرب الأولى : الرأسمالية والشيوعية والصهيونية وتقف الحركة الصهيونية فى صف الرأسمالية ولكنها حركة ذات أهداف خاصة تختلف فى أعماقها عن الرأسمالية ذاتها وتحاول أن تحقق سيطرة عالمية متميزة . ويقف العالم الإسلامى فى مواجهة القوى الثلاث التى تحتلل بعض أجزائه وتؤثر فى وجوده وكيانه ، وما يزال النفوذ الاقتصادى لبريطانيا وفرنسا وأمريكا قائماً فى أجزاء كثيرة وكذلك بالنسبة لأفريقيا

حيث ما تزال دول أوربية كثيرة تسيطر على بعض أجزائها . وقد كانت نهاية الحرب العالمية الثانية علامة على بهانتاء الاستعمار فى صورته القديمة ، التى كانت تعتمد أساساً على الاحتلال العسكرى « حين كانت الدول الغربية تتذرع فى تقرير شرعية الاستعمار بحق الغزو ووضع اليد . واحتلال رعايا الدولة المستمرة محل أهل البلاد الأصليين » . ثم برز نوع من الاستعمار أطلق عليه الاستعمار الجديد ، وقوامه فرض السيطرة الأجنبية من سياسية واقتصادية على دولة ما ، مع الاعتراف باستقلالها وسيادتها ودون الاعتماد فى تحقيق ذلك على أساليب الاستعمار التقليدية ، كما يطلق على هذا الأسلوب الاستعمارى اسم « الامبريالية الجديدة » ويستخدم الاستعمار الجديد فى تحقيق أغراضه وسائل خاصة لتحاشى المعارضة الوطنية الصريحة ، ومن تلك الوسائل الاتفاقيات الثنائية غير المتكافئة ، وتكبيل الدولة النامية بشروط تحرمها من حركة التصرف والضغط عليها فى صورة معونات وقروض ، وإقامة القواعد العسكرية وإثارة الاضطرابات الداخلية والانقسامات الطائفية والحزبية فى الدول الحديثة الاستقلال لإضعافها وإيقاعها تحت السيطرة الأجنبية وتشجيع الأقليات البيضاء التى تتمتع بامتياز اقتصادى » وثقافى باستلاب السلطة وممارسة سياسة التمييز العنصرى فضلا عن استخدام المنظمات الدولية التى تقوم عليها الدول الكبرى بدور رئيسى فى الضغط على الدول النامية وتوجيه سياستها » . هذه العملية هى ما تعرف اليوم باسم الإمبريالية الحديثة التى يقوم جوهرها على محاولة كبار الذين يتحكمون فى الصناعة لتوسيع المجرى الذى ينساب إليه فائض ثرواتهم عن طريق البحث عن الأسواق الأجنبية والاستثمارات الأجنبية حيث لم يعد للتركيز الرأسمالى الهائل متنفساً إلا فيما وراء البحار وعلى ضوء هذه المطامع الاستعمارية كان العالم الإسلامى ولا يزال مجال الصراع بين القوى السياسية والعسكرية والاقتصادية العالمية . وقد حاول الاستعمار أن يصف نفسه بأنه رسالة المدنية والحضارة لرفع مستوى الشعوب والأمم وأن الفتح والغزو ليس غاية بل وسيلة لإعلاء البشرية والسمو بها إلى آفاق العزة والكرامة والحرية ، غير أن الوقائع كلها أثبتت كذب هذه الادعاءات فإن أوربا الاستعمارية لم تكن مستعدة بأى وجه من الوجوه إلى منح البلاد المستعمرة ثمرة حضارتها دون مقابل بل إن المسلمين والعرب ما كانوا يستطيعون الإفادة من النهضة الأوربية دون أن ينزلوا عن رجولتهم وحريتهم ولا شك أن تحول الاستعمار العسكرى والسياسى إلى الاستعمار الجديد المتمثل فى الاستعمار الاقتصادى فى مختلف أجزاء العالم الإسلامى والاستعمار البريطانى الذى تقوم به الصهيونية

فى فلسطين وتمتد منه إلى ما حولها بالإضافة إلى الاستعمار الثقافى ، كل هذا يؤكد أن الاستعمار إنما يغير من جلده ، ويتحول عن أساليبه إلى أساليب أشد خفاءًا ومكراً وأكثر عمقاً ، وأبعد عن مواجهة الشعوب فى نفس الوقت الذى يحتفظ فيه بخططه وأهدافه الأساسية ويجرى التحول الاستعمارى اليوم إلى التركيز الصهيونى فى قلب العالم الإسلامى بتمزيق وحدة الأمة العربية والحيلولة دون وحدة العالم الإسلامى وذلك بالفصل بين قارتى أفريقيا وآسيا بحاجز بشرى يحمل فلسفة تعتمد على الأساطير الدينية ويهدف إلى التوسع وإقامة امبراطورية إسرائيل فى قلب العالم الإسلامى ، وهذا هو الوجه الخطير للتحول الاستعمارى باعتبار أن الحركة الصهيونية تطمع فى أن ترث النظام الرأسمالى ، وتقيم الحكومة العالمية التى تمهد لها الآن بتدمير كل القيم والأنظمة والأخلاقيات وتحويل المفاهيم الإنسانية التى تحملها الأديان والحضارة إلى أسلوب من الإلحاد والإباحة والتسلط . وكأنما كان الاستعمار الغربى حين وجه كل أسلحته العلمية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية إلى العالم الإسلامى بقصد إذلاله وتحقيره وإشعاره بالضآلة والخنوع — كما يقول كانتول سميث — إنما يمهد لنفوذ آخر أشد عنفاً وشراسة ويفسح الطريق لقوى أشد شراً هى قوى الإلحاد والإباحة التى تعمل على سحق المقومات الإنسانية للمجتمعات والحضارة والأديان كوسيلة لإسقاط الشعوب والأمم فى براثن نفوذ استعمارى أشد خطراً يتطلع إلى السيطرة على العالم كله . ومن هنا تبرز مخططات الغزو الثقافى الذى يواجه الفكر الإسلامى والفكر العالمى كله ، لدحر مفاهيم الدين بعامة ومفاهيم الإسلام بخاصة ، والحيلولة دون قيام الوحدات القومية والتجمعات الروحية والفكرية وخلق أسباب التمزق وتغرير عوامل الإقليمية والقبلية واستيفاءُ صراعاتها . ومحاربة الإسلام على وجه أخص باعتباره الطاقة التى تدافع الاستعمار وتقاوم حركته وتكشف دسائسه . واللغة العربية باعتبارها لغة القرآن والمصدر الأول للفكر الإسلامى والثقافة العربية وما تزال القوى الاستعمارية والطامعة فى السيطرة على العالم الإسلامى تعمل على تقويض الاستقرار الاقتصادى والسياسى والاجتماعى وخلق جو من عدم الثقة بين المسلمين والعرب لمنع أى تكتل باسم العروبة أو باسم الإسلام وإذكاء العداوة بين الشعوب العربية وحكوماتها . وتقوم مخططات الاستعمار على محاولة إبطال مفعول الوجدان الدينى والقولى والخلقى ، وإعلان شأن المفاهيم المادية وإطفاء مفاهيم الفكر والروح . ويعد الاستعمار مسئولا عن أنه أتاح الفرصة للصهيونية وللدعوات الإلحادية والإباحية والفلسفات المادية المختلفة ، عندما اعتمد الاستعمار على الأقليات المختلفة

لإدخال هذه المذاهب والفلسفات إلى قلب العالم الإسلامى . ولقد أعلن لورنس براون أن تخوف الغرب من كل خطر عالمى سواءٌ أكان الخطر اليهودى أم الخطر الأصفر أم الخطر البلشفى ليس شيئاً بالنسبة إلى ما يصفه بأنه الخطر الحقيقى الكامن فى نظام الإسلام وعلى قدرته على التوسع والإخضاع وفى حيويته بحسبانه أنه الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الأوربى .

(٢) التبشير

كان الاستعمار الزاحف على عالم الإسلام أن يركز على عملين أساسين :

(العمل الأول) : هو محاولة إقناع الرأى العام أن ما يقوم به الاستعمار هو عمل حضارى وإنسانى يهدف إلى ترقية البشرية باعتبار أن الجنس الأبيض هو صاحب الحضارة المسئول عن تمدين الأجناس الملونة . (العمل الثانى) : هو تحويل العقلية الإسلامية عن مفاهيمها الأساسية وإثارة الشبهات حول مقومات فكرها الإسلامى وذلك كمقدمة لتذويبها فى الفكر الغربى باعتباره هو الفكر العالمى المسيطر ؛ وبذلك يفقد العالم الإسلامى قيمته الأساسية ويستسلم للاحتواءِ الغربى ويسقط كفريسة ذليلة فى يده . وقد كان لابد لتنفيذ ذلك من إيجاد « جهاز فكرى » له مؤسسات منثورة فى مختلف أجزاءِ العالم الإسلامى ، هذا الجهاز هو « الإرساليات التبشيرية » التى كان لها دور عميق المدى فى خلق تيار جديد مؤمن بالفكر الغربى مدافع عنه لا يقف من الاستعمار موقف الخصومة بل موقف الولاءِ والتقدير ، عن طريق هذا الجيل الذى تخرج من مدارس الاستعمار ، وحمل لواءَ الكلمة عن طريق الصحافة والثقافة فى نفس الوقت الذى سيطر فيه الاستعمار على مناهج التعلم فى المدرسة الأجنبية والمدرسة الوطنية وفى الجامعات وفرض مفاهيمه فى محاولة للقضاءِ على إبراز مقومات الفكر الإسلامى وهو المقاومة للغاصب وفى سبيل إحلال مفهوم التقبل والرضى للنفوذ الاستعمارى باسم الحضارة والمدنية وباسم دعوى عريقة تقول بأن الأُمم المتأخرة والملونة لابد أن تتقبل الحضارة والثقافة الغربية تقبلا كاملا حتى تستطيع أن تنهض وأن تصبح متحضرة وأنتكون أهلا للتحرر من الاستعمار . ولقد أيد الاستعمار هذا النفوذ الجديد للتبشير المتمثل فى الإرساليات بمدارسها ومستشفياتها ومؤسساتها حتى أنها كلما عقدت عقداً مع أى دولة عربية أو إسلامية كانت تنص فى صلب المعاهدة على حماية هذه الإرساليات ودعمها وحتى أن بريطانيا لم تقبل إدخال العراق فى عصبة الأُمم إلا بقبولها حماية هذه الإرساليات والمؤسسات.

وقد كانت حركة التبشير من أكبر الأعمال التى اعتمد عليها الاستعمار فى تركيز وجوده وبقائه ، ليس فقط فى خلال فترة احتلاله لهذه الأقطار ، بل لإعداد ركائز تبقى بعد جلائه عن طريق أجيال تستقطب مفاهيمه وقيمه وتزيفها حتى تصبح حقائق أساسية لا سبيل إلى إنكارها ، وذلك بموالاة ترديدها ولها فرص متاحة من النشر والإذاعة فى مجالات الصحافة ومجالات التعليم بصوت عال ، فتنفذ إلى القلوب والعقول وتستقر فيها . من وراء حركة التبشير تقف مؤسسة الاستشراق التى هى المصنع الذى يعد الشبهات والطعون ويقدمها للعاملين فى حقل التبشير لنشرها والإذاعة بها . وهناك حقيقة يجب تقريرها أن هدف التبشير لم يكن فى أساسه تحويل المسلمين إلى أديان أخرى ، فقد تأكد للدعاة منذ أول الطريق استحالة ذلك ولكن الهدف الأكبر هو إخراج المسلمين من قيمهم ودينهم ومفاهيمه أساساً وبذلك يصبحون عجينة طيعة للتشكل وفق مفاهيم الفكر الغربى والاستعمار ولذلك فإن حركة التبشير هى أساساً حركة استعمارية لخدمة النفوذ الأجنبى وتأكيده وتعميقه . ولقد حمى التبشير وأذاع الدعوات الهدامة التى انتشرت فى العالم الإسلامى سواءُ منها ما يتصل بالإلحاد أو الإباحة أو الأحزاب المتصلة بالنفوذ الأجنبى ، مع تعميق الدعوات القديمة وابتعاثها كالفرعونية والفينيقية والبربرية وغيرها . أو تأريث الخلافات المذهبية فى الإسلام أو بين الإسلام والأديان الأخرى أو بين العرب والأجناس الإسلامية الأخرى . وكذلك الدعوة إلى العروبة فى مواجهة الروابط الإسلامية أو الدعوة إلى الإقليمية فى مواجهة الوحدة العربية . وكانت اللغة العربية والدين بصفة عامة والإسلام بصفة خاصة والتاريخ العربى الإسلامى هى أبرز أهداف الحرب التى أثارتها المؤسسات التبشيرية ، وهى حرب لا هوادة فيها باعتبارها الركائز الأساسية للمسلمين والعرب فهى لا تتوقف عن انتقاص مفاهيم الإسلام وإثارة الشبهات حولها وخلق دعوات تحمل لواء الإسلام وتتنكر لأهم مقوماته وهو « الجهاد » حيث تتجاوزه أو تقلل من أهميته أو تفسره تفسيراً خاطئاً ، وكذلك الطعن على اللغة العربية والحملة عليها ، بهدف إيقاف نموها وتغليب العامية عليها أو تغليب اللغات الإقليمية أو اللغات الأجنبية عليها ، حيث يعرف الاستعمار أن الفصحى تنمو بنمو الإسلام نفسه . وتتصل الحملات بالتاريخ والتراث فتثير حولها كثيراً من الشبهات والأكاذيب ، ولقد وضع المستشرقون والمبشرون كتباً متعددة حملوا فيها على الإسلام والعرب والمسلمين حملات ضارية رموهم فيها بكل نقيصة ،وأثاروا شبهات متعددة حول قيم الإسلام ومفاهيمه . وطعنوا على النبى محمد ، كما حملوا حملات شديدة

على القرآن والسنة النبوية وفى مقدمة هؤلاء مرجليوث وهانوتو وزويمر ولامنس وكرومر ولافيجرى ودنلوب وكان هدف هذه الحملات العمل على تغيير العقلية الاسلامية والقضاء على مقوماتها الأساسية ، فقد أجمعت خطط المبشرين ودراساتهم على أن الهدف من التبشير هو «إنشاء عقلية عامة تحتقر كل مقومات الفكر الاسلامى وإبعاد العناصر التى تمثل الاسلام عن مراكز التوجيه» وقد أشار واحد من مؤتمرات التبشير العالمية إلى أن السياسة الاستعمارية قد استطاعت أن تقضى على برامج التعليم فى المدارس الابتدائية حين أخرجت منها القرآن ثم تاريخ الاسلام وبذلك «أخرجت ناشئة مضطربة مادية الأغراض لا تؤمن بعقيدة ولا تعرف حقاً» وأشار إلى هذا مدير إحدى الجامعات التابعة للارساليات التبشيرية الكبرى حين قال : «إننا نراقب سير القرآن فى المدارس الاسلامية ونجد فيه الخطر الداهم ، إن القرآن وتاريخه هما الخطران العظيمان اللذان تخشاهما سياسة التبشير» ويرددون دائماً أنه إن عجزت إرساليات التبشير عن زحزحة العقيدة الاسلامية فى نفوس معتقديها فانها تستطيع أن تقضى لبانتها من من هدم الفكرة الاسلامية ببث الأفكار التى تتسرب مع اللغات الأوربية فتنشرها اللغات الانجليزية والألمانية والهولندية والفرنسية بتحلك الاسلام بصحف أوربا وبتمهيد السبيل لتقديم إسلامى مادى وبذلك تقضى الارساليات لبانتها من هدم الكفرة الدينية الاسلامية .

(٢) كانت الارساليات التبشيرية هى مقدمات الاستعمار وطوالعه الممهدة له ، فحيث مد النفوذ الأجنبى رواقه فى العالم الاسلامى كانت هذه البعثات هى القوى المتقدمة والطلائع المقدمة فمنذ أوائل القرن التاسع عشر تقريباً بدأت عملية الغزو التبشيرى فى بطء وأناة مترابطة بخطوط أخرى كأجهزة عاملة لتحقيق السيطرة الاستعمارية . ولقد وجدت قوى التبشير الطريق مفتوحاً وميسراً مع العوامل التى أعدها لها النفوذ الاستعمارى ، وأهمها الامتيازات الأجنبية ونفوذ القناصل وسيطرة الدول الأجنبية على كثير من الأمراء فى إيران كالشاه ناصر الدين فى إيران والخديو اسماعيل فى مصر وغيرهما ممن فتح لهم الغرب باب الاستدانة . ولما كانت الدولة العثمانية هى أكبر أهداف التبشير كمقدمة لتمزيقها وتوزيعها فقد ركزت القوى الاستعمارية بحملات تبشيرية انطلقت من مختلف الدول الأوربية وبعثات من دول فرنسا وانجلترا وألمانيا وإيرلندا والسويد والدنمرك والروس . وفى خارج الدولة العثمانية تركز الاستعمار فى فارس وأندونيسيا (جاوه) والهند الاسلامية . ولما كان المخطط قد رسم أساساً للسيطرة فقد عمد النفوذ الاستعمارى أولا للقضاء على القوى الشابة الجديدة وفى مقدمتها

الحركة الوهابية فى الجزيرة العربية والنهضة المصرية التى قادها محمد على ، وكان أن أن حرض الاستعمار الدولة العثمانية على دفع إحدى القوتين للقضاء على الأخرى ، ثم تفرغ من بعد القوة الأخرى ، فكانت عملية التدخل العسكرى فى الشام عام ١٨٤٠ التى مزقت الوحدة التى كونها إبراهيم ، وبذلك أهلت سوريا لعملية من أخطر السيطرة الأجنبية فى صراع بين النفوذين الفرنسى والبريطانى مما دفع الدولتين إلى إثارة الصراع بين الطائفتين : الموارنة والدروز وقد أخذت فرنسا جانب الموارنة وأمدتهم بالأسلحة ، وفعلت بريطانيا مثل ذلك بالنسبة للدروز ومهد ذلك للصدام الذى وقع بتحريض الدولتين عام ١٨٦٠ وكان ذلك مقدمة للخطة التى أعدتها الدول الأجنبية من اتخاذها لبنان رأس جسر لنفوذها فى الشرق كله وذلك بوضع نظام يكفل للبنان نظاماً خاصاً ، وحاكماً فى حماية الدول الأوربية ، وفى ظل هذا الوضع الذى أهل لبنان لتكون منطلقاً للغزو الاستعمارى سياسياً وثقافياً بدأت الارساليات التبشيرية تصل إليها وتعمل فى حرية مطلقة وتتخذ منها حقلا لكل مخططات النفوذ الأجنبي وفى مقدمته . ١ — القضاء على الرابطة الاسلامية الجامعة للمسلمين فى العالم كله . ٢ — إعداد خطط الفصل والوقيعة بين العرب والترك . ٣ — إعداد خطط الفتن والخلاف بين المسلمين وغير المسلمين والعرب . ٤ — تمكين الصهيونية من السيطرة على فلسطين . ٥ — ٥ — تخريج طبقة مثقفة تفتح أمامها وسائل الحكم والسلطان فى مختلف أجزاء العالم العربى ، وكانت بيدها المدارس الأجنبية وإرساليات التبشير فى مختلف صورها ، من معاهدوجامعات ، وقد احتضنت لبنان نفوذ فرنسا وأمريكا ، فى نفس الوقت الذى تقدمت كل دولة من ذات المطامع إلى الدولة العثمانية معلنة نفسها حامية لطائفة معينة : فالفرنسيين لحماية الكاثوليك والبريطانيين لحماية البروتستانت والروس لحماية الأرثوذكس وهكذا بدأ الغزوالاستعمارى للعالم الاسلامى باسم العلم ورصدت لذلك الميزانيات الضخمة ، وكان لهذه البعثات أثرها الهام فى حل المسألة الشرقية — على النحو الذى أراده الغرب — كما اعترف بذلك كبار السياسيين وكان لها دورها فى تمزيق الوحدة السياسية التى ظلت قائمة بين الترك والعرب خمسة قرون. ففى المرحلة الأولى حملوا لواء الدعوة إلى العروبة وتدريس اللغة العربية والالحاح على الحرية ومقاومة الاستعمار كوسائل مرحلية حتى سقط السلطان عبد الحميد وتسلمت حكم الدولة العثمانية جماعة الاتحاديين ثمرة الارساليات والنفوذ الاستعمارى ، وهنا تحول اتجاه هذه المؤسسات والجامعات من الدعوة إلى العروبة وحماية اللغة العربية إلى اتخاذ اللغات الأجنبية أساساً للتدريس مع الحملة على الوحدة العربية واللغة العربية وتغليب العامية والحروف اللاتينية

عليها وطبع التعليم طبعاً علمانياً خالصاً . ومن الحق أن يقال إن النفوذ الاستعماري قد اختار في الدولة العثمانية ثلاث مناطق من أخطر المراكز الأساسية لعمله — الأولى : (لبنان) والثانية (مصر) والثالثة (سالونيك) في تركيا ، وقد قامت كل منها بدور ضخم ، أما لبنان فقد غطت منطقة الشام جميعاً والعراق أما مصر فقد كانت تمثل القيادة الفكرية للعالم العربي كله ولذلك فقد جاء التركيز عليها في مجالات التعليم والثقافة والصحافة عاملاً أساسياً في إعداد خطط النفوذ الاستعماري في العالم العربي بل الاسلامي كله ، أما سالونيك فقد كانت مقر المخطط التبشيري والاستعماري الذي خلق القوة التي صارعت الخلافة والدولة العثمانية وقضت عليهما نهائياً . وقد اعتبر المبشرون عام ١٩٠٨ من الأعوام الحاسمة في حركة التبشير في العالم الاسلامي كله وإن الانقلاب الذي قاده الاتحاديون الذي أنهى حكم السلطان عبد الحميد هو عمل بعيد الأثر في توسيع حركة التبشير في الدولة العثمانية كلها فقد أصبح تجول المبشرين في البلاد العثمانية والعربية والفارسية غير ممنوع ، وكانت السلطة السياسية على أكثر المسلمين قد انتقلت من يد الخلافة الاسلامية إلى يد انجلترا وفرنسا وروسيا وهولنده ، كما أصبح بيع كتب التبشير مباحاً بسبب حرية النشر التي أعطاها الدستور العثماني . وقد عقدت الهيئات التبشيرية عدداً من المؤتمرات منذ عام ١٩٠٦ عندما عقد المؤتمر التبشيري الأول بمنزل أحمد عرابي في باب اللوق في القاهرة (تحدياً واستفزازاً) . ثم عقدت مؤتمرات في أدنبرة عام ١٩١١ وبيروت ١٩١١ ولكنو بالهند ١٩١٣ ، وفي القدس وبرمانا (لبنان) وقسنطينه في الجزائر وحلوان في مصر عام ١٩١٤ وفي القدس ١٩٢٨ وفي تونس عام ١٩٣٢ وفي القدس عام ١٩٣٥ . وقد شهد هذه المؤتمرات عديد من كبار الساسة وكثير من المستشرقين والكتاب المبشرين وبلغ عدد الهيئات التي اشتركت في كل مؤتمر أكثر من مائة من أربعين دولة . وكان التركيز على فلسطين واضحاً في عقد مؤتمرات الارساليات التبشيرية بها وتنافسها مع قوى الاستعمار والصهيونية وهو ما أطلق عليه « إعداد الفريسة للالتهام » وهو ما تحقق بعد ذلك . وكانت هذه المؤتمرات تحاول أن تكشف الطريق للهيئات التبشيرية مرحلة بعد مرحلة ، حتى أنهم أطلقوا على حملتهم « فتح العالم الاسلامي » في وجه الثقافة الغربية بحسبانه أصبح عالماً ممزقاً مغلوباً على أمره تسيطر عليه حكومات الانتداب أو حكومات لها ولاية للنفوذ الاستعماري وفي ظل النفوذ الفرنسي والبريطاني والهولندي لأغلب أجزاء العالم الاسلامي . وقد أولت هذه المؤتمرات دراسات واسعة لعملها في المجالات الثلاث

١ — المدرسة. ٢ — المستشفى. ٣ — الصحيفة والكتاب. وكانت دائماً تعد أساليبها بما يحقق الغاية وفق ما تسفر عنه المرحلة السابقة وكانت هذه المؤتمرات تذكر دائماً بما فى أيديها من قوى : (أولا) معاهدة فرساى التى نصت فى المادة ٤٣٨ على جواز التبشير فى سورية. (ثانياً) الامتيازات الأجنبية فى الدولة العثمانية ومصر (ثالثاً) الوضع الخاص الذى فرضه النفوذ الأجنبى على لبنان منذ عام ١٨٦٠ وقد وصلت هذه المؤتمرات إلى خطط محددة أهمها أن التعليم هو أنجح الخطط فى تحقيق الأهداف، وذلك بوضع الشباب المسلم العربى تحت تأثير التعليم (الغربى المسيحى) وأن يشمل هذا التأثير أولئك الذين سيصبحون يوماً قادة أوطانهم. كما عمدت هذه المؤتمرات إلى دعم المخططات الفرعية وفى مقدمتها دعوات الفرعونية فى مصر والبربرية فى المغرب والبحر المتوسط فى سوريا والفينيقية فى لبنان، وتنشيط دعوات القاديانية والبهائية والانتفاع بنشاط المحافل الماسونية والسيطرة على الصحف والأندية والجمعيات. غير أن أكبر خطوة للتبشير فى العصر الحديث إنما تتمثل فى عقد معاهدة لتران التى عقدتها الحكومة الايطالية مع الفاتيكان. والمعروف أن خطوات التبشير فى العالم الاسلامى قد تلاحقت منذ مطلع القرن الثامن عشر غير أن خطواتها الضخمة قد تمت فى فترة ما بين الحربين، هذه الفترة التى يطلق عليها فترة «إنضاج» الثمار التى سيكون لها الصدارة فى مجالات القيادة السياسية والثقافية فى العالم الاسلامى كله، ولذلك فقد حرص الاستعمار أن يبقى فى هذه المرحلة حارساً لهذه المؤسسات ومدعماً لها حتى تتم مهمتها وتركز أقدامها بحيث يصبح من المستحيل بعد ذلك إجلاءها عن قواعدها. أما معاهدة تاليران التى عقدت بين الفاتيكان والدولة الايطالية فقد حققت أن تستولى الفاتيكان بمقتضاها من الحكومة الايطالية على (٧٥٠ مليون ليرة إيطالية) كتعويض عن حقوقها المالية التى توقفت منذ عام ١٨٧١ عندما وقع الخلاف بينهما. وكذلك على ربح قدره خمسة فى المائة لقرض إسمى قدره ثلاثة مليارات ليرة تصدره الحكومة الايطالية. (اقرأ التفاصيل فى كتابنا : **مخططات التبشير**) وقد نشرت تصريحات أثر ذلك أعلنت أن القسم الأكبر من هذه الأموال ستصرف فى تقوية البعثات التشيرية فى المشرق وأفريقيا. وتوقع الكثيرون أنه لن يمضى وقت طويل حتى تبدأ غزوة جديدة للتبشير فى العالم الاسلامى، وقد حدث ذلك فعلا سنوات ١٩٣٢ و١٩٣٣ فى مصر عندما هزتها حركة تبشيرية ضخمة كان لها أثرها البعيد المدى فى مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والفكرية. وقد بلغ من أهمية هذه المعاهدة أن وصفها الأمير شكيب أرسلان

بأنها من أعظم الحوادث التأريخية فى هذا العصر . وقد استتبع ذلك أن أعلن الفاتيكان عن إنشاء معهد خاص لدراسة الفقه الاسلامى والعقيدة الاسلامية وذلك حتى يمكن المبشرين من مهاجمة الاسلام فى بلاده (وقد ركز التبشر تركيزاً كبيراً على مصر بعد انتهاء الحرب الأولى سنة ١٩١٨ لأمرين : (الأول) أن مصر هى مركز التقل فى العالم العربى كله وكل ما يثار فيها من تيارات إنما يكون عاملا هاماً للتأثير على مختلف الأجزاء . (الثانى) إن المرحلة الأولى فى مصر قبل الحرب عن طريق ثمار الإرساليات التبشيرية الأولى قد آتت أكلها عن طريق الصحافة والتى أبرزت ألمع نجومها من الصحفيين الغربى النزعة خريجى هذه الكليات من زيدان إلى صروف إلى فرج أنطون إلى سركيس إلى شبلى شميل بالإضافة إلى الصحفيين الذين عملوا فى فرنسا وبريطانيا . ولذلك فقد اجتاحت فى أوائل الثلاثينات مصر والسودان حملة تبشيرية ضخمة عن طريق بعض المعاهد الكبرى للارساليات وبعض مستشفياتها ، ولم تلبث الحركات العنيفة أن كشفت عن أحداث خطيرة تمثلت فى إغراء بعض الشباب والفتيات المسلمين عن طريق التنويم المغناطيسي على ترك دينهم وفى خلال هذه المعركة اندفع المبشر «زويمر» فاقتحم الجامع الأزهر ووزع منشوراته بها وتألفت على أثر ذلك جمعية الدفاع عن الاسلام من صفوة العلماء والكتاب ، وأهدت النصح إلى المصريين بسحب أبنائهم من المعاهد التبشيرية ودعت إلى انشاء معاهد ومدارس لفقراء المسلمين . وقد رافقت هذه الحركة فى مصر والسودان حركات مماثلة فى تونس والجزائر والمغرب أهمها حركة الظهير البربرى فى المغرب وحركة التجنيس فى تونس وحركة الادماج فى الجزائر . وقد اهتدت الحركة فى هذا بتقارير اللورد كرومر عن التبشير ، الذى وجه أنظار المؤسسات التبشيرية إلى العمل فى جنوب السودان حيث الميدان خصيب وبكر ، وقد نفذت الحكومة السودانية الخطة بدقة فأوجدت فاصلا بين الشمال والجنوب وأطلقت على تلك الأجزاء «المناطق المقفلة» وحالت بين المسلمين الشماليين وبين الجنوب كما استقدم لهذه المناطق كثير من المبشرين وجرت محاولات تجنيس التونسيين بالجنسية الفرنسية ، وفى المغرب صدر الظهير البربرى عام ١٩٣٠ الذى استهدف إخراج القبائل البربرية المسلمة من حظيرة الشريعة الاسلامية وإلغاء العلوم التى تعلم باللغة العربية فى مناطق القبائل ، والعمل على فصل البربر المسلمين عن العرب ووضع أنظمة خاصة بهم فى القضاء والتعلم مستمدة من قوانينهم العرفية القديمة . وفى مصر وعديد من بلاد الشرق اقتحم دعاة (البهائية) المجال وبشروا علناً وكتبوا فى الصحف وأقاموا

محافلهم وكذلك اندفع دعاة القاديانية فى الهند الاسلامية وغيرها . وفى قلب أفريقيا تدفقت مختلف البعثات التبشيرية الكاثوليكية واليسوعية والبروتستانية : من السويد وانجلترا وألمانيا ، وكانت خطة (ولفنجستون) هى دليل العمل قال «إن نهاية الاكتشاف الجغرافى هى بداية العمل التبشيرى » وفى الهند ركز النفوذ الاستعمارى البريطانى على الهند وأفسح للبعثات التبشيرية فيها منطلقاً واسعاً ، فقد وفد المبشرون إلى الهند قبل وصول بريطانيا وفى ظل النفوذ البريطانى المتزايد أنشأ المبشرون فى مختلف بلاد الهند المدارس والكليات والمستشفيات وأسسوا مراكز التبشير وترجموا التوراة إلى معظم لغات الهند ووزعوا منها الملايين من النسخ . ونفذت البعثات التشيرية منذ وقت مبكر إلى فارس والأناضول والاستانة التى صارت منذ ١٨٤٦ مركزاً عاماً آمناً لأعمال المبشرين ، وفى الملايو توزعت البعثات التبشيرية وشغلت مختلف الأنحاء وأولت هذه البعثات اهتمامها للساحل الشرقى من الجزيرة وإلى جاوه وسومطرا وفى الصين بدأت بعثات التبشير عام ١٨١٣ حيث انتشر المبشرون والأطباء التابعون لهم فى مختلف المدن . وأولت حركة التبشير (الجزيرة العربية) اهتمامها الواسع جرياً على ما قاله وليم جيفورد بالكراف : متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب حينئذ نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة التى لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه » .

ولذلك فقد ركز التبشير على الجزيرة العربية وطمع فى الوصول إلى مختلف أجزائها وقد استغل وجوده فى البحرين وفى عدن لهذا العمل ، كما وصلت بعثاته إلى البصرة والشيخ عثمان واتخذ المبشرون من أطراف جزيرة العرب مراكز تمهد لهم سبيل التوغل داخل الجزيرة . كما أذاعت بعثات التبشير نداءاً حاراً عام ١٩٢٧ إلى مراكزها فى أوربا تناشدها إرسال مبشرين إلى بلادالعرب حيت تشتد الحاجة إلى مائة مبشر . ومنذ وقت بعيد عمد التبشير إلى العمل فى المملكة الفارسية (إيران) وكان التعليم التبشيرى هو أبرز هذه المعالم فقد أنشأت الارساليات مدارسها عام ١٨٨٢ فى مختلف مدن إيران (طهران ، ميناء بهلوى ، كرماشاء ، تبريز ، همدان) وقد تم لهم شراء أراضى شاسعة خارج مدينة طهران حيث جرى العمل على إنشاء كلية ضخمة افتتحت عام ١٩٢٨ . وفى العراق تنافست بعثات التشهير الكاثوليكية والبروتستانتية منذ منذ وقت بعيد ، واستغلت هذه البعثات جماعات النساطرةللايقاع بينهم وبين المسلمين والعرب وإيجاد فتن وملاحم دموية على نفس النسق الذى اتخذه النفوذ الاستعمارى فى لبنان بين الدروز والموارنة . وفى أندونيسيا غزا التبشير الجزر الألف وأعانته

حكومة هولندا المسيطرة على مقدرات البلاد وأفسحت مجال الارساليات ، وأعمال التبشير الأخرى عن طريق المستشفيات والانقضاض على الطلاب والشبان وقد واجه المسلمون أعمال المبشرين فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى بالكشف عن مخططاته وإقامة الجمعيات الوطنية وإنشاء المدارس الأهلية والرد على الشبهات فى مجتمعاتهم وصحفهم بالرغم من نفوذ الاستعمار الغاصب المؤيد للتبشير وقد أشار إلى ذلك الدكتور سنوك هرجرنجة حين قال : لا أعتقد أبداً أن الاسلام يسقط أمام النصرانية لأن المسلم محتاط أشد الاحتياط لمقاومة النفوذ الغربى المسيحى وهو يرى أن النصرانية شيء مضى وأن تدينه بها هو خطوة إلى الوراء ، زد على ذلك أن الاسلام يربح تابعين له من الوثنيين ، فالذى يصير مسلماً لا يطلب منه شيء كثير ، إذ لا يوجد تقديس ولا طقوس دينية ولا تعليم طويل ، فكل ما يطلب منه أن يعترف بالله ، وعندما يصير مسلماً يتغير مركزه الاجتماعى ولكنه إذا تنصر فإنه يبقى دون غيره ويظل المرسل الدينى غريباً متنحياً عنه » . وغاية القول فى مخططات التبشير أنها بعد أن انكشفت أوراقها فى أوائل الأربعينات قد حاولت أن تغير جلدها ، وأن تتحول عن أساليبها الأولى إلى أساليب جديدة أشد خفاءاً ومكراً وربما لم تعد مظاهرها تبدو على السطح ، وهذا مما يؤكد خطورة العمل التشيرى الذى تحول الآن إلى أيدى عدد من أبناء البلاد الاسلامية من أتباعه وتلاميذه ، ويمكن أن يقال أن أخطر تحول فى طريق التبشير إنما أدى إلى دعم حركة التغريب وحركة الشعوبية معاً . أما وجود الخطر التشيرى فهو قائم ، وأما عمله فهو مستمر لم يتوقف ، وطالما يطمع الاستعمار فى البقاء الطويل فإن عليه أن يقضى على عوامل القوة والمقاومة فى العالم الاسلامى ، ولما كان المسلمون والعرب يستمدون عوامل قوتهم ومقاومتهم من أسس فكرهم الاسلامى العربى فإنه يعمل دوماً لتحريف هذه الأسس وإثارة الشبهات حول هذه القيم والمفاهيم والحقيقة التى يجب أن تكون ماثلة فى كل عقل ونفس ، هى أن النفوذ الاستعمارى الذى ما تزال مصالحه قائمة فى العالم الاسلامى والأمة العربية إنما يريد استبقاء هذا النفوذ عن طريق تغريب الثقافة العربية والفكر الاسلامى وسلخ مقوماتها وإضفاء مقومات الفكر الغربى والثقافة الغربية عليهما بحيث ينتزع من هذه الأمة مقدرتها النفسية والعقلية على مقاومته أو معارضته أو التخلف منه وإحلال روح من التقبل له والتشبع به والصداقة معه والدفاع عنه بل والإعجاب به ، هذه الروح تحمل فى طياتها أيضاً الغض من شأن التراث الاسلامى واللغة العربية الاسلامية والشريعة وإثارة الشبهات والاتهامات حولها جميعها وهذا هو الذى تقوم به البعثات التبشيرية به وإن غيرت جلدها .

(٣) الصهيونية

تمثل الصهيونية بدءاً جديداً للاستعمار والغزو الغربى المتطلع إلى السيطرة والنفوذ فى العالم الاسلامى ، وهى بمخططاتها تمثل كياناً مستقلا من كيانات القوى الغازية ، وهى بتعاونها مع القوى الاستعمارية منبعثة منها أصلا تشكل اتحاداً مع النفوذ الاستعمارى الغربى . والصهيونية حركة يهودية قام بها أصحابها فى مواجهة التحديات والأخطار التى واجهت اليهود فى أوربا والاضطهاد الذى واجهود فى أجزاء كثيرة منها وكان تطلع هذه الحركة إلى إيجاد وطن قومى فى أى بقعة من بقاع العالم للإقامة فيه والهجرة إليه . وقد وجدت هذه الحركة تقبلا من النفوذ الاستعمارى نفسه ، من ناحية لتكون عاملا معاوناً بخلق استعمار استيطانى ، ومن ناحية أخرى كان متقبلا من الغربيين للتخلص من النفوذ اليهودى باخراجه من أوربا . وكان الاستعمار الانجليزى قد فكر وقدر فى محاولة إقرار وجوده فى العالم الاسلامى حين قرر عام ١٩٠٧ إلى أن إيجاد حاجز بشرى بين أفريقيا وآسيا من شأنه أن يحول دون وحده هـذا العالم وتجمعه ، وقد تلقفت الصهيونية هذا القرار وطمعت فى أن تحقق وجودها بالحصول على أرض فلسطين لتكون مقراً للدولة الصهيونية . وقد عمدت بريطانيا فى تبنى مخطط وطن قومى فى فلسطين تمهيداً لإقامة دولة صهيونية إلى تحقيق عدة مزايا كان أهمها تغطية قناة السويس من الناحية الشرقية وحمايتها ضد حركات التحرر العربية ، فضلا عن كسب النفوذ اليهودى فى العالم كله ، غير أن الصهيونية لم تلبث حين تقرر الاتفاق بينها وبين الاستعمار على تحقيق مخطط السيطرة على فلسطين أن أعلنت فلسفة مستمدة من الأساطير تتمثل فى العودة إلى فلسطين ويتصل ذلك بوجود اليهود فى فلسطين قبل ثلاثة عشر يوماً وحاولت الصهيونية أن تجعل من دخول اللورد النبى إلى فلسطين ١٩١٨ وسيطرة الاستعمار على القدس مقدمة لسيطرتهم عليها وحاولت أن تجعل من بعض النصوص القديمة وسيلة لكسب المسيحية إلى صفها . وعمدت الصهيونية إلى وضع مخطط واسع فى سبيل إكساب وجودهم فى فلسطين حقاً تاريخياً وذلك بالتزوير فى كتابات التاريخ وضع الموسوعات والكتب باللغات المختلفة وكذلك القصص المسرحية والسينمائية التى تحاول فرض نظريات جديدة قوامها القول بأن إسرائيل هو الشعب المختار الذى واجه الاضطهاد على مدى التاريخ وأن عظماء الفكر فى العالم وكبار المكتشفين والباحثين فى مختلف العلوم كانوا من اليهود وإعلاء شأن الجنس اليهودى والدعوة إلى السامية واعتبار كل من يقف فى وجه حركتهم هو من

أعداء السامية وقد استطاعت الصهيونية بوسائلها المختلفة وأساليبها الممتدة وسيطرتها على الأسواق المالية والتجارية وأجهزة الأعلام فى مختلف انحاء العالم من ترديد هذه الدعاوى وفرضها على الفكر العربى وتزييف جذور هذا الفكر نفسه بالهجوم على المسيحية . وكانت الحركة الماسونية قد سبقت الحركة اليهودية فى سبيل تحقيق هدف عريض تسعى له اليهودية العالمية وهو حكم العالم والسيطرة عليه وإقامة الامبراطورية الصهيونية كوريثة للحضارة الغربية والأنظمة الرأسمالية على السواء وقد تكشفت هذه المخططات من خلال ما تسرب إلى العالم الاسلامى من نصوص التلمود وما كشفت عنه بروتوكولات حكماء صهيون ويوميات هرتزل وعديد من الكتابات التى سمحت الصهيونية باذاعتها بعد الحرب العالمية الثانية وحاولت بها أن تكشف عن مخططاتها الخفية التى كانت سرية ومحاطة بقدر كبير من الكتمان . وظهر عدد من المفكرين الصهيونيين أمثال أميل لدوفيج الذى حمل لواء مهاجمة البطولة وتعريتها وإثبات أن جميع الابطال العالميين كانوا منحرفين وفرويد ودور كايم الذين حملا لواء العمل على تدمير الشخصية الانسانية فعمد فرويد إلى علم النفس محاولا إثبات أن الجنس واللذة والغريزة هى مصدر كل تصرفات الفرد وأعلن دور كايم عن أن نظام الأسرة ليس من الأنظمة الطبيعية وأن الأديان خرجت من الأرض ولم تنزل من السماء وتولى كثيرون غير هؤلاء دعم المخططات التى استهدفت القضاء على مقومات الدين والأخلاق والمثل العليا فى البشرية كلها تحقيقاً للمخطط الذى كشفت عنه بروتوكولات صهيون بالسيطرة على العالم بعد تدمير مقوماته . وتتصل بهذا حملات نيتشه وكير كجارد ورينان على المسيحية ورميها بأبشع الاتهامات ودعوات الوجودية والانحلال والعبث واللامعقول وغيرها من الدعوات التى تغمر البشرية الآن وتدفعها إلى أن تقع فريسة سائغة فى أيدى القوى الصهيونية العالمية وقد كشف كتابات كثيرة عن أبعاد المخطط الصهيونى فى محاربة المسيحية والاسلام واخضاع الشعوب المختلفة فى العالم وقد تكشفت فى السنوات الأخيرة الصلة الوثيقة بين النظريات التى حملت الطابع العلمى سنوات طويلة وبين التراث اليهودى الصهيونى ، بما يؤكد أن هذه النظريات وخاصة (التحليل النفسى) قد استقت من نفس المنبع الذى استقت منه الحركة الصهيونية طاقتها وتوجيهها وأن الحركتين سارتا معاً لكى تصلا آخر الأمر إلى غاية واحدة : هى الالتقاء بشعب الله المختار فى أرض الميعاد وفى يقينى أن الكشف سيؤدى إلى مثل هذا بالنسبة للوجودية وغيرها من الدعوات . وقد قال الدكتور صبرى جرجس : إن التحليل

النفسى الذى ابتدعه فرويد مع ظهور الحركة الصهيونية منذ سبعين سنة لم يكن علماً مجرداً كما زعم ، ولكنه وثيق الصلة فى جوانبه المرضية والحضارية معاً بالتفكير اليهودى الصيهيونى للذى ظهر فى التراث منذ عهد التوراة وما بعدها . وإنه من أجل ذلك سخرت الصهيونية اليهودية أجهزتها الإعلامية والدعائية لنشر مفاهيمه والدعوة له فى أوسع نطاق مستطاع حتى أصبحت الفرويدية من أقوى العوامل أثراً فى التوجيه الفكرى والخلقى لعالم الغرب ، وقد ثبت أن فرويد كان يهودياً حقاً وعضواً عاملا فى بعض المنظمات وصديقاً شخصياً لهرتزل ، وأن العلاقة العضوية والمصلحية والمصيرية بين اليهودية والصهيونية والاستعمار الإمبريالى من ناحية وبينها وبين التحليل النفسى الفرويدى من ناحية أخرى قد جعلت من الحركات الثلاث ثالوثاً قوامه العنصرية وروح الاستعلاء ووسيلة الإفساد وهدفه الاستغلال ويشكل تحدياً يواجه البشرية ومستقبلها » .

(٢) الصهيونية واجهة المطامع اليهودية العالمية

فى عام ١٨٩٧ أجمع المؤتمر الصهيونى الأول فى مدينة بال بسويسرا برئاسة دكتور تيودور هرتزل مؤلف كتاب « الدولة اليهودية » وبذلك انتقلت الحركة اليهودية العالمية إلى مرحلتها الثانية وقد اتجهت الحركة الصهيونية إلى العمل الفورى من أجل تحقيق هدفها فركزت على العمل فى الدولة العثمانية عن طريق المحافل الماسونية التى كانت بؤرتها « مدينة سالونيك » حيث توجد جالية (الدونمة) المعروفة من اليهود الذين هاجروا من الأندلس بعد الاضطهاد وأعلنوا إسلامهم وأقاموا فى هذا الموقع الخطير . ومن خلال المحافل الماسونية تأسيس حزب الاتحاد والترقى الذى سيطر عليه اليهود وحولوه إلى هدفهم الرامى إلى تنكيس الدولة العثمانية وتمزيقها وإيقاع الخلاف الدموى بين عنصريها العرب والترك . ومن ناحية أخرى فقد توجه الصهيونيون مرتين إلى السلطان عبد الحميد بمشروع قوامه السماح لهم بالإقامة فى فلسطين فى مقابل دعم الدولة مالياً بقرض قدره خمسون مليوناً من الجنيهات وقد رفض السلطان هذا العرض صراحة حين قال : « انصحوا الدكتور هرتزل بألا يتخذ خطوات جديدة فى هذا الموضوع ، أنى لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض فهى ليست ملك يمينى بل ملك شعبى ، لقد ناضل شعبى فى سبيل هذه الأرض ورواها بدمه فليحتفظ اليهود بملايينهم وإذا مزقت امبراطوريتى فلعلهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن ولكن يجب أن

لا يبدأ هذا التمزيق فى جثثنا فإنى لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة ». كان هذا العرض فى الأغلب حوالى عام ١٩٠٢ مقدمة لإسقاط الخليفة عام ١٩٠٩ بعد انقلاب الاتحاديين عام ١٩٠٨ ، هذا الانقلاب الذى هلل له المسلمون جميعاً ظناً منهم أنه فاتحة التحرر بالدستور الذى أعلن فى أوائل حكم الاتحاديين . ويكفى فى الكشف عن هذه الصفحة أن ننشر ما نقلته مجلة المشرق اليسوعية عام ١٨٩٥ عن مجلة الكلمة عن علاقة اليهود بدستور المملكة العثمانية كاشفاً عن نفوذ اليهود فى تركيا منذ إعلان الدستور ، قالت نقلا عن مجلة الكلمة . « إن الدستور العثمانى ككل دستور آخر خطته يد الماسونية (يقصد دستور الثورة الفرنسية « حرية . إخاء . مساواة » قد منح اليهود حق المساواة ، فلم يلبث اليهود فى تركيا أن أخذوا يظهرون لدى الملأ ماذا يعنون بهذه المساواة ، فقبل كل شىء انسلوا إلى أعلى الوظائف فى المملكة ، ثم لم يمض وقت طويل حتى ظهر أن مديرى دفة جمعية تركيا الفتاة (المنبثقة عن حزب الاتحاد والترقى) هم يهود ، أما الحاخام باشى أو رئيس الحاخامات فى الأستانة ففى يوم الاحتفال بمرور سنة على إعلان الدستور فى المملكة العثمانية أخذ من شدة

فرحه بالحرية الدستورية وعظم تعصبه للنصرانية أخذ يدوس برجليه أوراقاً منتزعة من الكتاب المقدس ، وبوجه الإجمال فإن إعلان الدستور فى تركيا قد ملأ قلوب بنى إسرائيل أجمعين فرحاً عظيما بهذا المقدار حتى أنهم أصبحوا كالسكارى لا هم لهم إلا الانتقام فى السر والجهر من أخوتهم النصارى ، فأخذوا بواسطة أعوانهم لدى الباب العالى ينشرون كامن البغض بين الأتراك المسلمين وبين سائر الشعوب المسيحية فى المملكة العثمانية وكلما رأوا نيران هذا البغض بين الطرفين تكاد أن تخمد أوارها بادروا وزادوها وقوداً : ومما يؤيد لنا هذه الحقيقة هو أن جريدة التيمس الإنجليزية إحدى الجرائد المشهورة بممالأتهم لليهود واليهودية ، رأت من واجبها أن تذكر اليهود بالدور الذى كانوا يلعبونه دوماً فى تهييج الإسلام ضد النصارى وباشتراكهم مع الأولين فى ذبح الآخرين ، وكفى مذابح سوريا ومذابح الأستانة ، ولا سيما مذابح أدنة ونواحيها ، وتذكرهم – أى جريدة التيمس – بما استفاده اليهود من وراء هذه المذابح الأخيرة وهو أن أراضى الذين ذبحوا أو هربوا من الأرض قد استملكها أحد اليهود المسيحيين جاريل وأسكنها يهودا من روسيا وأشارت الجريدة إلى أن جمعية تركيا الفتاة التى أحست من جراء استسلامها للنفوذ الأجنبى مكروهة فى أكثر أنحاء المملكة العثمانية وهذا ماجعل جريدة التيمس الإنجليزية تبادر إلى تحذير اليهود فى كل مكان ولا سيما فى تركيا من وخامة

عواقب استعجالهم فى التظاهر بأمانيهم اليهودية » ا . هـ . فى هذه المرحلة تحالفت الصهيونية مع الاستعمار بفلسفة واضحة مخططة قوامها استعادة بناء هيكل سليمان . ووجد الاستعمار فى المخطط الصهيونى عاملا هاماً فى طريق تحقيق وجوده وضغطه على العالم الإسلامى وذلك بإقامة احتلال استيطانى أخطر أثراً من الاحتلال العسكرى والسياسى ، فى بقعة من أدق بقاع العالم الإسلامى قلب الأمة العربية : فلسطين ، ولذلك فقد بدأ تحرك النفوذ الأجنبى وقوامه (فرنسا وانجلترا وروسيا) مع الحركة الصهيونية فى سبيل تمزيق الوحدة الإسلامية الكبرى (العربية التركية) الممثلة فى واجهة المقاومة : الدولة العثمانية . وكان الاتحاديون ثمرة المحافل الماسونية فى سالونيك أخطر قوة فى سبيل تحقيق هذه الغاية فى الفترة منذ إسقاط عبد الحميد عام ١٩٠٩ إلى انتهاء الحرب العالمية الأولى عام ١٩٠٨ حين أمكن التمهيد الكامل لصدور وعد بلفور وبدء إقامة كيان صهيونى يهودى فى قلب فلسطين . فقد بدأت الصهيونية فى حملتها مع الدول العثمانية إلى الإغراء فالتآمر ثم استغلت قوة داخلية تركية أساسية لهدم الدولة ، بعد أن أزاحت السلطان عبد الحميد الذى استطاعت الصهيونية العالمية بالاشتراك مع الاستعمار أن ترميه بكل نقيضة فى محاولة إظهاره للمسلمين فى أبشع صورة ، بعد أن استطاع خلال أربعين عاماً أن يشغل أوربا بمشاكلها الخاصة وأن يحبط مؤامرتها وذلك برفع لواء الوحدة الإسلامية وقد حاول سفير بلغاريا فى الآستانة أن يؤلب الدول الأوربية على عبد الحميد حين قال إنه من طراز السلطان محمد الفاتح الذى سبق له أن طرق بجيوشه أبواب أوربا وأن عبد الحميد يهدف إلى إعادة عظمة الدولة وإعادة مجد المسلمين ، فعليكم تناسى خلافاتكم ومعرفة أى شخصية تواجهون . والمعروف فى هذا الصدد أن السلطان عبد الحميد حين رفع علم الجامعة الإسلامية واستقدم جمال الدين الأفغانى إنما كان يحاول أن يتخذ خطة غاية فى القوة والبراعة لولا أن عجل النفوذ الاستعمارى والصهيونية بالقضاء عليه ، كانت خطته هى محاولة تعريب الخلافة وإيجاد الكيان العربى فى قلب الدول الإسلامية نفسها ، وكان هذا هذا العمل من أخطر ما تنبه إليه الاتحاديون والماسونيون وخشو أثره لو تحقق والواقع أن عبد الحميد كان بسبيل إحياء سنة السلطان سليم بتعريب الديوان وجعل اللغة العربية : اللغة الرسمية للدولة ثم السعى لتعريب الخلافة نفسها وصرفها عن الأتراك المحدثين ويرجع ذلك فى نظر الكثيرين إلى أرومته العربية التى يرتبط بوشائجها عن أمة الهاشمية . والمعروف أن الدونما فى مدينة سالونيك المجاورة لليونان حيث مقر المحافل الماسونية ومراكز الاتحاديين .

كانت منطلق حركة خلع عبد الحميد ، كما انطلق فيها بعد ذلك بسنوات الذين حملوا لواء إلغاء الخلافة . وكان واحد من الثلاثة الذين حملوا للخليفة وثيقة التنازل هو أحد الذين حملوا إليه وثيقة الصهيونية فى القرض اليهودى نظير سياحة بدخول فلسطين وكان معنى هذا واضحاً أن الصهيونية قد استطاعت أن تزيل من طريقها أخطر عدو لها .

وكان تيودور هرتزل فى كتابه «الحل الصهيونى» الصادر عام ١٨٩٥ ثم فى المؤتمر الصيونى العالمى عام ١٨٩٧ قد رأى أن تكون فلسطين أرض الدولة اليهودية ، ثم عقد المؤتمر الصهيونى مرة أخرى عام ١٩٠٨ وأصر على أن تكون فلسطين أرض الميعاد هى مقر الدولة اليهودية . فلما تحقق الأنقلاب التركى انفتح باب الأمل أمام الصهيونية فى فلسطين ، وقد عاونت الماسونية الاتحاديين فى خلع السلطان عبد الحميد عن طريق خطة الزحف على العالم بقيادة ضابط مسلم عربى هو محمود شوكت ومعه عارف حكمه وقارصوه اليهودى وحين ولى الاتحاديون السلطان محمد رشاد كان نفوذ الاتحاديين والصهيونية والماسونية قد قرر كل شىء بالنسبة لتمزيق وحدة الأتراك والعرب عن طريق أخطر رجالهم : أحمد جمال الدين باشا . وقد أثبتت عشرات المصادر أن الماسونية كانوا يؤلفون القسم الأعظم من أفراد جمعية الاتحاد والترقى وإن كانت لهم اليد الطولى فيما أصاب الدولة ، ثم فى قيادة حركة الجامعة الطورانية وتتريك العناصر العربية وأنهم أبعدوا العناصر العربية عن جمعية الاتحاد تحرزاً من كشف مخططهم ، وكانت أخطر أعمالهم شنق الأحرار العرب لأيجاد خصومة دموية تقطع كل أمل فى الالتقاء بين العنصرين ، وإرغام الدولة العثمانية على دخول الحرب إلى جانب الألمان ، فلما انهزمت تركيا بانهزام الألمان تحقق كل شىء للنفوذ الاستعمارى واليهودى معاً : ١ - القضاء على الدولة العثمانية . ٢ - تقسيم الأجزاء العربية بين فرنسا وانجلترا . ٣ - صدور وعد بلفور باقامة الدولة الدولة اليهودية . ٤ - تحويل الدولة العثمانية إلى دولة تركية قومية علمانية معادية للاسلام واللغة العربية . ثم كان للماسونية الصهيونية بالاشتراك مع النفوذ الأجنبى ان تحقق أخطر خطوات تمزيق الوحدة الاسلامية وهى إسقاط الخلافة . فهم الذين حرضوا مصطفى كمال الذى تدل كثير من الدلائل على أنه كان من دونمة سالونيك وأنه كان من أخطر رجال الماسونية والاتحاديين ، ومما يذكر فى هذا الصدد أن معاهدة لوزان قد رافقها مقررات سرية كانت تحتم إسقاط الخلافة العثمانية وإلغاء وجه تركيا الإسلامى العربى (٣) ما هو الخطر الذى واجه العالم الاسلامى ويواجه نتيجة للحركة

الصهيونية وإنشاء إسرائيل فى فلسطين قلب الوطن العربى: الواقع أن الصهيونية كانت تحديا جديداً للعالم الاسلامى أصبح مع مرور الأيام أشد خطراً من الاستعمار نفسه ، بعد أن قطع المسلمون مراحل طويلة فى مقاومة الاستعمار نفسه والادالةمنه وتحقيق جانب من الانتصار عليه وهو إنهاء الاحتلال العسكرى من أغلب أجزاء العالم الاسلامى وإن بقى الاستعمار الاقتصادى والثقافى مسيطراً ولكنه فى طريق المواجهة والمقاومة . أما الاحتلال الصهيونى لفلسطين فقد أخذ صورة أكثر عنفاً من الاستعمار نفسه ، فهو استعمار استيطان من نوع أشد خطورة ، ففى بعض مناطق العالم الاسلامى عمد الاستعمار إلى تنفيذ الاستعمار الاستيطانى وذلكباستقدام مجموعات من الأجانب للاقامة فى الأوطان المستعمرة (كما فعل الاستعمار الفرنسى فى الجزائر) ولكن الاستعمار الصهيونى يختلف عن ذلك ويتميز بأنه كان أشد ضراوة لأنه طرد الشعب الأصيل ليحل هو محله . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أن الصهيونية عمدت إلى الإعلان عن مخطط واسع لبناء امبراطورية كبرى يجرى تنفيذها من النيل إلى الفرات ، مرت فى مراحل مختلفة كان فى مقدمتها وعد بلفور ١٩١٧ وإنشاء الدولة الإسرائيلية عام ١٩٤٧ متعدية الحدود التى رسمها قرار التقسيم الذى رفضه العرب ثم التوسع الجديد الذى وقع ١٩٦٧ بضم القدس والضفة الغربية وصحراء سيناء وهضبة الجولان . هذا هو الخطر الذى واجه العالم الاسلامى منذ خمسين عاماً ، وإن لم تؤثر تحدياته فى هذا الوطن كله إلا فى السنوات الأخيرة بعد سيطرة اليهود على القدس وانتزاعها من المسلمين والعرب بعد أكثر من ألف عام عندما انتزعها الصليبيون واستردها صلاح الدين ويبدو أن الخطر الصهيونى الذى كان يمثل تحدياً للأمة العربية وحدها إلى ما قبل ١٩٦٧ قد أصبح اليوم خطراً أشد ضراوة بالنسبة للعالم الاسلامى كله ، إذا ما وضعنا فى اعتبارنا التوسع الاقتصادى الذى تقوم به إسرائيل فى قلب أفريقيا وسيطرتها على بعض الدول الاسلامية وذلك عن طريق النفوذ الاستعمارى الذى يفسح لها المجال فى كل مكان وهذا هو مصدر الخطر الذى يواجه العالم الاسلامى ، حيث ينسحب الاستعمار التقليدى اليوم من مناطق كثيرة فى نفس الوقت الذى يتسع فيه نفوذ اسرائيل كبديل له أشد خطورة وأعمق أثراً ولقدكان الاستعمار يرى فى إسرائيل منذ إنشاها قاعدة لاستمرار سيطرته على العالم الاسلامى ، وكانت بريطانيا وأمريكا من بعدها ترى فى الصهيونية بديلا من الاستعمار الذى انتهى عهده ، ووسيلة لاستمرار رسالتها الاستعمارية والسيطرة الاقتصادية والثقافية على أخطر أجزاء العالم الاسلامى

ولا سيما منطقة قناة السويس الاستراتيجية والقدس التى يتمثل فيها نفوذ الأديان الثلاثة الاسلام والمسيحية واليهودية. وهذا ما عبر عنه السياسى البريطانى إميرى حين قال: «إن بريطانيا قد تأكد لديها أنه لن يحمى مصالحها فى الشرق الأوسط سوى إنشاء دولة صهيونية فى فلسطين» غير أننا إذا ألقينا نظرة عميقة على أثر الحركة الصهيونية وقيام إسرائيل فى العالم الاسلامى والأمة العربية نجد أن فلسطين كانت بؤرة الانتفاضة العربية الاسلامية. فهى فى مفهوم العرب والمسلمين الحملة الصليبية التاسعة على العالم الاسلامى أو امتداد لهذه الحملات لتحقيق أهدف بعيدة المدى أهمها: أن تكون مركزاً انقضاض للاستعمار على العالم العربى، وبها يتحقق بقاء التجزئة والاقليمية وعزل الجناح الأسيوى، وإبادة شعب فلسطين العربى والاستيلاء على أرضه وليس أدل على الترابط بين الحروب الصليبية والغزو الاستعمارى الحديث، والسيطرة على فلسطين من تصريح اللورد اللنبى الانجليزى الذى قال حين دخل القدس: اليوم انتهت الحروب الصليبية، وقول الجنرال غورو الفرنسى حين دخل دمشق: ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين - وبذلك جدد الاستعمار الرابطة بين وعد بلفور وبين الحروب الصليبية التى انتهت من ثمانمائة عام. وكان قيام إسرائيل فى قلب العالم الإسلامى والوطن العربى، مصدر صدمة خلفت يقظة عارمة حتى يمكن القول بأنها (بؤرة الانتفاضة) التى عرفها عصرنا الحديث، وقد أرادها الاستعمار مؤامرة للقضاء على الأمة العربية وتمزيقها وتحقيق ما عجز عنه فى الفترة التى بدأت منذ صراعه مع العرب ولقد حرصت بريطانيا أن تعد فلسطين لاقامة الدولة اليهودية منذ اليوم الأول لانتدابها، ولكن العرب لم يستسلموا بالسهولة التى كانوا يتصورونها، وقد سجل ذلك (وايزمان) فى مذكراته حين قال: إن المقاومة الفلسطينية العنيفة أخرت تنفيذ البرنامج اليهودى فى فلسطين إلى عام ١٩٤٨ بينما كان مقرراً أن يتحقق ذلك عام ١٩٣٤ على الأكثر». وبالرغم من أساليب العسف والضغط وحرق القرى الكاملة فانه فى خلال ثلاثين عاماً (١٩١٨ - ١٩٤٨) لم ينتزع من العرب إلا ٦ فى المائة من مجموع الأراضى وقد قام العرب فى فلسطين مقاومة فعالة باسلة طوال الفترة منذ صدور وعد بلفور حتى قيام إسرائيل بالغدر، دون توقف ولا تردد فى تقديم التضحية بالمال والدم. غير أن النفوذ الاستعمارى الحريص على قيام إسرائيل فى قلب العالم الاسلامى قد حقق هذا الهدف بالغدر والقوة، والأسلحة والخبراء، عندما أعلن مجلس الأمن قراره بتقسيم إسرائيل إلى دولتين عام ١٩٤٧ وعندما استولت إسرائيل على

على فلسطين كلها عام ١٩٤٨ . هنالك بدأت يقظة فكرية سياسية بعيدة المدى فى العالم العربى كله عمدت إلى تعمق هذا الخطر ومواجهته ، حيث علت كلمة القومية العربية وجرت خطوات إلى الوحدة ، وبدا أن المعركة مع الوجود الاسرائيلى هى معركة حياة أو موت ، غير أن الموقف قد زاد تعقيداً عندما أيد الاستعمار بكل قوته بقاء اسرائيل وعمل على دعمها وبعد أن ضعف نفوذ بريطانيا فى المنطقة استطاع نفوذ الولايات المتحدة الذى حل محلها أن يقوم بدور التأييد والدعم لاسرائيل ، وما تزال فلسطين والاحتلال الاسرائيلى والحركة الصهيونية من ورائها هى أخطر تحدى يواجه العالم الاسلامى والأمة العربية وما تزال فلسطين وبيت المقدس هى بؤرة الخطر الذى يدعو إلى التجمع والمواجهة .

(٤) الحركات الهدامة

ودعوات تغيير مفاهيم الإسلام

واجه العالم الاسلامى حركتين فكرتين : (أولى) هاتين الحركتين ، هى حركة اليقظة التى حمل لواءها دعاة التوحيد والسنوسية والمهدية وما حمل لوائه جمال الدين الأفغانى وعصبر نسكي والكواكبي وسيد أمير على وشبلى النعمانى والألوسى والمراغى واقبال ومحب الدين الخطيب وحسن البنا وحركة المنار والازهر والشبان والاخوان المسلمون فى مصر والمحمدية فى أندونيسيا وحركة العلماء وندوة العلماء فى الهند الاسلامية . هذه الحركة الاسلامية الأصيلة التى بدأت من نقطة «التوحيد» وعملت على بعث مفهوم الإسلام الصحيح ديناً ونظام مجتمع لا ينفصل والتى أحيت القيم الاسلامية فى الاجتماع والتشريع والسياسة والاقتصاد والتربية وجددت مفهومها على النحو الذى عرفه السلف الصالح مستمدة روحها من القرآن الكريم والسنة الصحيحة أصلا، هذه الحركة كان يمكن أن تصل إلى نتائج جد خطيرة فى بناء يقظة عالم عالم الإسلام فى دعوتها إلى الجامعة الاسلامية وربط الدين بالمجتمع ، وإقامة أنظمة متجددة عصرية فى مختلف المجالات لها قاعدتها وجذورها المستمدة من الإسلام أساساً ، لولا أن النفوذ الاستعمارى واجهها بحركة أخرى حد عنيفة وخطيرة أيدها بنفوذه السياسى والعسكرى وأتاح لها من المؤسسات والأساليب والقوى ما دفعها إلى مكان الصدارة فى الجامعة والمدرسة والصحافة والثقافة وساند دعاتها وأنصارها بأن أسند إليهم كبريات المناصب فى القيادات السياسية والفكرية والاجتماعية بينما عزل قيادات الحركة الإسلامية الأصيلة ونحاها وجمدها

فى الظل حتى لا تكون ذات فعالية ، ومع ذلك فقد ظلت حركة اليقظة الاسلامية المبعدة عن مكان الصدارة من النفوذ الاستعمارى أشد قوة بشعبتها وقد استطاعت بصحفها المتواضعة ومنابرها القليلة أن توقف نمو حركة التغريب والشعوبية وأن تقيد كل خطر من أخطارها وأن تهز الدنيا بصوتها فى مواجهة حركات الاستعمار التغريبية التى قصدبها إلى القضاء على الرأى العام الاسلامى فى مثل حركات التبشير فى مصر والسودان والتجنيس فى تونس والظهير البربرى فى المغرب ودعوات الفرعونية فى مصر والفينيقية فى لبنان والبربرية فى المغرب وبالرغم من أن الاستعمار استعان بعناصر الأقليات وقوى الطائفية على إقصاء المسلمين عن التعليم والثقافة والقيادة وتقديم غيرهم ، فقد استطاع المسلمون أن يواجهوا حركة الغزو الثقافى والاستعمار الفكرى والتغريب والشعوبية بقوة وأن يكشفوا حركاتها وأن يفضحوها فى كل خطوة ، وأن يحذروا منها جموع المسلمين ، وقد انكشفت خطط المستعمر إلى أسلوب جديد ودعوة جديدة وخداع جديد . أما الحركة الأخرى فكانت تمثل تحديات النفوذ الاستعمارى مجتمعة فى صورة دعوات اتصلت بالدين أو بالجنس أو بالقومية واستغلت نصوصاً قديمة انطوت صفحتها من أجل تعميق الخلافات وإثارة الشبهات وخلق أحزاب فكرية جديدة متضاربة بل وأيقظت خلافات قديمة كانت قد ماتت فعلا وذلك حتى تحول دون التقاء العالم الإسلامى على وحدة فكر . وكان أبرز هذه الحركات الهدامة : فى مجال الشعوبية والالحاد والاباحية والدهرية وأخطر هذه المؤسسات : الماسونية وارساليات التبشير وأخطر الدعوات البهائية ، ودعوات الاقليمية الضيقة ، والحركات ذات الطابع الاسلامى مظهراً والتى تحمل مفهوماً منحرفاً أو مضللاً كالقاديانية ، وكانت هناك قوى طابع أشد قوة وخطراً تحمل لواء مثل هذه الحركات الهدامة ، كما حدث فى تركيا وأفغانستان وإيران وغيرها من بلاد العالم الإسلامى وبرزت وراء هذه الحركات أسماء دعاة وقادة أمثال : الباب والبهاء ومنها غلام أحمد وضياء كوك الب وطه حسين وسلامه موسى وأنطون سعادة . ولقد كانت أهداف مثل هذه الحركات واضحة أمام الرأى العام الاسلامى وليست فى حاجة إلى من يكشف عن مخالفتها الصريحة لمفهوم الاسلام ومعارضتها الواضحة لخطر حركة اليقظة الاسلامية الممتد من الإمام محمد بن عبد الوهاب إلى حركة الجماعات الاسلامية : الشبان والاخوان المسلمين فى مصر والمحمدية فى أندونيسيا وندوة لكنوفى الهند الاسلامية وحركة السلفية فى المغرب وجمعية العلماء فى الجزائر . ولكن كان هناك ما هو متداخل المظهر يحمل الخطر فى أعماقه

وفى ظاهره يحمل اسم الإسلام مثل الدعوة القاديانية التى وإن كان امتدادها فى أحمدية لاهور قد تحول تحولا عن دعوة غلام أحمد غير أنه ما زال فى حاجة إلى مزيد من الارتباط بمفهوم الاسلام ارتباطاً كاملا . . وقد حاولت دعوات الاقليمية الضيقة والدعوات القومية غير ذات المنابع والقيادات الاسلامية أن نفصل العروبة عن الاسلام ، أو تفصل قطراً من الأقطار عن باقى أجزائه العربية أو اخوته الاسلامية ، كالدعوات التى ظهرت فى أوائل القرن وحملت شعاراً براق المظهر ولكنه يخفى الخطر كدعوات مصر للمصريين وسوريا للسوريين والسودان للسودانيين وتركيا للأتراك . هذه الدعوات وفى مقدمتها دعوة حزب الأمة فى مصر ، الذى رسم المخطط الأساسى للقومية الضيقة إنما كانت تهدف إلى أمرين : ١ — الانفصال بمصر «جغرافياً وسياسياً» عن كيانها : العربى والاسلامى فى رابطتها بالأمة العربية وفى رابطتها بدولة الخلافة والدول الاسلامية . ٢ — الانفصال بمصر فكرياً وروحياً عن كيانها الفكرى الاسلامى وعن الثقافة العربية ذات الجذور الممتدة بتاريخ الإسلام واللغة العربية والفكر الاسلامى فى مجالاته المختلفة : الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتربوية والاعتماد على مفاهيم الفكر الغربى الخالص ذات الجذور المرتبطة بسان سيمون والحريين والليبريين منفصلة تماماً عن جذور الفكر الاسلامى فى الثقافة والتربية والاجتماع . ويمثل لطفى السيد فى كتاباته التى حملتها الجريدة : لسان حال حزب الأمة منذ (١٩٠٧ — ١٩١٤) مضمون هذه الفلسفة الاقليمية البالغة الضيق والتعصب والتجمد داخل المصرية والمنفصلة عن أبعادها السياسية والتاريخية واللغة والاسلام . وظهرت دعوات تحاول أن تجزىء وحدة وتكامل أرضية الفكر الاسلامى للأوطان الاسلامية ، هذه الدعوات الجزئية : التى حملت لواء التولستوية والغاندية ومن هذه دعوة الانفصال بين الربط الجذرى ، والتكامل العضوى: بين جوانب الاسلام المختلفة خدمة للفرد الاستعمارى بحجب مفهوم الجهاد فى الإسلام ، أو إبراز مفهوم الاسلام فيه على نحو يختلف عن تكامل الاسلام فى الجمع بين السلام والجهاد فى منطق واحد ، ومن هذا ما دعا إليه أمثال عبد الرازق أو مادعا إليه غيره من الفصل بين الدين والضمير ، أو ما حوله الاخرون من إعلاء آراء السلام الذى جمع بين المسيحية وتولستوى وغاندى بحسبانه مذهباً يصلح للفكر الإسلامى ويحرره من مفهوم الإسلام المتكامل : سلاماً وجهاداً وربطاً بين الدين والمجتمع ، وبين الروح والعقل ، وبين الإخاء الإنسانى ومقاومة الغزو الاجنبى والنفوذ الاستعمارى . وقد حملت معظم هذه الدعوات لواء

العداء للإسلام فى جانب من جوانبها كما حاولت فى إعلاء جانب له ، وتعطيل جانب آخر ولقد كانت البهائية والقاديانية من أخطر هذه الدعوات ، ولقد تلقفها النفوذ الاستعمارى الذى دفعها أساساً وأوجد لها كياناً هاماً ، وأذاع بها وخلق لها أنصاراً حتى أن الاستاذ العقاد أضاف حركة البهائية والقاديانية إلى دعوات الإصلاح الإسلامى والتجديد فيه وضمها إلى الوهابية والسنوسية وحركات جمال الدين ومحمد عبده وأحمد محمد المهدى ، بينما غفل عن مخاطر هاتين الدعوتين ، ومن الحق أن يقال إن هذه الدعوات كانت تعمل لتغريب الإسلام أو لتمسيحه ونقض الجانب الكفاحى له ، وإعلاء جانب السلام والرحمة على نحو يجعلها الاسلام نفسه ، وكان هذا العمل لحساب النفوذ الأجنبى والاستعمار الذى يعرف أن الإسلام يغذى فى المؤمنين به الايمان بالدفاع عن أوطانهم وحرياتهم وأعراضهم حتى يموتوا شهداء فى سبيلها ، وهو الخطر الذى يواجهه النفوذ الأجنبى والذى يحول دون توسيد الاستعمار وتحويله إلى مودة وصداقة وموالاة من جانب العالم الاسلامى . كانت هذه الدعوات وفى مقدمتها : البهائية وهى ترمى إلى توحيد الأديان والقاديانية التى تنقض الجانب الكفاحى فى الإسلام ، إنما تهدف جميعاً إلى محاولة تغيير مفاهيم الإسلام والقضاء على فريضة أساسية فى الإسلام هى : الجهاد والكفاح ضد المستعمر ونزع الجانب الأعلى الذى يتميز به عن الاسلام عن غيره من الأديان فالإسلام دين ونظام مجتمع ، كما تدعو إلى تمسيح الإسلام وإعطائه طابع من الهوادة بحيث يجعله يتقبل النفوذ الاستعمارى ويرضى به كأنما هو قدر مقدور وإذا كان غاندى أو تولستوى قد حمل لواء هذه الدعوة فإنما كان ذلك فى مواجهة تحديات تختلف عن الخطر الاستعمارى الجارف الذى اكتسح عالم الإسلام كما تتعارض أصلا مع مقومات الاسلام الذى يحمل دوماً فى جوهر مفاهيمه عنصر المقاومة والجهاد للغزاة والمغيرين والمحتلين والمستعمرين ، والحيلولة دون انصهار المسلمين فى غيرهم أو القضاء على شخصيتهم الأساسية الجامعة بين الروح والقلب والدين والعلم والدنيا والاخرة وقوامها التوحيد الخالص . ومن هنا كانت دعوة التجديد أو العلمانية أو تحرير الفكر إنما تحاول أن ترمى هذا المفهوم بأنه تعصب ، وكان مفهوم تسامحها وتحررها إنما يهدف إلى تقبل الاستعمار الغربى تقبل الرضى والإعجاب والتقدير والموالاة ، وممالأة النفوذ الأجنبى ، ولم يكن ذلك ممكناً إلا بتغيير أصل جذرى فى مفهوم الاسلام وهو إلغاء « باب الجهاد » ولذلك

فقد كانت الدعوة إلى التماس مفهوم الإسلام الأصيل المستمد من القرآن هى عامل المقاومة الأكبر للنفوذ الأجنبى والتغريب .

١ — البهائية

ظهرت البهائية فى إيران والقاديانية فى الهند . أما البهائية فتجمعت فيها جوامع الباطنية والحلول والاتحاد وآراء الشيعة الغالية وفلسفات الوثنية واليهودية والمسيحية وأساطيرها ومزيج من آثار التنجيم والتأويلات ، وقد برزت فى ثوبين : ثوب البابية ثم ثوب البهائية الذى استوت إليه . ظهر ميرزا على محمد (الباب) عام ١٨٤٢ . وقتل الباب عام ١٨٥٠ بعد أن ثار فتنة كبرى وثورة عامة فى زنجان ومازندران وتبريز من أعمال فارس ولم يترك الباب منهجاً اصلاحياً وإنما ترك كتاباً عرض فيه لبعض نظريات العقائد وقضايا الباطنية : وفرائض البابية ركعتان فى الصباح والكعبة عندهم فى مسجد شيراز ، وصوم شهر آخر من نزول الشمس ببرج الحوت . ثم انقسمت البابية إلى رجلين من خلفائه : صبح أزل وعرف أتباعه باسم الأزلية وميرزا حسين الملقب بالبهاء ، ومات بهاء الله عام ١٨٩٢ مخلفاً فى زعامته عباس البهاء الذى تبناه الاستعمار البريطانى وأتاح له الفرصة لإذاعة آرائه منذ سنة ١٩١١ فى كل مكان وأقام فى القدس فترة ثم زار مصر وزار أمريكا وأوربا ومات فى نوفمبر سنة ١٩٢١ وخطب فى كثير من الكنائس والمعاهد العلمية ودعا إلى توحيد العالم البشرى وترك العصبيات المذهبية والجنسية والسياسية وبين أن مطالب الرسل واحدة وقد منحته الحكومة البريطانية لقب « سير » شكراً له على ما أبداه من الكرم والإكرام للجنود البريطانية خلال الحرب وقد احتفل بدفنه السير هربرت صمويل المندرب السامى البريطانى لفلسطين (اليهودى الأصل) ويمكن أن يقال إن هذه الدعوة فى بلادها ربما كانت لها بواعثها وأهدافها التى قصد إلى تشجيعها النفوذ الإستعمارى فى إيران ، أو ما يتصل بالعقائد والدعوات السارية فى بلاد الفرس ولكن براعة النفوذ الإستعمارى كانت قادرة على الإعلان بها وإذاعتها والاستفادة بها فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى لإثارة الشكوك فى النفوس . وقد حملت الصحف المصرية — فى هذه الفترة — لواء التبشير به فتحدثت عنه طويلا ، واهتمت به اهتماماً كبيراً وأطالت عرض مذهبه ودعوته (المجلة الجديدة والهلال والعصور) واستمرت الأهرام زمناً طويلا تكتب عن هيكل البهائيين فى نيويورك ومصر وترجمت عدداً من المؤلفات المختلفة عنه .

وحملت الصحف تفاصيل كاملة عن مبادىء المذهب البهائى ودعت الناس إليه بحسبانه آخر الأديان وأسلمها وأبعدها عن خلافات الأديان واضطهادها . وكشفت الصحف وكتابها عن موالاة وأمل فى أن تجتاح الإسلام وتغرى أهله بالدخول فيها وقال سلامة موسى إن هذا الدين أى البهائية يختلف عن المسيحية واليهودية حيث لم يقتل أحداً من مخالفيه لأن مبادئه تدعو قبل كل شيء إلى السلام قال : ونحن نحب أن يلقى هذا الدين تأييداً فى مصر حتى ينتشر بين الطبقات التى لا تجد من الأديان السائدة أو من الاداب والعلوم ما يقنع نفوسها ، وفى الدعوة إلى البهائية كبت للتعصب ودعوة إلى آخاء البشر وإن البهائية تنزل على حاجة العصر الحاضر الذى يكره تعدد الأديان وما يجلب من مخالفة بعضها البعض من تحزبات وتعصب (المجلة الجديدة فبراير ١٩٣٠) . وكذلك كتب اسماعيل مظهر فى مجلته «العصور» عن البابية والبهائية وعباس أفندى ثم فصل مبادىء المذهب البهائى ، وكتب فى ذلك عباس العقاد وعمر عنايت والدكتور صروف ورددوا إدعاءات البهائية فى القول بوحدة العالم الإنسانى وأن أساس الأديان واحد ، وانها جماع المسيحية واليهوية والإسلام وتوحيد لغات العالم ومساواة الرجل بالمرأة ونبذ العصبيات وأنها محاولة لاتحاد الشرق والغرب والأديان والأجناس وزوال الحروب » وقد أعلنت مجلة المقتطف ١٩٠٠ عن أول كتاب عن البهائية (الدرر البهية) وقالت فيه بإنكار كون القرآن معجزا ببلاغته وصاحته وفيه تأويل آيات القرآن على ما ينطبق على بدعتهم ولم تتوقف دعاة اليقظة الإسلامية عن مواجهة هذه الحملة التى كانت تهدف أساساً إلى مهاجمة الإسلام وانتهاز فرصة كل دعوة أو حادث لمعاونة إذاعة شبهات الانتقاص من الإسلام ولم تفلح كل وسائل الدعاية الواسعة فى أكبر الصحف وبأكبر الأقلام فى كسب واحد من المسلمين لهذه الدعوة ، ولم يحقق التهليل الكبير شيئاً بل ماتت الدعوة البهائية فى مصر كما كانت فى مختلف ا لعالم الإسلامى وانكشفت أهدافها من بعد ، حين ظهر أنها إحدى فروع الحركة الصهيونية وأنها من روافدها وامتداداتها . ولم يكن يعرف خلال هذه الفترة منذ ودع سير هربرت صمويل مؤسس الدولة الصهيونية فى فلسطين جثمان عباس البهاء تلك العلاقة بين البهائية والصهيونية والماسونية حتى انكشفت فى السنوات الأخيرة حين اجتمع المؤتمر العالمى البهائية فى إسرائيل (١٩٦٨) بعد وفاة عباس البهاء بخمسين عاماً . وتكشفت تلك العلاقة فى إن البهائية التى تدعى العمل على إزالة جميع الأديان : اليهودية والمسيحية

والإسلام لم تكن فى الحق تهدف إلا لمواجهة الإسلام وحده . ولقد كان يعرف ذلك كثير من الذين أولوا هذه الدعوة اهتمامهم ويقصدون إليه ، فليس الاسلام الحق هو الذى فرق بين الأجناس أو أثار الحروب بين الأمم ، أو الذى أخر وحدة الجنس البشرى وليس الاسلام هو الدين الذى بدأ برفضه أصحاب العقول والأرواح والذين يتلمسون المفاهيم الصحيحة عن طريق العلم أو العقل أو التجربة . ولقد اندلعت الدعوة إلى البهائية فى العالم الإسلامى ومصر بالذات فى نفس الوقت الذى كانت الصهيونية تركز قواعدها فى فلسطين ، وحيث كانت الحركة التبشيرية فى العالم الإسلامى تؤكد وجودها . وقد كشف عن ذلك بعض كتاب هذه الفترةفقد وصف المرحوم (محمدمحمودبدير) البهائيةبأنها أشد خطراً من المبشرين وقال إن أساليبهم تختلف عن أساليب المبشرين وتفوقهم ولهم فى إباحيتهم الأخلاقية أكبر مبرر لهم ، وقال : إن الذين يمدون المبشرين بالأموال يمدون البهائيين ، وانه إذا كان ثم فارق بين الحركتين فانهما يلتقيان عند نقطة أساسية مرجوة هى إخراج المسلم من عقيدة الإسلام ، ثم قال إن هذا المخطط فى بلاد الشرق وخاصة مصر إنما يمثل مؤامرة واسعة النطاق محكمة الأطراف على الاسلام وتعاليمه ولم تتوقف الدعوة إلى البهائية بل ظلت تتجدد سنوات بعد سنوات ، وفى كل مرة تجد من كتاب المسلمين ما يكشف عن جوهرها يقول العلامة فريد وجدى : إن دعوة البهائية إلى اتحاد الأديان قد سبق إليها الإسلام وأسسه على أقوى الأصول فقرر إن أصل الأديان واحد ، فوحدة الدين هى الأساس الذى يقوم عليه الإسلام ، وأن طموح البهائيين لأن تكون ديناً عاماً يقضى بالعجب ، لأنها ليست بدين سماوى ، وليس فيها من الأصول والمبادىء ، مما يلفت العقول إليها بعد أن بالغت فى عرض نفسها على الأمم فضلا عن أن البشرية ليست فى حاجة إلى دين جديد بعد الإسلام فانه استكمل شرائط الدين العام وأين هى من الإسلام الذى تبنى أمماً قوية ومدنيات فاضلة فى خلال عصور متعاقبة

ولا يزال على مثل حيويته الأولى حتى ليتوقع فلاسفة كثيرون ومنهم برناردشو أن مبادىء الإسلام توشك أن تعم العالم أجمع ، ويقوم الإسلام على أصلية ضمنت لها التعميم والخلود تلك هى : موافقته للفطرة واعتماده على العقل والعلم ، فأين البهائية من هذا الموقف العلمى الحق ، وهى تقوم على أصلين أحدهما عتيق غامض ، قال به أفراد من محبي السبح فى الخيالات ، وهى تصوير ذات الله بصور المخلوقين ، وثانيهما وهو صرف الألفاظ عن ظواهرها فى مجال فسيح للظنون والأوهام والخبط «إن كل تجديد فى مجالات النظم

الاجتماعية والتطورات الفعلية وكل نجاح يصبه دين أونظام يكون مناسباً للقدر الذى يحمله الناس من الوفاء للحاجات المناسبة للأمم والشعوب ، تدعى البهائية أنها أتت بجديد من الأصول لم يدر فى خلد المصلحين قبلها كاتحاد الأديان وترك العصبيات واتحاد الأجناس والسلام العام ومساواة المرأة بالرجل «أما ما سموه باتحاد الأديان فقد سبق إليه الاسلام وأسسه على أقوى الأصول وأحاطه بأحكم الدلائل ، فقرر أن أصل الأديان كلها واحد ، وأن الخلافات التى بينها ما حدثت إلا لسبب ما أدخله قادتها من الأوهام . فالاسلام يفرض على أهله القول بوحدة الدين فرضاً ويأمرهم بالاعتقاد بجميع الرسل من غير تفريق . أما السيد محب الدين الخطيب فقد عرض للبهائية من الناحية التاريخية : فأشار إلى هدفهم الأساسى فى محاربة اللغة المشتركة فى العالم الاسلامى ، وذلك حين أعلن البهائيون انسلاخهم من الإسلام واشتد بهم الحرص على محاربته من كل ناحية ومنها لغة الإسلام العالمية وهى لغة القرآن العربية فكان عن عناصر دعوتهم استنكار عالمية اللغة العربية المشتركة — لغة الصلاة والعلوم الإسلامية فى العالم الإسلامى فتآمروا على قطع الصلة بين المسلمين وتراثهم العلمى الذى تعاون أعلام المسلمين على تكوينه ، لذلك قام البهاء بالدعوة إلى إيجاد لغة أخرى تكون لغة الأمم فأخذ يدعو إلى اختراع لغة صناعية جديدة وأضاف إلى ذلك أن البهائية تنكر المعجزات المحمدية واعجاز القرآن .

(٢) القاديانيـة

أما الدعوة القاديانية التى ظهرت فى الهند فقد ارتبطت بالدعوات التى عمد النفوذ الاستعمارى البريطانى إلى أضفائها على تفسير القرآن والتى ارتبطت بهدف أساسى هو تحريف مفهوم الإسلام فيما يتعلق بجهاد المحتلين والمستعمرين والغاصبين وهو ما حاوله « أحمد خان » فى تفسيره المشهورعنه للقرآن، أما غلام أحمد القاديانى فقد كان صريحاً واضحاً حين أعلن أنه ربيب بريطانيا ووليها والمؤمن بوجودها ، وأن دين الإسلام لم يكن دين جهاد بل دين سلام . وقد كان غلام أحمد موظفاً عند الإنجليز ويشيد فى خطبه وكتبه بذكرهم ، ومما يروى عنه قوله : أن الوقيعة فى جانب الله أهون من الوقيعة فى جانب الإنجليز . أعلن رسالته إلى العالم عام ١٨٨٩ وهو فى الخمسين من العمر ، وأدعى أنه نبى ومجدد ومهدى ومسيح وأدعى أنه المهدى المنتظر الذى يترقبه المسلمون جميعاً ودعا إلى جهاد سلمى لا جهاد تراق فيه

الدماء مع تأكيد الولاء للحكومة البريطانية . ومن ذلك قوله : « إن مهمة المهدى هو الدعوة إلى السلام ، ، أما الجهاد فيجب ألا يقوم على امتشاق الحسام بل على وسائل سلميه » وبذلك أسقط فريضة الجهاديين من الفرائض الاسلامية وحبب إلى أتباعه المسالمة والتسامح ونهاهم عن التعصب . وقد أمنت الحكومة جانب هذه الحركة وأيدتها فى الوقت الذى كانت تحارب فيه كل دعوة صادقة . وأتاحت الفرصة له فى نشر مؤلفاته وإصدار عدد من المجلات وخاصة مجلة الأديان باللغة الإنجليزية وتضم الدعوة القاديانية ملامح من البهائية : فهى تقوم على التوفيق بين الأمم ومن كلام غلام أحمد ما يشبه القول بالحلول فهو يتلبس بروح السيد المسيح وروح كرشنا رب الخير عند البراهمة . وفى مذهبه إنكار صريح لصلب عيسى ورفعه إلى السماء . كما أدعى أنه يوحى إليه وأنكر نبوة محمد ، مع إعلان الولاء للملكة فكتوريا وإعلان إبطال الجهاد ، وقال أن محاربة الإنجليز حرام فى دينه ، وقال عن الدولة البريطانية بالنص فى كتابه (الهدى والتبصرة لمن يرى) ص٢٦ ج ١ : «ولا يخفى على هذه الدولة المباركة أنا من خدامها ونصائحها ودواعى خيرها من قديم ، وكان والدى غلام القاديانى من نصحاء الدولة الريطانية وكان أبى قد أمدها — أى الدولة البريطانية — بخمسين فارساً بخيولهم مدداً منه فى أيام المفسدة (أى أيام ثورة المسلمين فى الهند على الاستعمار) : ولا شك أن هذه النصوص وحدها كفيلة بأن تكشف عن دوافع الحركة وأن الاستعمار البريطانى قد قصد بها إلى تغيير مفاهيم الإسلام أساساً ، وأنه اختار لها من أوفى لبريطانيا حتى اعتبر ثورة المسلمين عليها ، هذه الثورة التى تعد من مفاخر المقاومة الاسلامية والجهاد الشريف اعتبرها : « مفسدة » . ومن الحق أن يقال أن ظهور القاديانى قد أحيط بالشبهات ولتى من تشجيع الحكام البريطانيين ان لم يكن بايعازهم أصلا ما لم يكن مألوفاً منهم من معاملته ، ثم جاءت فتواه بقبول الحكم الأجنبى وتفسير الجهاد على هوى بريطانيا مرجحاً عند الكثيرين لتلك الشبهات ، وقد تعهد القادنانيون بالدعاية للحكومة البريطانية وانتهزت بربطانيا الفرصة فساعدتهم على الدعوة لإلغاء الجهاد وتفريق كلمة المسلمين . وقد هاجم المسلمون المصلحون الهنود هذه الدعوة الهدامة وقال العلامة محمد عبد العليم الصديقى : أن عقيدة هذه النحلة الضارة فاسدة ، وهى التى أضرت بالإسلام والمسلمين ، كما هاجمها المصلحون فى كل مكان وكشفوا عن زيفها ومن ذلك ما يقوله العلامة فريدوجدى : لقد جرت سنة الله أن يرسل إلى الناس رسلاً لهدايتهم إلى الطريق

الحق فصحبت رسالة واحد منهم انقلابات اجتماعية خطيرة وحوداث تطويرية كبيرة ، تجاوبت باصداء حركاتها فى أرجاء الأرض ، فاين ما يدعيه غلام أحمد ، لقد مضت على دعوته ستون سنة فلم يتبعها إلا أفراد من السذج ، لقد تجشم جهداً لكى يثبت أنه نبى فاصطدم بالنص القرآنى الدال على أن النبى محمد خاتم النبيين وأنه لا نبى بعده ، وأتى فى هذا الباب بما لا يعقل من ضروب التأويل والتحريف . ولقد أولى الكتاب الأجانب من المبشرين والمستشرقين اهتماماً كبيراً بالدعوتين البهائية والقاديانية وعدوهما من حركات اليقظة الإسلامية وأدمجوهما مع الوهابية والسنوسية وحركة جمال الدين الأفغانى حتى يفسدوا بذلك مفهوم حركة اليقظة ويعكروا مجراها الثر النقى بآراء هذين الدعيين اللذين يحملان مفاهيم خارجة فى أساسها عن المقومات الأصيلة للدعوة الاسلامية . فادعاء كل من الداعيين بالنبوة لأنفسهما يقطع بأن هاتين الحركتين وأمثالهما إنما تندمج فى الحركات الهدامة التى يتصل نسبها بحركات الباطنية والمجوسية والمزدكية وغيرها من الحركات التى قام بها الغلاة والخارجون على الإسلام ، ولا يمكن فى تقدير المنصفين أن تضاف هاتين الحركتين إلى حركات اليقظة والإصلاح الإسلامى الذى يجب أن تقوم أساساً على التوحيد والاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعيداً عن الحلول والاتحاد ووحدة الوجود أو القول ببطلان الشريعة الظاهرة والأخذ بالحقيقة الباطنة . وقد أشار العلامة أبو الكلام إزاد فى كتابه التذكرة إلى ذلك الأمر فقال : ان غلام القاديانى لم يدع يوماً من الأيام أنه نبى ورسول بل أتباعه وأنصاره هم الذين استغلوا اسمه وأضافوا إليه أقوالاً غريبة وأسسوا جماعة تبشيرية ، لكى يحصلوا على مركز بين أواسط الناس وإن الاستعمار استغل دعوة القاديانى واشترى هذه الطائفة لأغراضه السياسية وتشكيك أبناء المسلمين فى القيم الاسلامية . وقال : إن موالاة القاديانيين للإنجليز كانت مبنية على تشتيت القيم الإسلامية وقال الدكتور محمد اسماعيل الندوى : ان القاديانية دعوة سلبية رجعية أساسها المنامات والالهامات والخرافات .»
ويمكن القول بأن ابرز ما دعا إليه القاديانى وركز عليه هو رفض المفهوم الإسلامى الصريح بأن الجهاد فرض مقدس لمقاومة المستعمر من مبادىء الإسلام ومن أهم فرائضه وإعلان تعاونه مع الحكومة البريطانية وعدم تأييده لاى محاولة لتعويض أركان السيطرة البريطانية فى الهند باسم الإسلام (راجع كتاب المسألة القاديانية : للمودودى .) ويرى بعض المؤرخين :

إن القاديانية ظهرت فى الوقت الذى انتهت فيه الخلافة ، وتحرق المسلمون إلى إعادتها ،

وإن الحركة القاديانية كانت محاولة بريطانية ، وقد دافع نهرو عن القاديانية . وكتب إقبال رسالة طويلة جعلها بمثابة دعوى مقامة على القاديانية ، وكانت المهمة الرئيسية أن القاديانيين لا يرون مكة وطنهم الروحى ولكنهم يتجهون بدلا منها إلى قاديان ، وهذا يتعارض مع روح الإسلامى الدولى . ومن الحق أن يقال إن الحركة القاديانية قد تحولت من بعد وانصهرت فى حركة الأحمدية ، التى يؤخذ عليها بعض الأخطاء . وكان أبرز عوامل التحول هو : المولى محمد على اللاهورى (١٩١٤ – ١٩٥١) الذى انفصل عن القاديانيين عام وأنشأ ١٩١٤ ما يسمى بالدعوة الأحمدية فى «لاهور» وهى حركة لا تقبل بادعاءات القاديانيين وتنكرقولهم بالنبوة . وتقول فرقة لاهور هذه أن غلام أحمد كان لا يزيد كثيراً عن مجدد للإسلام وتنفر مما تقوله الفرقة الأخرى «فرقة قاديان» من تكفير أهل السنة . وقد اتسمت الحركة الأحمدية بنشاط موفور فى سبيل التبشير بالاسلام على نحو بارع واسع وصل إلى أقصى الأطراف وركز على أوربا وقلب افريقيا وطبع ونشر العديد من دراسات التعريف بالإسلام باللغة الإنجليزية فاستطاعت أن تكسب إلى الإسلام كثيراً من الاتباع . وكان لهم دورهم فى الكشف عن طبائع الأديان الأخرى والدعوات المعادية للإسلام والكتب المنسوبة إليها ، آخذين بمبدأ الشيخ خوجا بخش القائل باستعمال الأسلحة التى صاغتها أيدى الغرب وقد وضع الأحمدية كتباً كثيرة كما قدم محمد على اللاهورى ترجمة كاملة لمعانى القرآن وأبرز أعمال الأحمدية هى حركة التبشير التى انتشرت على نطاق واسع فى الصين وأوربا وجزر الملايو وجاوه وأفريقيا . ويعترف جميع الباحثين للأحمدية بالخدمة التى أدوها ويؤدونها وهى الدفاع عن الإسلام فى مواجهة الدعوات المعارضة له وقد عرف لها النشاط الجم الذى تبذله بعثاتها فى بلاد الغرب للدعوة إلى الإسلام ، حيث تصدر الحركة الأحمدية اللاهورية صحفاً فى لندن ومن أبرز دعاتها الأستاذ خوجه كمال الدين وقد دافع كثير من نصفى كتاب المسلمين الهنود أمثال محمد اسماعيل الندوى عن السيد أحمد خان الذى نسب إليه رأيه فى إيقاف الجهاد ضد الانجليز كمقدمة لحركة غلام القاديانى ، فقال أن مسألة أحمد خان للإنجليز كانت لمصلحة المسلمين وترقية أحوالهم وهو يشبه فى ذلك الشيخ محمد عبده فى مصر ، أما موالاة القاديانيين للإنجليز فكانت مبنية على تشتيت القيم الإسلامية

(٣) الماسونية

وكانت الماسونية من الدعوات الخطيرة التى أثبتت فى أنحاء العالم الإسلامى منذ وطد

النفوذ الاستعمارى أقدامه فى هذه المنطقة ، وقد ظلت سنوات طويلة تخدع الناس بأنها حركة خير وإحسان ومعاونة تحمل الطابع الإنسانى الخالص حتى تكشفت مخططاتها فى أوائل هذا القرن على أنها أداة النفوذ اليهودى الطامع فى السيطرة وفتح الطريق أمام مطامعه ثم تكشف بعد ذلك بقليل أنها مقدمة الصهيونية وطليعتها ، ثم عرف من بعد أنها لم تنطفىء بعد بظهور الصهيونية ولكنها مضت ولها مخطط خاص وعمل كبير . فالماسونية طليعة التحرك اليهودى الواسع الذى أنشأ عدداً من المؤسسات لتحقيق أغراضه منها الخفى كالماسونية والظاهر - بعد أن مهدت له الطريق كالصهيونية والمعروف أن الصهيونية واجهة تخفى وراءها مطامع اليهودية أعطيت طابع العنف والجرأة بينما أعطت واجهة الماسونية السابقة لها طابع الخفاء والغموض ، وكلها تلتقى مع دعوات أخرى ربما كان مظهرها مختلف كل الاختلاف فى سبيل فرض نفوذ اليهودية العالمية ، من خلال ايدلوجية تحاول أن تستمد مفاهيمها من التلمود وتقوم على إحياء شعب إسرائيل ولغته ودينه وإعادة بناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى . فى هذه المرحلة الأولى للحركة اليهودية كانت الماسونية هى الطليعة أو القوة الكاشفة حيث كان ذلك قبل الثورة الفرنسية بأكثر من ستين عاماً والتى كانت الثورة الفرنسية نفسها أكبر ثمارها وأبعدها أثراً ، والتى حققت مساواة اليهود بالمسيحيين فى أوربا ، ومكنت لهم الخروج من الجيتو والمشاركة فى الحياة العامة والقدرة السريعة على تسنم أرقى المناصب السياسية والاقتصادية والسيطرة فى وقت قصير على مقدرات أوربا واخضاعها فكرياً ودينياً واجتماعياً لنفوذ التلمود كمقدمة للسيطرة العامة وإقامة الامبراطورية والحكومة العالمية على النحو الذى صورته بروتوكولات صهيون ، لذلك فقد كانت صيحة (الثورة الفرنسية) : حرية - إخاء - مساواة . إنما تعنى أساساً مساواة اليهود بالعناصر الأخرى وقد تمت خطوة الثورة الفرنسية عن طريق عمل متصل قامت به المحافل الماسونية فى فرنسا وأنحاء أوربا المختلفة وحققت بالغدر والقتل إزالة كل من وقف فى طريقها . وقد استهدفت الدعوة الماسونية منذ اليوم الأول هدفاً محدداً يتمثل فى رمزها « البناءون الأحرار » وقد كثر التساؤل عن هذا البناء الذى يحاولون تشييده وهو الذى يظهر واضحاً من خلال الأنظمة والتشكيلات الماسونية : ويعنى بناء هيكل سليمان فى القدس . وقد استطاع كثير من المؤرخين الذين تعمقوا الأحداث أن يكشفوا العلاقة الوثيقة بين الماسونية وبين الثورة الفرنسية ، وفى مقدمتهم المسيو تموترو الذى نشر مذكراته التاريخية عام ١٩١٢ والذى أكد فى صراحة بأن الثورة

الفرنسية كان ضابط أزمتها فى أيدى الماسونية وأنهم هم الذين دبروا كل فصولها ولعبوا كافة أدوارها وما كان قبل لويس السادس عشر سوى تنفيذ لأحد مآربهم التى كانوا قد اتفقوا عليها فى المحافل الماسونية » يقول المؤرخ نموترو : وبعد أن ملأ الماسون فرنسا دماء وفظائع أخذوا يعممون الثورة فى كل أنحاء أوربا بواسطة جيوش الجمهورية فالماسونية تنفخ روح الثورة حينما تحل فكم ثلت من عروش وكم قلبت من دول وكم عارضت من ملوك ، ومنها الفوضويون وأهل النهلست . وقد أشار المؤرخ هرماغروير : أن الماسونية حركة تكونت فى لندن عاصمة الانجليز عام ١٩١٧ ثم وضعت الدستور الماسونى ، وقد انحاز لها ملوك انجلترا الذين وجدوا فى الماسونية مساعداً قوياً على تنكيس الدول الكاثوليكية ، وقد أحصى الاحصائيون فى مدة مائة عام عدد الملوك والرؤساء الذين قتلوا بمساعى الصهيونية فاذا هو ينيف على الثلاثين ومن إنجلترا تسربت الماسونية إلى سائر أنحاء أوربا ولم تزل تقوى وتشتد بكل الوسائل التى فى وسعها حتى إنفجر بركانها بالثورة الفرنسية ثم تبعتها الثورة الأوربية العامة وكان لها أثرها فى البرتغال والدولة التركية.وأشار الأب لويس شيخو إلى الماسونية عام ١٩١٢ فى مجلته المشرق كان قد مر عليها مائتى عام بأن لها ما يزيد على ثلاثة وعشرين ألف محفل وأعضاؤها مليون . وقد أشار جرجى زيدان وشاهين مكاريوس مؤرخا الماسونية وأبرز دعاتها فى العالم العربى ، إلى أن الماسونية دخلت بيروت عام ١٨٦٢ وتجددت عام ١٨٨٨ وفى عام ١٨٦٩ تأسس فى بيروت محفل آخر لغته العربية وأن الذين اشتركوا فى هذه المحافل كانوا من الروم والبروتستانت واليهود وبعض أفراد من الكاثوليك والموارنة والملكيين والأرمن ، وكان للماسونية فى بيروت جريدة المشير وكانت رسالتها على حدتعبيرهم: تعاون كل المذاهب والأديان إلا المذهب الكاثوليكى ».ثم تعددت المحافل فى فلسطين ودمشق وحمص وحلب وانطاكية وأدنة وقد خدع بعض المسلمين خلال فترة نضال النفوذ الأجنبى الأولى فظنوها وسيلة للتحرر من ظلم المستبدين ولكنهم لم يلبثوا أن اكتشفوا أنهم خدعوا ، وعرفوا دخائلها وفى مقدمة هؤلاء محمد عبده كما أخبر عن نفسه راجع (مجلة المنار السنة ٦ ص ١٩٦ والسنة ٨ ص ٤٠١) كما كشف حقيقتها السيد جمال الدين الأفغانى خلال إقامته فى مصر والأمير عبد القادر الجزائرى خلال إقامته فى دمشق ، وقد كتب كثير من يقظة المفكرين العرب والمسلمين عن أخطار الماسونية وكشفوا عن دخائلها وفى مقدمتهم [الأب لويس سيخو اليسوعى فى كتابه : السر المصون فى شيعة الفرمسون (مجلة المشرق م

م ١١ و ١٢) ومحمد بن عز الدين العاملى فى كتابه : كشف الظنون عن حال الفرمسون . وكان فى مقدمة دعاتها يوسف الحاج صاحب مجلة الوقائع الماسونية . فى لبنان وشاهين مكاريوس ونعوم شقير وعزيز ميرهم وقد أجمع الذين اتصلوا بالماسونية عن قرب وحذروا أهلهم من دخولها أن مبادىء الماسونية عموماً مرجعها إلى دك صروح كل مذهب ونقض كل نظام . ٢ - وقد كان للماسونية دوراً بعيد المدى فى تفويض الدولة العثمانية ويمكن أن تعزى أكثر الأحداث الخطيرة التى قامت على التآمر والصراع بين الطبقات والعناصر إلى عمل الماسون وقد ارتبطت الماسونية بحركة جمعية الاتحاد والترقى وكانت عاملاً هاماً مع مخطط الاستعمار الأكبر على تمزيق الدول الإسلامية الكبرى والسيطرة عليها . فقد أجمع المؤرخون وتكشفت الحقائق فى الفترة الأخيرة عن أن الماسونية كان لها اليد الطولى فى إسقاط الدولة العثمانية وإلغاء الخلافة وخلع السلطان عبد الحميد ، وأن دعوتها الأساسية كانت تهدف إلى بناء هيكل سليمان فى مدينة القدس على أنقاض المسجد الأقصى وهو هدف خطير لم يكن من السهل الإذاعة به ، ولكن جميع مخططات الماسونية كانت تصل فى النهاية إلى هيكل سليمان كرمز أكبر ، وهذا الهدف الذى حملت لواءه الماسونية ما زال هو أكبر أهداف الصهيونية منذ ظهورها إلى الان وللماسونية يرجع الأثر الأكبر فى إذاعة صورة كريهة للسلطان عبد الحميد الذى يمثل أقوى مراحل المقاومة للنفوذ الصهيونى وموقفه من الصهيونية المشرف الواضح ما زال يحمل طابع الشرف والكرامة لهذا الرجل الذى أحيط بصورة خطيرة من الاتهام . فقد وقف موقف المدافع عن القدس ، ورفع لواء الوحدة الاسلامية فى وجه النفوذ الأجنبى الخطير فى جبهاته المختلفة . ورفض أن يمنح اليهود شبراً واحداً من أرض فلسطين بالرغم من العرض الضخم الذى تقدموا به إليه فى وقت كانت الدولة فى أشد حالات العجز المالى والا لاس . وقد كان الحديث وما زال عن الماسونية غامضاً ، ويحاول البعض الفصل بين الماسونية والصهيونية ، وبين الصهيونية واليهودية ومما يذكر أن اليهودى واكتشت من كبار دعاة اليهود سئل عام ١٩٢٧ : ما هى الماسونية فأجاب : الماسونيون الأحرار هم أولئك الذين يبنون المملكة اليهودية العالمية والواقع أن أهداف الماسونية معروفة للمسلمين منذ وقت بعيد وقد تبينوا هدفها فى أوائل هذا القرن وقد أشار رشيد رضا إلى الماسونية فى عديد من دراساته فى المنار فقال إنها تأسست لأجل هدم الحكومة الدينية البابوية ، وأن الواضعين لأساسها الأول هم اليهود وغرضهم إعادة ملك سليمان

إلى شعبهم فى القدس وإعادة هيكله إلى ما وضع له فى المسجد الأقصى ، وأنهم هدموا الحكومات المسيحية فى أوربة غربيها وشرقيها والحكومة الاسلامية التركية والقيصرية الروسية ، ثم ظهرت بعد ذلك جمعتهم الصهيونية تستغل خدمتهم للانجليز فى الحرب بالتوصل إلى إقامة حكومة دينية يهودية فى فلسطين ويقول : أن الجمعية الصهيونيةتكونت فى أوربا خلافاً لما يزعمون من قدمها لمقاومة إستبداد رؤساء الدنيا من الملوك والأمراء ورؤساء الدين من البابوات والقسيسين وجعلوا رموزها وإشاراتها قريبة من رموز المسيحية . وبعد فقد تعددت تيارات الدعوات والأخطار الوافدة إلينا من خارج العالم الإسلامى . من الحادية وعلمانية وقومية عنصرية ووطنية مجردة وإقليمية ضيقة ، ووثنية ، وما تزال هـذه الدعوات تغير جلدها وتتشكل فى صور جديده وتحت عناوين جديدة وبأقلام جديدة ولكنها فى مضمونها واحدة وأهدافها ما تزال واحدة وهى القضاءُ على وحدة الفكر الإسلامى والحيلولة دون التقاء الأجناس والعناصر المختلفة ذات الثقافة الواحدة وما تزال هذه الدعوات والتيارات البالغة الخبث والمكر تتخفى وراء أسماء براقة ومصطلحات لامعة وشعارات مغرية ، تقوم على فلسفات مدروسة ولكنها فى أعماقها لا تستهدف إلا القضاء على كيان العالم الإسلامى وقيمه ومفاهيمه ودفعه إلى بوتقة العالمية لصهره فيها صهراً كاملاً ومن الدعوات التى ظهرت فى العالم الإسلامى وأفسح لها النفوذ الاستعمارى وجوداً وأحاطها بالعوامل المختلفة لتبقى إلى حين خادعه مضللة ١ ـ محاولة تغيير مفاهيم الإسلام والقضاء على قيم الجهاد والكفاح ضد المستعمر ولقد كان الجهاد الجهاد الاسلامى دائماً هو الوسيلة الفعالة فى إخراج المحتلين وفرض العين عندما تدخل بلاد المسلمين الغزاة وبذلك استهدفت هذه الدعوات حماية المحتلين وترسيخ أموالهم ، وتفريغ الاسلام من مضمونه الأصيل باعطائه طابع السلام الذى لا يقوم على الحق ، وفى هذا الاتجاه استغلت المفاهيم المسيحية دعوات غاندى وتولستوى . وقد برز ذلك واضحاً فى البهائية والقاديانية . فقد حاولت البهائية الدعوة إلى إلغاء حكم الميراث تحت ستار المساواة بين الرجل والمرأة بغية خلخلة التشريع الإسلامى كله ٢ ـ محاولة تغيير مفاهيم الإسلام من حيث ترابط الاسلام بالمجتمع ونظامه الأخلاقى وأثر ذلك فى التربية والسياسة والاقتصاد ، وذلك بتشجيع الادعاء الباطل بأن الإسلام دين روحانى . وقد برز ذلك واضحاً فى دعوة الكماليين وكتابات على عبد الرازق . ٣ ـ محاولة الدعوة إلى نقل الحضارة الغربية مع الثقافة جملة واحدة ، مع تجاهل الفارق بين الثقافة التى هى بطبيعتها

ذاتية قومية ، والحضارة التى هى عالمية وإنسانية ومن حق جميع الأمم . وقد برز ذلك واضحاً فى دعوة طه حسين فى مصر وأحمد أغاييف فى تركيا . ٤ - تمزيق وحدة المسلمين الفكرية والاجتماعية والروحية وذلك بإذاعة وتعميق دعوات الأقليمية والمتوسطة وفصل العروبة عن الاسلام وإيقاع الخلاف بينهما ومحاولة خلق ما يسمى بالإسلام الهندى والإسلام التركى . ٥ - تدمير المؤسسات الاسلامية وهدم مقومات الاتحاد والترابط باحياء الخلافات بين الأجناس الإسلامية وتعميقها ، وقد كان للماسونية اليد الطولى فى هدم الخلافة الإسلامية وفصل العرب عن الترك وخلع السلطان عبد الحميد وإسقاط الدولة العثمانية ، والماسونية تستهدف أساساً القضاء على الأديان فى سبيل إبراز نفوذها ، وأن الصلة الوثيقة بين الصهيونية واليهودية العالمية وبين الماسونية لا تخفى على باحث مدقق لتلاقى المصطلحات والرموز كما أن الصلة الأكيدة بين الماسونية والصهيونية واضحة جلية فى الهدف والطابع والتخطيط . ٦ - محاولة الفصل بين الأمة العربية والعالم الإسلامى . فقد أيد النفوذ الاستعمارى فى العالم العربى دعوات قوية فى مجالين مختلفين كلاهما يخرج عن مفهوم الترابط بين العرب والاسلام . الأولى : قومية ضيقة إقليمية تحاول أن تخلط بين مفهوم الوطن الأمة والثانية : قومية علمانية تحاول أن تفصل بين العروبة والإسلام . الثالثة : قومية علمانية تخاصم القوميات المجاورة التى ترتبط معها بأسس من الفكر والثقافة . وقد ظهرت الدعوة الأولى فى مصر وسورية فحاولت أن تدعو إلى مصر للمصريين أو سورية للسوريين متجاهلة رابطتين لا سبيل إلى انفصال المصريين أو السوريين عنهما : هى الرابطة العربية بالأمة والرابطة الاسلامية بالفكرة . وقد سقطت كلتا الدعوتين ، وإن ظل الاستعمار يغذيهما كقوى عاملة فى خدمته وقد غذى النفوذ الاستعماوى هذه الدعوات لتحول دون نمو الدعوة التلقائية التى قامت إلى الوحدة العربية المفتوحة على العالم الإسلامى والتى لا تحمل طابع « العنصرية » الكارهة لغير العرب أو المناهضة لهم فى محاولة للسير ضد التيار الطبيعى لالتقاء العناصر والأجناس التى جمعتها ثقافة واحدة وفكر واحد ودين واحد . غير أن مصر لم تلبث أن صححت مفهومها وحملت لواء الدعوة إلى الوحدة العربية ذات المضمون المرتبط بالقيم والمقدرات الملتقى مع الدوائر الافريقية والأسيوية جميعاً . وما يزال مفهومهما ينمو فى أنحاء الامة العربية كلها ليكون المنطق الطبيعى فى مواجهة الدعوات الهدامة والغامضة والسؤال : هل استنفذت تلك الفرق أغراضها ؟ الجواب : أن لا . فإن هذه الفرق ما تزال تعمل فى الضوء تارة وفى الخفاء

تارة أخرى وما تزال أفريقيا حقلا واسعاً لتحرك هذه الفرق والدعوات وبعد : فقد أوفى البحث عن الاستعمار والعالم الإسلامى إلى غايته فى مجالاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية يبقى أن نعرض للتيارين الاخرين الذين واجههما العالم الإسلامى وهما : العزوة الصهيونية والغزوة الماركسية إلى مطالع القرن الخامس عشر الهجرى ثم تستعرض تحديات القرن الرابع عشر كله ومطالع القرن الجديد .

المصادر والمراجع (التى لم ترد فى صلب البحث)

ـ حاضر العالم الإسلامى : لوثروب ستوارد ترجمة عجاج نويهض تعليق الأمير شكيب أرسلان .

ـ الإسلام فى التاريخ الحديث : ولفرد كانتول سميث .

ـ الحضارة الإسلامية والتاريخ الاسلامى (موسوعة : الدكتور أحمد شلبى .

ـ العالم الإسلامى والاستعمار : أنور الجندى .

ـ الإسلام وحركة التاريخ : أنور الجندى .

ـ وجهة العالم الإسلامى : مالك بن نبى .

ـ الاتجاهات الحديثة فى الإسلام : محمد بهجت الاثرى .

ـ وجهة الإسلام : جب وجماعة من المستشرقين .

ـ الشرق الإسلامى : د. حسين مؤنس .

ـ التيارات القومية والمدنية فى تركيا المعاصرة : أحمد السعيد سليمان .

ـ أضواء على ميادين الفلسفة والدين : صلاح الدين السلجوقى (الأفغان) .

ـ الحياة الأدبية فى أندونيسيا : محمد فؤاد فخر الدين .

ـ الدعوة الإسلامية فى الهند : سليمان الندوى (الهند) .

ـ تقارير السيد عبد العزيز الثعالبى عن المسلمين فى الهند (جريدة البلاغ) .

ـ الإسلام : الصراط المستقيم : مجموعة من الباحثين (الدكتور دراز وآخرين) .

ـ النقد الذاتى : علال الفاسى

ـ الأمة العربية فى معركة الذات : محمد المبارك .

ـ أبحاث مفرقة للدكتور جمال حمدان .

- الإسلام على مفترق الطرق : محمد أسد (ليوبولد فابس) .
- المسلمون والعرب : روم لاندو .
- ليل الاستعمار : فرحات عباس .
- إرادة القتال فى الجهاد الإسلامى : اللواء محمود شيت خطاب
- الاستعمار والمذاهب الاستعمارية : محمد عوض محمد .
- صفحات من تاريخ الاستعمار : سليمان حزين .
- يقظة العالم الإسلامى : ف . فرنو - ترجمة بهيج شعبان .
- الإسلام : رسالة بقلم هاتو تو ورد محمد عبده وفريد وجدى .
- حضارة الاسلام فى دراسة توينبي للتاريخ : فؤاد محمد شبل .
- الخطر الصهيونى : محمد خليفة التونسى .
- الإسلام والتجديد فى مصر : تشارلس ادمز .
- سقوط الغرب : شبنجلر .
- بين الديانات والحضارة : طه مدور .
- فى التاريخ الإسلامى الحديث : محمد ضياء الدين الريس .
- الغارة على العالم الإسلامى : السيد محب الدين الخطيب .
- الفكر الإسلامى الحديث : دكتور محمد البهى .
التبشير والاستعمار : عمر فروخ ومصطفى الخالدى .

الرسالة الثانية

العالم الإسلامى والغزوة الصهيونية

بالرغم من مئات الكتب التى صدرت عن اليهودية العالمية وعلاقتها بالصهيونية والماسونية والماركسية وأثر ذلك فى قيام اسرائيل وما يتصل بالرابطة بين اليهودية والشيوعية وبين اليهودية والمسيحية ومحاولات تهويد المسيحية ثم السيطرة على الفكر الغربى المعاصر واحتوائه فإن دراسة ما ، لم تبدأ من نقطة أساسية هى « مخططات الفكر التلمودى اليهودى نفسه ومحاولاته فى غزو الفكر الإنسانى عامة والفكر الإسلامى على وجه الخصوص » وأثر هذه المخططات على حركة التغريب والغزو الثقافى الغربية المتصلة بالتبشير المسيحى والاستشراق (بشطريه الكنسى والسياسى) وما يتصل بالمذاهب الغربية الحديثة فى مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع والنفس والأخلاق والتربية . ومن هنا ، فقد وجب التصدى لهذا العمل الذى يعد بمثابة المنطلق الحقيقى والمفتاح الصحيح لفهم هذه الحركة الضخمة التى تعمل على احتواء البشرية فى عقيلتها وفكرها وثقافاتها وعقائدها وفرض الفكر التلمودى عليها . ولا ريب أن اليهودية العالمية منذ استطاعت أن تمتلك إرادتها بالسيطرة على مجالات الثقافة والصحافة والفكر ودوائر المعارف الغربية ، قد عمدت إلى إبتعاث تراثها التلمودى القديم فى محاولة لتقديمه للبشرية فى صورة علمية حديثة وعلى شكل نظريات وأيدلوجيات ومذاهب وضعت فى دقة وبراعة بحيث أمكن أنْ تبدو فى صورة محايدة فترة طويلة من الزمن قبل أن ينكشف زيفها وهدفها المسموم ومصدرها التلمودى المادى الوثنى القديم . ومن ناحية أخرى فهى قد عمدت إلى تقديم خطتها على أنها ليست من عمل اليهودية المعاصرة (بمطامعها وأحقادها) وإنما على أنها عمل متصل بالكتب المقدسة القديمة التى هى موضع تقدير المجتمع الغربى المسيحى المتدين ، وكان ذلك حين حاولوا الربط بين العهد القديم والعهد الجديد فى كتاب واحد ، أو بين التوراة والإنجيل فى مجلد جامع منذ ذلك الوقت البعيد ، الذى يمتد إلى عصر ما قبل الثورة الفرنسية والذى كان موضع القداسة لدى طائفة البروتستانت فى انجلترا وفى الولايات المتحدة وأجزاء أخرى من أوربا ، وما يتصل بذلك من فرض ذلك على المناهج التعليمية فى تلك البلاد بحيث تتلقى الأجيال الجديدة هذه الفكرة

على أنها عقيدة : فكرة ميراث اليهود وحدهم لأبى الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام عن طريق ابنه إسحق وحجب إبنه الأكبر إسماعيل وما يتصل بهجرة إبراهيم وإسماعيل إلى الجزيرة العربية وتجديد بناء الكعبة وما يتصل بارتباط العرب باسماعيل وإبراهيم جيلا بعد جيل حتى ظهور الإسلام على يد النبي الخاتم : محمد بن عبدالله حفيد إبراهيم وإسماعيل والمجدد لدين إبراهيم بعد أن حرفه بنو إسرائيل . ولقد نشأت هذه الأجيال من إتباع البروتستانت على الإيمان بتلك الفكرة التى صاغها كتاب التوراة حين أعادوا كتابها خلال منفاهم فى بابل وعلى يد كبيرهم [عزرا] بعد أن دمر تيطس النبطى ملكهم وأباد منهم عدداً كبيراً وحمل البقية إلى السبي البابلى ، هناك حرف اليهود التوراة وضعوا هذه الفكرة العنصرية التى تتفق مع دعوتهم الظالمة «شعب الله المختار» واقآموها على أساس أن وعد الله لإبراهيم عليه السلام فى أبنائه بإمتلاك هذه الأرض : هذا الوعد قاصر على ابنه إسحاق وذريته وحدهم ومن هنا يجيء الإدعاء التاريخى الباطل بحقهم فى العودة إلى أرض الميعاد . لقد أذاعت اليهودية العالمية هذه الفرية المبطلة فى كل كتب التاريخ بالإضافة إلى دراسات الأديان عموما فى دوائر المعارف العالمية وزيفوا تاريخ الكلمات المتصلة بذلك من أمثال : عرب ، فلسطين ، إبراهيم ، إسماعيل . ولقد امتد هذا العمل الضخم فى مجال التعليم والثقافة جميعاً إلى الغرب كله حيث كان لهم هذا السلطان الأوسع على مجالات التأليف والنشر والثقافة والصحافة ومناهج التعليم فكان مقدمة للحركة التى حمل لواءها هرتزل بالدعوة إلى ما أسماه الدولة اليهودية كمدخل للحركة التى عرفت باسم الصهيونية غير أن ذلك الذى تم عام ١٨٩٧ حين عقد المؤتمر الصهيونى الأول فى مدينة بال بسويسرا وأسفر عن كشف مخططات اليهودية العالمية وهى بروتوكولات صهيون لم يكن هو المرحلة الأولى للعمل كما يتصور الباحثون اليوم وإنما يرجع العمل الأساسى فى العصر الحديث إلى ما قبل الثورة الفرنسية بإنشاء المحافل الماسونية فى أوربا ثم إنتقال هذه المحافل إلى العالم الإسلامى ، هذه المحافل التى خدعت كثير من طلاب الحرية فاتصلوا بها واشتركوا فيها ، وقد كانت الحركة الماسونية هى المقدمة الحقيقية والمنهج الأصيل لكل محاولات الإلحاد والإباحية وإنكار الأديان وحرب الأخلاق وإشاعة الفاحشة والتحلل وإن ما جاء بعد ذلك من فلسفات ومناهج وأيدلوجيات لتدمير المجتمع البشرى إنما استمد أصوله من فلسفة العمل فى الحركة الماسونية ، بالإضافة إلى العمل السياسى الخطير التى قامت به المحافل الماسونية من إغتيال ملوك ورؤساء وحكام

وعظماء رأت اليهودية العالمية أنهم حجر عثرة فى سبيل تحقيق أهدافها وعن طريق الماسونية أمكن إحتواء عظماء كثيرون فى ممالك كثيرة للعمل وفقاً للخطة التى استهدفها اليهودية العالمية وكان أبرز أهداف الماسونية هو إحتواء المسيحية وتدميرها من الداخل والعمل على تزييف الإسلام والسيطرة على ممالكه ومجتماته ويمكن القول أن الماسونية قد استطاعت أن تحقق ثلاث أعمال كبرى ، هذه الأعمال الثلاث الكبرى هى التى فتحت الطريق أمام الصهيونية لإقامة إسرائيل فى قلب العالم الإسلامى وعلى مرمى البصر الخاطف من معقل الإسلام فى الجزيرة العربية : أولا : « الثورة الفرنسية » التى أخرجت اليهود من الجيتو ، وكسرت قوانين الكنيسة التى كانت تحجزهم عن الإشتراك فى الحياة الإجتماعية والسياسية ومن ثم أتاحت لهم تملك وجوه النشاط الثقافى والصحفى والإجتماعى ومن ثم السيطرة على رجال السياسة والحكم . ثانياً : إسقاط القيصرية وإقامة البولشفية فى روسيا : وبذلك أصبح لليهود نظام مراجعة للرأسمالية التى كانوا هم صناعها من قبل ووضع العالم كله بين فكى الأسد . ثالثاً : إسقاط الدولة العثمانية والخلافة ، وبذلك انفتح الطريق أمام يهود العالم إلى فلسطين وإقامة الدولة اليهودية فى القدس ومن هنا نجد أن اليهودية العالمية هى أم لثلاثة توأئم : هم : الماسونية والماركسية والصهيونية . الماسونية التى فتحت الطريق أمام السيطرة العالمية والماركسية التى أقامت الصراع العالمى والصهيونية التى أقامت الدولة فى قلب العالم الإسلامى ومنذ بدأت اليهودية العالمية تصنع حركتها التلمودية قبل الثورة الفرنسية على يد فولتير وروسو وديدرو والموسوعة وعصر التنوير ، بدأت السيطرة اليهودية على الفكر البشرى ، الذى كان يتمثل فى الفكر المسيحى الغربى الذى واجه الصراع بين العلم والدين منذ عصر النهضة ، ومن ثم كانت تحولاته إلى ديانة البشرية وإلى التطور والمذاهب المثالية كمرحلة سابقة للسيطرة التلمودية التى دفعتها دفعاً إلى الفلسفة المادية التى نتج عنها التفسير المادى للتاريخ والمدرسة الإجتماعية الفرنسية والفرويدية والوجودية إلى آخر تلك المراحل التى مربها الفكر الغربى منذ انبثقت عنه الفلسفة الماركسية وقد اتسع نطاق هذا الفكر التلمودى حتى سيطر على جانب كبير من الفكر الغربى بعامه كما أنه استطاع احتواء الفكر المسيحى والتأثير عليه ، ونحن نشاهد اليوم فى أفق الفكر الإسلامى محاولات واسعة تستهدف طرح شبهات وسموم تلمودية إسرائيلية خطيرة وكل هذا يحتاج إلى دراسة واسعة وإلى تحليل عميق ليكشف الآثار الخفية فى كل ما يطلق عليه اليوم المنهج العلمى للبحث فى الإنسانيات .

قبل اشراق رسالة الإسلام فى العالمين كان الفكر البشرى قد وصل إلى درجة عميقة من الإضطراب والتجاوز والانحراف عندما أُدخلت على المفاهيم الربانية التى جاءت بها الأديان تفسيرات وإضافات وجرت عمليات حذف وحجب لأُصول أَساسية من مفهوم الدين الحق : حيث كانت قد مرت بمراحل متعددة حتى جاءت دعوة عيسى بن مريم كختام لرسل بنى إسرائيل وفى خلال هذه المرحلة الطويلة أحيطت الكتب السماوية باضطراب كثير واختلاف كبير : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافاً كبيراً) فقد وكلت هذه الكتب إلى أهلها للحفاظ عليها فقصروا عن هذه المسئولية فأَصابتها دخائل كثيرة ثم جاء القرآن تصحيحاً . لكل المفاهيم والقيم التى أرسلها الحق تبارك وتعالى على أيدى الأَنبياء السابقين من خلال رسالة السماء الممتدة من نوح والتى تركزت فى إبراهيم وآل إبراهيم : (إسماعيل وإسحاق) ، دعوة خالصة إلى التوحيد ، ومنذ إبراهيم عليه السلام أطلق على هذه الدعوة اسم الحنيفية حتى جددها محمد صلى الله عليه وسلم : (ثم أوحينا إليك أن أتبع ملة إبراهيم حنيفاً) جاء القرآن — وهو الكتاب الخاتم — ليفصل قصة ذلك التحريف الخطير الذى أَحدثته اليهودية فى رسالات الله إلى موسى وداود وعيسى عليهم السلام لإخراجها عن ضامينها وتحويلها من التوحيد والإنسانية والحنيفية إلى : «العنصرية : اليهودية الصهيونية» تركيباً قائماً على البغى والتسلط والطغيان والامتياز بمفهوم «شعب الله المختار» وللسيطرة على العالم كله وحيث يكون العالم كله مستعبد له .

ولقد كان التلمود هو « دستور » العمل للسيطرة على البشرية وإحتواء الأَديان والأَمم ، عن طريق إقامة تشريع يعطى يهود ذلك الإمتياز الذى يجعل من حقهم إستلاب الثروات والأُمم والبلاد جميعاً وحرق وقتل أهلها واستعباد الأَمم والأَقوام ولقد جاء هذا الاتجاه فى الفكر اليهودى أبان « السبى البابلى » حيث أُعيدت كتابة التوراة ، وإعداد التلمود الذى أَصبح فى تقدير الحاخامات أَعلى درجة من التوراة ومنذ أن أَخرج اليهود من الأَندلس (مع العرب) ١٤٩٢ م وقد بدأ الإعداد لبعث هذا المخطط ، يبدو ذلك فى أمر تلك الجماعة التى أَقامت فى سالونيك وهى من مهاجرى الأَندلس وقضية دخولهم فى الإسلام ، وما يحبط بها من شبهات وشكوك يوحى بأَنها كانت خطة دقيقة محكمة الكتمان تستهدف إقامة دعامة فى قلب بلاد الخلافة الإسلامية لإحداث أمر ما فيما بعد . ولا ريب أَن دونمة سالونيك كانوا من جزءاً المخطط الذى نفذته اليهودية بعد سقوط مملكة الخزر التى أَصبحت من بعد جزءاً من الإبراطورية الروسية التى اقتلع اليهود جذورها . الواقع أَن مخطط اليهود فى الإمبراطورية

الروسية لإسقاطها ونشأة الدعوين الصهيونية والماركسية فى قلبها سنوات وسنوات كان إنتقاماً من إسقاط دولتهم « الخرز » التى حجبوها عن دوائر المعارف الغربية حتى لا يكشفوا خطتهم فى إسقاط الدولة الروسية وقد ثبت أن اليهود صنعوا فى هذه الفترة كلتا الدعوين ووزعوا أنفسهم عليها حتى يقسموا العالم إلى معسكرين ثم‌هم من الناحية الأُخرى فى سالونيك أخذوا يعملون فى صمت وإستمرار لأمد طويل حتى استطاعوا إسقاط الدولة العثمانية أيضاً لينفتح لهم الطريق إلى فلسطين . ولقد أقام اليهود مشروعهم كله على أساس الإغتصاب والغدر والخيانة وساروا فيه ضد تيار التاريخ وضد طبيعة الأُمم وضد نواميس المجتمعات والحضارات ، وما هذا الوجود القائم الآن وله بريق إلا خداع الصور والأوهام والدعاوى الباطلة فهو بناء منهار من أساسه ، ذلك لأنه لم يقم على حق مشروع ولا على حقائق ثابتة وإنما قام على وعد وهمى باطل فى حقيقته وعلى أسلوب من الاغتصاب والقتل والتشريد ، إستيلاء على الأرض بالقوة وطرد أهلها منها ، وتهجير إناس من حثالات الأرض ليس لهم رابطة بها بالخداع والإغراء وإقامة مجتمع شتات ملئ بالتناقضات ، مجتمع مهدد يقوم وسط مجموعة معادية ساخطة لا يجد تقبلا مما حوله ، ثم هو مجتمع أساسه المعونة الخارجية ولا يستطيع أن يجد قدرته بعد ربع قرن على أن يقوم بنفسه أو يكتفى بذاته ، والمعونة تأتى من حكومة كبرى ومن يهود بالوعد والوعيد والعمالة ككلب الحراسة ، ومع ذلك فإن قيام هذا المجتمع لم يحل المشكلة اليهودية فلا يزال يهود الدول المختلفة يعيشون على الولاء المزدوج ، ومازالت إسرائيل تعتمد على تأييد يهود العالم مادياً ومعنوياً ومالياً فضلا عن وجودها فى منطقة تتزايد فيها الثـورة ضد قوى الغرب وثقافة الغرب وتنصب الثورة على الجار الوافد ، ليس لها أى سند قانونى غير قرار التقسيم ، هذا القرار الذى صدر بخدعة الأعداء المذهبيين ، لقد افترض هرتسل أن قوة الغرب ستسود العالم وأن جميع الكيانات السياسية ستدخل فى المستقبل إلى العالم الحديث تحت وصاية الغرب وكأنها إمتدادات له من الناحية الثقافية والاجتماعية إلا أنه بعد إنقضاء القرن الماضى بدأت تظهر دلائل على أن الغرب لن يسود العـالم بالضرورة ، ثم تعرض الغرب لتقلبات وتشنجات متزايدة عاقت موجة سيادته السياسية والثقافية وقد تميزت الحلقة الأخيرة من القرن العشرين — كما يقول توينى — بتراجع الغرب عن الرغبة فى إعادة تشكيل العالم فى صورة يكون هو قائدها وتراجع فى تواضع إلى البحث عن التكيف مع أوضاع العالم الاخرى . ولقد تكشفت أكاذيب الصيونية فى كل مجال ،

فى الفكر والسياسة والإجتماع والاقتصاد ، ولم تستطيع الماركسية الشيوعية أن تؤازرهم فى السيطرة على العالم وتكشف للدول الكبرى تلك المؤامرة التى ترمى إلى ضرب أحد المعسكرين بالآخر فبات يتحاماها كل منهما كما تكشف من قبل فساد نظرية ماركس فى تحريض عمال الغرب الذين استطاعت الرأسمالية أن ترفع مستواهم وتؤمن حياتهم وفشلت نبوءة الثورة فى الغرب . واستطاعت حركة اليقظة الإسلامية أن تعرى تلك الخدع التى حاولت الصهيونيةأن تطويها وانكشف سرها حين فضح مخططها فى بروتوكولات صهيونية وجاءت عشرات الوثائق مدعمة لها مؤكدة لخططها الرهيبة . ولم يتعلم اليهود من تجارب التاريخ وحاولوا إقامة حركتهم الجديدة على نفس الاسس المعارضة للتاريخ ولطبائع الأشياء ولنواميس الامم والحضارات فانتقلوا من فشل إلى فشل ، ولم يستطيعوا أن يحققوا تقدماً يذكر ، وسوف تصرعهم سنن الكون بالهزيمة الماحقة كما ضربوا على يد تيطس والرومان ، وفى الخزر ، وقد كتبت عليهم الذلة والشتات والتمزق والهزيمة جزاءُ معارضتهم لنواميس المجتمعات والحضارات أينما حلوا ، لأنهم لم يرعوا لله عهداً ولم يحفظوا لأصحاب الفصل إليهم بدأ ولم يحسن إليهم أحد كما أحسن لهم المسلمون فى الجزيرة وفى الأندلس وفى الدولة العثمانية ولم يسيئوا هم إلى أحد كما أساؤا إلى المسلمين ، عدواناً وظلماً وفساداً . لقد أقام اليهود دعواهم على الخداع وادعوا أن لهم دوراً فى الحضارة العالمية وكل الدلائل تؤكد أنهم كانوا عيالا على حضارات الامم وثقافاتها حتى فى عقيدتهم التى كتبوها فى المنفى وبدلوا بها عقيدة السماء ، كانوا قد نقلوها من الشعوب البدائية . ولم يستطيعوا أن يثبتوا باى دليل أن لهم دوراً فى الحضارة الإنسانية ، فهم حاقدون على المسيحيين لأن لهم حضارة باذخة فى الغرب وحاقدون على المسلمين لأن لهم وجوداً ضخماً قوياً فى الشرق ، وقد كتب عليهم الشتات والذلة لأنهم عاشوا على وهم إقامة إمبراطورية الربا ومن أجل الربا قدموا للناس كل أنواع الفساد والإنحلال وبغوا فى بيع المال واحترفوا المراباة وأذلوا أعناق الناس بهذا العمل المهين ، وصدق فيهم بول أوسكار ليفى حين قال « نحن اليهود لسنا إلا مفسدى العالم ومحركى الفتن فيه وجلاديه » وما تزال خطتهم هى إبادة البشر من غير اليهود ، وتدمير القيم وإفساد الشباب والنساء ، وإذاعة الفسق والترف وهم أداة الفتن والجاسوسية والحرب والتخريب وهم حملة المذاهب الهدامة

والمنحرفة والمــادية والإباحية والإلحاد والتحلل . وقد خططت حركاتهم الحديثة : الماسونية والصهيونية والمــادية على قاعدة : هــدم الدين والأخلاق بهدف تقويض الحضارة ومحو العقائد وإسقاط الدول والإمبراطوريات والقضاء على الامم . وأبرز ما تحمله تعليات اليهود : نصوص تفيض وحشية وعنصرية وحقداً على العالم كله وقد غذيت العقول بهذه الأحقاد على مدى الأجيال فاصبحت قوام النفسية اليهودية وعدة التركيب الاجتماعى ، وقد استطاعت الصهيونية التلمودية المسيطرة على الحضارة الغربية والفكر الغربى أن تطبعه بطابع الجشع والطمع والحقد وإنشاء منهج التلمود الجشع الذى يستهدف إقامة إمبراطورية الربا يقول الذكتور إيدر رئيس اللجنة الصهيونية : إن هدف الصهيونيــة هو إبادة العرب جميعاً ، ويقول موشى ديان : لقد استولينا على أورشليم ونحن فى طريقنا إلى يثرب وإلى بابل ، وقال نورمان بيوش : فى وسع اليهود الامتداد إلى جميع البلاد التى وعدوا بها فى التوراة من البحر الأبيض حتى الفرات . ولا ريب أن هذه كلها عبارات الوهم التلمودى المضلل الذى لا يمثل حقيقة ولا يجرى مع أصل أصيل من عقيدة أو شريعة واليهود القائمون الآن بالدعوة إلى الصهيونية ليسوا هم يهود التوراة وإنما هم من جنس خزرى آرى وأنهم يستهدفون مطمعاً ولا يلتمسون حقاً . وإن كل أساليبهم من الخداع قد أصبحت واضحة الآن وأن تاريخهم فى التآمر مكشوف اليوم أمام العالمين وقد تبين أنهم كانوا وراء المؤامرات والأفكار الهدامة والدعوات الضالة . وهم حملة راية النهليسية : التى تقوم على إنكار جميع المعتقداوت الأديان والقواعد الاجتماعية والخلقية . ولقد عرف المسلمون والعرب اليوم الطريق الصحيح إلى المواجهة مع الصيونية بعد أن سقطت كل محاولاتها لحصر التعامل فى فلسطين دائرة قومية أو عربية ففلسطين ملك المسلمين جميعاً وعرفوا أن الصهيونية لم تنجح فى إقامة إسرائيل إلا لضعف العرب وسيطرة الاطماع المادية والشخصية عليهم وانقسام حكامهم وساستهم وانفصام عرى الوحــدة بينهم وأن تجربة الحروب الصليبية الصليبية ما تزال قائمة أمام المسلمين والعرب يتعلموا منها أسلوب الوحدة والتكامل والترابط فى مواجهة الصهيونية والتماس أسلوب الجهاد الإسلامى فهو وحده الاسلوب الصحيح والعلاج الناجع للمواجهة ، وإن الأسلوب الإسلامى هو وحده منطلق النصر ، ولقد اصطنعه نور الدين وصلاح الدين فحقق لهم الخروج من الازمة ، وقوامه العودة إلى منهج الإسلام وتطبيق شريعته ونظامه التربوى ، وإقامة فريضة الجهاد كمعلم بارز من معالم الحياة

الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ولقد لعب اليهود دورهم فى الحيلولة بين المسلمين وبين التماس منهجهم ودعاهم الماركسيون إلى بيع تراثهم فى سبيل الإنتصار على إسرائيل ، وكان هذا يعنى أن يصبح المسلمون منصهرون فى إطار التلمودية الماسونية الصهيونية التى التى غزت الغرب وسيطرت عليه . ولا ريب أن المؤامرة (الاستعمارية — الصهيونيـة — الماركسية) تحاول أن تعمل جاهدة لفصل المسلمين عن الإسلام ، وبذلك ينفتح الطريق أمام سيطرة المذاهب الوافدة التى تجعل الأُمة الإسلامية أمة منهارة أمام الغزو الأُممى ، ولكن المسلمون يعلمون أن الإسلام ليس دين عبادة وليس ديمقراطياً ولا اشتراكياً ولا رأسمالياً وأنه وبين عقيدة سماوية متكاملة فى نظام دولة شاملة للنواحى السياسية والاقتصاديـة والاجتماعية والروحيـة وأنه منظم العلاقات بين الإنسان وخالقه وبين الإنسان ومجتمعه دون أن يحول ذلك الإنسان إلى فردية متعالية أو جماعية مفرقة وأن المسلمين يؤمنون بانه لا سبيل إلى عودة فلسطين إلا بالجهاد تحت رايـة الإسلام ومقاتلين مؤمنين بربهم ودينهم ، لا يحاربون من أجل شيوعية ولا رأسمالية ولا قومية بل فى سبيل الله لاستعادة أرآضى المسلمين وانطلاقاً لتبليغ رسالة الحق إلى العالمين :

أولا : مصادرالفكر اليهودى التلمودى

(١)

(التـوراة والتلمود)

المصدران الأساسيان للفكر اليهودى : هما التوراة والتلمود .

وتجمع المصادر على أن اليهود أعادوا كتابة التوراة على النحو الذى هو قائم الان فى منفى بابل بين ٥٨٦ ، ٥٣٨ قبل الميلاد حيث « تفجرت العنصرية عن الحقد والكراهية للعالم وانبعثت منها الصهيونية بمعنى التطلع السياسى الدينى للعودة إلى أرض الميعـاد وتأسيس دولة داود فيها جغرافياً وسياسياً ومادياً ، لقد أعاد اليهود كتابة التوراة على النحو الذى رسموه فى منهجهم وأخلاقهم وجعلوها منطلقاً لهذا الهدف معارضاً أساساً للتوراة الموحى بها ، على أساس تنزيه بنى إسرائيل من العيوب ، وجعلوا وجهة نظر اليهود فى الإنسانية كلها قائمة على أساس : العنصرية ، بحيث تأخذ موقف العداء لكل من اختلف

مع اليهود . وكل ما ذكرته التوراة من تخريب وقتل واستئصال للسكان من فلسطين فهو كذب من وجهة الحقائق التاريخية وهو انعكاس للروح العنصرية المتعالية فى العصور المتلاحقة . ويسمى اليهود أنفسهم شعب التوراة . أو شعب الله المختار . وقد حرفت التوراة عقيدة بنى إسرائيل فى الإله يهوه حيث تقول أن يهوه قطع وعداً لإبراهيم بتفضيل الشعب اليهو ى على جميع الأجناس . كذلك فإن الديانة العنصرية تنكر البعث والآخرة ، وهى قد زيفت موقف بنى إسرائيل بالنسبة لإبراهيم وأبنائه ، وبالنسبة لميراث إبراهيم حتى يستأثر به إسحق وحده دون أخـوه الأكبر إسماعيل ، ويتركز هذا الزيف فى دعواهم بإعطاء إبراهيم لإسحق كل ما كان له ، أما بنو السرارى اللواتى كانت لإبراهيم (والمقصود هنا ابنه الأول إسماعيل وذريته) فقد أعطاهم عطايا وصرفهم عن إسحق ومن ذلك قولهم : « تسكنوا أنتم فيهم إلا الكنعانيون ، الميراث الأبدى لكم وليس للكنعانيين ، ملعـون كنعان عبد العبيد يكون لأخوته » . ويؤكد هذا المعنى ول ديورانت حيث يقرر أن أسفار العهد القديم جمعت لأول مرة فى بابل وظهرت فى القرن الخامس قبل الميلاد وأن اسم الكاهن عزرا مرتبط بتدوين التوراة . ويؤكد المؤرخون : أنه فى المنفى فى بابل بعد عام ٥٨٦ تحول الدين العبرى إلى الدين اليهودى . أصبح الأله : إله شعب الله المختار وهو يتدخل لا لحماية شعبه فحسب ، بل لإذلال وإخضاع شعوب العالم لشعبه المختار والاستمرار فى إستعبادهم على مر العصور . وتقول المصادر الحديثة للدراسات لخاصة بالتوراة أن التوراة الموسوية كانت قد فقدت من المجتمع اليهودى لعـدة قرون بحيث صار من المحتمل أن يكون نصها الذى كتبه عزرا (عزير عند العرب) مختلفاً جـداً عما أنزل على موسى فبين الرجلين ما يقرب من ألف سنة من الزمان بل أن الأغلب أن العبريون بعد موسى لم يحتفظوا من ذكراه بشيء ، فأضاعوا الرجل وأضاعوا مواريثه بحيث مرت أجيال لايذكره منهم أحد ولا يعرفون حتى مكان قبره ، هـذا فضلا عن أن اللغة العبرية لموسى تختلف عن نصوص العهد القديم العبرى الذى كتبه عزرا . ولا ريب أن هذه (التوراة) تختلف اختلافاً بيناً عن التوراة المنزلة التى ذكرها القرآن والتى هى محتويات الألواح التى كتب الله تبارك وتعالى فيها الشريعة وأن التوراة الموجودة الآن ضمن الكتاب المقدس ليست المذكورة فى القرآن بحال ، وإن كانت تحتوى على نبذ منها بالخطا والتحريف والتبديل . وفى الأرض توراتان أو ثلاثة ذكرت التواريخ فيها مختلفة من آدم إلى المسيح وقد يكون

الفرق بين اثنتين منهما ألف سنة . وأشار الدكتور محمد وصفى فى كتابه (الارتباط الزمنى) إلى أن التوراة التى أنزلت على موسى فقدت منذ حريق بختنصر الهيكل بعد حرق أورشليم وسبى اليهود إلى بابل . ويقرر الدكتور هربرى لوى اليهودى صاحب كتاب (أديان العالم الكبرى) : أن هناك عقائد دخيلة انسابت إلى اليهودية عن فارس وبابل والإغريق لا سند لها فى اليهودية بالذات وأبرز تجاوزاتها أنها لا تتكلم عن الآخرة والبعث والحساب حيث لا يشير اليهود إلى حياة أخرى بعد الموت ولا يرد فيها شيء عن الخلود . ويعتقدون أن الجنة على الأرض وأن كل ثواب وعقاب هو فى الدنيا . وأن الجنة الأرضية خاصة بهم دون شعوب الأرض . وفى سفر الجامعة « ليس للإنسان مزية على البهيم لأن كليهما باطل يذهب كلاهما إلى التراب وإلى التراب يعود وقد حول اليهود الوصايا الإلهية للإنسانية إلى وصايا لليهود أنفسهم أما الجوييم (أى جميع الامم الأخرى) فلا وأن قانون (لا تقتل - لا تزن - لا تسرق) هو خاص باليهود وحدهم . ويلاحظ الباحثون أن رائحة الوثنية الخالصة واضحة فى العقيدة الجديدة (الهيكل - التابوت - الطقوس) . ويشير الدكتور هربرى لوى اليهودى إلى أن اليهودية ليست بحاجة إلى عقيدة إيمان لأن مجال اليهودية - فى تقديره ليس فيما وراء هذا العالم ، وأنها تعمل لهذا العالم وحده بغض النظر عن العالم الاتى . ويقول ول ديوارنت أن اليهودية استوعبت أساطير بابل وسومر وأساطير الجزيرة العربية والفكر الفارسى وأن هذه الأساطير كانت معيناً غزيراً لاسفار العهد القديم . وأن القصص الشعبى فى مصر والهند وفارس واليونان ، قد تداخل فيها تماماً وأن عقيدة المخلص المنتظر موجودة فى الديانة الفارسية . ويقول نولدكه فى كتاب (اللغات السامية) : جمعت التوراة بعد موسى بسبعمائة عام واستغرق تأليفها وجمعها زمناً متطاولا جداً تعرضت حياله للزيادة والنقص . وأنه من العسير أن نجد جملة متكاملة فى التوراة مما جاء عن موسى لأن التوراة لم تدون فى عهده ولا فى الجيل الذى تلاه . وتقول دائرة المعارف الفرنسية تحت عنوان « توراة » بالحرف : أن العلم العصرى ولا سيما النقد الالمانى قد أثبت بعد أبحاث مستفيضة فى الآثار القديمة والتاريخ وعلم اللغات أن التوراة لم يكتبها موسى وإنما كتبها أحبار لم يذكروا أسمهم عليها ، ألفوها على التعاقب معتمدين فى تأليفها على روايات سماعية سمعوها قبل أسر بابل . ويشير الاستاذ فيشر فى كتابه عن تاريخ أوربا فى العصر الحديث إلى الأسفار القديمة ويقول أنها غدت منذ عام ١٨٦٤ تقريباً موضع الفحص الدقيق والامتحان الشديد وغدت

التوراة كتاباً عادياً لا سفراً مقدساً له مكانته الخاصة . ويقول أنيس فريحة : هناك شبه إجماع أن أقدم كاتب ظهر ى يهوذا فى القسم الجنوبى من فلسطين فى القرن العاشر أو التاسع قبل الميلاد وحاول أن يكتب قصة الخليقة والخطيئة الاولى والطوفان ، وقصة موسى وإخراج بنى إسرائيل من مصر ودخولهم أرض كنعان ، ثم جاء بعده كاتب دينى آخر كان يسكن شمال فلسطين ويسمى بالكاتب الألوهيمى ، ثم كاتب آخر من يهوذا يدون تاريخ العبران استعان بالمصدرين اليهودى والألوهيمى ، وفى القرن السابع قبل الميلاد قام كاتب آخر يعرف بكاتب سفر التثنية ثم قام كاتب يعرف بالكاتب الكهنوتى الذى يمثل مدرسة الكهنة التى نشأت بعد خراب الهيكل عام ٥٨٦ ق . م . وتشير الأبحاث إلى أن القسيس الفرنسى (رتشارد سيمون) وضع عام ١٦٧٨ مؤلفاً مبتكراً فى نقد التوراة عنوانه : (تاريخ انتقادى للعهد القديم) أشار إلى أن العهد القديم كما هو متداول معروف يعتمد على مخطوطات ترجع إلى القرون الوسطى وأن كثيراً منها ذات مصدر مجهول أو مشكوك فيه وأن النساخ من الرهبان قد أدخلوا فيها كثيراً من الأخطاء والتحريفات . وأشار الباحثون إلى أن النتائج التى حققتها العلوم الحديثة والعلوم الطبيعية قد أثبتت خطأ وزيف كل ما أوردته التوراة من معلومات عن عمر الأرض وفلك الشمس والجنس البشرى وأصل الإنسان وأن التوراة فى نظر هؤلاء الباحثين لم تعد أكثر من أثر أدبى وليس من كلام الله المنزل . (٢) وفى العصر الحديث جرت مراجعات ودراسات واسعة حول التوراةالتىعمدت الصهيونية إلى ضمها إلى الإنجيل وطبها تحت اسم الكتاب المقدس وترجمتها وتوزيعها فى جميع أنحاء العالم وقد أشارت الإحصائيات إلى أن الكتاب المقدس قد نقل إلى ٤١٢ لغة غير اللغات الاوربية . وقد أشار محرر المقتطف فى أغسطس عام ١٩٢٤ إلى عدم جدية معرفة أول من كتب لتوراة ولا الزمن الذى كتبت فيه ، ويشير أنيس فريحة (م ٤ مجلة الأبحاث) إلى أن التوراة لم تعد كتاب علم وتشريع ويقول جورج طعمة : أنه جرى نقد واسع لنصوص الكتاب المقدس من أجل معرفة كتابها وأزمنة ووضع مختلف أقسامها أدى هذا النقد إلى اكتشاف فوارق فى الاسلوب وتناقض فى الروايات عن الحادث الواحد وتباين فى الأوامر التى يفرض أنها من مصدر واحد مما جعل القول بان كل كلمة وكل نقطة من النصوص المقدسة هى وحى إلهى حرفى أمراً بالغ الخطورة وكان الناس يعتقدون جيلا بعد جيل أن الكتب الخمسة الاولى من التوراة (تكوين ،

خروج ،لاويين، عدد ، تثنية) كتبها كلها النبي موسى مع أن مثل هذا القول لا يرد فى التوراة ذاتها ، ولكن حين طبقت مقاييس البحث العلمى التى استعملت فى دراسة وثائق القرون الوسطى ثبت بما لا يدع مجالا للشك أن الأمر خلاف ذلك . وأشار أنيس فريحة إلى ما أصاب التوراة من تغيير وتحريف ، وقال إن هناك أغلاطاً مصدرها السهو والكسل والملل أو ضعف النظر ، وإذا كان الناسخ غير أمين فى عمله عندما تعرض كلمة لا يستطيع قرآتها فإنه يعمد إلى تغيير الكلمة أو تحوير النص بكامله ليستقيم المعنى . ويشير جرجى زيدان إلى أن أقدم ترجمة للتوراة إلى اللغة العربية هى ترجمة سعيد بن يعقوب الفيومى المتوفى عام ١٩٤٣م وكان إسرائيلياً من الطائفة الربانية وفى العصر الحديث ترجمتان للتوراة قام بالاولى منها المرسلين الأمريكيين ، والاخرى الاباء اليسوعيين وبينهما فارق ، فإن الترجمة الامريكية حرفيـة محصنة ، أما الترجمة اليسوعية ، فتقوم على المعانى مع تجاوز الأصل العبرانى . ويقول الدكتور أحمد شلبى : إن اليهود أرتدوا بعد سليمان إلى عبادة الاوثان وعبادة آلهة الأقوام المجاورين وبنوا مذبحاً للأصنام فى فناء بيت المقدس ولم يعد هناك ذكر للتوراة ولا صلة بها وكانت مملكة يهوذا وثنية تماماً وأن اليهود بعد أن انحرفت اعتقاداتهم وطباعهم تخلصوا من أسفار موسى الحقيقية لأنها كانت تختلف عما أرادوا من طباع وخلق وكتبوا سواها مما يتناسب مع ما يريدون من تاريخ ومن عقيدة . ومن ذلك كله يتبين أن التوراة الحالية زائفة : وأنها كتبت وفق أهواء اليهود ومطامعهم ورسمت طريقتهم فى الحياة إلى آخر الدهر ، وأبرز أهداف الفكر اليهودى التلمودى كما رسمته هو : (١) الامتياز الخاص : هم يهود وكل العالم جويم أو أميون ، إعلاء العنصر والجنس ، هم السادة الممتازون وكل البشر دونهم فى المزايا العقلية والجسمية ، كل الدنيا لهم وكل من غيرهم خدم ، يحل لهم أخذ الربا من الاميين وقتلهم ، وكل ما يملك الاميون من حقهم أخذه ، ويعنى هذا التعصب ، والتفرد بالجنس ، والعنصرية . ومن هذا المعنى نبعت تعاليم التلمود وبروتوكولات صهيون التى تهدف إلى السيطرة على العالم كله . (٢) مفهومهم لله مفهوم زائف فإله يهوه كما وصفته التوراة متوحش شرير شغوف بالخراف والفساد وإراقة الدماء فهو رب الجنود . (٣) إنكارهم البعث والجزاء والحساب والجنة والنار وهذه أخطر مفاهيمهم التى تقوم على اعتبار أن الدنيا هى كل شيء وأن السعى لها هو وحـده العمل ، فعلى الإنسان أن يسارع إلى التقاط كل لذة وإنكار خلود النفس

وإنكار مداخلة العناية الإلهية فى أعمال البشر . (٤) تبريرهم الغدر والكذب والوقيعة كوسيلة للنجاح « الغاية تبرر الواسطة » . وترجع هذا الآراء فى الأغلب إلى التأثر الشديد بالفلسفة اليونانية التى استطاعت أن تحتوى الديانة الموسوية وتسيطر عليها ، ويشير المقتطف (فبراير ١٩٠٨) إلى هذ المعنى فيقول أنه عندما سادت الفلسفة اليونانية عدل اليهود إلى كتبهم المقدسة فشرحوها وأسهبوا فى تفسير غوامضها مدخلين إليها شيئاً من الآراء الفلسفية اليونانية التى كانت زاهية فى زمن الاسكندرية وقال : إن إحدى فرق اليهود (الفريسيين) يقبلون كل العقائد والمبادئ والطقوس التى كر عليها الدهر وصارت مقدسة بحكم الزمن وشرعت تدعى القداسة والمصدر الإلهى وخاصة تعاليم الكلدان والفرس . ويقول دكتور محمد غلاب فى كتابه (الفلسفة الشرقية) إن التأثير الفارسى والتأثير الأغريقى واضحان فى الفكر اليهودى وأن التأثير الأغريقى شديد الأهمية ، لأن قسماً كبيراً من اليهود ألتقى مع الاغريقيين فى مدينة الإسكندرية . وقد تغلغلت الآراء الأغريقية فى عقائد اليهود الدينية ومذاهبهم الفلسفية ونظرياتهم الأخلاقية والاجتماعية ويقول لورد ماكولى : لطالما إذن فينا التاريخ ببيان ما أدخل اليهود قديماً فى دينهم من البدع مستمسكين بما أملاه عليهم خيالهم الفاسد من ضرورة أن يكون لهم إله محسوس ملموس يقصدونه بالعبادة والإجلال . وهناك مصادر كبيرة تشير إلى إدخال اليهود السحر والتنجيم والأساطير الغريبة فى كتب العبادة (الكابالا) اليهودية فهم ينكرون كل ما هو روحى ومعنوى فى الحياة مع الإنحراف الكامل إلى المادية الخالصة وإنكار الحياة الأخرة ، وقد عرفوا بصناعة التنجيم والسحر وإرسال الغموض على يوم الحشر والدينونة فضلا عن الأنانية وحب الثراء . مع روح الغلو والتحدى والخيلاء . وبذلك يمكن القول بأن مصادر الفكر اليهودى هى : الفكر البابلى القديم والفكر اليونانى الهلبينى معاً . ٢ — أما التلمود فهو عبارة عن الوصايا التى كتبها الأحبار وهى تضم (المشنا) وحواشى المشنا (الجمارا) ومن المشنا والجمارا يتكون التلمود ، وهناك تلمود بابل وتلمود أورشليم وهم يضعونه فى منزلة التوراة ، ويجعله بعضهم أسمى من التوراة وقد جمع بعد المسيح بمائة وخمسين سنة . وقيل بدأ فى كتابة التعاليم الشفوية عام ١٦٦ م وأن التلمود الأخير ألف ابتداء من القرن السادس الميلادى ، ويعتقد اليهود أن العهد القديم (أى الناموس المكتوب) ناقص ومبهم فى كثير من المواضيع . ولا يكون اليهودى عندهم مؤمناً إيماناً كاملا إلا إذا

صدق بالتلمود ويقول التلمود : إن الاميون هم الحمير الذين خلقهم الله ليركبهم شعب الله المختار فإذا نفق منهم حماراً ركبنا منهم حماراً . وتقوم فلسفة التلمود على العمل على إذلال البشرية وتسخيرها لليهود ونسف جميع المدنيات والحضارات وإزالة الأديان السماوية من على وجه الأرض لتحل محلها الفلسفة الحاقدة على البشرية وليقوم على أنقاضها ملك إسرائيل ويرد الباحثون وضع المشنا وهى متن التلمود ثم الجمارة وهى شرح المشنا إلى الأثر الذى أحدثه الرومان عندما أحرق الامبراطور الرومانى تيتوس أورشليم عام ٧٠ ومثل باليهود تمثيلا شنيعاً . وذلك على أثر ثورتهم على الرومان ثم لما ثاروا مرة أخرى فى عهد الامبراطور أوريانوس ١٣٥ م عندما دمرت أورشليم تدميراً تاماً وحرثت أرض المدينة حرثاً . فقد أعمل أوريانوس السيف وفرق شملهم وشتت جمعهم إلى أنحاء الأرض ، فى هذه الظروف وفى ظل هذا التحدى الخطير وضع التلمود ، شبيهاً بما فعلوا فى المذبحة الأولى عندما استولى بختنصر على ملك الكلدان عام ٥٨٦ ق.م. ونفاهم إلى بابل حيث عاشوا فى الأسر خمسين عاماً وحرفوا التوراة على النحو الذى ذكرنا . وتشير الأبحاث إلى أن أول مع جمع هذه التفسيرات « المشنا » هو الحاخام بوخاس ومشنا معناها الشريعة وهى بالإضافة إلى الجامار كونت التلمود والتلمود أقوال الحاخامات وله نفس مكانة التوراة وهو فى الجملة مجموعة التعاليم التى قدمها أحبار اليهود شرحاً للتوراة واستنباطاً من أصولها . وأول من ترجم التلمود إلى اللغة العربية الدكتور شمعون مويال : عام ١٩٠٥ وأشارت إلى ذلك مجلة الهلال حيث ذكر محررها أن التلمود نسختان : أحدهما البابلية والأخرى الأورشليمية والفرق بينهما فى الشرح وفى المتن وكلاهما فى اللغة العبرانية المولدة أو الأرامية وهى مزيج من العبرانية والكلدانية . وقد طبعت النسخة البابلية من التلمود عام ١٥٢٠ فى البندقية كاملة فى ١٢ مجلداً ضخماً أما النسخة الأورشليمية فقد طبعت مرتين فى بومبرج ١٥٢٢ وفى كراكو عام ١٦٠٩ وقد أشار جرجى زيدان إلى أن التلمود قاسى على الأجيال المظلمة بأوربا اضطهاداً شديداً فذهب فريسة النار مراراً حتى اطمأن وظهر من مطبعة بومبرج فى عهد الإصلاح (القرن السادس عشر) بعد أن أحيا معالم العبرانية فى ذلك القرن العالم فون روشلين ولكن التلمود لم يترجم كله إلى لغة من اللغات الأخرى إلا مؤخراً ، إلى الانجليزية عام ١٨٨٥ ونشر جزء منه بالفرنسية وقد كان للتشتيت الذى وقع باليهود بعد مذبحة الرومان عام ١٣٥ م أثره فى بناء هذا الفكر الذى قام على أساس التآمر عن البشرية كلها من أجل السيطرة عليها وهو الخط الذى سارت فيه اليهودية فيا بعد

وإلى الآن . ويعتبر أرنولد توينبي : « اليهودية » ظارة اجتماعية شاذة بحسبانها قضية متحجرة من حضارة بائدة انقرضت كل مظاهرها ، ويقول : ولما فقدت اليهودية صفتها كدولة استثار هذا التحدى ليبتدعوا لأُمتهم طرازاً من الكيان الطائفى استعاضوا داخل نظامه عند فقدان دولتهم وبلادهم بالاحتفاظ بذاتهم فى صورة (تشتت) (وانتشار) بين ظهرانى أغلبية أجنبية وفى ظل حكم أجنبي » . وقد أشار كثير من الباحثين إلى ذلك الاحتواء الخطير الذى وقعت فيه تعاليم الدين الذى أنزل على موسى عليه السلام مرتين الأُولى فى اتصاله بالفكر البابلى ، ثم بالفكر اليونانى ويعد فيلسوفهم فيلون هو الذى وفق بين التوراة وتعاليم اليونان الوثنية . وفسر التوراة تفسيراً يوفق بين تعاليمها وتعاليم اليونان وفسر العقائد الدينية اليونانية فجعلها مستخرجة من التوراة وفى نفس الوقت ادعى بعض الحاخامات أن الفلسفة اليونانية مقتبسة من عقائد يهودية وأن فيلسوفاً يهودياً يسمى (توراة أرستوبول) قد أدعى مطابقة أفكار بعض فيلسوفى اليونان أمثال أفلاطون وسقراط مطابقة تماماً لقواعد اليهودية وأوامرها وإن حاخام اليهود وفيلسوفهم المشهور (فيلون) يقول : إن النظريات اليونانية هى نفس ما جاءَ فى دين اليهود تماماً ، وإن الفلسفة العلمانية التى سادت مدينة الغرب وغذت الحركات المعادية للقومية والدين والتاريخ هما من (اليهوا) أى من اليهود وشريعة التوراة وإن الحاخامات كانوا يضعون خيوطهم لجر المدينة الغربية النصرانية نحو اليهودية » .

ولا ريب أن هذه النقطة بالذات منطلق الاحتواءِ اليهودى للفكر الغربى الحديث كله كما سنرى من بعد ويقول سامى النشار ، وعباس الشربينى فى كتابهما الفكر اليهودىوتأثره بالفلسفة الإسلامية : أن اليهود لم يكونوا أصحاب فكر فلسفى وأن ما يبدو فى التوراة من مظاهر الفكر الفلسفى إنما هو ما نقلوه من بابل أيام السبى أو ما خرجوا به من مصر أو اقتبسوه من مدرسة الإسكندرية ثم عاشوا فى البيئة الإسلامية وبخاصة فى الأندلس عالة على الفكر الإسلامى حتى بلغت بهم الجرأة أن اختلسوا كتب الغزالى ونقلوها إلى العبرية ووضعوا عليها أسمائهم . ولما هاجر اليهود من أسبانيا إلى فرنسا وبلجيكا وهولندا نقلوا معهم التراث الفلسفى الإسلامى (وهو التراث الذى عاش به اليهود فى أوربا) . ويؤكد كثير من الباحثين أن الفكر الإسلامى له أبعد الأثر على الفكر اليهودى : « وأن اليهود ليس لهم تاريخ فكرى أو أصالة عقلية أو فلسفية وأن الفكر الإسلامى قد ألهم فى مختلف نزعاته الفكر اليهودى ولون فى المجتمع الإسلامى كل الاتجاهات إلى عاناها المسلمون ، وأن اليهود كانوا دائماً ذيولاً

لكل مجتمع عاشوا فيه وإمعات لكل جيل انتمو إليه ولم يكن لهم أبداً الروح الخلاق الذى ينشىء ويبدع » . وقد شرح كتاب الفكر اليهودى وتأثره بالفلسفة الإسلامية كل فكرة وردها إلى أصحابها وبينما لليهود فيها من أثر.ويقول بعض الباحثين: بأن « أثر التفكير الأفلاطونى على العقلية اليهودية بدأ فى الترجمة اليونانية للتوراة ، المعروفة بالترجمة السبعينية إذ حدثت فيها تغييرات فى النص الأصلى متعلقة بالمذاهب الدينية والكونية فى التوراة والواقع أن المذهب الأفلاطونى هو أقرب المذاهب الأغريقية إلى العقائد اليهودية » . وأشار جيمس فريزر فى كتابة عن الخرافة : حين تحدث عن قصص التوراة فقال : أن أهم القصص التى يتخذ منها الإسرائيليون عقيدة يستترون وراءها ، قد جاءتهم من أوهام الإنسان البدائى الذى تمثله القبائل السائبة على وجهها فى مجاهل أفريقيا وآسيا وغيرهما من القارات . وقال أن الرجل البروتستانتى المتدين عندما نظر فى أساطير التوراة رآها صورة دارجة من أساطير الشعوب البدائية التى كانت ترتاع أمام الطبيعة وتتوهم القصص وتحكى لنوادر وتكرر فى أساطيرها ما كان معروفاً فى أماكن مختلفة من العالم القديم السابق على التوراة . وقال : لقد شهد كثيرون بأن العقيدة التى يتستر وراءها اليهود هى شريعة الغاب التى تقوم على تدمير المدن والقرى وحرق المساكن وقتل الأطفال والشيوخ وقد أجمعت المصادر على أن بنى إسرائيل لم يستمرواعلى عبادة الله الواحد الذى دعا إليه الانبياء واتجهوا إلى التجسيم والتعدد . يقول ول ديورارنت : يبدو أن الفاتحين اليهود عمدوا إلى أحد آلهة كنعان فصاغوه على الصورة التى كانوا هم عليه وجعلوا منه إلهاً : الإله يهوه ، فيهوه ليس خالقاًلهم بل مخلوق لهم ، وفى يهوه صفاتهم الحربية : التدمير والسرقة ويهوه قاس مدمر متعصب لشعبه لأنه ليس إله كل الشعب بل إله بنى إسرائيل فقط وهو بهذا عدو للآلهة الاخرين . كما أن شعبه عدو للشعوب الاخرى ومن خلال هذا المفهوم كانت أعمق المعانى فى نفوس بنى إسرائيل المادية والتطلع إلى أسلوب نفعى فى الحياة . ويقول كارل ماركس فى كتابه (المسألة اليهودية) إن المال هو إله إسرائيل المطاع ، أمامه لا ينبغى لأى إله أن يعيش . ولقد أصبح إله اليهود إلهاً للناس جميعاً وهذا انتصار لليهود . ويوكد الباحثون إن القول باختصاص شعب من الشعوب إله خاص لهم وحدهم هى فكرة وثنية وقد ظل اليهود متعلقين بهذه الفكرة ويجعلونها أساساً من أسس أيدلوجيتهم التلمودية ، وهذا أبرز مظاهر عنصرية اليهودية وقد عمد اليهود إلى احياء الإديان الوثنية القديمة التى أخذوا منها هذه الفكرة وهى أديان الهنود

والمجوس القائمة على تعدد إنكار البعث . وقد تحدث جوستاف لوبون فى كتابه عن اليهود والحضارة الذى أصدره عام ١٨٨٩ فأكد أن اليهود لم يكن لهم علوم أو فنون ولا حق لهم فى الأرض التى يحاولون احتلالها وهم غرباء عنها وكل تقاليدهم وعاداتهم ودياناتهم مستعارة ومقتبسة ومسروقة من الدول المجاورة لهم وقال أن آية القول بأنهم وحوش وقساة ما نجد فى التوراة من أنواع الوحشية والبدائية . وفى سفر يشوع يقال لهم : أهلكوا جميع ما فى المدينة من رجل وإمرأة وطفل وشيخ حتى الغنم والحمير بحد السيف واحرقوا المدينة وجميع ما فيها بالنار . بينما نجد العرب كانوا ينفذون وصية أبى بكر : لا تقتلوا طفلا صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا إمرأة،لاتذبحوا شاة ولا بقرة ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه . ويناقش الكتاب الكثير من الاراء والنظريات التى يدعيها اليهود لأنفسهم ويبطلها العقل بوثائق التاريخ وبما كتبوه هم أنفسهم .

(٢) رحلة الشتات

أبرز المواقف فى حياة اليهودية التلمودية هى : (أولاً) ضربة « السبى البابلى » التى قتلت ونفت وسحقت اليهود ثلاث مرات بقيادة بختنصر الكلدانى عام (٥٧٦ ق.م) وفى هذه الغزوة حرف اليهود التوراة . (ثانياً) ضربة « التدمير الرومانى » التى قتلت ونفت وسحقت اليهود بقيادة تيطس الرومانى (عام ٨٠ م وعام ١٣٥ م) وفى الغزوة وضعت (المشنا — الجمارة) التلمود وكان هذا آخر العهد بوجودهم فى فلسطين وبدأ رحلة الشتات . لقد هاجر اليهود بعد تخريب القدس إلى العراق وفارس والهند والصين والحبشة وفى كل هذه البلاد حاولوا أن يؤسسوا دولة أو مجتمعاً فباءت محاولتهم بالفشل . وكانوا فى خلال الضربتين قد زيفوا رسالة السماء وصنعوا أيدلوجية عنصرية طامعة تستهدف إمتلاك العالم كله واتخاذ فلسطين منطلقاً لها . وفيما بين الضربتين كان فيلون عام ٢٠ أو ٣٠ قبل الميلاد استمداداً من التوراة المحرفة قد وضع مبدأه الدينى الفلسفى الذى قال : أن العنصر اليهودى يجب أن يستوطن الأرض المقدسة : أرض الميعاد والزحف منها إلى العالم والسيطرة عليه . وفى ضوء هذه الغاية صيغت العناصر الجوهرية للكتب المقدسة عند اليهود ثم وضع التلمود محققاً للخطوات التى تلت تصور هذه المطامع بعد إعادة كتابة التوراة وكان ما صوره فيلون هو حجر الأساس للفكرة الصهيونية والواقع أنه بين السبى البابلى والتدمير اليونانى لم يتوقف الغزو والتدمير

حتى بدأ عصر الشتات الذى استمر منذ عام ٨٠ ميلادية حتى اليوم وقد كان لهذا العصر تحدياته التى شكلت هذه الفلسفة اليهودية التلمودية الصهيونية ، وقد انقسم هذا العهد إلى مراحل وإلى خطط وكشف عن أن اليهودية يهوديتان هى: يهودية التوراة ويهودية التلمود . وأن يهودية التوراة يتمثل فى هذه الجماعات التى هاجرت من المشرق وتدفقت على أوربا وأن يهودية التلمود هى تلك الجماعات التى نشأت فى بولونيا وحوض نهر الرين وهم يهود أوربا الاشكنازيون الذين ليسوا من نسل إسرائيل والذين يمثلون الآن تسعة أعشار يهود العالم أما يهود التوراة فيطلق عليهم اسم السيفارديون وليهود التوراة فى أوربا رحلة طويلة بدأت فى عصر الدولة الرومانية ثم تجددت بعد سقوط القدس حيث تشتتوا فى انجلترا وفرنسا والمانيا ثم أزيلوا عنها بعد ذلك فاعتصموا بالدولة فى الأندلس حتى خرج العرب منها ١٤٩٢ م فلجأوا إلى الدولة العثمانية فى سالونيك حيث كانت مؤامرتهم الخطيرة فى إسقاط الخلافة والوصول إلى القدس . وأما يهود التلمود فقد أقاموا فى دولة الخزر التى عاشت أربعة قرون ثم أسقطها المخطط العام الذى ظل مقاوماً للوجود اليهودى فى كل مكان فى الغرب . لقد عاش اليهود خلال هذه الفترة منذ عام ٨٠ ميلادية فى أوربا فى مرحلتين خطيرتين : الاولى هى مرحلة الاضطهاد المسيحى المستمر الذى واجه اليهود باعتبارهم عنصراً هداماً يحمل لواء الربا والفساد الخلقى وقد قاومت الكنيسة وجودهم وفرضت عليهم العزلة وحرمت اتصالهم بالمجتمع المسيحى وظلوا بين خروج وعودة فى فرنسا وانجلترا وألمانيا حتى استطاعوا أن يتغلبوا على هذه العقبات بالدعوة إلى التنويرة : هذه الحركة الضخمة التى حملت النقض لكل قيم الدين والأخلاق تحت لواء الماسونية التى استطاعت أن تحقق أول وأكبر ثمارها بالثورة الفرنسية التى تلتها ثورات متعددة فى أنحاء أوربا وكان هذا هو بداية الاحتواء اليهودى التلمودى الصهيونى للغرب المسيحى (٢) كان دور اليهودية التلمودية فى الأمبراطورية الرومانية خطيراً ، فقد تدفقت جموعهم إلى الغرب واختلطوا بالرومانيين وأهالى أوربا وكان عملهم هو الربا وتجارة الرقيق «وتاجروا بأعراضهم وأعراض غيرهم فى سوق الرقيق والفجور حباً للمال وجمع المال فأصبح لهم نفوذ خطير فى هذه الامبراطورية حتى تمكنوا من السيطرة على قيادتها ودفعوها إلى الدمار والانهيار عن طريق الفساد الأخلاقى . يقول فونك دوخبال فى موسوعة اليهودية : أن اليهود كان لهم نفوذ خطير فى الامبراطورية الرومانية وقد سيطروا فى عصر جوستنيان وكان لهم أثر فعال فى سوق الامبراطورية إلى الفساد والانحلال . وقد

رضيت عنهم الامبراطورية فى جميع أنحاء أوربا وكانت تجارة الرقيق مصدر رزقهم ، وقد اعتنق بعض الرومانيين اليهودية حباً فى جمع الأموال عن هذا الطريق : طريق تجارة الرقيق وشجعهم اليهود على مزاولتها . وتشير الأبحاث التاريخية المختلفة إلى أن سبب سقوط الامبراطورية الرومانية راجع إلى السير فى الفجور خلف خطوات اليهود فى إفساد الامبراطورية كان من أهم الدوافع لهذا السقوط وهذا التدهور ويقول فرنك لى بريتون مؤلف كتاب الصهيونية والشيوعية : بدأ التجار من اليهود والصناع يظهرون على المسرح الرومانى بكثرة بعد القرن الثانى للميلاد وأخذ مركزهم فى العالم يزداد أهمية . وكانت تجارة الرقيق مصدر معيشة اليهود الرومانيين . وقد شن (سنيكا) حملات عنيفة فى كتاباته على رومانى عهده لمحاكاتهم اليهود وردجيبون فى كتابه (انحطاط الامبراطورية الرومانية وسقوطها) : رد سقوط روما إلى نفوذ اليهود وقال أن بوبيا زوجة نيرون الذى أحرق روما كانت يهودية مرتدة (٣) ومن الأمبراطورية الرومانية إلى أوربا كلها : لقد امتد نفوذ اليهود الشتات إلى كل أجزاء أوربا وخاصة انجلترا وفرنسا وألمانيا ولهم فى كل وطن من هذه الأوطان ثلاث مراحل مرحلة الهجرة إليها ثم مرحلة الخروج منها مطرودين ثم مرحلة العودة ، وفى انجلترا هاجر اليهود إليها عام ١١٩٠ فى عهد الغزو النورمانى وعملوا فى مجال الربا وتدفقت عليهم الأموال ثم طردوا عام ١٢٩٠ ثم عادوا مرة أخرى عام ١٨٥٨ حيث حصلوا على جميع الحقوق البرلمانية وأصبح لهم مجال فى تسلم الوظائف الكبرى وقد عين أول يهودى محافظاً لمدينة لندن ١٨٣٨ وبارون يهودى عضو فى البرلمان ١٨٤٧ وكان روتشلد أول يهودى فى مجلس اللوردات ١٨٨٦ ثم جاء هربرت صمويل عام ١٩٠٩ وكما استوطن اليهود سائر أقطار الامبراطورية الرومانية فإنهم استوطنوا سائر مستعمرات بريطانيا منذ ١٨٣١ وكان لهم دور خطير فى الاحتلال البريطانى لمصر وحفر قناة السويس وديونها وبيع أسهمها الأخيرة وفى فرنسا سيطر اليهود على الاقتصاد وعملوا فى مجال القروض بالربا الفاحش ومجال الرقيق الأبيض ثم طردوا عام ١٣٠٦ ثم سمح لهم بالعودة مرة أخرى وفى مختلف بلاد أوربا واجه اليهود حالة التملك ثم الطرد ويشير المؤرخون إلى أن أوربا منذ ١٢٠٠ إلى ١٦٥٠ قد تخلصت من اليهود بعد أن أعدم منهم الملك جون فى بريطانيا الكثير بعد سرقة ذهب الدولة وصادر الملك إدوار الأول أموالهم بعد أن مارسوا الربا الفاحش على نطاق واسع لغير اليهود .

وعندما بدأت محاكم التفتيش أعمالها الإرهابية وقضت على اليهود كجماعة دينية توجهوا

إلى أسبانيا الإسلامية ليلوذوا بالفرار من وجه الاضطهادات وعاشوا بين المسلمين ، ثم هاجروا بعد انتهاء الحكم الإسلامى ١٤٩٢ قاصدين إلى الدولة العثمانية وبلاد البلقان والأناضول . وقد عاد اليهود إلى أوربا مرة أخرى عام ١٦٥٠ حيث أخذوا فى إعلان عصر التنوير بديلا لعصر النهضة الذى لم يشاركوا فيه ، وكمقدمة للتآمر على أوربا كلها وتمزيق وحدتها المسيحية والفكرية بإعداد عدة الثورة الفرنسية ممثلة فى جماعة الموسوعة الذين هم فى الحقيقة جماعة الماسونية الذى مهدوا لهذه الثورة التى قلبت الموازين وأخرجت اليهود من جميع القيود التى فرضتها عليهم الكنيسة المسيحية ولم يكن دورهم هذا متحرراً من مخططهم الربوى ومن تجارة الرقيق ولكنه كان مدعماً له بفلسفة وأيدلوجية كاملة ظلت تسيطر على الفكر الغربى حتى كادت تحتويه . يقول : فرنكبريتون : خلال العصور الوسطى التى امتدت من ٥٠٠ إلى ١٣٠٠ بعد الميلاد كان التاجر اليهودى يسيطر على أوربا بأسرها. وقد شملت هذه السيطرة الاشراف على طرق التجارة الشرقية المؤدية إلى بلدان المشرق ، ولم تتنفس أوربا الصعداء إلا حينما طرد اليهود من أوربا فى القرن السابع لعصر النهضة مباشرة ». والمعروف أن الكنيسة قد سيطرت تماماً على المجتمع اليهودى وعزلته عزلاً تاماً عن المجتمع المسيحى وأن كتاب أوربا أشاروا إلى هذا الخطر المماثل فى (المرابى اليهودى) الحاقد على المجتمع وعمليات الانتقام السافرة التى وقعت بهم نتيجة إفسادهم الحياة الاجتماعية . وكان أخطر مقررات الكنيسة هى عزله فى الجيتو . وكانت الكنيسة الكاثوليكية قد أصدرت ١٢١٥م فى مجمع لاترين الرابع مجموعة من القيود الضخمة التى استهدفت كبح احتكارهم التجارى ومنها تحديد إقامتهم فى أحيائهم الخاصة وتحريم استخدام النصارى أو التزوج منهم أو الاشتغال بأكثر من نوع من أنواع التجارة وكانت الكنيسة قبل ذلك قد سنت قوانين كثيرة فى العصور الوسطى تحرم على اليهود الزواج من النصارى . ومنذ قرر مجمع لاترين الرابع هذه القررات الصارمة ضعف شأنهم وظهرت اليهودية الأوروبية ، وكان لتنبه أوربا لخطرهم الجسيم وعوامل إفسادهم مدعاة لطردهم من الدول الأوربية دولة بعد دولة ولما استقروا فى الأندلس الإسلامية منذ تلك الفترة جرى طردهم بعد سقوط الحكم الإسلامى ١٤٩٢ فما أن أهلت عام ١٥٠٠ كما يقول (فرانك لى بريتون) حتى كانت أوربا الغربية بأسرها باستثناء شمالى إيطاليا وأجزاء من ألمانيا والممتلكات البابوية قد تخلصت من الغزوة اليهودية وعاشت أوربا فترة من الزمن حرة من اليهود الذين لم يعودوا إليها بكثرة إلا عام ١٦٥٠ فى هذه الفترة كان السواد

الأعظم من الشعب اليهودى موجود بالشرق فى الإمبراطورية التركية ويقول : أن الفترة الّتى تميزت بطرد اليهود ١٣٠٠ - ١٦٥٠ تتميز أيضاً بأنها عصر النهضة التى بزغت شمسه على أوربا بعد ذهاب اليهود وأن عصر الانبعاث لم يبزغ فى الحضارة الأوربية إلا بعد أن انتزعت الأمم الأوربية السيطرة التجارية من الجيتو . (٤) لابد لفهم فلسفة الشتات من التفرقة التامة بين يهود التوراة ويهود التلمود : يهود الشتات الذين انطلقوا فى القرن الأول الميلادى إلى أوربا وإلى أجزاء مختلفة أخرى من العالم أما يهود التلمود فهم اليهود الذين نشأوا فى بيئات أخرى فى الغرب لا صلة لهم بالنسب بيهود بنى إسرائيل . فاليهودى العربى الحديث كما يقول فرنك لى بريتون : لا يؤمن حقيقة بالتوراة بل بالتلمود وهو لا يتكلم العبرية بل اليهودية الدارجة وهو ليس من نسل إسرائيل بل من حثالة شرقى البحر المتوسط . وقد صور ذلك جولز فى مؤلفه خلاصة التاريخ ج ٣ « أن الفكرة اليهودية كانت ولا تزال مزيجاً غريباً من التسامح الديىي والقومية والعنصرية العنيفةفقد بحث اليهودعن مخلص خاص ، مسيح ليصلح بنى البشر بإعادة أمجاد داود وسليمان الخرافية وجعل العالم فى النهاية تحت تأثير اليهود. كانت الديانة اليهودية حقاً الحمى السياسى المتبقى لدى الكثير من الشعوب المشتتة وجلها سامية . ومما لا شك فيه أن تقاليد اليهود المالية والتجارية ليست تراث فينيق ومن الاثار التى خلفها الأراميون فى بابل . جراء هذا الامتزاج نشطت الجماعات اليهودية وازدهرت فى كل مدينة من مدن الامبراطورية وامتد نشاطها إلى أقصى الشرق وبقيت على اتصال بعضها ببعض بواسطة التوراة وبواسطة منظمة دينية وتربوية لعلها « الماسونية » فالقسم الأكبر من اليهود لم ينحدر مطلقاً من سكان المنطقة اليهودية فى فلسطين ولم يخرج منها على الإطلاق ومن هؤلاء اليهود : [يهودالتلمود : الخزر] الذين شيدوا فى جنوب روسيا امبراطورية دامت أربعة قرون . وقد تسرب إليها عدد ضخم من يهود بيزنطة . يقول فرنك لى بريتون : إن كلمة خزرى وكلمة يهودى يستعملان مترادفين فى الموسوعات وفى القرن العاشر تحطمت امبراطورية الخزر واستوطن عدد كبير منهم البلاد التى أطلق عليها من بعد (بولونيا) وتوجه آخرون إلى غربى أوربا وأسبانيا ولقد كان لليهود نفوذ ضخم فى بولونيا استمر حتى عام ١٢٠٠ م حيث كانوا يتولون سك النقود وقد أحرزت روسيا بسبب تقسيم ولونيا أكبر نسبة من يهود العالم فاتصل تاريخها بالقضية اليهودية اتصالا مستعصياً ، وكان اليهود فى النهاية سبب انهيار الأمبراطورية الروسية ، وقد دعت بولونيا المطرودين فى غربى أوربا إلى الإقامة

بأعداد ضخمة داخل حدودها فى القرون ١٣ ، ١٤ ، ١٥ والحكومة الروسية لم تسمح بمثل ذالك وأقفلت حدودها دونهم . وقد فرضت الحكومة القيصرية لحماية اقتصاد روسيا وثقافتها قراراً عام ١٧٩١ يسمح لليهود بالإقامة فى روسيا الكبرى ولكن فى أماكن معينة محددة وقدبلغ عدد اليهود الذين يقيمون ضمن هذه الأحياء عام ١٨٩٧ - ٩٣ر٩ فى المائة من جموع سكان روسيا اليهود وتعتبر هذه الأحياء عاملا من أكبر عوامل التطور الحديث فقد تجمع فى هذه البقعة الموحدة المتلاصقة القسم الأكبر من اليهود وبقوا زهاء قرن وربع قرن من الزمان فى بيئة مشتركة نشأ فيها يهودى القرن العشرين الذين يتكلمون اللغة اليهودية الدارجة (يديه) ومنها كذلك ولدت النخلتان الكبيرتان : الصهيونية والشيوعية ولقد حرص اليهود على الحى المستقل (كاهال) وحافظوا عليه داخل إطار المجتمع المسيحى العام ، وحمل اليهود الذين طردوا من أوربا هذه العادة إلى بولونيا وصار (الكاهال) مؤسسة موطدة الأركان فى بولونيا فلما انتقل اليهود إلى حكم روسيا أقاموا فى الكاهال هذه المنظمات المستقلة . وقد امتدت الأحياء الخاصة من القرم إلى بحر البلطيق (من القرم على البحر الأسود إلى بحر البلطيق على الشام) وقدبلغوا حتى عام ١٨٨١ من الأزدهاروالنجاح ما يفوق حد التصور فقد حل اليهود على الاقتصاد الروسى مثل أرجال الجراد التى تسطوا على حقل ذرة حديث الغرس وقد امتدت الأحياء اليهودية فى سلسلة من شبه جزيرة القرم إلى بحر البلطيق فى مساحة من الأرض تعادل نصف مساحة أوربا الغربية . وقد بلغ عدد الذين أقاموا فيها عام ١٩١٧ سبعة ملايين يهودى يضمون زهاء نصف سكان العالم اليهودى . فى هذه المستعمرة ازدهرت « الفلسفتان التوأمان » : الشيوعية والصهيونية وكلتا الحركتين نمتا من الكرة اليهودى للحضارة المسيحية : مضطهدة الشعب المختار وكلتاهما انتشرتا حيث هاجر اليهود وكانت الأحياء هى المستودع الذى تدفقت منه قوى الشيوعية العالمية ونصف عدد اليهود الموجودين فى العالم يقيم اليوم فى الولايات المتحدة - وجميعهم باستثناء عدد ضئيل منهم أما من هذه المستعمرة أو سلالة الذين هاجروا منها ، وفى عام ١٨٤٤ أكتسب القيصر نقولا الأول «عداوة اليهود» بإلغاء نظام الأحياء اليهودية (الكاهال) كما حرم ارتداء اللباس اليهودى التقليدى ، وأجبرهم على لبس ما ينسجم مع التقاليد الروسية . وكانت تلك محاولة لتمثل اليهود بالحياةالروسية . وكانت نتيجة مشروع الهضم الذى اعتمدته الحكومة القيصرية أن أصبح اليهود فى روسيا أفضل عنصر من حيث التعليم وقد أفضى ذلك فى النهاية إلى تحطيم

حكومة القياصرة ومنذعام ١٨٨٠ (عهد اسكندر الثانى) أصبحوا سادة فى المهن المختلفة ثم جرت محاولات اعتقال القيصر اسكندر الثالث حتى قبل عام ١٨٨١ وقد كانت السياسة الروسية حتى عام ١٨٨١ موجهة باستمرار إلى (ترويس) اليهودى تمهيداً لاعتباره مواطناً كاملا وتمشياً مع هذه السياسة اتبع نظام التعليم الإجبارى لليهود ، وحتى عام ١٨٨٢ استطاع اليهود أن يرسخوا أقدامهم فى الاقتصادى الروسى بحيث أشرفت روسيا على الإفلاس عندما حاولت زحزحتهم عن مكانتهم . فى هذا الجو بدأت الحركتان التوأمان : الماركسية والصهيونية تتحكمان بجمهرة اليهود الروس وتسيطر ان عليهما . حكمتا «الصهيونية والماركسية » أول ما أعلننا يهود ألمان : ودخلت الصهيونية (هرتزل) روسيا عام ١٨٨٠ فكانت منافسة للماركسية لكاهنها الأكبر كارل ماركس حفيد أحد الحاخامين وكان لابد فى النهاية لكل يهودى روسى أن يلتحق بإحدى هاتين الحركتين » ولا ريب أن هذه الخطة تكشف عن أشياء كثيرة (١) تكشف عن أن اليهود يحطمون كل من يحاول أن يصهرهم فى المجتمع العام ويفضلون أن يبقوا بذاتيتهم الخاصة حتى يحققوا هدفهم الخطير ، وأنهم يدمرون عوامل تميز المجتمعات بعقيدة خاصة حى يستطيعوا السيطرة عليها . (٢) إنهم دمروا الامبراطورية الرومانية إنتقاماً لتدمير معقلهم فى فلسطين ودمروا الامبراطورية الروسية انتقاماً لتدمير دولة الخزر. (٤) كشف حقائق البحث العلمى أن يهود أوربا ليسوا من ذرية بنى إسرائيل وأنهم يمثلون تسعة أعشار يهود العالم وأغلبهم من منطقة بولونيا وحوض نهر الراين : وهم الاشكنازم ، ولغتهم (بدش) وهم كانوا يعيشون فى الخزر ، وهم من سلالة جرمانية أوربية محضة ابتدأت تتكاثر منذ القرن الثالث الميلادى ، اعتنق أجدادهم قبل الميلاد بأكثر من قرنين الدين اليهودى الموسوى . وهؤلاء غير الذين هربوا من الشرق إلى جنوب أوربا وشمال أفريقيا . وقد بحث علماء الأجناس (ريبلى – لامبروزو – رينان) . وتتبعوا هذه القضية : فقال لامبروزو : أن يهود العالم الجديد أدنى إلى الجنس الأرى منهم إلى الجنس السامى وهم عبارة عن طائفة دينية تميزت بميزات اجتماعية واقتصادية وانضم إليهم فى جميع العصور أشخاص من شتى الأجناس ومن مختلف صنوف البشر منهم الفلاشا (سكان الحبشة) والألمان والتامل (اليهود السود من الهند) ومنهم الخزر (من الجنس التركى) . وأشاروا أنه لا يعقل أن يكون اليهود

الموجودون الآن فى العالم وعددهم ١٦ مليوناً هم سلالة الخمسين ألف الذين شردوا من عهد أوريانوس والمعروف أن شعب الخزر لم يسكن فلسطين ، ولا الجماعات العبرانية جميعاً ذهبت إلى هناك وقال الأُستاذين ريلى وتيار : أن اليهود فى ألمانيا يشبهون الألمان شبهاً واضحاً وأن اليهود السلاف لا يختلفون عن مواطنيهم السلافيين وكذلك قرر علماء الأجناس : أن بعض الصفات التى يزعم اليهودأنها خاصة بهم كالأنف البارز قد لوحظ أنه ليس شائعاً بين جميع الجماعات اليهودية ويقول : أن تسعة أعشار يهود العالم يختلفون عن سلالة أجدادهم اختلافاً واسعاً ليس له نظير وأن الزعم بأن اليهود جنس نقى حديث خرافة . وبعد عام ١٨٩٧ بدأت مرحلة جديدة فى حركة الشتات اليهودى وهى مرحلة دخول الفلسفة التلمودية الصهيونية اليهودية مرحلتها الخطرة : وذلك بتحقيق خطتهم الرامية إلى السيطرة على المجتمع الغربى المسيحى بالثورة الفرنسية التى هى أول ثمار التلمودية الماسونية » وهى تتمثل فى الخروج من الجيتو للسيطرة على الحياة السياسية والاجتماعية والدينية فى أوربا كلها بعد أن رفضت أوربا التسلط القائم على الربا وتجارة الرقيق الأبيض وكان على اليهودية والصهيونية التلمودية أن تدمر هذا المجتمع فكرياً لتخرجه من طابع التدين والخلق حتى يمكن لها أن يستوعبه تماماً وكانت هذه الحركة بمثابة الإنتقام من الكنيسة وتحطيم القيود والأغلال التى وضعتهاللحيلولة دون تشتتهم فى المجتمعات وتأثيرهم فيها وفرض الأيدلوجية التلمودية عليها . وقد كان من من نتاج ذلك المخطط : الذى أطلق عليه « عصر التنوير » بعد عصر النهضة الذى لم يشارك فيه اليهود الذين كانوا مبعدين إذ ذاك — من نتاجه قيام الماسونية الكونية التى نجحت فى إقامة الثورة الفرنسية كمقدمة للسيطرة على أوربا ثم الاتجاه إلى إسقاط الدولة العثمانية عن طريق يهود سالونيك الذين أظهروا الاسلام وأطلق عليهم اسم الدونمة ،ثم إقامة النظام الشيوعى فى روسيا القيصرية التى دمرت دولة الخزر . لقد عاد اليهود إلى أوربا ١٦٥٠ للتحضير لما تحقق عام ١٨٩٧ وليس من ريب أن اليهودية فرضت التلمودية نفسها على المسيحية الغربية منذ وقت باكر عن طريق التفسيرات التى قدمها بولس اليهودى الأصل لتدميرها من الداخل ثم كان الصراع بين اليهودية والمسيحية بعد ذلك حتى استطاعت اليهودية والتلمودية أن تحدث الثغرة الضخمة فى الجدار العريض (٥) ويصور أرنولد توينبى هذا اللقاء فيقول : كانت اليهودية فى الشكل الذى اصطدمت به مع المسيحية الغربية ظاهرة اجتماعية شاذة بحسبانها فضلة متحجرة منحضارة بادت وانقضت كل مظاهرها فلقد كانت دولة يهوذا الإقليميـة

السريانية وعنها انبثقت اليهودية - واحدة من الطوائف العبرانية الفينيقية الأرامية ، الفلسطينية ولكن فيما فقدت الطوائف الأُخرى شقيقات طائفة يهوذا كيانها كما فقدت كذلك صفتها كدولة بفعل المصائب القائمة التي توالت على المجتمع السوري نتيجة لمصادمانه المتوالية مع جارية البابلي والهليني ، فان هذا التحدى نفسه الذي واجه اليهود قد استثارهم ليبدعوا لأنفسهم طرازاً جديداً من الكيان الطائفي وفي داخل نطاق هذا الطريق الجديد استعاضوا عن فقدان « دولتهم وبلادهم بالاحتفاظ بذاتيتهم في صورة « تشتيت » بين ظهراني أغلبية أجنبية وفي ظل حكم أجنبي ويقول أن اليهود استطاعوا أن يقدموا للمجتمع الغربي بأدنى حد من الخبرة التجارية والتنظيم . ولكن المسيحيين طمحوا إلى أن يحلو محل اليهود عن طريق اتقانهم الفنون اليهودية المربحة ومن ثم بذل المسيحيون جهوداً جبارة في هذا الميدان الاقتصادي الذي كان احتكاراً لليهود . ومن ثم فإن ظهور طبقة من المسيحيين أهل لانجاز جميع الأعمال التي تخصص فيها اليهود ، صاحبه تطلع إلى طرد اليهود ويتمثل شعور المجتمع الغربي لليهود في مسرحية شكسبير (تاجر البندقية) التي رمز فيها إلى المسيحي الساذج أنطونيو الذي وقع في براثن اليهودي الماكر شبلوك حتى افترض منه متعهداً بوفاء الدين برطل من لحمه بعد أن عجز عن وفاء الدين نقداً . وأشار توينبي إلى أن اليهود كانوا موضع الكراهية في المجتمع الغربي بقدر ما كانوا طائفة لا غنى عنها للمجتمع . وقال إن مرحلة طرد اليهود من إنجلترا كانت في القرن الثالث عشر وفي أسبانيا في القرن الخامس عشر ، وفي بولنده ، والمجر في القرن العشرين ، ثم بعد أن توطدت المسيحية الغربية على الفنون الاقتصادية إلى درجة لم يعد تخشى معه عواقب الاستسلام للمنافسة اليهودية عادت فسمحت بالإفادة من القدرة الاقتصادية عند اليهود لخدمة الاقتصاد القومي المسيحي ولذلك أجازت الدول بعد ذلك لليهود البقاء والاستقرار . ولا ريب أن المؤرخ توبيني في هذا التصور لم يحالفه حظ الإحاطة الشاملة بالخطر التلمودي على بلاد الغرب على النحو الذي أحاط به غيره من الباحثين فإنه تجاهل تماماً آثار الخطر الذي كان لليهود في أوربا قبل أن يطردوا والمخطط الذي طبقوه لعودة امتلاك إرادتهم في القبض عنق الغرب مرة أخرى بصورة ماكرة في ظاهرها وإن كانت أشد عنفاً وأنهم بعد أن عادوا قد سيطروا سيطرة تامة على الاقتصاد الغربي وأن المجتمع الغربي وفكره قد دخلا دائرة الاحتواء اليهودي بشدة وكل ما في الامر أن اليهودية التلمودية في مرحلتها التي بدأت عام ١٦٥٠ كانت قد غيرت

أساليب العنف التى كانت موضع المعاقبة واصطنعت أساليب جديدة امتلكت بها إرادة السيطرة على الملوك والرؤساء وأعضاء المجالس النيابية والقضائية جميعاً عن طريق المؤسسة الخطيرة الماسونية وكان هذا هو عصر التنوير الذى يفاخر بها الغرب المسيحى من غير أن يعرف مدى الخطر الذى طوق به التلموذيون عنقه . لكن المؤرخ توينبي يشير فى بحثه عن اليهود والغرب إشارات ذات بال عن مدى ما كان للحركة البروتستانية من أثر فى تحطيم جبهة الكنيسة الكاثوليكية الموحدة المعادية لليهود ، وهذا يعنى بصراحة لم يصل إليها توينبي أن البروتستانية قد أصبحت سواءُ فى إنجلترا أو هولندا أو الولايات المتحدة عش الصهيونية مع أن صاحب الدعوة إليها (لوثر) قد حمل على اليهودية حملة جبارة فى كتابه المشهور : « أكاذيب اليهود » . ويقول توينبي : أنه مصداقاً لهذا الاتجاه فإن إنجلترا وهولندا إبان القرن ١٧ ترحبان باللاجئين من اليهود باعتبارهم ضحايا الكاثوليكية والبروتستانية على السواء عدوة هذين البلدين البروتستانيين . ويقول : وقد ترتب على ذلك أن شارك اليهود بصفة عامة « ثمرات روح التسامح » المطرد النمو فى البلاد الكاثوليكية والبروتستانية على السواء . والمعروف أن اليهود خرجوا من الجيتو بخطة الثورة الفرنسية التى حضروا لها طويلا ثم غيروا بها وجه أوربا حتى أصبح لهم النفوذ الواسع والسلطان الكبير على جميع المؤسسات السياسية والاجتماعية والثقافية فى أوربا .

ثانيا : حركة التلمودية الصهيونيه على المحاور الثلاث

تحركت التلمودية الصهيونة على ثلاث جبهات شملت العالم المعمور كله : (١(الحركة الاولى فى اتجاه المسيحية والغرب وذلك عن طريق الماسونية وحصيلتها الثورة الفرنسية . (٢) الحركة الثانية فى اتجاه الارثوذكسية وروسيا وذلك عن طريق الماركسية وثمرتها الثورة الشيوعية . (٣) الحركة الثالثة فى اتجاه الدولة العثمانية والعالم الإسلامى وذلك عن طريق الماسونية وثمرتها الصهيونية .

(١)

أوربا المسيحيه : من الماسونيه الى الثورة الفرنسيه

كان على اليهودية التلمودية أن تغير من أسلوبها الذى كان مصدر طردها من كل

مكان حلت فيه فى أوروبا جزاءاً وفاقاً على ذلك الدور الذى كانت تقوم به : [المرابى] الذى يسلب الثروات وتاجر الرقيق الأبيض الذى يفسد أخلاق المجتمعات . وكانت الكنيسة قد فرضت على اليهود حياة فى أحياء خاصة وزياً خاصاً وحرمت عليهم الاتصال بالمجتمع المسيحى أو المصاهرة إليه ووقف منهم الملوك والحكام موقف الإزدراء والاحتقار والقتل أحياناً عندما يعجزون عن تسديد قروضهم . وقد ارتبطت اليهودية التلمودية بالربا والبغاء معاً وارتبطت صورة اليهودى بشخصية المرابى عبر التاريخ وهى الصورة التى خلدها شكسبيز فى شخصية شيلوك فى مسرحية تاجز البندقية أو يهودى البندقية . ويرى كثير من علماء الاجتماع أن اشتغال اليهود بالزبا جزء من طبيعتهم الأزلية ونزوعهم الابدى نحو امتصاص دم الأخزين وكان اليهود يعملون فى التجارة فلما اشتغل بها المسيحيون اعتزل اليهود التجارة وحولوا ممتلكاتهم إلى أموال سائلة وركزوا على العمل فى مجال تحويل العملة وإقراضها . وقد كان هذا العمل مصدر احتقار وامتهان شديدين لهم فى المجتمع الغربى المسيحى .وكان القانون الرومانى ومن بعده القانون المسيحى قد اعتبر أن مسالة الإقراض والإقراض مسائل شخصية بحتة ؛ ثم استطاع الربويون اليهود أن ينقلوا عملية الربا إلى صكوك يمكن أن والاقتراض) مسائل تخرج من نطاق الدائن والمدين إلى ثالث نظير ربح ما. وقد كانت المسيحية تحرم الربا على المسيحية ؛ أما اليهودية التلمودية فهى لا تحرمه إلا بين اليهود أنفسهم ؛ على كان من عوامل عصز التنوير والضغط التلمودى اليهودى على قوانين الغرب أن سمحت الكنيسة فى القرن الخامس عشر بالربا . وكان اليهود يتقاضون فوائـــد باهظة تزاوحت من ٥ر٣٣ إلى ٣٣ فى المائة مقدرين تعرضهم لخسارة أموآلهم وفقدان حياتهم . وقد كانوا عرضة لاستيلاء الملوك والاباطرة على مقدراتهم . وكان بعض الملوك والامراء يعطون المرابى اليهودى حق جمع الضرائب من الفلاحين مما زاد كره المجتمعات لهم . وكانت الجماهير تفسر بؤسها بأنه نتيجة الاستغلال اليهودى ، ومن هنا كان اعتماد المرابين على الملوك والامراء لحمايتهم من غضب الجماهير وفتكها . ثم نشات طبقة من أثرياء اليهود تخصصوا فى خدمة الملوك والاباطرة ، واتخاذهم حماية لهم فى حركتهم فى البلاد التى احتلتها هذه الدول كما فعلوا فى فرنسا وإنجلترا والبلاد التى احتلتها هاتين الدولتين . وعندما ضيق على اليهود فى قلب أوربا انتقلت جماعات منهم إلى شرق أوروبا فى دورة جديدة عبر

أراضى القياصرة الروس وبولندا . ثم كانت التجربة فى النهاية قد وجهت اليهودية التلمودية إلى اختيار طريق جديد : هو طريق إنشاء المحافل الماسونية واستقطاب المفكرين والمثقفين وكبار القوم فيها وتشكيلهم فكرياً جديداً قوامه الإلحاد والإباحية والخروج عن المسيحية والدين والخلق عامة . حتى إذا استطاعت هذه القوة أن تدمر المجتمع الاوربى وتمزقه حطمت معه كل القوانين والقيود التى حالت دون سيطرتهم على المجتمعات ومن ثم أمكنهم الخروج من عزلتهم إلى حيث النفوذ والسلطان الذى يضمن لليهودى : شرعية الربا وتحويله إلى نظام عالمى مع تبرير تجارة الرقيق الأبيض وفرضه على المجتمع البشرى كله . ومن ثم فقد كانت الماسونية التى صنعت الثورة الفرنسية هى المدرسة الفكرية التلمودية التى حولت مفاهيم المجتمع الغربى المسيحى إلى [أيدلوجية التلمود] هذه المدرسة التى أنشأت ذلك الرعيل الاول الذى حارب المسيحية حرباً عواناً : فولتير وديدرو وروسو . كان الخروج عن المسيحية هو الهدف ، وهو المدخل إلى اليهودية ، التلمودية ، تحت اسم الفكر الحر ، وفى ظل ما أطلق عليه عصر التنوير بعد عصر النهضة . وقد حملت رياح التنوير من خلال المحافل الماسونية الدعوة إلى إشاعة الإباحة والرذيلة فى العالم ، وفتح باب الزنا والربا على مصراعيه مع فلسفة تبرر الزنا وتقول عنه أنه غير محظور إذا تسامح الرجل بإمرأته لغيره . ويشير المعجم الفلسفى لفولتير إلى مثل هذه السموم وكذلك موسوعة ديدرو وتقول هذه المصادر أن الزنا ليس محرماً وأنه شريعة الطبيعة وأنه لو بقى البشر على سذاجة طبيعتهم لكانت النساء كلهن مشتركات بينهم . ولقد سجل التاريخ أن الملك لويس السادس رأى فى سجنه مؤلفات فولتير وروسو فقال : هذان الرجلان قوضا دعائم فرنسا ، والمعروف أن التراث الوثنى والإباحى البشرى كله الذى عرفته الفلسفات الفارسية والهندية والرومانية والإغريقية والبابلية قد صهره اليهود فى كيان واحد ومنهج واحد هو الماسونية التى أعلنت كذباً أن الأديان هى التى أوجدت الحروب والصراع والقتال . وأن الاسرة ليست من طبيعة المجتمع ، وأن عرى الجسم حرية له وصحة وسعادة وأن الوطن خيال باطل و**كذب محض** ، وأن الرايات الوطنية هى آية الاستبداد والظلم فيجب أن تلقى فى المزابل وأن الجندية والعسكرية نظامان فاسدان وأن على الابناء أن ينبذوا السلطة الوالدية . وأن معرفة الجميل ليست واجباً لازماً على البنين لوالديهم ، وليست السلطة الابوية بأمر دائم أو لازم ، وأنه من الضرورى

تحرير المرأة ونزعها من قيود الدين والأُسرة إلى المحافل والمراقص والاجتماعات المختلطة . ولقد كانوا يسألون أعضاء الماسونية عن موقف أحدهم إذا وجد فى فراش زوجته رجلا ، فكان إذا أظهر الامتعاض أو الاعتراض ردوه ولم يقبلوه . ويشير مؤلف كتاب الماسونية وأسرارها : إلى أن الماسونية تعتبر كبهيمة عجماء خالية من النطق فهو على مذهبها آلة صماء بلا نفس عاقلة ، ويقول : إن غاية الماسونية القصوى أن تسوق البشر إلى فك كل قيد يضبط شهواتهم ليخلعوا كل سلطة وينبذوا كل دين ، فيعيشوا عيش الحيوانات غير الناطقة ، وينقادوا إلى أوامر زعماء الماسونية إنقياداً أعمى . وهكذا كان مفهوم التنوير : رفع سلطة الدين المتمثل فى الكنيسة ووصاياها الاخلاقية وخلق روح التسامح بمفهوم الذلة والمهانة . يقول كانت :حركة التنوير هى الإفراج عن الإنسان من الوصاية هى فرضها على نفسه ، والوصاية هى عدم جرأة الإنسان فى استعمال قواه الطبيعية بدون استئذان الغير أما الوصاية الدينية فهى أرذل الوصايات وأشدها ضرراً » . وقد سرت هذه النزعة الأباحية الإلحادية فى الفكر الاوربى وظهرت طائفة من أتباع الماسونية وهم تلاميذ اليهودية التلمودية وأطلقوا على أنفسهم اسم العقلانيون المتحررون من نير الكنيسة وتعاليمها وهكذا أخذ اليهود يدمرون المجتمع المسيحى المؤمن الاخلاقى . وكانت وصية موسى مندلسن (المفكر اليهودى الاول) كخطة للعمل : الاتجاه إلى القومية دون النظر فى أمر الدين ، وأن على المواطن الاوربى أن يصرف النظر عن الدين وأن يتمتع بحرية الفكر وكان هذا فى الواقع هو منطلق اليهود لتدمير قيود الدين والكنيسة لينفتح أمامهم الطريق عن عن طريق القوميات والوطنيات . وقد ذهبوا فى ذلك من بعد مذهباً قضى على وحدة أوربا المسيحية وأقام بدلا منها القوميات المتصارعة التى حققت لهم سيطرة أكبر على مجالات الثقافة والسياسة والاجتماع . ولا عجب فى أن هذه الخطة كانت هدف الثورة الفرنسية التى قررت جمعيتها الوطنية فى ١٧-٩-١٧٧١ اعتبار اليهود المقيمن فى فرنسا مواطنين لهم كل حقوق المواطنين وعليهم جميع واجباتهم وقالت وثيقة حقوق الإنسان : « إن الإنسان خلق حراً ومتساوياً مع الناس جميعهاً فى الحقوق ، وبذلك انكسرت قيود المسيحية والكنيسة وتدافع اليهود إلى عضوية البرلمانات فى هولندا وإيطاليا وبروسيا بعد فرنسا حتى قيل أنه فى عام ١٨٧٠ لم يبق فى أوروبا كلها يهودى واحد غير محرر . (٢) يقول محرر المقتطف : إن الماسونية بدعة يهودية لأغراض خاصة باليهودى فهى واسطة وغاية ابتدعت بدهاء فائق

وصبغت بصبغة سرية لكى تستهوى الناس لان الناس بطبيعة نفوسهم يبتغون أن يعرفوا الأسرار فدخل فيها الخاصة والعامة حتى الملوك والحكام ، ومنذ ظهرت الماسونية ما رأينا منها عملا عظيما بل رأينا جميع الثورات والحروب الأخيرة فى القرن الحاضر قامت بدسائس ماسونية وكان أبطال هذه الدسائس ماسونيين منذ حرب السبعين الألمانية الفرنسوية إلى الإنقلاب العثمانى إلى الحرب الكبرى السابقة إلى ثورة الانقلاب الروسى ونشوء الشيوعية إلى المسألة الفلسطينية إلى الحرب العظمى الأخيرة ، كل ذلك بدسائس يهودية ماسونية الغرض منها إنشاء دولة صهيونية تنمو إلى أن تسيطر على جميع العالم وأخيراً ظهرت الصهيونية ممتطية الماسونية ، ولولا هذا الغرض لما كان لها وجود وكان مخترعوها مهرة شطاراً فجعلوها بشكل يعم كل العالم لكى يكون كل الناس خدامها وهم لا يدرون. فأدخلوا فيها الحكام والساسة العظام وكل من كان ذا نفوذ : دخلوها بطلاء الحرية والاخاء والمساواه وهى كلمات تغر وتستهوى وأدعوا أن عرضها إنسانى بحت وبهذه الخدعة استهووا كبار الناس وطووهم فيها وما أدرك الناس أنها لخدمة الصهيونية إلا لما ظهر الكتاب السرى الذى يشتمل على البروتوكولات التى وضعها الثلاثمائة شيخ من شيوخ إسرائيل فى أواخر القرن الماضى وفيه يصرحون بالصهيونية وباستخدام الماسونية لها وعلى الرغم من إنكارهم لها وإدعائهم أن البروتوكولات مزيفة ومدسوسة عليهم فقد برح الخفاء وظهرت الحقيقة وهى أن الحركة الصهيونية قديمة جداً وغرضها تحين الفرصة لإنشاء دولة فلسطين وقد أثبتوا أن الماسونية لهذا الغرض ونجحوا . ثم قرروا الفكرة الشيطانية وهى أن يستخدموا جميع الامم والناس لغرضهم هذا من غير أن يدروا ، ولما نجحت الماسونية بعض النجاح أو كله جعلوها ثلاث فرق : (١) الماسونية الرمزية : مباحة ينتظم فيها الناس على اختلاف جنسياتهم وأديانهم .(٢) الماسونية الملوكية : وهى منفصلة عن تالك وفى الوقت نفسه مرتبطة بها ارتباطاً لا يفهمه إلا الراسخون بالعلم الماسونى وهذه ماسونية تصدر تعليمات أو أوامر تنفذها الماسونية الاولى من غير أن تدرى مصدر هذه الاوامر ومآلها . ، (٣) الماسونية الكونية : وهى أكثر سرية من الاخرى وهى تملى الإرادة العليا ولا يدخلها إلا نفر قليل وربما لم يعرف بها غير أعضائها وتستخدم الماسونيين الآخرين لنشر الفوضى فى العالم على قاعدة فرق تسد ليستطيع اليهود بواسطتها أن يعودوا إلى صهيون ، وفى نظام كاتم للأنفاس غاية فى الإذلال والقسوة يتشكل أتباع الماسونية بالإرهاب.

والخوف ، على فلسفة غاية فى الخروج عن كل قيم الأخلاق والدين . إن الفلسفة الماسونية كما وصفها دهاقين اليهودية التلمودية ترتكز على أساس نسف جميع المدنيات والحضارات وإزالة الاديان السماوية لتحل محلها الفلسفة الحاقدة على البشر أو لتقيم على أنقاضها ملك إسرائيل . ولذلك فإن هدف الماسونية الاصيل هو تحطيم العقيدة الدينية بدعوى أنه لا فرق بين دين ودين ولاعقيدة وعقيدة. وبذلك تتحطم الدعائم الاعتقادية فى نفس صاحبها ما دام قد اعتقد أنه لا فرق بين دين ودين آخر ، حتى ولو كان فى نظره باطلا فليس هناك ما يدعو إلى الاعتزاز بدينه أو التمسك به ثم تنشئ الماسونية فى نفوس أتباعها عقيدة باطلة هى جماع المجوسية والبرهمية والزرادشتية وعبادة الحيوانات .

يقول جرجى زيدان : قد ثبت بالشواهد المتعددة ، أن أولئك الفلاسفة كفولتير وروسو وديدرو ودالمرت وفردريك الثانى ملك بروسه كانوا كلهم من أشياع الماسونية يعدون فى محافلهم تلك الاسلحة القتالة التى حاربوا بها الدين من أكاذيب وتشنيعات ، وإذا راجعنا عبارات قادة الماسونية لوجدنا خطتهم واضحة صريحة : (١) كل شيء مادى فالله والعالم ليسا إلا شيئاً واحداً وجميع الديانات هى خيالية غير ثابتة اخترعها ذوو المطامع . (٢) العلم هو الأساس الوحيد لكل معتقد ورفض كل عقيدة تقوم على أساس الوحى . (٣) السطو على فكرة الوحدانية أو تشويهها بالتفاسير كالقول بأن الطبيعة هى الله . (٤) إنكار وجود الخالق وتأييد قدم العالم . (٥) تخطئة الأنبياء والسخرية بهم والقدح فى أنسابهم . (٦) الدعوة إلى الإنسانية والعالمية وإلغاء القوميات والحياة العائلية والأديان . (٧) الدعوة إلى الحروب بين الامم كمقدمة لإنهاكها وتدميرها . وهكذا نحن نجد فى فلسفة الماسونية أصول جميع المذاهب المادية والإباحية التى تشكلت من بعد فى أيدلوجيات ومذاهب ودعوات فقد حملت الماسونية لواء دعوات وحدة الوجود وأساطير الأولين والثيوصوفية والروحية الحديثة والبهائية . يقول أحد الباحثين : إن أهم العوامل التى ساعدت على انتشار الماسونية طوال القرن الماضى هى المذاهب الحرة التى تعتبر من نتاج الفكر البشرى ، كذلك فإن الأفكار التى تصدر عن الدين الحق فهى تتعرض للنقد اللاذع والعداء المر والأراجيف من قبل الماسون . إن الماركسية واللاقومية هما وليدتا الماسونية لان مؤسسها كارل وانجلز هما ماسونى الدرجة الحادية والثلاثين ومن منشيي المحفل

الإنجليزى ، وفى إطار الماسونية مضت حركة التنوير وظهر فلاسفة التنوير الذين جعلوا دعوتهم الاعتماد على العقل ولم يقبلوا إلا سلطانه وهم دعاة الدين الوضعى ، وذلك بعد أن أزالوا مفهوم الدين الحقيقى من الغرب لفرض مفهومهم البديل . فهم قد ورثوا الحضارة الغربية وتسلموها ولم يكونوا قد شاركوا فيها أساساً ، إذ فرضوا أنفسهم على الفكر الغربى وسيطروا عليه سيطرة كاملة ثم أباحوه للادينية واللاخلاقية والإباحية وفق مناهج فلسفية ذات طابع علمى براق . كان هدف الماسونية من ذلك تحطيم أوربا وعقيدتها لتجعلها مؤهلة للاحتواء داخل الفكر التلمودى الصهيونى لتحقيق هدفها فى السيطرة ، لقد استغلوا كل الفلسفات والآراء وحولوها إلى غايتهم . تحت اسم الفكر الحر والتبرير العقلى وكان فلاسفة الموسوعة هم مقدمة الثورة الفرنسية : ديدرو ، دالمبير ، مونتسكيو ، روسو ، والقاموس الفلسفى فولتير . وبرزت فكرة الدين الوضعى أى الدين القائم بالعقل بعقائده وطقوسه ومؤسساته وكان التركيز على التحرر من سلطان المسيحية بالعمل على التحرر من سلطان الكنيسة ، وكان كل العاملين فى هذا المخطط الفلسفى من خدام اليهودية التلمودية التى تشكلوا فكرياً فى محافل الماسونية ومنهم فولباخ الذى أنكر وجود الله وخلود الروح وحولوا نظرية دارون عن أصل الاجناس والتطور البيولوجى إلى نظرية اجتماعية عامة لهدم القيم الاساسية والدينية . وقد أشارت البروتوكولات إلى مهمة الماسونية فى تطعيم أكبر مجموعة من الكتل البشرية بالفكر المسموم ، بالمذاهب الحرة التى تدعو إلى تحرير الابناء من توجيه الآباء ، والسيطرة على الشباب فى أولى مراحله . وقد كانت صيحتهم « دعوا الكهول وتفرغوا للشباب ، بل تفرغوا حتى للاطفال » وقولهم : « لابد من تربية الاطفال بعيداً عن الدين ، ولقد أشارت الابحاث إلى أن الماسونية تستعين بالفرق والاندية الرياضية والجمعيات الموسيقية لاستدامة نفوذها فى أوساط الشباب ، وأن هـذه الجمعيات هى المرتع الخصيب للتأثير على الشباب عقلياً وجسمياً والهدف هو محاربة كل شىء أسمه الاخـلاق .

(٢) الثورة الفرنسيه

تقول دائرة المعارف الماسونية : أنه منذ القرن السادس عشر والبناءون الأحرار فى مقدمة القائمين بحركات اجتماعية سلمية كانت أو عنيفة قلبت الأوضاع القديمة واقامت الاسس للديمقراطية

الحديثة وكانت الثورة الفرنسية فى مقدمة الحركات الإصلاحية القومية العنيفة » وتضيف دائرة المعارف الماسونية إلى اعترافها قولها : « قال لامرتين : إن اعتقادى ثابت بأن الماسونية أخرجت الأفكار العالية التى تأسست عليها الثورات الكبرى عام ١٧٨٩ وعام ١٨٣٠ وعام ١٧٤٨ وقال المؤرخ السياسى الاقتصادى لويس ربلان بأن الماسونية كانت معملا للثورة وكان أثرها فيها أعظم من أثر موسوعة الانسكلوبيدية فقد مكثت الماسونية نحو نصف قرن تعد محافلها أفكار الشعب الفرنسى للقيام بثورته الكبرى ولا غرابة فى الامر فالماسونية قد اتخذت لها شعاراً كلمات ثلاث : « حرية . أخاء . مساواة » اتخذتها قبل أن تتخذها « الثورة الفرنسية » شعاراً . ويشير الباحثون إلى أن الماسونية حققت أول نجاح لها فى الثورة الفرنسية ففتحت لليهود مكان المساواة مع الاجناس الاخرى فقد أسست لاجل هدم الحكومة الدينية البابوبة أولا وبالذات ثم هدم كل حكومة دينية وإقامة حكومة لا دينية مقامها بحيث تكون الجمعية رابطة أدبية وصلة تعارف وتعاون بين أهلها المؤلفين من أهل الملل المختلفة دون أن يعرف الذين يزدهيهم هذا الشعار الجميل أن الهدف هو سيطرة اليهود على جميع هذه الملل وإدارة الاعمال لهم وفق خطتهم وطريقهم وبذلك استطاع اليهود أن يهدموا عن طريق الماسونية الحكومات المسيحية الدينية فى أوروبا وكذلك الحكومتين التركية والروسية . دخلت الماسونية إنجلترا عام ١٧١٧ وفرنسا ١٧٢١ أدخلها إليها الإنجليز فتغيرت أحوالها وقد اعترف اليهود بأن الثورة الفرنسية هى وليدة الماسونية ، وأعلنوا أنهم صانعوا الثورة الفرنسية ، ويقول لويس شيخو : ما كانت الثورة الفرنسية غير لهيب تلك النار الآكلة الى أخرجوها فى أنحاء أوروبا حتى التهمت أقاصى البلاد ، وأبلغ قولهم : « ينبغى أن يشنق آخر ملك بامعاء آخر قسيس » . ولقد كان واضحاً منذ اليوم الأول أن الهدف هو إعادة ملك سليمان والسيطرة على القدس ، يقول موسى هيمى جايم فى كتابه [روما والقدس] الذى نشر عام ١٨٦٢ « إن ما علينا عمله اليوم لإعادة تأسيس وطن اليهود القومى أن نحتفظ دائماً بالأمل الذى بدأ فى الثورة الفرنسية فى بعثنا السياسى وأن نوقظ الأمل كلما نام فإذا مكنتنا الحوادث التى تتأهب للوقوع فى الشرق من البدء عملياً فى إعادة إنشاء دولة يهودية فإن الخطوة الثانية ستكون إنشاء مستعمرات فى أرض الاجداد . ولقد كانت الثورة التى بدأت فى فرنسا منطلقاً لاوربا كلها ، وقد سار الشعب الفرنسى فى الطريق الذى رسمته له اليهودية التلمودية ، فقد يسر اليهود

للفرنسيين الانغماس فى حياة الترف والفجور ، وزينوا باريس لتكون مدينـــة النور والأزياء والخمور ، والملاهى ، والدعارة ، والانحلال والإباحية والوجودية وهى التى كانت تسمى ابنة الكنيسة الكاثوليكية ، وفى أقل من نصف قرن حول اليهود فرنسا إلى ماخور كبير يؤمه جميع طالبى المتعة الحرام من مختلف بقاع الارض . يقول ألبير سوبول فى كتابه (تاريخ الثورة الفرنسية ودوافعها) : أحلت الثورة بمنطق الاحداث تدريجياً ، دولة علمانية منفصلة عن الكنيسة محل دولة الحق الإلهى ووحدة العرش والمذبح ، وفى ١٣ نيسان عام ١٧٩٠ رفضت الدولة المحافظة على الكاثوليكية كدين الدولة معتبرة أنها لم تستطيع ولن تستطيع أن يكون لها آية سلطة تمارسها على الضمائر وعلى آراء الدينية ، وسرعان ما استطاعت قوى اليهودية التلمودية المتحكمة فى مجريات الاحداث من إلغاء التعليم الذى كانت تشرف عليه الكنيسة وفتح الباب واسعاً أمام التعليم العلمانى وتقدمت علمنة الدولة تقدماً حاسما كما يقول المؤلف : بعد (١٠ اب ١٧٩٢) ثم أزالت الجمعية التشريعية : الجمعيات الدينية المختصة بالتعليم والخدمة العامة معتبرة أن دولة حرة حقاً لا يمكن أن تتحمل آية جمعيات ذات صبغة اعتبارية ووضعت أملاك المستشفيات والمعاهد والجامعات برسم البيع . وصدر قرار بمنع لبس الثوب الدينى باستثناء خـدام العبـادة أثناء ممارسة وظائفهم وفى أيلول ١٧٩٢ أعلنت الجمعية التشريعية : الأحوال الشخصية وأقرت الطلاق معتبرة أن الزواج ليس سوى عقد مدنى وقد أدى فصل الكنيسة عن الدولة إلى مضاعفات الحرب الأهلية وإزالة المسيحية رغم التوكيد الرسمى على حرية العبادة فقد استمرت الكنائس مغلقة وقد أدى تخلف الممارسة الدينية إلى تقدم الإلحاد واستمرت الكنيسة والثورة عدوتين وغير متفقتين فى الميدان . ولما جاء بونابرت فهم الدين وسيلة للخضوع الاجتماعى والكنيسة أداة للحكم ولذلك رفض أن ينص على أن الكاثوليكية فى مرتبة دين الدولة ولو أنه اعترف بها دين أكثرية الفرنسيين فقد أخضع الكنيسة للدولة خضوعاً ضيقاً بواسطة القوانين العضوية وزال فصل عن الدولة مدة قرن ، ولكن الدولة استمرت علمانية وقد كان نتيجة لذلك كما يقول المؤلف أن تغير موقف الأكليروس : الذى كان يضم من ٢٠ إلى ٢٥ ألف راهب وحوالى ٤٠ ألف راهبة (٦٢٥ ديراً للبنات) ، عرفت انحطاطاً أخلاقياً عميقاً وفوضى هائلة ، فقد كان الأساقفة يشتكون من سلوك هؤلاء الرهبان السافل الخليع . ثم لم يلبث أكثر الرهبان أن أصبحوا من المجازين للأفكار الجديدة يقرأون الفلسفة ، ويقول المؤلف : أن الأكليروس

العلمانى نفسه وقع فى أزمة حقيقية فالدعوة الدينية لم تعد تعتمد — كما فى الماضى — على أساس الإيمان وحدة فقد زعزعته الدعاية الفلسفية منذ زمن طويل » . وتقول السيدة فستا ويستر فى كتابها باللغة الانجليزية بعنوان (لويس السادس عشر ومارى انطوانيت) إن المساعى الخفية التى قامت بها الجمعيات السرية وراء الستار كانت كالأسباب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية عاملا خطيراً فى نشوب الثورة الفرنسية . وإن الثورة الفرنسية ترجع إلى جهود الجمعيات الماسونية ومحافل البناء الحر ، وإن هذه الهيئات السرية لعبت من وراء الستار دوراً عظيما لإضرام نارها . وتشير أبحاث متعددة عن دور الماسونية فى إيقاد نيران الثورة الفرنسية ، وتقول أنه حين قامت الثورة كان المحفل الماسونى الأكبر هو مركز تجمع قادة الثورة وقد وضعت القوانين والأنظمة للثورة الفرنسية فى ذلك المحفل . كما تشير إلى أن أوربا كلها تتأهب لتخطو خطواتها فقد كان حكام الدول الاوربية وقادتها بما فى ذلك روسيا وبولندا عندما قامت الثورة الفرنسية ١٧٨٩ يتبادلون أنظمة التعليم العلمانى وأفكار الإصلاح التى روج لها اليهود وقد قام اليهود بتمويل الثورة وأنها « حين اندلعت كان وجهها يهودياً تلمودياً إذ لم يعرف التاريخ كالغوغاء الذين نظموا أو تآمروا وثارو ضد كل طبقة من الناس وكانت غاياتهم تدمير النظام ومقوماته من الملك إلى النبلاء ورجال الدين وطمس القوانين وتغيير العملة وعلم البلاد والتقويم الرسمى « ولوحظ أن الثورة لم يقم بها فرنسيون لحماية فرنسا وخيرها بل قام بها أجانب يستترون وراء قوة غريبة ترمى إلى هدم كل شىء فى فرنسا . ولم يكن أولئك الأجانب سوى اليهود الذين خططوا للثورة ومهدوا لها بخلق فراغ كبير بين الاسر الحاكمة وبين الشعب ثم بأثقال كاهل البلاد بالديون اليهودية ليظهر الملك الحاكم أمام شعبه مبذراً أنانياً ظالماً ، وسرعان ما شرع اليهود يزيفون التاريخ ويصورون الثورة الفرنسية بصورة العمل التاريخى الذى خدم الإنسانية وأعطى وثيقة حقوق الإنسان . وهى فرية يهودية انطلت على ملايين البشر الذين انخدعوا بالتاريخ المزيف الذى كتبه اليهود وعملائهم نقول:وهو نفس ما فعلوا بالقيصرية الروسية وبالسلطان عبد الحميد وهى الثورات التى نجح اليهود فى تأجيجها والحصول على مكاسبها الضخمة التى غيرت وجه التاريخ المعاصر كله وما تزال الثورة الفرنسية حتى اليوم تخدع الكثيرين ويحتفل بها الفرنسيون وهم يتحركون فى إطار الماسونية التلمودية الصهيونية . ويقول أحد المؤرخين : إن الثورة الفرنسية غدت فى حقيقتها من أسباب شقاء العالم وإزلال الشعوب وتسخيرها لخدمة اليهودية العالمية التى

خططت للثورة ومولتها ونفذتها وجنبت أرباحها ، ويكفى أن نذكر الحقيقية المرة وهى أن فرنسا منذ ثورتها اليهودية الماسونية عام ١٧٩٨ وقد تحولت تدريجياً إلى مزرعة يهودية بمالها وثقافتها وعلمها وسياستها واقتصادها . كما غدت فرنسا بفضل التسامح المخل الذى فرضته الثورة بؤرة فساد توزع الرذيلة والقسوة والفجور على العالم بأسره ، كما تولى اليهود عملية تحويلها إلى ماخور للترفيه عن الأثرياء والأفاقين والمغامرين الذين يرحلون إلى فرنسا للاستمتاع بالفن اليهودى الفرنسى والمدنية اليهودية المدمرة وقد أضحى اليهود بعد الثورة : هم القوة الحقيقية التى ترهب الشعب الفرنسى تحت الستار المزيف وحين انتهت السلطة العليا فى فرنسا إلى نابليون انتهز اليهود الفرصة وأخذوا فى الاتصال به والإيحاء إليه عن طريق مستشاريه من اليهود وخاصة رجال الدين فيهم ، يقول ليفى أبو عسل فى كتابه الذى نشره عن طريق اليهود فى مصر : « وقد أدرك نابليون بفرط ذكائه ما يمكن أن تنتجه أذهان اليهود وكان يعلم أن إنقاذهم وإعادة نشاطهم فى ميدان السياسة ومناحى الثقافة وطن أجدادهم وفى جزء من الأقاليم المصرية لا يقتصر أمرهما على أن يكون حادثاً تاريخياً وإنسانياً فحسب ، بل يجب أن يكون من الوسائل الفعالة ليحقق ما لنابليون من المقاصد الكبيرة والمرامى البعيدة فى الشرق وقد تأهب نابليون لهذا الأمر بأن ضم إليه اليهود والذين كان يجب أن يفعلوا ما يطابق الحالة الجديدة التى سيشرع فى اتخاذها ولكى يتمكن من احتلال فلسطين من أقصاها ولإحاطة جيوشه بسياج من الأمن والطمأنينة » . وقد أصدر نابليون نداءه ووعوده لليهود باقطاعهم أرض مصر وفلسطين لكن أحداً منهم لم يستجيب له لأنه سرعان ما انسحب من عكا عائداً إلى بلاده . ولقد استفحل أمر اليهود بعد نجاحهم فى الثورة الفرنسية مما شجعهم على التمادى فى خلق الفتن وتدبير المؤامرات وتحريك الثورات وتنفيذ الاغتيالات السياسية . ولقد كانوا دائماً فى الحروب والثورات يقسمون أنفسهم على جانبى المعركة ومع طرفيها ليتمكنوا من ابتزاز أموال الطرفين المتحاربين . ففى حرب نابليون مع بريطانيا كان أغنياء اليهود يقدمون القروض للإنجليز والفرنسيين معاً . وفى معركة (واترلو) لعب روتشيلد لندن لعبة يهودية قذرة بأن دبر مع روتشيلد باريس طريقة سرية لنقل أخبار المعركة واستطاع روتشيلد لندن أن يعلم من أخيه فى فرنسا رجحان كفة الإنجليز فى المعركة فما كان منه إلا أن ذهب إلى (البورصة) متجهم الوجه فظن الإنجليز أن المعركة خاسرة وأقبلوا على بيع الأسهم فهبطت أسعارها فى دقائق ليجد من عملاء روتشيلد من يشترونها بأثمان زهيدة ثم تصل أنباء

المعركة الرسمية إلى لندن بعد ساعات من شراء الأسهم من المساهمين وفى صباح اليوم التالى يكون خبر النصر قد انتشر فى البلاد وتفتح البورصة أبوابها لتعود الأسهم إلى الارتفاع من جديد ليربح روتشيلد لندن عشرة ملايين دولار فى أقل من ٢٤ ساعة . ولقد عرف ضحايا نابليون فى أيامه الأخيرة وقبل سقوطه مدى نجاح اليهود فى خداعه والغدر به حتى قال عنهم: لقد عزمت على تحسين أحوال اليهود غير أنى لا أريد زيادة منهم فى مملكتى . لقد عملت بالفعل كل ما يثبت إزدرائى لأحقر شعب على وجه الأرض . ويقول عزيز ميرهم : إن الثورة الفرنسية مع صنع الماسونية وإذا عددت كبار رجال الثورة وجدتم من الماسون أمثال : ميرابو - بربسو - كاميل ديمولان - دانتون - كوند رسيه بل أن محررى الولايات اليحدة من الماسون: لافيت ووشنطون والماسون هم الذين حرروا العالم من سلطان البابوية وفرقوابين السلطة المدنية والسلطة الدينية وفى التاريخ الإيطالى ماسونيين شهيريين : ماتسينى وجاريلبارى . هم أساس الوحدة الإيطالية وكذلك الأمر بالنسبة لتركيا فقد تالت دستورها بفضل عمل محافلها الماسونية . (٦) من خطط الماسونية الواضحة : قولها أن الأفعى اليهودية تتغلغل فى قلوب الامم التى تقاومها بواسطة الماسونية وهى تتم تطويق الأرض حين تصل إلى فلسطين . ومن خططها قولها : أن تمجيد العنصر اليهودى يجب أن يكون أهم واجبات الماسونى . وقد أشار البروتوكول الرابع إلى الماسونية عندما قال : من ذا الذى يستطيع أن يخلع قوة خفية عن عرشها ، هذا هو بالضبط ما عليه حكومتنا الآن : المحفل الماسونى المنتشر فى كل أنحاء العالم يعمل فى غفلة كقناع لأغراضنا ولكن الفائدة التى نحن دائبون على تحقيقها من هذه القوة (الماسونية) فى خطة عملنا وفى مركز قيادتنا لا تزال على الدوام غير معروفة للعالم كثيراً . وتقول الماسونية : علينا أن نسمح بالانحلال فى المجتمعات غير اليهودية فيعم الفساد والكفر ونضعف الروابط المتينة التى تعتبر أهم مقومات الشعوب فيسهل علينا السيطرة وتدمير مقومات الشعوب غير اليهودية والقضاء على الأخلاق والدين وإثارة الفتن والحروب . وتقول بربارة توخمان فى كتابها (التوراة والسيف) : أن المؤسسين الأصليين للوطن القومى اليهودى وبالتالى لإسرائيل فى فلسطين هم الماسونيون وفى علاقة الماسونية باليهودية التلمودية. يقول قبندل فى كتابه (اليهودية والماسونية) : اليهودية كقوة قاعدة ينبغى أن تخضع الماسونية لها . ويقول دكتور إسحق وايزمان فى كتابه إسرائيل وأمريكا : أن الماسونية مؤسسة يهودية . وتقول الصحيفة اليهودية (لافريتا إسرائيليب) العدد ٥ ص ٧٤ : « إن روح الحركة الماسونية هى الروح

اليهودية فى أعمق م تقداتها **الاساسية** . أنها **أفكارها** ولغتها وتسير على نفس تنظيماتها وأن الآمال التى تنير طريق الماسونية وتسند حركتها هى نفس الآمال التى تساعد وتنير طريق إسرائيل وتتويج نضالها سيكون عند الظفر بذلك المصلى الرائع الذى ستكون أورشليم (القدس) رمزه وقلبه النابض . وقد سئل اليهودى راكتشت : ما هى الماسونية فاجاب : الماسونيون الاحرار هم الذين يبنون المملكة اليهودية العالمية . وأشارت كتابات متعددة إلى أن عدداً كبيراً من حكام وزعماء العالم الحاليين يعتبرون من عظام الحركة الماسونية . وفى بحث ضاف للاب لويس شيجو عن الماسونية كتبه عام ١٩٠٩ : يقول لو أردنا تتبع كل الامور التى جرت فى أوربا عموماً وفى فرنسا خصوصاً منذ مائة وعشرين سنة ما وجدنا حادثاً واحداً من الحوادث السياسية إلا وكان للماسون فيه يد مشئومة وسهم فائز ، وأن الماسونية هيكل عظيم كهيكل رومه القديمة (البانثيون) يحفل بجميع الآلهة مرحباً بهم لانه يتالف من مجموعهم كلهم إلا إله واحد فيكون إله الماسون مجموع آلهة الصين والهند وهمج أفريقيا وبرابرة أرقيانية وقد أختار الماسون لله اسماً لا تجد له ذكراً فى الاسماء الحسنى العديدة التى وردت فى الكتب المنزلة « مهندس الكون » كانه تعالى لم يخلق الكائنات من العدم وإنما هو مهندساً فقط . ويورد ما كتبه أحد أعيان الماسونية عام ١٨٨٢ : الكونت دى كوجتس : لقد تأكدت وعرفت حق المعرفة أن الماساة العظيمة التى ابتدأت عامين ١٧٨٨ ، ١٧٨٩ (يقصد الثورة الفرنسية) مع قتل الملك (يريد لويس السادس عشر) والفظائع التى رافقته إنما كانت نتيجة أعمال المحافل الماسونية وعاصرت سيول الدماء بعد ذلك فى كل أنحاء فرنسا حتى صارت أرضها أشبه بمستنقع دم وقد صرح رئيس الماسونية الالمانية فى خطاب تلاه عام ١٧٩٤ قال : هنيئاً لفرنسا لسبقها بقية الامم عن طريق الثورات وقال إن جماعتنا الماسونية قد أضرمت فى الشعوب الأوربية نار الفتن فهيهات أن تخبوا لظاها قبل أجيال متعددة وقال الاب لويس شيخو : أن هدف الماسونية هو شل عرش الدين وتقويض أساسه ونفى معتقداته ومعاداه أربابه وتبديد شمل نظامه الالهى وأن كل ما كتبه الفلاسفة « وركايم وغيره يوجدفى تعاليم الماسون وقد قال دلامار : أن الماسونية بنشرها أسباب الفساد والخلاعة قد أضرت بفرنسا أكثر من حرب السبعين . وأشار عبدالله التل إلى أن جمعية نباى برث (أبناء العهد) كانت مع الماسونية العالمية وراء الثورة الفرنسية ففى الإجتماع الذى عقد عام ١٧٨٩ لوضع الدستور الجديد كان هناك ثلاثمائة عضو ماسونى أغلبهم من جمعية بناى برث اليهودية وفى اجتماع اليهود بمؤتمر

بال عام ١٨٩٧ صرح رئيس الوفد الاميرى لبناى بيرث بقوله أن الهدف هو : يقول تخريب المدنية المسيحية والإسراع فى نشر الفوضى . وقد كان لهذه الجمعية أصبعاً فى إشعال الحرب العالمية الأُولى بتعاونها مع الماسونية والصهيونية ورجال المال من آل روتشيلد وكذلك فى إشعال الحرب العالمية الثانية . وقال وزير خارجية بريطانيا (دالاس) عام ١٩٥٦ : إن مدنية الغرب قامت فى أساسها على العقيدة اليهودية فى الطبيعة الروحية للإنسان ولذا يجب أن تدرك الدول الغربية أنه يتحتم عليها أن تعمل بعزم أكيد من أجل الدفاع عن هذه المدينة التى معقلها إسرائيل ، والمعروف أن البروتستانت يؤمنون بخرافات التوراة (العهد القديم) ويجعلونها أساساً لسياسة بلادهم نحو فلسطين .

(٣) الماسونية والمسيحية

استهدفت المخططات التلمودية اليهودية محاصرة المسيحية واحتوائها والسيطرة عليها كخطوة أولى فى سبيل تحقيق هدفها فى السيطرة على البشرية وقد كانت خطتها التى حملتها « الماسونية » ونفذتها هى : — الانتقام من الكنيسة الكاثوليكية التى فرضت عليها قوانينها وحبستها فى الجيتو ، وحرضت على اليهود من كل البلاد الغربية والتنديد بهم من خلال الخلاف القديم الذى بدأ بعد بعثه عيسى عليه السلام وهو خلاف عميق الجذور ، وكان للقديس بولس اليهودى الاصل دوره فى خطة احتواء المسيحية وإخراجها عن رسالتها الحقة التى جاءت بها وتبديل الناموس وإدخال مفاهيم : الصلب والخطيئة والتثليث إليها وقد كان اليهود ينتظرون المسيح المخلص الذى يخلصهم من العبودية بعد تشتتهم ويعيد إليهم ملكهم الدنيوى ، فلما ظهر يسوع أو عيسى فى صورة قديس وحاول تخليصهم روحياً وخلقياً من شرورهم ولم يظهر فى صورة ملك يعيد ليهم سلطانهم الدنيوى أنكروه واضطهدوه وحتى الآن وهم ينتظرون المسيح المخلص فى صورة ملك من نسل داود يخلصهم من الاستعباد والتشتت ولذلك فإن محاولة تدوين التلمود جاءت بعد الخطة الرومانية لإبادتهم عام ٨٠ ميلادية وبعد ظهور المسيحية نفسها وهى إصرار على خطة تفسير العهد القديم الذى يحقق مطامع الشعب المختار فى السيطرة على العالم . ولقد كانت الكنيسة الكاثوليكية تعرف هدف الماسونية ولذلك فإنها كانت تنبذ كل فرد مسيحى يثبت لديها اشتراكه فى عضوية المحافل الماسونية فيسقط عنه الإيمان المسيحى وذلك على أساس أن الماسونية عقيدة صهيونية يهودية الغرض

منهامحاربة الاديان وتطويع المعتقدات الأخرى للسيطرة اليهودية كما أشار الباحثون المسيحيون والمؤرخون إلى هدف الظاهرة الخطرة فى محاولة اليهود للسيطرة على العقلية المسيحية وأطلقوا عليها ظاهرة تهويد المسيحية خاصة فيما يتعلق بطبيعة القضية الفلسطينية من الناحية الدينية . وما تزال اليهودية منذ ظهور المسيحية وهى فى حرب معها ، وقد وجهت الماسونية هدفها لخدمة التلمودية وحرب المسيحية وكان الفلاسفة الاحرار جميعاً كما أطلق عليهم محاربون للكنيسة على امتداد التاريخ الاوربى كله ومنذ إنشاء المحفل الماسونى فى بريطانيا عام ١٧١٧ والماسونية تحارب التعليم الدينى وتسهم فى تاسيس مدارس علمانية بهدف القضاء على نفوذ الكنيسة ، وقد صدرت أول نشرة بابوية ضد الماسونية عام ١٧٣٨ وفى عام ١٨٥٦ بعد أن أصبح الماسون فى مركز القوة وتولى كثير منهم الوزارات والمناصب العليا أصدروا نشرة صريحة أعلنوا فيها موقفهم من الاديان ومما جاء فيها . « نحن الماسون لا يمكننا أن نتوقف عن الحرب بيننا وبين الأديان لأنه لا مناص من ظفرها او ظفرنا ولن نرتاح إلا بعد إقفال جميع المعابد وإذا سمعنا لمسيحى أو مسلم بـ الدخول فى أحد هياكلنا فإنما ذلك قائم على شرط أن الداخل يتجرد من أضاليله» . وقد فهم رجال المسيحية الماسونية على حقيقتها ، وظلوا طيلة القرنين الماضيين فى حرب لها وكشف لأساليبها باعتبارها خطراً على الأديان كلها وعلى المسيحية بالذات ولكن المسيحية فى العصر الحاضر لم تلبث أن غيرت موقفها ولقد كشفت بروتوكولات صهيون عن هدف الماسونية كمؤسسة لليهودية التلمودية ،هذا الهدف الذى يرمى إلى تحطيم الديانة المسيحية تحطيما كاملا ، والقضاء على الحضارة المسيحية الأوربية وتقول البروتوكولات : لقد خدعنا الجيل الناشىء وجعلناه فاسداً متعفناً بما علمناه من مبادىء ونظريات يجب أن نحطم كل عنان الإيمان . وتكون النتيجة المؤقتة لهذا هى إثمار ملحدين يجب أن نكتسح كل الأديان والعقائد الأخرى وإن كان هذا يؤدى إلى وجود ملحدين ينكرون وجود الخالق . واليوم تسود «حرية العقيدة » فى كل مكان ولن يطول الوقت إلا سنوات قليلة حتى تنهار المسيحية انهياراً تاماً » . ولقد كشفت كتابات رجال الماسونية فولتير ورسو ورينان عن رأيهم فى السيد المسيح وعباراتهم عنه قاسية ولئيمة . ويتحدث أميل الخورى حرب عن « مؤامرة اليهود على المسيحية » داعياً إلى التمييز بين الموسوية واليهودية . وأشار إلى أن معركة ضارية قامت بين اليهودية حيث وجهت اليهودية والمسيحية عنايتها إلى القدح والذم وتلطيخ المسيحية بأقبح الصور وأنها أخذت تحارب المسيحية بالمذاهب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى تخدم الروح

المسيحية والمبادىء القومية وتقويض أركان الدول المسيحية فتحقق اليهودية غرضها بصورة غير مباشرة دون أن تصطدم بها وجهاً لوجه وقد نجحت اليهودية بهذه الخطة إلى حد بعيد . وقال : أن هناك مئات من المجلدات كتبها اليهود تطعن بالمسيح والمسيحية والقديسين والكنيسة والأسرار . وقال أن معالم هذه السياسة أخذت تظهر فى أواخر القرن ١٨ مع انتشار الروح الثورية فى فرنسا وبعد أن انتقلت الجمعيات السرية الخاضعة لنفوذهم من العمل وراء الستار إلى العمل فى وضح النهار وإن جوجنود وموسو تحدثوا عن تهويد الشعوب المسيحية ومنها كتاب « المأساة الماسونية والمؤامرة اليهودية على العالم المسيحى » الذى كتبه : كوبان البانسلى (باريس ١٠٩٩) وكذلك كتاب (الكنيسة الرومانية أمام الثورة) الذى كتبه كربتتولى عام ١٨٦٣ . ويقول إلس : إن الكتاب الذين يجرى فى عروقهم دم يهودى كانوا فى طليعة الداعين إلى المذاهب المنافية للدين والآداب . وفى الثورة الفرنسية لعب اليهود دوراً بارزاً بالنظر لقلة عددهم وكانوا ممن نظموا نهب الكنائس وقد عمل اليهود إبتداء من الثورة الفرنسية حتى نهاية القرن التاسع عشر (خلال مائة سنة) على نشر المبادىء الهدامة وإشعال الثورات . ويقول إميل خورى : أنه يجب الكشف عن الفارق البعيد بين الموسوية وبين اليهودية التى تقوم معتقداتها على غير الدين المنزل على موسى عليه السلام والتى تقوم على أن اليهود هم شعب الله المختار وان الله أعطاهم أرض الميعاد ووعدهم بملكوت العالم ، وان قاعدة هذا الملك هى أرض الميعاد ولن تتم النبوأت إلا بعد أن يستتب الامر لليهود على الارض واليهودية بهذا المفهوم فى نظر المسيحيين ديانة فاسدة مقطوعة الصلة بعهد الرب وقال . إن بنى إسرائيل تمردوا على إرادة الرب وخالفوا وصاياه . وإن شعب الله المختار لا يكتفى بإقامة ملكه على أرض الميعاد بل ينبغى السيطرة المطلقة على العالم أجمع وقد شتتهم بين سائر الشعوب لكى يكفروا عن ذنوبهم ويعودون إلى أرض الميعاد بعد ذلك ولكن اليهود حرفوا هذا المعنى فى تعاليم التلمود التى وضعوها والتى لخصوا مطامعهم فى — الارض كل الارض ميراث لبنى إسرائيل . — إن كل شريعة غير شريعة بنى إسرائيل فاسدة . — إن كل سلطة على وجه الارض غير سلطتهم فهى مغتصبة . — إن الرب حرم عليهم الشفقة والرحمة . هذه من وجهة نظر المسيحية فى اليهودية التلمودية أما اليهودية فهى تنظر إلى المسيحية نظرة أشد عنفاً تتمثل فى وصف كارل ماركس للمسيحية حين قال : (إنها ديانة الكلاب الذليلة الضائعة) وقول شارسكى : نحن نكره المسيحية والمسيحيين وحتى أحسن المسيحيين خلقاً نعده شر أعدائنا .

إنهم يبشرون بحب الجيران والعطف والرحمة وهذا يخالف مبادئنا والحب المسيحى عقبة فى سبيل تقدم الثورة . (٤) ولكن إذا كان هذا رأى المسيحية الكاثوليكية والارثوذكسية لليهودية التلمودية ، فإن البروتستانتية تختلف عن ذلك وتؤمن بالاسطورة اليهودية فى الشعب المختار . وقد استطاع اليهود احتوائهم وتوجيههم إلى هذا عن طريق نشر (الكتاب المقدس) جامعاً للعهد القديم والعهد الجديد وما يتصل بتدريس هذه المعانى فى مختلف معاهد البلاد التى تدين بالبروتستانتية وقد استطاع اليهود بتفسيراتهم المضللة التى قدموها إلى الغرب المسيحى تحويل هذه الاسطورة إلى حقيقة «ومع أن المسيحية كانت منذ بدايتها دحضاً صريحاً لكل آمال اليهود » قائلة : (هوذا بيتكم يترك لكم خراباً) فإننا نجد أن المسيحية قدتحولت منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى أكبر مساند عنيد لتحقيق آمال اليهود ومطامعهم ، خضع البروتستانت أولا ثم ها نحن نرى أن الكاثوليكية قد خضعت فى السنوات الاخيرة حين أعلنت تبرئة اليهود من دم المسيح وسمحت للمسيحيين بالإنضمام إلى محافل الماسونية . وقد كان مبشرو المسيحية يعارضون التفسير اليهودى للعودة إلى فلسطين ، ويكشفون عن أن العهد الجديد (أى الإنجيل) لا يؤيد ما جاء فى التوراة (العهد القديم) وأن هذا الذى يدعيه اليهود مخالف لروح الإنجيل وناشىء عن سوء التصرف فى تفسير مقاصد الله (جيمس ألن) فى كتابه (الادلة السنية فى تفسير الاسفار الالهية) وكانت هذه وجهة نظر الكنيسة المسيحية والبرتستانتية فى الولايات المتحدة « هذا التفسير المسيحى الاصل المعاكس للاهواء اليهودية الصهيونية بالكفر كان هو الخطر السائد فى القرن الماضى عند كل الفئات المسيحية ما عدا فئة ضئيلة كانت ماخوذة بتفسير اليهود أنفسهم للتوراة وكان اليهود قد أخذوا منذ القرن السادس عشر على حمل المسيحيين على تبنى تفاسيرهم لتلك النبوءات والاعتراف بحقهم فى الرجوع إلى أرض الميعاد . ثم جاء القس هيكلر الجرمانى عام ١٨٨٢ وكان صديقاً لهرتزل مؤسس الحركة الصهيونية ووضع كتاباً سماه (إرجاع اليهود إلى فلسطين حسب أقوال الانبياء) وكان بعض اليهود فى روسيا وبولونيا أسسوا (جماعة أحباء صهيون) وجمعوا أكبر عدد ممكن من اليهود حول فكرة « الرجوع إلى فلسطين » للتخلص من مذابح روسيا وبولونيا فى القرن التاسع عشر وبعد تاسيس الحركة الصهيونية وعقد مؤتمرها عام ١٨٩٧ أخذ تيار التفاسير اليهودية لهذه النبوءات يتسرب بكثرة إلى عقول المسيحيين وبدأ الدهاء اليهودى والصهيونى يتملق المسيحية ويدس لها السم فى الدسم فاتجه أكثر المسيحيين إلى الاخذ بالتفاسير

اليهودية وكانها هى التفاسير المسيحية الاصيلة وكان إرجاع اليهود إلى أرض فلسطين أمر محتوم من الله وكانه هو ما وجدت المسيحية من أجله . فلما أخذت الصهيونية فى ضوء هـذا تطالب بارض فلسطين لارجاع اليهود إليها استجاب لها المجتمع المسيحى فى الغرب وهكذا استطاع عشرون مليون يهودى أن يحصلوا على تاييد ألف مليون مسيحى ماخوذين بالتفاسير الاسطورية التى ضللتهم بها الصهيونية خلال ثمانين عاماً إلى درجة أن هذه الاساطير تحولت إلى حقائق تبيح القتل والتشريد لابناء فلسطين . وهذا هو جانب من خطة احتواء المسيحية أو تهويد المسيحية وقدخطت الفاتيكان خطوة واسعة فى سبيل الاستجابة للهيودية التلمودية عندما أعلنت أنها لا ترى مانعاً للكنائس الأوربية من أن ينتسب أعضائها للمحافل الماسونية وقد أصدر الاساقفة الكاثوليك فى روما بياناً واضحاً بالسماح للكاثوليك وبالإنضمام لهـذه الديانة اليهودية ولا ريب أن هذه الإتجاه يؤكد الإنحراف الذى تتجه إليه الكنيسة المعاصرة ويجىء دليلا قاطعاً على مدى سيطرة النفوذ الصهيونى داخل الكنيسة والذى أخذ يهدد العقلية المسيحية ويحتويها . وقد كانت الكنيسة تفهم أن الماسونية حركة يهودية هدفها القضاء على الاديان : وقد ظلت الكنيسة تقاوم الماسونية خلال القرنين الماضيين فى حرب متصلة لاتتوقف وتعمل الفاتيكان الآن فى سعى حثيث لتبرئة اليهود من محاولة قتل المسيح أو صلبه (ذلك أن المسيح لم يصلب ولم يقتل ولكن رفعه الله إليه) وقد أعلنت الكنيسة الفرنسية تأييدها لآمال اليهود ، من قبل ذلك خضعت المسيحية لليهودية التلمودية وهكذا تكون اليهودية التلمودية قد نجحت فى استيعاب الفكر الغربى المسيحى واحتوائه لتصدر عن اقناع بان اليهود هم الشعب المختار .

(٢) روسيا الأرثوذكسية والثورة الشيوعية

انطلقت اليهودية التلمودية إلى العالم فى ثلاث محاور : أوربا الغربية المسيحية للانتقام من الكنيسة الكاثوليكية التى حرمتها السيطرة طويلا على المجتمع الأوربى وجزاء عمليات التنكيل الواسعة التى حاصرتها وأبادتها واضطرتها إلى الهجرة : هذه الهجرة التى كانت إلى الاندلس فى حماية المسلمين حتى خرجوا منها إلى شمال أوربا وإلى تركيا ثم كانت لليهود مع القيصرية الروسية وروسيا الأرثوذكسية موقف آخر وقضية كبرى . ثم كان موقفها مع العالم الإسلامى ودولة الخلافة العثمانية وإقامة دولة إسرائيل فى فلسطين . فى الأولى كانت

الثورة الفرنسية وفى الثانية كانت الثورة الشيوعية وفى الثالثة كان تدمير الدولة العثمانية والسيطرة على فلسطين ، هذا الدور الذى ما زال قائماً ومستعمراً مع العرب والمسلمين أما فى محور روسيا بولندا فإن الامر قديم منذ كانت دولة الخزر اليهودية (٨٦٥-١٠١٦ م) .
يقول الأستاذ محمد عبدالله النجار : جاءت القبائل الخزرية من الشرق مروراً فى المضيق القائم بين جبال الإورال والبحر واستقرت بين نهرى الدون والفولجا وامتدت حتى نهر الدينبر فى الشمال من جبال القفقاس واستولت على القريم فانشأت مملكة واسعة عظيمة السطوة والبطش يحكمها خان أو خاقان وأخذت تتسع بالغزوات فشملت أوكرانيا واستولت على البلدان المجاورة حتى البحر الاسود حيث تقوم الان جمهوريات تركمان وأريكستان أذربيجان وجورجيا وأرمينيا وأوكرانيا وما جاورها من أقاليم . وكان يقوم بين هذه المملكة وبين مملكة الروم البيزنطية نزاع متواصل بينما يشتد عليها الروس من الشمال والغرب ، وقد تحول هذا الشعب من الوثنية إلى اليهودية فى أبان صراعة مع جيرانه المسلمين والمسيحيين ومنذ القرن العاشر اشتد الروس فى الشمال والبيزنطيون من الجنوب فى مهاجمة هؤلاء الخزر اليهود حتى انهارت دولتهم فى القرن الثانى عشر حوالى عام ١٠١٦ م وقد أقام الروس بعد سيطرتهم على الخزر مستعمرات لهم فى مختلف جوانب تلك البلاد بعد أن كانوا قد انتزعوا من الخزر مدينة (كييف) التجارية الكبرى فتفرق ملايين اليهود من الخزر (أو خزاريا) كما كانوا يسمونها ، وقد تشتتوا جماعات فى أرجاء روسيا وما جاورها من الاقاليم الغربية (بولندا - أكرآنيا - لتوانيا) وغيرها ، وزاد نتشارها غرباً على أثر غزوات جنكيزخان بين سنتى ١١٦٢-١٢٢٧ وقد وصف بطرس الاكبر قيصر روسيا اليهود بانهم : أشرار غشاشون وقد هاجر كثير من هؤلاء الخزر إلى ألمانيا واختلطوا فيها بالنذر القليل من بنى إسرائيل الذين جاءوها من الجنوب . وقد أثبت المؤرخ اسحق لنفنسن أن يهود روسيا هم سلالة الخزر لا كما كان الناس بظنون خطأً انهم جاءوا إليها من ألمانيا بل العكس هو الواقع وقد عطف القيصر نقولا الاول عليهم تمهيداً لإزالة العزلة وفتح لهم مئات المدارس الخاصة فقاوم متعصبو اليهود بزعامة موسى هس هذه الدعوة وخوفاً من أن تقرب هذه المدارس بين اليهود والكنيسة واتخذوا أسلوب الاغتيال الهلينسى لإيقاف هذه الاذابة فاغتالوا القيصر المسالم المحرر اسكندر الثانى مما اثار عليهم النقمة وأدى إلى هجرة جماعات يهودية إلى غرب أوربا وأمريكا وكان عدد هؤلاء « يهود الخزر » فى روسيا سنة ١٩١٣ حوالى سبعة ملايين (الموسوعة اليهودية) فإذا

أضفنا إلى هذا الرقم عدد اليهود الذين كانوا قد رحلوا منها قبل ذلك إلى غرب أوربا وأمريكا عرفنا أن مجموع اليهود اليوم يبلغ حوالى خمسة عشر مليوناً حسب إحصاءاتهم أدركنا أن معظم يهود العالم هم من سلالة الخزر لا من بنى إسرائيل وقد جاء فى كتاب (الستار حول أمريكا) : أن دم ابراهيم واسحق ويعقوب لا يجرى فى عروق الكثرة التى أتت من شرق أوربا . ذلك الدم قد يكون أكثر فى عرب فلسطين الذين شردهم هؤلاء اليهود الخزريون . وقد ولدت الصهيونية فى روسيا عام ١٨٨١ على أثر اغتيال القيصر اسكندر الثانى وفرار كثيرين من اليهود من غضب الروس حاملين على هادمى دولتهم الخزرية حقداً شبيهاً بحقد الفرس على العرب الذين قضوا على دولة الاكاسرة ، ولكن الفرس تعايشوا مع العرب وأسهموا فى بناء الدولة العباسية ، ففى ٦ نوفمبر عام ١٨٨٤ لاول مرة فى تاريخ الصهيونية اجتمع ممثلو اليهود من بلدان عديدة فى كانوتش حيث دبر الخزر مكيدة ضد القومية الروسية تولاها فيما بعد « تروتسكى » واسمه الاصلى (دافيد برونشتاين) وتضافر معه اليهود فى نشر الشيوعية لا إيماناً بهم فإنها لم تؤثر فى وميتهم الصهيونية بل لإضعاف القومية الروسية (انتقاماً من المسيحيين فيها بإفسادهم دينياً وقومياً (ثم سيطر اليهود على البلدان الشيوعية جميعها فى أوائل عهد الثورة الشيوعية) رومانيا ـ المجر ـ بولندا ـ أوكرانيا) وفى روسيا كانت جماعتهم ٥٥٦ منهم ٤٥٧ يهودياً » : ولا ريب أن قضية الخزر خليقة ضخمة للثورة الشيوعية فى روسيا التى قام بها اليهود ومن أجل هذا ألغى اليهود ذكر (مادة الخزر) فى دوائر المعارف الغربية .

ويقول هـ. ج ولز فى كتابه (خلاصة التاريخ) : إن كلمة خزرى تساوى كلمة يهودى فى كل كتب التاريخ والموسوعات اليهودية ويستعملان مترادفين وقال إن اليهود شيدوا امبراطورية فى جنوب روسيا فى القرن التاسع للميلاد وفى القرن العاشر تحطمت امبراطوريتهم واستوطن عدد كبير من هؤلاء الخزر اليهود فى البلاد التى أصبحت من بعد بولونيا وتوجه آخرون إلى غربى أوربا وآسيا حيث امتزجوا بالتكتل اليهودى ثم قسمت روسيا عام ١٧٩٣ بين بروسيا وروسيا وهكذا ورثت روسيا قضية يهودية تم نموها ، وقد حافظوا على حبهم الخاص (كاهال) داخل إطار المجتمع المسيحى العام وانتشرت الاحياء اليهودية فى سلسلة من شبه جزيرة القرم إلى بحر البلطيق على تخوم من الارض تعادل نصف مساحة أوربا الغربية وبلغ عدد الذين أقاموا فيها عام ١٩١٧ (سبعة ملايين يهودى) يضمون زهاء نصف سكان العالم اليهود وفى هذه المستعمرة ازدهرت الفلسفتان التوأمان : الشيوعية والصهيونية ، وكلتا الحركتين

نمتا من الكره اليهودى للحضارة المسيحية مضطهدة الشعب المختار وكلتاهما انتشر حيث هاجر اليهود وكانت الاحياء اليهودية هى المستودع الذى تدفقت منه قوى الشيوعية العالمية . وقد دخلت الصهيونية روسيا عام ١٨٨٠ فكانت منافسة للماركسية وكان لابد لكل يهودى أن يلتحق باحدى هاتين الحركتين لقد كانت « الماسونية » هى الإطار الواسع الذى ضم الثورات الثلاث على الكنيسة الكاثوليكية بالثورة الفرنسية وعلى القيصرية الروسية بالثورة البلشفية وعلى الدولة العثمانية بالانقلاب التركى ، وقد جاء فى كتاب المؤامرة اليهودية إشارة إلى الدور الذى قامت به « الماسونية » فى تدمير الامبراطورية القيصرية الروسية : حيث قال المؤلف : « إن زعماء اليهود قد عقدوا مؤتمراً قرر فيه خمسة من اليهود أصحاب الملايين « خراب روسيا القيصرية بإنفاق مليار وتضحية مليون يهودى لإثارة الثورة فى روسيا ، هؤلاء الخمسة الذين تبرعوا بالمال هم : (اسحق مونيمر ، شيشو ، ليفى ، رون ، شيف) ومن أجل ذلك فإن الثورة البلشفية كان يطلق عليها فى أول الامر « الثورة اليهودية » وكان يطلق على بروتوكلات صهيون « الإنجيل البلشفى » وقد عزى إلى اليهودية التلمودية كثيراً من الانتقاضات الاجتماعية التى اجتاحت البلاد الأوربية ، كذلك فقد برر الالمان هزيمتهم بانها طعنة نجلاء قام بها اليهود والمشتركون فى المؤامرة اليهودية العالمية . والمعروف أن الهجرة إلى فلسطين ارتبطت بالاضطهاد الدينى الذى واجهه اليهود بعد تدبيرهم مؤامرة قتل القيصر الذى حاول أن يصهرهم فى المجتمع الروسى وأن هذه الهجرة امتدت من عام ١٨٨٢ (تاريخ مقتل القيصر) إلى ١٩٤٠ فى موجات متتالية من روسيا ورومانيا وبولندا والنمسا وقد أرجع المؤرخون هذه الهجرة إلى قوانين مايو عام ١٨٨١ التى حرمت على اليهود الانتقال خارج منطقة الاستيطان اليهودية فى روسيا ، وهى نقطة التحول الخطيرة التى دفعت اليهود إلى قتل القيصر ، والتى بدأ معها التكثيف الخطير فى فلسطين الذى واجهه السلطان عبد الحميد بالحد منه حتى عام عزله عام ١٩٠٨ حيث سمح الاتحاديون حكام الدولة العثمانية بعد ذلك باطلاق الهجرة حتى أمكن أن يتجمع فى فلسطين عشية الحرب العالمية الأولى حوالى ٩٠ ألفاً ثم توالت الموجات بعد ذلك وكان أغلب المهاجرين إلى فلسطين من الخزر الروسى الذين قادوا النظام فى إسرائيل من بعد والذين كانوا نواة التآمر على الدولة الروسية وإسقاطها من قبل وهكذا نجد أن خطة اليهود كانت دواماً السيطرة على المجتمعات التى يعيشون منها مع الاحتفاظ لانفسهم بالاستقلال الذاتى ضد احتوائهم أو أذابتهم فى هذه المجتمعات ولم يكن عملهم فى

هذه المجتمعات سوى القيام بدور التاجر والمرابى والوسيط والخمار وبائع الرقيق الابيض . وقد تكررت التجربة فى مجتمع غرب أوربا وفى مجتمع الامبراطورية القيصرية الروسية وبولندا وفى مجتمع ألمانيا وفى كل مجتمع من هذه المجتمعات جرت المحاولات لاذابتهم فى السكان وتعليمهم واحتوائهم ، وكان رد الفعل هو الهجرة مع العمل على تدمير هذا المجتمع فقد هاجروا فى القرن الثانى عشر إلى أوربا الغربية ثم هاجروا منها إلى روسيا وبولندا ثم هاجروا منها إلى ألمانيا ثم هاجروا إلى فلسطين وأمريكا وأضمروا الانتقام لغرب أوربا بالثورة الفرنسية ولروسيا بالثورة البلشفية وللدولة الالمانية بالحرب العالمية وكانت النتيجة هى السيطرة التامة الآن فى غرب أوربا وألمانيا من خلال النظام التلمودى وفى روسيا من خلال الشيوعية .

(٢) يقول فرنك ل . بريئون فى كتابه الصهيونية والشيوعية : تختلف الصهيونية عن الشيوعية ظاهراً فى ثلاثة أمور : أولهما : التسمية فنى الصهيونية تخصص وفى الشيوعية تعميم يختار المرء بينما بحسب مزاجه والثانى : مركز النشاط ، فمركز نشاط الصهيونية ما أصطلح على تسميته بالغرب وتتزعمه أمريكا (واشنطون) ومركز نشاط الشيوعية « الشرق » وتتزعمه روسيا (موسكو) . الثالث : الأسلوب فى العمل ، فالصهيونية تتاجر بالمال تدعمه الدعاية عند اللزوم . والشيوعية تتاجر بالدعاية يدعمها المال لدى الاقتضاء . وأما الحقيقة الراهنة فهى أن الصهيونية والشيوعية صنوان مبعثهما واحد وغايتهما واحدة وجوهرهما واحد ، والفئة التى تقوم عليهما من وراء الستار واحدة وما اختلافهما الظاهر سوى ترتيب مؤقت اقتضاه النجاح فى السعى إلى الغاية الواحدة حتى إذا تحققت الثقة بالنجاح الكامل اتحدتا معاً للسيطرة على العالم . ويؤيد هذا الرأى كتاب ومفكرون وباحثون من الغرب منهم : هنرى فورد والمليونير الامريكى المشهور صاحب كتاب (اليهودى العالمى) الذى صدر عام ١٩٢١ وكان من أسبق من كشفوا للامريكيين وللعالم أن الشيوعية من صنع الصهيونية . قال مؤلف اليهودى العالمى : أن البلشفية الروسية والشيوعية تظهران وجود العنصر الغالب فيهما . وقد انبعثت البلشفية الروسية من الجانب الشرقى من نيويورك حيث تقوت بالتشجيع الدينى والاخلاقى والمالى من القادة اليهود . فلقد كان تروتسكى (بردتشتاين) يهودياً من الجانب الشرقى من نيويورك . وقد تركزت القوى التى دعمت كل ما يمثله فى مجلس الطائفة اليهودية (الكهيلا) وفى اللجنة اليهودية الامريكية وقد اهتمت الهيئتان بالعمل الذى ندب نفسه للقيام به وهو قلب حكومة مستقرة الاوضاع كانت إحدى حليفات الولايات المتحدة فى

الحرب الكونية الاولى وقد ساند الذهب اليهودى فى أمريكا البلشفية الروسية فى تحقيق أهدافها . ولقد كان من الضرورى لكى نصل حلقات التاريخ بين إسقاط الروس لدولة الخزر ، وبين إسقاط اليهود للقيصرية الروسية أن نتوقف عند ظهور الماركسية فى أوربا عام ١٨٤٨ حين أعلن ماركس وانجلز اليهوديان البيان الشيوعى المعروف ثم ألف ماركس كتابه « رأس المال » ودعا إلى ما أسماه « الإشتراكية العلمية » ودعا إلى إضرام الثورة وإلى إثارة روح الصراع بين الطبقات كوسيلة لهدم المجتمع الرأسمالى وإقامة المجتمع الشيوعى وقد أقام ماركس نظريته على أساس التفسير المادى للتاريخ . وقد ظن ماركس أن خطته يمكن أن تتحقق فى الدول لرأسمالية الكبرى : بريطانيا ، فرنسا ، ألمانيا ، ولكنه منذ عام ١٨٤٨ إلى عام١٩١٨وهو تاريخ قيام الثورة البلشفية فإن أوربا لم تستجب لدعوته بل أن الامر كان على عكس ما ظن ماركس فإن الرأسمالية عدلت طريقها وأمنت العمال وأفسحت لهم فى أرباح المصانع ورفعت من شانهم وبذلك عجزت المؤامرة اليهودية الشيوعية عن تحقيق هدفها خلال سبعين عاماً كاملة ، ثم كانت التجربة فى القيصرية الروسية على نحو آخر مختلف تمام الاختلاف عن الخطة التى رسمها ماركس وانجلز . ولقد ركز اليهود على الماركسية كأسلوب لاقتلاع القيصرية الروسية انتقاماً منها وعملا على تمزيق العالم إلى نظريتين متصارعتين : هما : الرأسمالية والشيوعية . وقد أكد هذا المعنى كتاب غربيون كثيرون منهم من ذكرنا ومنهم روبرت وليمز فى كتابه اليهود فى أمريكا الذى قال « أن الصهيونية شقيقة الشيوعية وأمها » . ولقد تبدو الشيوعية وكانها عدوة للصهيونية ولكن ذلك مخطط مرحلى فهما توآمان ولدتهما اليهودية التلمودية . ويقول الأستاذ حامد مطاوع : أن الشيوعية ما هى إلا أفكار صهيونية من قبل كارل ماركس بوقت طويل وأن كل ما فعله أنه جمع تلك الافكار وجعل لها ثلاث قواعد فى وقت إنهيار الحضارة الأربية وزعم أنه يعيد بناءها ولكن بأسلوب روائى فهو إمعان فى التخريب فقواعد الشيوعية الثلاث : (١) محاربة الاديان وتفريغ الإنسان من كل عقيدة دينية واستبدالها بتعاليم وشعارات النظرية الشيوعية وهى فى تركيبها اشتراكية متمرحلة . (٢) الإنسلاخ من كل انتماء وطنى ليظل الفرد عضو التنظيمات المركزية الشيوعية ذات الفروع والالوان والاقنعة المختلفة التى تنبع من أصل واحد وتلتقى فى ملتقى واحد (٣) مقاومة التفضيل بالدرجات حتى يستوى الذين لا يعملون وإلغاء الامر الإلهى فالله سبحانه قد فضل الناس بعضهم على بعض درجات والتفضيل له عناصر هى العلم والعمل

والتقوى . (٣) طرد اليهود من أوربا فى القرن الذى سبق عصر النهضة مباشرة بعد أن ظلوا مسيطرين عليها فى الفترة من عام ٥٠٠ إلى عام ١٣٠٠ ، وقع هذا الحتول بعد قرارات مجمع لاترين الرابع ١٢١٥ الذى قيد وجود اليهود فى المجتمع المسيحى هناك فاتجهوا إلى شرق أوربا وما أن أهلت ١٥٠٠ حتى كانت أوربا بأسرها باستثناء شمالى إيطاليا وأجزاء من ألمانيا قد تخلصت من اليهود ولم يعودوا إلا عام ١٦٥٠ وكان وجودهم فى الشرق فى الامبراطورية البولونية والتركية . وكانت دولة الخزر اليهودية قد تحطمت فى القرن العاشر أصبحت من بعد تسمى بولونيا حيث أصبح لليهود نفوذ ضخم وصل إلى حد سيطرتهم على سك العملة وفى عام ١٧٩٣ قسمت بولونيا بين بروسيا (ألمانيا) وروسيا وورثت روسيا ميراث اليهود الاكبر حيث أحرزت أكبر نسبة من يهود العالم ، وأصبح اليهود (الخزر) المقيمين فى بولونيا داخل روسيا من ذلك التاريخ ، ومع تصاعد سيطرة اليهود على عالم المال الروسى فرفضت القيصرية قيوداً لحماية الاقتصاد فصدرت قرارات ١٧٩١ التى عارضها اليهود ، وكانوا ١٨٨١ قد بلغوا حداً عالياً من الازدهار والنجاح وكان على الحكومة القيصرية (اسكندر الثانى) أن تواجه الموقف فاستهدفت بعملها هذا عداء اليهود فجرت ثلاث محاولات لاغتيال القيصر ١٨٦٦ ، ١٨٧٩ ، وفى ١٨٨١ نجحت المؤامرة ، ثم عمت حوادث الشعب المعادية لليهود مختلف أرجاء الامبراطورية فطرد كثير من اليهود وتقول الدراسات (فرنك بريتون) وآخرون أنه فى فترة لا تتعدى ٩٢ سنة حتى ١٨٨٢ استطاع اليهود وهم لا يمثلون إلا ٤٫٢ فى المائة من السكان أن يرسخوا أقدامهم فى الاقتصاد الروسى بحيث أشرفت الدولة على الإفلاس عندما حاولت أن تزحزهم عن مكانهم ، وفى هذا الجو بدأت الحركتان التوأمان الماركسية والصهيونية تتحكمان بجمهرة اليهود الروس وتسيطران عليها فجرت ثورة ١٩٠٥ الماركسية ثم ثورة ١٩١٧ حيث سيطرت الشيوعية ودمرت القيصرية فى نفس الوقت الذى انطلقت فيه الصهيونية إلى أرض فلسطين فى هجرة استيطانية هى مقدمة لقيام الكيان الصهيونى وقد شهد الكثيرون بذلك الارتباط العضوى بين الحركتين وبالمصدر الواحد القائم خلفهما وكيف أن تعاليم ماركس وفردريك انجلترا ولينين وستالين لا تختلف فى كثير أو قليل عن تعليمات بروتوكولات حكماء صيهون بل أن الالفاظ والعبارات والمفاهيم التى صيغت بها كل من الشيوعية والصهيونية متشابهة متماثلة ولعل من أعجب ضروب التشابه فى الوقت ذاته أن يكون الرواد الشيوعيون الاوائل جميعاً منحدرون من أصل يهودى فضلاً عن التشابه الصارخ

بينهما كحركتين سياسيتين تهدفان إلى السيطرة على العالم كله والتشابه فى وسائلهما وغاياتهما ومفاهيمها وأخلاقياتهما والتشابه بينهما فى ميدان التطبيق العملى « تتشابه الفلسفيات : الصهيونية والشيوعية تشابها كاملا فى نظرتهما إلى الاخلاق ، فالاخلاق ، عندهما ليست ما اصطلح عليه الشرفاء من مفاهيم تمجد المثل الاخلاقية العليا ومبادىء الفضيلة وكرامة الإنسان التى ينبغى أن تصان دائماً إنما الاخلاق عندهما تتمثل فى شىء واحد هو القوة وتحقيق أهدافهما بشتى الوسائل مهما انحرفت هذه الوسائل عن جادة الصواب والمثل الاخلاقية ومبادىء الفضيلة . ثم تنادى الفلسفات الصهيونية والشيوعية بان الغاية تبرر الوسيلة ، فكل شىء مباح ما دام يؤدى إلى نصرة الشيوعية أو الصهيونية والتشابه فى نظريتهما إلى أساليب الحكم : من التوسل بالسلطة الاستبدادية التى لاحد لها فى العنف والظلم . وتتشابه الفلسفتان فى نظريتهما إلى القانون فهو عندهما ليس أداة من أدوات نشر العدالة وإنما مجرد تغيير قانونى زائف عن الدكتاتورية والطغيان والاستبداد والقمع والإرهاب والكبت ويرى كلاهما أن العالم يجب أن يكون كالسائمة وأن يكون كقطع الشطرنج يحركها اللاعبون هنا وهناك وتنادى كلاهما بجعل الصحافة مجرد أداة من أدوات الخداع والتضليل ، وهما يتفقان فى النظرة إلى الحرية ، والحرية لا تعنى ما اصطلح عليه الناس وإنما تعنى : السلطة الحاكمة هى وحدها التى يحق لها أن تستمتع بالحرية ، وضرورة احتكار الحياة الإقتصادية وتسخير كل القوى الاقتصادية لتحقيق أهداف الصهيونية أو الشيوعية وتنادى الشيوعية والصهيونية بضرورة تحطيم نظام الأُسرة والقضاء على الروابط العائلية ، والصهيونية تطالب بالقضاء على كل الاديان غير اليهودية وتعمل على نشر الإلحاد وكلاهما تدعو إلى الثورة العالمية بغية اخضاع العالم كله للسيطرة الصهيونية أو الشيوعية . (٤) وقد أجاب فورد فى كتابه « اليهودى العالمى » على سؤال خطير وهو : لماذا تؤيد اليهودية وهى تجسيد الرأسمالية الحركة البلشفية التى تمثل العدو الاكبر للرأسمالية فقال : أن رأس المال غير اليهودى هو الذى يتعرض وحده لهجوم البلشفية ، فإن اليهودى الذى أقدم على عبادة العجل الذهبى يود أن يظل على أحسن الصلات مع اليهودى الشرقى (اليهودى المنغولى) الذى يحاول تحطيم أنظمة المجتمع القائمة . المفيد جداً عند ما تنشب ثورة فى باريس فعلا أن توفر الجماهير الثائرة التى تعمل فى الحريق وإشعال النيران حماية بيوت آل روتشيلد كما وقع أبان الثورة الفرنسية. وقال : الشيوعية فى كل مكان فى العالم وليس فى روسيا وحدها حركة يهودية ولعل مثال فلسطين

أكثر وضوحاً وجلاء ، وليس ثمة مكان ظهر فيه الاتحاد على هذا الشكل من القوة بين اليهودى الثورى واليهودى الرأسمالى كفلسطين ، ولقد كانت كل مدينة أمريكية كبيرة ممثلة فى أول حكومة بلشفية فى روسيا ولكن ما زالت هناك حكومة تنتظر فى أمريكا لتقدم خدماتها عند الحاجة » . وقد أشار الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار فى كتابه (الشيوعية وليدة الصهيونية) إلى أن هذه الظاهرة ، ظاهرة : إن الثورة الفرنسية لم تتعرض لممتلكات اليهود فقال : إن الثورات الشيوعية التى حدثت فى روسيا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا والمجر وبولندة لم تتعرض للرأسمال اليهودى فيها بأى أذى بل كانت بيوت المال اليهودية تحمى من قبل الثائرين الشيوعيين لئلا يتعرض لها غيرهم من الغوغاء لها . كما كان الرأسماليون أحراراً محروسين فى معتقلاتهم والثورات محتدمة تأكل الاخضر واليابس ، قال كاجانوفنش : اليهود الاثرياء فى موسكو لم تتعرض لهم الثورة البلشفية إلا بالإجلال بل رفعت مكانتهم إلى أعلى قمة فى الاتحاد السوفيتى . والثورة الشيوعية الصينية استصفت كل أصحاب السلطة وأرباب المال فى الصين ولكنها لم تتعرض لرؤوس الاموال اليهود من أمثال إسرائيل انشتاين وميخائيل شابيرو وديفيد كروك ، وفرانك كو ، وسونى ريتنبرج الذين أكرمتهم الثورة . هذا وأمثاله مما وقع فى كل الاقطار التى إلتهمتها الشيوعية أثر ثورة جامحة برهان على أن الشيوعية فى كل مكان هى من صنع اليهود . وقد تنبه لهذه الحقيقة أمثال روبرت وليمز الذى قال : الصهيونية صنو الشيوعية ومرضعتها وحاميتها وكلتاهما تقصد إلى إضرام ثورة عالمية والشيوعية التى وضع تعاليمها يهودى عريق هو كارل ماركس ونفذت فى روسيا بفضل اليهودية هى من نتاج العقل اليهودى ، والصحف الشيوعية تحارب كل حركة معادية للصهيونية بحجة أنها حركة « لا سامية» كانما عدم كره اليهود دين عالمى يفرض إحترامه على كل الناس . وإذا كانت الصهيونية التى يعد موسى هيس منشىء فكرتها وسابق كل من أتوا بعده فى مرحلتها العملية ليتودور هرتزل فإن أمام الشيوعية كارل ماركس نفسه قد تتلمذ على يد الصهيونى الاول هيس وقد جذبته إليه آرؤه فى الاشتراكية وتاثر به وأفاد منه وجعله أحد أئمته فى مذهبه الهدام وهرتزل نفسه قد تاثر بموسى هيس وكتاب الدولة اليهودية لهرتزل الذى دعا فيه صراحة إلى قيامها بفلسطين مسبوق بكتاب « روما ـ أورشليم لموسى هيس وكتاب أمثال دانيال دروندا وجورج اليوت قد تاثرا بكتاب موسى هيس فقطبا الصهيونية والشيوعية تجمعهما اليهودية اللئيمة . وموسى هيس يهودى متعصب معروف بتطرفه ، وكارل ماركس

يهودى صميم ابن حاخام يهودى ومارده والده عن اليهودية وصبوءه إلى المسيحية ليس إلا نفاقاً عرف به اليهود فى جميع مراحل التاريخ ، وما كان صبوء والدكارل ماركس إلى المسيحية ناجماً عن اعتقاده فى صحتها ولا فى اعتقاده فى بطلان اليهودية ولكن المصلحة حملتـه إلى إيثار المسيحية على اليهودية التى كان اتباعها منظوراً إليهم بعين السخط والحقد والمقت لما طبعوا عليه من صفات اللؤم والخسة والغدر والطمع وكل الصفات القبيحة . فالخروج على اليهودية والدخول إلى المسيحية كانا من أجل الحصول على مغانم دنيوية ما كان ليتـاح له الظفر بها لو بقى على دينه فتركه ليجر إلى نفسه المغانم ويبعد عن نفسه المضار » .

(٥) وهكذا تؤكد كل الدراسات والابحاث التاريخية والعلمية إن الشيوعية تنظيم يهودى : بالمال والانفس وإن أعظم زعماء الشيوعية الذين قاموا بالثورة يهود شديدو التعصب لليهودية وأن اليهود أنشأوا الخلايا فى روسيا منذ وقت مبـكر كمقدمة لثورة عام ١٩٠٥ التى كانت تمهيداً لثورة ١٩١٧ وقد أكد لينين هذا حين قال بعد قيام الحكم الشيوعى فى روسيا « لولا التجربة النهائية لسنة ١٩٠٥ لكان فوز ثورة أكتوبر محالا . « وقد بدأت مجلة اسكرا (الشعلة) فى سويسرا توقد بنيران الثورة هادفة إلى تدمير العنصرية وإقامة الدولة الشيوعية منذ عام ١٩٠٠ وقد تولى مجلس إدارتها سبعة من أقطاب الشيوعيين وهم : لينين ، بيخانوف ، يوتريسوف ، تروتسكى ، مارتون ، أكسلرود ، تسازولتش وهؤلاء السبعة يهود أما سكرتيرة المجلس فيهودية متعصبة هى كروبسا كايا وهى زوجة لينين . كما تاسس فى روسيا خلال هذه الفترة أخطر منظمة يهودية يتولاها إرهابيون من غلاة اليهود . وكانت مهمتها القيـام بالاغتيالات وقد ذهب ضحيتها بعض ذوى الاسماء البارزة فى روسيا . ومنذ ثورة ١٩٠٥ والحركة فى يد اليهود هم ممولوها والدعاة لها . وكانت ثورة فبراير عام ١٩١٧ انفجاراً شديداً أعقبه سقوط القيصر وتألفت بعد ذلك أول حكومة مؤقتة لحماية الثورة برئاسة اليهودى كيرنسكى ثم أعلنت ثورة أكتوبر عام ١٩١٧ ، وعندما تم تشكيل الحكومة كان أكبر رجالها هم اليهود : - أوليانوف الملقب بلينين . - برونستين الملقب تروتسكى - بنشامكس الملقب ستوكلوف - زينو مفيف الملقب وازنفلد - كامينيف الملقب فورتنبرج . والمجلس الشيوعى العام كان قوامه ٥٤٧ عضواً منهم ٤٤٧ من اليهود الغلاة المتعصبين . واللجنـة المركزية ٣٨٨ منهم ٣٧١ يهودياً والمعروف أن البارون هيرش اليهودى هو الذى كون الفرق العسكرية اليهودية ومول كل المستعمرات اليهودية فى فلسطين ومول ثورة اليهود فى روسيا

وأن اليهودى المليونير يعقوب شيف فى أمريكا وضع مخطط الثورة البلشفية وأمدها بالمال والسلاح ومرن الثوار فى الاراضى الامريكية على الاغتيالات والقتال . ورب آلاف الشباب اليهودى وزودهم بجوازات سفر أمريكية وأرسلهم إلى روسيا وهؤلاء هم الذين أثاروا الفلاحين العمال ضد الحكومة الروسية . وكذلك فإن الثورات التى قامت فى بولندا وألمانيا دبرها اليهود وهم الذين تولوا قيادتها ورئاسة الحكومة فيها وكذلك الامر فى المجر وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا : وقد كشفت الثورة الشيوعية فى روسيا منذ اليوم الأول بشعبها اليهودى وموقفها من الصهيونية فى صراحة عجيبة تؤكد العلاقة العضوية بين الشيوعية والصهيونية والهدف الذى ترمى إليه اليهودية العالمية فى السيطرة ماركسياً وصهيونياً على العالم كله . فمنذ تولى الشيوعيون السلطة فى روسيا بعد الانقلاب الشيوعى (٨ أكتوبر ١٩١٧) هاجمت الشيوعية جميع الاديان وخاصة الإسلام وغضت الطرف عن الديانة اليهودية كلية . وقد كان ذلك موضع دهشة المراقبين الذين تساءلوا هل هناك علاقة بين الشيوعية واليهودية . وقد أجاب عن ذلك الزعيم الشيوعى (لينين) مفسر الماركسية ومقننها والذى أطلق على برنامجه كمرحلة جديدة « الماركسية اللينينية » أجاب لينين على ذلك بما يضع أمام المؤرخين والباحثين إضافة جديدة تؤكد العلاقة الجذرية بين الشيوعية والصهيونية . وكان المظنون أن الشيوعية والصهيونية حركتان توأمان تتحكمان بجمهرة اليهود الروس وتسيطران عليهما ، وقد أعلن الصهيونية زعيمها (تيودور هرتزل) ودخلت إلى روسيا حوالى ١٨٨٠ فكانت منافسة للماركسية لكاهنها الاكبر (كارل ماركس) وكارل ماركس يهودى اسمه (كاى مردخاى) ولكنه غير دينه واتبع المسيحية ليستطع أن يهاجمها بجرية . يقول لينين « أن حجر الزاوية فى رأى كارل ماركس وانجلز فى الدين هو قولهما الماثور (أن الدين أفيون الشعوب) لقد كان رأى الماركسية فى الدين والمعاهد والكنائس والمساجد وكل نوع أنواع المؤسسات الدينية ، أنها صدى للرجعية والبرجوازية ، لا هدف للاديان إلا الدفاع عن سياسة الاستغلال والتخدير وتبرير تصرفات الملوك التى يتخذها الرأسماليون نحو الطبقات الكادحة . أما (الخرافات اليهودية) وإن كانت لا تختلف عن باقى الاديان ولكن بقاءها لليهود البؤساء أمر ضرورى للمحافظة على يهوديتهم حتى ينالوا حقهم فإن اليهود إذا نبذوا دينهم حينئذ يتيهون فى الاقوام المجاورة لهم وبمرور الزمن يفقدون إسرائيليتهم كمجموعة كاملة ومتحدة فإن الدين أمر ضرورى لهم فلم يجمع بنى إسرائيل غير الدين ، والمحافظة على الدين اليهودى أمر ضرورى

لحياة الشعب اليهودى المختار ريثما ينالوا حقوقهم . ويعلق الدكتور محمد عزت نصر الله الذى نشر هذه الوثيقة فى كتاب الثورة العربية » على ذلك فيقول : إن هذا التجاوز الشيوعى للدين اليهودى واستثنائه من مخطط محاربة الاديان يبرهن على أن الشيوعية إنما تعمل لتحقيق الهدف الصهيونى فى السيطرة على العالم ابتداء من فلسطين العربية المسلمة فإذا كانت الحرية الدينية محرمة على المسلمين والمسيحيين ومباحة لليهود فإن الاجيال المسلمة والمسيحية القادمة ستصبح بلا دين ولا تعبد غير المادة ، وذلك بخلاف الاجيال اليهودية التى تستطيع عندئذ أن تسيطر على الشعوب التائهة التى كانت مسلمة أو مسيحية فيما مضى . وقد تابع ستالين هذا الاتجاه وعمقه ونماه حين أعلن « أن دولة السوفيت الشيوعية لا يمكنها الوقوف موقفاً محايداً تجاه الدين ، فالحزب الشيوعى يقف بجانب المادة ، فى حين أن الدين يناهض المادة ، والدين والشيوعية مثلهما مثل الماء والنار فكما أن هاتين المادتين لا تتحدان وإحداهما تقضى على الثانية فلا مكان للدين فى الديار الشيوعية أبداً فكل دين من الاديان هو والمادة على طرفى نقيض » . ومن هنا فقد أجاز القانون الشيوعى تعليم الدين إلى النشء بعد اجتيازهم سن الرشد (٢١ سنة) ونص على أن تعليم الدين للاطفال قبل سن الرشد جريمة يعاقب عليها ، هذا هو معنى الحرية الدينية فى الاتحاد السوفيتى ، وهذه الحرية لا يسمح بها إلا فى الظروف التى يجيزها مبدأ الانتهازية السياسية للشيوعية . فقد جاء فى كتاب التعليقات على القانون الجنائى لاتحاد الجمهوريات السوفياتية فى الطبعة الثانية بموسكو سنة ١٩٤٦ . ص ١٦٧ ، ١٦٨ ما يلى : « إن كل تعليم مدرسى أو كنسى أو مسجدى دينى للقصر ، دون سن الواحدة والعشرين أى سن البلوغ يعد تعدياً وخيانة على حرية الغير المكفولة بنصوص الدستور السوفياتى ويعاقب الآباء والأمهات والمعلمون بالعقاب الجنائى » والعقاب الجنائى فى الاتحاد السوفيتى هو النفى أو السجن أو الإعدام يقول الدكتور محمد عزت نصرالله : إن سياسة التربية الشيوعية تفرض على الإنسان أن يترعرع ويكبر ويشب فى بيئة ملحدة وثقافة تستهزىء بالدين وتسخر بتعاليمه وبالكتب السماوية إلى أن يبلغ سن الرشد السوفياتى (٢١ سنة) ثم بعد ذلك يسمح له بممارسة الحرية الدينية ولكن بقيود رهيبة تصل إلى درجة خطيرة من التعجيز الذى يستحيل معها ممارسة الشعائر الدينية وقد أدت هذه السياسة إلى ظهور جيل مسيحى لا يؤمن بالله . ولا يؤمن بدين ما باستثناء الدين اليهودى إذ يسمح لليهود فقط كما قال لينين : بممارسة حريتهم الدينية الكاملة لأن الدين اليهودى أمر ضرورى

لحياة الشعب اليهودى المختار ريثما ينالوا حقوقهم) وهكذا برز لينين الحماية الشيوعية للدين اليهودى ويقول : أن لينين يعترف باليهود كشعب مختار ولعل هذا ما دفع الحكومة السوفياتية فى بداية حكمها عام ١٩١٧ إلى إصدار جملة قرارات كلها التأمين الكامل لحق اليهود فى وطن قومى لهم فى فلسطين ، وإذا سألنا ما هى حقوق التهود فالجواب هو - ماركسيا وصهيونياً - تنفيذ مرامى وأهداف الأيدلوجية اليهودية القائمة على فكرة الشعب المختار والدافعة بالتالى للإعتبارات : أولا : أن الأرض وما فيها ميراث لبنى إسرائيل تلزمهم مشيئة الرب بأن يستولوا عليها . ثانياً : ان كل شريعة غير شريعة بنى إسرائيل فاسدة . ثالثاً : ان كل سلطة على وجه الأرض غير سلطتهم هى مغتصبة . رابعاً : أن كل شعب حر ، غير شعبهم قابض على ذروة من السلطة هو غاصب . خامساً : أن الرب حرم عليهم الشفقة والرحمة . وهكذا يكشف ما أوردناه عن العلاقة الجذرية بين اليهودية كأم والشيوعية والصهيونية كأبناء لها . بل أننا لنجد ما هو أشد عنفاً من ذلك وأشد قسوة حين يرى ماركس أن الحل اليهودى الصهيونى هو الماركسية وحدها . ويرى موردخاى (أن حل المشكلة اليهودية يستلزم أن يسيطر اليهود على جميع الناس) وذلك بتطبيق ما أسماه « التحويل الاشتراكى للعالم بأسره » وإذابة الأديان والقوميات فى بوتقة الماركسية ، ذلك - فى تقديره - أن المشكلة اليهودية قائمة تحت ضغط الاختبار القائل بأن اليهود هم «شعب الله المختار » وبما أن الماركسية حركة تهدف لإخضاع المجتمع البشرى إلى قيادة طليعة اشتراكية ماركسية واحدة ترتبط بها كل الحركات الماركسية فى العالم ، يرى اليهود أنهم أصلح البشر بصفة كونهم «شعب الله المختار» لإحتلال مركز القيادة الطليعية التى هى الإسم العصرى لعقيدة «الشعب المختار» من اليهودية ، ولقد استطاع المكر اليهودى أن يؤسس الحركة الماركسية لتتم السيطرة على العالم بالتحويل الاشتراكى وأن يؤسس الحركة الصهيونية لتتولى عملية مخادعة العالم (وخاصة الولايات المتحدة وأوربا الغربية) بأن الحركة لا صلة لها بالشيوعية العالمية وأنها تعمل لصالح الاستعمار الغربى وخدمة استرانيجيته الدولية العامة وبذلك تتمكن من احراز عطفه ومساعدته على إقامة الوطن القومى اليهودى ثم الالتفاف - بعد تحقيق ذلك - للانقضاض على الغرب وتحقيق السيادة اليهودية العالمية بالسيطرة (ماركسياً وصهيونياً) على العالم كله وهكذا يتحقق التصور اليهودى للعقيدة اليهودية ، وما هذا الخلاف الظاهر بين الاتحاد السوفيتى - قاعدة العمل الماركسى - والصهيونية سوى « تكتيك مرحلى » تتطلبه خطة السيطرة اليهودية فى الوقت

الراهن . ويقول الدكتور محمد عزت نصر الله : طبيعى أن السيطرة اليهودية لا يمكن أن تتم إلا بعد تهديم العالم الإسلامى واضعاف الشعوب الإسلامية . » . هذا هو المخطط اليهودى (الصهيونى الماركسى) المشترك كما استخلصه الباحثون من كتابات الصهيونيين أنفسهم .

وهو المفتاح الحقيقى لكل تحركات السياسة الدولية فى العصر الحديث وقد ينتبه له كثيرون فى مقدمتهم عباس العقاد ومحمد خليفة التونسى فى مقدمته لكتاب بروتوكولات صهيون وكان أول من ترجمها إلى العربية ، وقد جاء بعد ذلك فرانك بريتون وهو مفكر غربى كاشفاً لهذه العلاقة الغامضة التى ترتبط أساساً بالماسونية وقد كشف هذا الجانب الكولونيل عبدالله التل فى كتبه العديدة ومنها « جذور البلاء » و « الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام » كما كشف هذا مؤلف كتاب « أحجار على رقعة الشطرنج » ومؤلف كتاب « الحكومة الخفية » . وهى كتب متداولة فى السوق العربية ولكن قادة الرأى لم يكونوا قادرين على تبين هذا الاتجاه حتى كشفه المرحوم جلالة الملك فيصل حين قال : « إن الشيوعية وليدة الصهيونية» . وهناك دراسة موسعة لهذا البيان للأستاذ أحمد عبد الغفور عطار تتناول جذور هذه القضية وإذا نظرنا فى ضوء هذه المفاتيح إلى الحقائق الراهنة وجدنا إن دعاة الشيوعية فى مصر فى مطلع هذا العصر كانوا يهوداً : (هنرى كوريل ، ورؤل كوريل ، وريمون أجيون) وكان هؤلاء وغيرهم يمولون الحركات الشيوعية بالمال وقيل بالجنس أيضاً وقد تعاقدوا مع الدكتور طه حسين على إصدار مجلة الكاتب المصرى وكان الدكتور طه حسين قد أعلن تأييده لمفهوم اليهودية التلمودية باكراً حين أنكر وجود ابراهيم واسماعيل وكذب القرآن والتوراة ولم يكن يعرف فى هذا الوقت الباكر إن ذلك كان تمهيداً لتحقيق أهداف الصهيونية

(٦) ويتساءل فرانك بريتون : هل الشيوعية ضد الصهيونية ؟ ويقول : بقى هناك اتهام يجب إزالته وهو فيما قد يتطرق إلى الذهن من كون اليهود كلهم شيوعيون والحقيقة أن ليس كل اليهود شيوعيين فإن الشيوعية والصهيونية تسربتا إلى الإحياء اليهودية المحصورة فى روسيا كحركتين متنافستين منذ ١٨٨٠ فلما تسلم البولشفيك الحكم عام ١٩١٧ حاولوا فرض فكرتهم الخاصة على سائر السكان اليهود فهم مع إنهم يهود ارتأوا أن يحتفظ اليهود بقوميتهم ضمن الشيوعية ولكن مع تحوير هذه القومية لتنسجم مع الشيوعية وتستقر فيها ، فعلوا ذلك لأنهم اعتقدوا أن فكرة الصهيونية المندمجة فى الاستعمار البريطانى لا يمكن تصفيتها .

أما الصهيونيون وهم الأشد تشبثاً بالفكرة الدينية المتزمتة فرفضوا هذا الرأى بتاتاً ، وكانت

النتيجة أن الشيوعيين أنشأوا دائرة خاصة بمعالجة الصهيونية وجربوا أن يستميلوا النشء اليهود بأن حرموا تدريس الصهيونية لمن دون العشرين منهم . والتنافس بين الشيوعية والصهيونية مستمر حتى يومنا هذا فرغم تقييد السماح بهجرة الألوف من اليهود من روسيا وملحقاتها إلى الدولة اليهودية منذ قامت فإن السلطات الروسية قلما تسمح للشبان ن اليهود بالهجرة كون اليهودى شيوعياً أو صهيونياً أو كليهما معاً — وكثير منهم كذلك — لا ينبغى كونه يهودياً وليست الشيوعية والصهيونية سوى مظهرين لقومية واحدة هى القومية اليهودية التى لا تفتأ تناوىء سائر العالم غير اليهودى . (٧) وإذا ذهبنا نستقصى العلاقة بين الشيوعية والصهيونية وصلنا إلى مجموعة كبيرة من الحقائق وأولى هذه الحقائق إن العقلية اليهودية صاحبة المذاهب الرأسمالية هى صاحبة الصهيونية والشيوعية . ويقول كودمين : إن اسم تروتسكى (زعيم الشيوعية) واسم روتشيلد (زعيم الصهيونية) يمثلان التموجات العقلية اليهودية تروسكى علم على الشيوعية والسوفييت ، وروتشلد على الرأسمالية والغرب الليبرالى أن لينين زعيم الشيوعية الأكبر كان من مخططى الصهيونية ومن واضعى بروتوكولات حكماء صهيون وأنه حضر مؤتمر الحكماء فى سويسرا وأن الثورة الدولية ليست من طبقة البروليتاريا بل هى من طبقة اليهود وأن أول رئيس فى دولة روسيا زعيمه اليسار العالمى كان اليهودى (كلينيف) وتلاه الإرهابى اليهودى (مضرولوف) ويبعهما اليهودى (زيتوفيف) وقال أن الذين يحكمون روسيا الآن ليسوا من الروس ولكن حفنة من اليهود الإرهابيين العالميين ، وأن الشعب الروسى بهم يعيش فى فقر وحرمان فى حين يقتنى قادة الكرملين السيارات الامريكية الفارهة ويعيشون عيشة القياصرة . والسؤال هو : هل نفذ اليهود ذلك الحلم الزائف : ان التمييز على أشدة فى هذه الدول فهناك طبقة قياصرة الكرمليين الذين يعيشون عيشة الملوك وطبقة أعضاء الحزب المميزون فى جميع أنحاء الدولة ثم طبقة الشعب الذى يعيش ليأكل فلا حريات مساواة بل معتقلات تضم آلاف فى سيبريا وكل ما حصل عليه أفراد الشعب أنهم أصبحوا تروساً فى آلة الإنتاج العام فلا كيان للفرد وإنما عليه أن يكذب ويخدع ويغش ويتجسس لمصالح الحزب الشيوعية . (٨) يقول الأستاذ عبد السلام العمرى : أن حقيقة الماركسية لا يجب فصلها عن كونها فكرة يهودية قصد من وراءها (كارل موردخاى — ماركس) واليهودية لعالمية السيطرة على العالم عن طريق عقيدة فكرية هدامة تحارب الدين والاخلاق والقيم تحت راية العلم والموضوعية والحتمية والتاريخية . وأن اليهود بذلك كانوا مدكين أن

(الردة) عن الدين كانت لقرون طويلة ردة قصيرة لا يلبث المرتدون فيها أن يعودوا لاعتناق ما كانوا يدينون به من قبل بعد إشباع نزواتهم ورغباتهم وكان لابد من نظريات وأفكار ومبادىء تربط عقول الناس وتغرقهم فى ردتهم مبتعدين عن الدين بحجة أن العلم هو الذى قرر ذلك بصورة لا رجوع عنها ولا شك فيها والتخطيط اليهودى يرسم أهدافه عن طريق مفكرين ورجال بارزين حملوا دعوى الافكار والنظريات العلمية ليحققوا أهداف اليهود ، وهكذا كان ماركس وفرويد ودوركايم وسارتر جنوداً بارزين فى هذا الميدان . أن ارتباط التخطيط اليهودى بالماركسية إذن هو الذى يعطينا الجواب الشافى لماهية السبب الذى قاد تصور ماركس لدعوى افتراض بدء الشيوعية فى أوربا الغربية وبريطانيا كما تقدم لنا التعليل الكافى للإعتقاد بتحول التخطيط اليهودى ناحية روسيا لتطبيق ما رسموه لها وللعالم من خطة تدميرية . وحقائق التاريخ تثبت أن اليهود سيطروا على بريطانيا لفترة زمنية طويلة ، عاد اليهود إلى بريطانيا باعتبارهم أصحاب المال والنساء فى حركة كرومويل الذى ظهر عام ١٦٤٧ وقاد ثورة ضد الملك شارل الاول وخلعه عن العرش وأعلن قيام الحكم الجمهورى وقد أصدر عام ١٦٥٧ أمراً بعودة جميع اليهود المطرودين إلى بريطانيا ومنحهم جميع الحقوق المدنية ، كما انتقم كرو ويل لليهود من الأُسرة الملكية بصورة رهيبة لطخت المعتقد القائل بتدرج السياسة الإنجليزية وتحضر الحياة فيها وأصدر كرومويل قانوناً منع بموجبه العمل يوم السبت وأرغم المسيحيين على قراءة التوراة طيلة أيام الاحد وألغى الطقوس الدينية المسيحية ودام حكمه حتى عام ١٦٦٠ م. أن رجعة اليهود إلى الجزر البريطانية وسيطرتهم المحكمة من جديد على مختلف الحقوق الاقتصادية الدينية والسياسية يتساوى تماماً مع ظهور الافكار الماركسية اليهودية التى كانت بصورة بديهية تشير إلى توقع أن يكون المنطلق الاول للشيوعية إنما هى دولة بريطانيا بالذات قبل غيرها. هكذا إذن ليست وسائل الإنتاج المتغيرة ولا أساليب الإنتاج المتبدلة هى التى حسمت ضرورة قيام الشيوعية فى بريطانيا وإنما هى السيطرة اليهودية المحكمة على بلاد الانجليز هى التى دفعت ماركس لما أشار إليه فى كتاباته فى هذا الشان . ومع ذلك يتبادرسؤال هام فى هذا المجال . ما هو الدافع إذن لتغيير المخطط اليهودى والاتجاه نحو روسيا ، واتخاذها المنطلق الاول لقيام الشيوعية فى العالم قبل غيرها . ومع صعوبة الجواب القاطع عن الدافع الباعث لتعيين المخطط اليهودى إلا أن دراسة الظروف السياسية والإجتماعية والإقتصادية تقدم لنا دليلا هاماً لذلك الدافع . فتغير الظروف المحيطة التى تطورت بعد إعلان

ماركس لافكاره وما صاحبها من إجتماع الزعماء اليهود فى بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ لمدارسه كيفية السيطرة اليهودية على العالم أدى إلى القرار الحاسم بضرورة توجيه ثقلهم نحو روسيا بعد أن يتقنوا بعدم الحاجة لقيام دولة شيوعية فى بريطانيا ما داموا يطبقون عليها تماماً بما لديهم من وسائل وأساليب محكمة . وقد كان لابد من قيام ثورة شيوعية فى روسيا لاسباب :

أولا : الجهل والفقر المطبقان على سكانها مما لا يمكن استثماره لصالح الحركة الثورية .

ثانياً : وجود كنيسة مسيحية لها نفوذ بين طائفة ضخمة من المسيحيين فى العالم وتحطيمها ولابد أن ذلك يسهل إمكانية تقريب الهدف اليهودى فى التحقيق بصورة أسرع وأكثر فاعلية.

ثالثاً : موقعها الجغرافى ومساحتها الهائلة وعدد سكانها الكبير ومصادرها المعدنية والزراعية الضخمة مما شكل عوامل أساسية لدور عالمى كبير متوقع فى السياسة الدولية.ويقول: أن تكشف ارتباط الاصابع اليهودية ودورها فى الافكار الماركسية هو الذى أزاح ستار (العملية) التى حاول اليهود جهدهم إخفاءها على كتابات ماركس وأتباعه طيلة عشرات السنين . وتقول ونفس الامر كان بالنسبة لكتابات فرويد كما سنبين من بعد . (٩) ونصل من هذا كله إلى ما أطلق عليه « الثورة العالمية » وهى نتاج المؤامرات اليهودية عن طريف الصهيونية والشيوعية . ويصور الأستاذ محمد عبد الله عنان أبعاد الثورة العالمية فيقول : أما اليوم وقد حطمت البلشفية دولة القياصرة ودست تعاليم ماركس إلى كثير من نواحى الحياة الروسية وغدت الاشتراكية والشيوعية قوتين سياسيتين عظيمتين . إن كل أساليب التقويض والهدم التى تهدد بالفناء كل المجتمعات والنظم الحاضرة تجتمع فى الدعوة إلى الثورة العالمية ، فالفلسفة والدولية الشيوعية والاشتراكية واللاحكومة وغيرها من الدعوات والمصادر الثورية كلها قوات هائلة تعمل لغاية واحدة . إن الثورة الفرنسية التى هى وثبة من أعظم وثبات الهدم فى العصر الحديث ترجع إلى نشاط هذه القوات الخفية ومهارتها فى استغلال سخط الجماعات أكثر مما يرجع إلى الاسباب والحوادث المادية التى ينسب إليها انفجارها عادة . وقد كانت الثورة الفرنسية ثورة عالمية فى معنى من المعانى . ذلك أنها قصدت بالهدم والتجديد كل النظم القديمة من أساسها وقصدت إلى تغيير الحياة العامة من جميع مظاهرها . وقد قطعت الثورة الفرنسية مرحلة كبيرة فى هدم المجتمع نظم الإقطاع وحطمت الملكية وأقامت النظم الجمهورية وسحقت سلطان الكنيسة وقررت ضروباً شتى من الحريات السياسية الاجتماعية وكانت مبعث الوحى لطائفة كبيرة

من الثورات السياسية والاجتماعية التى اضطرمت بها معظم الدول الأوربية فى القرن الماضى . هذه الروح الهدامة تجلت بأشكال رائعة فى الثورة الروسية الاخيرة ، فقد حمل سيل البلشفية كل ما صادره من تعاليم ونظم وأمعن البلاشفة فى الهدم والتدمير فأبادوا معالم المجتمع القديم بأسرها ، ودكوا كل مظاهر الحياة العامة فقط ، بل قصدوا فوق ذلك إلى تغيير عقلية الافراد وإلى استبدال التعاليم والتقاليد الأخلاقية بتعاليم وتقاليد جديدة وقد فاز البلاشفة فى هذه الناحية أيما فوز ، وإن أخفقوا فى تطبيق النظم الاقتصادية الشيوعية فشادوا فى بضعة أعوام مجتمعا غريباً فى تفكيره أباحياً فى اعتباراته وتقديراته ثورياً فى عقليته وغاياته ، وهذا المجتمع هو الذى يبرز اليوم إلى الطليعة رافعاً لواء الثورة العالمية : فهل تكون البلشفية والثورة العالمية اسمين لمسمى واحد ؟ إن عبارة (الثورة العالمية] كثيراً ما تجرى على لسان أقطاب موسكو وزعماء البلشفشية بل قلما تسمع لاحدهم حديثاً أو تقرأ مقالا لا يخلو من الاشارة إلى الثورة العالمية وثورة الكتلة العامة وغيرهما ، وما زلنا نذكر آخر تصريح لنسينوفينف رئيس الدولة الشيوعية : فاه به فى مؤتمر الدولية الأخير إذ قال : « إن بوادر الجزع والاضطراب تجتاح العالم من أقصاه إلى أقصاه ، وأن فى الاضطرابات التى تعصف اليوم بالصين والهند وسوريا وفلسطين ومصر وتونس ومراكش لدليل على أن الجماعات المهيضة تقطع مرحلة جديدة فى سبيل إضرام نار الثورة العالمية واستخلاص الأكثرية الهائلة لحرياتها من قبضة الاقلية الطاغية . غير أن ما يقوله رئيس الدولية أو غيره من زعماء البلشفية ، وما يقوله على الأخص (لينين) فى كتبه عن ثوره الكتلة العامة لا يعنى أن الجمعية السرية التى تقبض على مصائر روسيا تعمل دون وحى يلقى إليها من وراء ستار وتسير فى جهودها الهادمة مستقلة دو توجيه ، فما هو المصدر الخفى الذى يغذى جهود البلشفية ؟ وما هى غايته الأخيرة التى يدفع الحركات الثورية المختلفة إلى رعايتها والعمل على تحقيقها ؟ إن البناء الحر والمالية الدولية والجامعة الجرمانية كلها قوات حقيقية لا مرية فى وجودها تؤثر فى شئون العالم أيما تأثير وفى وسعنا أن نعين منها أسماء الزعماء وطرق العمل ومراكز الوحى والإرشاد ولكنا لا نستطيع أن نفعل بالمثل فى مسألة الثورة العالمية ومع ذلك ، فالثورة العالمية ، حقيقة يشعر العالم بوجودها وبغالب جهو ها . إن ثورة الكتلة العالمية وتحريرها من نير البرجوازية وتحطيم النظم الرأسمالية وإضرابها من العبارات الشيوعية كلها ستار

لغاية واحدة ، هى غاية هدم شاملة ، فتحطيم المجتمع الرأسمالى معناه تحطيم المدنية الحاضرة وكل ما احتوت من أديان وتعاليم وتقاليد وهدم المدنية غاية عملت لها جميع القوات الخفية والجمعيات السرية خلال القرون ، ولكن الحرص على تنفيذ هذه الغاية والدقة فى تنظيم القوى التى تعمل لتحقيقها ، واستعداد المجتمع الحاضر لتلقى تعاليمها كأنها ظواهر جديدة لم تظهر من قبل بمثل ما تظهر به اليوم من جلاء ووضوح ،ذلك لأن عقلية المجتمع الحاضر قد تأثرت بمؤثرات جديدة عميقة ، وقد بعثت الباساءُ الطاحنة آلام الحياة ومصاعب العيش فى كثير من البيئات روحاً من اليأس والنقمة لم تعرفها من قبل . وهذه الروح هى التى يستغلها دعاة الثورة العالمية وهى التى مهدت السبل لروسيا القيصرية لفوز البلشفية وتمهد اليوم سبلا شتى لنشاط الدعوة الشيوعية . إذن فالدعوات الشيوعية والاشتراكية واللاحكومية نواح من نواحى الثورة العالمية تعمل كلها من سبل مختلفة إلى نفس الغاية .

ويقولون : إن الثورة العالمية والخطر اليهودى أسمان لمسمى واحد وإن دعاة الثورة العالمية هم دعاة السيادة اليهودية العالمية وأن الفكرة اليهودية القديمة فى سحق المدنية الحاضرة هى التى تجثم وراء الثورة العالمية . فإما كون اليهودية تقصد بالهدم والمحو كل النظم الحاضرة وتقصد بالاخص إلى هدم التعاليم الدينية والأخلاقية: نصرانية كانت أو إسلامية فأمر لا ريب فيه . ولكن ليس ثمة ما يؤيد أن اليهودية تختفى وراء البلشفية والشيوعية والاشتراكية وما إليها من دعوات الهدم وكل ما هنالك أن اليهودية تعمل لنفس الغاية والظاهر أن اليهودية ما هى إلا إحدى القوى التى تعمل للهدم إلى جانب الحركات الأُخرى وأنها تدين بنفس التعاليم الحرة الهادمة ، وأن هذه القوى ترعى جميعها مثلا واحدة هى الجامعة بينها وهى التى توجه نشاطها وتوحد بين غاياتها وإذا كان من المستحيل أن نعين ذلك المصدر والمصادر الخفية التى تغذى دعوة الثورة العالمية بالنصح والإرشاد وتمدها بالدعاة والأموال فقد لا نذهب بعيداً إذا قلنا أن البلشفية هى أقوى وأمنع عناصر الثورة العالمية وأنها هى التى تبرز إلى الطليعة بالقول والفعل وأنها واسطة الوحى فى تغذية العناصر الأُخرى التى تحرض على تحقيق غاية موحدة شاملة هى هدم المجتمع الحاضر من الأساس واستبداله بمجتمع يقوم على مبادىء الشيوع والإباحة وتحقيق أعظم ما يستطاع من مثل ماركس ولينين » . وإذا كان هذا ما كتبه الاستاذ محمد عبد الله عنان عام ١٩٢٦ فقد تكشفت فى خلال الخمسين سنة التى تلت ذلك وحتى اليوم حقائق كثيره لم تكن واضحة

إذ ذاك وإن كان فى دراسة هذه يعتبر متقدماً تقـدماً كبيراً نحو فهم علاقات الشيوعية والصهيونية باليهودية العالمية . وعلى الذين يرددون كالببغاوات اسم « الثورة العالمية » أن يعرفوا أبعاد هذا التغيير ومداه .

(٣)

العالم الإسلامى والصهيونيه

كانت الحركة الأولى فى تجاه أوربا الغربية : عالم المسيحية الكاثوليكية والحركة الثانية : تجاه روسيا وعالم المسيحية الارثوذكسية ، أما الحركة الثالثة فكانت فى مواجهة العالم الإسلامى من أجل الهدف الأكبر الذى قامت من أجله خطة التلمودية : الوصول إلى أرض الميعاد . ولما كانت دولة الخلافة العثمانية هى العقبة التى وقفت فى وجه الأطماع الصهيونية فقد تقرر إزالتها وفتح الطريق إلى القدس التى يملكها المسلمون منذ الفتح الإسلامى والتى ظلت فى حمايتهم أربعة عشر قرناً كاملة ، لم تنتزع منهم إلا فترة أولى سنوات الحملة الصليبية ثم استعادها صلاح الدين . وعندما أوقـد النفوذ الاستعمارى والصهيونى الخلاف بين المسلمين : عرباً وتركاً وأوقع بينهم إنما كان يتطلع إلى الإستيلاء على القدس لتسليمها إلى يهود وأن هذه المناورة التى تمت كلها بخطوطها التى التى رسمها لورنس واللنبى وغيرهم إنما كانت تستهدف تمزيق الوحدة الإسلامية العربية والتركية للسيطرة على فلسطين وتقديمها هدية لليهودية التلمودية ووليدتها الصهيونية . ولا ريب أن الوصول إلى فلسطين هو بمثابة المرحلة الثالثة فى برنامج السيطرة العالمية الذى أضمرته بروتوكولات صهيون التى تكشف أمرها عشية المؤتمر الصهيونى الاول فى بازل (بال) عام ١٨٩٧ والتى تستهدف إلى إقامة حكومة عالمية تسيطر من النيل إلى الفرات وتستوعب المجتمع الإسلامى كله وتعد العـدة لهذه السيطر ببرنامج غزو فكرى وعقائدى ونفسى يستهدف تدمير المجتمعات الإسلامية والعالمية جميعاً من أجل تحقيق السيطرة العالمية التلمودية . والصهيونية هى الواجهة السياسية لأهداف الأيدلوجيـة التلموديـة اليهودية ، وهى ثمرة عمل الماسونية سنوات طويلة وهى التجسيد الواقـع للمخططات اليهودية ومنطلقها السيطرة على أرض فلسطين وإقامة دولة إسرائيل . وهى بمثابة تحقيق النبوءة الزائفة التى رددتها التوراة التى كتبها عزرا وخطط لهـا التلمود وتعتبر الحركة التلمودية *

اليهودية خادمة لها فتكون هى بدورها نواة الدولة العالمية اليهودية . ومن أجل تحقيق هذا الهدف كان لابد لليهودية العالمية من السيطرة على الدولة العثمانية التى تقع فلسطين فى نطاقها . ومن أجل هذا بدأت المحاولات لإقناع السلطان عبد الحميد بالسماح لليهود بالإقامة فى فلسطين فى مقابل أن تقوم اليهودية العالمية بتحقيق عدد من المشروعات والخدمات منها تسديد ديون الدولة وإقامة عديد من المشروعات التجارية والاقتصادية .

وقد رفض السلطات عبد الحميد عروض اليهود رفضاً باتاً فكان أن اتجه اليهود إلى تمزيق الدولة العثمانية عن طريق إثارة الثغرات العنصرية وإيقاع الفريقين المسلمين اللذين يشكلان الدولة : [الترك والعرب] فى صراع شديد انتهى بانضمام تركيا إلى ألمانيا وانضمام العرب إلى (فرنسا — إنجلترا) وبذلك تمزقت تركيا بعد نهاية الحرب وقسمت ممتلكاتها العربية بين فرنسا وإنجلترا وأقيم نظام الانتداب البريطانى فى فلسطين مع إعلان وعد بلفور الذى مهد لتسليم فلسطين لليهود وقد تم هذا خلال (١٩١٨ — ١٩٤٨) حيث قامت دولة إسرائيل وشرد العرب من أهل فلسطين ثم أمكن لإسرائيل أن تسيطر على بيت المقدس عام ١٩٦٧ . وبذلك حققت الصهيونية العالمية هدفها الأول من انبعاثها كحركة سياسية فى العصر الحديث وإقامة الوطن القومى اليهودى وتهجير الآلاف من اليهود الذين هاجروا من روسيا ورومانيا وبولندا منذ عام ١٨٨٢ على أثر مقتل القيصر وقد توالت هذه الهجرات واتسع نطاقها بعد سقوط السلطان عبد الحميد وقيام حكومة الاتحاديين فى تركيا وهى الحكومة التى ناوءت خطة الجامعة الإسلامية التى دعا إليها السلطان عبد الحميد والتى تكونت أساساً فى محافل الماسونية اليهودية فى سالونيك ، والتى فتحت الهجرة إلى فلسطين واسعاً حتى تجمع فى فلسطين قبيل الحرب العالمية الأولى ٩٠ ألفاً ثم توالت الموجات بعد ذلك فى ظل الصراع بين اليهود وألمانيا النازية منذ عام ١٩٤٤ . ولم يكن موقف ألمانيا النازية من اليهود هو العامل الاساسى فى الهجرة ولكن الهجرة كانت بدأت قبل ذلك بوقت طويل من روسيا ورومانيا وبولندا أثر المذابح التى دبرت ضد اليهود فى روسيا بعد اغتيالهم القيصر ، وحينما استولى النازيون على الحكم فى ألمانيا وقعت مصادمات إضطرت اليهود إلى الهجرة من ألمانيا هرباً من الاعتقالات التى لم يتجاوز عدد الذين قبض عليهم فيها وعذبوا أو قتلوا بضع آلاف وليس كما يدعى اليهود أنهم بضع ملايين . وتثبت الوقائع أن الصهيونية استهدفت من إثارة هذه الازمة النازية تحقيق

عدة نتائج خطيرة تحت ستار دعوى التعذيب والاضطهاد . فقد استطاعت الصهيونية أن تحقق مكاسب اقتصادية كبرى وأن ترحل عدداً أكبر من اليهود ، وقد عقدت بين ألمانيا النازية والمستوطنين الصهيونيين فى فلسطين اتفاقية صرحت بمقتضاها لليهود بالهجرة وتم الإتفاق على طرق الإفراج عن أموالهم وذلك مقابل كسر الصهيونية للحصار الإقتصادى الذى فرضه اليهود على البضائع الالمانية وقد فتحت ألمانيا لليهود امتياز احتكار البضائع الألمانية المصدرة إلى فلسطين وبلغ ما حولته ألمانيا ما قيمته ١٤٠ مليون مارك مما أنعش اقتصاديات المستوطن اليهودى . وكان هذا من أكبر دعامات الاساس الإقتصادى للاستيطان اليهودى فى فلسطين . وكان تهجير « اليهود » هو الارض المشتركة الايدلوجية بين الصهيونية والنازية فكانت وزارة الاقتصاد الالمانى تدعم الهجرة ، ثم الهجرة غير الشرعية بعد أن توقفت الاولى ، وهذا الذى نقوله تقرره مصادر كثيرة منها موسوعة المصطلحات الصهيونية وغيرها بما يكذب الإدعاءات الباطلة التى مازالت الصهيونية العالمية ترددها عن مذبحة النازية وعن ما أسموه « عقدة الذنب » التى استولت بها على مئات من الملايين المارك الالمانى .

(٢) الواقع أنه ليست أزمة القيصرية الروسية هى المنطلق الحقيقى للهجرة إلى فلسطين وليست الازمة النازية هى التى وسعت أفق الهجرة إلى فلسطين وما هذه كلها إلا مقتضيات ومبررات أريد بها خلق تحديات وخلق واقع يبرر العمل المرسوم المرتب المخطط من قبل ولقد كان فى الإمكان حل قضية الهجرة اليهودية من روسيا عام ١٨٨٢ ومن ألمانيا عام بوسائل أخرى وإلى مناطق أخرى ، ولكن الفكرة التلمودية التى أيقظت دعوى العودة إلى أرض الميعاد قد تلاقت مع مخططات الاستعمار الغربى والروسى فى الاطباق على موضع القلب من أرض المسلمين ووجودهم الجغرافى فى جولة جديدة شبيهة بالجولة التى قامت بها أوروبا المسيحية من خلال الحروب الصليبية ، وقد كانت الجولة الاولى تحمل اسم استخلاص قبر المسيح أما هذه المره فهى استخلاص أرض الميعاد . إن الهدف هو أن تضع الصهيونية العالمية يدها على أدق نقطة وأخطر موقع فى عالم الإسلام كله بحيث تستطيع أن ترث الإمبراطوريات الرأسمالية وأن تكون قادرة بالسيطرة على المواقع الاستراتيجية والجغرافية فى ملتقى القارات الثلاث وأن يتاح لها السيطرة على مقدرات هذه المنطقة الغنية بالبترول والمنجنيز والفوسفات وكل أدوات الصناعة حتى تمكن لليهودية التلمودية

أن تضمن امتلاك مصادر الثروة العالمية التى تحتوى كل مواريث الأمم وعقائـدها ومعطياتها . ويبدو هذا واضحاً من عشرات التصريحات والكتابات التى تنم عن أن الايداوجية الصهيونية تخطط لإمبراطورية فى هذه المنطقة تتولى إسرائيل مركز النقل فيها

وعندما نرى واحداً منهم مثل (عازار وايزمن) : أنه لا عطف ولا رثاء حتى ننتهى بالحضارة العربية التى نبنى على أنقاضها حضارتنا ، عندما نرى ذلك نعرف الغاية البعيدة من الاستيطان اليهودى على أرض فلسطين ، ونتبين مدى ما تهدف إليه « المؤامرة اليهودية العالمية » التى تطمع فى الاستيلاء على العالم وإنشاء حكومة عالمية يكون مركزها القدس وأنها تلتمس من أجل ذلك أساليب الغزو الفكرى الخطير الذى يستهدف تخريب الاخلاق وإفساد النفوس . على النحو الذى كشفت عنه بروتوكولات صهيون ، ومهما قالت الصهيونية وأيدتها الماركسية والشيوعية - ونحن نعرف نسبهما - أن هذه البروتوكولات باطلة فإننا نجد فى قسماتها ملامح ذلك المخطط بل إننا نجد أن كثيراً مما أشارت إليه قد تم تطبيقه وتنفيذه . وتذكر البروتوكولات أن حاخامات اليهود وقادتهم قد عقدوا مؤتمراً سرياً يهدف إلى وضع خطة محكمة بالتعاون مع الماسونيين الاحرار (ليبراليين أو شيوعيين) لإقامة وحدة عالمية مقرها القدس ، وأن ذلك المخطط يتم عن طريق تقويض دعائم الأسرة وصلات القرابة وهدم الأخلاق والإيقاع بالدول الأوربية وتخريب المؤسسات المسيحية وتدمير العواصم الاوربية وإفساد أخلاق العالم المسيحى الاوربى . وأنه فى المرحلة الاولى يسيطر اليهود على الصحافة ودور النشر وجميع وسائل الإعلام حتى لا يتسرب للرأى العام إلا ما يريده اليهود كما أنها ترى أنه يجب على اليهود أن يحاولوا السيطرة على الدول الاستعمارية وتسخيرها حسب أهوائها (وهذا قد تم فعـلا) وأنه لا بد من تمزيق العالم إلى معسكرين متنازعين (وقد تم هذا فعلا) وأنه لابد من إثارة موجة عارمة من موجات تدمير الاخلاق والحملة على الاديان وإثارة روح الإلحاد والإباحية والكشف والعرى والفساد الخلقى (وهذه الموجة فى أبانها الآن) . وقد دعت البروتوكولات إلى السيطرة على الفلسفات والاديان وأشارت إلى أثرها فى بعض المناهج والايدلوجيات حين قالت : (إن نجاح دارون وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل وأن الاثر غير الاخلاقى لاتجاهات هذه العلوم لدى غير اليهـود سيكون واضحاً ولكن ينبغى أن يدرس أثرها على أخلاق الأمم والجماعات) كذلك فقد كشفت الصهيونية العالمية فى السنوات الاخيرة عن هدفها حين أعلنت أنها

أوقدت الحرب العالمية الثانية لكى تحقق لروسيا مكان الصدارة والمساواة بالغرب الرأسمالى ؛ وأن الحرب العالمية الثالثة ستكون هى الحرب التى تحقق سيطرة اليهودية التلمودية على العالم . وقد أشار إلى هذا المعنى الحاخام عمانويل إيفانوفيتش عام ١٩٥٤ فى تصريح له فى بودابست حين قال إن اليهودية العالمية تعمل على إثارة روح الحرب بين أمريكا وروسيا حتى يضعف الخصمان وتتضعضع قواهما ثم تتم السيطرة اليهودية على العالم ويفرض الشعب الإسرائيلى سلطانه وينشر العقيدة الإسرائيلية . ومن هنا نعرف أبعاد الخطة الصهيونية التى هى مرحلة من مراحل المؤامرة اليهودية التلمودية والتى تهدف إلى جواز السيطرة على « الأرض- المقدرات - الثروة » إلى تحطيم المعتقدات الإسلامية والمسيحية وسحق القيم الروحية والمعنوية وإثارة الشكوك حول المعتقدات وإدخال الإسرائيليات والسموم التى صنعها مفكرى اليهود إلى الفكر البشرى لاحتوائه وتدمير الاصول الاصيلة من الفكر الربانى الذى جاءت به رسالات السماء.ومن هنا كان لابد من درسة الايدلوجية التلمودية أساساً دون التوقف عند الجوانب السياسية وحدها ، على النحو الذى يفعله الباحثون ، من حيث التركيز على الصورة الظاهرة التى قد تخدع كثيراً . والواقع أن هذه الصورة الظاهرة ليست فى الحقيقة إلا وسيلة للتعرف على أبعاد المخاطرة الصهيونية والمؤامرة اليهودية التلمودية التى تحاول تغيير العقلية البشرية القائمة فعلا واحتوائها كاملا للسيطرة عليها كمقدمة لتحقيق السيطرة اليهودية العالمية . والواقع أن « إسرائيل » ليست هى كل الحركة الصهيونية وما هى إلا واجهة للايدلوجية التلمودية الضخمة : يقول الدكتور أيدر رئيس اللجنة الصهيونية « أهداف الصهيونية هى إبادة العرب جميعاً » ويقول « موشى ديان »:لقد استولينا على أورشليم ونحن فى طريقنا إلى يثرب وإلى بابل،ويقول نورمان نيتوتش اليهود الإنجليزى : فى وسع اليهود الامتداد إلى جميع البلاد التى وعدنا بها فى التوراة من البحر المتوسط حتى الفرات ومن لبنان إلى النيل فهذه هى البلاد التى أعطيت لشعب الله المختار . وليس أدل على ما كان يبيته اليهود من وراء الاستعمار البريطانى بعد دخول القدس عام ١٩١٧ من قول بربارة توخمان اليهودية فى كتاب (التوراة والسيف) : وهكذا دخل الجنرال اللبنى إلى القدس ١٩١٨ فنجح حيث كان ريتشارد قلب الاسد قد أخفق ولولا ذلك الانتصار لما كانت إعادة إسرائيل إلى الان قد أصبحت حقيقة واقعة وكذلك لم يكن بإمكان اللنبى أن ينجح لولا محاولة ريتشارد

أى لو لم تكن النصرانية قد أقامت فى الاصل الاساس الذى يحمل النصارى على التعلق بالارض المقدسة وأنه ن غريب التهجم أن يكون اليهود قد استعادوا موطنهم وإلى حد ما ، بفعل الدين الذى أعطوه للأميين . (٣) كان دور اليهودية التلمودية بعيد الخطر فى التاثير على العالم الإسلامى منذ نهاية الحروب الصليبية . فمنذ اتصلت أسباب الماسون بالدولة البريطانية فقد امتدت علاقة الربـا والاقتصاد وتأثيرات اليهودية العالمية فى مختلف المناطق التى امتد إليها نفوذ بريطانيا.يقول المرحوم الدكتور محمود صالح رائـد الدراسات الإسلامية التى كشفت عن نفوذ اليهودية ومحاذيرها منذ الثلاثينات : مع تقدم الصناعات والاكتشافات فى إنجلترا أول بلـد ظهر بقوته الصناعية فى العالم كثر عدد المهاجرين اليهود فتكونت منهم الشركات التجارية والسماسرة والتجار وأصحاب البنوك . وأول هذه الشركات : شركة الهند الشرقية الى نافست البرتغال وهولندا وانتصرت عليهم . فقد وضعت أقدامها فى الهند وخليج فارس ثم تضاعفت جهودها للقضاء على الصناعات المشهورة فى الهند كالنسيج والصينى وسنت لذلك قوانين حرمت صناعة القطن الهندى ثم شجعت واحتكرت بيعه لبريطانيا فقط . ظهر فى هذه الفترة كثير من رجال الاقتصاد وأولهم اليهودى آدم سميث فمن هذه اللحظة واليهود يسودون الهند ثم احتلت بريطانيا مالطة وقناة السويس وخليج فارس وعدن وجزائر سيشيل وسنغافورة وسواحل الهند وجبل طارق ورأس الرجاء الصالح . وذرزائيلى اليهودى رئيس الوزراء البريطانية عام ١٨٦٥ هو الذى أعلن الهند درة التاج البريطانى تحت حكم الملكة فيكتوريا . وقد اشترى قناة السويس بمساعدة (روتشيلد) بعـد أن سبق المرابين اليهود (ابنهايم) وغيره من التجار حين أقرضوا الخديوى اسماعيل ١٢٦ مليون جنيه انتهت بوضع المراقبة الأجنبية على مصر وتعيين وزيرين أجنبيين فى الحكومة المصرية . وقد غدرت السياسة اليهودية بسكان جزيرة العرب فقسمت بلادهم وجعلت فلسطين وطنـاً قومياً حسب إدارة الوزير الإنجليزى بلفور . وقد أكثر اليهود والماسون من تأسيس المعـاهد اللادينية والجمعيات التى تعمل دائماً على نشر الدعوة حتى أن اليهود فى العالم هم الذين يتحكمون فى العمل السينمائى وكتابة الروايات ونشر المودة حسب ما يرونه لائقاً . ويسيطرون على أفلام هوليود التى تعتبر أقوى عامل للتأثير الاجتماعى والاقتصادى العالمى وقد تسترت الصهيونية تحت لباس الماسونية ، وأول اتجاهات الماسونية هى محاربة الديانات بالدعوة إلى حرية الفكر والدعوة إلى الجمهوريات والحكم الديمقراطى وبذلك يستطيع اليهود أن يكونوا

رؤساء الجمهوريات ، وبعد أن كانت المسيحية سياسة بابوية أصبحت كل أمة مستقلة داخلياً فى سياستها وقد اشتعلت الماسونية دائماً بالقرب من القصور الملكية ، وداخلها وعنيت بالتدخل فى وزارات الحربية والخارجية ووجهت سياسة الأُمم حسب ما تراه وأظهرت قوتها منذ أربعمائة عام فى انجلترا وقد أسس الثورة الفرنسية جماعة الماسون وهم اليعقوبيون الذين يطفح بذكرهم التاريخ الفرنسى ، ولم يستطيع نابليون التخلص من سلطة اليهود الإنجليز ، لأن حربه كانت دموية كما كانت اقتصادية بمناجزه انجلترا تجارياً ، لقد انطفأ نجم نابليون على أيدى فرنسيين كانوا يعملون لحساب الأُمم الأَجنبية منهم وزير خارجيته : تاليران . ومن أشهر الثورات بعد الثورة الفرنسية : ثورة عام ١٧٣٠ و ١٨٤٨ فى فرنسا وعام ١٨٤٨ فى فرنسا وألمانيا وعام ١٨٦٠ فى إيطاليا وقد تزعم هذه الثورات : كارل ماركس اليهودى الشيوعى ولاسال الاشتراكى اليهودى ولو قرأنا برنامج الثورة الإيطالية لوجدناه حرفياً كبرنامج روسيا الشيوعية عام ١٩١٧ ولكى يضمن اليهود السلطة طالبوا بحق الانتخاب لجميع السكان فوافق الأُوربيون على هذه الفكرة وأَصبح يبحث عمن يدفع مالاً أكثر ويقوم بدعاية أكبر وبهذه التطورات جميعاً ساد اليهود البرلمانات والوزارات وأنشأوا الصحف والمجلات للدعاية والإعلان وجاءت الحرب العظمى بأَمر اليهود بعد أن انتزعت من الملوكورؤساء الجمهوريات سلطة إعلان الحرب وتعيين الوزراء مما قاد ١٥ مليوناً إلىالمذبحة البشرية بين المسيحيين والمسلمين ١٩١٤ — ١٩١٨ . وقد قام بها اليهودترويجاً لأَموالهم وصناعاتهم كما قالت جريدة أكسيوس فرانسيس بتاريخ ١٦-٣-١٩٣٨ نقلاً عن مجلة انجليزية . وكتبت مجلة جويش وورلد اليهودية فى ١٦ يناير ١٩١٩ : قامت الدولة اليهودية بعمل هذه الحرب العالمية لا من أجل اختزان الذهب وجمع مبالغ طائلة من الأَرباح فقط ولكن عملتها لتستطيع القيام بحرب ضروس لا تبقى ولا تذر ، فاليهودية العالمية هى التى أشعلت الحرب ووضع ويلسون شروط الصلح كما أملتها عليه اليهودية الدولية » أهـ(٤) كانت الماسونية فى العالم الإسلامى هى الإطار الواسع الذى تحركت فيه اليهودية التلمودية فأفرزت الصهيونية وقد أدخلها اليهود فى الدولة العثمانية ونشروها فى كل أجزاء البلاد العربية وخاصة الشام ومصر وكان قادتها هم الدونمة وهم اليهود الذين هاجروا من الأَندلس عام ١٤٩٢ واستوطنوا سالونيك وأعلنوا إسلامهم تقية ومن خلال مراكزهم التى أقاموها فى الدولة العثمانية استطاعوا السيطرة على حركة الإتحاد والترقى (تركيا الفتاة) وأفسحوا لها فى محافلهم التى كانت بعيدة عن رقابة الدولة (الدونمة ٥٠ ألف

يهودى ولهم خمس محافل ظاهرت الإتحاد والترقى) كذلك فقد استطاعوا احتوائهم بحيث جعلوا دعوتهم القومية موجهة ضد الإسلام والوحدة الإسلامية ودولة الخلافة فكانوا هم أعوان الصهيونية فى هدم الدولة العثمانية وتمزيق الرابطة بين العرب والترك وإيقاد نار الخصومة بينهما وقد استطاعت اليهودية التلمودية عن طريق الماسونية إسقاط السلطان عبد الحميد وتمزيق الدولة العثمانية وإلغاء الخلافة . وقد أشار صاحب المنار إلى أن بعض المسلمين خدعوا بالماسونية أيام الاستبداد وظنوها الوسيلة التى ينجون بها من ظلم المستبدين وجورهم ولكن كثيراً منهم بعد أن اختبروا الماسونية وعرفوا دخيلتها انفضوا عنها وهكذا فعل الشيخ محمد عبده كما أخبر عن نفسه . وجحدها قبله الشيخ جمال الدين وعرفنا بعض نخبة القوم من مسلمين ودروز كانوا بعد دخولهم فى الماسونية يحذرون أصحابهم ويشيرون على كل من طلب رأيهم منها أن يبعدوا عنها طاقتهم معلنين انخداعهم بها (المنار م٨ ص٤٠١) . ويشير جرجى زيدان صراحة فى رده على سؤال : أجمعيه الاتحاد والترقى ماسونية ؟ إلى أن الماسونية مولت الاتحاديين فى مؤامرة قلب حكومة السلطان عبد الحميد وإن الماسونية سعت أولا فى جمع كلمتهم لما كان هؤلاء الضباط « فى حاجة إلى المال والدراهم لتنفيذ ما قصدوه من قلب الهيئة الحاكمة فكان الماسون وكثير منهم من اليهود المثريين يعدونهم بامدادهم بالأموال » ثم يقول : فلما تم الانقلاب الدستورى رفعت الماسونية رأسها وعزت الفوز إلى مساعيها وصورت جمعية الاتحاد والترقى كجمعية ماسونية محضة وكان أعضاؤها إذا ساروا فى عواصم أوربا يبحثون عن المحاقل الماسونية ، ويسلمون على رؤساها » . وهكذا نجد أن الماسونية التى تشكلت فى أحضان الدونمة : الخمسون ألفاً من اليهود الذين عاشوا منذ عام ١٤٩٧ فى سالونيك والذين أعلنوا إسلامهم فى وقت باكر استعداداً لهذه الخطة وقد احتضنوا حركة الاتحاد والترقى وحولوها فى الاتجاه الذى خططوا له والذى تم على مراحل على الوجه الآتى : أولا : السيطرة على الحكومة وإسقاط السلطان عبد الحميد الذى رفض قبول اليهود فى فلسطين ولم يزحزحه الوعد أو الوعيد عن خطته وإقامة الحكومة الاتحادية التى أفسحت لليهود الدخول فى فلسطين والإقامة فيها وشراء الأراضى . ثانياً : إيقاع الصراع والخصومة بين عنصرى الدولة العثمانية تمهيداً لتدميرها وإدخالها فى الحرب العالمية دون حاجتها إلى ذلك حتى يمكن تمزيقها والاتفاق مع العرب لمولاة البريطانيين فى سبيل إقامة دولة لهم ثم الوقيعة بين العرب والترك وإدخالهما فى حرب وقتال وتعليق اليهود للعرب على المشانق

فى محاولة للفصل بينهما : ثالثاً : إثارة روح العرق والعنصر فى الأتراك تحت اسم الطورانية ومحاولتهم تتريك العرب وتغيير لغتهم وثقافتهم بما يدفع العرب إلى الدعوة القومية العربية واحتواء الدعويين بمفاهيم غريبة . رابعاً : خداع العرب بعد الوعد لهم بالدولة وتمزيقهم إلى احتلالين فرنسى لسوريا وبريطانيا للعراق وضع فلسطين تحت الإنتداب البريطانى وإعلان وعد بلفور لليهود بإقامة الوطن القومى : وهكذا تحققت للماسونية الخطة التى استطاعت بها إقامة الصهيونية على أرض فلسطين وإنشاء دولة إسرائيل على مرحلتين : (الأولى) : بعد الحرب العالمية الأولى بإدخال أعداد ضخمة من المهاجرين وإقامة الكيان الصهيونى بها . (الثانية) : بعد الحرب العالمية الثانية وذلك بإعلان دولة إسرائيل وإجلاء العرب الفلسطينيين عنها . ثم توالت الخطوات حتى استطاعت إسرائيل أن تسيطر على القدس عام ١٩٦٨ وتلك هى ذروة هذا المخطط الصهيونى الذى بدأ عام ١٨٩٧ فى بال بانعقاد المؤتمر الصهيونى الأول وإعلان هرتزل قيام الدولة اليهودية قال هرتزل : إذا ما أردت تلخيص معنى مؤتمر بال وهو مالن أفعله علناً فإننى أقول : فى بال أقيمت الدولة اليهودية ، وإذا ما قلت هذا القول اليوم بصوت مسموع فسأقابل بالسخرية فى العالم ولكن من المحتمل بعد خمسة أعوام وبالتأكيد بعد خمسين عاماً سيرى الدولة كل إنسان » . ولما توفى هرتزل فى يوليو ١٩٠٤ حلفه : ماكس نوردو ، وديفيد ولفسون ، وأوتووأربورج ثم ظهر حايم وايزمان فى لندن وبه دخل العمل الصهيونى فى مرحلة التنفيذ حين أقام الوكالة اليهودية التى عملت على (١) تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتعزيزها . (٢) تلبية الاحتياجات الدينية لليهود . (٣) تطوير اللغة العبرية والثقافة العبرية . وكان أبرز العاملين فى هذه المرحلة : وايزمان ، بن جورين ، ناحوم جولدمان وتتمثل خطة اليهودية العالمية فى هذه المرحلة فى عناصر أربع متداخلة : (ماسونية – صهيونية – لا سامية – شيوعية) للسيطرة على العالم والمعروف أن وعدبلفور لإقامة الوطن القومى اليهودى فى فلسطين صدر عام ١٩١٦ وان الإنقلاب الشيوعى تنفذ عام ١٩١٧ وبذلك تحققت مقومات المؤامرة اليهودية التلمودية فى السيطرة على الغرب وتمزيق وحدته السياسية وإقامة الصراع بين الرأسمالية والشيوعية ثم بدأ الصراع مع العالم الإسلامى . ودور الماسونية فى بناء الصهيونية واضح : تقول الصحيفة اليهودية (لأقاربنا اسرائيليت) العدد ٥ ص ٧٤ : « إن روح الحركة الماسونية هى الروح اليهودية فى أعمق معتقداتها الأساسية : إنها أفكارها ولغتها وتسير على نفس تنظيماتها وإن

الامال التى تساعد وتنير طريق الماسونية وتسند حركتها هى نفس الآمال التى تساعد وتنير طريق إسرائيل وتتويج نضالها سيكون عند الظفر بذلك المصلى الرائع الذى ستكون أورشليم (القدس) رمزه وقلبه النابض وفى البروتوكلات إشارة إلى المحفل الماسونى المنتشر فى أنحاء العالم والذى يعمل «فى غفلة كقناع لأغراضنا » وكذلك قول بربارة توخمان فى كتابه اليهودية والسيف : (إن المؤسسين الأصليين للوطن القومى اليهودى وبالتالى لإسرائيل فى فلسطين هم الماسونيين » . (٥) منذ أصدر هرتسل كتابه (الدولة اليهودية) عام ١٨٩٥ بدأت خطة محاصرة العالم الإسلامى والدولة العثمانية وقد سجل هرتزل فى مذكراته التى بدأها فى أيار عام ١٨٩٥ واستمر يكتبها إلى أيار عام ١٩٠٤ الذى توفى فيه ذلك الجهد الضخم الذى بذله فى سبيل إحتواء الدولة العثمانية ، وقد مهد لذلك بالمخططات التى سبقته إلى تحقيق هدف الحركة الصهيونية وهو أن تصبح اليهودية التلمودية مرتكزة على الأرض واللغة وذلك بالاستيلاء على أرض فلسطين بالقوة وطرد أهلها وقتلهم وإبادتهم على النحو الذى فعله الأوربيون فى الاستيلاء على أرض أمريكا وإبادة الهنود الحمر . ولقد تعددت محاولات الاستيلاء على أى أرض سواء فى بريطانيا أو جزر الهند الشرقية أو أمريكا الجنوبية أو على نهر نياجرا أو الأرجنتين ومن هذا الاستعراض تبين أن فلسطين حى منتصف القرن التاسع عشر لم تكن المطلب الوحيد لإقامة الوطن القومى لليهود فقد — كانوا نتيجة الاضطهاد وخاصة الاضطهاد الروسى الذى بدأ عام ١٨٨٢ وهاجر من جرائه مليونين ونصف يهودى من روسيا — كانوا يحلمون بأى مكان يجتمعون فيه . ويبدو ان خطة إحتلال فلسطين كانت فكرة فى نفوس الدعاة الدينيين أمثال شبتاى ليى الذى دعا إلى ذلك عام ١٦٢٦ ، وان هذ الفكرة صادفت هوى فى نفوس الاستعماريين الذين وجدوا فيها حلاً لمشكلتين فى وقت واحد : (الأولى) : إخراج اليهود من أوربا والتخلص نهائياً من التحدى اليهودى فى المجتمعين الغربى والشيوعى معاً . (الثانية) : إيجاد كلب الحراسة الذى تستطيع الدول الغربية الاستعمارية أن تتخذه وسيلة لضرب حركات التحرر واليقظة فى العالم الإسلامى . ويرى الماركسيون : « إن الدعوة إلى إنشاء « دولة يهودية » لم تبدأ فى صفوف اليهود وإنما بدأت بين المفكرين والزعماء وأصحاب المصالح الاستعمارية فى الشرق ومما له دلالة إن من أوائل الداعين لعودة اليهود إلى فلسطين لتأسيس وطن قومى لليهود هم: نابليون بونابرت ممثل المطامع الاستعمارية الفرنسية فى الشرق ، كما أن الفكرة كانت مطروحة بين المفكرين الاستعماريين فى انجلترا

وأوربا عامة ، ولقد كانت الدعوة لذلك غريبة على الجماهير اليهودية على المفكرين اليهود لأنهم كانوا إما متدينين تنتظرون مقدم « الماشيخ المخلص » ليعود بهم ليؤسس هو الدولة دون أى تدخل بشرى ، أو علمانيين يدافعون عن الإندماج . قد طرح هيس الصهيونى الفكرة فى منتصف القرن ١٩ فى كتابه ذى الطابع الواضح ، (روما والقدس) وعالج بنسكر الفكرة ذاتها فى كتابه (الانعتاق الذاتى) ثم تعرض هرتزل لنفس الموضوع فى كتابه : (الدولة اليهودية) وقد واجهت الفكرة معارضة من اليهود الاصلاحين واليهود الأرثوذكس ولم يكتب للفكرة التحقيق إلا حينما تبنت الدول الامبريالية الحركة الصهيونية وفرضت التجمع الاستيطانى الصهيونى على الواقع العربى » .وأشار هرتزل إلى قبرص وإلى شرق أفريقيا أو الأرجنين وأشار ليون بنسكر إلىوطنقومى لليهود فى أى مكان تخلصاً من الإضطهاد الأوربى لليهود ، وفى لقاء هرتزل وتشمبر لين رئيس وزراء بريطانيا عرض الأخير أن تجمعهم الحكومة البريطانية فى أوغندا أو نيروبى . ويقول هرتزل فى يومياته : لم نقل فى بادىء الأمر أن فلسطين هى البلد الذى يجب أن تقوم فيه الدولة الصهيونية . وتقول أنه بعد تأسيس الدولة الصهيونية وعقد عدد من المؤتمرات السنوية كان لا يزال يرحب بإنشاء الدولة اليهودية فى أى مكان وإن لم يكن ذلك المكان فلسطين حتى ولو كان شرق أفريقيا . وقد أشارت مذكرات هرتزل إلى لقاءاته المتعددة مع الملوك والحكام من أجل الدولة اليهودية وخاصة غليوم الثانى امبراطور ألمانيا والبابا وعدد من حكام أوربا . ولقائه الخطير الحاسم مع السلطان عبد الحميد ويتمثل فى يو ميات هرتزل « أسلوب الفكر الصهيونى المراوغ باستمرار فى سبيل الأعراض والأهداف » . والمعروف أنه بعد إنعقاد المؤتمر الصهيونى الأول فى بال عام ١٨٩٨ والذى وضع مقرراته بإنشاء الوطن اليهودى والذى تكشفت بعده «بروتوكولات صهيون » بدأ هرتزل جولته فى العمل لاحتواء السلطان عبد الحميد عن طريق الترغيب ثم الإرهاب وقد كان موقف السلطان عبد الحميد واضحاً صريحاً : «بلغوا الدكتور هرتزل ألا يبذل بعد اليوم شيئاً من المحاولة فى هذا الأمر (التوطن بفلسطين) فإنى لست مستعداً لأن اتخلى من شبر واحد من هذه البلاد ليذهب إلى الغير ، فالبلاد ليست ملكى بل هى مالك شعبى روى ترابها بدمائهم فلتحتفظ اليهود بملايينهم من الذهب » وعرف اليهود أن طريق السلطان محفوف بالخطر ، إذن فليزول السلطان وليفتح الطرق أتباعهم الاتحاديون ، وقد كشف السلطان عن تآمر الاتحاديين مع الصهيونية فى خطابه إلى شيخ الطريقة الشاذلية : « محمود

أبو الشامات » : حين قال : إننى لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما سوى أننى بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة بإسم جون تورك وتهديدهم اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة . أن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا على بأن أصادق على تأسيس وطن قومى لليهود فى الأراضى المقدسة (فلسطين) ورغم إصرارهم ، فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف وأخيراً وعدوا بتقديم ١٥٠ مليون ليرة إنجليزية ذهباً فرفضت هذا التكليف . لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فلم أسود صحائف المسلمين آبائى وأجدادى من السلاطين والخلفاء . وبعد جوابى القطعى اتفقوا على خلعى وأبلغونى أنهم سيبعدوننى إلى (أسلانيك) فقبلت هذا التكليف الأخير وحمدت المولى وأحمده أنى أقبل أن ألطخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامى بهذا العار الأبدى الناشىء عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية فى الأراضى المقدسة : فلسطين (٢٢ أيلول ١٣٢٩) . وكان إسقاط عبد الحميد ١٩٠٩ هو التمهيد لإلغاء الخلافة عام ١٩٢٤ . وكان الذى أبلغ السلطان قرار الخلع (قرة صو) عضو حزب الاتحاد والترقى : اليهودى الأصل . كان موقف السلطان الأخير ١٩٠٢ وكان عزل السلطان ١٩٠٨ حيث تمكن اليهود من تأليب الدول الاستعمارية على الدولة العثمانية ، وإثارة السموم والدسائس حول السلطان ورميه بمختلف الاتهامات يقول مؤلف كتاب الماسونية الحرة الذى صدر فى باكستان عام ١٩٧٢ . Fres Masonyey a chitieal elday

إن المتآمرين اليهود فى الدولة العثمانية (١٢٩٩ ـ ١٩٢٠ كانوا يتلقون مساعدات فعالة من قبل الماسونيين الأحرار كما ثبت من عدة مصادر أخرى أنهم قد تغلغلوا فى صفوف الجيش التركى وأغروا العناصر المتمردة فى معسكرات مقدونيا وهنا أصبح من الأيسر لهم أن يتآمروا مع بعضهم البعض وأن يتصلوا بالماسونيين الأحرار : ويقول برنارد لويس فى كتابه (ظهور تركيا الحديثة) أكسفورد عام ١٩٦٥ لقد كانت المحافل الماسونية أكبر من مجرد غطاء لإجتماعات الشباب الأتراك فى نوفمبر عام ١٩١١ قام أبو ضياء توفيق لأول مرة بربط المحافل الماسونية بالمطامع اليهودية ، وقد كان من قبل كثيراً ما يعرب عن اهتمامه بالصهيونية وكشف المؤلف كيف تواطئت اليهودية الماسونية سراً للقضاء على السلطان عبد الحميد لأنه كان شديد العداء لليهود وأنه رفض السماح لهم بالاستقرار فى فلسطين فأخذوا يعملون على إعادة مراد تبعاً لصلاته السابقة بالماسونية . ويقول إن الماسونية والصهيونية هما وجهان لعملة واحدة فالموضوع الذى يدور حول الماسونية هو التاريخ اليهودى وأن جميع طقوسها مشتقة من التراث

اليهودى . ويعتبر الهيكل وتاريخه وبناءه وهندسته وتدميره وإعادة بناءه وتدميره للمرة الثانية والتطلع إلى بناءه من جديد كل ذلك يمثل الفكرة الأساسية ومركز كافة المراسم والطقوس الماسونية . ويقول طه الولى : كانت غاية اليهود إزاحة السلطان عبد الحميد من طريقهم الموصل إلىفلسطين ، ولذلك تمكنوا من رشوة بعض رجال الدين وأوعزوا إليهم بالخروج إلى الشوارع والمناداة بتطبيق الشريعة المحمدية وهو ما يسمى يومئذ بحركة الارتجاع قاصدين من وراء ذلك إحراج السلطان ودفع الاتحاديين إلى الثورة عليه والتخلص نهائياً منه تمهيداً للتخلص من الإسلام نفسه فيما بعد ، وقد واتت هذه الحركة الارتجاعية أملها بالنصر لليهود . فقام الجيش بحركته الحاسمة متقدماً نحو يلدز طالباً إزاحة العرش من تحت سيده الذى رفض النزول عند مغريات اليهود لتحقيق مطامعهم » . ومنذ سقط السلطان عبد الحميد فقد فتحت فلسطين أبوابها للهجرة اليهودية وجرذ المخطط فى طريقه إلى غايته عن طريق خلفاء هرتزل أما لورنس فقد تولى تمزيق الوحدة بين العرب والترك حرض على إقتتال المسلمين فى الجزيرة العربية حيث أعلن العرب الثورة على الترك فلما خرجوا من القدس دخلها اللورد اللنبى ولما خرجوا من دمشق دخلها الجنرال غررو أما بالنسبة للدولة العثمانية التى دخلت الحرب العالمية الأولى بلا مسوغ فقد فرضت عليها الهزيمة والتقسيم وقيام النظام التركى الذى صفى الإسلام تماماً وكان أتاتورك ورجاله هم الوجه الآخر للاتحاديين : أعوانهم وخلفائهم «وفى انقلاب مصطفى كمال أتاتورك وهو من اليهود الدونمة جرت المجازر للمسلمين وسلمت البلدان الإسلامية التى كانت تابعة للدولة العثمانية إلى المستعمرين الصليبيين بتحريض من اليهود ومؤامرتهم » . وعندما أصدرت الحكومة البريطانية عهدها بإنشاء الوطن القومى اليهودى (وعد بلفور) فى ٢ من نوفمبر ١٩١٧ كانت القوات البريطانية بقيادة اللورد اللنبى فى طريقها إلى بيت المقدس ، وفى التاسع من ديسمبر من ذلك التاريخ استولى الإنجليز على بيت المقدس ووقف اللورد اللنبى يقول : الآن انتهت الحروب الصليبية . ولم يكن هذا فى حد ذاته إلا تطبيقاً للمشروع الذى وضعه كامبل بترمان وزير خارجية بريطانيا عام ١٩٠٧ عندما دعا مجموعة من العلماء والمؤرخين للبحث عن أسلوب يطيل عمر الاستعمار البريطانىفأشار العلماء بإقامة حاجز بشرى يفصل آسيا عن أفريقيا ويعزل مصر عن بقية الدول العربية شرق سيناء ، وكان هذا هو مشروع البريطانى بالمرستون أيام محمد على وحربه مع الدولة العثمانية . وكان الحاجز هو تجميع اليهود فى فلسطين وإقامة وطن قومى لهم فيها بحماية بريطانيا ورعايتها

وقد بعث اللورد اللنبي عام ١٩١٨ إلى لويد جورج رئيس الوزراء البريطانى بعد احتلال القدس يقول : أن بريطانيا تحكم الآن فى الشرق الأوسط ونحن لا نستطيع أن نكون أصدقاء للعرب واليهود فى وقت واحد ، وإنى أقترح منح الصداقة البريطانية لليهود وحدهم باعتبارهم الشعب الذى سيكون المخلص الموالى فى المستقبل وسوف يكون حجر الزاوية فى الشرق الأوسط وبناء على توصيات كامبل بترمان كانت بريطانيا مقتنعة تماماً بأن وجود دولة يهودية فى فلسطين يمكن أن يؤدى دوراً فى حماية المصالح البريطانية فى المنطقة العربية وطرق مواصلاتها إلى الهند . (٦) كشف وايزمان فى مذكراته اختلاف وجهات النظر بينه وبين هرتزل : وقال أنه كان يرى هرتزل رجلا ساذجاً « أما أنا فكنت اعتبر الحركة الصهيونية عملية ارتقاء حيوية يجب أن تنمو كما تنمو (الغرسة) علينا أن نراقبها ونعنى بها إلى أن تصل درجة النضوج ولم أكن أؤمن بأن الأمور يمكن أن تسير بسرعة . كان الصهيونى الروس يتمسكون بما قاله حكماء اليهود : [إن الذى لا يمكن للذكاء أن يفعله فإن الزمن (أى العمل والسعى) سيعمله [ولم يكن هرتزل من الشعب لذلك لم يدرك القوى الكامنة الموجودة فيه ، وبالفعل فشل هرتزل فى خطته المبنية على الأغنياء والطبقة العليا فقد كان هرتزل يعتمد على الأغنياء وأصحاب النفوذ وأصحاب البنوك والممولين اليهود وبنى آماله على الامبراطور و . . . ووزراء الخارجية ، أما نحن فلم يكن لنا إيمان أو ثقة بتلك الطبقات ، اعتمد هرتزل على المساعى الدبلوماسية لإعطاء فلسطين لليهود ، وحاول الحصول على اعتراف دولى بالفكرة (فكرة هجرة يهودية واسعة) ،ولم يتم شيء من نتيجة مساعى هرتزل الذى كان يحاول أن تستعيض عن أراضى فلسطين بأراضى يوغندا » الخ . وهكذا كشف وايزمان عن خطته التى تختلف عن خطة هرتزل والتى تقوم على الاتصال الوثيق بين الاستعمار واليهودية العالمية : محاولة «تسليم فلسطين لليهود بدون سكان » عن طريق الرشاوى والتحايل على القانون والدعايات المضللة والتهريب والمؤامرات السرية والعلنية وأفظع طرق التعذيب والوحشية وعمليات الإبادة بالجملة ويعتقد وايزمان أن الحركة الصهيونية فى حقيقتها وجوهرها نشأت فى روسيا وأن يهود روسيا يمثلون العمود الفقرى للكيان اليهودى فى فلسطين منذ قيام الحركة » . وقد تواتر عن الباعث الأعظم الذى حقق حلم الصهيونية فيما رواه لويد جورج رئيس الوزراء البريطانية الأسبق فى مذكراته عن الدور الذى قام به « وايزمان » فى خدمة بريطانيا أبان الحرب العظمى . يقول : إن مادة الأسيتون التى تستخدم فى صنع الذخائر الحربية كانت تستخرج من خشب الأشجار

وكان استخراجها بكميات كافية يحتاج إلى مقادير هائلة من الخشب وليس فى انجلترا غابات كثيرة تفي بهذه الحاجة ، فكانت تستورد بقية ما يلزمها من أمريكا ، ولكن الاسعار ارتفعت إلى درجة باهظة وصار المتعهدون الأمريكيون يبيعون الكمية الواحدة من الأستيون مرتين لفريقين ، ويطلبون الثمن مقدماً ، ولا ينجزون تعهداتهم أحياناً، ثم تبين أن كمية الكحول المستخرج من الخشب لصنع الأستيون لن تكفى مطالب الجيش المتزايدة سنة ١٩١٦ فتحرج الموقف وأخيراً أهتدى لويد جورج وكان يومئذ رئيس لجنة الذخائر إلى أستاذ بارع فى الكمياء وضع مواهبه تحت تصرف بريطانيا ، وإن كان قد ولد على شاطىء نهر الفستولا وهو الدكتور وايزمان الذى أصبح بعد ذلك مشهوراً ، وكان وايزمان مقتنعاً بأن أمل الصهيونية رهين بانتصار الحلفاء فاستطاع بعد بضعة أسابيع أن يستخرج المادة المطلوبة من عناصر أخرى غير الخشب مثل الحبوب على العموم والذرة على الخصوص وبذلك حل لبريطانيا أعوص مشكل عانته فى أثناء الحرب ورفض الدكتور وايزمان لنفسه كل جزاء وود لو تصنع بريطانيا شيئاً فى سبيل الوطن القومى اليهودى ، ولما تولى لويد جورج رئاسة الوزراء خاطب بلفور بأن بريطانيا تريد أن تجتذب إلى صفها اليهود فى الدول المجاورة وكانوا ميالين إلى ألمانيا لسخطهم على روسيا . وكان لذلك أثره على وعد بلفور» . كان الثمن هو وعد بلفور : إعطاء مالا يملك شيئاً لمن لا يستحق يقول أرنولد توينبي فى هذا : كيفما فسر وعد بلفور عام ١٩١٧ وكيفما كان معنى الوطن القومى لليهود والحقوق المدنية والدينية للجماعات غير اليهودية الموجودة فى فلسطين ، فإننا أخذنا على أنفسنا أن ننتزع شيئاً لم يكن لنا ثم نعطيه نعطيه للغير ، لقد وعدنا بحقوق من نوع ما فى بلاد العرب الفلسطينية ، لفريق ثالث ، لقد دعمنا وعد بلفور فى وثيقة فى نفس آلوقت رضينا أن يكون هذا الإنتداب من صنف (أ) وهو نوع الانتداب الذى يلزم القوة المنتدبة أن تعطى الاستقلال لسكان البلاد المنتدب عليها حالما يكونون ناضجين سياسياً لذلك الاستقلال ، وبما أن ٩٠ بالمئة من سكان فلسطين غربي الأردن ، فى ذلك التاريخ كانوا عرباً (وفى شرق الأردن نسبة العرب أعلى) فقد كان التعهد ضمناً أنه مهما كان معنى وعد بلفور فإن فلسطين لابد أن تصبح دولة مستقلة بأغلبية ساحقة عربية من السكان وكان لابد أن نجلو عن فلسطين كما حدث فى مصر ، ولكنا تركنا فلسطين فى ظروف جلبت على العرب نكبة قومية كانت أعظم من أشد ما كانوا يخافون ، إن مسئولية المأساة التى حاقت بالفلسطينيين العرب تتقاسمها وألمانيا والولايات المتحدة ، إن

هتلر وقع فى أيدى الصهيونية حينما جرد نفسه لإبادة اليهود فى أوربا فأصبح الصهيونيون قادرون على أن يوجهوا نحو فلسطين ضغطاً يهودياً عظيماً ليجدوا ملجأ هناك ففقدت بريطانيا سيطرتها على الحالة فى فلسطين وكان هذا الخطأ برمته خطأ بريطانيا نفسها » . (٧) إن أبرز معلم يكشف عن موقف الرأسمالية والشيوعية من الصهيونية يتمثل فى الاعتراف الفورى الخطير من أمريكا وروسيا بإسرائيل بمجرد إعلانها وبعد إعداد مؤامرة تمريرها من الأمم المتحدة المتحدة بمشروع التقسيم الذى لم ينفذ . لقد اعترفت الدولتان بإسرائيل وكشفت عن موقفهما من الصهيونية وما يزال هذا التأييد منهما قائماً ، لقد جاء الدور على أمريكا بعد أن قامت بريطانيا بالمرحلة الأولى تماماً. ولما تحول الموقف بعد الحرب العالمية الثانية نقلت الصهيونية نشاطها إلى أمريكا واعتصمت بنفوذها الخطير . ثم كان موقف روسيا الشيوعية فى دعم إسرائيل والتنسيق مع أمريكا من أجل حماية الصهيونية بما يمكن القول معه أن هناك تحالف واضح بين الديمقراطية الغربية والشيوعية الروسية والصهيونية التلمودية على تمزيق الدول الإسلامية واستدامة هذا الخطر ماثلاً فى قلبها وعلى مرمى القذيفة من الكعبة البيت الحرام فالإستعمار والشيوعية يريان فى الصهيونية خطة للسيطرة وفى إسرائيل قاعدة لإدامة السيطرة ولا يمنع هذا من القول بأن الصهيونية هى الجهاز التنفيذى لليهودية العالمية التى تسعى إلى تدمير العالم والتحكم فى مصائره . حيث لا يوجد سياسى واحد غربى أو شيوعى يعارض الصهيونية وأهدافها التى ترمى إلى تأسيس امبراطورية يهودية كبرى فى قلب البلاد العربية والعالم الإسلامى ، وما يراه السياسيون الاستعماريون هو ما تراه اليهودية العالمية من أن الاستيلاء على فلسطين يحقق قاعدة الانطلاق للإستعمار اليهودى حيث تصبح اليهودية التلمودية مرتكزة على الاستيطان فى قلب العالم الإسلامى بين القارات وعلى طريق المواصلات العالمية وبين مواقع الطاقة والخامات والأسواق العالمية . وبذلك يبدو مدى هذا الخطر الذى أقام هذا الإستعمار الاستيطانى بديلاً للإستعمار العسكرى ومتعاوناً معه فى السيطرة الإقتصادية واتخاذ الأيدلوجيات الفكرية والثقافية منطلقاً لدعم هذه السيطرة وتأكيدها . ولقد قامت الصهيونية بزرع إسرائيل فى قلب العالم الإسلامى بغير حق تملكه أو يملكه الاستعمار نفسه . يقول مؤلف كتاب « التحدى الصهيونى » : أنه عندما منحت بريطانيا اليهود وعد بلفور لم تكن تملك أى حق ذلك ولكنها منحته رغبة فى الحصول على معونة اليهود أثناء الحرب فى ميدانين : كجواسيس فى صفوف الأعداء وكقوة ضاغطة على الولايات المتحدة كى تدخل الحرب فى جانب بريطانيا وقد

تحقق لبريطانيا الهدفان . كانت بريطانيا تـأمل أن تقدم للدولة اليهودية مزيداً من الحماية لطريق بريطانيا إلى مستعمراتها عبر قناة السويس ولمصالحها فى الشرق العربى . وفى سنة ١٩٢٢ عهدت عصبة الأمم لانجلترا بالإنتداب على فلسطين ولـكنها أكدت على بريطانيا بـأن فـكرة إقامة دولة يهودية فيها يجب أن تستعيد تماماً كما فرض صك الانتداب على بريطانيا ، وعين « صمويل هور » أول مندوب سام لفلسطين ومنذ عام ١٩٣٩ نشطت الولايات المتحدة فى دعم الصهيونية العالمية بسبب ضغط الأوساط اليهودية البالغة فيها ، وكانت الولايات المتحدة ترى بدورها فى قيام دولة يهودية فى فلسطين قاعدة عسكرية لحماية نفوذها المكتسب فى المنطقة وقاعدة ضد الاتحاد السوفيتى ورأس جسر لتوسعها فى منطقة الشرق الأوسط . ويقول جون بيتى فى كتابه الستار الحديدى حول أمريكا سنة ١٩٥٠ إن الرؤساء الأمريكيين ومعاونيهم ينحنون أمام الصهيونية كما ينحنى المؤمن أمام قبر مقدس وقدبلغت الأقلية اليهودية فى الولايات المتحدة درجة من السلطان والطموح تجعل أمريكا مهددة بـأخطار متصلة وبحرب عالمية ثالثة » . ويرى الباحثون أن إسرائيل هى امتداد لأوربا فى قلب الوطن العربى وأنها بمثابة كلب الحراسة الذى يحمى مصالح الاستعمار وأنها ليست لها وجود حقيقى ، فهى تعمد فى تمويلها على المعونات الخارجية والأسلحة الخارجية ، ولم تستطع حتى الان وبعد أكثر من ثلاثين عاماً أن تعتمد على مواردها الخاصة وأنها تجمع بين كيان عنصرى قائم على فلسفة خاصة وبين إنها مشروع استيطانى أوربى يستمد وجوده من الاستعمار العالمى وهو امتداد له يعتمد على التوسع المتصل فى البلاد العربية ويستهدف بالمطامع السيطرة على البترول وعلى مقدرات الأمم الإسلامية والعربية وإنها محاطة بالدول العربية التى لنيقبل التعامل معها أو السماح لها بالبقاء أو النمو الطبيعى لأنها كيان غريب فى محيط لا يتقبلها ولا يعترف بها ولا يزال اعتماد الصهيونية على فـكرة الوعد الزائف الذى كتبه متعصبوا التوراة من مروجات التمويه السياسى . يقول (أوتو وأوبورج) : إن الحق التاريخى الذى يستند عليه إمتلاكنا لفلسطين قبل ألفى سنة لا مفعول له وحده فى حد ذاته بنظر الدول الكبرى بل يتوجب علينا إيجاد صيغة عصرية لذلك الحق كى تضاف إليه ، هذه الصيغة يقوم على أن تظهر إن لم يكن شرعياً أو حقوقياً فبحكم الواقع الفعلى بـأن فلسطين تخضع لنفوذنا الاقتصادى وإن جميع ما أحرزته البلاد من تقدم يرجع فى الأصل إلى مبادرتنا وقوة وسائلنا الاقتصادية وفعاليتها ولم يتم إلا بفضلها » . وجملة القول أن الحركة الصهيونية هى حركة تلمودية

يهودية طبيعية للسيطرة على العالم الإسلامى بوصفه مسلماً أولا وبوصفه ملتقى القارات وبه الطاقة والثروة وكل ما تريد يهودية الربا فى السيطرة عليه ، وإن الظروف السياسية التى وجدت والتى صنعت صنعاً قد واتت على تحقيق الهدف فى ظل ضعف العرب والمسلمين وسقوطهم تحت سلطان الاستعمار الغربى أكثر من قرنين من الزمان ، أما التفسير الماركسى والتفسير الغربى لها فذلك ما لا تؤكده وقائع الأحداث ولا الحلقات التاريخية للحركة التلمودية اليهودية وهدفها فى السيطرة على العالم وخطواتها فى أوربا الغربية وأوربا الشرقية من قبل وليست الصهيونية إلا الصيغة الحديثة والعصرية للمطامع اليهودية فى إقامة الدولة العالمية مستخدمة كل الوسائل والأساليب سواء منها الدينية والأسطورية أو العلمية والعصرية لتحقيق هدف التوسع والسيطرة والأدالة من الإسلام وأهله ولقد يبدو ذلك واضحاً فى الحديث عن إطلاق اسم «خيبر» على معركة عام ١٩٦٧ وما يتصل بالمحادثات التى جرت مع جلالة الملك عبد العزيز عن طريق روزفلت بشأن الأراضى القديمة التى أخرجهم منها المسلمون من الجزيرة العربية . وما يتصل بالإسلام والمسلمين والقرآن ، ولذلك فإن مخطط الأيدلوجية التلمودية كله يتركز فى الغزو الثقافى وإحلال يهودية تلمودية محل المفاهيم القرآنية والإسلامية .

ثالثاً

المخططات اليهودية الهدامة

فى مواجهة الأديان والحضارة والتاريخ

لما كان هدف التلمودية الصهيونية هى السيطرة العالمية عن طريق إمتلاك مقدرات الشعوب والأمم فقد كان الربا هو مدخلها الأول ، وكان هدم القيم الدينية والأخلاقية هو الأسلوب الوحيد للسيطرة عن طريق تدمير معنويات الإنسان وسلب إرادته وإعلاء غرائزه وشهواته ومطامعه حتى يكون عاملا أساسياً فى مخطط الهدم : ولقد سار هذا المخطط فى محاور ثلاث : أولا : هدم الأديان لإعلاء اليهودية التلمودية . ثانياً : تزييف التاريخ للإدعاء بوعد فى فلسطين . ثالثاً : تدمير الإنسان عن طريق الأخلاق (فرويد) والمال (ماركس) والأسرة (دوركايم) . . رابعاً : فرض المادية على الفكر البشرى . وقد لعبت اليهودية دور التاجر والمرابى والوسيط والخمار والقواد على مدى التاريخ وتلك هى مهمتهم الأساسية التى جردوا

أنفسهم لها فى سبيل السيطرة على الذهب والتعامل الاقتصادى ، وذلك مطمحهم الأكبر وتكاد تكون مخططاتهم ومشروعاتهم كلها موجهة لخدمة هذا الهدف . لما كان [الربا] هو المدخل الطبيعى لهذا المخطط كله فقد كان التركيز شديداً على فتح الباب أمام إغراء الربا بالاستدانة والإسراف وكان لابد من تبرير هذه المقاهيم وإغراء الأمم والشعوب بها حتى تندفع إليها وقد استطاعت اليهودية التلمودية فعلا محاصرة المجتمع الغربى والسيطرة عليه ونقله من مفاهيم المسيحية التى تحرم الربا والحرب والفساد إلى الإندفاع شوطاً بعيداً فى السيطرة الاستعمارية والإبادة وقتل الأبرياء والسيطرة على مقدرات الأمم على ذلك النحو الذى عرفه تاريخ العلاقات بين الغرب وعالم الإسلام فى القرنين الماضيين . وكانت التلمودية هى التى أفسدت تفسيرات الدين والفكر « وهودت » الحضارة الغربية من حيث الحروب والاستعمار والربا وكان هذا هو عمل التلمودية الدائب فى نشر مفاهيمها وأيدلوجيتها وبثها فى الفكر والمجتمع وتحويلها إلى مذاهب وأيدلوجيات والسيطرة برجالها ودعاتها وأتباعها على قيادات الأمم . وقد كشفت كتابات التلمودية والصهيونية منذ وقت باكر أن « الأيدلوجية الصهيونية » تخطط لامبراطورية تتولى إسرائيل فيها مركز الثقل ، وذلك سعى إسرائيل إلى السيطرة على الشرق العربى وقد سار المخطط طويلاً حتى حقق قيام إسرائيل فى قلب العالم الإسلامى ملتمساً تفكيك هذه القوة إلى كيانات إقليمية أو قومية حيث تلتقى الصهيونية مع الاستعمار والشيوعية فى غرض موحد ولقد كان واضحاً للمسلمين هدف الصهيونية من زرع إسرائيل فى قلب العالم الإسلامى وهو تدمير الحضارة الإسلامية جرياً وراء هدف معروف صوره بون جوريون حين قال : لقد قاومت اليهودية الحضارة اليونانية ، والأمبراطورية الرومانية والمسيحية أخيراً الإسلام . « لقد صنع اليهود نهجاً خاصاً هم سادته ورسموا منهجهم الدينى على أساسه ثم جعلوه منهجاً عالمياً وحاولوا أن يدخلوا فيه المسيحية وأهلها كما وحالوا ذلك بالنسبة للمسلمين أيضاً . وقد جمع هذا النهج كل ما حمله الفكر البشرى من وثنية والحاد وتعدد واحتقار للاخلاق وأنكار للبعث والجزاء والحساب لكى يشيدوا منهج عبادة المال والتكالب على الحياة وإقرار الربا وجعله نظاماً مشروعاً للعالم كله وبذلك سيطر اليهود على الفكر البشرى كله وكان لهم دورهم فى تحريف الأديان . وبنزول القرآن بالإسلام عرفت الإنسانية أن هناك منهجين منفصلين : منهج القرآن الذى تبناه الإسلام والمنهج البشرى الذى احتضنته التلمودية اليهودية الصهيونية وعملت فى سبيله عن طريق المنظمات المختلفة : الماسونية والصهيونية وغيرها . ولا ريب أن الأيدلوجية التلمودية هى فكرة وفلسفة ومنهج

حياة معارض تمام المعارضة للفكر الربانى ولمنهج الإسلام . إن الفكر اليهودى التلمودى كله قد صيغ فى أسلوب نظريات ذات طابع علمى خادع براق وطرح فى أفق الفكر البشرى كله فى محاولة لإحتوائه والسيطرة عليه وجندت له قوى كبيرة فى الصحافة والجامعات ودوائر المعارف ، وكان علينا نحن المسلمين أن نواجه هذا الفكر . نظراً لفقدان الحصانة المانعة من الإحتواء فى مجال المدرسة والصحافة والثقافة ونظراً لما تعجز عنه مناهج التربية والتعليم فى أغلب أنحاء العالم فقد استطاعت هذه المفاهيم أن تجد مجالاً للتنقل لإتصالها بأهواء النفس ولتبريرها مداخل الرغبات والغرائز .

أولا : هدم الأديان

منذ أن حرفت يهود توراتهم فى أبان سبى بابل فقد كان لهم مو قفهم من الأديان المنزلة جميعاً وخاصة المسيحية والإسلام . بل إن موقفهم من المسيحية قديم قدم نزول رسالة السيد المسيح نفسه فقد كان اليهود ينتظرون مسيحاً يعيد لهم مملكة داود وسليمان ، وكذلك كان موقفهم من النبى محمد ﷺ الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل فقد كانوا يظنون أنه من نسل إسرائيل وكانوا يستفتحون به قبل بعثه على خصومهم فلما عرفوا أنه من نسل اسماعيل حرفوا صفته فى التوراة وكذبوه وتألبوا عليه كما تألبوا من قبل على عيسى عليه السلام ، وما زالت دعواهم أن دينهم هو الدين الوحيد وهم لذلك يعملون على تحريف المسيحية وتحريف الإسلام . وما موقفهم من الإسلام والقرآن ومحاولة إلتقاط أشياء وكلمات من القرآن وردها إلى اليهودية هو من قبل معارضة الدينيين الكبيرين اللذين جاءا بعد الرسالة التى أنزلت على موسى عليه السلام . وتحريف التوراة ثابت وأكيد اعترف به عشرات من الباحثين الغربيين وقد استهدف إنكار ما أنزل على عيسى ومحمد عليهما السلام كما استهدف تحويل الرسالة السماوية التى أنزلت على بنى إسرائيل إلى عنصرية تفرض لهم وجوداً خاصاً متميزاً عن العالمين ، كما ترمى إلى تحريف وعد الله لإبراهيم عليه السلام وذريته فى أبنائه اسماعيل واسحق إلى وعد خاص لبنى إسرائيل وحدهم . ومن هذا المنطلق كانت حملتهم على الدين بعامة فهم الذين حملوا لواء محاربة الأديان وتصويرها بأن البشرية لم تعد فى حاجة إليها وأنها كانت مرحلة فى تاريخ البشرية انتهت . واليهود هم الذين يوجهون إلى الأديان أقسى الاتهامات وينسبون إليها الحروب والمصادمات بين الشعوب ، وهم الذين

حملوا لواء الدعوة إلى القوميات والعنصرية والدماء والاعراق ليحطموا وحدة الفكر القائمة على أساس الدين وقد حمل اليهود لواء الفكر البشرى الزائف كله والمعارض للدين الحق وللأخلاق فهم دعاة السحر والتنجيم والأساطير والخرافات وهم المنكرون للبعث والنشور . وقد أشار سير جيمس فريزز فى كتابه عن الخرافة : إن أهم القصص التى يتخذ منها الإسرائيليون عقيدة يستترون وراءها قد جاءتهم من أوهام الإنسان البدائى الذى تمثله القبائل السائبة على وجهها فى مجاهل أفريقيا وآسيا وغيرهما من القارات وأن أساطير التوراة هى صورة دارجة من أساطير الشعوب البدائية التى كانت ترتاع أمام الطبعة وتتوهم القصص وتحكى النوادر وتكرر فى أساطيرها ما كان معروفاً فى أماكن مختلفة من العالم القديم السابق على لتوراة » وقد شهد كثيرون بأن العقيدة التى يتستر وراءها اليهود هى شريعة الغاب التى تقوم على تدمير المدن والقرى وحرق المساكن وقتل الأطفال والشيوخ وأنهم يبيحون الربا للنسبة للجوييم (أى غير اليهود) وهم الذين جعلوه شريعة الاقتصاد الحديث وحملوا لواءه على طول القرون . وقد أكدت عشرات المصادر أن الربا كان صناعة اليهود منذ انحرفوا عن رسالة موسى ، وأنهم قد أشربوا العجل الذهبي ، وهم يرون أنه لا جناح عليهم فى امتصاص دماء الأُميين من غير اليهود (ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأُميين سبيل) وقد أقاموا الرأسمالية الغربية على أساس الربا كما أقاموا علماء الاقتصاد الحديث على أساس الربا والذى يمتد أضعافاً مضاعفة ، وليس لدى اليهود كتب تعود لعهد موسى ، وكل ما لديهم الان يعود لعصر (عزرا) وما بعده وبين هذا وبين موسى أحد عشر قرناً ، ومفهومهم الإله يختلف عن مفهوم الدين الحق فهم يرون الإله خاصاً بهم وحدهم وأن لهم إلهاً خاصاً هو إله الحرب أو إله الجنود وهو الإله الذى يدعون أنه أباح لهم كل شيء وكل أرض وكل الناس وجعلهم شعباً مختاراً هو سيد الشعوب وكل الشعوب عبيد له ، وقد زيف القرآن هذا المفهوم الذى قامت عليه التلمودية الصهيونية . يؤكد كثيراً من الباحثين أن اليهودية التى كونها اليهود تحريفاً عن الديانة الماسونية هى مزيج من وثنية قديمة ومن فكر بابلى ومن فلسفة يونانية ، خليط مضطرب من العقائد . وقد بدأ هذا التحريف بعد موسى ثم جاء أنبياء بنى إسرائيل جيلاً بعد جيل جاهدين تخليص الدين الماسوى المنزل من الدخل وإرجاعه سيرته الأُولى غير أنهم عجزوا وكان آخر أنبياء بنى إسرائيل المسيح عيسى بن مريم الذى حاربه اليهود حرباً عواناً وألبوا عليه ودبروا مؤامرة لقتله لولا أن رفعه الله عليه وقتل شبيهه وتؤكد

الدراسات أن السامريين خلطوا تعاليم التوراة بأفكار وثنية جاءوا بها من البلاد التى سباهم الملوك الأعداء إليها وأشد ما تأثرت به اليهود تأثرها بالتفكير البابلى القديم . وأبرز ما أخذت الديانة اليهودية من الوثنية : عقيدة التشبيه : قولها بمشابهة الإله للإنسان . وعقيدة الجبر التى تقول بأن الإنسان ليس له اختيار مطلق فهو مجبور، وعقيدة الدهرية وهى تقوم على إنكار البعث والحساب والجزاء وعقيدة الرجعة وقد انتقلت هذه الشبهات إلى الفكر الإسلامى فى فترات مختلفة واعتنقها بعض النحل والمذاهب . وهكذا نجد أن مفهوم اليهودية الماثل الآن مخالف تمام المخالفة للمقررات رسمها الدين الموسوى الموحى به من عند الله ، وخاصة فى أمر : (١) الإله الخاص باليهود . (٢) الشعب المختار المتميز الذى وعد بالسيطرة العالمية على الأمميين . (٣) إنكار البعث والجزاء والحساب والجنة والنار . وهذه هى أبرز مفاهيم اليهودية بعد تحريفها . وقد سجل اللورد ما كولى موقف اليهود من الأديان فقال : لطالما أذن فينا التاريخ ببيان ما أدخل اليهود قديماً فى دينهم من البدع مستمسكين بما أملاه عليهم خيالهم الفاسد من ضرورة أن يكون لهم إله محسوس ملموس يقصدونه بالعبادة والإجلال وقد أخذ الفكر اليهودى ، من أساطير بابل وأساطير الجزيرة العربية والقصص الشعبى فى مصر والهند والفرس واليونان والفكر المصرى القديم وقد أخذوا عقيدة المخلص المنتظر فى الديانة الفارسية . وتدور فلسفة العقيدة اليهودية التى استحدثها اليهود حول الامتياز الخاص الذى يمكنهم من السيطرة على كل مقدرات العالم : هم يهود شعب الله المختار والعالم كله (جوييم أو أمميون) هم السادة الممتازون يحل لهم الربا وكل ما يملكون من حقهم أخذه ولا بأس بالغدر والوقيعة إذا كانت هى طريق النجاح وقد دعا دزرائيلى الانجليز أن يتخذوها قاعدة ذهبية لسياستهم مع الشعوب ولا سيما فى المستعمرات . ومن أجل السيطرة يكون استحلال الربا والتحريض عليه بإشاعة الفسق والفجور وإنكار البعث الذى من شأنه أن يشكل فى الناس مفهوم الخوف من حساب الله . ومفهومهم فى إنكار البعث يقوم على اعتبار أن الحياة الدنيا كل شىء وأن السعى لها هو وحده وأن كل ثواب وعقاب هو فى الدنيا العمل فعلى الإنسان أن يسارع إلى التقاط كل لذة . وأن الجنة على الأرض . وقال دكتور هربرت لوى اليهودى : مجال اليهودية ليس فيما وراء هذا العالم . أى عالم الروح أى العالم الآتى : وهذا هو الفارق بينها وبين المسيحية التى تجعل من العالم الآخر وما وراء هذا العالم مجالها . ويرى اليهود أن المسيحيين داخلون فى زمرة الجوييم بل هم المستهدفون بكل صنوف الحقد والاضغان ، يقول

جون كوبج سكوت ليس هناك إلا مخرج من مظلم هذا التناحر الحار البارد ، الظاهر والخفى بين الصهيونية والمسيحية ، هذا المخرج سوف يتقرر فى ليل طويل مظلم ملىء باليأس والقنوط .

(٢) وقد كان اليهود أداة تخريب للأديان ، دخل شاءول المسيحية وأحدثا بها أحداثا خطيرة فنقلها من ديانة خاصة ببنى إسرائيل إلى ديانة عالمية ، ونقلها من التوحيد إلى التثليث وقال بألوهية المسيح واخترع قصة الفداء للتكفير عن خطيئة البشر . وقد وصف بأنه استهدف غاية اليهود فى الدخول إلى المسيحية ليحاربها من الداخل بسلاح الهدم والتدمير متعاوناً فى ذلك مع أبناء دين اليهود فى سبيل القضاء عليها . ونى الاسلام دخلت جماعة فى مقدمتهم عبدالله بن سبأ استهدفوا التقاط أخبار المسلمين والتعرف إلى خططهم ،وإثارة الإسرائيليات والشبهات والشكوك لاضعاف إيمان المسلمين وثقتهم بالإسلام وخلق روح الجدل وقد نبه الإسلام إلى هذا : [ود كثير من أهل الكتاب لو يردوكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم] . وهذا هو الخط التى سارت عليه التلمودية منذ قديم وما زالت تسير عليه ، ومن دعوات الهدم التى حملها اليهود دعوة عبدالله بن ميمون بن ديصان وولده وكانا يعملان فى بث مبادئهما السرية فى الإلحاد والهدم والباطنية بتحريض وتعضيد من الدعاة اليهود (راجع الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج ٢ ص ٩) . وقد أشار مؤلف كتاب اليهودوالجمعيات السرية إلى أنه لما هاجر اليهود من فلسطين إلى أوربا حملوا معهم بذور الدهاء للعمل فى الخفاء ويقرر علماء الغرب أن حركات الهدم التى اجتاحت أوربا واشتعلت بها مدى قرون ثلاثة لم تكن سوى أثر للجهود السرية التى يقال أن اليهود يبذلونها منذ ظهور النصرانية والإسلام فى سبيل هدمهما انتقاماً لدينهم . وقد أشار الكثيرون إلى قصة يهوذا الأسخريوطى الذى كان من بين حوارى السيد المسيح وعمل جاسوساً لليهود وساومهم على تسليمه نظير ثلاثين من الفضة وقصة عبدالله بن سبا ليست فى حاجة إلى مزيد فقدكان يهودياً أدعى الإسلام وانتهز فرصة ما وجه لسياسة عثمان من النقد فى بعض التصرفات فأشعل الفتنة وأنزل بالعالم الإسلامى ناراً ظلت متأججة مئات السنين .فهو الذى طرح فى أفق الفكر الإسلامى مذاهب الرجعة والوصية ووضع أحاديث يدعم بها رأيه كما أشاع نظرية الحق الإلهى . ويعتقد بعض الباحثين أن عدداً من الكرادلة فى الفاتيكان ينحدر من أصل يهودى تدفعهم الأغراض اليهودية إلى تحقيق أهداف الصهيونية وإليهم يرجع عددمن القرارات الحاسمة فى مقدمتها قرار تبرئة اليهود من محاولة قتل المسيح . والنسىء من دسائس اليهود الذى تتغير به الأشهر الحرم

بأشهر غيرها فيكون فى كل أربع وعشرين سنة تسعة أشهر توقيفاً لأشهر القمر بسنوات الشمس وكان يتولى ذلك النسيء من كنانة المعروفين بالقلامس وأخرهم أبو ثمامة جناده بن عوف بن معاوية بن قلع الكنانى وأول من بدأ هذه البدعة فيهم ابن فقيم بن عدى بن عامر أخذه عن اليهود قبل الإسلام بقريب من مائتى سنة فأعاد الإسلام هذه السنة إلى ما كانت عليه قبل التأثير اليهودى . ويشير الباحثون إلى أن محاولة اليهود لإحتواء الإسلام بدأت منذ وقت باكر بادعاء بعض اليهود اعتناق الإسلام ومحاولتهم إحداث الفتن بين المسلمين وإفساد عقيدتهم ، ومن أول ذلك : وضع الأحاديث وكان لعبد الله بن سبا دوره فى هذا وفى الفتنة على عهد عثمان فقد وضع تعاليمه لهدم الإسلام وألف جمعية سرية لبث تعاليمه. ومن أعماله تألب أهل مصر على عثمان وفى الفكر الباطنى والمذاهب الضالة المتسترة باليشيع من هذه المفاهيم الكثير . وقد جرى إتصال الخبر بأن (الاعتزال) كان له صلة باليهود ثم كانت الدونمة فى تركيا والعمل على هدم الخلافة الإسلامية وزعيمهم شبتاى الذى أدعى عام ١٦٤٨ أنه المسيح الذى ينتظره اليهود وقد اتجه الدونمة إلى تحطيم الخلافة العثمانية فى تركيا بعد فشلهم فى حمل السلطان عبد الحميد على موالاة هدفهم . وقد كان أحد الثلاثة الذين أبلغوا السلطان عبد الحميد عزله النائب اليهودى (قرة صو) نائب سلانيك وهو نفس النائب الذى أوفده اليهود لمقابلة السلطان . وكان اليهود الدونمة هم الداعون إلى الدعوة الطورانية فى تركيا للتخلص من الإسلام واللغة العربية وفصم عرى الروابط بين الترك والعرب

(٢) تزييف التاريخ

من أجل أن تحقق التلمودية الصهيونية هدفها كان عليها أن تزيف التاريخ من جهات كثيرة : أولا : دعواها بإنكار حق آل ابراهيم من الوعد الإلهى وقصره على بنى إسرائيل . وإنكار رحلة ابراهيم وإسماعيل إلى الحجاز وبناء الكعبة . ثانياً : تزييف دور الابراهيمية الحنيفية فى الأرض العربية الممتدة من العراق إلى مصر وإلى أفريقيا ونسبة هذا الدور إلى جد أعلى هو سام وذلك ما أطلق عليه الجنس السامى واللغة السامية وغير ذلك . ثالثاً : تزييف تاريخ السلطان عبد الحميد ووصفه بالسلطان الأحمر والحاكم المستبد وتأليب القوى المختلفة عليه .

(٢) أعادت اليهودية كتابة التوراة فى منفى بابل وحرفت حقائق التاريخ :

١ ـ لم تذكر ذهاب إبراهيم إلى الحجاز وصمتت صمتاً شديداً عن كل ما يتصل بعلاقة إبراهيم واسماعيل بالجزيرة العربية ومكة وبناء الكعبة . والهدف الذى هدف إليه كهان اليهود أن يخرجوا أبناء اسماعيل من حقوق الوعد الذى تلقاه إبراهيم من ربه وقصره على بنى إسرائيل دون بنى اسماعيل ومن هنا كانت دعواهم بالقول بأنهم شعب الله المختار وكان اليهود ينفسون على العرب إن صار لهم بيت محرم منذ أيام إبراهيم بينما لم يصبح لهم هيكل فى بيت المقدس إلا فى أيام سليمان بن داود ولم يقف أمر اليهود عند حرمان أبناء إسماعيل من حقوق الوعد الذى تلقاه إبراهيم من ربه فادعوا أن الذبيح هو إسحق وليس اسماعيل مع أن التقاليد كانت تقضى بتقديم الإبن البكر قرباناً لله . وقد كشف القرآن عن هذه الحقيقة وربط بين إبراهيم عليه السلام وبين محمد صلى الله عليه وسلم على أساس أن إبراهيم هو صاحب الإمامة الكبرى فى الدين ومنه تفرغت الاديان السماوية الثلاث المنزلة : الدين الذى أنزل على موسى والدين الذى أنزل على عيسى والدين الذى أنزل على محمد . ويرجع التاريخ عهد إبراهيم إلى عام ١٧٠٠ قبل الميلاد وقد هاجر إبراهيم بإبنه اسماعيل وزوجته هاجر إذعاناً لأمر الله واستجابة له إلى جزيرة العرب حيث ترك اسماعيل وهاجر فى مكة وكان البيت مرتفعاً من الأرض تأتيه السيول ثم عاد بعد أن كبر ابنه اسماعيل وأقاما معاً القواعد من البيت وكان اسماعيل قد شب وأصهر إلى جرهم وقد انتشر أبناء اسماعيل الإثنى عشر فى المنطقة الممتددة ما بين الشام ومصر وأعلنت ألواح الطين التى كتبت بالخط المسمارى والتى وجدت فى أطلال بابل ونينوى وبلاد ما بين النهرين أن بنى اسماعيل كانوا حقيقة واقعة وقد صار أبناؤه الإثنى عشر قبائل قوية تناوىء بابل وأشور ومصر والأغريق والرومان. كذلك زيف اليهود دور « الحنيفية الإبراهيمية » كله من إبراهيم إلى محمد ووقفوا موقفاً مضللاً من الهجرات المتوالية التى امتدت منذ ١٧٥٠ قبل الميلاد إلى ظهور الإسلام ٦٥٠ ميلادية (أى خلال قرنين ونصف قرن تقريباً) وهى الهجرات التى أنشأت حضارات بابل والعموريين والكنعانين وسينا فقد نسبوا ذلك كله إلى جد أعلى حتى لايثبت الفضل لأهله العرب ، والمعروف أن الهجرات التى تمت منذ جاء إبراهيم واسماعيل إلى الحجاز قد قذفت بموجات متوالية من العرب أهل الجزيرة إلى مختلف أجزاء المنطقة العربية الممتدة ما بين النهرين إلى الشام إلى مصر إلى المغرب وأن هذه الموجات العربية هى التى وسدت للإسلام الهجرة الكبرى وهى التى استقبلت الفتوح

الإسلامية وقد كانت حضارات هذه الأمم الصادرة من الجزيرة العربية عربية ، وقد اكتشفت هذه الحضارات وأثبتت الأحافيز والكشوف الأثرية أنها عربية خالصة ولكن اليهود التلموديون فى سبيل الغض من قدر العرب والإسلام قد نسبوها إلى جد ليس هناك مصدر لإثباته إلا التوراة التى أشارت إلى (سام وحام ويافث) نسبوها إلى سام حتى يطمسوا أمجاد الحنيفية الإبراهيمية الممتدة من إبراهيم إلى محمد والتى حرفها اليهود حين حولوا دين موسى إلى عنصرية شعب الله المختار ، وقد أطلق العالم الألمانى الذى كان على ولاء للصهيونية الحديثة (سلويتشر) اسم السامية على هذه النهضة كلها حتى لا تنسب إلى إبراهيم واسماعيل أو إلى الحنيفية الإبراهيمية . والمعروف أن الإسلام كان ختام الرسالات وأنه ارتبط بالحنيفية السمحاء التى دعا إليها إبراهيم فكان مجدداً لها ومكملاً : (وأوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا) وكان بذلك مصححاً للرسالات التى انحرفت عن طريقها ، فكان القرآن مصدقاً لما بين يديه من كتب ورسالات ومهمينا عليه ، وكان ناسخاً لكل الأديان : (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) وقد أشار القرآن إلى أبوة إبراهيم للعرب (ما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا) كما أشار القرآن إلى أبوة إبراهيم للأنبياء الذين جاءوا من بعده (ووهبنا له اسحق ويعقوب وكلا هدينا ونوحاً هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحي وعيسى وإلياس كل من الصالحين ، واسماعيل وإليشع ويونس ولوطاً وكلا فضلنا على العالمين) . ويتبين من هذا النص القرآنى أن إبراهيم هو جد اليهود والنصارى والمسلمين . ويؤكد الباحثون أن دين موسى ودين عيسى لم يستطع القائمون عليه أن يواصلوا رسالته على النحو الذى أراده الله تبارك وتعالى فالعبرانيون جعلوا من انفسهم طائفة قائمة بذاتها متميزة وأعلوا شأن العصبية والعنصرية بإدعاء أنهم شعب الله المختار . أما المسيحية فإنها مالت إلى الانحصار فى الذات فجاء الإسلام ليحقق رسالة التوحيد الحق لله تبارك وتعالى ، وهكذا بدأت الرسالة الحنيفية بالعرب وانتهت بهم ، وإن كانت قد انحرفت فى منتصف الطريق فإن الإسلام أعادها مرة أخرى إلى الجادة « كنتم خير أمة أخرجت للناس » . « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً » . يقول الدكتور الفاروقى : أن القول بوحدانية القيم هو نفسه القول بوحدانية الله ، وهو أمر تفرد به العرب دون سواهم ، وهو مدرك عربى صحيح طرأ على الوعى العربى مصطحباً جانبه الأخلاق ولب هذه الرسالة أن

الله موجود وأنه واحد ، أما وجوده فمعناه عنـد العقل العربى وجود القيم وجوداً مستقلاً عن الإنسان ووجوده ، أعنى أنها ليست من صنع الإنسان يصنعها كما تقتضى ظروف عيشة . ومعناه كذلك أن حياته على هذه الأرض لم تـكن عبثاً أما كون الله واحد فمعناه أن القيم تحمل «معياراً واحداً» لا يتـأثر باختلاف الزمان والمكان فالمعيار واحد لـكل إنسان انى كان وحيثا كان فليس لـكل مجموعة من الناس معيارها الخلق ومعيارها الذى يعيش به الحق ، بل الخير بالنسبة لكل البشر والحق حق بالنسبة للناس أجمعين فالقول بوجود الله وبوحدانيته إذن هو فى صميم الاعتراف بموضوعية القيم وتخليصها من قيود « النسبية » التى تقر اختلاف المعايير باختلاف الظروف . فالإنسان أمام الله هو الإنسان ، لا اختلاف بين فرد وفرد إذا ما قيس الافراد بمقياس الاخلاق الذى هو مقياس القيم » . وهنا نجد الامر واضحاً تماماً فى تزييف اليهودية التلمودية لمفهوم التوحيد ولمفهوم ثبات الاخلاق ولمفهوم استقلال القيم ونجد أن الفلسفة التلمودية المطروحة الآن فى العالم العربى كله ترمى إلى نسبية الاخلاق وتدعى أن القيم ليس لها معياراً واحداً وأنها مختلفة باختلاف الزمان والمكان.(٣) أما تزييف تاريخ السلطان عبد الحميد فقد كان من أكبر أهداف الصهيونية : ذلك لان هذا الرجل هو الذى حمل لواء الجامعة الإسلامية التى تجمع المسلمين تحت لواء واحد فى مواجهة الزحف الاستعمارى وإلى خارج نطاق الدولة العثمانية فقـد كانت هذه الصيحة من أخطر ما واجه الاستعمار والصهيونية الزاحفة التى كانت تطمع فى السيطرة على فلسطين وقد وقف منها موقفاً حاسما كريماً مشرفاً وكان يعلم أبعاد الدور الخطير الذى تقوم به الدونمة اليهود المتمسلمين فى سالونيك) لحساب الصهيونية العالمية ويعرف مدى ما تدبر مخططات الماسونية واحتوائها لجماعة الاتحاد والترقى . ولقد كان لموقفه مع هرتزل الذى عرض عليه عرضاً سخياً قوامه خمسون مليوناً من الجنيهات لخزانة الدولة وإقامة مشروعات تجارية لإنعاش الاقتصاد العثمانى وغير ذلك فى مقابل السماح لليهود فى الإقامة فى فلسطين وكيف كان رده حاسما فى مواجهة ذلك كله ، وكان مما قاله السلطان : (لا أقدر أن أبيع ولو قدماً واحداً من البلاد لانها ليست لى بل لشعبى ولقد حصل شعبى على هذه الإمبراطورية بإراقة الدماء وقد غذوها بعـد بدمائهم وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن يسمح لاحد باغتصابها منا . الإمبراطورية التركية ليست لى وإنما للشعب ، لا أستطيع أبـداً أن أعطى أحـد أى جزء منها . ليحتفظ اليهود بملايينهم فإذا ما قسمت الإمبراطورية فقد يحصل اليهود

على فلسطين بدون مقابل . إننا لن نقسم إلا جثثنا ولن أقبل بتشريح أجسادنا لاى غرض كان) . فكان على اليهود العمل على إسقاط الخليفة وتدمير الخلافة وتحطيم الدولة العثمانية من أجل تحقيق مطلبهم ثم كانت تلك الحملة الضارية على السلطان عبد الحميد الذى عرفتها كتب التاريخ الحديث واتهامه بالمتسلط والتعصب والعنف فى سبيل تبرير إسقاطه على النحو الذى حدث بالنسبة له

(٣) تدمير الانسان

استهدفت التلمودية الصهيونية الأخلاق وهى التى نشرت فى الفكر البشرى فكرة الانتهازية ودعت إلى التنكر للأخلاق الفاضلة وقالت أنها خير وسيلة للنجاح السياسى وأن السياسة لا تتفق مع الأخلاق ودعت القادة إلى اللجؤ إلى الحيلة والنفاق فى السياسة . وأعلنت إزدراها للأمانة والصدق وعمدت إلىاستغلال الضعف الإنسانى فى إخضاع الناس لمبادئها الهدامة واستغلال مواطن الضعف فى الإنسان أمام إغراء المال والجنس واللذات ودعت إلى عدم التورع فى نشر الأفكار الهدامة المنافية للأخلاق لأنها الوسيلة إلى السيطرة على الناس وإذلالهم ونادت بالحرص على استخدام الإذلاء لكى تظل قبضتها ممسكة عليهم فى كل وقت وعمدت إلى نشر الأفكار غير الأخلاقية القائمة على الغش والخداع والغدر ودعت فى كل ما نسب إليها من مصادر (التوراة والتلمود والبروتوكولات) إلى إفساد أخلاق المجتمعات بغية خلق أوضاع اجتماعية تدفع أعداءها للوقوع فى براثنها . كما عمدت إلى نشر حب المال حباً جنونياً حتى يسهل عليها شراء الذمم بالذهب والمال الوفير .

(٢) نادت التلمودية الصهيونية بالقضاء على حكم الأسرة والقضاء على روابط الولاء بين أفراد الأسرة الواحدة ، والتضحية بالأفراد من أجل السلطة كما دعت إلى الاستبداد والخداع والتضليل وتشكيك العقول واستخدام التعليم والثقافة والصحافة فى تنشئة أجيال جديدة لا تؤمن بالفضائل والمثل الأخلاقية العليا . ودعت إلى نشر الإلحاد باعتباره الوسيلة التى تؤدى للقضاء على الأديان الأخرى ، والمناداة باستخدام حرية العقيدة فى سبيل القضاء على العقائد غير اليهودية والعمل على انتقاص رجال الدين والحط من قدرالقيم فى نظر الشعوب

وقد حملت مخططات التلمودية الصهيونية لواء دعوات : وحدة الوجود وأساطير الأولين والثيوصوفية والبهائية والروحية الحديثة . ودعت إلى تعرية البطولة التاريخية للأمم وتجريدها

من عظمتها وتتبع العورات الصغيرة والنقائض لهدم إعجاب الأمم بأبطالها ، كما دعت إلى هدم ثبات الدين وثبات الأخلاق وثبات الأسرة وسيطرة التلمودية الصهيونية على صناعة السينما فى هوليود وفى العالم كله ووجهتها نحو تثبيت مفاهيم معينة أبرزها الجريمة والجنس والعنصرية وهدم الأسرة وتحقير الآباء . وكذلك كانت سيطرتهم على المسرح والقصة فى دعوة صارخة إلى الانحلال الخلقى والإجرام المعقد من وراء ستار وقد اتخذوا من الصحافة أداتهم الأساسية وفق خطتهم التى أعلنوها والتى تقول : « علينا أن نشجع الانحلال فى المجتمعات غير اليهودية فيعم الفساد والكفر وتضعف الروابط المتينة التى تعتبر أهم مقومات الشعوب فيسهل علينا السيطرة عليها وتوجيهها كما تريد » . والهدف هو تدمير المجتمع البشرى قبل السيطرة عليه وأهم تركيزهم موجه إلى الشباب والأجيال الجديدة بل لقد أمتد فى السنوات الأخيرة إلى الطفولة بتقديم برامج مسموعة تهدم نفسية الشباب وعقليته وتدميرهم تدميراً خطيراً وقد كشفوا عن خطتهم حين قالوا : لقد خدعنا الجيل الناشىء وجعلناه فاسداً منتفعاً بما علمناه لهم من مبادىء ونظريات ، يجب أن نحطم كل عنان الإيمان وتكون النتيجة المؤكدة لهذا هى أن يكتسح الإلحاد والانحلال كل الأديان والعقائد الأخرى ، واليوم تسود حرية العقيدة فى كل مكان ولن يطول الوقت إلا سنوات قليلة حتى تنهار المسيحية انهياراً تاماً . (البروتوكولات) . وعن طريق سيطرة اليهود على الصحافة ودور النشر ، وعلى البنوك والشركات وتسلطهم على اقتصاديات الدول الكبرى كانت لهم مقدرتهم الفائقة على السيطرة على مذاهب العلم والفلسفة والفن والمسرح والسينما والمدرسة ونظم التعليم . يقول جوزيف وست : تصادف فى كل التعبيرات الفكرية الكبرى تقريباً عملاً يهودياً سواء كان ظاهراً واضحاً أو خفياً سرياً وعلى هذا فإن التاريخ اليهودى يمتد بامتداد التاريخ العالمى بجميع مجالاته حيث تغلغل فيه بآلاف الدسائس . وفى عديد من مواقع بروتوكولات صهيون يؤيدها زعماء الفكر الصهيونى تؤيد ذلك التركيز الشديد على تدمير الإنسان : « إن الغاية تبرر الواسطة وعلينا — نحن نضع خطتنا — ألا نلتفت إلى ما هو أخلاقى وما هو غير أخلاقى وما هو خير وما هو شر بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضرورى ومفيد . « إن موازين المجتمع وتقاليده القديمة ستنهار سريعاً لأننا على الدوام نفقدها توازنها كى تسقط بسرعة . « وحينما نمكن لأنفسنا ونكون سادة الأرض لن نسمح بقيام أى دين غيرها ديننا وسنكون قد خطمنا كل الأديان الأخرى . ويفضح فلاسفتنا كل مساوىء الديانات الأممية » . هذه الروح الشريرة التى تسيطر

على المخططات التلمودية الصهيونية للكشف بوضوح عن الرغبة المحمومة فى القضاء على دعوات الأخلاق وموازين الخير والمثل والمدنيات فى العالم إرضاء لاستعلائهم وفسادهم وتمشياً مع اتجاهاتهم المادية فى الحياة . ولا ريب أن مذاهب داروين وماركس وفرويد ودور كايم كلها تستهدف تحقيق هذه الغايات وتحول البشرية من الدين والأخلاق والقيم المعنوية إلى المادية الخالصة .

(٤) فرض المادية على الفكر البشرى

صنع الغربيون حضاراتهم فى أوائل النهضة وأطلقوا على القرن الخامس عشر عصر النهضة (الرينسانس) ثم عاد اليهود من منفاهم فسيطروا على هذه النهضة وحولوها إلى الوجهة التى يريدونها وأطلقوا على القرن السادس عشر وما بعده عصر التنوير ولم يكن التنوير التلمودى الصهيونى إلا فرض المادية على الفكر البشرى وتحطيم الدين والأخلاق وصولا إلى الهدف الأكبر وهو السيطرة على الحياة الاجتماعية فى الغرب كله وإقصاء المسيحية والكنيسة عن النفوذ وإسقاط القوانين والمقررات التى تحول بين اليهود وبين السيطرة على الحياة اسياسية والاجتماعية والاقتصادية . وقد أطلق عصر التنوير على الدور الذى قامت به الماسونية فى تحويل الفكر الغربى إلى المادية وهدم كل ما يتصل بالدين وتحريره من كل قيود المسيحية والكنيسة وإنشاء المدارس العلمانية والقوانين العلمانية وفى هذا المجال ظهر كثيرون من رجال الماسون : فولتير ، وديدرو ، وروسو ثم أوجست كونت ورينان وعشرات آخرون . وقد كشف كثير من الباحثين هذه الحقيقة فأشاروا إلى أن (التنوير) لا يقصد به إلا أبعاد الدين عن مجال التوجيه وإحلال العقل محله قالوا : إن التنوير هو إخضاع الدين للعقل وأشاروا إلى أنه بالتنوير بدأ عهد الحس ، وإن قيام المذهب الوضعى إنما يستهدف معارضة الكنيسة ومن التغطية باسم العلم وهو بمثابة معارضة الميتافيزيقا (وما وراء الطبيعة) وقد أنكر المذهب الوضعى دين الكنيسة وأعلن عما أسماه (دين الإنسانية الكبرى) . وقال كانت : التنوير هو الإفراج عن الإنسان من الوصيات التى فرضها هو على نفسه ، والوصاية هى عدم جرأة الإنسان على استعمال قواه الطبيعية بدون استعمال الغير ، وقال أن الوصاية الدينية هى أرزل الوصايات وأشدها ضرراً . وكان هذا هو بداية السيطرة التلمودية الصهيونية على الفكر الغربى المسيحى ونقله إلى مجال المادية حيث ارتفعت الدعوات بأنه لا حاجة للعقل الإنسانى بأن يرجع إلى

الوحى أو المعرفة الماورائية لإدارة حياته وشئون الدنيا . وقال العقلانيون أنه إذا ارتفع الدين فلا فارق بين البشر وأن كل ما اصطنع من فرقة بينهم يجب أن تزول سريعاً وهكذا مهدت المادية لليهود فى اقتحام المجتمع المسيحى ثم السيطرة عليه . وكان ذلك هو التمهيد للثورة الفرنسية التى حطمت كل القيود حيث سيطر اليهود على مقدرات الدول الغربية كلها من بعد : وهكذا كانت أولى خطوات الأيدلوجية التلمودية اليهودية هى إحتواء الفكر المسيحى الغربى باعتباره الفكر العالمى فى ذلك الوقت ولذلك جاءت حركة التنوير التى هى ماسونية صهيونية تلمودية صميمة لدحر القيمة الأساسية للفكر العربى المسيحى وضربه فى جوانبه القوية حتى يسقط صريعاً مثخناً بالجراح مستسلماً لمخطط التلمودية وكانت التلمودية هى التى أنشأت الدين الوضعى Religion Positine الذى يقيم سلطان الحس والذى يتصل بالقيم الثلاث البدائل للثالوث المسيحى : الحق : نقد العقل النظرى . الخير : نقد العقل العملى . الجمال : نقد ملكة الحكم . وقد استخدمت هذه المدرسة المادية كل ما استطاعت وكان التركيز على نظرية دارون وجرى إخراجها من مجالها البيولوجى إلى المجال الاجتماعى حيث أنشأ « سبنسر » نظرية التطور الاجتماعى ، التى نماها كانت ثم دور كايم حيث فرضت مفهوم الخروج من دين الله جملة بالهجوم على الغيبيات والقول بنسبية الأخلاق وفصل الدين عن المجتمع والدولة . والهدف حجب مفهوم الدين والأخلاق عن الأسرة والمجتمع . وهذا كله فى مجموعة يرمى الحياة الاجتماعية والبشرية . وقد سيطر المذهب المادى على الفكر الغربى كله وأصبح اليوم هو أساس للفكر الغربى الليبرالى وللفكر الماركسى جميعاً وأصبح التفسير المادى للتاريخ مفهوماً شاملا معترفاً به وأصبحت هناك معارضة شاملة للروحية والمعنوية والمثالية وأصبح التفسير المادى للسلوك والحياة وللمجتمعات وللتاريخ هو الأساس . بل إن المادية أعلنت أن العقل صفة طارئة لبعض حالات المادة وأن العقل يولد من المادة فهو مدين لها وأصبح الفكر الغربى فى قمة ماديته يؤمن بأن النداء الجنسى والنداء الخاص بالطعام هما اللذان يحكمان البشرية وكما تجمد المادية وجود الخالق وتنكر الروح والجزاء ولقد كان لهذا كله أثره البعيد فى التربية والأخلاق والمجتمع والاقتصاد حيث علت كلمات الحرية والتحلل والإباحة والربا والدعوة إلى السعادة والتمتع بالحياة والانطلاق بدعوى أنه لا توجد حياة بعد هذه الحياة .

(٥) التـآمر على البشرية

عمدت التلمودية الصهيونية منذ أن خططت لهدفها البعيد فى التآمر على البشرية:يقول أحد المؤرخين أن من يدرس التاريخ الإنسانى دراسة استقصاء وتثبت يجد خلف كل ثورة أو مؤامرة دموية أثرا يهودياً أو يداً يهودية فقد كان اليهود وراء الحروب الصليبية ووراء الثورة الفرنسية ووراء الثورة الروسية ووراء النظريات المادية والماركسية والرأسمالية والاستعمار وفى محيط التاريخ الإسلامى نجد ابن سبا وابن ديصان والمانوية وابن ميمون القداح وحمدان قرمط وبابك وحسن الصباح والحشاشين كل ينتصل بنسب إلى اليهودية التلمودية ولقد بات واضحاً مما أعلنه اليهود أنفسهم من مخططاتهم الثلاث الكبرى : الثورة الفرنسية والثورة الروسية وإسقاط الخلافة والدولة العثمانية : ولقد هدموا فى الطريق إلى تحقيق غايتهم فى الوصول إلى فلسطين لينطلقوا منها للسيطرة على العالم كله كثيراً من الدول والتيجان والعروش وحطموا كثيراً من قوى المقاومة . وتكاد تكون الحرب العالمية الأولى والثانية من مخططات توسيع الطريق إلى احتلال السيطرة العالمية وقد أعلن أحد رجال حكومتهم الخفية أنهم يمهدون للحرب الثالثة للقضاء على كل نفوذ وامتلاك السيطرة العالمية ولم يتحقق لهم ذلك إلا عن طريق الدس والمكر والخداع والتآمر وشراء الذمم واستعمال سلاح المرأة والمال والاغراء والترهيب والتسلط والسيطرة المالية والاقتصادية على مقدرات الأمم ، وكان سلاحهم القوى : الغزو الفكرى والسيطرة على القيم وتحويل المجتمعات من طابع الدين والأخلاق إلى طوابع التحلل والإلحاد والإباحة وأدواتهم فى ذلك هى دعوات القومية والعنصرية والفكر الماركسى والوجودية والفرويدية والمادية والصراع الطبقى والطوابع الإباحية المتصلة بالعرى والفساد والأغانى والفن والمسرح الذى هو عندهم بديل دور العبادة وإذا كانت الماسونية هى مدخلهم إلى العالم كله . إلى الأديان والأمم والتقاليد حتى قال جورج زيدان فى كتابه تاريخ الماسونية العام (أن الماسونية كانت مصدراً لكثير من التعاليم التى أصبحت من أقوى دعائم التمدن الغربى الحديث) فإن الاشتراكية والماركسية والشيوعية هى أكبر مفصح عن خططهم وأقوى دعامة لتدمير العالم والسيطرة عليه . ولقد كان مدخل المؤامرة التلمودية الصهيونية إلى العالم الإسلامى ، ركيزتهم التى نموها وأعدوها فى قلب الدولة العثمانية » « الدونمة» التى أقامت محافل الماسونية وأحتوت رجال الاتحاد والترقى وجمعيه تركياً الفتاة وأخرجت فيهم طبقة مصطفى

كمال أتاتورك بعد الحرب لتدمير الإسلام فى تركيا العثمانية دولة الخلافة . ولقد لعبت التلمودية الصهيونية دورها بجدارة فى استخدام كل ماهو مطروح فى أفق الفكر البشرى من مذاهب متناقصة ، وبين الرأسمالية والشيوعية وبين الفرد والجماعة ، وبين الإلحاد والروحية الحديثة وهم الدعاة إلى الوطنية المتطرفة والعالمية ، وهم دعاة التسامح الدينى والتعصب فهم يستخدمون المذاهب المتناقضة لخدمة مصالحهم ما دامت تؤدى إلى احتلال العالم والقضاء على أخلاقه ونظمه وأديانه وقومياته ومن مصلحة التلمودية الصهيونية التصادم بين الديمقراطية والشيوعية ، فى حرب عالمية ثالثة لتحطم القوميتين معاً وبذلك تزول العوائق أمام سيادة اليهود العالمية ودور التلمودية الصهيونية فى التجسس دور خطير فقد عملوا لكل الدول فى مختلف الجهات المتعارضة مع الفرنسيين والإنجليز أبان خلافهم ومع الرأسمالية والشيوعية فى الوقت الحاضر ، وبذلك تمكنوا من الحصول على أسرار الدول والجماعات ليخدموا بها مصالحهم ويتمكنون بها من تدمير مصالح غيرهم وقد اتخذوا الدخول فى الأديان سبلهم إلى ذلك فدخلت جماعات منهم فى المسيحية قديماً ودخلت منذأكثر من مائة سنة جماعات فى الإسلام وانصهرت فيها تقية لتؤدى دوراً ما فى وقت معين . وقد عرفوا بأنهم وراء كل منظمات الاغتيال والتآمر ، وقد قتلوا كل من وقف فى طريقهم ، فى روسيا أو فى المشرق (اللوردموين والكونت برنادوت) . ولما كان لليهود منذ قديم الزمان عناية عظيمة بالتجسس فقد أنشأوا مصالح خاصة لهذا الغرض وقيل أن سر الأثراء المالى لهم هو السبق إلى المعلومات الصحيحة ومن يراجع تاريخ الثروات التى جمعتها بعض الأسر اليهودية المشهورة يجد أن منشأها هو الحصول على معلومات سياسية أو حربية والانتفاع منها قبل انتشارها بين الجماهير . وفى سبيل تحقيق الهدف كانت جميع الأنظمة الغربية : الملوك لا يحكمون ولا يرأسون الجيوش أبان القتال ، والفصل بين الدين والدولة والأنظمة الديمقراطية التى تسمى باسم سلطة الشعب وتغذى بالرشوة فى سبيل الوصول إلى كراسى الحكم ، وفى مختلف القوانين التى تحكم المجتمعات لليهود أصبع فى وضعها أو تعديلها أو تفسيرها ونشرها وهى قد وضعت بواسطتهم أو بواسطة أتباعهم فى المحافل الماسونية أما لمصلحة رؤس الأموال أو لمصلحة طائفة أخرى من أهل القوة والتأثير أو الترويج لنزعة من النزعات التى يرتاح لها فريق ويسخط لها فريق ، والنظام الديمقراطى ، والقانون الغربى ، ونظام الاقتصاد ، ونظام التعليم قائم على تبادل المنفعة سواء أوافق هذا التبادل القيمة الخلقية أم خالفها والحق عندهم

هو الذى يمشى مع القانون ولا تعاقب عليه المحاكم ، وهذا كله يختلف مع مفهوم الدين المنزل ومع مفهوم الإسلام. وقد كشفت الأبحاث فى خلفية مؤامرة الثورة الفرنسية التى ما زالت تخضع للنفوذ الصهيونى حتى الآن ليتردد دائماً أنها هى مصدر الحرية للعالم كله فى العصر الحاضر بينما قامت هذه الثورة على مخطط صهيونى حقق اليهود السيطرة على المجتمع الغربى وكسر قيود الكنيسة التى حصرت اليهود فى أحياء خاصة وجعلت تعاملهم مع المجتمع المسيحى على نحو خاص وكانت مقدمة لتدمير وحدة الغرب المسيحية بعد السيطرة على البروتستانتية التى أقنعتها الصهيونية بما زيفة الأحبار من وعد بالعودة إلى فلسطين عن طريق سيطرة الصهيونية التلمودية على مناهج الجامعات والمدارس فى مختلف البلاد الخاضعة للمذهب البروتستانتى وخاصة انجلترا وأمريكا . وقد حذر الرئيس الأمريكى بنيامين فرانكلين شعب الولايات المتحدة عام ١٧٨٩ فقال : هنالك خطر عظيم يتهدد الولايات المتحدة ذلك هو الخطر اليهودى. نعم حينما استقر اليهود نجدهم يوهنون من عزيمة الشعب ويزعزعون الخلق التجارى الشريف . أنهم لا يندمجون بالشعب ، لقد كونوا حكومة داخل الحكومة وحين يجدون معارضة من أحد فإنهم يعملون على خنق الأمة مالياً كما حدث للبرتغال وأسبانيا وإذا لم يستثن اليهود من الهجرة بموجب الدستور ففى أقل من مائة سنة سوف يتدفقون على البلاد بأعداد ضخمة تجعلهم يحكموننا ويدمروننا ويغيرون شكل الحكومة التى ضحينا وبذلنا لإقامتها دمائنا وحياتنا وأموالنا ، إن عقليتهم تختلف عنا حتى لو عاشوا بيننا عشرة أجيال . والنمر لا يستطيع أن يغير لونه واليهود خطر على هذه البلاد وإذا سمح لهم بالدخول فسوف يخربون دستورنا ومنشئاتنا » . وهذا الذى توقعه فرانكلين قد وقع فقد احتوى اليهود هذا المجتمع الجديد وسيطروا عليه ، وهى سيطرة تمت فى أوربا كلها أولا ، وكان اليهود قد سيطروا على فرنسا أولا ثم على بريطانيا ثم أمريكا فى سبيل تحقيق مخططهم وأهدافهم .

(٢) إن أثر التلمودية الصهيونية واضح فى مخطط الثورة الفرنسية وتعترف دائرة المعارف الماسونية أنه منذ القرن السادس عشر والبناءون الأحرار (أى الماسون) فى مقدمة القائمين بحركات سلمية كانت أو عنيفة قلبت الأوضاع القديمة ووضعت الأسس للديمقراطية الحديثة وكانت الثورة الفرنسية فى خدمة هذه الحركات الإصلاحية القوية العنيفة وتضيف دائرة المعارف الماسونية إلى اعترافها قول لا مارتين : « إن اعتقادى ثابت بأن الماسونية أخرجت الأفكار العالية التى تأسست عليها الثورات الكبرى سنوات ١٧٨٩ ، ١٨٤٨ . وقال المؤرخ

السياسى الاقتصادى لويس ريلان : بأن الماسونية كانت معملاً للثورة وكان أثرها فيها أعظم من أثر موسوعة الأنسكلوبيديا وحقاً قال فقد مكثت الماسونية نحو نصف قرن تعد محافلها أفكار الشعب الفرنسى للقيام بثورته الكبرى ولا غرابة فى الأمر فالماسونية قد اتخذت لها شعاراً كلمات ثلاث : (حرية ، مساواة ، أخاء) واتخذتها قبل أن تتخذها الثورة الفرنسية شعاراً » . أما تمويل الثورة فتعترف دائرة المعارف اليهودية : إنه كان وزراء الثورة عدد من اليهود قاموا بتمويلها « وحين اندلعت نيران الثورة الفرنسية كان وجهها يهودياً توراتياً تلمودياً إذ لم يعرف التاريخ كالغوغاء الذين نظموا وتآمروا وثاروا ضد كل طبقة من الناس ، وكانت غايتهم تدمير النظام ومقوماته من الملك إلى النبلاء ورجال الدين وطمس القوانين وتغيير العملة وعلم البلاد والتقويم الرسمى ولوحظ أن الثورة لم يقم بها فرنسيون لحماية فرنسا وخيرها بل قام بها أجانب . (حاشية : كل هذه الحركات التى تولاها اليهود قام بها أجانب ومثال ذلك الإنقلاب العثمانى والدعوة إلى الطورانية والثورة العربية بقيادة الشريف حسين) : هؤلاء الأجانب يستترون وراء قوة سرية ترمى إلى هدم كل شىء فى فرنسا ولم يكن أولئك الأجانب سوى اليهود الذين خططوا للثورة ومهدوا لها بخلق فراغ كبير بين الأسرالحاكمة وبين الشعبثم بإثقال كاهل البلاد بالديوناليهوديةتظهر بما يظر الملك الحاكم أمام شعبه مبذراً أنانياً ظالماً ، وسرعان ما شرع اليهود يزيفون التاريخ ويصورون الثورة الفرنسية بذلك العمل التاريخى الذى خدم الإنسانية وأعطى وثيقة حقوق الإنسان وهى فرية إنطلت على ملايين البشر ، فالثورة الفرنسية فى حقيقتها من أسباب شقاء العالم وإذلال الشعوب وتسخيرها لخدمة اليهودية العالمية التى خططت لها ومولتها ونفذتها وجنت أرباحها» .

وهكذا كانت الثورة الفرنسية مقدمة لفتح الطريق أمام اليهود للمساواة مع الأجناس الأخرى وللسيطرة على مقدرات الشعوب والأمم سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وهدم الحكومات الأوربية فى روسيا وفى تركيا . ولقد أسلمت الثورة الفرنسية الشيوعية مقاليدها ، واستطاعت الصهيونية أن تنشىء الشيوعية وتسيطر بها على جزء ضخم من العالم المسيحى ثم تضرب الغرب الرأسمالى بالشرق الشيوعى لحصر العالم بين القوتين دافعين الأمم التابعة للغرب بالضغط إلى الإرتماء فى أحضان الشيوعية .

(٦) السيطرة الاقتصادية

يعد « الربا » المدخل الحقيقي للسيطرة التلمودية الصهيونية على العالمين الرأسمالي والشيوعي ويعد الذهب الذى يحتكره اليهود أقوى الأسلحة لإثارة الرأى العام وإفساد المجتمعات والقضاء على الضمائر والأديان والقوميات ونظام الأسر ، وعن طريق المال يسيطر اليهود على الأعلام والفكر وفى عديد من أنحاء الغرب (أوربا وأمريكا) يملك اليهود البيوت التجارية والأسواق ، ولهم نفوذ قوى ومؤثر على الصحافة والتليفزيون ويوجد فى العالم حسب آخر إحصاء ٩٥٤ جريدة ومجلة خاضعة للنفوذ الصهيونى وفى بريطانيا وحدها ٦٩ جريدة خاضعة للصهيونية . ودعاة المذهب الرأسمالى وعلى رأسهم (آدم سميث) يهود ودعاة الماركسية الشيوعية وعلى رأسهم (ماركس) يهود . واليهود هم الذين أقرضوا الخديو اسماعيل ١٢٥ مليونا من الجنيهات لم يصل إليه منها سوى أربعة وخمسين مليونا فقط ، وقد قبضوا ٦٥ فى المائة منها أرباحاً وسمسرة. والماليون اليهود هم الذين ارتهنوا الأراضى المصرية وملكو الجمارك والضرائب واشتروا ممتلكات اسماعيل وأسماؤهم لا تزال مسجلة فى أحياء القاهرة :(سوارس ، موصيرى ، شملا ، بلانش ، شيكوريل ، قطاوى ، كوهين ، ليفى) . وفى العالم كان أبرز اليهود المسيطرين اقتصادياً هم : (فروهلنج ، جوش ، أونيهايم ، روتشيلد) ويشير المؤرخون إلى أنه منذ عام ١٨٦٣ استغل اليهود اضطرابات الحالة الداخلية فى مصر بعد حروب محمد على فاستولوا على اقتصاديات البلاد وما حدث فى مصر ، وقع فى كل مكان وصل إليه الاستعمار الغربى فقد كانوا أداته فى السيطرة على البلاد المستعمرة فى أفريقيا وآسيا . وفى الغرب كان اليهود هم مصاصوا الدماء ، سيطروا على التجارة والمال ثم استطاعت القوى المسيحية انتزاعها منهم فتوقف اليهود عند مسائل الإقراض بالربا فكانوا موضع كراهية الشعوب واحتقارهم . يقول أرنولدتوينبى : لقد بذل المسيحيون فى الغرب جهوداً جبارة فى الميدان الاقتصادى الذى كان حكراً لليهود وتكشف مسرحية شكسبير «تاجر البندقية» عن ذلك التسلط اليهودى فى قصاء الربا ووفاء الديون والمعروف أن اليهود حولوا عملهم الربوى إلى نظام مصرفى له قوانينه واعتراف الدول به واختفوا وراء الأسهم والسندات حتى ينقذوا أنفسهم من عمليات القتل والسطو والإبادة التى كانوا يتعرضون لها . وقد أشار اليهود فى كل وثائقهم إلى سيطرتهم على الذهب فى العالم وقيامهم بامتلاك مصادر الاقتصاد والمال . وهم أنفسهم أصحاب القوة الرأسمالية والسيطرة الاقتصادية

الذين صنعوا الماركسية والاشتراكية ، التى تبدو ظاهراً معارضة للرأسمالية. إن الباحث المتخصص يجد أن المحاولات لمقاومة النظام الرأسمالى بدأت منذ وقت بعيد وإن صوراً مختلفة من الاشتراكية ظهرت فى أوربا على أيدى جماعات تستهدف تخفيف ضغط الرأسمالية سواء فى مجال العمل أم فى مجال الفكر المسيحى الغربى نفسه ، ومن ذلك فكرة « الفابية » التى كان يدين بها برناردشو ، هنالك تقدم اليهود ليضعوا منهجاً اشتراكياً يضرب كل هذه القوى ويدمرها وينشىء ذلك الطريق الجديد لتقسيم العالم توطئة لتدميره ومقدمة لتحقيق هدفهم فى السيطرة عليه . ذلك أن الدعوة الماركسية قصدت أساساً هدم الدين نفسه ولم تكن قاصرة على معالجة مشكلة عدالة التوزيع. والدين هنا هو المسيحية بهدف خلق روح الإلحاد والمادية والإباحة أساساً كمصدر لنظام وحياة ومجتمع ودولة . وهذا أول مكاسب اليهودية : هدم المسيحية وإدامة السيطرة على مقدرات الأمم ، كذلك فإن قيام نظام ماركسى يعنى وضع جميع مقدرات الأمة فى يد المجموعة الحاكمة وإخراجه من أيدى عشرات الأغنياء والموسرين شريطة أن يكونوا من غير اليهود . ومعنى هذا أن هذه النخبة تستطيع أن تفعل عن طريق تحقيق الهدف اليهودى أكثر مما يفعل الرأسماليون أنفسهم كذلك فإن النظام الماركسى نفسه يحل فى العالم روح الشر والقتل والإبادة ويحقق هدفه عن طريق الثورة التى تقتل وتحطم وليس عن طريق التطور والتدرج والإقناع ومن ثم ظهرت مفاهيم لإحداث الانقلابات والثورات فكانت فى أغلبها نتاجاً يهودياً للموديا يستهدف تحقيق الغاية التى يقصد إليها أصحاب امبراطورية الربا . كذلك فإن احتضان اليهود التلمودية للماركسية هو طريقها إلى خلق أجواء من العنف من شأنها أن تصير الحياة الاجتماعية شقاءاً مطلقاً فهى تحرم الناس من ثمرات عملهم وتقدمها لقمة سائغة للقوى المسيطرة ثم تفرض على الناس رهبة كاملة فلا تدع لهم حرية الكلمة ، ثم هى بعد ذلك تقتل قوى الإبداع والابتكار نتيجة إحساس الإنسان الممتاز بأن أى عمل يقوم به لا يحقق له أى تفوق شخصى ، كذلك فإن هذا النظام الاقتصادى الذى هو تفسير شامل للحياة والمجتمع يعمل على دفع المجتمع إلى هدم الأسرة وإلى التحلل وإلى إنكار العلاقة بين الله والإنسان تماماً وهذا كله من أكبر أهداف التلمودية ، ومن هنا فإن اليهودية تكون قد صنعت لها مجتمعاً يحقق كل أهدافها فى السيطرة على العالم ، وتضغط به فى مواجهة المجتمع الرأسمالى الذى هى صانعته أيضاً والمسيطرة عليه . ومن هنا لا تجد البشرية فكاكاً من أن تكون بين حجر الرحى ، منتمية إلى أحد المعسكرين ، ثم هى تجعل

من الأمم الصغيرة أحجار شطرنج تضغط عليها الرأسمالية فتندفع إلى الشيوعية ولما كانت الأيدلوجية الماركسية الشيوعية فكرة قلقة فهى غير ثابتة وفى حاجة إلى تعديلات دائمة، ومن ثم فهى تنفق الملايين فى سبيل الدعوة والاعلام ، وهذه الملايين تفقدها الجماعة البشرية نفسها لأنها تذهب فى سبيل الشيطان ، ولا يمكن لعقل صحيح أن يصدق أن الماركسية أو الاشتراكية قد صنعت لكى تحرر البشرية من قسوة الرأسمالية والاستعمار فذلك مجرد قول يقال لخداع بعض الناس ، أما الحقيقة فإن الاشتراكية الماركسية قد صنعت لتذيق البشرية أهوالا جديدة أشد قسوة من أهوال الرأسمالية والاستعمار ، وان هناك الامال المعلقة على أن تسيطر الصهيونية على الرأسمالية وبذلك يسقط العالم فى يد القوتين اللتين هما من صنع التلمودية : الصهيونية والشيوعية اللذين هما وجهان لعملة واحدة . وإذا نظرنا إلى قادة السياسة الاقتصادية فى العالم وجدنا اليهود يحتلون أغلب هذه المناصب فقد كان من أبرز من رسم سياسة الحزب الديمقراطى للولايات المتحدة اليهودى (ورجانتو) ومن أبرز من يرسم سياسة الحزب الجمهورى للولايات المتحدة اليهودى (فرنكفوتر) وباروخ اليهودى هو الذى وضع نصوص معاهدة فرساى عام ١٩١٩ وأصبح مستشار روزفلت رئيس الجمهورية عام ١٩٣٥ . وبالجملة فإن اليهود هم قادة السياسة والاقتصاد فى العالم .

رابعاً : إحتواء الفكر الغربى

(١) ميراث الركام البشرى

تشكل الفكر الغربى من مصادر ثلاث : (١) الفلسفة اليونانية . (٢) القانون الرومانى . (٣) اللاهوت المسيحى . ولا ريب أن المسيحية التى عبرت من الشرق إلى أوربا كانت عاملا هاماً وخطيراً فى تطعيم الفكر الغربى بطوابع الإيمان والرحمة والأخلاق ، وذات أثر كبير فى القضاء على روح الوثنية وعبادة القيصر والعنف والقسوة التى عرف بها الرومان ، والإباحية المدمرة التى قضت على الأمبراطورية الرومانية . ولقد كان للإسلام أثره الواضح فيما بعد المسيحية فى تعديل كثير من جوانب النفس الغربية والعقل الغربى ، وتحويل المجتمع الغربى من طوابع الرهبانية واعتزال الحياة والعكوف فى الأديره إلى الانطلاق فى مجال العمل والإنشاء وكان للمنهج العلمى التجريبى الإسلامى الذى أنشأه المسلمون ووصل إلى درجة عالية من القوة فى جامعات الأندلس من حيث النتائج التى حققتها فى مجال الكيمياء والطب والطبيعية

والرياضيات والفلك ، كل هذا أطلق الروح الغربية من أسار الرهبانية وقيود النسك وكان للأدب العربى الإسلامى آثاره البعيدة فى ظهور طوابع جديدة من الحنان والحب والرحمة بدأها شعراء التروبادور ثم امتدت من أسبانيا وفرنسا إلى مختلف مقاطعات أوربا وأقطارها . ولا ريب كان لانطلاقه المجتمع الغربى بفضل الإسلام – من روح النسك والزهادة والرهبانية التى ابتدعوها وما كتبها عليهم دين الله ، أبعد الأثر فى تألق عصر النهضة الذى تشكل على أثر دخول العلوم التجريبية والدراسات الإنسانية الإسلامية بعد أن افتحم المسلمون قارة أوربا وأقاموا فى الأندلس ثمانية قرون وتركوا بصماتهم حية نابضة فى كل مكان فى الغرب ، وخاصة فى قواميس اللغات فضلا من مواقع الاستيطان والإقامة . ولقد كان هذا الاتجاه الذى سار فيه الفكر الغربى قمين بأن يهديه إلى الإسلام بعد أن جاء عصر العلم ولم تسعفه التفسيرات الغربية للمسيحية ، غير أن محاولة عصر التنوير التى قامت بها التلمودية اليهودية قد دفعت الفكر الغربى إلى « منحى » جديد كان مقدمة لاحتوائه والسيطرة عليه . ولا ريب أن سيطرة النفوذ الاستعمارى الغربى على العالم الإسلامى ونقله إلى المسلمين نظرياته ومفاهيمه وقيمه كان من أخطر المعارك التى خاضها الفكر الإسلامى فى مواجهة التغريب والغزو الثقافى والاحتواء . فقد واجه الفكر الإسلامى : ليس الفكر الغربى وحده الذى شكلته المسيحية ولكنه واجه ذلك العنصر الجديد الخطير الذى سيطر على الغرب واحتوى مجتمعه وفكره ، ذلك هو عنصر التلمودية الوثنية الإباحية التى جددت مفاهيم الفلسفات القديمة التى جاء الإسلام هادماً لها ومحطماً لقواعدها سواء الفلسفة اليونانية الهلينية الوثنية أم الفلسفة الغنوصية الشرقية بتعددها وإباحياتها أو ما تشكل عنها من الأفلاطونية الحديثة أو الثيوصوفية أو البهائية والوجودية والماركسية والفرويدية . وإذا كان الفكر الغربى الذى فقد هويته منذ وقت بعيد على النحو الذى مكن للوثنية اليونانية والتلمودية اليهودية من السيطرة ، قد خضع خضوعاً شديداً لهذا فإن الفكر الإسلامى الذى واجهته هذه الحملات الشديده من التبشير والغزو الثقافى والتغريب ـ وهو على غير استعداد لها ، لم يستسلم ولم يخضع ، ولكنه استطاع أن يقاوم ويدافع عن نفسه مستمداً من رصيده الضخم وجذوره الثابتة فى التربية وأصالة فكره الواضح الهوية الصريح الغاية الكامل الوسيلة والاداة للدفاع عن نفسه إبان المحن والغزوات وزلازل الاحتواء وإذا كنا لنا أن نعرض لاحتواء التلمودية الصهيونية اليهودية للفكر الغربى فإنما نحاول أن نواجه هذا الخطر المزدوج الذى يواجهه الفكر الإسلامى ويحاول أن يلقى فى أفقه هذه

الشبهات الضخمة ، وهذا الركام الشديد : ركام الفكر البشرى القديم السابق للإسلام والمتجدد دائماً على أيدى التلمودية اليهودية لإفساد المجتمعات البشرية لقد ورث اليهود ركام الفكر البشرى كله ، وعاشوا حماته ودعاته ومجددوه فى كل عصر ، ولقد استطاعوا فى العصر الحديث أن يضعوا هذا الركام القائم على الوثنية والإباحية والمادية - فى نظريات حديثة لها طوابع علمية براقة خداعة فسيطروا على مذاهب الفلسفة المادية ، ومذاهب الروحية والبهائية وجماعات الهيبز ومخازن الأزياء والزينة والمسارح والسينما والسيطرة على التراث اليونانى الوثنى والتراث الشرقى الأسطورى ثم كان لليهودية التلمودية السيطرة على مناهج العلوم الإنسانية : النفس والأخلاق والاجتماع والتدخل فى علوم الأنثربولوجيا واللغات وإثارة نعرة الجنس والعنصرية وغيرها من أجل إعلاء اليهودية وبعثها السيطرة بها على جميع الأديان وهكذا حرصت التلمودية على السيطرة على كل ميراث الركام البشرى كله ودفعه إلى هدم كل القيم الدينية والأخلاقية والحلول محلها والمتتبع لحركة التلمودية فى العالم يدرك أن الصهيونية لا تخلق حركة اجتماعية على إطلاقها ولا قدرة على خلقها ولكنها لا تكاد ترى حركة إلا سارعت إلى استغلالها واحتواءها وتوجيهها إلى الوجه التى تخدم مصالحها . إن أخطر ما تحاول التلمودية اليهودية والصهيونية هدمه هو القيم فهى تحاول أن تفرغ المجتمعات من القوة ، والحيوية ، والرجولة ومفاهيم الجهاد والمقاومة بغية تدمير الشخصية الإنسانية باسم تحريرها ، وفرض مناهج جديدة لإنهاكها ، وتحطيم معنوياتها وحصانتها فتصبح غير قادرة على مواجهة خطر الغزو والسيطرة الخارجية . ولقد حاولت التلمودية الصهيونية أن تروج مجموعة من المفاهيم الهدامة فى الغرب ثم صدرتها إلى العالم برمته على أساس نقل الفكر الإنسانى كله من مجال الأديان والخلق ، وطريق الإيمان بالله والتوحيد والإيمان بالبعث والجزاء إلى الإلحاد والإباحية والوثنية والمادية وهى محاولة بدأت منذ وقت بعيد ، منذ اليوم الذى وصف بأنه عصر التنوير بعد عصر النهضة فى أوربا وهو العصر الذى بدأت تفرض فيه الماسونية فلسفتها ثم تنقلها على أقلام طائفة من الفلاسفة والأدباء الذين كونتهم المحافل الماسونية وكان أبرزهم رجال الموسوعة كمقدمة للثورة الفرنسية

(٢) التلمودية والدعوات الهدامة

لما كان هدف الأيدلوجية التلمودية [إقامة امبراطورية الربا العالمية] فقد رسم اليهود

أهدافهم بدقة حيث أجروا مخططاً كاملا للسيطرة على العالم أو الانتقام من الأُميين وجعلوا من الدعوات الهدامة سبيلهم إلى تحقيق غايتهم . وكان ذلك طبيعياً فإنه ما دام المثل الأعلى التلمودى هو الربا والسيطرة على الإنسان فلابد من تدمير الأديان والأخلاق لأنها هى قوى المعارضة الحقيقية للشر والظلم والسيطرة والحقد والجشع ومن هنا كان تركيز التلمودية اليهودية على تفكيك الأخلاق وتسهيل سبل الشهوات وتزيين ذلك للناس بفلسفة مبررة وبوسائل متجددة فى العرض والصياغة ومن هنا فقد سيطر اليهود على الصحافة والسينما والجامعات فأصبحت فى أيديهم كل وسائل التأثير العقلى والإقناع النفسى عن طريق الكلمة المكتوبة والكلمة المسموعة والصورة المرئية فأشرطه الصور المتحركة فى أيدى اليهود والرقص ومسابقات الجمال والمودات والأزياء وكتب الجنس والصور العارية وقد نشروا فى العالم كله مجلات متخصصة للدعوة إلى عبادة الجسد ونشر المجون والفسق ونشر القصص المثيرة عن الأسرار والفضائح والجرائم تحت ستار التحقيق الجنائى . كل هذا يهدف إلى هدم الدين والحضارة والأخلاق . وقد وصف مكسيم جوركى أمة اليهود بأنها سيف ذهبى مشهر على رأس أوربا (مهد المسيحية) . ومن هذا فإن اليهود حملوا كل الفلسفات الهدامة القديمة إلى العصر الحديث وابتعثوها وفق فهم محدد لهدم مقومات الأُمم الدينيةوالأخلاقية وقد حملوا هذه النظريات ونقيضها وعمل بعضهم مع الأصل والاخر من النقيض لتوسيع رقعة المساواة ودفع الأقطار إلى الصراع حتى يحمى الوطيس ، وهم يلتقطون كل شيء ويتمشون مع كل الاتجاهات لترويج كل النزعات مادية وروحية ثم احتواءها بعد ذلك . ويرى المؤرخون أن التلمودية الصهيونية مهدت لإستيعاب الرأى العام المسيحى ابتداء من ظهور الكثلثة وأنها استخدمت أسلحتها الدعائية فى أعقاب حركة الإصلاح الدينى ووقفت وراء النظريات العلمية لتحويلها من هدفهما الطبيعى إلى الغايات التلمودية وأبرز مظاهر هذه الاتجاه ما أريد بنظرية « دارون » التى كانت قاصرة على العلوم البيولوجية لجعلها نظرية اجتماعية عامة تطبق على المجتمعات وتحمل لواء الدعوة إلى التطور المطلق وإنكار الثوابت ثم كانوا من وراء نظرية التحليل النفسى فأختاروا فرويد لأنه علل الاستجابة البشرية بالجنس وحطموا غيره من العلماء الذين جروا فى طريق العلم الصحيح ، وذلك لإشاعة مفهوم الجنس وفرضه على الاداب والفنون والمجتمعات وخلق هذه الأجواء من الإباحية والفساد وفرويد منهم وهم الذين قدموا دور كايم وروجو لنظريته القاتلة بأن نظام الأُسرة مصطنع وإن الدين نبت من الأرض ،

وكانت التلمودية والصهيونية قد أعدت ماركس وهو ينادى بأن لقمة العيش هى مصدر حركة التاريخ وإلغاء الحكومة فى المجتمع العالمى ووراء نيتشه وهو ينادى بسياسة القوة واللارحمة وقد أشارت برتوكولات صهيون إلى هذا صراحة فقالت « لاحظوا أن نجاح دارون وماركس ونيتشة نحن الذين رتبناه من قبل » . ويلاحظ أن هدف هذه السيطرة على الفكر والثقافة والفن هو هدم الأديان وقد كان للتلمودية أثرها فى المدرسة الإجتماعية (دور كايم وليفى بريل) والشيوعية (ماركس) والوجودية (سارتر) ومذهب التطور (سبنسر وكانت) والسريالية وعلم الأديان والمقارن ، وعلم الاقتصاد السياسى ونشر التوراة والبهائة والفرويدية والأزياء والقوميات وفلسفة الأجناس ، ودعوة العالمية متوسلين بهذا كله إلى نشر الإلحاد ونسف الإيمان من النفوس وقد وجدوا فى كل بيئة من يروج لأرائهم الهدامة بين الناس تحت اسم العلم والفن ، على ما فى هذه الآراء من زيف وما وراء هـذه النظريات من سوء النية وكانت دعوة الفكر الحر مصدراً هاماً لتشكيك الناس فى الديانات والحط من كرامة رجال الأديان . ويقول الباحثون أن التلمودية الصهيونية قد فجرت ثلاثة قنابل فى العصر الحديث . الأولى : أطلقها كارل ماركس أبو الشيوعية حين أعلن للناس أنهم حقراء جائعون ضائعون مأجوورون وكان البترول الذى يعتمد عليه ماركس — كما يقول الكتاب — هو الحقد والحسد والكسل . والثانية : أطلقها فرويد : الذى أعلن أن فى أعماق الناس وحش كاسر هو الغريزة الجنسية والذى قال أنه ليس فى النفس إلا الجنس والقنبلة الثالثة : هى القنبلة الذرية التى فجرها أنشتين . وبذلك انفجرت ثلاث قنابل : معركة الخبز ، ومعركة الجنس ، وقنبلة الخوف . يقول الأستاذ محمد خليفة التونسى مترجم البروتوكولات : حيثما ظهر مبدأ أو دين أو مذهب علمى أو فلسفى يهب اليهود ليكونوا من وراءه يتصرفوا معه بما ينفعهم .

(٢) وقد أفلحت الدعاية اليهودية فى طبع كثير من العقائد والنحل بما يحقق مصلحتها فنرى روح الولاء والتهليل لبنى إسرائيل ومقدساتهم تهيمن على بعض المقدسات المسيحية وما ظهر مذهب فكان يؤدى إلى أن يسهم بالأذى من قريب أو بعيد إلا قبلوه أو أولوه بما يفسده هو وينفعهم هم وما كان مؤدياً إلى خير لهم روجوه فى كل أنحاء العالم ، وكذلك لكل قلم ما دامت آثاره عن قصد أو غير قصد — تساعد على إفساد الناس ورفع شأن اليهود كما فعلوا مع نيتشة الذى هاجم المسيحية وأخلاقها وقسم الأخلاق قسمين : أخلاق سادة

كالعنف والاستخفاف بالمبادىء وأخلاق عبيد كالرحمة والبر مما يتفق وروح اليهودية وتاريخها ويمهد لها فى الأذهان ويجعلها سابقة عن نيتشة ، وكذلك روجو لمذهب التطور وأولوه تأويلات ما خطرت لدارون واستخدموه فى القضاء على الأديان والقوميات والفنون باعتبار أن كل شىء بدأ ناقصاً شائها يثير السخرية والاحتقار ثم تطور فلا قداسة إذن لدين ولا وطنية ولا قانون ولا فن ولا لمقدس من المقدسات وهم يعبثون بعلم الاقتصاد وعلم الإجتماع وعلم مقارنة الأديان ويسخرونها لمصلحتهم وبقصد إفساد الآداب والنظم والثقافات والعقول فى كل أنحاء العالم ويدسون فيها نظريات مبهرجة لا يفطن إلى زيفها إلا الموهوبون ذوو العقول المستقلة وهم من وراء كل زى من أزياء الفكر والعقيدة والملبس والسلوك ما دام ينفعهم ولا سيما إذا كان يفسد غيرهم إلى جانب ذلك . ويقول : أنه لن تفهم المدارس الحديثة فى أوربا ما لم تفهم هذه الحقيقة التى لا شك فيها وهى أن أصبعاً من الأصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية وترمى إلى هدم القواعد التى يقوم عليها مجتمع الإنسان فى جميع الأزمان . ولعل أضخم ما أثاره اليهود فى العالم كله دعوى الجنس والقوميات وإحياء العروق والدماء وكانوا من وراء ظهور نظرية العنصرية فى أواخر القرن التاسع عشر وكانوا يقصدون بذلك العمل على إحياء جنسهم وعرقهم وقوميتهم ، من ناحية وتدمير الروابط القائمة على الدين وإحلال صراع القوميات محلها وإثارة العصبيات والخلاف بين الأجناس مما أدى إلى كثير من المعارك والحروب وباسم الأجناس والقوميات قامت أضخم حربين فى تاريخ الجنس البشرى هى الحرب العالمية الأولى والثانية وقد استغلت هذه الدعوة إحياء التراث الوثنى القديم قبل الإسلام . وكذلك كانت محاولات الماركسية والإشتراكية تستهدف إيقاع الصراع بين أصحاب رءوس الأموال والعاملين ودفع العمل إلى الثورة على أصحاب رءوس الأموال وانتزاع مصادر الإنتاج منهم . وكانت الدعوة إلى العلمانية تستهدف صرف المجتمعات إلى اللادينية باسم الحرية والدعوة إلى بعث الوثنيات وأفكار الغنوصية والإباحية وعمدت مختلف النظريات المادية التى قدمها اليهود: ماركس . وفرويد ، دروكايم ، سارتر على أن الإنسان ابن المصادفة وأنه لا غاية فى وجوده ولا هدف لذلك فلا معنى للحياة البشرية ولا المثل العليا الإنسانية وأن الحياة تخبط ليس فيها إلا المتاع والجنس وقد زاد من تعميق هذا الرأى ما أثاروه بعد الحروب المتوالية من تخويف الناس

بالموت والقنابل الذرية ليدفعوهم دفعاً إلى الفساد والفاحشة ثم يجمع اليهود ملايينهم الكثيرة. وقد صدق الدكتور أوسكار ليفى حين قال : نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم ومفسديه ومحركى الفتن فيه وجلاديه » . ولا ريب فى أن التلمودية قد اتخذت من إغراء الناس بالشهوات وإشاعة الرزيلة والانحلال وسيلتها لاستنزاف قوى « الآمميين » استنزافاً يستهدف تدمير القيم فى الأمم والدول ، مع إبقاء الجماعة اليهودية متماسكة بعيدة عن التأثر بالتعاليم ، وقد استطاعت التلمودية بعد نضال طويل مع الفكر الغربى أن تقر فى داخله عدداً من المفاهيم منها أن هتلر ذلك الرجل الشرير الذى قتل ستة ملايين من اليهود المساكين ، أما ضحايا الإنجليز والفرنسيين والروس والألمان والطليان من مئات الملاييين فليس لهم حساب ، ولم يكن اليهود قد فقدوا إلا أنفسا معدودة، ولكنهم هولوا فى هذا الأمر ليتخذوا منه ذريعة إلى تحقيق غايات بعيدة فقد استطاع اليهود أن يفرضوا على ألمانيا عقدة الذنب وملايين من الرويلات ، وأن يتبنوا هم ما أدعوه منقبل قتلر فى معاملاتهم مع العرب فى فلسطين ، وأن ينقلوا ويهجروا مئات الألوف إلى فلسطين تحت ستار وهمى هو الاضطهاد النازى ويقول كتاب الغرب : أن اليهود استطاعوا تحويل أنظار العالم أجمع عن مأساة من أفظع ماسيه فى حرب من أقسى حروبه ، وتركيزها على صراع اليهود مع هتلر رغم كل ما أحاط تحقيقه هذا الصراع بين الصهيونية والنازية وغلف أبعاده من خفايا وأسرار لم تفسر غوامضها المريبة حتى الان ، بل وإصابة شعوب أوربا قاطبة بعقدة ذنب لا تمحى تجاههم والتوصل إلى ضرب لم يسبق له مثيل فى التاريخ كله من « الإرهاب الأخلاقى » باستخدام السلاح البتار لتهمة معاداة السامية التى باتت مرادفة فى الغرب لتهمة الخيانة العظمى وأكل لحوم البشر وتلك هى قبضة الصهيونية الخانقة على ضمائر كتاب الغرب ومثقفيه وعلى جيوب الناشرين مستهدفين استعباد عقول الأوربيون وضمائرهم وطمس بصائرهم مستغلين الحصيلة الأوربية التى وصفها دستوفسكى بأنها عبودية أخلاقية للمشاعر النبيلة . ولقد صدق الباحث الغربى الذى قال : إن الفكر الصهيونى فكر مراوغ براق يحاول أن يضع أكاذيبه وأضاليله داخل مناهج علمية ولعل الذنب الأكبر الذى وضع هتلر موضع الحملات الشديدة المستمرة هو قوله فى كتاب كفاحى : « ولكن قدراتهم المادية ليست شيئاً مذكوراً بالنسبة إلى قذارة نفسوسهم فقد اكتشفت مع الأيام إن ما من فعل يغاير الأخلاق وما من جريمة بحق المجتمع إلا لليهود يد فيها واستطعت أن أقيس مدى تأثير الشعب المختار فى تسميم أفكار الشعب وتخديره وشل حيويته بتتبعى نشاطه فى

الصحف وفى ميادين الفنون والآداب والتمثيل فقد أمتد الأخطبوط اليهودى إلى هذه الميادين جميعاً وفرض سيطرته عليها ووسمها بطابعه فمعظم المؤلفين يهود مثلهم الناشرون والفنانون والفنانون وهذا التغلغل فى كل ميدان من ميادين النشاط التوجيهى يشكل طاعوناً خلقياً أدهى من الطاعون الأسود وأشد فتكاً ذلف أن تسعة أعشار المؤلفات والنشرات والمسرحيات واللوحات الفنية التىتروج الأباحية المطلقة وللماركسية من صنع اليهود ، ولقد طالعنى بحقائق لم تخطر لى على بال : منها الدور الذى يمثله الشعب المختار فى ترويج سوق الدعارة وفى الاتجار بالرقيق الأبيض ، وهذا الدور الذى يؤديه بمهارة » .هذا الفهم الذى كشف عنه هتلر فى ألمانيا شبيه بالفهم الذى كشف عنه زعيم أمريكا وكلاهما يستمد مصدره من معرفة عميقة بالتلمودية الصهيونية وأسلوبها فى الهدم .

٣) ماذا تريد التلمودية الصهيونية :

إن ما أوردته بروتوكولات صهيون يكشف عن هذه الخطط الهدامة تماماً : أولا : القضاء على الإيمان بالله . ثانياً : إحتكار العمال وإفساد الرأى العام . ثالثاً : استنزاف جميع الثروات . رابعاً : إثارة الصراع بين الأمم . خامساً : خلق أزمة اقتصادية عالمية بكافة الطرق بواسطة الذهب الذى يملكه اليهود . سادساً : فصل الدين عن الدولة . سابعاً : تأصيل قاعدة الربا فى الفكر والمجتمع . ثامناً : تحطيم المعتقدات الإسلامية والمسيحية وسحق القيم المعنوية : تاسعاً : إثارة الشكوك ضد كل المسلمات والعقائد . عاشراً : الدعوة إلى إشاعة الأباحة والرذيلة . حادى عشر : الحماس لكل جديد وتهديم القديم والحملة عليه . ثانى عشر : القول بأن التطور يحول دون بقاء أى شىء ثابت . ثالث عشر : القول بتغير الأخلاق بتغير البيئات والعصور رابع عشر : إطلاق الحريات من جميع القيود . خامس عشر : القول بأنه ليست هناك قيماً ثابتة . سادس عشر : الدعوة إلى صراع الأجيال وإيقاع الخلافات بين الأبناء والآباء . سابع عشر : إشاعة كلمات التعصب والرجعية والجمود. ثامن عشر : معارضة المعنويات والروحيات والغيبيات . تاسع عشر : إدخال الشبهات والإسرائيليات إلى العقائد والتاريخ . عشرون : استغلال جميع النهضات والحركات الوطنية والقومية واحتوائها . واحد وعشرون : القول بلا أخلاقية الحياة والعالم . إن محاولات الدعوات الهدامة عن طريق مناهج لها بريق العلوم وأسمائها وهى تقوم فى أصولها ومقوماتها على إدخال

السموم التلمودية والزيوف والشبهات إلى الفكر البشرى كله : ١ - هدم التوحيد عن طريق علم مقارنة الأديان : ٢ - هدم الأخلاق والأسرة عن طريق علم الاجتماع الذى يراد به تزييف حقيقة التاريخ بالقول بأن البشرية كانت وثنية ثم وجدت التفسير المادى للتاريخ عن طريق النظرية الماركسية العنصرية . ٣ - عن طريق علم الأجناس الذى يراد به تزييف حقيقة وحدة الجنس البشرى والقول بأن هناك أجناساً ممتازة بحكم الوراثة كاليهود مثلا. وهكذا نجد معارضة كاملة للفطرة الإنسانية يمثلها الفكر التلمودى الصهيونى : * فرويد - عارض الفطرة الإنسانية فى نظريته عن الحنس ولنفس . * دور كايم عارض مفهوم الفطرة الإنسانية فى نظريته عن الجماعة والدين . * ماركس عارض مفهوم الفطرة الإنسانية فى نظريته عن التاريخ والمادة . * ليفى بريل عارض مفهوم الفطرة الإنسانية فى نظريته عن الأخلاق . * أميل لدوفيج عارض الفطرة الإنسانية فى مفهومه عن العظماء .

(٣) اليهود وراء العلوم والفنون

حرصت التلمودية إلى احتواء العلوم والفنون والآداب وذلك باحتواء مفاهيم الانحراف فيها والسيطرة عليها وإبراز مجموعة من صهيونى الفكر سواء أكانوا يهوداً أو مسيحيين وفرضوا آراءهم ومفاهيم على الجامعات وأذاعوا بها فى الصحف وهللوا لها وركزوا عليها وأعطوها حجماً أكبر من حجمها العلمى والحقيقى من أجل تطعيم الفكر البشرى بمفاهيم التلمود وسمومه وقد احتضنت عشرات من المفكرين فى مقدمتهم اليهود : برجسون وشبنجلر وانشتين ، واسبونزا وكارل ماركس ، ودور كايم ، وماكس نوردو وهويتمان ، توماس مان ، أندرية مروا ، وماركوز وردينسون ولودفيج وكانت وجهة هؤلاء الكتاب : الهجوم على الحضارة الغربيـة المسيحية والنيل منها وتدمير مختلف القيم المسيحية والإنسانية ، ولقد أعد كثير من هؤلاء داخل المحافل الماسونية وكانت فى مقدمة الطبقة الأولى: فولتير ، وروسو وديدرو وهؤلاء هم الذين مهدوا للثورة الفرنسية والظاهرة التى يشترك فيها هؤلاء جميعاً هى عداوتهم للدين والأخلاق . وهم يرون أن فولتير هو أول من هاجم « المسيحية الغربية » ووصفها بأنها مخالفة للانسانية وأنها سبب الاضطهاد وسفك الدماء وأنها مخالفة للعقل لأن فيها أسراراً لا يستطيع العقل أن يفهمها وعنده أن الديانات ديمقراطية فهى من خصائص الطبقات المنحطة ولا تتصل بالطبقات العليا . ويرون أن روسو هو أبو الثورة الفرنسية بكتابة العقد الاجتماعى وأنه هو

الذى دعا إلى حقوق الإنسان التى كانت الثورة الفرنسية مستمدة بالحرف مما كتبه ويقول طه حسين أن روسو هو الذى هدم سلطان الكنيسة فى فرنسا . أما ماكس نوردو فقد هاجم الحضارة الغربية باعتبارها حضارة مسيحية فى كتابه (الأكاذيب المقررة) الذى وزع على أوسع نطاق فى كل مكان وكتب عنه فى البلاد العربية المازنى والعقاد واسماعيل مظهر . وقد سفه نوردو النظم الاجتماعية وأسس الاصلاحات العمرانية السائدة فى عصره وهاجم النمسا (امبراطورية هابسبورج) التى كانت تضم بولونياوتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا ورومانيا وإيطاليا ، وقد تولى قيادة الحركة الصهيونية بعد وفاة هرتزل ، وقد أخذت القصة اليهودية حيزاً واسعاً من مشاغله الأخيرة ويعد فى نظر المؤرخين من أقوى دعاة الصهيونية . وهنرى برجسون واحد من أعلام اليهود فى الفكر الحديث وهو الذى أعلى شأن العنصر الجرمانى على سواة من العناصر الأخرى وله كتاب (ساعة التصميم) . يقول يتيمان فى كتابه اليهود المعاصرون : أن (هينه) أفسد أخلاق باريس و (نوردو) حلل المبادىء والنظم التى تدعم المدينة وأظهر فسادها وتعفنها و (شبنجلر) : أنذرنا بضرب زوال الحضارة (وفرويد) خلق الإباحية الحديثة على نمط الوثنية الأغريقية ومجد الغريزة .

(٢) ويقول أحد المؤرخين : أن (باروخ اسبنوزا) فى القرن السادس عشر ما جاء به قومه اليهود من الأندلس من مؤلفات ابن ميمون ، ابن عزرا ، موسى القرطبى ولما بدأ سبنوزا عهد نشاط الفلسفة السامية جاء من الفليسوفين اليهودين كارل ماركس عام ١٨١٨ وماكس نوردو عام ١٨٤٩ فوضعا ختاماً لتالك المرحلة النظرية ، وقامت الشيوعية من ثمار ماركس وقامت النازية من آثار نيتشة ومن قرأ كتاب (هكذا قال زرادشت) لنيتشه يستطيع أن يميز مجموعة من الاراء المثالية التى تطايرت من المحمرة الإسرائيلية فى الشرق والغرب وتدينت بها بعض الشعوب الآرية ، وكان كارل ماركس ونوردو عضوين عاملين فى الهيئة الصهيونية ومؤتمراتها لحساب قوميتهما الخاصة ، كان ماركس عضواً بالجمعية اليهودية بباريس أما نوردو صاحب كتاب الإنحلال فكان فى بودابست من أكبر أعوان (هرتزل) وبالنسبة للحضارة وأثر بعض اليهود فيها فإنه يجلس على قمة بعض النظريات وفرويد واضع فكرة التحاليل النفسية وصاحب نظرية العقل الباطن ثم يذكر برجسون اليهودى الفرنسى أبو الفلسفة الحديثة وصاحب نظرية مقاومة المادية فى أوربا . وبرردناشو تلميذ صموئيل بيكر الفيلسوف اليهودى الإنجليز الذى نادى بإعطاء أفراد الأسرة من الأم والفتيات والغلمان حق التصرف

على هواهم رغم إرادة الأب » . ومن كتاب اليهود صمويل بيكيت داعية الصهيونية وهو يهودى من إيرلندا عاش فى باريس مع الصعاليك ودعا إلى مسرح اللامعقول وهو يحارب العادات والمفاهيم والقيم ويعمل على تحطيمها . ويقول (إلس) إن الكتاب الذين يجرى فى عروقهم دم يهودى كانوا فى طليعة الداعين إلى المذاهب المنافية للدين والآداب والمجتمع ، لقد تميز أكثر من واحد منهم بالأسلوب المنحط ، وفى الثورة الفرنسية لعب اليهود دوراً بارزاً بالنظر لقلة عددهم وكانوا ممن نظموا نهب الكنائس وفى القرن الـ ١٩ ساهموا فى نشر الثورة فى أوربا وهم الذين قضوا على الطابع المسيحى ، يقول دستوفسكى عام ١٨٨٠ : فاليهودى ومصرفه هما الآن سيدا الجميع وهما اللذان يهددان أوربا والتعلم والتمدن وبالأخص الإشتراكية إذ أن اليهودى يعتقد أنه بالاشتراكية يقتلع أصول المسيحية ويلاشى تمدنها وهم عاملون على بث الدعاية الخبيثة للمبادىء المماثلة للغرائز باسم المذاهب السياسية والاجتماعية والاقتصادية بحيث تسود روح هذه المبادىء على روح الإنجيل مع كتمان هذه السياسة وعدم إذاعة خطبها » . ويشير كثير من الباحثين أن إلى الصهيونية العلمية تستعين بالإسماء الكبرى فى العلوم والآداب والفنون وأنهم يذكرون ثلاثة :. اينشتاين : اليهودى صاحب نظرية النسبية أوينهامر :اليهودى أبو القنبلة الذرية . وايزمان ، اليهودى أبو القبيلة مخترع مادة الأسيتون . وهم يستفيدون من ضم هذه الأسماء اللامعة إلى الصهيونية : برتراند رسل ، فرنسو مورياك ، ألبرت شفاتيزر . وهم يغيرون أسمائهم ومعتقداتهم حسبما تشاءُ الظروف وحتى ينسى الناس صفتهم الأولى : ذرائيلى يصير لوردبيكو نسفيلد . بزواتشين يصبح تروتسكى . بلومفيليدين يصبح بلوم . جولد بيزج يصبح جولدنج وفى مجال الفن . شارلى شابلن يهودى هاجر من غالسيا إلى أمريكا ، وقد عرف بإضحاك الناس وخداعهم والسخرية بهم ويصفه القائمون بأمر الإعلان عنه بأنه الفيلسوف الذى يملأ العالم ضحكاً وجميع أفلامه تزعزع العقائد وتصرف الناس عن العواطف والإحسان والرحمة وتصف إنغماسهم فى الشهوات والماديات .

(٤) السموم فى الآداب والفنون

كانت التلمودية الصهيونية وراء الأدب والفنون حيث تخصصت فى تفريغها من الأصالة والقيم وكانت صناعتهم الغالبة هى القصة والرواية وما يتصل بها فى المسرح والسينما . حيث أقاموا قاعدة الأدب الخالى من كل دين المجرد عن اعتقاده وجود ديان يقضى بين البشر

وإنما مبناه على اعتبار الإنسان لذاته والعمل على مقتضى المنفعة والمطمع الفردى وقد عمد كتاب الصهيونية إلى توفير أسباب الفساد فى الروايات المكشوفة والصور العارية والأغانى البذئية . وكان لهم تأثيرهم الواضح فى الموسيقى – يقول هنرى فورد فى كتابه (اليهودى العالمى) : الموسيقى الشعبية الرخيصة هى احتكار اليهود وليست موسيقى الجاز إلا احتكاراً يهودياً . وليست هذه الحركات المثيرة بما فيها من قذارة والتى تتسق مع النغمات التى تبعث الغرائز إلا من عمل اليهود ، ولعل من الغريب أنك حيث التفت للتحرى عن الخطوط المؤذية للنفوس التى تسرى فى المجتمع تجد جماعة من اليهود خلفها ، فوراء الفساد فى لعبة الكرة جماعة من اليهود ووراء الاستغلال المالى جماعة من اليهود ووراء الدعاية للمشروبات الروحية جماعة من اليهود والسيطرة على السياسيات القومية الحزبية فى أيدى جماعة من اليهود وثمانون فى المائة من مستغلى الحروب هم من اليهود ومنظموا المعارضة الفعالة للقواعد والعادات المسيحية هم من اليهود . وفى هذا التعفن المسمى بالموسيقى الشعبية الذى يجمع بين تفاهة التفكير وبين الفجور الجنسى نرى أن اليد العاملة هى اليد اليهودية وهناك إجماع أن صناعة السينما تكاد تكون مشروعاً يهودياً بحتاً ، ومن الوسائل التى تقف خلفها التلمودية الصهيونية نجوم السينما والمسرح وفى هذا المجال تستطيع أن تقدم للعالم أفلاماً وروايات تحمل سموماً وأفكاراً تلمودية مضللة يأخذها المشاهدون وهم فى نشوة السرور والفرح دون معارضة » تقول البروتوكولات . سنلهى الجماهير بأنواع شتى من الملاهى والألعاب لملء الفراغ وسندعو الناس للدخول فى مباريات شتى فى كل أنواع المشروعات كالفن والرياضة وما إليها . وكذلك عمد كتاب اليهود إلى التأليف فى التنويم المغناطيسى والسحر وتحضير الأرواح والتنجيم وكذلك رؤية الأشباح وظروف وجودها وجهودها ، يقول الأستاذ سعد الخادم « شجعت هذه الأساليب من الخرافة والأوهام على تكوين جمعيات لا حصر لها أضاع فيها الشباب والشيوخ أعمارهم فى الدجل حيث علقت آمالهم على كشوف وهمية مزعومة . ويقول : لقد أوهموا الأدباء والشعراء بأن الانغماس فى الشهوات والانزواء فى شتى الانحرافات يهيء نوعاً من الفكر أو يجلى البصيرة عن عالم تندمج فيه الحقيقة بالخرافة ، ويتضح فيه رغم تناقضه معان مجازية متآلفة وقد انساق الشباب الموهوبون فى أنحاء العالم وراء الفسق باحثين عن مثيرات لشهواتهم وأحاسيسهم بغية كشف عالم المتناقضات ، ولقد أضاع فى مجال العربدة أيضاً من لا حصر لهم من شبان باحثين عن شهوات رخيصة قد تثير فى آدبهم أو شعرهم تلك الأساليب

المستحدثة فى التعبير التى يتميز بطابع الغرابة ويقول ؛ قامت فى مجال الفن التشيكى جماعات تنادى بالفوضى والحياد بعيداً عن كافة المفاهيم القديمة للفن مع تجنب التعليم والمرانة والحذق فى الأداء بل السعى وراء تعبير طليق مجرد من سائر هذه العوامل فيعبر الفنان عن انفعالاته الطارئة بالسبل التى يراها مهما كانت مثيرة للناس غريبة عنهم مفاجئة لمداركهم وقد جرت وراء هذا الركب جموع لا حصر لها من الشبان أضاعوا أعمارهم فى الهذيان محاولين استنباط مثيرات تذهل على حد زعمهم تلك العقليات الجامدة التى حادت عن تقبل أى تغيير فى مقاييس الفن . وجاءت النزعة السريالية وفقاً لهذه الخطة التى – وإن أحرزت السبق الفنى المطلوب على يد جماعة من الصهيونيين – انحرفت بعد قليل عن أهدافهم » . ويؤكد الباحثون أن اليهودية لم يكن لها فن خالص أو أدب خالص إلا ما نقلوه من العرب ، يقول الدكتور أحمد موسى أن اليهود تأثروا بالعرب فى مصر وشمال أفريقيا وأسبانيا وغيرها ونقلوا عنهم وكان الفضل فيما توصلوا إليه راجعاً إلى علوم الإغريق التى اشتغل العرب بترجمتها وقال ابن ميمون فى كتابه (مرشد الحائرين) أن ما اقتبسه اليهود من العلم والفلسفة كبصيص من النور وصل إليهم عن طريق العرب وقال العالم اليهودى مونك فى كتابه (مزيج من الفلسفة العربية واليهودية) أنه يؤيد فضل العرب على اليهود ويقرر بأنه لم يكن لبنى إسرائيل فيلسوف سوى ابن ميمون . ونقول أن ابن ميمون كتب باللغة العربية وعاش الفلسفة الإسلامية

(٥) إعلاء الجنس

وفى علم النفس كانت التلمودية الصهيونية من وراء مفهوم فرويد الذى أرجع كل الميول والاداب والدين والخلق والفن والصوفية والأسرية إلى الغريزة الجنسية كى يبطل قداستها ويسلب الإنسان الإيمان بسموها ما دامت راجعة إلى أدنى ما يرى فى نفسه من غرائز وبهذا تنحط فى نظرة صلاته ومجتمعه والكون وما وراه . ومن يقرأ فرويد يدرك تماماً أن ينفذ مخططاً يهودياً جباراً أراد أن يصم الجنس البشرى بأنه جنس متحلل ينطوى على أسوأ النوايا وأخس الرغبات وقد حمل مذهبه الناس إلى التشكك فى كل فضيلة وكل عاطفة رقيقة ولا ريب أن الحضارة بهذا قد وصلت إلى مرحلة الحيرة وعندما ينهك الفكر يكون الوقت قد أزف لكى يتقدم اليهود للاستيلاء على العالم . وقد أثبت كثير من الباحثين أن جذور الفكر الفرويدى ينبعث أصلا من التراث اليهودى الصهيونى والمتجه إلى تقويض الأسس التى تقوم

عليها حضارة الغرب والذى يعمل على تقديم هذه المفاهيم التى سيطرت على الأب والفن على نحو يغرى الناس بالتحلل وييسر لهم سبيله . وإذا كان فرويد قد بدأ بالتحليل النفسى وأدعى أن الجنس هو مصدر كل تصرفات الإنسان ، فإنه لم يلبث أن قدم نظرية متكاملة عن الحياة والتاريخ والحضارة هى تفسير جنسى للتاريخ كله . قامت على أساس المفهوم المادى واستهدفت هدم الدين والأخلاق من حيث رأيه أن الإنسان حيوان جنسى وأنه لا أصالة فى الحياة البشرية وإنما هى إنعكاس لشىء مادى وحيوانى وقد هاجم فرويد : الدين والتدين عموماً فى كتابه (مستقبل وهم) ويقول مؤلف كتاب (اليهودى طبقاً للتلمود) أن فرويد كان متشبعاً بالروح الصهيونية وقد إضلع بمهمة القضاء على المسيحية (موضوعياً وعملياً) كما اضطلعت اليهودية الصهيونية منذ ألفى سنة بمهمة القضاء عليها أيدلوجياً وعملياً وينشر المؤلف أن فرويد انضم وهو فى التاسعة والثلاثين من عمره إلى جمعية بناء برث اليهودية وواظب على حضور إجتماعاتها على مدى عدة سنين وألقى فيها أولى محاضراته عن تفسير الأحلام وهى جمعية فى أهدافها المعلنة أنها جمعية خيرية لا تهتم بالمناقشات الدينية والسياسية وقداحتوت الحركة الصهيونية هذه الجمعية فيما بعد ويقول المؤلف : كان فرويد يعرف (هرتزل) أول رئيس للحركة الصهيونية معرفة شخصية ويوليه الاحترام وقد أرسل إليه أحد كتبه مع عبارة إهداء شخصية إليه ويرجع المؤلف أنه كتاب تفسير الأحلام الذى ظهرت طبعته الأولى عام ١٩٠٠ وقد كشف الدكتور صبرى جرجس فى كتابه (التراث اليهودى الصهيونى والفكر الفرويدى) عن أن مفاهيم التحليل النفسى كانت أداة لتحقيق أهداف الحركة الصهيونية وقال أن التراث الصهيونى يتألف من ثلاث مصادر ١ ـ التوراة : وهى وثيقة سياسية عنصرية استخدمت العقيدة الدينية لتحقيق مخططها السياسى العنصرى . ٢ ـ التلمود : وهو تفسير المؤامرة فى إطار الفكرة السياسية العنصرية التى بدأتها . ٣ ـ نوع جديد من التراث لم يدون ولم ينشر لا بين اليهود أنفسهم ولا على الناس ، وإنما نقل خلفاً عن سلفاً فى تلقين شخصى محوط بطابع السرية ومن هنا نعلم أن الوجود اليهودى كله فكرياً ووجدانياً واجتماعياً وحضارياً يرتبط من جميع الوجود بمجموعة التعاليم والتقاليد والتفسيرات والتوجيهات والمحرمات التى يتكون منها ما يعرف باسم « التراث اليهودى الصهيونى » الملعن عنه والخفى . وحيث أن الوجود اليهودى يستمد مباشرة من التراث الدينى اليهودى الصهيونى فإن تلك الموجودات (بما فيها فرويد بطبيعة الحال) إنما تسلك طريقها وفقاً للتراث الدينى اليهودى الصهيونى .

ولما كان التحليل النفسى نتاجاً لأحد هذه (الموجودات اليهودية) الذى هو فرويد ، كان من المحتم أن يكون التحليل النفسى فكراً يهودياً صهيونياً . ويقول الدكتور جرجس : هل كان من الميسور لفرويد ، وهو يخطط للإنسان شخصية ويرسم له طريق حياته أن يتحرر من يهوديته ومن أثر التراث اليهودى والصهيونى الذى كان سائداً على نحو قوى فى البيئة التى نشأ وعاش فيها ، أنه ما كان مستطيعاً طبقاً لنظرية الوجود اليهودى ويقول الدكتور صبرى جرجس : إن اليهودية استطاعت إيجاد نقط التقاء أيدلوجية بينها وبين القوة الدينية النامية فى عالم الغرب : قوة المسيحية البروتستانية حتى ليمكن القول أنها مضت فى احتوائها الى حد غير قليل ويتضح ذلك من اقتناع البروتستانية بأن التوراة هى المنبع الروحى للمسيحية وأن نقطة الإلتقاء الأساسية هى اضطهاد الكاثوليكية . ويقول : احتضنت المسيحية البروتستانية اليهودية بجامع المشاركة فى الاضطهاد الكاثوليكى ومن هنا كانت بريطانيا فى عهد أوليفر كروميل أول بلد أتاح لليهودية فرصة السيطرة على أقداره ». ويقول : أن التوراة لا تزيد عن كونها مجموعة من الخرافات والقصص التى صيغت فى نسق أسطورى حافل بالإثارة مجاف للعقل والمنطق غاص بالتناقضات مشبع بالسخف مفعم بمشاعر العدوان والتعطش إلى الدماء وهى تعكس تفكيراً بشرياً محضاً من اللون الذى كان سائداً فى الشرق الأدنى القديم فى ذلك الحين ومرادف لأمثاله من الأساطير والطقوس والاتجاهات الفكرية والعقائدية المميزة لحضارات ذلك العصر ، كل ذلك فى إطار سمات نفسية تغذيها نزعات الجشع والغرور والاستعلاء ويحركها دافع العرق والعنصرية والعدوان الذى لا يهدأ حتى مع الدم المراق .

(٦) هـدم المجتمع

فإذا ذهبنا ندرس الأيدلوجية اليهودية التلمودية فى مجال المجتمع وجدنا أخطر مقرراتها . فالدعوة إلى هدم الأسرة والأخلاق والدين دعوة تلمودية صهيونية والدعوة إلى الإباحة من صميم ماخططت له بروتوكولات حكماء صهيون لفرض السيطرة على العالم ، باستخدام كل الوسائل وإشاعة الأدب المريض القذر : يقول البرتوكول ١٣ : سننشر بين الشعوب أدباً مريضاً قذراً تغثى له النفوس ويساعد على هدم الأسرة وتدمير جميع المقومات الأخلاقية للمجتمعات المعادية لنا وسنستمر فى الترويج لهذا الأدب وتشجيعه حتى بعد فترة قصيرة من الاعتراف بحكمنا ». ومن هذا الأدب المريض القذر تنطلق الدعوة إلى الإباحة المطلقة لهدم الأسرة وتدمير الأخلاق

فى المجتمع . ولا ريب أن هدم الأسرة وتدمير أخلاق المجتمع هما هدم لمناعة الأمة للمقاومة وقدرة الدولة على ردالتحدى . أنهم يجدون فى هذا التهديم الاجتماعى قوة فاعلة أكثر من التهديم الأيدلوجى الذى يرجون له فى الحركات الفلسفية والاقتصادية والعلمية التى يطلقونها بتوقيت معين . أن اصبعا من الأصابع اليهودية وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية وترمى إلى هدم القواعد التى يقوم عليها مجتمع الإنسان فى جميع الأزمان . خلق فرويد الإباحية الحديثة على نمط الوثنية الأغريق ومجد الغريزة بحيث أطلق عنان الشهوات البشرية ورخص للرجل والمرأة أن يفعلا بجسدهما ما شاءا ، وبرر توماس مان عشق الذكور فى قصة (الموت فى البندقية) ووصف مرضى الصدر بأنهم حيوانات متعانقة تتخذ من يأس الشفاء عذراً للتسافد فمصحات الجبال مواخير للمرضى تحت مراقبة الأطباء الذين لا يملكون منعهم . وتنادى التلمودية الصهيونية بضرورة تحطيم نظام الأسرة والقضاء على الروابط العائلية وجعل الولاء مقصوراً على السلطة الحاكمة التى تملك كل شىء بما فى ذلك عقول الناس وضمائرهم ، وأن النظام الأمثل للأسرة هو النظام المفكك الذى يجعل الأسرة أفراداً متفرقين يرتابون فى بعضهم البعض وتدعو التلمودية الصهيونية إلى الزواج العقيم لاستنزاف قوة الأمة ، قال دالمار :أن الماسونية بنشرها أسباب الفساد والخلاعة قد أضرت بفرنسا أكثر من الحرب السبعينية فخسرت عدداً وافراً من الرجال ، وأن التعليم اللاديني يفسد قلوب الشباب ويعرض لأخطار الرزيلة فضلا عن المضاربات والمقامرة وألعاب البورصة . ويعد أميل دور كايم من أخطر العاملين فى حقل الهدم الإجتماعى . يقول دور كايم : الأخلاق ليست قيمة ذاتية ولا ثابتة وإنما تأخذ صورتها من المجتمع الذى توجد فيه ، وأن الدين والزواج والأسرة ليست نزعات فطرية فى الإنسان وقد ركز دور كايم على نفى القداسة عن الدين والأخلاق وشكك فى قيمتها وخلاصة مذهب دوركايم أن الفرد لا قيمة له ولا معنى وأن القيم كلها للمجتمع يقول دوركايم :أن الجريمة ظاهرة سوية أما الزواج فهو ليس من الفطرة. ويرى العقاد أن دوركايم هو رسول الماركسية فى ميدان العلم الاجتماعى تكفل بنقل آراء كارل ماركس من مباحث الاقتصاد والسياسة إلى مباحث الاجتماع والأخلاق وخلاصة مذهبه أن الفرد لا قيمة له ولا معنى للحرية الفردية وأن القيم كلها للمجتمع الذى يخلق الأديان والقيم الروحية وكلها عبث لا قيمة مالم يكن فى نطاق من نظم الاجتماع .

(٧) الفلسفة المـادية

يرى كثير من الباحثين أن الفلسفة كان فى مستطاعها أن تشق طريقها حتى تصل إلى العلم من ناحية وإلى الدين من ناحية أخرى ولكن تداخلات التلمودية اليهودية منذ اسبنوزا قد حالت دون ذلك وحولت دفة الفلسفة إلى المادية والإلحاد وأنه كان من أهم آثار إنشاء المذهب الإنسانى العمل على سلخ الفلسفة عن الدين والعمل على إقامة فلسفة خصيمة للدين فقد صاحبت ظهور ما أطلق عليه الدين الطبيعى موجة التشكيك فى أصول الأخلاق ومبادىء المعرفة وإذاعة الإلحاد . وإنكار ما وراء الطبيعة والتمسك بالتجربة والمحسوس . وقد تشكلت المذاهب المادية لتضرب الدين والمسيحية والمثالية التى كانت ذات ارتباط ما بالدين والمسيحية ، وترى المذاهب المادية إن الوجود الأصلى للأشياء هو المادة.وتعارض المادية مفهوم المثالية الذى يعترف بوجود العقل والروح وترى الفلسفة المادية إن العقل متولد من المادة ، والعالم فى رأى الفلسفة المادية مكون من عنصر واحد هو المادة وحسب وليس فى الكون عنصراً آخر غيرها . ولا تؤمن الفلسفة المادية بالدين وهى ترى أنه نظام من وضع البشر ولا تؤمن بوجود الخالق ولا الحياة الأخرى وترى أن الموت ما هو إلا تغيير يطرأ على المادة فيحولها من حالة إلى أخرى . والمادية تنكر الغائية وترى أن الكون آلة كبيرة جاءت عن طريق المصادفة وستبقى دائبة على العمل من دون هدف تسعى إليه . وليس المذهب المادى جديداً فقد كان معروفاً فى العصر اليونانى ولم يزد اليهود عن أنهم جددوه ، واستغلوه فى تدمير الفكر الغربى المسيحى ، والهدف الأكبر هو هدم الدين .ولذلك فإن الثلاثة اليهود الكبار كانوا يستهدفون هدم الدين يقول ماركس : الدين أفيون الشعوب . ويقول فرويد : إن الدين ناشىء عن الكبت ويقول دوركايم : إن الدين ليس فطرة . وقد استغلت التلمودية الصهيونية علم مقارنات الأديان لعرض مفهومهم الزائف ومحاولة إحتواء مفهوم التوحيد والسيطرة عليه بمفاهيم الإله القبلى والتعدد . وأخطر مفاهيم التلمودية هو إنكار البعث فليس فى تعاليمهم ولا شريعتهم ذكر الروح ولا اعتراف بحياة أخرى بعد الموت ، ولم يرد فى دينهم شىء عن الخلود وهم يؤمنون بالإله يهوه وهو إله خاص بهم وحدهم دون البشر ، وهكذا تطغى النظرية المادية على عقيدتهم طغياناً كبيراً ولذلك فهم يحاولون أن ينفثوا فى الثقافات العالمية أنه لا حياة بعد الموت وأن على الناس أن يستمتعوا باللذات فى حياة ليس بعدها جزاء ، ويقولون أن ليس للإنسان خير من أن يأكل ويشرب وهم يطالبون بالحرية الدينية ويعنون بها التحرر من الأديان حتى

لا يكون هنا يهودى ومسيحى ومسلم وإنما «مواطن عالمى» ولكن اليهود أنفسهم من أشد الناس تعصباً لدينهم فهو دين مغلق عليهم يتوارثونه وحدهم . ومن هنا كانت دعوتهم إلى العالمية : تعنى إنهم يطالبون بتحطيم كل ماهو قومى فلا يجد اليهود أنفسهم قومية ضئيلة أمام قوميات هائلة وهم فى نفس الوقت أشد الناس تعصباً للصهيونية أى القومية اليهودية ويرون أن كل يهودى فى أى مكان هو صهيونى . وهم يخشون من الأديان لأنها تجعلهم الدرجة الثانية بعد أصحاب البلاد سواء أكانوا مسيحيين فى الغرب أو مسلمن فى الشرق . ومن هنا قولهم المضلل بأن الدين فقد مركزه ودعوتهم إلى إبعاد الدين دفعاً للحروب وقد استطاعوا فى الغرب بمحاولاتهم المتكررة أن يسقطوا قيمة الدين فى نظر الأوربيين ، واستطاعوا أن يوجهوا إلى المسيحية شبهات كثيرة منها أنها لا تنى بحاجة النفس الإنسانية ولا تحقق غاياتها وأنها تحرم الإنسان الكثير من اللذات حين تدعو إلى الزهد ولكن التلمودية لاتستطيع أن تجد لذلك كله مجالا فى محيط الإسلام .

(٨) الحضارة : وهل لهم دور فيها

لقد شغل الباحثون أنفسهم بدراسة موقف اليهود من الحضارة : وهل كان لهم دور فيها وتكاد تجمع هذه الأبحاث أن دور اليهود فى الحضارات كان متصلا بانهيارها لأنبيائها . وأنهم لم يقوموا على بناء حضارة ما وإنهم هدموا كثيراً من الحضارات التى خضعت لمفاهيمهم الهدامة ولأسلوبهم فى إقامة الربا أساساً للاقتصاد وفى أخلاقياتهم التى تدعو إلى الوحشية والبدائية وإهلاك الحرث والنسل . ولقد أشار جيبون وتو ينبى إلى دور اليهود فى هدم الحضارة الرومانية حين أثاروا الفساد فى المجتمع الرومانى مما عجل بانهيار الحضارة أما فى الحضارة الأوربية الحديثة التى قامت أساساً فى عصر النهضة وهم مطرودون من أوربا ، فإنهم ما لبثوا أن عادوا فى القرن السادس عشر حتى أعلنوا المادية إنطلاقاً إلى التحلل والأباحية التى سادت المجتمع الغربى من بعد ثم سيطرت عليه سيطرة تامة حتى اليوم .وتجمع المراجع المختلفة لدراسات الحضارة عن أن اليهود لم تكن لهم علوم أو فنون ولم يكن لهم حق فى الأرض التى يحتلونها ولم يخلفوا وراءهم آثاراً حضارية ما وأنهم كانوا يستولون على ميراث الأمم وينسبوه إلى أنفسهم كما فعلوا حين نقلوا تراث البابليين واليونان القدامى وسيطروا على الفكر الغربى الحديث وحولوه وجهتهم التلمودية . ولقدعاش اليهود حياة التشريد والنفى منتقلين من مكان إلى مكان لم يقر لهم قرار فكيف يمكن أن تقوم لهم حضارة أو تكون فنون وآداب وهم فى

كل أرض عزباء ولذلك فقد كانت تقاليدهم وعاداتهم وديانانهم مستعارة ومقتبسة ومسروقة من الدول المجاورة كما أشار إلى ذلك جوستاف لوبون فى كتابه عن اليهود والحضارة الذى صدر عام ١٨٨٩ الذى ناقش الكثير من الآراء والنظريات التى أدعى اليهود لأنفسهم فى مجال الحضارة وأبطلها بوثائق التاريخ وما كتبوه عن أنفسهم . ويركز جوستاف لوبون على طابع القسوة العنيف الذى عرف عن اليهود ،فى صراعهم مع الأمم وكيف إن من شأن هذا الطابع أن يبيد الحضارات ويهدمها ولا يكون عاملا فى بناءها يقول: « إقرأ التوراة تجد فيها جميع أنواع الوحشية والندائية وفى سفر يوشح يقال لهم : أهلكوا جميع ما فى المدينة من رجل وإمرأة وطفل وشيخ حتى الغنم والحمير بحد السيف وأحرقوا المدينة وجميع ما فيها بالنار بينما نجد العرب كانوا ينفذون وصية أبى بكر « لا تقتلوا طفلا صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا إمرأة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه » .

ولقد كشف كتاب الغرب عن دور اليهود فى تهديم الحضارات والأمم وتاريخهم فى البشرية هو تاريخ التهديم والإبادة : يقول فينسكى فى تاريخ الوطن القومى لليهود : أنهم يبحثون عن وطن منذ الخليقة إلى الآن فحاولوا الاستقرار فى العراق وأراضى الكلدانيين وفى اليمن وفى سهول روسيا وتركيا واليونان وبولندا وانكلترا وكل بلد تظله السماء ولكنهم دائماً فى قلق وحيرة لا يشعرون بالهدوء لقد طلبوا الوطن فى أرض كنعان فأهلكوا الحرث والنسل وأبادوا الشعب تقريباً ثم نزحوا إلى أورشليم فهدموها وأغاروا على قبرص وذبحوا فى يوم وليلة مائتى ألف نفس حتى صبغوا البحر الأبيض بالدماء ويقول بلاكهم فى كتابه الحضارة واليهود : لا الذكاء والمكر ولا الجمال والنفوذ بقادرة متفرقة أو مجتمعة على أن تعيد مجد اليهود الذى فقدوه بأطماعهم وأثرتهم واستغلالهم للبشرية على مدى الأجيال والقرون ويقول برنزويك . إن سبب كراهية الإنسانية لبنى إسرائيل كراهية لا يوجد مثيل لها بين شعوب الأرض واعتقاد الطائفة أنها شعب الله المختار وأنها ملح الأرض فانتفخت أدمغتها وظنت أن أمم الله مسخرة لخدمتها . وأشار بيتمان فى كتابه اليهود المعاصرون إلى مؤامرات اليهود فى سبيل هدم الحضارة ، وفى مقدمة ذلك قضية دريفوس الذى تجسس وهرب أسرار الحرب والجيش ، ثم كان موقف اليهود فى إنقاذه فقد دفع روتشيلد أكثر من مليون جنيه كما دفعوا عشرة ملايين روبل ذهب لإنقاذ بوحروف اليهودى الروسى الذى اتهم فى أوديسيا بأنه ذبح صبياً ليلة العيد ليخلط دمه بفطير الفصح .

(٢) أما دورهم فى الآداب فقد حددت هدفه المدمر مؤلفات ماكس نوردو وفرويد وكلها تدعو إلى التحلل الأخلاق وخاصة فرويد الذى دعا إلى الإباحية الحديثة ودعوه توماس مان إلى عشق الذكور . وكان للربا آثاره البعيدة وأخطاره القاسية فقد أشار كلمان دوبلكس فى كتابه حرب اليهود والعالم : لقد دلت التجارب الاقتصادية والإجتماعية على أن البلادالتى ازدهر فيها الربا فقدت التعاطف والتراحم من بينها وحلت القسوة فيها محل الحنان والعدل حتى أن الفقير ليموت جوعاً ولا يجد من يسعفه رمقة . وهكذا نرى أن الحضارة الأوربية قد صبغت بألوان النفسية اليهودية ففشت فيها الأطماع المادية حتى صاروا لا هم لهم إلا جمع المال . وفى سبيل إقامة امبراطورية الربا عمد اليهود إلى تهديم الحضارة بتفكيك الأخلاق وتسهيل سبل الشهوات فى المصايف وملاعب القمار والملاهى وصنع أشرطة الصور المتحركة للشهوات والحث على الجرائم واللذات البهيمية واختراع أنواع الرقص الخليع بأنواعه وإعداد المغانى والغوانى والقيان والقنانى للراغبين وابتداع مسابقات الجمال والاتجار بها واختيار ملكات المحاسن فى الشرق والغرب وعبادة المادة فى كل شيء ونشر صحف المجون والفسوق مثل جاذبية الجنسين . وما لا تجوز تلاوته إلا بين عاشقين وهم أصحاب الكتب المحظورة والصحف الفاسقة الكاشفة القناع عن أسرار الجرائم تحت ستار التحقيق الجنائى وما هى إلا تحريض خفى لإقرانها بطريقة الإيحاء التى يجيد اليهود توجيهها نحو الجماعات والأفراد بفضل شيخ الطريقة المضللة : فرويد وقصص الفسوق التى حذق تأليفها أمثال موريس ديكوبرا ، وجوزيف كيسيل ، وأندريه مروا وعشرات أمثالهم وقد رددت كتابات الأوربيين هذه الظاهرة الواضحة : ظاهرة خلو تاريخ اليهود من بناء أى حضارة فهم لم يساهموا قط بظهور الحضارة الأوروبية أو تطورها وإنما استغلوا دور الإنحلال الذى تمر به وقاموا بالسيطرة عليها وتوجيهها لخدمة أغراضهم هذا إلى أن النازية كانت أول من نبه إلى دور اليهود فى سرقة واقتناص الحضارة الأوربية ، فقد برهنت النازية العالم أجمع على أن اليهود دخلوا هذه الحضارة من باب المال والربا والانحلال الخلقى وليس عن طريق الجهود الخلاقة وباندحار الحركة النازية عاد اليهود بسرعة أكثر وقوة أشد إلى متابعة عملية سرقة الحضارة الأوربية والسيطرة عليها بواسطة نفوذهم المتشعب فى أوربا وأمريكا والمذعوم بالتعصب المستمد من النكبات والثورات وساعدتهم الظروف على ذلك عندما انتقل مركز الثقل فى العالم فى عقب الحرب العالمية الثانية من أوربا إلى أمريكا ولا شك

أن اليهود قد ساهموا فى هذا الانتقال بعد أن استجابت لهم الرأسمالية الأمريكية بسرعة ما كانوا يحملون بها . وتشير الأبحاث إلى ما يسمونه (عملية تبادل منافع بين الحضارة الأوربية واليهود) فالحضارة الأوربية تستخدم اليهود ودولة اسرائيل كأداة عدوان وتحطيم ضد الشعوب الناهضة كما كانت تفعل ذلك كل حضارة فى دور انحلالها الباطنى . واليهود يستخدمون الحضارة الأوربية بأنظمتها واختراعاتها ومنتجاتها لتحقق أغراضهم الخاصة ، ومن ثم فقد استطاعوا التغلغل إلى جميع مراكز هذه الحضارة وإثبات وجودهم فى كل مظاهرها والسيطرة على كثير من أجهزتها ولذلك فإن كل كفاح موجه إلى إسرائيل هو موجه أيضاً إلى الاستعمار الأوربى والأمريكى فالاستعمار واليهود وإسرائيل قوة واحدة تهاجم معاً وتدافع معاً . ومن هذا كله نرى فساد النظرية التى تطرحها الصهيونية والتى تقول بأن لليهود فضل على الحضارة الإنسانية. ذلك أن اليهود لم يلعبوا دوراً إيجابياً فى بناء الحضارة وإنما استغلوا معطياتها التى وصلت إليها وحاولوا توجيهها لمصلحتهم ولتحقيق هدفهم وأنهم عندما ظهروا على مسرح التاريخ عام ١٢٠٠ قبل الميلاد كرعاة رحل كانت الأمبراطورية الفرعونية قد شيدت مئات المعابد والأهرام والسدود وأبدعت علم الفن المعمارى وعلوم الفلك وأن المملكة العبرية الموحدة على يد داود ظلت مملكة صغيرة تتنازعها الأمبراطوريات المختلفة المجاورة لها . ولا توجد أى مساهمة حقيقية من جانب اليهود القدامى فى ثراث العالم القديم وأن الأقليات اليهودية فى شرق أوربا التى تبنت الصهيونية كانت أكثر القطاعات البشرية تخلفاً فى أوربا وينظر اليهود فى حقد بالغ إلى امتلاك المسلمين والعرب لموارد بشرية عظيمة وموقع استراتيجى باهر ويحاولون فى دأب ومثابرة تدمير هذا الوجود ، وهم من وراء الغاية المدمرة التى أحاطت مشعل الحضارة من نور يهدى إلى نار تحرق وتاريخهم وأفكارهم ودعوتهم وخطتهم أكبر شاهد على ذلك ولا ريب أن فكرتهم عن الحضارة المستقبلة التى ترث الحضارة الغربية المسيحية هى فكرة مسموعة ذلك أنهم يرون أن الحضارة الغربية فى طريقها إلى التفسخ لكى تقوم بدلا منها حضارة يهودية أكثر إمعاناً فى المادية وتاريخ الحضارات يؤكد بطلان هذه المظاهرة فإن الحضارة الغربية المسيحية اليوم حضارة محتواة من الصهيونية التلمودية وسيكون ذلك نهاية الدور الغربى وبدأ دور آخر جديد لن يكون اقتصاد الربا من أهدافه ولا ريب أن هناك أكثر من نذير قوى يقول أن : أسلوب الحضارة العالمية الحديثة مهدد بالإنهيار مادياً ومعنوياً ومهدد بالإفلاس الأخلاقى الساحق ، بالرغم من توسع المعرفة واتساع نطاق العلوم

والتقدم المذهل فى الصناعة والثراء العريض والقوة الهائلة فى هذه الحضارة ذلك أن هذا التقدم كله لم يحقق قيام المجتمع الربانى ولم يشجع اتجاه النفس البشرية إلى الخير والتقوى ولم يوقف سبيل الفساد والخطايا التى تدمر حياة الإنسان . وقد جاء ذلك نتيجة الدورالذى قامت به الصهيونية التلمودية بالسيطرة على الفكر الغربى المسيحى وتحويله إلى نطاق الفكر المادى الوثنى الإباحى الذى عرفته الحضارة الرومانيةفى مرحلة فسادها وانهيارها . فقد أعادت الصهيونية العالمية بسيطرتها العالمية على الفكر الغربى إحياء ما كان الفكر الغربى نفسه قد رفضه أولا أعادت إحياء (بيرون وفضائحه) وأعادت نشر مذكراته الفاضحة وإحياء (أوسكار وايلد) ومذكراته بعد أن حوكم واهين وسجن وأعادت إحياء قصة ليدى شترلى بعد أن هوجمت عندما ظهرت أول مرة وقد أصبح اليوم معقولا ومباحاً كل ما كان فى نظرالادب الغربى انحلالا نفسياً واخلاقياً فى السابق فقد استطاعت التلمودية الصهيونية بعثه اليوم وتجديده على أنه قمة من قمم الفن والأدب الرفيع وهذا مؤشر خطير يؤكد التحول المدمر الذى وصل إليه المجتمع الغربى فى ظل المادية الإباحية التى فرضتها مفاهيم فرويد وماركس وسارتر وكلها تتصل بسبب إلى الأيدلوجية التلمودية التى تستهدف تدمير العالم . وجملة القول :أن اليهود عاشوا حياتهم على مدى التاريخ بين السبي والشتات والاضطهاد وأنهم أقاموا دائماً فى الجيتو الخاص حتى أخرجتهم الثورة الفرنسية

خامساً

المخططات الصهيونية التلمودية فى غزو الفكر الإسلامى

(١) التاريخ القديم

جدد اليهود الأبحاث فى التاريخ القديم والأديان والأنثربولوجيا (علم الإنسان) واللغات وحاولوا أن يزيفوا ويبدلوا ويغيروا ، يلتمسون ما يستطيعون التماسه من القرائن والمعارضات والتناقضات بفكر مسبق يستهدف إثبات أن لهم حقاً فى فلسطين وأن لهم تاريخاً متصلاً وأثراً فى الفكر الإنسانى ودوراً فى الحضارة . يحاولون ذلك من خلال إعادة كتابة تاريخ البشرية وتاريخ الأديان وتاريخ اللغات فى معارضة واضحة للتاريخ الإنسانى الصحيح وتشويه للفكر الإسلامى ومحاولة لهدم الحقائق التى كشف عنها القرآن الكريم إزاء ما زيفته التوراة المكتوبة بأيدى الأحبار فى بابل إبان السبي البابلى أو ما قرره زعمائهم فى خطط التلمود بعد

زعمائهم فى خطط التلمود بعد تدمير الهيكل عام ٧٠ ميلادية بدأت هذه المحاولات بنشر التوراة متصلة بالإنجيل على ما بينهما من تناقض واختلاف وذلك لحمل المسيحيين على تبنى دعواهم الباطلة فى الوعد الإلهى لإبراهيم الذى يحاولون قصره على اسحق وأبناء إسرائيل وحجب اسماعيل أبى العرب والمسلمين وابن ابراهيم الأكبر ثم محاولة إيجاد تاريخ لهم فى فلسطين فى حين أنه لم يكن لهم وجود قائم أو مستمر فى فلسطين والحقائق التاريخية الصحيحة تدمغ اليهود بأنه لم يكن لهم وجود قائم أو مستمر فى فلسطين وأن العرب أقدم منهم فى استيطان فلسطين وأن الفترة التى قضاها العرب فى فلسطين قبل وبعد الفتح الإسلامى هى أطول كثيراً من تاريخ اليهود فيها وأن الإسلام قد ألقى إليه ميراث النبوة كله وأن الحق تبارك وتعالى أورث محمداً صلى الله عليه وسلم الأرض المقدسة وجعلها لأمته إلى يوم الدين وأن عمر بن الخطاب أجلى فلول اليهود من فدك وتيماء ووادى القرى . وأن الثابت تاريخياً أن العبريين الذين عبرو نهر الأردن إلى فلسطين بين ١٤٠٠ و ١٢٠٠ قبل الميلاد لم يحكموا فلسطين إلا مدة ١١٣ عاماً خلال تاريخها كله الذى يمتد أكثر من أربعين قرناً وقد استولى العبريين على السلطة فى فلسطين من عام ١٠٥٠ إلى عام ٩٣٧ ق. م ثم زال حكمهم نهائياً وأن الأشوريين قضوا على مملكة إسرائيل فى الشمال بعد خمسة عشر سنة من قيامها وقضى (نبوخد نصر) على المملكة الثانية عام ٥٨٦ قم ثم قامت دولة عبرية بالغة الصغر عاشت حوالى القرن حتى الغزو الرومانى عام ٦٣ قبل الميلاد وفى العام السبعين بعد الميلاد أخذت جماعة من اليهود تقوم ببعض الفتن فسحقهم تيتوس الرومانى قال جورج ايبر فى كتابه (السراب الصهيونى) : لم يكن اليهود أول من احتل فلسين ولم يقطنوها قط وحدهم وأن فلسطين اجتذبت إليها كثيراً من الغزاة منذ فجر التاريخ بسبب كثرة خيراتها وموقفها الاستراتيجى إذ أنها أحد الجسور الرئيسية التى تصل بين أوربا وآسيا ، كذلك فقد أثبتت الوقائع التاريخية أن اليهود لم يجتمعوا كلهم قط فى فلسطين فقد كانوا موزعين فى بلدان كثيرة من العالم كما هم اليوم وهم لم يحكموا فلسطين كلها فى يوم من الأيام والفترة التى أقاموا فيها مملكة كانت فترة قصيرة جداً (مملكة داود وسليمان) ولم يشكلوا أكثرية فى فلسطين وليسوا هم سكانها الأصليين وإنما كان وضعهم الطارىء فيها دائماً وضع المحتلين وهو شبيه بوضعهم اليوم وأن اليهود الذين قدموا ويقدمون إلى فلسطين فى السنوات الأخيرة مهاجرين من أوربا الشرقية وروسيا لا يمتون إلى اليهودية بصلة . يقول دانيال بلس المؤرخ الكاثوليكى لفجر المسيحية : كانت

هناك ملايين من اليهود تعيش خارج الأرض المقدسة وهذه حقيقة كان يعرفها كل من عاصر المسيح . كذلك فقد أثبتت الحقائق التاريخية فى مواجهة أباطيل الصهيونية بتزييف التاريخ أن اليهودية ليست دما وليس يهود اليوم هم أبناء أولئك الذين سكنوا فلسطين فترة قصيرة من الزمن فاليهود اليوم قسمان : اليهود الشرقيين الذين يعرفون باسم (السفردين) وهم يتناقضون تناقضاً صارخاً مع اليهود الآخرين فى امزجتهم وتقاليدهم . والقسم الثانى من اليهود : هم الغربيون المتهودون وإليهم تنسب الغالبية العظمى من الصهيونيين . وقد أثبت (ماسنبون وريسلر) أن الغربيين المتهودين يختلفون عن اليهود الشرقيين حتى فى سماتهم الجسدية ولا صلة لهم إطلاقاً بقدامى العبريين فهم قوم تهودوا فى فترات من التاريخ الوسطى خاصة وهم يعرفون باسم الاشكنازيين ويتكلمون لغة تسمى (البدش) وهى إحدى اللهجات الألمانية العامة المحشوة بكلمات عبرية محرفة على الأغلب .

(٢) وهناك تلك الحقيقة التى يحاول اليهود إخفاءها للمراوغة وللإدعاء بأنهم يهودى بنى إسرائيل وتلك هى وتلك هى أصل يهود أوربا ولذلك فهم يحولون بين ورود مادة (الخزر) فى معظم دوائر المعارف العالمية حتى لا ينكشف أن هناك شعباً تهود قبل المسيح بقرنين أو ثلاثة فى الحوض الشمالى لنهر الرين بأوربا ثم تفرع هذا الشعب الذى اعتنق اليهودية إلى جماعات متعددة ، استوطنت بولندا ووسط أوربا وروسيا الغربية وقد تضخم عدد هؤلاء القوم حتى صار تسعة أعشار العالم اليهودى وقد لقب علماء الأجناس البشرية هذا الشعب اليهودى باسم (الاشكنازم) ومن هؤلاء جاء أصحاب الدعوة الصهيونية إلى فلسطين مهاجرين بعد مقتل قيصر روسيا ومعنى هذا أن تسعة أعشار يهود العالم هم من سلالة غير سلالة يعقوب (الذى هو إسرائيل) وأن هؤلاء اليهود الذين يتصدرون الدعوة إلى الصهيونية من سلالة جرمانية سلافية أوربية محضة بدأت تتكاثر منذ القرن الثالث الميلادى . ويقول لامبروزو : أن يهود العالم الجديد أدنى إلى الجنس الارى منهم إلى الجنس السامى وهم عبارة عن طائفة دينية تميزت بميزات اجتماعية واقتصادية وانضم إليهم فى جميع العصور أشخاص من شتى الأجناس ومن مختلف البشر منهم الفلاشا سكان الحبشة والألمان والشامل اليهود السود من الهند ومنهم الخزر من الحبشى التركى . وقد أيد هذا القول (ريبلى وريتان) . ومعنى هذا أن تسعة أعشار يهود العالم يختلفون عن سلالة أجدادهم اختلافاً واسعاً ليس له نظير وأن الزعم بأن اليهود جنس نقى حديث خرافة . وجملة القول أن اليهود القائمين بحركة الصهيونية ليسوا من بنى إسرائيل وإنما من هم

جنس خزرى آرى وأنهم دخلوا فى صراع مع المسيحية الأُرثوذكسية فى روسيا وبولندا وأنهم قتلوا وشتتوا بعد اغتيال القيصر.

(٣) إن التوراة التى يثير اليهود حولها ضجة كبرى ويحاولوا أن يجعلوها مصدراً من مصادر التاريخ هى كتاب بشرى كتبه أحبار اليهود بأيديهم فى منفاهم البابلى وليس لها أى قيمة علمية أو تاريخية وليس فيها أى نفحة من نفحات الروح أو الإيمان أو الخير فهى تصور اتجاهاً عنيفاً قاسياً مستعلياً على البشرية ، يريد أن يسيطر ويدمر ويقتل،وترسم طريقاً عنصرياً يحجب حقائق التاريخ الأصيل وينكر صحائح الأُمور ومن أبرز وجوه بطلانها إنها لاتعترف باسماعيل أبى العرب ولا تعترف من أبناء ابراهيم إلا باسحق ويعقوب وأنها تقوم على العنصرية . وأنها تجعل العلاقة بين الأنبياء وبين الله تبارك وتعالى علاقة صراع قائمة على عدم الثقة وقد أشار كثير من الباحثين إلى التشابه بين التوراة وبين أساطير اليونان ومن المقارنة بين قصة بدء الخلق كما وردت فى التوراة وبين الأساطير السومرية وبين ملحمة الوجود البابلية لا نجد اختلافاً جوهرياً،هذا فضلا عن التباين بل التعارض الذى اشتمل عليه سفر التكوين فى وصف بدء الخليقة حيث تتكرر إذدواجية الروايات التى توهم بأنها استقيت من نصين متقابلين إحداهما إسرائيلى المصدر والاخر يهودى (نسبة إلى مملكة يهوذا فى الجنوب) . ومن هذا التباين بين وجهات نظر مختلفة مثبتة هنا وهناك لم يسع الخبراء آخر الأمر إلى إلا أن يقطعوا بأن النصوص التورانية إنما تعود إلى توليفات مستقاة من أربع مصادر رئيسية على الأقل . غير عددمن روافد وفروع ربما امتد بعضها إلى ماثوارث لم تكن تمت إلى بنى إسرائيل أو إلى بنى يهوذا أصلا إلا أنها صارت بمرور الزمن شائعة مشتركة بين شعوب المنطقة جميعاً . وقال الباحثون أنه منذ أن أخضعت التوراة للنقد فى القرن السادس عشر كأى كتاب بدأ فريق من العلماء المسيحيين فى دراسة التوراة دراسة نقدية وخرجوا من دراساتهم ببعض نتائج أهمها أن التوراة لم تكن من عمل موسى وإنما كتبت بعده بقرون طويلة . وأن الاختلافات جوهرية بين المسيحيين واليهود فيما يتعلق بكثير من النصوص الواردة فى هذه الأسفار وأن نظرة المسيحيين إلى العهد القديم تختلف بين الكاثوليك والبروتستانت الذين يضيفون إليها سبعة أسفار لا يعترف بها الآخرون وأن بين البروتستانت واليهود توافقا فى بعض المضامين وأن عقيدة التوحيد التى تقدمها التوراة قائمة على ركائز من وثنيات موغلة فى القدم حين كانت الأقوام تتمثل الرب أحياناً فى صورة مزدوجة متراوحة بين خير وشر

وهكذا نجد أن كل ما أورده اليهود فى توريا ، استقوه من ينابيع عديدة وحضارات مختلفة وبالإضافة إلى هذا التزييف نجد أن التوراة صمتت إزاء كثير من الحقائق التى أوردها القرآن فالتوراة لم تذكر عبارة البعث التى ذكاها القرآن ولم تفصل خلق آدم . وتصور التوراة خطيئة آدم تصويراً بشرياً صرفاً والفكرة عن الإله فى التوراة لا تختلف عن فكرة البابليين عن الإلهة الذين يمشون على الأرض ويخشون من منافسة البشر فى سلطانهم وقد نقل اليهود عن السومريين خرافة أن الله تبارك وتعالى يستريح فى اليوم السابع بعد أن خلق السموات والأرض دون أن يفطنوا إلى الله تبارك وتعالى لا يجوز عليه التعب (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب) . وأشارت التوراة إلى أن حواء هى التى أغرت آدم على الأكل من الشجرة ولكن القرآن دمغ هذا الوهم حين أشار بأن الشيطان هو الذى أغرى آدم . كذلك فإن اسم حواء لم يرد فى القرآن كذلك فإن قصة سفر التكوين فى التوراة ما هى إلا بمثابة أسطورة سورية قديمة وجدت فى ملحمة (أونو ما أيليش) وأن قصة الطوفان منقولة عن الأساطير السومرية . وقد أوردت الصحف (جريدة العلم المغربية ٦ يونيه ١٩٧٢) أن الحكومة الأردنية تسلمت مخطوطات أثرية ذكر أنها لا تتفق تماماً مع ما ورد فى التوراة حول تاريخ منطقة غور الأردن فى القرن السابع قبل الميلاد ويؤكد ذلك تزييف اليهود للتوراة الأصلية وكانت بعثة هولندية قد عثرت على هذه المخطوطات فى أبريل عام ١٩٦٧ وقامت بإجراء الدراسات والبحوث عليها فى هولندا طوال السنوات الخمس الماضية وقد قام رئيس المنطقة الهولندية للأبحاث فى لاهاى بتسليم المخطوطات إلى وزير السياسة والاثار الأردنى الذى صرح بقوله أن المكتشفات تقوم لأول مرة بتصحيح أخطاء التاريخ التى كانت تأتى على لسان الصهيونية » . والمعروف أن الصهيونية تتخذ من التوراة وسيلة لخداع الغربيين زعماء وشعوباً فى محاولة اكتسابهم إلى جانبها فى معركتها مع العرب باسم الدين وقد زينوا لهم أن توراة هى أم الإنجيل ومصدر إلهامه فأطلقوا على التوراة (العهد القديم) وعلى الإنجيل (العهد الجديد) وأوهموا مسيحى الغرب أن إيمانهم يظل أبتر ما لم يؤمنوا بكل ما جاء فى العهد القديم وقد أدرجوا التوراة فى المناهج الدراسية فى دول الغرب على أنها مادة تاريخية تدرس كما تدرس آثار هيرودت وغيره من المؤرخين ولم يصبح عسيراً على اليهود بعد ذلك أن يدخلوا فى روع الرأى العام الغربى أن فلسطين يهودية وأن لهم فيها حقوقاً تاريخية ودينية ما دام كل مواطن يدرس فى طفولته فى مدارس حكومية نصوص التوراة بكل ما فيها وقد استطاعوا

التأثير على البروتستانت فى هذا الصدد . وما يزال التوراة تغذى الأساطير والخرافات التى تنمى الغرور والأنانية والحقد فى الوجدان اليهودى ، ليس ضد العرب فحسب بل ضد الأسرة البشرية جميعاً . وبالرغم مما كشفه الفكر الغربى من زيف التوراة فإن جزءاً كبيراً منه ما زال مخدوعاً بها وبالرغم من استنارة عصر العلم والدليل والبرهان فإن الفكر الغربى ما زال خاضعاً لاساطير بدائية ساذجة لفقها شراذم اليهود فى بداوتهم الأولى لاغراض وأطماع خاصة وما زال العلم الذى يحلل ويدقق غير قادر على أن يفضح هذه الأكاذيب . ولقد قال جوستاف لوبون قبل مائة عام « الملاحظ من الأسفار الإسرائيلية وترتيبها ميل ظاهر إلى استخراج نظرية من انتظام الحوادث غايتها إثبات شىء ، هذه الأسفار جميعاً إذا رصفت بصيغة الجزم بدأ حسن النية فيها هزيلا » . وتكاد تجمع المصادر الغربية العلمية على أن اليهود أعادوا كتابة التوراة فى المنفى بعد أن تفجرت العنصرية عن الحقد والكراهية للعالم وانبعثت منها الصهيونية بمعنى التطلع السياسى الدينى إلى العودة إلى أرض الميعاد وأنهم أعادوا كتابة التوراة على النحو الذى رسموه فى منهجهم وأخلاقهم وجعلوها منطلقاً لهذا الهدف معارضاً أساساً للتوراة الموحى بها : فالوجهة هى تنزيه بنى إسرائيل من العيوب والغاية هى العنصرية : واتخاذ موقف العداء مع كل من اختلف مع اليهود ويشير الباحثون إلى الأثر اليونانى الأفلاطونى على العقلية اليهودية فى الترجمة اليونانية للتوراة المعروفة بالترجمة البسعينية وقد حاول فيلون التوفيق بين التوراة وتعاليم اليونان الوثنية بل أن حاخامات اليهود قاموا بتفسير الفلسفة اليونانية وأدعوا أنها قطعة متكاملة من الشريعة اليهودية . وبالجملة فإن علماء التاريخ شكوا فى مصادر التوراة ودعا بعضهم إلى تمحيص الحقائق فى ضوء القوانين العلمية .

(٣) ماموقف الإسلام من هذا التاريخ القديم الذى حاول اليهود إعادة صياغته على نحو جديد مختلف مع الوقائع الصحيحة لإتخاذه وسيلة للدفاع عن دعوتهم الصهيونية ؟ أولا : يقرر الإسلام أن اليهودية خرجت عن أصولها وغرقت فى الوثنيات القديمة فشكلت منها فكراً يستهدف غاية اليهود الباطلة فى السيطرة المادية ونشر الإباحية والفساد وأن اليهودية قد إنحرفت إلى المادية الطاغية وأصبحت مفاهيمها قائمة على الربا والإباحية وفلسفات التحلل والكشف ودعوات الدهرية وإنكار الآخرة والحساب وإنكار ثبات الأخلاق . ثانياً : كشف الإسلام عن فساد دعوى اليهود فى الإمتياز الخاص الذى أدعوه لأنفسهم بإعلاء العنصر والجنس والقول بأنهم يتميزون على البشر ، وقد أثبتت الأبحاث العلمية فساد هذا الإدعاء . ثالثاً :كشف

الإسلام فساد مفهومهم للالوهية وأنهم قد غيروا المفهوم الربانى الذى أنزل إليهم عن الله رب العالمين وأدعوا إلهاً خاصاً لهم هو الإله يهوه وهو كما وصفته التوراة متوحش شرير شغوف بالفساد وإراقة الدماء (يهوه رب الجنود) . ويعد إنكار البعث من أخطر مفاهيمهم ويقوم على اعتبار أن الدنيا هى كل شيء وأن السعى لها هو وحده العمل . رابعاً : كشف الإسلام خطأ مفهومهم عن جواز اتخاذ الوسائل الشريرة فى سبيل تحقيق الغايات العليا كالكذب والغدر والوقيعة واعتبارها طريق النجاح وكذلك دعواهم بتطور الأخلاق . والإسلام يؤمن بثبات الأخلاق والتماس أخلاق الخير والبر والصدق سبيلا إلى تحقيق الغايات العليا وإنها هى وحدها سبيل النجاح الحق . خامساً : كشف الإسلام عن تزييف اليهود للصلة بين التوراة والأديان التى جاء بعدها وخاصة ما يتصل ببعثه النبى محمد صلى الله عليه وسلم الذى جاء وصفه فى التوراة وقد حرف اليهود هذا النص لكى يجعلوا من اليهودية ديناً نهائياً وأنكر عليهم الإسلام دعوى الجبر التى يدينون بها ودعوى التشبيه وما يعتقدونه عن الرجعة فإن فإن كل هذه المفاهيم ليست من دين الله الحق . وكذلك كشف الإسلام خطأهم بالنسبة للأنبياء وقرر عصمة الأنبياء وسلامة مواقفهم وبعدهم عن الشر والفاحشة أثبت القرآن الكرامة لموسى وداود وسليمان ولوط وغيرهم من الأنبياء الذين وصفهم اليهود بما لا يليق بعصمة الأنبياء . كذلك أكد الإسلام وجود موسى وعيسى اللذين تحاول بعض كتابات اليهود التشكيك فى وجودهما . كما قرر أنهما نبيان مرسلان ومن عباد الله وخلقه كذلك صحيح القرآن فكرتهم عن النبوة التى صورتها التوراة المكتوبة على أنها كذب وغش وزنا وفجور وفسق . خامساً: قرر القرآن أن التوراة المتداولة قد أصابها التحريف والتعديل والنسيان والإخفاء فهى ليست التوراة الإلهية الأصلية ذات التعاليم المقدسة والشريعة الربانية . (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به) . وآية تحريفها أنها لا تشير إلى الروح ولا إلى الروحانية أو البعث لليوم الاخر أى إشارة كذلك خلت من الإيمان بالغيبيات مما يدور فى الحياة الأخرى ، كما جسدت الإله سبحانه وتطاولت على مقام الأنبياء . فقد صورت الذات الإلهية فى صورة بشرية ضعيفة والحقت بها صفات الجهل والغفلة والضعف . كذلك قرر اليهود أن لهم إلهاً خاصاً وللشعوب الأخرى آلهة أخرى . وأنهم أولاد الله وأحباؤه كما اتخذت التوراة المحرفة : أحبار اليهود ورهبانهم آلهة تعبد أو تشارك فى العبادة واتهمت التوراة سيدنا ابراهيم بالكذب وألصقت به أخس الصفات وأقبح الفعال

أما القرآن فقد وصف إبراهيم بأنه بلغ المرتبة المثالية فى الصدق وأنه وصل إلى درجة الصديقين . سادساً : أكاذيب نفاها القرآن وكذبها : فقد اتهمت التوراة الموضوعة لوطاً وسليمان وداود بالباطل وادعت الشريعة فى أسفار اليهود تقوم على التفرقة العنصرية وتجعل اليهود هو الشعب المختار وتنظر إلى ما عداه على أنه أقل فى الدرجة وتضع قوانينها ونظمها على هذا الأساس (ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل) وقد ادعوا أن اخذ الربا مباح لهم قِبَلِ غير الإسرائيليين وكذلك غزو الشعوب الأفرنجية بحد السيف وقد دمغ القرآن اليهود فى آيات تقترب من الألف وكشف زيفهم فى التاريخ والعقيدة وفضح مؤامرتهم وعرى نفسياتهم وأبان تنكرهم للدعوى الإلهية وحجاجهم ولجاجهم وما قاموا به من تحريف وزيف وحجب للحقائق وألباسهم الحق ثوب الباطل واستثنى منهم قلة قليلة من اليهود الذين آمنوا برسالة النبي محمد.(دكتور محمد بن الشريف)

(٢) تاريخ الإســلام

كانت علاقة اليهود بالمسلمين سلسلة من التآمر والبغى فقبل تآمر اليهود على الدولة الإسلامية التى حمتهم من بطش الرومان والغرب المسيحى تآمروا على الدعوة الإسلامية والنبى وأنكروا وصفه فى التوراة وتحالفوا مع أعدائه من المشركين فى مختلف المواقع ، حتى اضطروا النبى إلى إجلائهم عن المدينة وكانت آخر كلماته صلى الله عليه وسلم تدعو إلى إخراج اليهود من جزيرة العرب وقد أخرجهم عمر بن الخطاب من فدك وتيماء ووادى القرى وأقطعهم أرضاً قريباً من الكوفة وكان اليهود قد هاجروا بعد تدمير أورشليم حيث قتل منهم عدد كبير عام ٧٠ ميلادية ، إلى أرض العرب للاحتماء بها حيث لم يتوقفوا عن الدس والتفرقة بين أحياء العرب وخاصة فى المدينة بين الأوس والخزرج وعندما هاجر النبى إلى المدينة كان بها ثلاث قبائل من اليهود بنو قنيقاع فى داخل المدينة وبنو قريظة وبنو النضير فى ضواحيها الجنوبية وعندما أحس المسلمون بتآمر بنى قينقاع الشرقية ، حاصروهم وأكرهوهم على الهجرة إلى حدود الشام وفى معركة أحد لم ينفذ بنو النضير شروط المعاهدة المعقودة بينهم وبين النبى بالدفاع عن مدينهم إزاء كل غاز فضلا عن اكتشاف مؤامرة دبرتها يهود لاغتيال محمد . وقد بعث الرسول إليهم من يطلب إليهم الخروج من يثرب لنقضهم العهد فلما امتنعوا حاصرهم المسلمون عشرون ليلة اضطروا بعدها إلى النزوح من يثرب بعد أن أمنهم الرسول على دمائهم ولكن حيي بن أخطب زعيم اليهود قصد إلى مكة يحرض قريش على حرب محمد وقال

إن بنو قريظة أقاموا بالمدينة مكرا بحمد حتى تأتي قريش فيأتمروا معها وصرحوا بأن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد ونجحت مؤامرة اليهود الذين ألبوا عرب الجزيرة على المسلمين وسارت جيوش الأحزاب تحاصر المسلمين فى المدينة فى غزوة الخندق كان مفتاح النصر فى المعركة بيد بنى قريظة إذ أن منازلهم وحصونهم فى موقع ممتاز بين جيوش المسلمين والأحزاب فسعى حيي بن أخطب لنقض المعاهدة بين بنى قريظة والمسلمين وفى اليوم الذى انسحبت جيوش الأحزاب من المدينة وفك الحصار عنها أمر النبي بمحاصرة منازل بنى قريظة واستمر الحصار قرابة شهر اضطر بعده بنو قريظة إلى قبول التحكيم فى تقرير مصيرهم فاختاروا حكم زعيم الأوس : سعد بن معاذ وحكم سعد بقتل الرجال وسبي النساء ومصادرة الأموال وكان حيي بن أخطب صاحب فكرة الأحزاب، قد انضم إلى بنى قريظة ولما قدم للقتل وجه كلامه إلى النبي قائلا : « أما والله ما لمت نفسي على عداوتك » ونزلت فى أمر حصار المدينة وبنى قريظة سورة الأحزاب وفيها الاية الكريمة : (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا) . وقد كشف القرآن أمر بنى إسرائيل واستحقاقهم لسلب الملك العظيم الذى أعطاهم الله إياه وتدمير المجتمع الإسرائيلى نتيجة أشياء كثيرة منها ضعفهم عن حمل لواء الجهاد وتراخيهم فى القتال وتحريفهم آيات الله وأكلهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل من أجل ذلك أسقط الله سيادتهم على البشرية لانحرافهم وأقام أمة أخرى بديلا عنهم تحمل رسالته الحقة : وهم المسلمون :[كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله] ولما انتهت المعارك بانتصار المسلمين وثبات الإسلام حيث دانت له الجزيرة العربية كلها بدأت مؤامرتهم بالكيد والدس وتزييف الحقائق بما أطلق عليه الإسرائيليات وبالاغتيال والقتل فكانوا وراء مقتل عمر وعثمان وعلى ومؤامرة الخلاف بين الصحابة التى قادها عبدالله بن سبأ وكان له فيها دوراً خطيراً حاول اليهود فى التاريخ الحديث إنكاره حيث حرضوا أمثال طه حسين وغيره على الإدعاء بأن عبدالله بن سبأ شخصية خيالية وهمية أو أنه على الأقل لا يمكن أن يكون له هذا الأثر الضخم فى الفتنة الذى تصورها كتب التاريخ وحاولوا التهوين من شأنه كما جاء فى كتاب الفتنة الكبرى وكان لهم دور خطير فى التآمر خلال حكم الأمويين والعباسيين ثم اتسع هذا الدور فى العصر الحديث . وقد حاول اليهود تزييف الرابطة الصحيحة بين دين إبراهيم ودين محمد وذلك بإنكار فرع اسماعيل وبناء الكعبة والتركيز على اسحق وابنه يعقوب كورثة لإمامة

إبراهيم بعد أن حرفوا مفاهيم الرسالة التى كانت إليهم والكتاب الذى استحفظوا عليه . واتخذوا من توجه المسلمين إلى بيت المقدس وعودتهم بأمر ربهم إلى الصلاة نحو البيت الحرام سبيلا للدس والتآمر حتى أنهم أثاروا ذلك فى السنوات الأخيرة حين اقتحم المبشر زويمير الأزهر الشريف ووزع منشورات زائفة مسمومة تحت عنوان (عودوا إلى قبلة بيت المقدس) . ولقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم حين بلغ المدينة أن يسالم يهود المدينة وعقد معهم عقداً وآدعهم فيه واتفق معهم على المسالمة وعلى التناصر ضد من يهاجم المدينة أو يقتحمها غير أن اليهود تغلبت عليهم عنصريتهم وتامرهم وآثاروا الشبهات حول الإسلام والقرآن والنبي وحاولوا الوقيعة بين الأوس والخزرج وبين المهاجرين والأنصار فضلا عن التآمر على النبي ومحاولة اغتياله وقد انتهى ذلك بإجلاء بنى قينقاع بعد غزوة أحد وإجلاء بنى قريظة بعد غزوة الخندق وكانت آخر كلمات النبي قبل اختياره الرفيق الأعلى قوله : (لا يجتمع فى جزيرة العرب دينان) وكذلك عمد اليهود إلى إثارة الشبهات والتشكيك لإضعاف إيمان المسلمين وثقتهم بالإسلام [ود كثير من أهل الكتاب لو يردوكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم] واليهود هم الذين نظموا مقاومة الإسلام منذ ظهوره وحشدوا الدعاة لإفساد تعاليمه وكانوا حلفاء القرامطة والباطنية والغلاة من الشيعة . وقد ترك عبد الله بن سبأ فى الفكر الإسلامى بصمات اليهودية التلمودية بدعوته إلى الوصاية والرجعة ونظرية الحق الإلهى ومن دعاتهم عبد الله بن ميمون الذى قاد أخطر الحركات الهدامة التى عرفها الإسلام . وقد تسترت اليهودية وراء النزعات المعادية للإسلام وأدعى بعض اليهود اعتناق الإسلام لأحداث الفتن بين المسلمين وإفساد عقيدتهم وقد وضع كثير منهم فى العصر الأول الأحاديث فضلا عن أنهم نشروا الأساطير اليهودية بين العرب والمسلمين . ولقد عاش اليهود فى كنف الدولة الإسلامية فى الكوفة وغيرها بعد أن أجلاهم عمر عن المدينة . ثم عاشوا فى كنف الدولة العثمانية بعد أن طردهم النصارى من الأندلس وبعد سقوط الحكم الإسلامى وكانوا فى كل مكان كل مكان يتآمرون على الدولة الإسلامية وكانت أقوى حركات تآمرهم : حركة الدونمة التى عملت فى داخل الدولة العثمانية وكان لها دورها الخطير فى إسقاط السلطان عبد الحميد وإزالة الخلافة وفتح الطريق للصهيونية إلى فلسطين عن طريق التعاون مع الاتحاديين ثم تآمروا على المسلمين لمصلحة بريطانيا فكانوا عوناً للإستعمار البريطانى ينقلون إليه أخبار الجيوش العثمانية ومراكزها وتحركاتها وكانوا عوناً له فى الحرب العالمية الأولى على المسلمين

فى بلاد العرب وفلسطين . حتى استطاعوا أن يحصلوا على وعد بلفور . يقول أحد المؤرخين : وجدت اليهودية أنه ليس من الحكمة أن تستمر فى صراعها مع الغرب المسيحى لأن ذلك يبدد طاقتها ولا يعود عليها بأية فائدة ولهذا أخذ اليهود يعملون للتحالف مع الغرب المسيحى لاستغلاله فى تحقيق أهدافهم وألقى اليهود فى روع الغربيين أن هناك عدواً مشتركاً لليهود والنصرانية ألا وهو الإسلام فإن لم يتحالف الاثنين على صده فإنه سوف يزحف على الحضارة الغربية ويقضى عليها وقد اجتمعوا كما يقول درزائيلى فى القضاء على النصرانية والإسلام ولن يستطيعوا ذلك إلا بمساعدة وتعاون المسيحيين والمسلمين الذين غطت بصائرهم الماسونية اليهودية.

تمزيق الوحـــدة الإسلامية

لم يكن فى مقدور الصهيونية العالمية السيطرة على فلسطين لإقامة دولة إسرائيل إلا بالسيطرة على الدولة العثمانية . وكان هرتزل هو الذى تصدى لمواجهة السلطان والحوار معه ثم انتهى هذا الحوار إلى الرفض مما دفع اليهود إلى وضع السلطان فى مكان الاتهام والحملة الشديدة والتآمر لإسقاطه (راجع كتابينا : الإسلام والغرب والعروبة والإسلام) فقد جرت المؤامرة منذ عام ١٨٩٧ وسقط السلطان عام ١٩٠٩ واستطاعت الصهيونية أن تجند الاتحاديين لخدمة أهدافها وهم الذين تسلموا سلطة الحكم فى الدولة العثمانية بعد السلطان ومكنوا للصهيونية بالهجرة على فلسطين وبدأت مرحلة السيطرة عليها وكان أحد الثلاثة الذين دخلوا على السلطان يحملون وثيقة التنازل (قره صو) النائب اليهودى ، وانتخب حايم ناحوم حاخاما أكبر عقب سقوط السلطان واستطاع أن يحصل لليهود على عدة امتيازات فى البلاد التى تتألف منها السلطة العثمانية ، كما أرسلته الحكومة التركية التى تولاها مصطفى كمال مندوباً لها إلى لاهاى وناطت به الحكومة معالجة القضية التركية ، فمهد السبيل إلى الصلح الذى أقرت فيه تركيا بالتنازل عن صبغتها الإسلامية وعن اللغة العربية والشريعة الإسلامية . وكان العمل لاسقاط الدولة العثمانية وإزالة الخلافة العثمانية من الأعمال المشتركة بين الصهيونية العالمية والاستعمار وكان هدفها هو قيام القوميات لتمزيق وحدة الإسلام . وكانت الحركة الطورانية فى تركيا والتى حملت لواءها جمعية الاتحاد والترقى هو أولى التنظيمات التى استهدفت تمزيق البلاد الإسلامية إلى قوميات وتقسيمها إلى وحدات تتصارع وتكون سهلة هينة فى وجه التآمر الاستعمارى والصهيونى . ولقد سلم الاتحاديون طرابلس الغرب إلى الاستعمار الإيطالى ، كما

دخلوا الحرب العالمية دون حاجة إلى دخولها لتدمير الاقتصاد العثمانى وفى انقلاب مصطفى كمال آتاتورك — خليفة الاتحادين وشقهم الثانى — وهو من اليهود الدونمة ،نصبت المجازر للمسلمين وسلمت البلدان الإسلامية التى كانت تابعة للدولة العثمانية إلى المستعمرين بتحريض من اليهود ومؤامرتهم . ولا ريب أن الانقلاب العثمانى الذى وقع عام ١٩٠٨ قد أسلم زمام تركيا لليهود الماسون الدونمة : طلعت وجاويد وجمال ونيازى وكمال ، وقد دفعوا تركيا بتوجيه (وايزمن) لخوض حرب لاناقة لهم فيها ولا جمل وقد كان اليهود يرون فى السلطنة العثمانية والخلافة والإسلام شبحاً مخيفاً خطراً على مستقبلها وعندما رفض السلطان مآرب الصهيونية قرر المحفل الكونى خلع عبدالحميد وكلف فرسان تركيا الحكماء المستترين بالإسلام على حد تعبير الدكتور الزغبى — تنفيذ القرار فنفذوه عام ١٩٠٩ ويقول بعض المؤرخين : إن الإنقلاب العثمانى أمر بيَّت له يهود سالونيك منذ نصف قرن حتى يتم على أيدى مسلمين كانوا يهوداً فى الأصل فأسلموا لأجل هذه الغاية . ولا ريب أن خطة الدونمة فى التقية بإعلان الإسلام والإقامة فى سالونيك البعيدة عن الرقابة كان عملا مرتباً مدروساً فقد قامت فى سالونيك الأوكار السرية حيث نفذ المرتدون أبشع التعاليم التى تستهدف إشاعة الفرقة والاستغلال وتدريب الأتراك على الرشوة والاغتصاب وشهدت تركيا ولادة الدونمة المؤلفة من اليهود المتظاهرين بالإسلام وقد حفل التاريخ الحديث بعدد منهم عمل على تحطيم الأمبراطورية العثمانية وتحويلها إلى أشلاء ممزقة . وفى خزائن وزارة الخارجية التركية عدد كبير من الوثائق التى تثبت أن الذين قادوا حملة تمزيق الأمبراطورية هم من الدونما وهناك قوائم كاملة بالعائلات اليهودية التى تظاهرت بالإسلام لتغطى تآمرها . وجاء لورنس على خطى هرتزل فى سبيل إكمال المهمة وإتمام الخطوات . كان يعمل للصهيونية العالمية داخل العمل للاستعمار البريطانى ، وراح يتخيل نفسه فارساً صليبياً بعد أن درس الحروب الصليبية وظروفها وأحوالها وقد أعلن أن هدفه الرئيسى هو تفتيت الوحدة الإسلامية ودحر الأمبراطورية العثمانية والعمل على وضع العرب فى دوامة الفوضى السياسية داخل دويلات صغيرة حاقدة ومتنافرة وغير قابلة للتماسك على حد قوله . لقد كان لورنس يعرف كيف ينقل العرب من الوحدة الإسلامية إلى القوميات المتنافرة ليقيم الحواجز بين الأجزاء العربية حتى لا يتحقق لها وحدة ولا كيان ، ومن هنا كانت دعوته إلى استبدال الخليفة بواحد من أهل البيت كالشريف حسين والمزايدة عليه والدعوة إلى خلافة عربية بديلا عن الخلافة الإسلامية . ولقد زج لورنس بالعرب فى معركة

مع الترك لحساب الاستعمار والصهيونية العالمية بعد أن أعلنت خدعة إقامة الدولة العربية بعد الحرب واستطاع بهذه الخدعة أن يمزق وحدة العرب والترك فى الدولة العثمانية وأن يعلن الاقتتال بين المسلمين حتى إذا ما تحررت سوريا وفلسطين من نفوذ الأتراك سيطر عليها الانجليز والفرنسيين وأعلنوا أن الحروب الصليبية التى كانت قد جاءت منذ ثمانمائة عام قد انتهت .

(٣) الفلسفة الماسونية المسمومة

كانت الماسونية هى الواجهة الأولى التى احتضنت حولها اليهودية التلمودية لنفث سمومها فى المجتمعات والفكر وتغيير القيم والمفاهيم وقد استطاعت بها السيطرة على المجتمعات الغربية والفكر الأوربى ثم انتقلت المحاولة إلى مجال الفكر الإسلامى والمجتمع الإسلامى بعد أن تشكلت المحافل الماسونية فى البلاد الاسلامية بدعوى أنها عامل من عوامل مقاومة الاستعمار والاستبداد . وجل الذين دخلوا فى هذه المحافل كانوا يستهدفون اتخاذها وسيلة لمقاومة الاستبداد الذى فرضه حكام الشرق وأمرائه ، أو النفوذ الأجنبى الذى فرضه الاستعمار ظناً منهم أن هذه الجماعة قد استطاعت أن تقضى على مظالم الناس فى الغرب حين استطاعت إشعال الثورة الفرنسية والثورات الأخرى وكانت هذه هى بعض أساليب الإغرء التى حملها دعاة الماسونية إلى أهل العالم الاسلامى فخدعوهم بها ، ولم تكن قد تكشفت بعد تلك الخلفيات البعيدة المدى للمحافل الماسونية أو الثورة الفرنسية . ويمكن القول أن أول من تنبه لاخطار المحافل الماسونية هو السلطان عبد الحميد ولكن أسرار هذه المحافل وخلفياتها ظلت خافية على المسلمين والعرب حتى سقوط السلطان عام ١٩٠٩ وقيام حكم الاتحاديين ربائب المحافل الماسونية الذين احتوتهم الصهيونية العالمية لخدمة أهدافها . ومن ثم بدأت تتكشف قليلا قليلا تلك المخططات وعرف فى هذا أن الإنقلاب العثمانى كان ثمرة المحافل الماسونية وإن الدونمة واجهة اليهود فى تركيا قد استطاعت إحتواء جماعة الاتحاد والترقى لخدمة أهداف متبادلة يتحقق بها للاتحاديين الوصول إلى الحكم ويتحقق بها للصهيونية العالمية الوصول إلى فلسطين . ونحن فى سبيل دراسة مخططات الصهيونية التلمودية حيث لاتعنينا من الماسونية غير مخططاتها (وقد تناولنا تاريخها فى كتابنا : الإسلام والدعوات الهدامة) نجد أن التلمودية قد استطاعت أن تطرح مفاهيم الإلحاد والمادية وسموم الهدم والتدمير والإلحاد

والاحتقار للأديان في تضاعيف تلك التعليمات التي كان يتلقاها أتباع المحافل والتي كانت أساساً لنجاحهم وفوزهم في كسب عضوية المحافل أو رسوبهم . ذلك أن فلسفة الماسونية قد حرصت على ابتعاث الفكر الوثني والإباحي والباطني القديم كله وإعادة صياغته من جديد على حد قول القائل : لقد نبشت الماسونية قبور ابيقور الكلبي وأحيت ما يلي من عظام مذهب الدهريين ونبذت كل تكليف ديني وغرست بذور الإباحية والإشتراك وزعمت أن الاداب الإلهية عمليات خرافية كما زعمت أن الأديان مخترعات أحدثها نقص العقل الإنساني وأنكرت الألوهية ورفع روادها وخاصة (فولتير ورسو وديدرو) عقيدتهم بالتشنيع على الأنبياء وألف فولتير الكتب في تخطئة الأنبياء والسخرية بهم والقدح في أنسابهم وعيب ما جاءوا به فأخذت هذه الأباطيل في النفوس مأخذها ونالت من العقول منالها .فنبذ الناس في أوربا الديانة المسيحية ونفضوا يدهم منها ، ثم جاء طه حسين وجورجي زيدان وسلامه موسى وغيرهم لينقلوا هذا الفكر الوثني الأباحي إلى اللغة العربية بعد أن تحول في المحافل الماسونية إلى عقائد . وابتدعت الماسونية عبارة مهندس الكون الأعظم ، لتحل محل اسم الله تبارك وتعالى بدعوى أنها توافق ذوق كل من يطلب الدخول إلى الماسونية سواء أكان مؤمناً أم مادياً أم كافراً وهي خدعة ماسونية التجاؤ إليها بينما هم في أعماقهم وفي الدرجات العليا من الماسونية ينكرون وجود الله ويفرضون ذلك على أعوانهم .إن الهدف الأساسي للتلمودية الصهيونية الذى تتولى تحقيقه المحافل الماسونية هو سيادة الانحلال الروحي والفساد الأخلاقي حيث يقول البروتوكول الثالث : إن مصلحتنا تقضي بانحلال الشعوب غير اليهودية . ومن هنا يمكن تقييم مدى الخطر الذى نفذ إلى المجتمع الإسلامي عن طريق هذه المفاهيم الى انطلقت في الصحافة والثقافة وحاولت أن تكون لها تياراً خطيراً كان بعيد الأثر في الهزائم والأخطار التي حاقت بالمسلمين والعرب في السنوات المتصلة منذ بدأت الصهيونية التلمودية تركز على الفكر الاسلامي لاحتوائه وقد أجمع قادة الماسونية على أن الماسونية تعتبر الإنسان كبهيمة عجماء خالية من النطق فهو على مذهبها آلة صماء بلا نفس عاقلة . وإن غاية الماسونية القصوى أن تسوق البشر إلى فكرة فك كل قيد يضبط شهواتهم ليخلعوا كل سلطة وينبذوا كل دين ويعيشوا عيش الحيوانات غير الناطقة وينقادوا إلى أوامر زعماء الماسونية انقياداً أعمى (كتاب الماسونية وأسرارها) من هنا نرى كتابات ماركس وفرويد وسارتر ودور كايم وغيرهم تستهدف تحقيق هذا الهدف وتحويل هذه الغايات التلمودية البعيدة المدى في استعباد الشعوب وتدميرها إلى نظريات في

النفس والأخلاق والأدب والاجتماع ثم جاءت تبيعة كتابنا أمثال : أمين الريحانى وفيلكس فارس وطه حسين وسلامة موسى ولويس عوض وغيرهم محققة لهذا الهدف بترجمة تلك القصص المكشوفة الفاجرة ، وإشاعة هذه الروح من التحلل فى الثقافة والأدب والفكر جميعاً . تقول الفلسفة الماسونية : إن حرية الأباء لا تتفق مع مصالحنا وعاياتنا أبدا ، ولذلك يجب تربية الأطفال وفق مناخ مقدر من قبل دولتنا : والسيطرة على الشباب هى من أولى غايات الماسونية وأهدافها يقول : دعوا الكهول والشيوخ جانباً وتفرغوا للشباب بل تفرغوا حتى للأطفال فإنه لابد من تربية الأطفال بعيداً عن الدين وعندما ترى الان كيف تصدر الكتب عن الشباب وعن الأطفال وكيف يدعون إلى كراهية الآباء والأسرة وكيف تتعالى الصيحات بأن الاجيال يجب أن تكون حرة وإن هذه الأجيال ليس لها أساتذة أو معلمين وحين نجد ازدياد الصراع بين الأبناء وآبائهم نعرف كيف استطاعت هذه الآداب أن تفسد الأجيال الجديدة . وتقول نشرة مجلة فرنسا الجديدة الماسونية : إن ذوى الغرائز السافلة أكثر عدداً من ذوى العواطف الشريفة ، كل يتطلب السلطة ويود لو كان صاحب الأمر والنهى وقليلون هم الذين يقيمون الخير العام فوق منفعتهم الشخصية . ولا يخفى أن مجموع الشعب يسير وراء الأميال المتغلبة والخرافات والعادات والتقاليد والمذاهب المؤثرة فى العواطف ، وما منزلة فضيلتى الصدق والاستقامة فى الأمور السياسية سوى منزلة عيوب ونقائض (الغاية تبرر الواسطة)ومعنى هذا هو إفساد أخلاق المجتمع ونظم الحكم فى الشعوب ويؤكد الباحثون أن الفلاسفة الذين ظهروا فى أواسط القرن ١٨ قد عمدوا وضع الفلسفة الماسونية المسمومة التى تنكر وجودالخالق والزعم بقدم العالم وعدم الحاجة إلى الأخلاق والفضائل . وإن هذه الفلسفة الماسونية قدظهرت بعد ذلك فى كل بلدعلى السنة بعض الكتاب ونشرتها صحفهم وذاعوابها ومن دعواهم : الوطنية لينفسح أمامهم الطريق إلى السيطرة ويقولون أن الاخلاق خيال باطل وكذب محض وأن الرايات الوطنية هى آية الظلم والاستبداد ويقولون أن الوطنية هى العامل الذى يقف أمام غاياتنا وهم يهاجمون أيضاً نظام الجندية وشرف العسكرية ويدعون إلى خراب الألفة البشرية ومحاربة الأسرة والهجوم على رب العائلة ، وإن الأمر الجوهرى فى استمالة الناس إلى جماعتهم إنما هو إفراد الرجل عن عائلته وإفساد أخلاقه والدعوة إلى الخلاعة وإفساح الطريق له حتى يقضى على نظام الزواج فتنهدم الأسرة ، وهم يدعون إلى تسامح الرجل فى أمر زوجته ويصفون الزنا بأنه شريعة الطبيعة وتقول كتاباتهم : أنه لو بقى البشر على سذاجة

طبيعتهم لكانت النساء كلهن مشتركات بينهم . وهكذا تصل عملية الهدم للمجتمع والأُسرة والشباب إلى أبعد الغايات والفلسفة الماسونية هى التى حاولت أن تربط بين الغدد والأخلاق وتلغى إرادة الإنسان وأخلاقه وقدرته الخاصة على الاختيار بين الخير والشر وهم يجددون الفلسفة الأغريقية القائمة على عبودية الناس للناس ويجعلون من المرأة أداة للمتعة ويدعون إلى تقديس الجمال وعبادة الجسد . وينشرون هذه المعانى الفاسدة بعد أن هدمتها المسيحية وسحقها الإسلام ونشر بدلا منها الأخاء الانسانى وتكريم المرأة وتقديم الأخلاقيات على المعانى الجمالية . وقد ثبت بوثائق أكيدة فى بعض محافل الماسونية قولهم : إن إبليس هو رئيسهم وأنه هو قائد الإصلاح البشرى وهو المطلق لحرية العقل ويقول اليهودى لمن : أشيد بذكرك ياشيطان يا ملك وليمتنا وأقرئك سلامى الطيب يا إبليس وأرفع إليك بخورى المقدس أنت الذى قهرت يهوه إله الكهنة . وقد حاولت النشرات الماسونية أن تربى أسلوب التحلل والفساد فى أتباعها ومن ذلك ما وجهته إلى أعضائها : ما رأيك فى الحب الحر أو الزواج الحر المحرر من شرائع الدين ، هل عدم التعدى على حياة الأفراد هو عندك مبدأ مقرر ، ما رأيك فى إسقاط الجنين وقتل الطفل ، ماذا تفهم بحرية الفكر ، لو أمرت بعمل ما يضاد آراءك فماذا تصنع ولا ريب أن هذه أفاق من الشر والفاحشة والحقد على البشرية جد خطيرة تحاول الفلسفة الماسونية أثارتها فى نفوس أتباعها . وهكذا نجد التلمودية الصهيونية قد نشرت تحت لباس الماسون أول اتجاهات الهدم للمجتمعات ومحاربة الأديان بالدعوة إلى الفكر الحر ، وبذلك أسقطت القيم الدينية والأخلاقية وفتحت الباب واسعاً أمام تحقيق أمبراطورية الربا التى لا تقوم إلا بالفساد . ولقد ترجمه كثير من كتاب العرب مؤلفات أريد بها ترويج هذه المعانى وإثارة مفاهيمها فى عقول ونفوس المسلمين والعرب ومن ذلك كتاب (هكذا تكلم زرداشت) الذى ترجمة فيلكس فارس عن نيتشة كما ترجم أيضاً (إعترافات دى موسيه) وقد أشار فى مقدمة كتابه أنه يود أن يقدم لشباب الشرق العربى هذه المعانى التى يرى أنها علاجاً أدبياً لداء العصر ، كذلك تجد فى كتابات أمين الريحانى تقديره البالغ لهذه المعانى وترويجاً لها ودعوة إلى تكريم فولتير الذى جاهر بحرية العبادة وطعن الأديان . يقول الدكتور متعب مناف : إن الجمعيات الماسونية عصبة دولية قصد منها إلى إماتة الشعور القومى والخلقى لدى أعضائها وإيقاعها فريسة الخوف والطلاسم حتى يبقى كل منهم مشدوداً بالجمعية وعلى إستعداد للتضحية بقيم الدين والأخلاق والخلق والقومية

فى سبيل تحقيق الأهداف التى ستطلبها رغبات الطغمة الموجهة ، وقد فسروا هذه المعميات بالشكل الذى يضيع كل القيم الدينية والقومية وللتأكدمن ضرب هذه القيم لابد من انتزاع كرامة الإنسان عن طريق إيقاعه تحت عامل الخوف بجو رهيب بين الهياكل العظيمة ومناظر الموت والجحيم حيث يلف العضو الجديد ويوضع فى تابوت وقد استغلت التلمودية الصهيونية نوادى الروتارى والليونز فى سبيل بث التعاليم الهادفة للسيطرة على العالم عن طريق حصر الجنس والمال والقوة السياسية فى أيدى حفنة من اليهود وجعل هذه المنبهات القوية لبنى البشر وسائل تتحكم عن طريقها الأطماع اليهودية فى تغيير تركيب العالم السياسى والاقتصادى والفكرى بما يتفق مع المخططات اليهودية » . وهكذا نرى كيف أن موجة عاصفة من التحلل الخلقى والإلحاد والإباحية والشكوك قد ألقيت فى أفق الفكر الإسلامى ، تحت أسماء مختلفة منها الأدب الغربى ومنها مدرسة العلوم الاجتماعية ومنها مذاهب التحليل النفسى والتفسير المادى للتاريخ والوجودية وغيرها وهذه كلها ليست فى حقيقتها إلا صياغة لها طابع علمى براق وكذاب للمخططات التلمودية التى نفثت سمومها تحت اسم الفلسفة الماسونية وكونت عليها أجيال وأتباع وقد وجدنا هذه التجربة ومن يكتب عنها فى بلادنا حين كتب الدكتور أحمد غلوش يكشف بعض أسرار الماسونية ويقول أنها تخالف مبادىء الإسلام ويقول : كنت قد دخلتها وتركتها من زمان بعيد لما تبينت منافاتها للأصول الإجتماعية ومجافاتها لوصايا الأديان السماوية وأن أتباع هذه الطقوس يتنافى مع جميع الأديان لأنه يتنافى مع الكرامة الإنسانية (المصور ١٤-٧-١٩٣٩) ولكن الصحف التى كانت على ولاء كامل للفكر التلمودى فى الفترة وخاصة الهلال والمقتطف والمقطم والأهرام فإنها لم تترك هذا الرأى يمر هكذا دون أن تحشد له من ينقده من أتباع الماسونية الذين أشاروا إلى أن عدداً كثير من أعلام مصر كانوا من أتباع الماسونية وفى مقدمتهم كما ذكرت المصور : الخديو توفيق ، حسين فخرى باشا ، سعد زغلول ، إدريس راغب ومحمد عبده ، قاسم أمين ، محمد بخيت ، جمال الدين الأفغانى ، الأمير محمد على.أحمد ماهر ، حسن نشأت ، مكرم عبيد ، حسين صبرى ، فؤاد أباظة ، على جمال الدين ، على عبد الرازق ، حامد الشواربى ، محمد خالد حسنين ، فارس نمر خليل مطران ، حبيب لطف الله ، فهمى ويصا ، يوسف وهبى ، وقد تأسس أول محفل فى مصر ١٨٣٠ وعرف بتبعيته إلى محفل يورك فى لندن ولا ريب أن هذا يعنى أن للماسونية دوراً كبيراً فى الاحتلال البريطانى وفى الخطط السياسية والإجتماعية التى توالت منذ ذلك الوقت .

ويمكن القول أن العالم الإسلامى قد عرف مثل هذه المحافل فى هذه الفترة بالذات وبذلك نتعرف الى نفوذ الصهيونية التلمودية ومدى تأثيرها على تزييف الفكر والثقافة وإفساد الأخلاق . وأن غاية الماسونية التى هى تطعيم أكبر مجموعة من الكتل البشرية بأفكار التلمود كانت واضحة فى تنفيذ هذا المخطط . وهى الدعوة إلى إشاعة الإباحة والرزيلة التى يعتبرها اليهود وسيلتهم الأولى لتحقيق أغراضهم ، وقد تيسر لهم ذلك بتحكمهم فى التمثيل السينمائى وكتابة الروايات ونشر المودة وعن طريق الجمعيات الرياضية والفرق الموسيقية والمسارح والصور الخليعة والروايات الخارجة والإغانى البذيئة والمواخير وغيرها من المؤسسات التى تربى الناشئة عقلياً وجسمانياً وعن طريق الصحافة والثقافة وتحرير المقالات المخالفة للدين والأخلاق ونشر الأدب المكشوف والعلمانى الخالى من كل دين المجرد من كل اعتقاد ويمكن القول بلا تحرج أن ما يسمونه « الفكر الحر » ما هى إلا مؤامرة تلمودية يهودية تستهدف القضاء على كل مقررات الأديان والأخلاق وأنهم هم صانعوا نهجها ودافعوا دعاتها إلى العمل ولقد وجدنا هذه الدعوة تستشرى فى أفق الفكر الإسلامى فى الثلاثينات والأربعينات وتقدم كل معاول الهدم للقيم .

(٤) الصهيونية : امبراطورية الربا

مهدت الماسونية الأرض للحركة الصهيونية : حتى مكنتها من أن تحقق انتصارات ثلاث : هى السيطرة على المسيحية الغربية وأوربا بالثورة الفرنسية وعلى المسيحية الأرثوذكسية وروسيا بالثورة البلشفية وعلى بلاد العرب والاسلام بإسقاط الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية. وبذلك أصبحت أهداف [امبراطورية الربا] قابلة للتحقيق فى تقدير مخططهم وأصبح فى استطاعة اليهود أن يعلنوا أنهم قادرون على تنفيذ مخططهم الذى تضمنته بروتوكولات صهيون وفى الحرب العالمية الأولى حصل اليهود على وعد بلفور بإنشاء وطن قومى فى فلسطين ، وفى الحرب العالمية الثانية قامت إسرائيل فى قلب الوطن الإسلامى ثم استطاعت أن تسيطر على القدس عام ١٩٦٨ . غير أن هذه الانتصارات المتوالية التى تمت فى غفلة من المسلمين وقبل أن ينتبهوا إلى المحاذير التى وقعوا فيها نتيجة استسلامهم لمخططات الغزو التلمودى والتغريب الاستعمارى طوال أكثر من قرن من الزمان قد صدمتهم صدمة أيقظتهم لكى يكتشفوا هذا الخطر ولكى يتحركوا إلى طريق الإصالة والتماس منابع دينهم وأسلوب فكرهم الذى

هو الطريق الوحيد الذى يستطيع أن يصل بهم إلى تدمير أمبرطورية الربا ولقد كانت معركة العاشر من رمضان علامة على ذلك الطريق . لقد أتاح وقوع بروتوكولات صهيون فى أيدى غير اليهود فرصة لكشف هذا المخطط الدموى الماكر ، وكان خليقاً بالمسلمين والعرب أن يتنبهوا ويأخذوا حذرهم ويلتمسو الطريق إلى المقاومة والمواجهة وبروتوكولات حكماء صهيون أو [الإنجيل البلشفى] كما أطلق عليه سرجى نيلوس أول من نشره على العالم باللغة الروسية من سبعين عاماً هو صياغة عصرية لأحكام التلمود وضعت فى روسيا تستهدف إخضاع الشعوب وتأسيس امبراطورية صهيونية برأسها ملك ليكون امبرطوراً للعالم كله على أساس القــدرة على السيطرة على الصحافة والذهب فى العالم ، ولقد تعالت صيحات اليهود بمحاولة التنصل من البروتوكولات والإدعاء بأنها زائفة وقد ساعدهم الماركسيون على ذلك ودافعوا عنهم دفاعاً شديداً كما حاولوا التفرقة بين الصهيونية واليهودية . وقد أحصيت تصريحات خطيرة فى تصوير اتجاه المخطط منها قول الحاخام تيبا موزغ : اليهودى لا يقنع بهزيمة المسيحية بل يريد تهويد أتباعها . ومهما حاول اليهود التنصل من البروتوكولات فإنها تفضحهم وتدمغهم ، فإن مجريات الأحداث كادت تجرى وفق المخططات ، وأن نصوص البروتوكولات تكشف أخلاقيات اليهود فهى واضحة الدلالة على روح البغضاء والعنصرية والتعصب الدينى والجشع للسلطة ، وأنها لا تتعارض مع أساليبهم ومطامعهم وأهوائهم على نحو يؤكد صلته بهم وصلتهم به فالمخططات تؤمىء بما يريد اليهود أن يفرضوه على العالم من قدرة وسلطان على إحداث المؤامرات والانقلابات والمشاكل والثورات وأن دعواهم إلى قسمة العالم إلى معسكرين يتناحران قد تحققت فعلا . وإن ما ورد من تصريحات متعددة يدل على أن الصهيونية جادة فى العمل للسيطرة على العالم . ومما يدل على سلامة نسبة البروتوكولات إليهم أن عدداً من النبوءات التى تضمنتها قد تحقق علا وأهمها نبوءة تدمير القيصرية الروسية ونشر الشيوعية فيها ونبوءة سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية على أيدى اليهود ونبوءة عودة اليهود إلى فلسطين ونبوءة سقوط الملكيات فى أوربا وقد زالت الملكيات من ألمانيا والنمسا ورومانيا وأسبانيا وإيطاليا ونبوءة إثارة حروب عالمية لأول مرة فى التاريخ يخسر فيها الغالب والمغلوب ولا يظفر بمغانمها إلا اليهود وتلتقى مع البرتوكولات لتزكى مصدرها كل كتابات اليهود فى جميع العصور ، فكتابات [ماكس نوردو] وكتابه الانحلال الذى أصدره عام ١٨٩٣ وحمل حملة شعواء على الحضارة الغربية ثم كتابات : شينجلر ، وجويلز ، وبرادانيف من نفس الطراز وكتابات

هرتزل (الدولة اليهودية) ومذكراته تسير فى نفس الخط والاتجاه وتفضح نفس المخطط وتكشف يوميات هرتزل الأُسلوب والوسائل التى اتخذتها الصهيونية فى تحقيق هدفها وكلها يقوم على الرشوة والكذب والعنف والانتهازية وكأنها هى التطبيق العملى للبروتوكولات وإن ما كتبه هرتزل قبل سبعين سنة تقريباً هو نفسه ما حدث فى السنوات الأَخيرة وهو نفسه ما نفذته الحركة الصهيونية ولقد كانت محاولات هرتزل كلها تتركز حول إغراءِ السلطان عبد الحميد وأعوانه فلما فشلت المحاولات بدأت عمليات التهديد ومحاولات الاغتيال وانتهت بالمؤامرة التى نفذت بواسطة الدونمة وحزب الاتحاد والترقى .يقول الأُستاذ نجيب صالح أن مذكرات هرتزل تحكى قصة الصهيونية وكيف استغلت ضعف تركيا فأَرادت أن تشترى فلسطين منها واستغلت عطف حكام أوربا والبابا وتاجرت بهم حيث تدعو الحاجة وكيف أن فلسطين لم تكن إلا مجرد أَرضية من الأَرضيات التى تحط عليها الأَمال الصهيونية وتحمل المذكرات أنموذج التفكير الصهيونى وأسلوبه المراوغ . ومن يوميات هرتزل يمكن استخلاص حقيقة أَساسية هى أَن الحركة الصهيونية تنسق مع الاستعمار دون أَن تنسى هدفها العنصرى وأَنها استعملت فى تحقيق غرضها وسائل لا أَخلاقية وهى تؤكد البروتوكوت وتمضى مذكرات وايزمان زعيم الحركة الصهيونية وأَول رئيس فى نفس الاتجاه وتكشف النقاب عن التعاون الوثيق بين قوى الاستعمار واليهودية العالمية فى محاولة تسليم فلسطين لليهود بدون سكان وقد قامت المحاوت كلها على الرشاوى والتحايل على القانون والدعايات المضللة والتهريب والمؤامرات السرية والعلنية وأَفظع طرق التعذيب والوحشية وعمليات الإبادة بالجملة ولقد كان وايزمان أَشد مكراً ودهاءًا من هرتزل ويرى أَن هرتزل كان رجلا ساذجاً ويقول أَما أَنا فكنت أَعتبر الحركة الصيونية عملية إرتقاءِ حيوية يجب أَن ننمو كما تنمو (الغرسة) علينا أَن نراقبها ونعنى بها إلى أَن تصل إلى درجة النضوج . وكان الصهيونيين الروس يتمسكون بما قاله حكماءِ اليهود (الذى لا يمكن للذكاءِ أَن يفعله فإِن الزمن أَى العمل والسعى والتنفيذ سيعمله) وإن هرتزل لم يكن من الشعب لذلك لم يدرك القوى الكامنة وإن هرتزل فشل فى خطته المبنية فى الاعتماد على الأَغنياءِ وعلى الطبقة العليا وأَصحاب النفوذ والبنوك والممولين . أَما نحن فلم يكن لنا إيمان أَو ثقة بتلك الطبقات » هكذا ونجد إن ما رسمته البروتوكولات هو ما يقوم به هرتزل ثم وايزمان ومذكرات ناحوم جولدمان تكشف عن نفس الخط : خط التآمر والغدر وفكرة جولدمان تدور حول اقناع العرب بقبول

الوطن القومى اليهودى وهذا الاقناع كما يراه جولدمان له وسائل غريبة فصلتها البروتوكولات غير أن هذه المحاولة لا يمكن أن تمر فى موازين التاريخ والبشرية وطبائع الأشياء.ذلك لأنها تقوم فى أساسها على أسلوب الاغتصاب والإرهاب مما يحول بينهاوبين الحياة والاستمرار . حيث يقوم الأمر على إدعاء غير صحيح فى واقع التاريخ أو الكتب المنزلة ، والوصول إليه يتم بالتلفيق والباطل ، والوسيلة إليه إبادة أهل الأرض الحقيقيين لإسكان قوم مهجرين من أرض أخرى ، ثم يقوم على دعوى الوعد الذى يدعى أنه أعطى لأبناء إسرائيل قوم ليسوا من بنى إسرائيل أصلا ثم هم اليوم وبعد أكثر من ربع قرن لا يملكون القدرة على الإقامة والاستكفاء الذاتى بالرغم من أنهم اعتصبوا أجود أراضى الشام ، فما زالت أمورهم تدار عن طريق الإعانات التى يأخذونها بالتهديد من أثرياء اليهود وعلى الاتفاق مع الدول الكبرى على أداء دور كلب الحراسة للنفوذ الاستعمارى ، وما تستطيع هذه التلفيقات كلها أن تقيم دولة يكتب لها البقاء : ثم إن اسرائيل تعيش داخل عالم عربى يتجاوزها نحو إلى ٢٠ أو ٣٠ مرة وأن هذه العالم فى طريقه إلى إمتلاك الثروة والطاقة والتفوق البشرى وأنه مع مرور الزمن لابد أن يزيل هذا البناء الزائف المبنى على الرمال (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله خير من أسس بنيانه على شفى جرف هار فانهار به) . يقول ناحوم جولدمان : إن إحدى التجاوزات العظمى فى تاريخ الصهيونية هو أنها لم توجه الالتفات الكافى للعلاقات مع العرب حتى الصياغة اللامعة للمسالةاليهودية .أنها مشكلة [تحويل شعب بلا أرض إلى أرض بلا شعب [ترتبط بقدر مزعج من العمى عن رؤية المطلب العربى فى فلسطين ، ففلسطين لم تكن أبداً ، أرض بلا شعب حتى فى زمن هرتزل ، لقد كانت مأهولة بمئات الألوف من العرب الذين كانوا سيحققون فى مجرى الأحداث المعتاد عاجلا أو آجلا دولة مستقلة منفردة أو وحدة فى إطار عربى كبير » . وهكذا تبدو الصهيونية على أيدى دعاتها وقادتها عملا إجرامياً وغير إخلاقى ولا أساس له لا من التاريخ ولا من المنطق ولا من طبائع الأشياء وإنما هو قائم بالادعاء والتآمر والغصب والسيطرة وكلها عوامل لابد أن تتحطم بمرور الزمن وتكشف زيفها الناس وحتى بعد عدوان ١٩٦٧ فإن رأى المراقبين أن إسرائيل قد بعدت عن السلام ، وأن هذه الإنتصارات العسكرية لا تجلب لها الاستقرار وأن العرب والمسلمين لا يمكن أن يقبلوا بالغزو لا يقيموا على الضيم ولن تحتويهم الخطط التى وضعت لحصرهم فى حل عربى وإنما هم ينطلقون الآن إلى حل إسلامى عن طريق الجهاد . ويقف الآن الميربرجر وألفريد لينتال وجارودى

موقف المعارض لبقاء إسرائيل ولكن الحس العربي الإسلامى لا يرى فى ذلك إلا نوعاً من الخداع ومحاولة لأن يقسم اليهود أنفسهم إلى صهيونية وغير صهيونية ليخدعوا العرب وبدعاوى الفصل بين اليهودية والصهيونية والواقع الذى تشهد به مختلف وثائق الصهيونية وكتاباتها الأصيلة أن الصهيونية واجهة لليهودية التلمودية ، وآية ذلك أن التوراة المكتوبة بأيدى أحبار اليهود تتضمن نفس الهدف والمخطط الذى تسعى إليه الصهيونية الحديثة وتعمل من أجله : هدف الادعاء بالسيطرة على أرض الميعاد من النيل إلى الفرات باعتبارها وعداً خاصاً لإسرائيل وليس وعداً عاماً لإبراهيم وذريته ومنهم إسماعيل والعرب والمسلمين . وأن المحاولة قد بدأت بعد الضربة التى وجهت إلى اليهود فى روسيا القيصرية على أثر مؤامرتهم وأنهم كانوا يستهدفون الحصول على أى أرض تأوى هجرتهم وأن فلسطين بالذات لم تكن فى مخططهم إلى وقت طويل وإنما كان هناك محاولة للوصول إلى أى مكان فى ظل إثارة مشاعر العالم حول نكبتهم وخداع المسيحيين البروتستانت بما ورد فى التوراة وتجنيدهم للعمل من أجلهم وإذا كانت اليهودية دين والصهيونية حزب سياسى فان الخلاف بينهما ليس فى الأهداف والغايات وإنما فى الوسائل حتى تعطى اليهودية للصهيونية إنطلاقا فى الحركة ويمكن القول عند تجاوزها للخطط المرسومة أن ذلك ليس من الدين ولكنه من السياسة فالأمر كله خداع ، والخطوات كلها انتقال من حق مزعوم إلى أسلوب عجيب من المراوغة . ولقد طرحت الصهيونية بيروتوكولاتها فى أفق الفكر البشرى أسلوباً من أقسى أساليب الفساد والانتهاك للحرمات والوصولية وإنكار الخلق والرحمة وأقامت ذلك الروح من الانتهازية الذى حملت لوائه من بعد كل المذاهب المادية وفى مقدمتها الماركسية والفرويدية والوجودية ولعلنا حين نقرأ قولهم مثلا : (كلما وجدنا أنظار الرأى العام العالمى تتجه نحو الحقيقة يجب أن نعمل على تحويله إلى اتجاه آخر ، أن واجبنا أن نشغله عن أى طريق أو تفكير جدى سليم بإثارة موضوعات لها طابعها الإباحى ولتلهيهم وتملأ فراغهم بمختلف أنواع الملاهى والمباريات الترفيهية والفنية والرياضية : شعارنا القوة والرياء وفى سبيلهما وللوصول إلى غايتنا ينبغى أن لا نحجم عن اللجوء إلى الرشوة والخداع والخيالية . علينا أن نقدم دون تردد على اغتصاب ملكية الغير) . هذا الأسلوب فى التعامل مع الناس والمجتمعات من شأنه أن يطرح فى أفق المجتمعات روحاً خطيرة من الفساد والجريمة ، يتعارض تمام المعارضة مع روح الدين الحق ومع تعاليم الإسلام التى دعت إلى الأخلاق والرحمة والتقوى والسماحة . وحيث نجد دعوة (التلموديين إلى الحط

من كرامة رجال الدين) نعجب لسريان هذا الروح فى أفق المجتمع الإسلامى وحين نرى الدعوة إلى اتخاذ وسائل العنف والخديعة والمكر نأسف لسريان هذا الروح فى أخلاق المسلمين وحين نرى التلمودية الصهيونية تعمل على إثارة روح الإنحلال والفساد الأخلاقى نجد تقبلا شديداً لهذه الفلسفة ونجد نتائج ذلك غاية فى الخطورة على المجتمع الاسلامى . فلقد شاعت هذه المعانى التى تعمل على تقويض أركان الإيمان فى الشعوب والأمم على نحو من شأنه أن يؤدى إلى زلزلة مكان العقيدة فى النفوس وهكذا نجد أن المقررات الصهيونية فى إفساد المجتمعات الغربية قد تسربت إلى المجتمع الإسلامى مع الفلسفات والنظريات المادية التى تدرس اليوم فى كثير من معاهد الإرساليات والجامعات ، وإلى الآثار المترتبة على ما تطرحه الصحافة والكتب المترجمة من سموم وانحلال وخاصة فيما يتعلق بالقصة والرواية والمسرحية والفيلم السينمائى وما يتصل بذلك من المسارح والملاهى وعلب الليل والمخدرات والسموم والخمر واندفاع مجموعات من الشبات والفتيات فى طريق الإباحة والفساد . ولا ريب أن هذه التجاوزات التى يضطرم بها المجتمع الإسلامى كله هى من أكبر العوامل التى تؤخر تصفية الغزوة الصهيونية وتمد فى أمد الاحتلال الصهيونى الاستيطانى الذى يعتمد على تهدم المجتمعات وفسادها وتحللها وعلى المسلمين فى يقظتهم أن يعلموا أن هدف الصهيونية التلمودية هو إقامة إمبراطورية الربا التى لا تقوم إلا على الفساد والإنحلال الذى يؤدى إلى الاستدانة والترف ورهن الممتلكات وبيع العقارات وتحول أملاك المسلمين فى ديارهم إلى مصارف الربا وتسديد القروض التى تتضاعف فوائدها عام بعد عام . أن هدف الصهيونية هو تهويد العالم فكرياً وإحلال مفاهم المادية فى قلوب وعقول الناس وإعلاء حيوانية الإنسان وإذلال إنسانيته ومنع القوى الخيرة القائمة على بناء المجتمع الإنسانى . إن الربا والإباحية والتفرقة العنصرية واستغلال الشعوب هى دعوة اليهودية العالمية فى كل عصر وبيئة وهم يجددونها اليوم تحت أسماء عصرية ومذاهب أيدلوجية . ويستخدمون فى سبيل ذلك ما سموه علوم الأنثرلوبوجيا والنفس والعلوم الاجتماعية ودعوات الإنفجار السكانى وغيره لتبقى هذه المجموعة القليلة من اليهود المسيطرين على مقدرات الامم وثروات الشعوب هم وحدهم المالكين ويبقى العالم كله بعد ذلك عبيداً لهم وخدما ولا يزال الصراع بين هذا الفكر البشرى الوثنى الإباحى المادى وبين الفكر الربانى المصدر الإنسانى الطابع وسيظل مضطرما حتى يتم الله نوره ويحق الحق بكلماته ويتحطم هذا الفكر ويدمر هذا الكيان ولابد للأمة الإسلامية أن

تصمد فى مجال الامتحان وأن تقوم على المواجهة والمقاومة والمرابطة فى وجه هذا الخطر . ثابتة ذاكره الله تعالى ، ملتمسة الأصالة والمنابع الأصيلة وقد كشف الله للمسلمين سنن المجتمعات والحضارات وكيف ينهار الفساد والظلم فلا يبقى إلا الحق والخير . إن كل دعوة باطلة زائفة لابد أن تسقط مهما تمكنت ووجدت من يناصرها بالباطل ولقد يطول بالباطل الزمن ويخدع الناس البريق الخاطف ولكن الحق لابد أن ينتصر ولقد عرض الحق تبارك على المسلمين مزالق الأمم التى هوت وأهمها أنهم خالفوا سنن الله تبارك وتعالى فى الثبات على الحق والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والمرابطة فى الثغور فليلتمس المسلمون اليوم هذا المنطلق إلى النصر . (عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون) .

سادساً : الفكر التلمودى الصهيونى

محاولات الكشف عن زيفه

(١) استكشاف أعماق المخططات

تعددت المحاولات لاستكناه أعماق الفكر التلمودى الصهيونى وظهرت مؤلفات كتبها مفكرون لهم تجربتهم وخبرتهم تكشف زيف هذا الفكر وتشير إلى أبعاده الخفية وإلى غاياته الخطيرة ولعل من أقدم هذه الدراسات كتاب اليهودى الدولى الذى كتبه هنرى فورد ونشرته مجلة دير تورن عام ١٩٢٠ والتى تحول قرآئها بنشرة من مائتى ألف ٣٠٠ ألف ولقد استطاع فورد أن يحلل النفسية اليهودية ومطامعها ويكشف خفاياها قال إن شريعة اليهود تسمح لليهودى أن يعامل غير اليهود بقواعد تباين ما يجب أن يعامل به جاره اليهودى ، وقد تفرقوا فى الشعوب دون أن يمتزجوا بها أو يدخلوا عليهم ما ليس من خصائص جنسهم وأن اليهود تسللوا إلى المنظمات غير اليهودية ليسيطروا من وراء ستار واستطاعت الدعاية اليهودية أن تقنع الأمريكيين أن فلسطين هى أرض اليهود وأن اليهود أطلقوا على عداء الآخرين لهم اسم (اللاسامية) أى إن العداء موجه ضدهم لأنهم ساميون . وقد جاءت صيحة فورد بعد أن حاول اليهود تطويق الإقتصاد الأمريكى فحاول بكتابته أن يكسر الطوق ويحرر الاقتصاد فقال أن اليهود قد توجه جهدهم للسيطرة على الصحافة والمسرح والسينما بغية توجيه الذوق العام والتأثير فى الجماهير وقد تم لهم تكييف الرأى العام فى أمريكا على الصورة التى يريدونها فهو يملكون ٧٠ ٪ من الصناعات ويعيشون حياتهم الخاصة ويحسون بالتفوق على الشعب

الأمريكي ويسكنون منعزلين وأشار هنرى فورد إلى الدور الذى قام به اليهود فى مؤتمر الصلح فأشار إلى أن باروخ اليهودى مساعد الرئيس ولسون فى مؤتمر الصلح كان له نفوذه حتى أن الأمور سارت بوحى اليهود الذين اجتمعوا فى باريس لغاية واحدة وهى تحقيق برنامجهم وتنفيذه وقد تمكنوا من تنفيذه كما يريدون دائماً . (ومما يذكر أن باروخ لعب الدور الهام نفسه فى الحرب العالمية الثانية فقد كان اليد اليمنى للرئيس روزفلت طيلة سنوات رئاسته وصديقاً لتشرشل) وقال أن الصهيونية اعتمدت فى دعم سلطاتها على وسيلتين هما المال والصحافة وقد استطاعت الدعاية الصهيونية أن تقنع الأمريكيين بأن فلسطين هى أرض اليهود وأن ما يحتاجون إليه هو مساعدتهم فى العودة إليها . وقال فورد أن اليهودى هو صاحب بدعة السوق المالية (البورصة) وبدعة حاملى السند (السند يدفع لحامله) وإلى بوالص الشحن المجردة من الأسماء والشركات المحدودة . إن اليهودى هو فى الواقع صاحب رءوس الأموال الوحيد لكنه لا يشيد بذلك فى العادة وقد ساد نفوذ اليهود على سوق الأوراق المالية فى برلين وباريس وفرانكفورت وهمبرج وإن مصرف انكلترا قد أنشىء بإشارة ومعاونة يهود هولندا الفارين الذين أخفوا أموالهم تحت اسم (حامل السند) .

(٢) ويصور وليم جاى كار فى كتابه : « أحجار على رقعة الشطرنج » الدور الخطير الذى قام به اليهود فى تخريب العالم ، فيقول أن المخطط هو تدمير جميع حكومات وأديان العالم ويتم الوصول إلى هذا عن طريق تقسيم الجوييم (غير اليهود) إلى معسكرات متنابذة تتصارع إلى الأبد حول عدد من المشاكل التى تتولد دونما توقف مشاكل اقتصادية وسياسية وعنصرية واجتماعية ويجرى تدبير حادث فى كل مرة يكون من شأنه أن تنقض هذه المعسكرات على بعضها فيحطمون الحكومات الوطنية والمؤسسات والقواعد الدينية . ولتحقيق الهدف أشار المؤلف إلى استعمال الرشوة والمال والجنس للوصول إلى السيطرة على الأشخاص الذين يشغلون المراكز الحساسة على مختلف المستويات فى جميع الحكومات وفى مختلف مجالات النشاط الإنسانى ويعد السيطرة على الصحافة وأجهزة الأعلام هدف أساسى فى تنفيذ هذا المخطط بحيث ينتهى الأمر بهم إلى حملهم إلى الاعتقاد بأن تكوين حكومة أممية واحدة هو الطرق لحل مشاكل العالم المختلفة . وقد أثارت الصهيونية التلمودية الحروب الاستعمارية لإنهاك الامبراطوريتين البريطانية والفرنسية وإنهم هم الذين نظموا الثورة الفرنسية عام ١٧٧٩ . ويشير إلى أن كارل ماركس كتب البيان الشيوعى تحت إشراف جماعة من النورانيين

التلموديين وفى نفس الوقت كان (كارل رينز) الأستاذ بجامعة فرانكورت يكتب النظرية المعاكسة للشيوعية تحت إشراف جماعة أخرى من النورانيين أنفسهم بحيث يكون كما ظهر فى المستقبل فى مقدرة رؤوس المؤامرة العالمية استخدام النظرية المتعاكستين فى التفريق بين الأمم والشعوب بصورة ينقسم بها الجنس البشرى إلى معسكرين متناحرين ويمهد هذا للمرحلة التالية وهى تسليح كل من المعسكرين حتى يدمر بعضهما البعض ويدمران كل ما لديهما من نظم سياسية وروحية . وقد أكمل العمل الذى وضعه (كارل ماركس ، وكارل رينز) فردريك نيتشة الذى عرف باسم فلسفة تيتشة وكان هذا المذهب الأساسى الذى تفرع عنه فيما بعد المبدأ الفاشيستى ثم المبدأ النازى وهذه المذاهب الثلاثة هى التى آذنت بإشعال نيران الحربين العالميتين الأولى والثانية . وكان مخطط التلمودية الصهيونية الذى يطلق عليه المؤلف اسم (النورانيين) يهدف إلى تنظيم ثلاث حركات عالمية . هى ١ ــ الشيوعية المشتقة من مبادىء ماركس . ٢ ــ النازية المشتقة من نظريات نيتشه . ٣ ــ الصهيونية السياسية . وذلك للتمهيد والإعداد لإشعال ثلاثة حروب عالمية والإعداد لإشعال نيران ثورات كبرى فالهدف من الحرب العالمية الأولى هو الإطاحة بحكم القياصرة فى روسيا وجعل تلك المنطقة معقل الحركة الشيوعية الالحادية وتم التمهيد لهذه الحرب بواسطة الخلافات بين الامبراطوريتين البريطانية والألمانية هذه الخلافات التى ولدها عملاء الصهيونية فى تلك الدول وجاء بعد الحرب الأولى « بناء الشيوعية » كمذهب واستخدمها لنسف ما يمكن نسفه من الحكومات والدول وتدمير المعتقدات الروحية للشعوب . أما الحرب العالمية الثانية فقد مهدت لها خلال الخلافات بين الفاشيين وبين الحركة الصهيونية حتى تتمكن أخيراً من إقامة دولة إسرائيل فى فلسطين كما كان من الأهداف المرسومة ، أن يستمر بناء الشيوعية العالمية وتدعيمها حتى تصل إلى مرحلة تعادل فيها قوتها مجموع قوى العالم المسيحى الغربى ويقتضى المخطط عند ذلك إيقافها عند هذا الحد حتى يبدأ العمل فى تنفيذ المرحلة التالية وهى التمهيد للكارثة الكونية الثالثة والنهائية . أما الحرب العالمية الثانية فقد رسم مخططها على أساس أن تنشب نتيجة النزاع الذى يثور بين الصهيونية السياسية والعالم الإسلامى ويقضى المخطط المرسوم أن تقاد هذه الحرب وتوجه بصورة يحطم فيها الوطن العربى ومن ورائه عالم الإسلام . ويقول المولف أن اليهود قد أزاحوا تعاليم الدين الموسوى وأحلوا محلها عديداً من المبادىء الهدامة والنظريات المادية والإلحادية التى تستهدف الأديان والشرائع السماوية وكل ذلك إرضاء للحقد القديم على الإنسان ، هذا

الحقد الذى توارثه المرابون وكهنوت الشر منذ أزمنة سحيقة وللجشع إلى السيطرة على كافة خيرات الجنس البشرى وتجريد الجميع مما يملكونه ثم حرمانهم من حق التملك إلى الأبد وقد تطورت هذه النظريات حتى ولدت الشيوعية وأصبحت قاعدة الهيجان العالمية ، وسلاح محفل المرابين وقوى الشر الإلحادية لتحقيق مخططهم فى اليطرة على العالم وسكانه ويشير المؤلف إلى أن الثورة الانجليزية كانت من صنع التلمودية الصهيونية ، فقد تمكنوا من شراء (كرومويل) زعيم الثورة حتى استطاعوا بعد ذلك الإطاحة بالعرش البريطانى ثم بعد ذلك تم تصفية كرومويل وسيطر المرابون العالميون على بنك انجلترا والاقتصاد الانجليزى نتيجة لما أثارته الثورة من اضطرابات . ويتحدث بعد ذلك عن الثورة الفرنسية وكيف تم تجنيد الدوق أورليان ابن عم الملك لويس السادس عشر حتى صوت إلى جانب اعدام عمه فى البرلمان الفرنسى ثم بعد ذلك أحاطوه بالفضائح إلى أن تمت تصفيته ووضعت رأسه تحت المقصلة ثم تلاه بعد ذلك غيره من أحجار الشطرنج التى حركها المرابون العالميون فكان يتم تصفية كل واحد منهم عندما ينتهى الدور المرسوم له أو عندما يشعرون أنه عرف أكثر مما يجب فسيق دانتون إلى المقصلة ثم لحقه روبسبير بعد أن أصابته رصاصة أعجزته عن فضح المؤامرة . ويتحدث المؤلف عن الدورالذى لعبته اليد الخفية فى توصيل نابليون بونابرت إلى القمة وكيف قامت تلك القوى بتمويل حملات نابليون لتدمير الدول المحيطة لفرنسا وكيف كانت تلك القوى أيضاً تقوم بتمويل جيوش الدول الأخرى فى سبيل الإبقاء على حالة عدم الاستقرار ضماناً لاستمرار العائدات الطائلة من الأموال والتى تأتى من تجارة الحروب حتى كانت نهاية نابليون التى خطط لها المرابون والتى تحكى فى ظاهرها غير أسبابها الحقيقية . وتحدث المؤلف عن التاريخ الخفى للتغلغل اليهودى فى أمريكا وكيف استطاعوا السيطرة على الاقتصاد الأمريكى بالسيطرة على بنك انجلترا وكيف أن أرباب المال العالميين خططوا لاغتيال الرئس الأمريكى بنيامين فرانكلين حينما فضح أهدافهم ثم أحكموا سيطرتهم على الاقتصاد الأمريكى إلى اليوم . يقول المؤلف أنه بعد الحرب العالمية الثانية أضحت الكرة الأرضية كرقعة الشطرنج عليها قطع من أناس يتخيلون أنفسهم زعماء وقادة دول كبرى وكانت اليد الخفية تحرك ستالين وتشرشل وروزفلت حتى اشتعلت الحرب وانتهت وتحطمت النازية وأنشئت إسرائيل وبدأ السباق الرهيب فلم تنته الحرب بحكم الصراعات الدائرة على الأرض بقدر ما فتحت مجالات أخرى للصراع تكمن فى نهايتها الحركة الأخيرة فى لعبة الشطرنج الدولية » أ.هـ فإذا

أضفنا إلى هذا تصريح الحاخام عمانويل رايتوفيتش عام ١٩٥٤ تكتمل الصورة حيث يقول « أن هدفنا هو : ١ – إشعال نيران حرب عالمية ثالثة . ٢ – تحريض الولايات المتحدة ضد الإتحاد السوفيتي . ٣ – اعتبار زعماء الدولتين مجرمى حرب . ٤ – القضاء على الأجناس غير الإسرائيلية . ٥ – قبل عشرات سوف نجعل البشر عبيداً لنا وسنوجه كل مخترعات الرجل الأبيض نحو فنائه .

(٢) وينطلق (شريب سبيريه فيتش) فى كتابه : (حكومة العالم الخفية) عن إقناع كامل بوجود هيئة يهودية لها صفة عالمية قدر عدد أفرادها فى أوائل القرن العشرين ثلاثمائة رجل يهودى يرأسهم أحدهم نظامهم دكتاتورى استبدادى ويعملون وفق خطة قديمة مرسومة للسيطرة على العالم فهم أشبه بحكومة خفية تحكم الشعوب بواسطة عملائها ولا تتوانى عن قتل أو تحطيم كل من يحاول الخروج عن طاعتها أو يقف فى سبيل تنفيذ مخططها ولها من القدرة والنفوذ ما يمكنها من إيصال أى خفير إلى الزعامة وقمة المسئولية وتحطيم أى قائد حينما تشاء وترجع هذه المحاولة فى نظر المؤلف إلى أن اليهود لم يستطيعوا أن يقيموا دولة رغم محاولاتهم المتكررة التى كان تعقب كل منها تشتت جديد وتشرد فى مختلف أنحاء العالم ، وفى بابل بعد أن أغار بختنصر على مملكة يهوذا عام ٥٨٧ قبل الميلاد وساق أهلها أسرى اخترع زعمائهم فكرة الوعد ورسخوا فى أذهانهم خرافة (شعب الله المختار) . ويشير المؤلف إلى علاقة الماسونية بالصهيونية التى لا يختلف عليها وهو تسلسل الصهيونية إلى الماسونية واستغلالها وهناك كثير من الناس من يجزم بأن الماسونية بجميع محافلها تدار عن طريق التسلسل من قيادة يهودية لا يدخلها غير اليهود . وتحاول الصهيونية الإدعاء بأن اليهودية أول دين محترم أنزله الله على هذه الأرض وإن ما عداه فهى أديان باطلة . وأن هذه الأديان أوجدت الفرقة بين الشعوب وإنهم بمجهوداتهم سيحطمون الأديان ويعيدون الناس إلى دينهم هم .

(٤) وقد استطاع أرنولد توينبي ومجموعة أخرى من المفكرين أن يستكشفوا أعماق المخططات التلمودية الصهيونية على نحو قدم هذه الحقائق : أولا : إن فكرة الصهيونية والوطن القومى اليهودى فكرة لم يختلج بها قلب يهودى شرقى ، والعملية كلها من صنع أقلية صغيرة من نسل اليهود المرتدين الذين اعتنقوا اليهودية فى المرحلة الأخيرة من تاريخها الطويل وإن الحركة الصهيونية تعتمد فى زعمائها ودعاتها على اليهود السلافيين المنغوليين من أهل

بولندا ودول أوربا الوسطى والشرقية . وإن هذه الحركة تنطوى على فكرة لا تمت بصلة إلى التراث التقليدى بل تعتبر من وجهة نظر اليهود المتدينين مناقضة لهذا التراث فكما أنها فكرة رجعية فى صميمها ومحوطة بالمخاطر السياسية . ثانياً : إن اليهود الذين أغروا بالهجرة إلى فلسطين هم مجموعة من أخلاط صعاليك روسيا والنمسا والمجر وألمانيا وأسبانيا أمدتهم الجاليات بالمال لتشيد بهم بناء دولة . ثالثاً : إن الحركة الصهيونية فى ذاتها لم تكن قادرة على اغتصاب فلسطين وإنما حدثت المأساة لأن الغرب أراد أن يعوض اليهود عن المظالم التى حاقت بهم على الغربيين ولكن هذا التعويض لم يكن على حساب الغرب وإنما كان على شعب برىء لا ينتمى إلى العالم الغربى ولا يمكن تحميله ما حلق باليهود من مظالم وتعتبر جرائم الصهيونية فى حق العرب أشنع من جرائم النازية ضد اليهود . رابعاً : إن المسألة اليهودية عبر التاريخ هى وليدة الصراع بين اليهودية والمسيحية الغربية ولم يكن للعرب والمسلمين شأن فى هذا الصراع فهم لم يسهموا فى خلق المسألة اليهودية أو تفاقمها بل على العكس أتاحوا لليهود فترات من الأمن والاستقرار ولولا احتماء اليهود بالراية الإسلامية التى كانت حامية لأهل الكتاب لما بقى اليهود حتى الآن لما كان ينالهم من اضطهاد المسيحيين لهم باعتقادهم الفاسد فى نبى الله عيسى وقد كانت المسيحية ولا تزال حتى الآن فى روسيا وألمانيا والنمسا وأسبانيا بتعضيد اليهود تكن لهم أشد البغض وتعمل على قطع دابرهم ولكن الاسلام ترك لهم حرية عاشوا فى ظلها آمنين قروناً طويلة . خامساً : إن إنشاء الدولة الصهيونية فى فلسطين لم ولن يؤدى إلى حل المشكلة اليهودية بل قد أدى إلى تفاقمها فى صورة انقسام خطير فى المجتمع اليهودى العالمى ذلك أن إمكانية القضاء على مقاومة عرب فلسطين أصحاب الحق الشرعى فى البلاد معدومة تماماً لأنهم ليسوا من القلة والتخلف كالهنود الحمر أو سكان استراليا الأصليين وإنما يتمتعون بوفرة عددية وتراث ثقافى وإنتماء للعالم العربى وكلها أمور تجعل إبادتهم مستحيلة .

(٥) يرى اليهود الذين يدعون أنهم غير صهيونيون فساد الفكرة الصهيونية ومن هؤلاء : الميربرجر الذى يقول : إن الصهيونية حركة سياسية تستخدم التاريخ لأغراضها الخاصة التى تسىء فى الوقت نفسه للدين اليهودى كدعوة روحية عامة وتحصرة فى دعوة سياسية قومية ضيقة فقيم الدين اليهودى مالا نجده فى الصهيونية التى تمارس سياسة عنصرية ضد العرب مثلا وهذه مخالفة مباشرة لتلك القيم وبالتالى فإن إقامة دولة إسرائيل بشكلها الصهيونى مخالف لصورة أرض الميعاد كما تحدثت عنها التوراة . ويرى الحاخام الميربرجر أنه ليس لإسرائيل

أى حق أخلاقى أو تاريخى بالوجود فى فلسطين ، ويرى خطأ محاولات الصهيونية فى بسط سلطانها على اليهود فى سائر أنحاء العالم ويدين محاولة المنظمة الصهيونية العالمية باستخدام اليهود الأمريكيين كأداة فى يد السياسة الخارجية الإسرائيلية . أما ألفريد لينتال فى كتابه : (إسرائيل ذالك الدولار الزائف) فيقول إن الكثير من المسيحيين الغربيين اندفع إلى تأييد الصهيونية وإسرائيل كوسيلة من وسائل مقاومة خلق وحدة عربية إسلامية وان بعض المسيحيين تقبل « الإدعاء » بأن التوراة تطالب بعودة يهود اليوم الموجودين فى منفاهم إلى فلسطين وإن الصهيونية أصبحت قادرة على استغلال المسيحى العادى فى أمريكا والمنظمات المسيحية لأهدافها وخاصة بعد تزايد التزاوج المختلط بين المسيحيين واليهود ، فإن اليهودى عندما يتزوج مسيحية فإنه يدعم قضية إسرائيل بقوة بينما الشريك المسيحى للزواج لا يستطيع إلا أن يبدى تسامحاً كاملا مع رفيقه

(٢) بصمات التلمودية على النظام الغربى

كشف كثير من الباحثين عن بصمات التلمودية فى النظام الغربى : هذا الأثر الممتد منذ أكثر من مائة سنة فى مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع . حيث استطاعت التلمودية إملاء أوضاع ومذاهب عن طريق الماسونية أولا (علاقاتها وطقوسها وهياكلها) وآخرها فى الشيوعية ومبادئها وغاياتها ، وفى التجارة والاقتصاد والمال ، هم مخترعو البنك والكمبيالة والأسهم ونظام الفواتير . وهم مصمموا الأزياء وزينة النساء ، وهم الذين أعلنوا نظام المنفعة ، سواء وافق الفضيلة أم خالفها والحق عندهم هو الذى يمشى مع القانون ولا تعاقب المحاكم عليه : هذه المبادىء وضعها اليهود وشاع العمل بها فى الغرب وإن جميع أنظمة الغرب التى كان لليهود أصبع فى وضعها أو تغذيتها أو فى تفسيرها ونشرها قد وضعت أما لمصلحة أصحاب رؤوس الأموال أو لمصلحة طائفة أخرى من أهل القوة والتأثير أو للترويج لنزعة من النزعات التى يرتاح إليها فريق ويسخط لها فريق . ويقول الدكتور سيسيل روث فى كتابه (تاريخ اليهود): إن اليهودى انتهى بفعل الزمن إلى التخصص فى الاتجار بالمال والربا ، ذلك لأن اليهودى كان محروماً طوال القرون الوسطى من مزاولة أى مهنة أو حرفة أخرى . ويقول بازنب لينفيون مؤلف كتاب (شعب غريب) : أن اليهود يرفضون سيطرة الدين على الدولة أو الكنيسة على الدول لأن هذا معناه أن تصبح الديانة المسيحية مفروضة على أولادهم لذلك كانوا أول من

نادى بفصل الكنيسة عن الدولة فى أمريكا وأنهم قد اتجهوا فى أمريكا إلى السيطرة على الأعلام بإنشاء الصحف (نيويورك ورلد ، نيويورك تيمس ، واشنطون بوست) ومنهم أكبر عدد من المحامين وأكبر رؤساء المحكمة العليا من اليهود حتى اليوم وقد أفلست بعض الجاليات الأوربية أمام الشبكة اليهودية المحكمة ، وقد زحفوا على المدارس والجامعات واحتكروا صناعة السينما والتليفزيون وهم لا يتركون هيئة إلا إندسوا فيها ،ثم يحاولون بعد أن يوجهوا كل شىء فيها إلى ناحية حاجة تنفعهم ، وهم الذين مزقوا ملابس السيدات تحت شعارات مختلفة : الوجودية ، والأباحية ، الحرية العارية . وهم الذين يصدرون كل الصحف والمجلات العارية وهم الذين يسيطرون على تجارة الدعارة ويملكون ويديرون أعظم الكابريهات وهم الذين يسيطرون على تجارة النساء فى أمريكا وأوربا وهم الذين ابتدعوا ظاهرة الخنافس فى أوربا وأمريكا ، وهم الذين اخترعوا ظاهرة الهيبز ، والطبيب الذى أعاد تركيب حقن الهلوسة أستاذ جامعى يهودى هو الذى أقام مستعمرات للعرى ومحطات لتدخين الحشيش وقد اتجه اليهود بعد الحرب العالمية الثانية إلى كتابة تاريخ المسيحية وتأكيد أن الدين وليس التفكير الحر المستقل هو الذى جعل المسافة بين اليهود والمسيحية عميقة وأن هذا التعصب الدينى هو الذى جعل اليهود مسئولين عن محاولة صلب المسيح ، ولذلك جات كتب ومسرحيات وأفلام ما بعد الحرب تحول بكل قوة أن تغير هذا المعنى واتجه اليهود أيضاً إلى الفاتيكان يحاولون أن يجدوا وسيلة للعفو عن اليهود وتبرئتهم وذهب المليونير جاكوب بلادستاين لمقابلة البابا عام ١٩٤٩ وبحث مشروع العفو عن اليهود وتجددت المحاولات حتى انتهت بقرار المجمع المسكونى بالعفو عن اليهود ويقول أحد الباحثين الغربيين : إن الفصل بين الدولة والدين فى الدول الغربية ساعد على إنصهار اليهود فى هذه المجتمعات . لقد حلت المشكلة اليهودية فى دول غرب أوربا بتحرر الدولة عن الدين ، ولكن مع تحرر اليهود من الاضطهاد كانت اليهودية تسيطر على المجتمع بأسره وأصبحنا نواجه مشكلة تحرير المجتمع من اليهودية وأوضح ماركس أنه يستحيل تحرير المجتمع من اليهودية إلا بالقضاء على البرجوازية تلك الطبقة التى ارتبطت سيطرتها على المجتمع بسيطرة اليهودية عليه .

(٢) ويقول جاك دوماك ومارى لورا فى كتابهما : (التحدى الصهيونى) إن النفسية اليهودية قوامها الحقد والقسوة على الجنس البشرى وقد اكتسب اليهود هذه النفسية من تعاليم اليهودية كما وردت فى التوراة المحرفة فإن نصوص التوراة تفيض وحشية وعنصرية

ومنها استقى اليهود تركيبهم النفسى وقد استغلت الصهيونية هذه النصوص وغذت عقول اليهود بها وهم قتلة الرب وجلادى المسيح .

(٣) ويكشف الباحثون عن محاولات الصهيونية التلمودية فى احتواء الفكر الغربى المسيحى ويمثلون لذلك بكتاب (فى قلعة ذى اللحية الزرقاء) وهو مذكرات فى إعادة تعريف الثقافة : بقلم جورج شتانير وهو كتاب صريح تتضح فيه محاولة الصهيونية فى احتواء الحضارة الغربية وتحويل مجراها فى الاتجاه الذى تبغيه دون استخفاء أو استحياء وقد حاول المؤلف إسناد دور حضارى مختلق لليهود ليجعل منهم حملة ألوية المدينة عبر التاريخ ، ويضخم شتانير من أحداث اليهود فى معسكرات الاعتقال وقيمتها بحيث يراها تصبح محوراً للفكر العالمى والمنطلق الذى يبدأ منه التمهيد لمستقبل البشرية ويدعو إلى محو الماضى البشرى الحقيقى من الذاكرة كى يهيىء التربة إلى غرس صهيونى جديد ويحاول أن ينفخ فى حادثة تعذيب النازية لليهود وهى حادثة محدودة ثبت أن حجمها لا يساوى هذا التهويل الخطير الذى حاول به اليهود اتخاذها تكأة للهجرة إلى فلسطين وإلى ابتزاز أموال الألمان .

(٤) وهكذا نجد أن الفكر الغربى قد تنبه إلى مخططات الصهيونية وأكاذيبها وخداعها وأن الفكر الإسلامى لا يقل كشفاً ودحضاً لهذه المسلمات المسمومة التى حاولت لتلمودية فرضها وترديدها خلال أكثر من قرن من الزمان . ولا ريب أن مؤامرة اليهودية العالمية هى أخطر مؤامرة على البشرية فى العصرالحديث وليست إلا واجهة من واجهات هذه المؤامرة قد سيطرت الصهيونية على الأعلام العالمى واستطاعت أن توجه أخبار العالم كله الوجهة التى تتفق مع أغراضهم وسيطرت التلمودية الصهيونية على الجامعات التى تصوغ العقول وتكتب التاريخ وقد تمكنت من فرض سيطرة كاملة على المناهج والدراسات بحيث نجد أن الأغلبية الساحقة من أعضاء هيئات التدريس من اليهود والمؤامرة تستهدف إحتواء العالم فالعالم فى نظرهم أحقر من أن ينتمى إلى اليهود ، فاليهودية التلمودية تحتقر العالم كله ، وقد وضعت الصهيونية خطتها على أساس الاستيلاء على ثلاث : ١ ـ المصرف ٢ ـ الجامعة .
٣ ـ الصحيفة بالسيطرة على المال وعلى التعليم وعلى الفكر والأعلام وظنوا أن ذلك سيجعل العالم يفكر على الوجهة التى يرسمونها له . ومع ذلك فقد أخذت اليقظة تعم العالم كله ، والفكر الإسلامى الآن يقود حركة اليقظة ويكشف زيف هذه المخططات . وأن أكبر الحقائق

التى يجب أن يتمسك بها الفكر الإسلامى اليوم هى أن الدفاع عن القدس هو من شأن المسلمين جميعاً وأنها ليست قضية عربية فحسب وإنما قضية إسلامية تخص جميع المسلمين فى العالم حيث تبلغ الحكومات الإسلامية اليوم ٣٢ حكومة وعليه أن ينبه إلى محاذير السطحية أو الخطأ فى فهم أهداف الصهيونية التلمودية التى تعلن الحرب على الإسلام كدين وفكر وثقافة وتراث ومنهج حياة وأنها تعمل على تسميم الآبار وإثارة الشبهات لتدمر هذه القوة التى استعصت على الغارات والغزاة ولا ريب أن حرب الصهيونية التلمودية إنما تستهدف العقيدة والفكر والثقافة أساساً . ولا ريب أن الإضافة التى قدمها (وليم جاى كار) فى هذا المجال هى من الوثائق ذات الأهمية الخطيرة فى كشف مخططات الصهيونية وأهدافها البعيدة المدى فى تنبيه المسلمين أولا والبشرية كلها إلى ذلك والخطر والطريق الذى يسلكه إلى غاياته المسمومة وفى هذه الدراسات ما يصم كتاب الشيوعية بالخزى البالغ لدفاعهم عن اليهود والصهيونية ومحاولة تبرئتهم من البروتوكولات . وفى كتاب (الدنيا لعبة إسرائيل) مزيد من التحليل الذى قدمه الكاتب فى كتابه : (أحجار على رقعة الشطرنج) وأهمها الحقائق الآتية . أولا : كشف عن أن الشيوعية ومحتوياتها ليست إلا جزءاً من مؤامرة دولية كبرى دعاتها التلموديون وهدفها القضاء على الأديان والمثل العليا . ثانياً : ما من ثورة فاسدة قامت إلا كان وراءها اليهود ولا حرب قذرة إلا هم مشعلوا نزرها وما كل المواخير والأوكار وادوات الانحلال السائدة فى أكثر بقاع العالم إلا ولهم ضلع رئيسى فيه بل هم كل شىء فيه . ثالثاً : إن العبقرية الجهنمية اليهودية تتجلى فى مجموع ترتيبات المخطط الذى اعتمد ثلاثة تنظيمات ظاهرة التناقض يرتدى كل منها قناعاً مختلفاً عن الاخر مغايراً بصورة أساسية للقناعين الاخرين، بيد أنها تدور جميعها فى فلك واحد هو الفلك الإلحادى وتنصب غاياتها البعيدة العميقة إلى هدف واحد هو تحقيق مؤامرة الشر الأبدية والوصول إلى إخضاع العالم بأسره لدكتاتورية شاملة مطلقة لإخلاص منها هى دكتاتورية محفل صهيون أما التنظيمان الآخران بعد الشيوعية فهما النازية والصهيونية . رابعاً : مكنت الحرب الثانية الشيوعية من التهام نصف العالم ووصولها إلى درجة من القوة تعادل فيها مجموع قوى العالم العربى . ويتناول أرنولد توينبى فى كتابه : (مشكلة اليهودية العالمية) هذا المخطط الرهيب فيأخذ عليهم فساد سرد تاريخهم الذى يكتبونه من وجهة نظرهم البحتة وحدها وسيطرة فكرة شعب الله المختار على أذهان اليهود طوال السنين والأحقاب وأمام هذا يجب إعادة بحث التاريخ اليهودى على ضوء التمحيص العلمى المدعم بما تسفر عنه

الكشوف الأثرية من وقائع وبينات ، ذلك أن اليهود حين استهوتهم الفكرة المسمومة فكرة : إنهم شعب الله المختار وقعوا فى خطأ مميت وانحرف بهم احتضانهم لهذه الحقيقة إلى العقم الفكرى وأن اليهود قد أوهموا مئات الملايين من البشر – بما فيهم الكنيسة المسيحية – – (وباستثناء المسلمين) أوهموهم على مدى العصور والأحقاب بأن تاريخهم مقدس . وقال المؤلف:المسيحية والإسلام هما أهم حدثين فى التاريخ ولولا ظهورهما لعاشت اليهودية فى ظل وثنية هلينية مثلما يعيش اليوم بقية الباريسيين من أتباع زاردشت فى الهند وعلى الرغم من عداء اليهودية للإسلام والمسيحية فقد أضفى ظهورهما عليها أهمية واعتباراً ولولاهما ما كانت لتحظى به بل لقيض للجماعة اليهودية أن تعيش فى ظل حجب الغموض والإبهام لا يبالى بها أحد . والواقع أن اليهودية تعتبر حقاً بقية حضارة بائدة يعتبرها الباحثون المدققون الآن مجرد جماعة متحجرة . إن الصدمات العنيفة التى أصابت النفسية اليهودية تعتبر السبب الرئيسى فى تحول العقيدة اليهودية القديمة إلى ما أصبحت عليه بعد ذلك من تحجر وكراهية العالم لليهود بالتالى . وفى طليعة تلك الصدمات ما كابدته اليهودية على أيدى نبوخذ نصر ، وانطيوخس ثم الرومان أثناء حروبهم مع اليهود خلال أعوام ٦٦ ، ٧٠ ، ١٣٥ ولهذه الحروب تأثير على تاريخ اليهودية أقوى من تأثير ظهور المسيحية وفى أثناء هذه الفترة أتم اليهود صياغة شريعة التوراة المكتوبة وتفننوا فى التعليق عليها بتعاليم كتاب (التلمود) وقال المؤلف أن اليهود بعد أن دمر نبوخذ نصر مملكتهم أخذوا يعقدون الآمال على إقامة دولة يهودية جديدة لهم ، ومن خلال سرد تاريخى سريع ابتداء بالقرن الخامس من قبل الميلاد أثبت المؤلف أن اليهود ظلوا لمدة ستمائة سنة يسعون لإقامة دولة بفلسطين باستخدام القوة المجردة فكان الإخفاق حليفهم وقد أورثهم هذا الأسلوب الدمار والتشتت وقد واجه اليهود على مدار ١٤٠٠ سنة ممتدة من القرن العاشر قبل الميلاد إلى القرن الرابع الميلادى أحداثاً ضخمة وكابدوا تعبيرات بعيدة المدى بيد أنه مهما يكن من أمر جسامة تلك التغييرات فقد سيطرت على العقلية اليهودية فكرة عن طبيعة إلههم لم تتبدل حتى الآن وهم يصورون إلههم فى صورة إنسان ويتطلب هذا الكائن الإنسانى (الإله) من أتباعه طاعة عمياء وولاءً كاملا وقال أرنولد توينبى : إن حرص اليهود على شيوعيتهم دعاهم إلى أن ابتكر أحبارهم فكرة الشعب المختار بعد أن بثوا فى أبناء قومهم الإيمان بأنهم شعب مختار وانطلاقاً من مفهوم هذه الفكرة صارت اليهودية منذ ظهورها حتى الآن عبادة قبلية جماعية متفردة شاذة ، وهى أقبح الأمثلة

لعبادة الذات الفانية وإن هذه الديانة تنكرت للمسيح وللاسلام كديانتين وهذا التنكر يعنى شيئاً واحداً هو تنكر اليهود لأصلهم . وقال : إن عداء اليهودية للمسيحية مصدره أن اليهود يعتقدون بأن الغفران يمنحه الرب لليهود وحدهم ، أما كره اليهود للإسلام فنابع من كون الإسلام سلبهم احتكار مبدأ الروحانية ولأنه دين عالمى من حق البشر جميعاً أن يعتنقوه وقد دفع نمو الروح القومية الحديثة فى أوربا اليهود الغربيين إلى اختراع قومية تقتصر عليهم وحدهم هى الصهيونية ومن أولى أهدافها تركيز اليهود المشتتين أو جانب منهم فى دولة قو مية خاصة بهم ولا تضم إلا سكاناً متجانسين من اليهود : (إسرائيل) وقد أقام معتنقوا هذه القومية الحجة على أنفسهم بأن الدرس الذى تعلموه من النازية قد جعلهم ينتقمون ظلماً وعدواناً من عرب فلسطين باضطهادهم لأنهم شعب أضعف منهم فراحوا يستصفون غالبيتهم التى جاوزت المليون ونصف بطردهم من الأرض التى شغلوها وزرعوها أجيالهم وأباؤهم من قبل ومن ثم أصبح هؤلاءِ العرب فى حالة العدم وغدوا قوماً لاجئين وهذا الاضطهاد الصهيونى ضد العرب أثبت أن الخصائص اليهودية هى حصيلة الملابسات التى صاحبت تشتيت اليهود فى أنحاء العالم الغربى (أوربا) ليس إلا وأن الصهيونية بنبذها تقاليد (التشتت) اليهودى جملة لتقيم أمة جديدة على ظهر الأرض على غرار ما فعله الرواد البروتستانت المحدثون من المسيحيين الغربيين الذين أقاموا الولايات المتحدة الأمريكية واتحاد جنوب إفريقيا واستراليا وتيوريلنده وقال أن القومية اليهوديةالجديدة (الصهيونية) قد نشأتلجميع تشتت اليهود وإلغاء منازلهم (الجيتوات) وجمعتها مع بعضها وذلك من أجل تكوين دولة (إسرائيل) تحفظ لليهود ذاتيتهم المميزة بطريقة جديدة مدارها أن يكون لكل صهيونى جنسيتان : إسرائيلية لتبعيته الروحية وجنسية البلد الذى يقيم فيه وترمز إلى مصلحته المادية من دولة أقطاب اليهود أن تتولى إسرائيل القبض على ناصية المال والتجارة فى الشرق العربى فيحقق لهم السيطرة على العالم وذلك انطلاقاً لتحقيق فكرة الشعب المختار لتصبح حقيقة واقعة . وفى سبيل ذلك تتحالف اليوم الصهيونية مع الاستعمار العالمى ومع الإمبريالية الخاضعة لنفوذ يهود نيويورك وكان وعد بلفور المشئوم ثمرة هذا التحالف الذى تكاتفت على تحقيقه عملية قوى الاستعمار البريطانى والامبريالية الأمريكية والرجعية » ا.هـ.

(٣) بين الصهيونية والمسيحية

حاولت الصهيونية منذ وقت بعيد تذليل المسيحية لأهدافها وذلك بالربط بين العهد القديم

والعهد الجديد واحتواء البروتستانتية وإخضاعها لمفاهيمها وقد حملت الصهيونية التلمودية على المسيحية وحاولت التشكيك فيها بهدف إحتوائها والسيطرة عليها من ناحية أخرى . ولقد كان هدف الصهيونية التحرر من القوانين التى فرضتها المسيحية على المجتمع اليهودى داخل المجتمع المسيحى وكانت الثورة الفرنسية والثورات الأوربية المختلفة عاملا على إحلال القومية والوطنية محل الدين وبذلك انهارت هذه القيود وتمكن اليهود فى المجتمع الغربى كله من الانطلاق والعمل فى مختلف المجالات واستطاعوا السيطرة على الأحزاب السياسية وتوجيهها الوجهةالتى تمكنهم من قيادة الأمم والدولة . وقد تمكنت الصهيونية من السيطرة على التعليم والصحافة والثقافة وأجهزة الأعلام الغربية على النحو الذى مكنهم من أن يفرضوا على العقل الغربى مفاهيمهم سواء بشأن السيطرة على فلسطين أو بشأن تدمير مقومات الإنسان الأخلاقية والدينية عن طريق الفلسفات والمذاهب الاجتماعية والاقتصادية التى طرحوها وأعلوها وأعطوها من المذاهب المختلفة دفعة القوة والتمكين كما فعلوا بمذهب ماركس ومذهب فرويد ومذهب دوركايم ولا ريب أن أخطر ما حققته الصهيونية هى إقصاء الدين عن مجالات السياسة والاجتماع والاقتصاد وإحلال الخبرة والمنفعة والأهلية كأساس لجميع المعاملات والتنظيمات . ومن هنا جاء قبول اليهود على أساس كفاءتهم الشخصية وإقامة النظم السياسية على أساس الوطن لا على أساس الدين ولا ريب أن استطاعة التلمودية الصهيونية تحقيق هذا الهدف لمن أكبر الأعمال التى حققها اليهود فى المجتمعات المسيحية بعد أن اضطهد المسيحيون اليهود أشد الاضطهاد عصوراً طويلة ولم يعترفوا بأن لهم حقوقاً مدنية ، وكانوا قد أقصوهم عن جميع العلاقات الاجتماعية وفرضوا عليهم الإقامة الجبرية فى الجيتو . كذلك فقد استطاع اليهود التلموديون أن يحرروا أنفسهم من قيدآخر وهو قيد اتهامهم بأنهم حرضوا على قتل السيد المسيح وقد استطاعوا أن يصلوا فى هذا الأمر إلى نتائج هامة وخاصة ما وصل إليه المجتمع المسكونى الثالث الذى انعقد عام ١٩٦٤ والذى أصدر وثيقة تبرىء اليهود من تهمة (قتل الرب !) وشجبأى مظهر عدائى لليهود وقد اعتبرت الأوساط اليهودية والصهيونية وثيقة عام ١٩٦٤ كسباً سياسياً من الدرجة الأولى وسلاحاً عملياً لمحاربة النزعات اللاسامية فى الأوساط المسيحية بينما أنكر اليهود المحافظون المدنيون صلاحية الكنيسة الكاثوليكية فى تبرئة اليهود بل لقدبلغ الأمر إلى أبعد من هذا حين صرح القاصد الرسولى (الاب مركولى) من قبل البابا حين قال : لقد حدثت تغيرات شتى فى الوقت الأخير فى العلاقات بين اليهود والحكومة

الإنجليزية وكان من شأن هذه التغيرات أن بعثت اهتمام الدول عامة بمسألة الشعب اليهودى من جديد وبالتالى بدأ الفاتيكان يهتم بالمسألة والبابا ينظر الآن بعين الرضا والإرتياح إلى مشروعات الصهيونية فى فلسطين وهو يراها مصدر بركات للسلام العالمى. ويعتقد البابا بيوس التاسع أنه يحق للصهيونيين أن يحملوا كافة الكنائس الدينية على الاهتمام بأمانيهم على إنى أؤكد أن الكنيسة الكاثوليكية وهى أكبر كنيسة فى العالم تؤيد الصهيونية وأمانيها » . وتقول المصادر التاريخية أن التقارب بدأ بعقد مؤتمر عام ١٩٤٧ للمسيحية واليهودية وكان قد دعا إليه فيلسوف يهودى فرنسى هو جول اسحق » صاحب كتاب (عيسى وإسرائيل) محاولا تبرئة اليهود من محاولة قتل المسيح ، كما ألف كتاباً عام ١٩٥٦ عن نشوء العداء للساميين وله كتاب (تعاليم الازدراء) حاول به إصلاح التعاليم المسيحية التى كانت تعتمد فى نظره على أغلاط تاريخية وعلى جهل بالتوراة والإنجيل ومن مظاهر التنافر الإدعاء بأن عيسى لم يكن من أصل يهودى بل خليلى ومن ذلك التنافر اضطهاد المسيحيين لليهود فى مختلف حقب التاريخ وقد حذف من أدعية الجمعية المقدسة أدعية تصف اليهود بالمكر والخداع . وقال الأسقف الألمانى (بيا) إن الوقت حان للكنيسة أن تصرح أن مسئولية قتل المسيح وتعذيبه ليست على عاتق الإسرائيليين وحدهم بل على عاتق سائر الشعوب . والمعروف أن الإسلام يكذب إدعاء قتل المسيح ويرى أن هـــذه محاولة لم تتم فقد رفعه الله إليه وأنه لم يقتل يقيناً . ولقد كان من محاولات التقارب الواضحة زيارة بابا روما لإسرائيل .

(٢) فى نطاق البحث عن العلاقة بين الصهيونية والمسيحية لابد من التعرض لظاهرة (اللاسامية) التى ابتكرها التلموديون الصهيونيون ليحاربوا بها كل من يعارضهم . واللاسامية فى أوربا معناها كره اليهود وظهور شعور العداء ضد اليهود مرده إلى سيطرتهم على الاقتصاد

الاقتصاد وقيامهم بدور المرابى الجشع وقد ابتكرت الصهيونية كلمة السامية حتى تجعل الأربيون يشعرون بأنهم يعادون جنساً آخر ، ويرى المؤرخون أن اللاسامية هى التى ولدت الصهيونية السياسية المستحدثة ويقول المؤرخون : أنه فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر نشأت حركة موجهة ضد اليهود عرفت باسم (ضد السامية) تقوم فى ميدانها على أساس كره اليهود الذى يرجع إلى القرون الخالية ولكن زعماء هذه الحركة ألبسوها ثوباً عصرياً وز موا

أنهم يقصدون بها منع الأجناس السامية من التغلب على الأوربية وإيقاف تدفق سيل الساميين من آسيا على أوربا ونادوا بأن غايتها هى إنقاذ المدنية الأوربية من غارة الجاهلية الآسيوية ولا ريب أن اللاسامية هى ثمرة ذلك الصراع الطويل بين المسيحية واليهودية الذى طالما سالت من أجله الدماء وأزهقت الأرواح فى القرون الوسطى ، وأنه ثمرة تراث ضخم من قرارات الكنيسة وقوانين الحكومات الغربية التى كانت تعمل على محاصرة هذا الخطر المتنمر الذى أفسد المجتمعات وسيطر بالربا على مقدرات الشعوب مما أحفظ كثيراً من كتابها وزعمائها الذين سجلوا ذلك فى صفحات من نار . لقد عاش اليهود آلاف السنين فى أوربا ومع ذلك فما برح سواد الأربيون ينظرون إليهم على أنهم أجانب ودخلاء . والسبب أن اليهود حافظوا على طبيعتهم ورفضوا الانصهار فى المجتمعات منحصرين فى الجيتو الذى ما لبث أن أصبح مركزاً للاستلاب المالى ولسيطرة الاقتصادية . وقد استطاع اليهود كسر هذه القيود جميعاً والسيطرة على كل شىء ، ومع ذلك فهم يشهرون هذا السلاح فى وجه كل من يعلن عن فسادهم أو مطامعهم والتلمودية اليهودية فى سبيل خداع الجماعة الغربية المسيحية ابتكروا نظام البنوك ليتخلصوا من نموذج المرابى الذى كان يقتل دائماً إذا ذهب مطالباً بقرضه ، وهكذا نجد أن الصراع بين المسيحية واليهودية ما زال قائماً وقد كشف فى السنوات الأخيرة عن يقظة ووعى من جانب العرب المسيحى بالرغم من كل محاولات الخداع والتضليل التى يقوم بها اليهود فى سبيل السيطرة الصهيونية على الاعلام ولم يتوقف الأمر عند قرار تبرئة اليهود ، بل لقد أمتد لأن تعلن الكاثوليكية سماحها بالإنتساب إلى محافلها الماسونية وذلك كخطوة متقدمة لفتح كل الأبواب أمام الحركة الصهيونية لتأخذ مسارها المخطط لها فى بروتوكولات صهيون ولقد عاشت الكنيسة سنوات طويلة وهى تؤكد الحظر على عدم قبول المشتركين فى المحافل الماسونية تحت راية المسيح وتعددت قرارات الحرمان لهم على توالى العصور . واليوم ينكسر هذا القيد وتسمح الكنيسة بالانتساب إلى الماسونية التى قامت فى الأساس لمعارضتها بل وللتآمر عليها .

(٤) بين الصهيونية والشيوعية

تقول أصح الأقوال : أن الصيونية مؤاة شيومرعية والشيوعية مؤامرة يهودية ولا ريب أن «ماركس» أراد حين قدم نظرية التمويه والخداع بأنه لا صلة له بالصهيونية أو اليهودية جملة ولا ريب أن الشيوعية تعمل لتحقيق الهدف الصهيونى فى السيطرة على العالم وأن تعاليم

كارل ماركس وفردريك انجليز ولينين وستالين لا تختلف فى كثير أو قليل عن تعليمات بروتوكولات حكماء صهيون بل أن الألفاظ والعبارات والمفاهيم التى صيغت بها كل الشيوعية والصهيونية متشابهة متماثلة ولعل من أعجب ضروب التشابه فى الوقت ذاته أن يكون الرواد الشيوعيين الأوائل جميعاً منحدرين من أصل يهودى والتشابه فى أنهما حركتين سياسيتين تهدفان إلى السيطرة على العالم كله بتماثل مع التشابه فى وسائلهما وغايتهما ومفاهيمهما وأخلاقياتهما والتشابه بينهما فى ميدان التطبيق العملى ولعل أكبر مثل لتعانق الصهيونية والشيوعية أن بروتوكولات صيون يطلق عليها الإنجيل البلشفى وأن الثورة البلشفية كان يطلق عليها الثورة اليهودية وقد جاء فى كتاب المؤامرة اليهودية : أن المحفل الأمريكى الماسونى الذى يدير الماسونية الكونية وكل أعضائه من زعماء اليهود قد عقدوا مؤتمراً قرر فيه خمسة من اليهود خراب روسيا القيصرية بانفاق مليار دولار وتضحية مليون يهودى لإثارة الثورة فى روسيا . ومنذ وقت بعيد كشفت حركة اليقظة الإسلامية هذا المخطط ونقلت إحدى صحفها عن مجلة فرنسية موضوعاً تحت عنوان الشيوعية دسيسة صيونية لخراب العالم جاء منها : أن مديرى دفة أعمال الأمةاليهودية هم الذين أثاروا الحرب الكبرى ودبروها بالدسائس بغية جمع المليارات وتقسيم الممالك ثم محق ماليتها وقتل النبوغ فى غيرهم وتعبيد السبيل أمام الشعب المختار كما يصف اليهود أنفسهم للاستيلاء على الكون كله . وهؤلاء الزعماء اليهود هم الذين دبروا للبلشفية بالدسائس وعهدوا لها ببذل المال وأثاروها من الشعب الروسى واستكمالا لأعمال الحرب الجهنمية وأفناء للعناصر البشرية وتحطيم المبادىء الاقتصادية . ومما يذكر أن لينين زعيم الشيوعية الروسية والمخطط الثانى للماركسية ومنفذها فى روسيا كان واحداً من مخططى الصهيونية ومن واضعى بروتوكولات حكماء صهيون وقد حضر مؤتمر الحكماء فى سويسرا ، وأن الثورة الدولية كانت من طبقة اليهود وأن أول رئيس فى دولة روسيا هو اليهودى كليمنيف وتلاوه الإرهابى دى سفرولوف وأن الذين يحكمون روسيا الآن ليسوا من الروس ولكن حفنة من اليهود الارهابيين العالميين . ويرد المؤرخون والباحثون جذور الصلة بين اليهودية وروسيا إلى وقت مبكر ، بل إلى تشكيل الامبراطورية نفسها حيث كان اليهود جزء منها بعد سقوط دولة الخزر ، ولقد كان موقف اليهود حاسما أعلن القيصر اسكندر الثانى عطفه الخاص على اليهود ومنحهم قدراً وافراً من الامتيازات التى تمكنهم من الاندماج فى المجتمع الروسى . فقد أحسوا أن هذا الولاء سوف ينقص من ولاءهم للصهيونية وأنه سيعرضهم

للذوبان فى المجتمع الروسى ، وكان من نتيجة ذلك اغتيال القيصر عام ١٨٨١ ، وكان اغتيال اليهود للقيصر مقدمة للعمل على اسقاط الحكومة الروسية وسيطرة الصهيونية على روسيا وتحويلها إلى الشيوعية . وكانوا قبل ذلك قد عمدوا إلى تخريب الاقتصاد الروسى ثم بدأت خطة العمل الصهيونى فى تدمير المجتمع الروسى كله . وقامت أموال المرابين اليهود بالدور الكبير فى هذا المجال يقول عبد السلام العمرى : أن حقيقة الماركسية لا يحب فصلها عن كونها فكرة يهودية تصدر من وراءها كارل موردخاى ماركس واليهودية العالمية للسيطرة على العالم عن عقيدة فكرية هدامة تحارب الدين والأخلاق والقيم تحت رآية العلم والموضوعية والحتمية التاريخية . وأن اليهود كانوا مدركين أن (الردة) عن الدين كانت لقرون طويلة ردة قصيرة لا يلبث المرتدون فيها أن يعودوا إلى اعتناق ما كانوا يدينون به عن قبل بعد إشباع نذواتهم ورغباتهم لكان لابد من نظريات وأفكار ومبادىء تربط عقول الناس وتفرقهم فى ردتهم مبتعدين عن الدين بحجة أن العلم هو الذى قرر ذلك بصورة لا رجوع عنها والتخطيط اليهودى يرسم أهدافه عن طريق مفكرين ورجال بارزين حملوا دعوى الأفكار والنظريات العلمية ليحققوا أهداف اليهود ، وهكذا كان ماركس وفرويد ودوركايم وسارتر جنوداً بارزين فى هذا الميدان ، أن ارتباط التخطيط اليهودى بالماركسية أذن هو الذى يعطينا الجواب النهائى لماهية السبب الذى قاد تصور ماركسى لدعوى افتراض بدء الشيوعية فى أوربا الغربية وبريطانيا كما يقدم لنا الدليل الكافى للاعتقاد بتحول التخطيط اليهودى ناحية روسيا لتطبيق ما رسموه لها وللعالم من خطة تدميرية . وحقائق التاريخ تثبت أن اليهود سيطروا على بريطانيا لفترة زمنية طويلة . عاد اليهود إلى بريطانيا باعتبارهم أصحاب المال والنساء فى حركة كرمويل الذى ظهر عام ١٩٤٧ وقاد ثورة ضد الملك شارل الأول وخلعه عن العرش وأعلن قيام الحكم الجمهورى ، وقد أصدر عام ١٩٥٧ أمراً بعودة جميع اليهود المطرودين إلى بريطانيا ومنحهم جميع الحقوق المدنية . كما انتقم كرومويل لليهود من الأسرة المالكة بصورة رهيبة وأصدر كرومويل قانوناً منع بموجبه العمل يوم السبت وأرغم المسيحيين على قراءة التوراة طيلة أيام الأحد وألغى الطقوس الدينية المسيحية ودام حكمه حتى ١٦٦٠ م . أن رجعة اليهود إلى الجزر البريطانية وسيطرتهم المحكمة من جديد على مختلف الحقوق الاقتصادية الدينية والسياسية يتساوى تماماً مع ظهور الأفكار الماركسية اليهودية التى كانت بصورة بديهية تشير إلى توقع أن يكون المطبق الأول للشيوعية إنما هى دولة بريطانيا بالذات قبل غيرها ،

إذن ليست هى وسائل الانتاج المتغيرة ولا أساليب الإنتاج المتبدلة هى التى حتمت ضرورة قيام الشيوعية فى بريطانيا وإنما هى السيطرة اليهودية المحكمة على بلاد الانجليز هى التى دفعت ماركس لما أشار إليه فى كتاباته فى هذا الشأن . ومع ذلك يتبادر سؤال هام فى هذا المجال : ما هو الدافع إذن لتغيير المخطط اليهودى والاتجاه نحو روسيا لتكون المنطلق الأول لقيام الشيوعية فى العالم قبل غيرها ومع صعوبة الجواب القاطع الباعث لتغيير المخطط اليهودى إلا أن دراسة الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية تقدم لنا دليلا هاماً لذلك الدافع ، فتغير الظروف المحيطة التى تطورت بعد أعلان ماركس لأفكاره وما صاحبها من اجتماع الزعماء اليهود فى باذل بسويسرا ١٨٩٧ لمدارسه كيفية السيطرة اليهودية على العالم أدى إلى القرار الحاسم بضرورة توجيه ثقلهم نحو روسيا بعد أن تيقنوا بعدم الحاجة لقيام دولة شيوعية فى بريطانيا ما داموا يطبقون عليها تماماً بما لديهم من وسائل وأساليب محكمة . وكان لابد من قيام ثورة شيوعية فى روسيا لأسباب : أولا : الجهل والفقر المطبقان على سكانها مما يمكن استثمارهما لصالح الحركة الثورية . ثانياً : وجود كنيسة مسيحية لها نفود طائفة ضخمة من المسيحيين فى العالم وتحطيمها ولابد أن يسهل ذلك إمكانية تقريب الهدف اليهودى من التحقيق بصورة أسرع وأكثر فاعلية . ثالثاً : موقعها الجغرافى ومساحتها الهائلة وعدد سكانها الكبير ومصادرها الغنية والزراعة الضخمة مما شكل عوامل أساسية لدور عالمى متوقع فى السياسة الدولية . أن تكشف الأصابع اليهودية ودورها فى الأقطار الماركسية هو الذى أزاح ستار (العلمية) التى حاول اليهود جهدهم إضفاءها على كتابات ماركس وأتباعه عشرات السنين » أ.هـ. وتكاد تجمع الوثائق التى كانت مدفونة فى القديم وتسربت فى السنوات الأخيرة على أن الماركسية والصهيونية حركتان توأمان منبعهما واحد وغايتهما واحدة وجوهرهما واحد والفئة التى تقدم عليهما من وراء الستار واحدة وما اختلافهما فى الظاهر سوى ترتيب مؤقت إقتضاه النجاح فى السعى إلى الغاية الوحدة حتى إذا تحققت بالنجاح الكامل اتحدتا معاً للسيطرة على العالم ولا عبرة بهذا الفرق الظاهر بين الشيوعية والصهيونية فكون اليهودى شيوعياً أو صهيونياً أو كليهما معاً . وكثيرون منهم كذلك لا ينفى كونه يهودياً وليست الشيوعية أو الصهيونية سوى مظهر لقومية واحدة هى القومية اليهودية التى لا تفتأ تنادى سائر العالم غير اليهودى . ويقول فرانك برايتون الذى كشف هذه الحقيقة فى كتابه الصهيونية والشيوعية أن أن وجه الخلاف بينهما يظهر فى ثلاث أمور : (الأول) التسمية : ففى الصهيونية تخصيص

وفى الشيوعية تعميم ليختار المرء بينهما بحسب مزاجه . الثانى) مراكز النشاط : مركز نشاط الصهيونية ما اصطلح على تسميته بالغرب وتتزعمه أمريكا (واشنطون) ومركز نشاط الشيوعية الشرق وتتزعمه روسيا (موسكو) . (الثالث) الأُسلوب فى العمل : الصهيونية تتاجر بالمال وتدعمه الدعاية عند اللزوم والشيوعية تتاجر بالدعاية يدعمها المال عند الاقتضاء وإن الثورة الشيوعية قامت بتدبير اليهود وتخطيطهم وإن كبار زعماء الشيوعية مثل ماركس ولينين وستالين وفورشيلوف ومولوتوف كل هؤلاء وغيرهم من أصل يهودى أو لهم زوجات يهوديات ، وأن أهداف الصهيونية العالمية هى أهداف الماركسية أو الشيوعية اللينية كلاهما يسعى للسيطرة على العالم وتسخيره لليهود شعب الله المختار . وأن أنصار الشيوعية فى العالم معظمهم من أنصار الصهيونية وأن ٩٠ فى فى المائة من أعضاء الحزب الشيوعى الأمريكى من غلاة الصهيونية وأن اليهود هم أول من أدخل الشيوعية بلاد الإسلام وإن روسيا السوفيتية كانت أول الدول بعد أمريكا التى اعترفت بقيام اسرئيل ولقد عرف اليهود لروسيا هذه المكرمة وأعلنوها على لسان الكثير من زعمائهم . والماركسية فى حقيقتها ما هى إلا صيغة الصهيونية العالمية ووسيلة من وسائلها لإفساد المجتمع العالمى وبذر بذور الفتن والثورات فى أرجائه وأن عداء الماركسية للإسلام مستمد من عداء اليهود له وقد خاضت الماركسية كما يقول الدكتور محمد عزت نصرالله أعنف المعارك المجردة من كل رحمة والمنافية كل المنافاة للإنسانية ضد المسلمين المقيمين بالاتحاد السوفيتى من تعذيب يشيب لهوله الولدان إلى تجويع حتى الموت ومن نفى لمئات الألوف إلى معسكرات الاعتقال بسيبيريا إلى أعدام بالجملة حتى تناقص عدد المسلمين من ٤٠ مليوناً فى بدء الثورة الشيوعية إلى ٢٢ مليوناً فى الوقت الحاضر والمعروف أن اليهود قد ردوا لروسيا الجميل بأن سلموا إياها أسرار القنبلة الذرية التى كانت وحدها هى التى تعرف أسرارها بعد الحرب العالمية الثانية ، فقد قام جوليوس روزنبرج وزوجته أثيل اليهودين المتجنسين بالجنسية الأمريكية وهما من كبار علماء الذرة بنقل أسرارها إلى روسيا وذلك لتمكينها من أن تقف موقف الند من الولايات المتحدة وقام علماء الذرة اليهود المتجنسين بالجنسية البريطانية بنفس الخيانة . وبالجملة وفيما يتعلق بعالم الإسلام فإن القنطرة التى عبرت عليها الشيوعية من بلادها فى الشمال إلى بلادنا هى الصهيونية فقد كان مروجوا الشيوعية الأُولى فى البلاد العربية والإسلامية وخاصة مصر وسوريا وفلسطين من اليهود الصهيونين

(٣) دفاع الشيوعية عن الصهيونية

حاولت الماركسية الدفاع عن الصهيونية وقد كان ذلك واضحاً فى الركام الذى طرح فى أفق الفكر الإسلامى فى السنوات الخمس التى سبقت النكسة والتى تلتها ، حينما كانت الاقلام الماركسية تصب سمومها مشتركة مع الأقلام المادية والإباحية وكتاب الجنس ، كان واضحاً أن الماركسية تدافع عن الصهيونية وتحول دون كشف أبعاد مؤامرتهم ، ولم يكن ذلك غريباً فإن الماركسية والصهيونية توأمان فلابد أن تحمى إحداهما الأخرى . وكان أبرز الجوانب التى دافعت الشيوعية فيها عن الصهيونية : أولا : التفرقة بين اليهودية والصهيونية . ثانياً : محاولة التشكيك فى بروتوكولات صهيون والماسونية ثالثاً : التركيز على النازية . ومع كل المحاولات المضللة فقد عجزت الماركسية أن تكذب الحقائق التى أكدها التاريخ ومنطق الأحداث . تقول موسوعة المفاهيم الصهيونية التى كتبها واحد من الماركسيين تحت عنوان المؤامرة اليهودية الكبرى أو العالمية ما يلى : يتهم المعادون للسامية لليهود بأنهم يحيكون مؤامرة عالمية كبرى لتخريب الأخلاق وإفساد النفوس ثم الإستيلاء على العالم وإنشاء حكومة عالمية يكون مركزها القدس وأهم إفرازهذا التصور هو الوثيقة المزورة ![بروتوكلات صهيون] ساعد على نشر هذه التصورات الباطلة عن اليهود طقوسهم الدينية المركبة كما ساهمت النزعة الإنفصالية عن الدين اليهودى إلى تعميق الشكوك من جانب الاغيار . السبب المباشر هو التصورات اليهودية الخاصة بالشعب المختار والمركزية الكونية والتاريخية التى يصنعها اليهود على هذا أنفسهم إلخ .. وهكذا نجد أن الماركسية تدافع عن اليهودية التلمودية الصهيونية بأقوى مما تدافع الصهيونية عن نفسها فهى تعتبر القائلين بالمؤامرة اليهودية معادون للسامية ، مع أنهم عرب ، وهى تحاول أن تكذب هذه المؤامرة وتكذب البروتوكلات فى آن وتصرف النظر إلى طقوس دينية وغيرها فى محاولة ما كرة لا تستطيع أن تنهض دليلا صحيحاً فى مواجهة مئات الأدلة على المؤامرة وعلى سلامة نسبة البروتوكلات إلى الصهيونية بواقع التاريخ نفسه . كذلك فإننا نجد كتابات الماركسية تنفى فكرة العجل الذهبى عن اليهود فتقول إن الصهيونيون يستخدمون كرمز لليهود الذين يعيشون خارج الأرض المقدسة ويرفضون الهجرة إليها بسبب المستوى المادى المرتفع الذى حققوه فى المنفى ، ثم تقول الموسوعة : أما أعداء الصهيونية فيستخدمونه للإشارة إلى النزعة الوثنية التى تعتنقها الصهيونية بين اليهود والتى تتمثل فى عبادة العجل الذهبى الجديد : إسرائيل .. وهكذا يكشف الماركسيون أنفسهم فى

موقفهم من الفكر اليهودى التلمودى ويؤكدون الصلة العميقة بين الماركسية والصهيونية ومع محاولة الكتابات الماركسية إتهام وثيقة البروتوكلات فإنها لم تجد بدا من أن تشير إلى أن مخططها هو القضاء على العروش الأوربية مقدمتها عرش القياصرة الروس واتخاذ أوربا قاعدة لسلطة اليهود ونفوذهم والسيطرة على العالم بالذهب والدهاء والعنف واحداث المملكة اليهودية وفرض الديانة اليهودية على العالم ومحو الأديان الأخرى وفى مقدمتها المسيحية ثم الإسلام . كذلك فقد أشارت إلى ظاهرة الصهيونيين المسيحيين : وهم فريق البروتستانت الذين يؤيدون الصهيونية نتيجة إيمانهم بالأحلام الألفية وضرورة عودة اليهود إلى فلسطين أو صهيون وتشير هذه الكتابات إلى أن أهم الصهاينة المسيحيين نابليون بونابرت ، نداءات من جانب صهاينة مسيحيين لهم مصالح تجارية : كذلك فقد أشارت الموسوعة اليهودية إلى كذب اليهود فى إدعائهم بأنهم فقدوا فى موتهم مع النازية ستة ملايين مع أن الرقم الرسمى لا يزيد بضعة آلاف وتحاول الكتابات الماركسية التفرقة بين اليهودية والصهيونية على أساس أن اليهودية دين من الأديان وأن الصهيونية فكرة سياسية والواقع أن الفكرة الصهيونية التى تقول بالعودة إلى فلسطين باعتبارها أرض الميعاد مأخوذة من المفهوم اليهودى الذى زيفه أحبار اليهود بكتابة (التوراة) فى منفى بابل وليس من دين موسى الحقيقى الذى أنزله الله تبارك وتعالى ، كذلك فإن التصور اليهودى للخالق على أن إله اليهود وحدهم وليس للعالمين جميعاً هذا كله مخالف لما جاء به القرآن الذى يرى أن اليهود حرفوا الدين والتوراة من أجل إعلاء عنصريتهم وأن الدين كان منطلقاً لدعوة الإخوة البشرية وأن الله تبارك وتعالى رب العالمين . ومن هنا فإن الخلاف بين اليهودية والإسلام هو خلاف أساسى فى مفهوم العلاقة بين الأديان التى أنزلها الله على عباده وأن الانحراف بدأ أساساً فى التوراة ومنه انتقل إلى الصهيونية - يشير فؤاد محمد شبل إلى هذا المعنى حين يقول : أنها تكشف أن هذا الشعب تحول من عبادة الله الواحد الأحد إلى عبادة ذاته الفانية فلقد اعتبر السمو الروحى الذى بلغه امتيازاً خلعه الرب عليه وحده بموجب عهد أبدى يجعل فيه شعب الله المختار . وهكذا ضل اليهود وترددوا فى خطأ مميت فقد انحرف بهم احتضانهم صفة شعب الله المختار إلى العقم الفكرى فلقد بات اليهود يؤمنون بأن الله كتب لهم أن يسودوا العالم بأسره لأنهم كما يدعون منحدرين من صلب إبراهيم الذى عقد معه الرب ومع نسله بالتالى عهداً وانبنى على إيمان اليهود بأنهم وحدهم شعب الله المختار أن إستحال قيام اليهودية بدور العقيدة العالمية التى تهدى

الناس إلى سواء السبيل فكان أن تحجرت العقيدة اليهودية ولقد تغلغلت فكرة شعب الله المختار فى أعماق النفسية اليهودية حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من الديانة اليهودية بحيث أنها تصبح والعدم سواء إن جردت منها .

(٥) الصهيونية والفكر الإسلامى

منذ وقت بعيد حرصت الصهيونية التلمودية على احتواء الفكر الإسلامى والسيطرة عليه قد اتخذت لذلك أساليب ووسائل عديدة : (أولاً) : ما قام به صمويل زويمر منذ عام١٩٠٦ حين اقتحم الأزهر الشريف عام ١٩٢٦ وما بعدها يكشف عن أن حركة التبشير المسيحى منذ ذلك الوقت كانت محتواه للصهيونية ، ذلك لأن إيماءات زويمر كلها تكشف هذا الاتجاه وخاصة أن منشوره الذى وزعه فى الأزهر كان تحت عنوان (لماذا لا ترجع إلى القبلة القديمة) واثارة مسألة القبلة التى اتجه إليها المسلمون فى أول هجرتهم إلى المدينة حين اتجهوا إلى بيت المقدس سبعة عشر شهراً ثم أذن الله لهم فى العودة إلى الكعبة وهذه مسألة يثيرها دائماً المستشرقون اليهود . كذلك ما قام به طه حسين منذ عام ١٩٢٦ فى مختلف النقاط التى تناولها تكشف عن خطة العمل التى قامت به الصهيونية التلمودية فى السيطرة على الدراسات الأدبية فى الجامعاتفى البلاد العربية فى طريق إقحام المفاهيم التلمودية إلى الجامعات العربية وخاصة مجال الأدب ومما حاوله طه حسين : ١ — محاولة التشكيك فى إبراهيم واسماعيل (عليهما السلام) ٢ — محاولة إنكار شخصية عبدالله بن سبأ وإنكار دوره . ٣ — محاولة إعطاء اليهود دوراً (باطلاً) فى جزيرة العرب فى مجال الأدب والفكر . ٤ — مسألة إدخال دراسة اللغات السامية التى حاول بها اليهود خداع المسلمين عن الحقيقة الإبراهيمية وحجبها تحت اسم (السامية) . ٥ — ما يتصل بإحياء التراث اليهودى والاعتماد على المصادر التى طبعتها الصهيونية مثل كتاب (أنساب الأشراف) الذى طبع فى إسرائيل وما أفاض الدكتور طه فيه منمحاضراتهوماكتب عنه (إسرائيل ونفنسون) عن اليهود فى جزيرة العرب والمستعمرات اليهودية فى جزيرة العرب فى محاولة إعطاء دور لها وكذلك تقديم طه حسين لكتاب ولفنسون وهو ما ورد عليهوزيفه الدكتورفؤاد حسنين وكذلك ماقاله جولد زيهرفىالقرآن المكىوالقرآنالمدنى٦ — ما قدمه هلال فارحى وإيزاك شموس من دراسات عن (السامية) وإحياء ذكرى موسى بن ميمون وكتابات اسماعيل أدهم أحمد فى التشكيك فى تراث إبراهيم عليه السلام . ٧ — ما كتبه عمر عنايت

فى مجلة الصور وغيرها عما أسماه الحضارة اليهودية وريثة الحضارة المسيحية وما كتبه المازنى والعقاد واسماعيل مظهر عن (ماكس نوردو)) فيلسوف الصهيونية وخليفة هرتزل . ٨- ما كتبه إيزاك شموس فى مجلة السياسة الأسبوعية عن الأدب العربى والسلطان عبد الحميد فى محاولة لتشويه تاريخ هذا الرجل الذى قاوم الصهيونية وراح ضحيتها . (ثانياً) : السيطرة الصهيونية على الدراسات العربية فى أمريكا . يقول الدكتور إبراهيم أبو لغد : أن الإهتمام الحقيقى بالدراسات العربية كان منبعه أصلا ذلك الحقد الذى ورثه الإنسان الأوربى والأمريكى من تاريخه نحو الحضارة العربية الإسلامية التى أضاءت ظلمات القرون الوسطى المظلمة . فكانت محاولته هذه للتسلح بسلاح يمكنه من التقليل من أهمية هذه الحضارة وليوضح إعتمادها على الحضارات الأوربية السابقة واعتماد الإسلام على النصرانية واليهودية ظناً منه أن هذا الفهم الخاطىء سيحرم الحضارة العربية الإسلام أصالتها . ومن المعروف أن المسيطرين على توجيه الثقافة الأمريكية هم أستاذة اللاهوت المقارن وهم من اليهود أو المسيحيين الذى كانوا يعملون فى التبشير فى بعض بلاد العالم العربى ، وقد ارتبط المبشر المسيحى الأوربى بحكوماته الاستعمارية التى أرادت السطرة على المنطقة العربية مادياً وبعد الحرب العالميـة الثانية توسعت الدراسات العربية فى جامعات أمريكا ، وظهرت أهمية التخصص الأمريكى فى الدراسات العربية والرعيل الأول من هؤلاء المتخصصين هو من مسيحى أمريكا ويتميزون بانحيازهم الواضح للحركات الرجعية وقد كان التحاق الصهيونيين بهذه المراكز مما سمح لهم ببداية السيطرة على الدراسات العربية فى جامعات أمريكا وأثر ذلك فى تشكيل ذلك الحلف الحقيقى بين المتخصصين فى شئون العرب من صهيونى وغير صهيونى . وهكذا توصلت الصهيونية إلى مراكز القيادة وشكلت مراكز قومية هامة لتوجيه الأعلام الأمريكى ولتوجيه الثقافة الأمريكية فيما يتعلق بالتاريخ العربى واجتماعياته وسياسته وأصبحت هذه المراكز فى جامعات أمريكا (برنستون - شيكاغو - هارفارد - كالفررينا) أدوات صهيونية وقواعد للتجسس الإسرائيلى ومن ذلك استعانتهم بأساتذة الجامعة العبرية ومن هنا نشأت الهيمنة الصهيونية العلمية على الدراسات العربية فى أمريكا وكان لها أثرها العميق فى الكتب والدراسات وهى التى عملت على تشويه التاريخ والواقع العربى فقد سيطر الصهيونيون على جمعية دراسات الشرق الأوسط فى أمريكا الشمالية وكان رئيسها الأول (جوستاف فون جرونباوم) الشهير بعدائه الطويل للعرب والفلسطينيين والمسلمين وتلاه كثير من الصهيونيين مثل برنارد بايندر

من جامعة شيكاغو الذى يعمل حالياً فى الجامعة العربية ونتيجة لذلك تمكن هؤلاء من الهيمنة على مجلس العلوم الاجتماعية الذى يستمد أمواله من مؤسسة فورد . (ثالثاً) : هناك محاولات جديدة للاحتواء عن طريق المنظمات والمحافل وهناك واجهات جديدة للجاسوسية مثل منظمة بناء برث . والحركة البهائية وشهود يهوه والمشرق النورانى والروتارى وغيرها . وقد بدأت صلة الصهيونية بالبهائية منذ وقت بعيد ، إذ حرصت الصهيونية على نقل البهائية إلى فلسطين واستوطنتها عكا وحيفا وهناك استغلها الاستعمار ليمكنها من بث أفكارها المضللة توطئة لخدمته ولخدم الصهيونية التلمودية أيضاً وأخذ الصهيونيون يسخرون البهائيين لمخططاتهم ويحتضنونها فى محاولة لمناهضة الإسلام وينشرون مفاهيمهم وسمومهم من وراء هـذا القناع الجديد فأمدوا (البهاء) بما جاء فى أسفارهم عن بهاء الله بعد أن لقبوه به ودفعوه إلى الزعم بأنه المراد بلقب البهاء . ويقول مؤرخ بهائى كبير : المراد ببشارات الكتب المقدسة هو ظهور بهاء الله الابهى وهو معبود البهائيين كما أخذت شعار الماسونية والثورة الفرنسية . (حرية — أخاء — مساواة) شعاراً لها لتتعاطف به مع الحركة الصهيونية وقد تعاونت اليهودية مع البهائية فى سبيل القضاء على الوجود العربى فى فلسطين وتدمير كل معالم العرب وحضارتهم ومقوماتهم بما مكن للصهيونية من السيطرة أخيراً على فلسطين . (رابعاً) : كشفت الوثائق فى السنوات الأخيرة حقائق كثيرة : أولا : صلة اليهود العالمية بفرويد وبمنهجه فى علم النفس . ثانياً : صلة الصهيونية العالمية بالفيلسوف نيتشة وداروين وتأثيرها فى تطرير نظرياتهم ومفاهيمهم بما يحقق قيام أصول ودعائم الفلسفة المادية . ثالثاً : ما كشف عن صلة التلمودية الصهيونية بسارتر ومذاهب الوجودية والهيبنة . رابعاً : ما كشف عن الصلة بين ماركس واليهودية العالمية . خامساً : ما كشف عن الصداقة والصلة بين هرتزل وفرويد .

(٦) الغزوة الصليبية والغزوة الصهيونية

قامت كلتا الغزوتين على أساس باطل وفكر زائف وأسلوب مخالف للفطرة ومضـاد لطبائع الأشياء ولسنن الله فى إقامة المجتمعات ولابد لكل عمل من هذا النوع أن ينهـار وينهزم ويسقط مهما راوغ وحاول استمرار البقاء . جاءت الغزوة الصليبية تحت اسم حماية قبر المسيح وجات الغزوة الصهيونية تحت اسم العودة إلى أرض الميعاد وقد استهدفت الغزوتين بيت المقدس من أرض فلسطين : الأرض التى بارك الله حولها ومفتاح الكعبة المشرفة والبيت

الحرام ومنارة العالم الإسلامى ومتنزل الرسالات السماوية ومسرى محمد صلى الله عليه وسلم ، وتتشابه الغزوتان فى أنهما منطلق لقوى زاحفة من الغرب عبر البحر الأبيض المتوسط إلى أرض فلسطين مستهدفة استخراجها من أيدى المسلمين والسيطرة عليها ، فقد جاءت الحروب الصليبية واستمرت قرنين كاملين فى سبيل إقامة الإمارات الصليبية لتقتحم عالم الإسلام والسيطرة على هذه المنطقة فى محاولة للإمتداد منها إلى أجزاء أخرى وقد استطاع العرب والمسلمون حصارها والإدالة منها حتى سقطت واندحرت . وتتجدد اليوم الغزوة الصهيونية على نفس المخطط والمكان والأسلوب وتحاول السيطرة على هذه الأرض المقدسة متخذة منها منطلقاً للتوسع وتتنادى أجزاء العالم الإسلامى اليوم لمواجهة الخطر وتحاول أن تتخذ فى هذه المواجهة أسلوب الغرب فتفشل ثم ترى بهدى الله أنه لا سبيل لها إلا أن تلتمس نفس الأسلوب الذى أتبعه المسلمون على يدى نور الدين وصلاح الدين وهو أسلوب الإصالة والعودة إلى المنابع وتطهير المجتمعات وإلزامها شريعة الإسلام ومنهج القرآن . وقد تناول المؤرخون قصة هذا التشابه وحاولوا أن يصلوا منه إلى فهم حركة الغزو الغربى الذى يجتاح عالم الإسلام ولا يتوقف ، والذى تمثل فى الحروب الصليبية ثم فى الغزوة الاستعمارية ثم فى الغزوة الصهيونية ورأو فى ذلك اتصالا متعمداً وهدفاً مبيناً مقصوداً ، وفى كل مرة تتقدم هذه الجحافل من الغزاة تحت أسماء مختلفة للسيطرة على عالم الإسلام طامعة فى موقعة الفريد وفى ثروته الضخمة وما يزال عالم الإسلام يتطلع إلى المواجهة والمقاومة من أجل تثبيت وجوده وتأكيد ذاتيته ولا ريب أن دراسة الحروب الصليبية من شأنه أن يكشف كثيراً من التشابه فى مخططات الغز باسم الاستعمار ثم باسم الصهيونية . وتتحدث مجلة تابلت الانجليزية الكاثوليكية عن أوجه الشبه القوية بين إسرائيل ومملكة الفرنجة عقب احتلال عكا عام ١٠٩٩ ، هذه المحاولات : محاولات المسلمين التى لم تتوقف يوما واحداً منذ وفدت فلول الصليبية الذين جمعتهم المطامع والأهواء عن صدعها ، وهم أشبه الناس بتلك الجموع التى تدفعها الصهيونية إلى فلسطين منذ بدأ الهجرة إلى اليوم : أولئك شذاذ الآفاق الحثالة العالة ، الذين لا هم لهم إلا المغامرة . ومن شأن هؤلاء أن لا تقوم بهم دولة ولا يشكل لهم كيان ونحن حين نراجع وقائع الحملة الصليبية التى وصفت بأنها امتدت على ثمان موجات متوالية تجدها مغامرة عاصفة استخدمت فيها الأهواء العاصفة لخداع الناس تحت اسم الخطر على بيت المقدس فلما جاء الأوربيون وجدوا كل ما حول بيت المقدس آمناً ، ووجدوا المسلمين غاية فى السماحة والخلق والعفو والرحمة ، فلما عادوا يحملون هذه المعانى ويشيدون بالمسلمين ضربوا

بعنف لأنهم كانوا بذلك يكذبون ما أدعته القوى التى أُرسلت الغزاة بالباطل ودفعتهم ليموتوا بغير حق . وكذلك كان الشأن فى الغزوة الصهيونية التى انطلقت من واقعة مضللة كاذبة ، هى واقعة الادعاء بأن النازية قتلت منهم بضعة ملايين ثم اتضح بعد ذلك أن هذه الملايين لم تكن إلا مئات قليلة ، وأن المسألة جسمت وشوهت وأعطيت هذا الحجم المضلل لتكون وسيلة إلى فتح باب الهجرة وخداع الناس وكسب عطف المضللين وحتى يستطيع شعب مشرد على مدى التاريخ بغير أرض أن ينتزع شعباً آمناً من أرضه بقوة الحديد والنار ووسائل العنف والظلم ليستولى عليها وليقيم عليها دولة ليس لها أساس لا من حقائق التاريخ ولا من واقع الكيان الاجتماعى الصحيح . وأنى لدولة مثل هذه أن تقوم وتستمر وهى باطلة فى دعوتها وفى أُسلوب تجمعها وفى انتزاعها الأرض من أصحابها والبقاء اعتماداً على فتات الدول والسلب . وماذا تنفع الصهيونية دراسة مجتمع الصليبيين فى فلسطين وهو فى حقيقته لا يشكل إلا غارة عدوانية باطلة ، خدع فيها الذين استقدموا وكسب منها أصحاب المطامع والأهواء ومن ورائهم الصهيونية العالمية صاحبة رءوس الأموال والاتجار بالربا والأعراض . ولقد كانت الغزوة الصليبية مصدر يقظة للعالم الإسلامى ومدعاة لتكتله واندفاعه إلى التماس الطريق الصحيح والأُسلوب الأصيل للمواجهة حسبما علمنا القرآن فكان النصر الذى أزال هذا الواقع الكريه الذى قام به على الباطل والخداع . وستظل هذه التجربة حية فى نفوس المسلمين والعرب تدلهم على أن كل عمل باطل لابد أن ينهاروأن هذه الأرض لأهلها وأن كل محاولة لإزالة أهلها منها مردودة ومنهارة ولن تجدى الصهيونية دراسة تجربة الحروب الصليبية لأنها سوف تواجه نفس المصير على مدى أقرب كثيراً أو أقل من ناحية الزمن وبأُسلوب أشد قوة وصرامة ، ولن تستطيع ملايين اليهود أن تحول بينها وبين الافلات من المصير المحتوم الذى هو سنة التاريخ والحضارة والأُمم ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا . فالمسلمون الان ألف مليون نسمة والعرب منهم مائتى مليون يمتلكون الثروة والطاقة والتفوق البشرى وسوف لا يهزمون من قلة . ولا ريب أن الغزوة الصهيونية إنما خططت على نسق الغزوة الصليبية أو حاول دهافين الصهيونية اتخاذ نفس الخطط والأهداف ليحققوا مطامع التلمود وهى مطامع باطلة مضادة لحركة التاريخ ولطبيعة الأُمور وللفطرة البشرية ولن تعود العنصرية مرة أخرى لتسيطر على العالم بعد أن هزمها الإسلام وأدال منها أربعة عشر قرناً وحطم قواعدها وقلاعها فى كل مكان فى الشرق والغرب وأقام بدلا منها روح الأخاء الإنسانى وسوف لا تستطيع دعوة الاستعلاء بالعنصر وباسم الشعب المختار القائمة على الأساطير والخرافات البابلية والوثنية

القديمة أن تجد طريقها بعد أن تحررت البشرية باسم المنهج العلمى التجريبى الإسلامى من زيف الوثنيات والماديات والاباحيات التى تحاول الصهيونية اليوم تجديدها وبعثها من الفكر اليونانى والغنوصى القديم . ان هدف الحملة الصهيونية هو نفس هدف الحملة الصليبية المتمثل فى ذلك الحقد الشد على الوجود الإسلامى فى هذه المنطقة الممتازة من العالم استراتيجياً وجغرافياً وبشرياً ، وثروة وسلطاناً قامت بالحق ، ومن هنا تتطلع هذه القوى للسيطرة تحت أسماء مختلفة ، وهدفها هو الادالة من الإسلام : تلك القوة الحقيقية التى تملك إرادة الحياة والقوة فى مواجهة الغزو الخارجى ، وما زلت هناك مطامع تستهدف وضع هذه الثروات الضخمة فى أيدى جماعة اليهود التلموديين الطامعين إلى إقامة امبراطورية الربا ، ثم هناك موقف القوى الثلاث : الصهيونية والماركسية والاستعمارية الذى تجمع على الحيلولة بين العالم الإسلامى وبين امتلاك إرادته وموقف الخوف الدائم من نمو هذه القوة مرة أخرى لتأخذ مكانها الحق ، ومن هنا كانت كل هذه المحاولات التى تريد احتواء الفكر وتدمير المجتمع عن طريق المذاهب والفلسفات والدعوات المادية والملحدة والإباحية التى يحمل لواءها فلاسفة اليهود : فرويد وماركس ودوركايم وسارتر . أن هناك محاولة ضخمة لتسميم عقول المسلمين والعرب بعد التحول التاريخى الذى اتجه إليه المسلمون والعرب حين التمسوا منهجهم الأصيل فى العاشر من رمضان ، هذه المحاولة تستهدف فرض تفسير زائف للتاريخ الإسلامى الحديث يحاول أن يجعل من إسرائيل « وجوداً » إقامته أوربا والغرب وكأنه ليس وجود قائماً بذاته من وراءه مطامع الصهيونية العالمية ومخططات بروتوكولات صهيون ، ولا ريب أن المروجين لهذه السموم هم الماركسيون والتقدميون واليساريون ، الذين كانت الماركسية فى أيديهم ولا تزال خادمة للصهيونية العالمية وهى من صنعها أصلا . أن الهدف هو هذه المنطقة الفريدة فى العالم : منطقة دعوة الإسلام ومقدرات المسلمين الضخمة التى تستهدف الاحتواء والسيطرة والغزو والتى سوف تظل دائماً قادرة على المقاومة ساهرة على حراسة مقدراتها مرابطة فى سبيل الحفاظ على كيانها ووجودها ، وسوف لا يضحى المسلمون والعرب بعقيدتهم وتراثهم فى سبيل ما يسمى العلم والتكنولوجيا وأنهم لقادرون على امتلاك هذه القوة وقد أخذوا بها فعلا فلم يبق هناك ما يسمى بالصراع الحضارى ، ذلك أن الوجود الإسرائيلى هو فى طبيعته وجود غير قائم بذاته بذاته ، لا يعتمد على « أمة » صحيحة ، وليس يهود إسرائيل هم يهود التوراة وأبناء يعقوب ، وليس لدى إسرائيل ما لدى العرب من الطاقة والتفوق البشرى والقوة الاقتصادية ، وأن هذا المجتمع المهلهل المجمع من شذاذ الافاق لا يمكن أن يكون أقوى على الحياة من أهل هذه

الأرض ، فأين إذن التفوق الحضارى وأين يقوم الصراع الحضارى وإسرائيل تعيش على المساعدات الخارجية ولم تتمكن بعد ربع قرن من أن تعيش على مواردها ، أو تكون قادرة بمفردها للدفاع عن وجودها ، ذلك لأنها بطبيعتها العدوانية لا تستطيع أن تمثل مجتمعاً حقيقياً ولا وجوداً صحيحاً ، ولولا دورها الذى تقوم به فى خدمة النفوذ الأجنبى لسقطت من أول يوم ، ومن هنا فإن تلك الأكاذيب والشبهات التى يحاول دعاة التقدم والماركسية واليسار وغيرهم إذاعتها لن تؤثر شيئاً فى النفس العربية التى أخذت فى امتلاك إرادتها وعرفت طريقها الصحيح . ولقد كانت هذه المنطقة منذ تسلمها المسلمون أمانة فى أيديهم للأديان الثلاث وقد آمنت كل القوى بأصالتهم وأحقيتهم بهذا الدور وسوف تعجز الصهيونية عما عجزت عنه الحروب الصليبية من انتزاع القدس من أيدى المسلمين الحماة الأمناء .

يقول المؤرخ ريفمان : أن المسلمين لم يقروا بوجود الدولة الأجنبية الدخيلة فى أرض يعتبرونها ملكاً لهم . نعم هذا هو الحق ومن الحق أيضاً أن المسلمين انتصروا تحت اسم مدرسة التسلح الخلقى على كل الخلافات واستطاعوا أن يتجمعوا لمواجهة الخطر وكان دور الشعب الإسلامى أقوى من الحكومات يقول ريفمان : أخذ العرب يلتمسون الوجهة بمجرد إدراكهم لمغزى قيام الدولة العدوة بينهم غير أن هذا التطور كان بطيئاً غاية البطء ، وبقى الصليبيون مدة طويلة وهم قادرون على مهاجمة أى من الأقطار المجاورة لهم ، واستطاع الصليبيون أن يصلوا إلى حدود مصر وضواحى دمشق وأن يتوغلوا فى حوران ، غير أن نجاح صلاح الدين فى توحيد مصر وسوريا واليمن تحت حكمه قضى على كل أمل للصليبيين فى التوسع ، وبالرغم من الأعداد القادمة من أوربا فقد بقى الصليبيون معتمدين على العالم المسيحى فى الرجال والمال واستمروا ما بقى العالم المسيحى يمدهم وذبلوا عندما انتهى هذا الاهتمام » ونحن نجد أن المواجهة العربية الإسلامية للغزوة الإسلامية الصهيونية تسير فى طريق أكثر قوة وعمقاً بالرغم من بطئها فى المراحل الأولى فهى ستدخل بعد العاشر من رمضان فى مرحلة الحسم والاقتناع الصحيح بالطريق الاصيل للمواجهة ، المواجهة بأسلوب الإسلام ، بالعقيدة والشريعة والتربية الإسلامية والجهاد .

ولن تخدعنا كتابات التلموديين وسموم التقدميين ومراوغة الماركسيين عن أن نعرف الحقيقة ، التى بدأت يوم عمدت الصحافة التى كان يمسك بمقادتها المارونيين اللبنانيين فى مهاجمة السلطان عبد الحميد والدولة العثمانية والخلافة الإسلامية تمهيداً لفتح طريق الصهيونية إلى القدس . ولقد أشارت مؤرخة يهودية إلى أن دخول اللورد اللنبى القدس كان بمثابة الخطوة

الأُولى لتسلم اليهود إياها (دخلها اللنبي ١٩١٧ وتسلمها اليهود ١٩٦٧) . وهذا الجيب الحديد فى لبنان هو حلقة من مخطط الصهيونية التلمودية فى العالم الإسلامى يستهدف مزيداً من تمزيق وحدة العرب والمسلمين والتمكين لإسرائيل والصهيونية . ولكن انبعاث عالم الإسلام اليوم وسلامة اتجاهه إلى الأَصالة يوحى بأَنه قد وضع قدمه على أَول الطريق الذى لا ينهزم وإن طال به زمن المقاومة ، أَو امتداد المواجهة ، لأَنه طريق القرآن الأَصيل ، أَما الطريق الذى سار فيه المسلمون والعرب من قبل سواء إلى الغرب أَو إلى الشرق فهو الذى ضاعف من هزيمتهم ونكبتهم وكاد أَن يفقدهمْ وجودهم لولا أَن هداهم الله فعادوا إلى التماس أَصالتهم ، ولقد كانت حركة التغربيين والشعوبيين والماركسيين والوجودين جميعاً تستهدف القضاء على الأَصالة الإسلامية تمكيناً للصهيونية التلمودية فكلهم من خدامها وعملائها وأَدواتها وسوف يثبت المسلمون والعرب أَمام الأَحداث مستمسكين بكتاب ربهم الذى وعدهم النصر ما ثبتوا والتمسوا طريق الأَصالة والله غالب على أَمره ولسوف تنكشف الغزوة الصهيونية مهزومة كليلة وأَشد خزياً من الغزوة الصليبية.

الرسالة الثالثة

العالم الإسلامى والغزوة الشيوعية

« مدخل تاريخى »

لا يمكن فهم الشيوعية إلا بدراستها من خلال تاريخ الفكر الغربى نفسه ذلك أَن الشيوعية لا يمكنهم أَن تقدم نفسها للبشرية على أَنها مذهب مستقل أَو أَيدلوجية حرة أَو عقيدة خالصة ، وإنما هى ثمرة من ثمار الوضع السياسى والاقتصادى الذى قام عليه المجتمع الغربى بعد عصر النهضة بكل ينطوى عليه من مفاهيم وتحديات فهى واحدة من مراحل التطور الغربى الذى بدأَ بالثورة على الكنيسة وقيام البروتستانتية ونشأَة النهضة الصناعية وما اتصلت به من زحوف الاستعمار إلى قارتى آسيا وأَفريقيا . وقد نشأَ نتيجة تصاعد الرأَسمالية الغربية وغلوها وسيطرتها تيار يرمى إلى مقاومة الاحتكارات والسيطرة الطاغية وإقرار حقوق العمال ونشأَت من جراء ذلك نظريات ومذاهب حاولت أَن تواجه هذه الأَوضاع بأُسلوب التدرج والإصلاح ، غير أَن النظرية الماركسية التى تشكلت من بعد كانت تستهدف أَمراً أَبعد مما كانت ترمى إليه حركات دعاة الاشتراكية فقد جاءت تستهدف خطة تقوم على العنف والصراع الطبقى وإثارة العمل لإيقاد الثورة وتدمير الأَنظمة القائمة . فقد كان هدف الماركسية تمزيق المجتمع الأُوربى وإثارة بعضه على بعضه الآخر وإيقاد نيران الحقد واضطرام اوار الخصومة بين جنباته

سعياً وراء إسقاطه كلية فى يد اليهودية العالمية التى كانت تخطط لهذه السيطرة منذ وقت بعيد والتى كانت تملك الذهب والمصرف وامبراطورية الربا وتتخفى وراء كل القوى الزاحفة إلى آسيا وأفريقيا وكان المرابون اليهود هم الذين يتحركون من خلف الاستعمار البريطانى والفرنسى فى الهند ومصر والمغرب ومن هنا فإن للشيوعية أرضية تاريخية مزدوجة ، تربطها بالمجتمع الرأسمالى الغربى إنها ثمرة تطوره ، ثم هناك رابطتها باليهودية العالمية من حيث أنها أنها هدف من أكبر أهدافها وتجىء الثورة الروسية من مرحلة تالية للثورة الفرنسية وامتداداً لها ، فإن الثورة الفرنسية هى نقطة البدأ فى التحرك اليهودى إلى خارج الجيتو فقد استطاعوا تحطيم القيود التى كانت تسيطر على حركتهم والتى وضعتها الكنيسة بهدف عزلهم عن المجتمع المسيحى والحد من نفوذهم الخطير الذى كانوا يسيطرون به على الاقتصاد الأوربى والمجتمعات الأوربية . ومن الثورة الفرنسية بدأت الخطة اليهودية التلمودية تخرج إلى النور لتسيطر على المجتمع الأوربى والفكر الأوربى ثم كانت الخطوة التالية التى كشفت بروتوكولات صهيون عن هدفها السيطرة على العالم ، وذلك بعد تمزيقه، إلى قوتين متصارعتين فكانت النظرية الماركسية هى نواة الثورة الشيوعية الروسية . وقد استطاعت اليهودية التلمودية أن تقطع مراحل واسعة فى الفترة الواقعة بين الثورة الفرنسية إلى الثورة الروسية فى هدم مقررات المسيحية وتدمير الدولة المسيحية الأوربية واحتواء البروتستانية حتى جاءت الشيوعية لتقهر الفكر التلمودى كله فى مذهب متكامل فقد استطاعت الماركسية أن تستوعب سموم الفكر الماسونى التلمودى اليهودى لتظهره فى نظرية خادعة تتملق عواطف الجماهير بالدعوة إلىفردوس أرضى كاذبوتستغل ما بين الطبقات من تفاوت وركوب التيارات الوطنية والقومية ومهادنة الدين ومحاولة التعايش مع النظم المختلفة لمرحلة من مراحل السيطرة والتمكن . وقد اتخذت اليهودية العالمية من الشيوعية وسيلة للتغلب على العالم واوصول إلى السيطرة وتسخير المواد العالمية وفق أهوائهم وقدكون ماركس رأيه مقدماً بصدد هذه النظرية ثم أخذ يلتمس الأسانيد والمبررات لهذا الرأى فقد أصدر البيان ١٨٤٨ ولم يكن قدقام بتلك الدراسات التى نشرها فيما بعد والتى صدر الجزء الأول منها ١٨٦٧ ويتبين من ذلك أن نظريته لم تكن وليدة بحث علمى بل كان البحث العلمى الذى قام به فى هذا الصدد بمثابة دفاع أو تبرير لتلك النظرية التى اعتنقها مقدماً.لقدكانت النظرية يستهدف غايات واضحة : أولا : الحقد على البشر ، وقتل النبوغ ،التامر وإثارة الصراع بين الطبقات . ثانياً : معارضة الوطنية والقومية والدين

والملكية والفردية وحرية الرأى ثالثاً : العمل على تحطيم نظام الأسرة والقضاء على الروابط العائلية وجعل الولاء مقصوراً على السلطة الحاكمة نفسها . رابعا : القضاء على كل الأديان غير اليهودية والعمل على نشر الإلحاد ثم جاءت الثورة الشيوعية الروسية كما خطط لها اليهود وبعد إمدادها بالمال والتواطؤ مع أعداء الدولة الروسية حتى استطاعوا إقامة هذا النظام الذى مزق العالم إلى قوتين متصارعتين الراسالية فى مقابل الشيوعية وكلتاهما فى يد اليهودية العالمية . ولقد كانت الثورة الفلسفية من تصميم اليهود وكان ما يحقق فى روسيا بفضل العقلية اليهودية التى صنعت الشيوعية وكان زعيم الشيوعية وواضع أسسها الحاخام الأعظم كارل ماركس اليهودى المتعصب تعبيراً عن النفس اليهودية المليئة بالحقد على جميع طوائف البشر ورغبة فى الانتقام بها ، وكان المنقذ للدولة الشيوعية واحد من أخطر الماركسين هو « لينين » وهو واحد من أخطر واضعى بروتوكولات صهيون . ومن هنا فقد تكشف أن الشيوعية هى فكرة تلمودية يهودية لها دورها فى تنفيذ المخطط الخطير الذى يرمى إلى تحطيم الأديان وتأجيج نار العداوة والبغضاء بين الأفراد والشعوب وتجلى ذلك الهدف الواضح من إقامة الدولة الشيوعية فى نفس الوقت الذى يستعلن فيه قرار وعد بلفور بإقامة الدولة الصهيونية فى قلب فلسطين وأن تكون الخطة قائمة على القضاء على الدولة العثمانية كتمهيد لهذه الغاية أو كما يصورها أحد الباحثين بقوله : إن الأفعى اليهودية فى طريقها إلى أورشليم قد مرت على القسطنطينية فدمرت الخلافة الإسلامية ولم يكن هناك مفر من تدميرها قبل الوصول إلى أورشليم وإقامة دولة إسرائيل . والمتتبعون لأحوال تركيا قبل سقوط الخلافة وبعد قيام مصطفى كمال بالحكم التركى اللاديني وانحياز تركيا إلى إسرائيل ضد العرب ، فى كل المواقف السياسية يلمسون اليد اليهودية فى توجيه سياسة تركيا وهذه نبوءة من نبواءات الأستاذ سرجى تيلوس مترجم بروتوكلات حكماء صهيون التى أطلق عليها الإنجيل البلشفى وهو أول من نشره فى العالم باللغة الروسية ويتصل بهذا مما تفصله الوقائع خلال البحث : تلك الصلة الوثيقة بين ماركس وبين مخططات الصهيونية التى كان قد أعلنها « موسى هيس » صديق ماركس والذى كانت أيدلوجيته تحقيقاً للهدف المقصود بل إن المؤرخين يؤكدون بأن المسودة الأولى للبيان الشيوعى الذى أصدره ماركس كانت من وضع موسى هيس فيلسوف الصهيونية الأول وأن البيان الشيوعى الذى أصدره ماركس عام ١٨٤٨ كان بأمر من الماسونية فقد كان كارل ماركس صهيونياً ماسونياً . ثم كان تعهد لينين لليهود فى إبان نضاله لإقامة الدولة الشيوعية بالعمل على إنشاء دولة إسرائيل فى فلسطين . ويتصل

بهذا دور «فرويد» فى المخطط فقد كان تابعاً للمنظمات الصهيونية وكان دوره مع صديقة هرتزل هو عمل خطة لتدمير العالم خلقياً واجتماعياً ومن ثم كانت نظريته فى التحليل النفسى على النحو الذى عرف من بعد دعوة إلى اتخاذ الجنس مصدراً للعواطف والتصرفات الإنسانية وتبنى اليهودية التلمودية لهذا الخط حتى نص على ذلك فى بروتوكولات حكماء صهيون بأن فرويد منا . ونحن حين نضع الشيوعية فى موضعها الصحيح ونردها إلى مكانها الحقيقى من تاريخ الغرب فى العصر الحديث ومن الأهواء التى تحتاج العالم كله تحت لواء امبراطورية الربا الطامعة فى وراثة الاستعمار الغربى نكشف عن الخلفيات الحقيقية التى لا يمكن مواجهة الشيوعية إلا بفهمها والتعرف عليها .

(٢) هناك رابطة واضحة وأكيدة بين إسقاط اليهودية العالمية للامبراطورية الروسية القيصرية ، وقيام الدولة البلشفية وإسقاط دولة الخلافة الإسلامية وإقامة إسرائيل فى قلب لعالم الإسلامى فهذه جميعها وحدة واحدة لا تنفصل ولا تتجزأ ، وإن بدت فى ظاهر الأمر كأنها قضايا مختلفة ، فقد استطاعت قوى الأعلام الغربى والصهيونى أن تحول دون إلتقاء هذه الأجزاء ، فإذا جاء صوت من أصوات الحق ليعلن أن الصهيونية والشيوعية من منبع واحد ، وأن الشيوعية وليدة الصهيونية بدت الدهشة على وجوه الذين لا يتعمقون الأمور والواقع أن الصهيونية والشيوعية من أصل واحد وهما يتآمران على نشر الإلحاد وبلشفة العالم الإسلامى وأن اليهود هم أول من أسس الأحزاب الشيوعية فى البلاد العربية . وقد أشار الباحثون إلى أن الشيوعية هى إحدى فرق الماسونية ، ويتكون من أعضاء الماسونية الملوكية الذين وصلوا إلى درجة رفيق (لينين — ستالين تروتسكى) ولهذه الفرقة محفل واحد فى نيويورك لا يدخله من اليهود إلا قليل . وهدف الماسونية الحمراء هو إقامة دولة شيوعية عالمية كخطوة لإعلان الدولة اليهودية العالمية لأن إعلانها عن هدفها صراحة يؤلب عليها العالم ولكنها حاولت الدخول إلى العالم بأسلوب مغر براق . والهدف النهائى هو إعلان الدولة اليهودية العالمية وتعيين أحد من دزية أحد أسباط إسرائيل ملكاً على العالم كله . وقد جاء فى بيان الشرق الأعظم الفرنسى والماسونى عام ١٩٠٤ أن الماركسية واللاقومية هما وليدتا الماسونية لأن مؤسسها ماركس وانجلز ولقد كان محفل الماسونية الحمراء وراء الثورة الفلسفية فى روسيا — كما كان وراء الثورة الفرنسية من قبل — وأنه على أثر المذابح التى قامت بها روسيا القيصرية ضد اليهود فى نهاية القرن التاسع عشر تقرر تفويض دعائم الدولة القيصرية فى روسيا وإقامة الدولة الشيوعية مكانها .

وقد عقد حايم وايزمان ١٩١٦ محادثات مع لينين قبل نجاح الثورة تقرر فيها فتح أبواب فلسطين أمام الهجرة اليهودية لإقامة وطن قومى لليهود وكان أول عمل للثورة الشيوعية فى روسيا ١٩١٧ اعتبار العداء لليهود جريمة يعاقب عليها القانون وإعلان أن الحكومة السوفيتية تؤيد الحق الكامل لليهود فى إنشاء وطن قومى لهم فى فلسطين وقد تشكلت الحكومة الشيوعية الأُولى من ٢٢ وزيراً منهم ١٧ وزيراً يهودياً . وقد دخلت روسيا الحرب العالمية بجانب الغرب الرأسمالى لتحقيق أطماع اليهود فى فلسطين وللقضاء على ألمانيا الهتلرية ألد أعداء اليهود والتعاون بين روسيا وأمريكا ليس تعاوناً عارضاً ولكنه تعاون أصيل وجد يوم سيطرت الماسونية على القوى السياسية فى كل من أمريكا وروسيا .

(٢)

يقول الدكتور محمد عزت نصر الله : لقد استولى اليهود على مقاليد الحكم فى روسيا بعد الانقلاب الشيوعى فى ٨ أكتوبر ١٩١٧ ومن الغريب أن الشيوعية قد هاجمت جميع الأديان (وخاصة الدين الإسلامى) . وغضت الطرف عن (الخرافات اليهودية) وقد برر لينين ذلك بقوله : أن حجر الزاوية فى رأى كارل ماركس وانجلرفى الدين هو قولهما المأثور أن الدين هو (أفيون الشعوب) ولقد كان رأى ماركس على الدوام فى الدين والمعاهد والكنائس والمساجد وكل نوع أنواع المؤسسات الدينية أنها صدى للرجعية وأن لا هدف للأديان إلا الدفاع عن سياسة الاستغلال اوالتخدير ، أما الخرافات اليهودية وإن كانت لا تختلف عن باقى الأديان ولكن بقاءها لليهود البؤساء أمر ضرورى للمحافظة على يهوديتهم حتى ينالوا حقهم ، ذلك أن اليهود إذا نبذوا دينهم حينئذ يتيهون فى الأقوام المجاورة لهم وبمرور الزمن يفقدون إسرائيليتهم ولمحافظة إسرائيل كمجموعة كاملة ومتحدة فالدين أمر ضرورى فلم يجمع بنى إسرائيل غير الدين ومحافظة الدين اليهودى أمر ضرورى لحياة الشعب اليهودى المختار ريثما ينالوا حقوقهم » إن هذا التجاوز الشيوعى للدين اليهودى واستثنائه من خطط محاربة الأديان يبرهن على أن الشيوعية إنما تعمل لتحقيق الهدف الصهيونى فى السيطرة على العالم إبتداء من فلسطين العربية المسلمة ، فإذا كانت الحرية الدينية محرمة على المسلمين والمسيحيين ومباحة لليهود فإن الأجيال المسلمة والمسيحية القادمة ستصبح بلا دين ولا تعبد غير المادة وذلك بخلاف الأجيال اليهودية التى تستطيع عندئذ أن تسيطر على الشعوب التائهة التى كانت مسلمة أو مسيحية فيما مضى وقد نشر ستالين مقالة فى جريدة (تومسه مولكايا برافدا) فى ١٦ أيلول

١٩٤٤ جاء فيها أن دولةالسوفيات الشيوعية لا يمكنها الوقوف موقفاً محايداً تجاه الدين فالحزب الشيوعى يقف بجانب المادة فى حين أن الدين يناهض المادة (يقصد المسيحية) الدين والشيوعية مثلهما مثل النار والماء فكما أن هاتين المادتين لا تتحدان وإحداهما تقضى على الثانية فلا مكان للدين فى الديار الشيوعية أبداً فكل دين من الأديان هو المادة وعلى طرف نقيض) ا.هـ. ولذلك أجاز القانون الأساسى الشيوعى تعليم الدين إلى النشىء بعد اجتيازهم سن الرشد (٢٢ سنة) ونص على أن تعلم الدين للأطفال قبل سن الرشد يعاقب عليها ، أن سياسة التربية الشيوعية تفرض على الإنسان أن يترعرع ويكبر ويشب فى بيئة ملحدة وثقافة تستهزئ بالدين وتسخر بتعاليمه وبالكتب السماوية إلى أن يبلغ سن الرشد السوفيتى (٢٢سنة) ثم بعد ذلك يسمح له بممارسة الحرية الدينية وقد أدتهذه السياسة إلى ظهور جيل ملحد لا يؤمن بالله ولا يؤمن بدين باستثناء الدين اليهودى يسمح لليهود فقط – كما قال لينين – بممارسة حريتهم الدينية الكاملة لأن الدين اليهودى أمر ضرورى لحياة الشعب اليهودى المختار لريثما ينالوا حقوقهم وهكذا برر لينين الحماية الشرعية للدين اليهودى . إن لينين يعترف إذن باليهود كشعب مختار ولعل هذا ما دفع الحكومة السوفيتية فى بداية حكمها عام ١٩١٧ إلى إصدار جملة قرارات كان أهمها إعلان التأييد الكامل لحق اليهود فى وطن قومى لهم فى فلسطين . وإذا سألنا ما هى حقوق اليهود فالجواب هو (ماركسيا وصهيونياً) تنفيذ مرامى وأهداف الأيدلوجية اليهودية القائمة على فكرة الشعب المختار والدافعة بالتالى لاعتبار :
١ – إن الأرض كل الأرض وما فيها ميراث لبنى إسرائيل تلزمهم مشيئة الرب بأن يستولوا عليها . ٢ – إن كل شريعة غير شريعة بنى إسرائيل هى فاسدة . ٣ – إن كل سلطة على وجه الأرض غير سلطتهم هى مغتصبة . ٤ – إن كل شعب حر غير شعبهم قابض على ذروة من السلطة هو غاصب . ٥ – إن الرب حرم عليهم الشفقة والرحمة . وهكذا أصبح حل المشكلة اليهودية يستلزم أن يسيطر اليهود على جميع الناس – يقول كاى مردخاى (أو : كارل ماركس) أن المشكلة اليهودية لا تحل نهائياً إلا بالتحول الاشتراكى للعالم بأسره وإذابة الأديان والقوميات فى بوتقة الماركسية أو الاشتراكية العلمية أو التقدمية الثورية ، ذلك أن المشكلة اليهودية قائمة تحت ضغط الاعتقاد القائل بأن اليهود هم شعب الله المختار ، وبما أن التقدمية الثورية (فكر وحركة وهدف) تعمل لإخضاع المجتمع البشرى كله إلى قيادة طليعة إشتراكية ماركسية واحدة ترتبط بها كل الحركات الماركسية فى العالم يرى اليهود أنهم أصلح البشر

بصفة كونهم شعب الله المختار لاحتلال مركز القيادة التى هى الاسم العصرى لعقيدة شعب الله المختار اليهودية . وقد استطاع المكر اليهودى أن يؤسس الحركة الماركسية لتتم السيطرة اليهودية على العالم بالتحول الاشتراكى وأن يؤسس الحركة الصهيونية لتتولى عملية مخادعة العالم (وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا الغربية) بأن هذه الحركة لا صلة لها بالشيوعية العالمية وأنها تعمل لصالح الاستعمار الغربى وخدمة استراتيجيته الدولية العامة وبذلك يتمكن من إحراز عطفه ومساعدته على إقامة الوطن القومى اليهودى ثم الالتفاف بعد تحقيق ذلك للانقضاض على الغرب وتحقيق السيادة اليهودية بالسيطرة (ماركسياً وصهيونياً) على العالم كله ، وهكذا يتحقق التصور اليهودى للعقيدة اليهودية وما هذا الخلاف الظاهر بين الاتحاد السوفيتى — قاعدة العمل الماركسى — والصهيونية سوى التكتيك المرحلى الذى تتطلبه خطة السيطرة اليهودية فى الوقت الراهن وطبيعى أن السيطرة اليهودية لا يمكن أن تتم إلا بعد تهديم العالم الإسلامى وإضعاف الشعوب الإسلامية » .

(٤)

بدأت الثورة الروسية فى ٩-١-١٩١٧ مسلسلة من حركة الاعتصاب والأضراب العام فى المصانع هدفها هدم العنصرية وسياسة آل رومانوف وقام عام ١٩١٨ فى روسيا نظام ديكتاتورى يتجاهل حقوق الأفراد ويستمد من كارل ماركس.وقد ثبت بالتجربة مدى الفارق بين الواقع التطبيقى وبين نظريات كارل ماركس ، وقد وضع لينين تفسيرات جديدة أطلق عليهاالماركسية اللينية وقد أعلن لينين منذ اليوم الأول تصريحه الخطير المشهور : أن الماركسية اللينينية لا تعترف بوجود أى قوى فوق الطبيعة ولاأى خالق ، وأنها تحرر الإنسان مرة واحدة وإلى الأبد من الخرافات والعبودية الروحية ، أن الماركسية اللينينية تنظر إلى العالم كما هو قائم دون أن تضيف إليه مخترعات الجنة والنار . ص ١٦ (ك : أسس الماركسية اللينينية . الطبعة الإنجليزية موسكو ١٩٦٤) وقد أجمعت المصادر على أن الثورة الشيوعية فى روسيا قامت بتدبير اليهود وتخطيطهم وأن كل زعماء الشيوعية مثل ماركس ولينين وستالين وفورشيلوف ومولوتوف كل هؤلاء وغيرهم من أصل يهودى أو لهم زوجات يهودات . وقد نشرت مجلة أفريكان هبيرو كبرى المجلات اليهودية فى أمريكا فى ١٠ سبتمبر ١٩٢٠ تقول : أن الثورة الشيوعية فى روسيا كانت من تصميم اليهود وأنها قامت نتيجة لتدبير اليهود الذين يهدفون إلى خلق نظام

جديد للعالم وأن ما تحقق فى روسيا كان بفضل العقلية اليهودية التى خلقت الشيوعية فى العالم ولسوف تعم الشيوعية العالم بسواعدهم ويقول موشى سنيه الزعيم الإسرائيلى : أن كل يهودى يعلم فى أعماق نفسه من كان أعظم وأحرص على صداقتهم ، أنه الجمهورية السوفيتية ، ويقول لا أستطيع أن أتصور يهودياً يقوم بدور العداء للاتحاد السوفيتى ومثل هذا اليهودى غير طبعى وتشويه لكل الحقائق . ولقد كانت روسيا السوفيتية هى أولى الدول بعد أمريكا التى اعترفت بقيام دولة إسرائيل وقد عرف اليهود لروسيا هذه المكرمة وأعلنوها على لسان كثير من زعمائهم وقد رد اليهود لروسيا الجميل بأن سلموها أسرار القنبلة الذرية التى كانت أمريكا وحدها هى التى تعرف أسرارها بعد الحرب العالمية الثانية ، هذه القنبلة التى كانت سبباً مباشراً لإنهاء الحرب مع اليابان بعد إلقاء اثنتين منها على المدنيين اليابانيين فى هروشيما وناجازاكى ولقد عمل أثرياء اليهودية فى العالم على تمويل الثورة الفلسفية ودعمها وأن مجلس الثورة الذى حكم روسيا بعد ثورة ١٩١٧ كان مكوناً من عشرة من الأعضاء من بينهم ستة من اليهود وأن لينين وستالين من أصل يهودى وقد كان ستالين متزوجاً من يهودية وأن أربعة من أعضاء مجلس السوفيت الأعلى من اليهود وأن خورشوف ومولوتوف كلاهما متزوجين من يهوديات وإذا أردنا أن نتعرف إلى النفوذ اليهودى فى الاتحاد السوفيتى فإننا نجد أن هناك مليون يهودى منبثين فى أوساط البحث العلمى ، ويوجد ثمانية آلاف نائب يهودى فى مجلس السوفييت الأعلى والمجالس الاتحادية ، ويوجد يهود بين الوزراء وقادة المصالح والمؤسسات الضخمة وقد هاجر خلال السنوت ١٩٧٠ ـ ٨٠) إلى إسرائيل عدد كبير من العلماء والخبراء فى الشئون العسكرية والذرة والتكنولوجيا . ويقول دكتور أحمد عوف أن لينين من مخططى الصهيونية ومن واضعى برتوكولات حكماء صهيون وأنه حضر مؤتمر الحكماء فى سويسرا وأن الثورة الدولية ليست من طبقة البرولوتاريا بل من طبقة اليهود وأن أول رئيس فى دولة روسيا زعيمة اليسار العالمى كان اليهودى (كليمنيف) وتلاه الإرهابى اليهودى مضرولوف وتبعهما اليهودى زينو قيف. وقال أن الذين يحكمون الآن ليسوا هم الروس ولكنهم حفنة من اليهود الإرهابيين العالميين والمعروف أن جوليوس روزنبرج وزوجته اتيل اليهودية المتجنسين بالجنسية الأمريكية وهما من كبار علماء الذرة قاما بنقل أسرارها إلى روسيا لتستطيع أن تقف موقف الند من الولايات المتحدة وقد قدما إلى المحاكمة بتهمة الخيانة العظمى وثبتت التهمة عليهما وتم إعدامهما فى ٢٠-٧-١٩٥٣ رغم محاولات الصهيونية العالمية لتخفيف الحكم وقد قام علماء الذرة اليهود المتجنسين بالجنسية البريطانية بنفس الخيانة .

(٥)

عملت البلشفية منذ أن سيطرت وحكمت بعد حكم القياصرة على وضع قواعد للعمل الماركسي فى الساحة الإسلامية والعربية فكان مؤتمراً باكو الذى أشرف عليه اليهودى الماركسي كارل راديك (يوليو — أغسطس ١٩٢٠) الذى أطلق عليه حركة التحرر الوطنى للشعوب العربية الإسلامية . وقد قاد هذا المؤتمر على خدعة كبيرة : فقد وجه نداء إلى المسلمين جاء فيه (يا شعوب الشرق : إنكم تملكون أغنى بقاع العالم وأخصبها وأوسعها ، هذه البقاع كانت مهد الإنسانية ومستودع الغذاء لبقية الشعوب الجائعة : الاستعمار والرجعية التى تفترسكم وهى السبب فى تخلفكم : بريطانيا فى مصر وبلاد العرب وما بين النهرين والاستعمار البريطانى فى فلسطين) وقد وقع بيان باكو مجموعة من اليهود الروس والبلغاريين والفرنسيين والهولنديين تحت زعامة زينو فيف اليهودى . وقد فشل المؤتمر لأن المسلمين فى روسيا قد ثاروا لما وجدوا من عنف التحدى للعقيدة الإسلامية . وكانت هذه خدعة موجهة للعالم الإسلامى . وهناك خدعة أخرى وجهت للمسلمين فى المناطق الآسيوية وكان ستالين ولينين قد أصدرا منشوراً يطمئنان فيه الشعوب الإسلامية (١٧ ديسمبر ١٩١٧) جاء فيه : أيها المسلمون : أديانكم وعاداتكم وثقافتكم ومعاهدكم العلمية والقومية مصونة من كل اعتداء ، اعتقدوا أن البلاشفة يدافعون عنكم وعن حقوق الشعوب التى تعيش فى روسيا كلها ، إننا نرفع علمنا لهذا الشعوب المتعبدة فى روسيا » . ولم تلبث الحكومة البلشفية أن خدعت المسلمين وأغارت عليهم ، فى غدر وخسة ونذالة ففى إبريل ١٩١٨ أصدر لينين أمراً بزحف الجيوش الروسية على البلدان الإسلامية دون سابق إنذار فأخذت الدبابات تحصد المدن والقرى وتفتك بالشعب الأعزل الامن دون تمييز ولم ينته عام ١٩١٨ حتى كانت جمهوريات (إيدل أورال والقوقاز والتركستان وقد غدت تحت حكم البولشفيك المباشر كما هاجم شبه جزيرة القرم ستون ألف مقاتل شيوعى وقد قاوم المسلمون مقاومة مستميتة وفى ١٩٢٠ أتمت موسكو إحتلال شبه جزيرة القرم وفى عام ١٩٢١ هجم الروس على جمهورية بخارى وشرعو فى تطبيق أنظمتهم الشيوعية فألغوا الملكيات وصادروا الأموال والثروات وألغوا التعليم الدينى واضطهدوا رجال الدين والزعماء والقادة وحولوا المساجد إلى دور للهو ومكاتب للمندوبين فى الحزب الشيوعى وهكذا فرضت الشيوعية بقوة السلاح نفوذها على مناطق إسلامية واسعة فى القوقاز وأزريبجان والتركستان وقازان وغيرهما وما زالو يعملون على صهر هذه المناطق ولكن أهلها عملوا ما فى وسعهم على

أن يقاوموا الشيوعية ويترقبون الفرص للتحرر منهم وقد خاضت الشيوعية أعنف المعارك المجردة من كل رحمة والمنافية كل المنافاة للإنسانية ضد المسلمين المقيمين بالاتحاد السوفيتى من تعذيب يشيب لهوله الولدان إلى تجويع حتى الموت ، ونفى لمئات الألوف إلى معسكرات الاعتقال بسيبريا إلى إعدام بالجملة حتى تناقص عدد المسلمين من ٤٥ مليوناً فى بدء الثورة الشيوعية إلى ٢٢ مليوناً فى الوقت الحاضر وكان عدد مساجد المسلمين فى روسيا فى بدء الثورة الحمراء ١٩١٧ عشرة آلاف مسجد وعدد علماء المسلمين ٢٧ ألف عالم وقد تناقص عدد العلماء حتى وصل إلى ٤٠٠ عالم وأغلقت الحكومة السوفيتية ٨ آلاف مدرسة إسلامية . وقد بلغت ضحايا الحكم الشيوعى فى المسلمين حسب المصادر السوفيتية نفسها ثمانمائة ألف ما بين ١٩١٧ -٢٧ ويمكن القول أن المسلمين فى القوقاز والتركستان وغيرهما من الأقاليم الإسلامية فى نطاق الاتحاد السوفيتى قد قاوموا طوال خمسين عاماً حفاظاً على دينهم وثقافتهم رغم الإذلال والتعذيب وقد ظل العالم الإسلامى صامداً فى وجه الزحف الماركسى ٥٨ عاماً .

(٦)

تجمع المراجع التاريخية على أن اليهود استطاعوا السيطرة على المجتمع الروسى قبل قيام الثورة الروسية وهم الذين قاوموا بتدبير تلك الثورة ثم مارسوا خططهم فى بناء مجتمع ما بعد الثورة وهذا يعنى إمتداد السيطرة الصهيونية على الشعب الروسى وبالرغم مما منحه القيصر اسكندر الثانى اليهود من امتيازات وعطف خاص عليهم عام ١٨٥٥ فإنهم قابلوا ذلك بالغدر والكيد له فحاول زعماء المرابين اليهود اغتياله خوفاً من استمرار عطفه على الرعايا اليهود من شعبه مما يؤدى إلى شعورهم بالولاء على حساب انتقاص ولائهم للدعوة الصهيونية وخوفاً من أن يذوب هؤلاء اليهود فى المجتمع الروسى فتنتهى شخصيتهم أو يندثر كيانهم لأن هدف تخطيط زعماء اليهود كان يقضى ببقاء اليهود فى عزله مستمرة عن باقى الشعوب ولهذا دبروا إغتيال القيصر صاحب الإحسان إليهم بعد أن أفلحوا فى تدبير زيارة خاصة يقوم بها القيصر إلى إحدى الفاتنات من بنات الهوى فاغتالوه فى منزلها ١٨٨١ وكان اغتيال القيصر السكندر الثانى بأيدى اليهود سبباً فى سرعة الانطواء اليهودى فى المجتمع الروسى وكان هذا هو ما أراده زعماء المرابين اليهودى وعندئذ تحركت مؤسسة روتشلد بالاتفاق مع الإعلام المسموم للتفريق بالوحشية وبالإجراءات التعسفية التى اضطرت الكومة الروسية إلى اتخاذها ضد اليهود الغادرين وأرسلت مؤسسة البارون روتشلد وفداً يهودياً إلى روسيا لتقديم احتجاج للقيصر الجديد

بمناسبة عودة اليهود إلى عزلتهم وبدء التضييق عليهم. وكان ذلك بمثابة تغطية على فضيحة المؤامرة التى راح ضحيتها القيصر وقد أصدر القيصر بياناً فى ١٨٨١.٤.٣ جاء فيه أن الحكومة الروسية بذلت وأعطت عنايتها باليهود منذ فترة طويلة بقصد حل مشاكلهم إلا أنها لاحظت ما فعله اليهود من أعمال وتصرفات تخريبية فى مجالات الحياة وخاصة فى التجارة التى احتكروها وفى شراء واستئجار العقارات ومنذ ثم بدأ يتكتلون للعمل السرى يقصد تخريب الاقتصاد وسلب مواد البلاد. وبذلك اعتبرت مؤسسة روتشلد أن صدور هذا البيان لطمة كبرى لها ومنذ ذلك الوقت بدأ خطة العمل الصهيونى فى تدمير المجتمع الروسى كله . وقد افتعلوا أزمة ١٩٠٥ بين روسيا واليابان ونشطت أجهزة روسيا واليابان ونشطت أجهزة التجسس اليهودية فى تعميق الخلاف بين الدولتين ونجحوا فى إشاعة روح الارهاب والاغتيالات وانتقموا ممن قاموا بحركة تأمين البلاد ضد اليهود . وأصدر القيصر بياناً عن العملاء والفتنة والمؤامرة اليهودية وإلقى المسئولية على عاتق زعماء المرابين اليهود باعتبارهم مسئولين مسئولية مباشرة عن كل الاعتبارات السياسية . وبدأ العداء يشتد بين اليهود والقيصر ، فاتجهوا إلى تكوين خلايا إرهابية هدفها اغتيال القصر وفى هذه المؤامرة أعدم شقيق لنين وكانت أموال المرابين اليهود تدعم الثورة الداخلية ، ، وقد نسقت الصهيونية العمل بين جبهتى الحرب (روسيا واليابان) وتولت مؤسسة روتشلد الحكومة الروسية بالقروض لتستمر فى الحرب ضد اليابان وجرت تغذية حركة التذمر فى الجيش القيصرى والدعوة إلى عدم كفاية القيادة القيصرية ، وتمت الخطة كلها كما رسمها المرابون اليهود مر سيت (وتلرلد) ونشطت الدعاية الناجمة عن الهزيمة ضد القيصر وفشل حكومته . وحدثت مفاجئة لم تكن تتوقعها الصهيونية إذ قام تروتسكى بثورة مفاجئة ضد القيصر وحكومته فاضطرت الصهيونية أن ترجىء ضربتها للقيصر حتى لا يتقاسم معها تروتسكى ثمرة النصر على القيصر ، ووقفت الصهيونية مرة أخرى بجانب الحكومة وعاونتها على استرداد بطرسبرج العاصمة فى ١٩٥.١٢.١٦ من أيدى ثوار تروتسكى . وبدأت حملة التشهير ضد القيصر وأسرته ودسوا له راسبوتين المحتال العميل وجعلوا من قصص راسبوتين مادة لإثارة الشعب بالسخط على القيصر وكان ذلك عهداً للثورة البولشفية التى قاومت فى ١٧ أكتوبر ١٩١٨ فى أثناء الحرب العامة كما أرادها المرابون وانتهت الحرب وروسيا بعيدة عن الاشتراك فى معاهدة الصلح التى صاغ نصوصها اليهودى يعقور شف وكان بول داربورج اليهودى هو مستشار الوفد الذى اشترك فى معاهدة

السلام وماركس دار بورج هو رئيس الوفد الألمانى وهربرت صدويل اليهودى هو أول مندوب سامى لفلسطين ولو شبان وولف اليهودى مستشار رئيس وزراء بريطانيا (لويد جورج) وماندل روتشلد الرئيس كلمنص وموردجيتراد اليهودى مستشار الوفد الأمريكى وتم إعدا العدة لمعاهدة فرساى ليتولى الفريق المختار من الصهيونيين لوضعها فى القالب المعد لها ، وتمت صفقة الوطن القومى لليهود وتصريح بلفور .

(٧)

ولم تلبث الشيوعية أن تسللت إلى العالم الإسلامى فى شراع خادع وعن طريق كفاح العالم الإسلامى للإستعمار الغربى والغزو الصهيونى وادعاء الاتحاد السوفيتى مناصرة حركات التحرير ومعاداتها الصهيونية والاستعمار ، وقد استطاعت روسيا الشيوعية الماركسية اللينية أن تخفى حقيقتها وتخدع بدعواها بعض قادة المسلمين والعرب وعلت صيحة الاتحاد السوفيتى الذى ادعى كذباً وبهتاناً أنه صديق حميم للعرب وعدو لدود للاستعمار والصهيونية وقد تجاهل أو أغفل القادة عن هذه الخلفيات التاريخية الخطيرةولم يتبينوا إلا بعد وقت طويل أن الماركسية فى أساسها دعوة صهيونية وأن كبار مؤسسيها من اليهود الذين هم أشد عداوة للإسلام وأهله . وقد نشأت الحركة الشيوعية فى العالم الإسلامى (والبلاد العربية) بتمويل اليهود وتخطيطهم ، ومن اليقين أن القنطرة التى عبرت عليها الشيوعية من بلادها فى الشمال إلى بلادنا هى الصهيونية فقد كان مروجو الشيوعية الأولية من اليهود الصهيونيين وأن الحركة الشيوعية فى مصر نشأت بتمويل الثرى الصهيونى المعروف هنرى كوريل وتوجيهاته وأنها كانت تتلقى تعليماتها من الخارج وكانت على عاطفة وولاء للوجود الصهيونى فى إسرائيل وقد كشفت من بعد أن الشيوعية فى روسيا والصهيونية فى إسرائيل قامت بتخطيط من اليهودية العالمية وتدبيرها وأن لليهود فى كل من الدولتين الكلمة العليا والشوكة النافذة . وأن العلاقة بين بين الإتحاد السوفييتى وإسرائيل علاقة وثيقة لأنها علاقة بين شقيقين ولدتهما أم واحدة هى (الصهيونية) وهذه العلاقة يعترف بها اليهود ويفاخرون بها . ومن مؤشرات الأحداث أن الركائز الشيوعية فى البلاد العربية بدأت وأن الحزب الشيوعى شكل أولى خلاياه فى حيفا ويافا وكان من رأيه قيام دولة يهودية فى جزء من البلاد وقد حمل لواء الاستعطاف لحال الشعب اليهودى المشرد الذى عانى الاضطهاد ثم تعددت المراكز فى سوريا ومصر والعراق وغيرها وكان لها موقفها من الولاء للإستعمار ومن انحيازهم ضد حركات الاستقلال فى سوريا والجزائر

ولبنان فى ولاء مع فرنسا ، وقد كان أغنياء اليهود هم مولوا هذه الخلايا والأحزاب ومنذ عام ١٩٢٠ كانت الوجهة واضحة فى التخطيط والتنفيذ للشيوعية السوفياتية بمفاهيم تلمودية قائمة على الخيانة والغدر والشر والخداع والحقد الواضح للأمة الإسلامية والعروبة وقد أشار كثير من الباحثين إلى أن هدف الشيوعيين العرب الأساسى هو التبعية لمخططات الاتحاد السوفيتى فى المنطقة العربية والتبعية فى التنفيذ لليهودية العالمية لأن الشيوعية وليدة اليهودية ولأن إقامة إسرائيل من النيل إلى الفرات هدف أساسى فى الاستراتيجية الثابتة للشيوعية ترمى إلى الاشتراك مع الرأسمالية الفردية فى اعتصار عالم الإسلام ثروته وقوته . ولقد تبين أن جميع مؤسسى المنظمات الشيوعية فى مصر والعراق وسوريا هى منظمات شيوعية روسية ومنظمات شيوعية صهيونية وأسماء معروفة (جوزيف روزنتال ، فيحدور ، ناراب ، هنرى كوريل هنرى كوريل صاحب بنك كوريل فى مصر ، هيكل شفادتش) وقد بلغ عدد المنظمات الشيوعية فى مصر وحدها فى عام ١٩٥٤ أربعة عشر منظمة وفى عام ١٩٥٦ دعا الحزب الشيوعى الإيطالى رؤساء المنظمات إلى الاتحاد فاتحدت فى يناير ١٥٩٨ تحت إسم (الحزب الشيوعى المصرى) .

ويعزو الدارسون لهذه الحركة أن ظاهرة كثرة إنشاء المنظمات الشيوعية بعد عام ١٩٤٢ انه هو العام التى بدأت فيه الصهيونية جاهدة لاقامة دولة إسرائيل فى فلسطين وقد باركت المنظمات الشيوعية قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ وكانت روسيا أول دولة اعترفت باسرائيل ثم تبعتها أمريكا وعملت روسيا على مد الدولة الوليدة بالسلاح والعتاد والقوة البشرية بينما قامت أمريكا تمدها بالمال والتأييد الدبلوماسى وقد اتخذت هذه الحركة قراراً بقيادة هنرى كوريل صاحب بنك كوريل فى مصر والممول الأكبر لهذه الحركة بالدعوة إلى تقسيم فلسطين قبل قرار الأمم المتحدة بعامين ، واتحدت مع حركة ماركسية أخرى يدعمها يهودى آخر (شوارتز) ومن العجيب أن رجال هاتين الحركتين قسما زعامة فروع كثيرة فى التنظيمات الرسمية التى قامت بعد عام ١٩٥٢ ويعزو الباحثين السبب فى نمو البذرة الشيوعية فى مصر والعراق وفلسطين والمغرب إلى أن هذه البلدان كانت مركزاً قوياً للنشاط اليهودى ، وأن قيادة الحزب الشيوعى فى العراق امتدت فى يد اليهود العراقيين طيلة ٢٥ عاماً ، وفى فلسطين كانت بين اليهود حتى عام التقسيم ١٩٤٨ حين انقسمت إلى الحزب الشيوعى اليهودى والحزب الشيوعى العربى ومع ذلك ظلت قيادة الحزب الشيوعى العربى بين اليهود الذين أتت بهم إسرائيل من الدولة الغربية من أمثال جوزيف بيرعز الذى لعب دوراً رئيسياً فى تشكيل فروع الحزب فى سوريا ولبنان

ولقد كانت الشيوعية فى تقدير اليهود عاملا هاماً فى تفتيت الوحدات القومية وزرع بذور الشقاق والعداء فى المجتمعات المتمايزة وقد أدركت إسرائيل أنها لتضمن بقائها لابد من أضعاف الكراهية التى يموج بها البحر العربى وامتصاصها وتحويلها إلى حب وولاء لدولة إسرائيل . وفى مدى عشرين عاماً نجحت التنظيمات الشيوعية فى آداء واجبها تجاه إسرائيل وبدأت الأحزاب اليسارية فى العالم العربى تتجاوب لهذه الدعوى وأصبح محمود درويش هو صلة الوصل بين الحزب الشيوعى العربى الإسرائيلى وبين الأحزاب العربية اليسارية وصرح جورج حبش أكثر من مرة أنه على اتصال دائم بالحركات التقدمية فى إسرائيل ومن أمثلة التعاون بين الحزب الشيوعى العربى الإسرائيلى ما وقع فى عدوان ٥٦ وعدوان ١٩٦٧ وقد كان معين بسيسو (الحزب الشيوعى العربى الاسرائيلى) وزملائه طابوراً خامساً يساعد إسرائيل على الكشف عن الوطنيين وذوى الاتجاه الإسلامى فى قطاع غزة لاعتقالهم . وتتشابه استراتيجية العمل الحزبى للمنظمات الشيوعية إلى حد كبير باستراتيجية الحزب السورى القومى فكلاهما يلتقى على تمزيق المنطقة العربية إلى عدة مناطق : سوريا والجزيرة العربية ووادى النيل وشمال أفريقيا والثابت تماماً من الدراسة الدقيقة أن الأحزاب الشيوعية فى الوطن العربى قد حققت عدة أهداف : أولا : تقويض الإستقرار الإقتصادى والسياسى والإجتماعى . ثانياً : خلق جو من عدم الثقة بين العرب أنفسهم لمنع أى تكتل باسم العروبة أو باسم الإسلام والتركيز فى الدعاية على الخطر الصهيونى . ثالثاً : أذكاء العداء بين الشعوب العربية وحكومتها . رابعاً : اظهار الاتحاد السوفيتى بمظهر الحليف للعرب كذلك فان خطة تعاون فلول حزب البعث مع الأحزاب الشيوعية واضحة لا تحتاج إلى بيان وقد صدرت قررات كثيرة تكشف عن هذا الالتقاء وكذلك هناك مواقف واضحة فى هذا الاتجاه لحركة القوميين العرب. وقد أصبحت هناك عملية مزج جديدة بين فرق ستالينية ولينة وتروتسكية وخروتشوفية ، وهناك كثيرون ممن ممن بدأو حياتهم وطنيين انتهوا ماركسيين وظهرت أسماء جيفارا وهوشى منه ولينين وجيباب وغيرها فى أفق عربى ومسلم كان أولاه أن يعتز بخالد وسعد وصلاح الدين . وكانت الروابط التى قامت بين البعث والناصرية والشيوعية هى مصدر أساسى لهذه الموجات العاصفة التى تحطمت على إطاراتها كل مفاهيم القومية والإقليمة واليسار والماركسية والشيوعية وتبين فساد الأنظمة وعمالتها وعجزها فى الوقت الطويل عن تحقق أى شىء للعرب والإسلام وقد صاحب هذا تلك المقاومة الخطيرة التى حجبت الفكرة الإسلامية ومنعتها عن أن تكون عامل تصحيح

للأخطاء والأخطار التى تعرضت لها البلاد العربية بين نكبة ١٩٤٨ ونكسة ١٩٦٧ بل أن هذا الاضطراب كان من شد العوامل فى الأزمات التى قاساها العرب فى مواجهة الاستعمار والصهيونية والماركسية والتى قادتهم إلى هزيمة سقوط القدس والجولان وصحراء سيناء ومن ثم ضاع الوطن الفلسطينى صياغاً تاماً . فلقد كان من أكبر أهداف المنظمات الشيوعية التى وجدت فرصتها كاملة فى هذه الفترة ضرب الإسلام وزلزلة عقيدته فى نفوس أبنائه والهجوم الإلحادى الخطير الذى جرى شنه على الإسلام وعلى الأديان بصفة عامة ، وفى هذه الفترة ظهر العديد من الأبحاث والكتب والكراسات الزرقاء المليئة بالشبهات والسموم وقد تحقق بعض النجاح فى تضليل عدد من أبناء العالم الإسلامى واستغلوا الظروف القائمة حيث كانت الدول الإسلامية واقعة فى قبضة الاستعمار الغربى . بدعوى أنهم أعداء الاستعمار كما أدعوا من بعد أنهم أعداء الصهيونية . وقد كان للإستعمار الغربى دوره الخطير وتبعته البالغة فى إفساح المجال للتسلل الشيوعى خلال الحرب العالمية الثانية عندما تآمرت دول الغرب مع الدول الشيوعية فى القضاء على ألمانيا الهتلرية وقد وصف عبدالحميد عبد الغنى هذه الفترة فقال : كانت الحركة الشيوعية نشيطة ومتفشية ولها عون كبير فى الخارج فقد كان عدد من محركيها فى مصر متعاونين مع الحركة الصهيونية وكان من أهمهم بل من قادتهم إثنان من اليهود هم هنرى كوريل ومليل شوارتز وفى الوقت نفسه كان هناك جهاز شيوعى دولى كبير هو الكومنفورم يغذى الأحزاب والحركات الشيوعية ويمدها بالمعونة المادية والدعائية فنشطت الحركات الشيوعية فكان حزب توده الشيوعى فى إيران ولم تكن الحركة الشيوعية فى مصر كبيرة من ناحية أعضائها وأنصارها ثم جاءت فرصتهم الأوسع فى الستينات ولكن سرعان ما انكشفت أمرهم فى نكسة حزيران ١٩٦٧ بعد أن مارسوا عدة مؤامرات للاستيلاء على مقدرات الدول التى إطمأنت لهم وارتبطت بهم ارتباطاً وثيقاً ، فقد ربط اقتصاد هذه البلاد بخطتهم الرامية إلى الاستيلاء على المواد الخام ومنافسة الغرب فى إحتكاره لها فى محاولة للعمل شبيهة بما فعلوا بدول شرق أوربا التى ساعدهم موقعها الجغرافى على التحكم فيها وضرب كل محاولات التمرد على سلطانهم فيها بمنتهى العنف والقسوة . كانت محاولاتهم الخطيرة هى ربط عجلة الإنتاج فى بعض البلاد العربية بعجلة الاقتصاد الشيوعى حتى يتمكنوا من إملاء شروطهم فى يسر وسهولة . وقد كانت هذه الفرصة عاملا هاماً فى توسع التنظيم الشيوعى فى البلاد العربية واستطاعت الصحف والمسرحيات والمؤلفات وأدوات الأعلام كلها وقد حملت الفكر الماركسى المسموم فى مختلف

مفاهيمه المتعارضة مع الدين والأخلاق أن تفرض مفهوماً اجتماعياً سياسياً واقتصادياً وتربوياً معارضاً لمفهوم الإسلام الأصيل . وكان من أخطر مظاهر هذه الحملة تلك المؤلفات التي جمعوا فيها شتى المفتريات التي سبقهم إليها الزنادقة والمستشرقون من أعداء الإسلام ولفقوا فى هذه الكتب ركام الفلسفات الباطنية والوثنية والمادية والمجوسية القديمة . ولقد كان للكراسة الرمارية التي نشرت فى البلاد العربية وهوجمت فيها الأديان عامه والإسلام خاصة وخص القرآن بقدر أكبر من الهجوم ثم جاء الكتاب الذى ألفه محى الدينوف وزعم فيه مزاعم عن القرآن والإسلام وسارعت وكالة نوفوستى الناطقة بلسانهم إلى نفى صدور هذا الكتاب عن طريقهم وقد استهدف نشر هذا الكتاب القيام بعملية اختبار للحس الإسلامى لدى جماهير المسلمين وضرب الإسلام فى نفوس أبنائه ومحاولة إثارة موجة جديدة من الجدل والبلبلة .

وتعتمد هذه المؤلفات المسمومة على الإدعاء بأن الأديان خرافات وأساطير وافيون شعوب وأنها تؤيد الطبقات وتعمل لمصلحة طوائف تبرر الفسوة والإدعاء بأن رب الإسلام من آلهة العرب القدماء وينتظم هذه المؤلفات أسلوب السباب العنيف بالرغم من دعوى العلمية والمنهجية وقد تبين أن أحداً من الكتاب المدعين لم يرجع إلى أى كتب من كتب الإسلام المعتمدة وليس ثمة مصدر استقى منه معلوماته غير الأقلام الشيوعية والصليبية وقد اعتمد آراء الزنادقة أمثال بشار بن برد والراوندى وفيه بتر للنصوص وقد تبعت هذه الحملة محاولة أقلام عربية أمثال عبد الرحمن الشرقاوى وأحمد عباس صالح فقد حاول الشرقاوى أن يثبت أن الإسلام دين الفقراء وحدهم وأنه جاء ليحارب البرجوازية العربية وعمد أحمد عباس صالح إلى اثبات أن الإسلام يسارى النزعة لأنه دين الفقراء والبرتولوتاريا الكادحة وقد جرب محاولات كثيرة احتواء الفكر الإسلامى قام بها جارودى وردنسون بمؤلفاتهما عن الإسلام . وقد أشار كثيرون إلى هذه الظاهرة الخطيرة :ظاهرة تمكين روسيا من دخول البلاد العربية فقالوا أن انجلترا هى التى عملت على إخراج روسيا من عزلتها حين أدخلتها إلى الشرق الأوسط فى الحرب العالمية الثانية وفتحت أمامها الأبواب . لقد نفذت روسيا إلى الشرق لارتباطها مع الحلفاء فى الحرب الماضية واستفادت من الحرب الكبرى أن استغلت الدول المتحالفة فى الدعوة لها والإشارة بمبادئها وجيشها وزعمائها وتغلغل الروس تحت هذا الستار إلى كل مكان فى الشرق الأوسط ونشط وكلاء السوفييت وخرجوا عن عزلتهم وأعلنت روسيا حمايتها للكنيسة الكاثوليكية وأرسلت بعثة من عملائها إلى الأراضى الحجازية وأعلنوا أن فى روسيا ثلاثين مليوناً من المسلمين

يعيشون فى سلام وأمان فى الوقت الذى يعلن فيه دعاة الشيوعية احتقارهم للأديان ويذيقون المسلمين فى الجمهوريات السوفيتية أشد ألوان العذاب والإذلال وقد وضح من اتفاقية سرية اتفاق الشيوعية والصهيونية على العمل معاً فى الشرق وكان من مصالح روسيا الوصول إلى البحر المتوسط والبحار الدافئة وقد حاربت روسيا الكاثوليكية الأرثوذكسية ورجالها ثم عادت إلى التفاهم معها على العمل لحساب الشيوعية فى البلاد العربية وهكذا نجد أن هناك محاولة شيوعية خطيرة تتبنى نفس أخطار الاستشراق الغربى والصهيونى فى محاولة الإجهاز على العالم الإسلامى.وهى محاولات لتجديد الحوار العقائدى فى نفس الوقت الذى تظن القوى الشيوعية أنها أصبحت قادرة فى السيطرة على منظمات للشباب والتنظيمات الطليعية وأنها تسوقها إلى الماركسية والنظرية المادية والإلحاد وأن جماعات كبيرة من الشباب قد أوشكت أن تسقط فى المصيدة . وفى نفس الوقت كانت محاولات الشيوعية فى ضرب التنظيمات الإسلامية وحركة اليقظة بل أن الشيوعيين المسئولين كانوا فى لقاءاتهم مع المصريين يتحدثون عن الدين ويطالبون بالتخلى عنه وكان رجالهم فى اجتماعات رسمية مشتركة يتناولون موضوع الدين من الزاوية الخطأ ويعتبرونه عقبة فى سبيل التقدم وأنه يجب على المصريين حسم موقعهم من الدين كشرط للحاق بالعصر ولاستيعاب روحه يقول أحد المتصلين بتلك المحادثات « وكان مبعث دهشتى أن رجلا مثل بونافروف يعرف المصريين جيداً ويعرف مدى تأثير الدين على حياتهم هو الذى يقول هذا الكلام وبعد أعوام طويلة من توطد الصداقة العربية السوفيتية وقال خرشوف : لقد مضى زمن القوميات فى هذا العصر ليس ثمة صراع الطبقات : طبقات الأغنياء والفقراء وقد عجز السوفيت عن فهم الخطوط العامة لفكر المسلمين والعرب وأن كثيراً من وثائقهم كشفت عن معارضة تامة للمفاهيم السياسية العربية عن الوحدة العربية وقضية فلسطين ووجود الأمة العربية وقد جرت فى هذه الفترة محاولات خطيرة للسيطرة على الصحافة والأعلام لادخال نظريات الشيوعية والصهيونية إلى الفكر العربى وكتب كثيرون من عملاء التقدميين فى الصحف والكتب محاولين إيجاد هيئات وأنصار وأعوان وسمح الاستعمار للآراء الشيوعية الصهيونية بالنفاذ إلى المحتمع العربى منذ عقد الأربعينات لأنه كان يطمع أن تتحطم الشخصية العربية ويتبلبل الفكر الاسلامى ويتمزق وتنسلخ أهدافه ويتحول اتجاهه :

وفى أوائل عام ١٩٦٥ - كما يرى الأستاذ لمعى المطيعى أصدرت التنظيمات الشيوعية فى مصر بياناً أعلنت فيه حل منظماتهم والإنضمام إلى التنظيم الرسمى ، وفى المقابل تم الإفراج عن

جميع المسجونين والمعتقلين الشيوعيين وصدر العفو الشامل عن جميع العقوبات ضد الشيوعيين وفوجىء المجتمع بالقيادة السياسية تفرض الماركسيين فى جميع المجالات الهامة وخاصة أمانة الدعوة والفكر والأمانة السياسية للإتحاد الإشتراكى ومعهد الدراسات الاشتراكية ورئاسة مجالس إدارات مؤسسات الكتاب والمسرح والسينما والمؤسسات الصحافية ونقابات الصحفيين والمحامين والنقابات العمالية واللجنة المركزية والبرامج الاذاعية خاصة صوت العرب والتليفزيون والسيطرة تحريرياً على أخبار اليوم ودار الهلال وروز اليوسف وصفحات الرأى والفكر فى الجمهورية والمساء والأهرام فضلا عن ثلاثة دور نشر أصبحت ملكيتها خاصة للماركسيين ومبالغ طائلة رصدتها الدولة ووضعت تحت تصرفهم بدعوى الإنفاق منها على أوجه النشاط والسياسى وغمرت الكتب والصحف والمجلات والمطبوعات والأفلام الماركسية السوق على الأرصفة وقال لمعى المطيعى إن وراء هذا العرض من أعلى والسيطرة الماركسية على كثير من المجالات ولترويج لأعمال العناصر الماركسية والصمت الكامل إزاء أعمال الاخرين أحس المثقفون الآخرون بالاختناق وبدأ الأمر كان السلطة والماركسيين كوجهى عملة واحدة . وحدثت ردود فعل فى الاتحاد الاشتراكى وبين رجال الدين وفى الجمعيات الأدبية وجاءت محاولات تهدئة وكتبت روز اليوسف أن الشيوعيين قد حلو تنظماتهم وأنهم سيعملون كأفراد . وكتب محمد عودة فى الجمهورية يقول أن الشيوعية ، لم تطبق بعد فى الاتحاد السوفيتى فلا محل للتخوف من الشيوعية وكتب أحمد بهاء الدين مقاله المشهور فى المصور : (٦٠٠ شيوعى أمام ٦٠٠ ألف رجعى) وكتب محمد حسين هيكل يناشد المجتمع أن يقبل الأوضاع الجديدة بالنسبة للشيوعيين وأن يفسح لهم مكاناً دون حساسية ، ولم يلبث الزمن أن تقدم قليلا حتى أعلنت الجهات الرسمية بأن الشيوعيين لهم منظمات ماركسية سرية منها واحد موال للسوفيت والثانى إلى جانب الصين والثالث للتروتسكيين . ويعتبر المراقبون أن هناك علاقة وثيقة بين حرب العرب مع إسرائيل فى يونية ١٩٦٧ وقيام ما يسمى باليسار العربى يحمل كلمات براقة يسميها التقدمية وانتقال الملكية كلها للدولة خطوة خطوة وعبادة الفرد ، وقد أعلن اليسار العربى أنه يحترف الماركسية اللينية ويأخذ بوجهه نظر لينين فى التطبيق السياسى لها وهو الأخذ بنظام الحزب الواحد وهو الحزب الشيوعى وأن التطبق الاشتراكى عند اللينيين هو مبدأ المراحل فى التطبيق ويؤثر اليسار العربى فى حكمه أن يبتدىء فى الوقت الحاضر بالغاء الملكية الفردية ويتخذ ما يسميه اقتصاد الدولة طريقاً لتدعيم حكمه فإذا اجتمع الاقتصاد القومى فى يد وأمسك برقابة الحزب الواحد لأجهزة الحكم ووسائل الأعلام فى اليد الأخرى ضمن

سيادته من جانب وخضوع الآخرين ومن يراجع تجربة الاتحاد السوفيتي يجد أن اقتصاد الدولة بعد مرور التجربة الاشتراكية الطويلة لم يستطع أن يبرهن على أنه أفضل من الاقتصاد الحر ولكن الإبقاء عليه كان بهدف اتخاذه وسيلة فعالة وعميقة فى إخضاع أفراد المجتمع للدولة والحزب ، والمادية الماركسية تختلف فى هذا عن كل الاتجاهات المادية كلها إذ تقف عند الاقتصاد وحده وتجعله الإله والخالق والرازق للأفراد والمجتمعات على السواء وتنقل عبادة الله وما له من صفات الكمال إلى الاقتصاد القومى فى المجتمع وتملك الدولة الرأس المال ليس نقلا لملكية الأفراد وحدها إليها فحسب وإنما مع ذلك أيضاً نقل لعباده الأفراد إليها ولذا فإن الدولة فى النظام الماركسى هى المعبود الذى يتجه إليه الأفراد فى العمل وفى الرزق والذى يجب أن يطاع ولا يعصى له أمر . إن نقل الملكية الخاصة وتحويلها إلى ملكية عامة للدولة يؤذن بتحويل ضمنى لعبادة الأفراد من الله جل جلاله إلى الدولة التى لها الملك كله الآن والتى هى صاحبة العمل وصاحبة العطاء فى هذا النظام فى الوقت نفسه والحزب السياسى الوحيد يضفى على نفسه الان من قداسة الدولة وأعضاؤه عندئذ أشبه بالكهان فى نظام السلطة الدينية على عهد الوثنية المادية الملكية التى استطاعت أن تحمل الملكيين على عبادة ما لا يزيد على عبادة الأصنام ، وكذلك فإن عدم التصريح بإنكار الله وإنكار دينه الآن ليس إلا مرحلة فى تطبيق الماركسية فاحتراف اليسار العربى بالماركسية أو بالمادية التاريخية هو ترويج منه على الأقل للاتجاه المادى القائم على إنكار الله واليوم الاخر وعلى التزام تحريم ما حرم الله ورسوله فى السلوك والمعاملات وهم بذلك يساوون خصائص أصحاب الشمال فى القرآن . وكذلك فقد فسر اليسار التقدمية بأنها التمسك بالقيم المادية وهجر القيم الروحية والإنسانية والفكرية أو عدم الاعتداد بها وأنه لا يكون تقدماً حقاً إلا إذا عادت الإنسانية إلى معنى المادية والحيوانية إذ أن أفراد الحيوان هم وحدهم الذين لا يربطهم إلا الرباط المادى .

(٨)

لم تقف حركة اليقظة الإسلامية موقف الجمود إزاء هذا التيار الخطير بالرغم من تكبيلها وتضييق السبيل عليها فى مختلف مجالات الصحافة والأعلام والكتابة والكلمة المسموعة فقد عملت على كشف زيف هذه المحاولة الخطيرة وواجهت الفكر الماركسى مواجهة صريحة قوية وأبانت أبعاد المؤامرة وحلفائها ولم تقف بذلك مع الفكر الليبرالى بل أعلنت طابع الإسلام الجامع الذى يرى أن كلا التجربتين: الليبرالية والماركسية قد كشفتا عن فسادهما

وعجزهما عن التقبل فى أفق الفكر الإسلامى ، لقد كشفت حركة اليقظة عن تلك العلاقة الجذرية بين الشيوعية والصهيونية وكان الملك فيصل بن عبد العزيز من أوائل المفكرين المسلمين الذين كشفوا الحقيقة ،كما أبان عن أن الشيوعية ما هى إلا أفكار صهيونية كانت موجودة من قبل كارل ماركس بوقت طويل وأن كل ما فعله ماركس هو أنه جمع هذه الأفكار وجعل لها ثلاث قواعد فى وقت انهيار الحضارة الأوربية وزعم أنه بعيد بنائها ولكن بأسلوب روائى فهو إمعان فى التخريب فقواعد الشيوعية الثلاث : (أولاً) محاربة الأديان وتفريغ الإنسان من كل عقيدة دينية واستبدالها بتعاليم وشعارات النظرية الشيوعية وهى فى تركيبها اشتراكية متمرحلة (ثانياً) الانسلاخ من كل انتماء وطنى ليظل الفرد عضواً فى التنظيمات المركزية الشيوعية ذات الفروع والألوان والأقنعة المختلفة التى تنبع من أصل واحد وتصب فى ملتقى واحد (ثالثاً) مقاومة التفضيل بالدرجات حتى يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وإلغاء الأمر الإلهى فالله سبحانه قد فضل الناس بعضهم على بعض درجات وقال وان منكم إلا وله مقام معلوم والتفضيل له عناصر هى العلم والعمل والتقوى والعدل والإحسان وما ينفع الناس فمن أراد أن يقاوم الشيوعية فعليه بغرس العقائد والتمسك بالدين والإصلاح ،أن مجابهة الشيوعية بغير هاتين الوسيلتين إنما هوتمهيد لانتشارها واستشرائها وغزوها النظرى والجدلى والتطبيقى . وأشار الملك فيصل فيما رواه عنه الأستاذ حامد مطاوع رئيس تحرير الندوة : أن أسلوب مقاومة الشيوعية من المعسكر الليبرالى تكشف عن أبعاد خطيرة ، لقد دخلت أمريكا فيتنام من أجل مكافحة الشيوعية ولكنه كفاح بأسلوب يهودى فهو فى فى شكله مكافحة وفى حقيقة موضوعه ومحتواه تمهيد لانتشار الشيوعية وهذا مخطط يهودى وأشار إلى كتاب ويليام ليدرار الكاتب الأمريكى الذى صدر عام ١٦٩١ وقد نصح المؤلف قومه بأن هذه المبالغ الخرافية التى تصرف على الحرب يمكن أن تصرف على تنفيذ برامج إصلاح تخدم الإنسان وتتم فى القطاعات المختلفة وتخلص المنطقة من الشيوعية وقال أن السياسة الأمريكية مبنية على حسابات متشعبة ليس من بينها المصلحة الأمريكية الصحيحة وإنما المصلحة العليا للصهيونية واليهود . ومنذ وقت طويل وقبل أربعين سنة كانت صحف الإخوان المسلمين قد كشفت هذه الحقائق وقد قاد المرحوم الدكتور محمود صالح حملة ضخمة على الشيوعية والصهيونية فنشر فى مجلة الإخوان ١٩٣٨.٣.٤ مقالاً ضافياً تحت عنوان (الشيوعية دسيسة صهيونية لخراب العالم) نقلها عن مجلة فرنسا القديمة قال فيه أن مدبرى

دفة الأمة اليهودية هم الذين أثاروا الحرب الكبرى ودبروها بالدسائس بغية جمع المليارات وتقسيم الممالك ثم محق ماليها وقتل النبوغ فى غيرهم وهى التى فتحت الطريق أمام شعب الله المختار للاستيلاء على الكون كله . هؤلاء الزعماء اليهود هم الذين دبروا للبلشفية الدسائس ومهدوا لها ببذل المال وأثاروها انتقاماً من الشعب الروسى . إن البلشفيك وجهوا وكلاءهم وبثوا عيونهم بدورهم على سائر الوزارات الأوربية والأمريكية وكانت خطتهم تتركز فى قولهم « يجب علينا أن نحمل غير اليهود على أتباع الخطة التى أوشكت أن تنال الظفر بواسطة التأثير على الرأى العام الذى استملناه إلينا بسلطتنا السرية الواسعة على الصحافة وجملة القول أن الشيوعية هى فى صميمها حركة صهيونية يهودية واسعة . وكتب فؤاد كرم الكاتب اللبنانى عن علاقة ماركس بالصهيونية ، وعن الدور الذى قامت به الصهيونية فى دعم لينين حتى نجح فى اغتصاب السلطة مقابل تعهده بالعمل على إنشاء دولة إسرائيل فى فلسطين ، وكيف أوفدت موسكو شيوعيين من اليهود إلى فلسطين حيث أنشأوا أول حزب شيوعى فى المنطقة العربية ثم طاف عدد آخر من الشيوعيين اليهود بعض العواصم العربية وشكلوا فيها أحزاباً شيوعية فى محاولة لبلشفة العالم العربى والإسلامى وقال فؤاد كرم : أن الاتحاد السوفيتى الذى أوجد (إسرائيل) لا يعقل أن يتخلى عنها فالغالبية الساحقة من المهاجرين اليهود إلى فلسطين قدموا من الاتحاد السوفيتى ودول أوروبا الشرقية وتم تدريبهم بإشراف ضباط سوفيت وقتلوا العرب بأسلحة شيوعية قدمتها إليهم تشكوسلوفاكيا ودول شيوعية أخرى وما زالت الهجرة اليهودية السوفياتية مستمرة حتى اليوم فى محاولة لدعم قوة إسرائيل البشرية ولن تعجب إذا علمت أن معظم المهاجرين — علماء ومفكرون ومحاربون — أى أن إسرائيل تستخدمهم لرفع قدرتها العسكرية . وقال أن موسكو لا توافق أبداً على التعرض لكيان دولة إسرائيل بعد أن استدرجت العرب إلى هزيمة ١٩٦٧ لكى ترغمهم على الاعتراف بحدود دولية لإسرائيل وأشار إلى أن الإعلان العالمى لحقوق الإنسان الذى صدر عن الأمم المتحدة قد تنكرت له الأنظمة الشيوعية ولم تطبق أيا من موارده حتى الآن فى جميع المجالات الفكرية والسياسية والاجتماعية وبالنسبة إلى الحريات على اختلافها فالإنسان هناك عبد رق لا ينطق إلا بما تحشو به أجهزة الحرب الشيوعى الحاكم فمه من ترهات وأوهام وكشف فؤاد كرم عن أن الازدهار الذى حلم به ماركس ولينين لا يزال حلماً يداعب مخيلات الشيوعية وأن العقيدة الشيوعية أخفقت بعد ٥٤ سنة من التطبيق فى توفير الحد الأدنى من الضروريات حتى عجزت عن تأمين لقمة العيش لهم بعد ما أصيب الاتحاد السوفيتى بقحط خطير أكرهه على استجداء القمح

(الامبريالى) من أمريكا واستراليا وكندا ودول رأسمالية أخرى قامت الشيوعية لهدم أنظمتها واضطرت السلطات السوفيتية لأن تبيع كميات من الماس والبلاتين والذهب والفضة المخزونة لديها بلغت قيمتها فى عام ١٩٧٢ حوالى ٨٥٠ مليون دولار لكى تسدد بها ثمن القمح الأمريكى وأشار إلى أن معدل إنتاج الحنطة فى الصين الشيوعية يتضاءل اليوم عما كان عليه قبل سبع عشر سنة نتيجة لعقم الأساليب الشيوعية مما أدى إلى استيراد كميات من القمح من الولايات المتحدة وكندا وهذا نجد أن القمح الامبريالى هو الذى أنقذ الأنظمة الشيوعية من الدمار وما زال العامل الشيوعى يتقاضى أدنى أجر فى العالم ويعيش على الكفاف ويأوى إلى أكواخ أو يتقاسم غرفة واحدة مع أكثر من عائلة . وكتب نقولا حداد فى الرسالة ١٩٤٨ مجموعة من المقالات كشف فيها كثيراً عما أسماه (اليهودية الشيوعية) :قال فيها : إن على العرب أن يعلموا أن الصهيونية أخت الشيوعية بل أمها لأن اليهود الذين قلبوا الحكم القيصرى كانوا كلهم يهودا ما عدا لينين ولما أنشأوا دولة البلشفية جحدوا الدين وطاردوا الأكليروس والنصارى واليهود والمسلمين من كنائسهم وجوامعهم وصاروا يدينون بدين كارل ماركس . وبقى اليهود يتحينون تلك الفرصة لكى يملكوا روسيا بصفة كونها اشتراكية ولكن ستالين فطن لمؤامرتهم التى كانوا يدبرونها لكى يقبلوا سلطته فأباد كثيراً منهم ومن يعرفهم فلعل جروميكو فسشنكى منهم ، وقال أن اليهود يتلونون كل لون يكون اليهودى رأسمالياً تارة واشتراكياً تارة واستقراطياً وديمقراطياً ونصرانياً ومسلماً وسيرى ستالين أو خلف ستالين أن الشيوعية صارت فى قبضة الصهيونية .

(٩)

كذلك فقد كشف الباحثون عن مخططات خطيرة للدعاية الشيوعية فى دول العالم الإسلامى تقوم على استراجية دقيقة فى الدعاية وتتطور وتتبدل بين آن وآن لتتلائم مع ظروف المجتمعات ، ولكنها تقوم فى أصولها ومضامينها على نفس المقومات التى سمها ماركس ولينين وتأخذ طريقها عن طريق الصحيفة والكتاب والمنشور والكلمة وتدور المضامين كلها حول الفردوس المزعوم أو الشيوعية . يقول الدكتور إبراهيم دسوقى أباظة : أن السنوات العشر ٩٦٥-١٩٧٥ قد سجلت توسعاً هائلا فى الوسائل وتجدداً متزايداً فى المضامين حتى أغرقت أسواق العالم بنظرياتهم ويلجأ الشيوعيون فى ذلك إلى شراء ذمم أصحاب الصحف وكتابها أو خداع القائمين عليها باستغلال ظروفهم الخاصة وقد اتسع هذا النفوذ حتى شمل الآن.

حوالى ستون فى المائة من إنتاج الكتب و٥٥ فى المائة من إنتاج المجلات وخاصة المجلات ذات الصيغة العلمية و٤٤ فى المائة من إنتاج الصحف ولا ريب أن محصلة هذه السيطرة المتزايدة على وسائل الأعلام وأجهزته تبدو فى الحصار الذى ضرب على كل فكر ورأى لا يتفق مع الخط الماركسى.والترحيب بكل رأى يحمل طابع الهدم ولو لم يكن ماركسياً لأنه يتفق والخط الماركسى العام الذى يستهدف أولا تحطيم ما هو قائم وكل رأى يستخدم قوالب التحليل الماركسى تفسح له المجال حتى ولو لم يكن صاحبه ماركسياً لأن فيه دعاية وتقديراً لأدوات التحليل الماركسى ، أما الأفكار التى تحاول تفنيد النظرية الماركسية أو التى تطرح قيماً جديدة أو تعلى من شأن مذاهب دينية قائمة فلا يمكن أن تجد سوى المحاربة والتضييق . وأبرز مضامين الأعلام الشيوعى فى البلاد الإسلامية : (أولا) : الحياد المصطنع بالنسبة للدين ، وقد حدث تحول ظاهرى خادع فبعد أن كانت الأديان فى الدعوة الماركسية أفيون الشعوب أصبح يقال الآن أنه لا تعارض بين الشيوعية والإسلام بدعوى أن كلاهما يسعى إلى هدف واحد ، أو الإدعاء بأن الإسلام ثورى . . (ثانياً) محاولة تحييد الدين الإسلامى بابعاده عن دائرة المقاومة للغزو الماركسى وخاصة بعد أن انتكس هذا الغزو مؤخراً فى العديد من الأقطار الإسلامية . (ثالثاً) اتجاه الإعلام الشيوعى إلى هدم القيم الإسلامية ، حيث تلمح كتابات الشيوعية بخواء هذه القيم وعدم تلاؤمها مع روح العصر ومتطلباته . (رابعاً) التشهير بالتعاليم الإسلامية وافراغها فى مدلولاتها الحقيقية . (خامساً) التبسيط الساذج لمشاكل العالم الثالث بطرحها فى قوالب ماركسية توحى للملاحظ العادى بسلامتها وصدقها. (سادساً) تقديم السموم الإشتراكية فى أشكال براقة تستأثر بالعواطف وتطرح الحلول فى قوالب جاهزة تفرض على العقل المادى سلطانها . وقدركب الشيوعيون كل تيار يؤدى إلى خدمة أغراضهم ، حتى ولو كان مصادماً لجوهرها ، فركبوا تيار القومية وأداروه لحسابهم وركبوا تيار الاشتراكية غير العلمية وسخروها لأهدافهم ، وتعاطفوا مع الأقليات الانفصالية . (سابعاً) المحاولات التى بذلها رواد الاعلام الشيوعى بقصد الحيلولة دون تعرف إنسان العالم المتخلف بحقيقة الدعوة الشيوعية وقطع الطرق وسد المنافذ حتى لا يصل إلى حقيقة التجارب الشيوعية فى بعض هذه الدول وتستهدف كل هذه المخططات تذويب الفكر الإسلامى فى بوتقة الشيوعية اليهودية مما يستدعى اليقظة والتصدى والكشف عن زيفها . وهناك محاولة خادعة ترمى إلى الحديث عما يسمونه نقط الالتقاء بين الإسلام والماركسية بدعوى أنهما محاولتين لتحقيق مثل أعلى اجتماعى وفى هذا ما فيه من التضليل والفساد من أكثر من طريق ،ذلك أنه لا سبيل إلى عقد

المقارنة بين الشيوعية والإسلام أساساً . ولا يمكن أن توصف الشيوعية بأنها تستهدف تحقيق مثل أعلى تقترب فيه من الإسلام فالخلفية الشيوعية (الماركسية اللينينية) معروفة سلفاً وقد تكشفت خطوطها الأساسية من اتصالها بعوامل الهدم وبامبراطورية الربا وبتدمير المجتمعات والسيطرة عليها . والمعروف أن هناك محاولات متعددة للخداع والتمويه تحاول استقطاب المسلمين والعرب تحت أسماء براقة وكلمات لامعة وخادعة كالتقدمية والتنمية والعصرية وغيرها والإدعاء بأن الشيوعية هى الفردوس الأرضى وقدتبين فساد التجربة كما تبين تبعية العاملين فى هذا المجال تبعية لا وجه فيها للوطنية أو الإيمان بالقيم الأساسية لهذه الأمة وقد أحصى الدكتور إبراهيم دسوقى أباظة : منشورات الشيوعيين فى العالم كله وأشار إلى أنها تحمل المركز الأول فى إنتاج الكتاب (٣ر٧ مليون كتاب يومياً أى ما يوازى ربع إنتاج العالم) — بما يساوى ٢٥٠٠ نسخة فى الدقيقة وأن مؤلفات لينين تحتل المكان الأول . بلغ مجموع نسخها ٣٣٠ مليون نسخة صدرت بحوالى ٩٨ لغة من لغات شعوب السوفييت إلى عشرات الملايين من الترجمات باللغات الحية . وهناك بناء على هذا إقرار جامع بأن الأعلام الشيوعى أصبح قوة مؤثرة فى صنع الفكر وتوجيه الحركة الثقافية فى العالم ، وأن لهذا الإنتاج (بالإضافة إلى الأفلام السينمائية والإذاعات) فعالية واسعة فى صناعة العقول والسيطرة عليها فى مواجهة فراغ واسع فى أجزاء كثيرة من العالم الإسلامى من كل مناعة فكرية مجردة من كل سلاح عقائدى. وقد حاول دعاة الماركسية تقديم هذه النظرية على أنها مرادف للتقدم ومقابل للتجديد وأن ما عداها من آراء ونظريات هى محاولة للرجوع إلى الماضى ، مع أن النظرية قد تمزقت وسادها الفساد وأغراها التخلف . ومن أضاليلهم القول بحتمية الحل الإشتراكى وسد المنافذ على كل حل آخر يستهدف الخروج من التخلف مع أن هناك حلولا كثيرة للخروج من التخلف ، وهم يستهدفون من هذه الصيحات المتلاحقة تجميد الفكر عند الماركسية وحجبه عن أبعاد الرؤية للممكنات البديلة وهم يذهبون فى هذا وراء فرضيات ثبت فسادها كالجدلية والاتجاه الواحد للتاريخ والحتمية التاريخية . وأبلغ حملاتهم موجهة إلى الإسلام باعتباره الصخرة الكبرى التى ترتد عنها رؤوسهم دون أن تنال شيئاً ، وهم يلتفون حول الدين بالقول بعدم التعارض بين الدين والماركسية أو أن الرسول كان أعظم الثوريين الاجتماعيين وكل هذه محاولات مبطلة وسيظل الإسلام قادراً على تزييف هذه المطروحات الفاسدة .

(١٠)

وقد ظهرت فى السنوات الأخيرة مجموعة من الدراسات تحاول أن تصور الدور الذى قام به الشيوعيون فى مصر والبلاد العربية تصويراً زائفاً خادعاً على نحو ما كتب رفعت السعيد ، طارق العشرى ، أحمد صادق سعد ، شهدى عطيه وغيرهم) . ولعل خير ما يقال رداً على هذه الإدعاءات كلها ما أعلنه القائد الشيوعى (لينين) فى المؤتمر الثالث للدولة الشيوعية فى موسكو وهو قوله « أن الحزب الشيوعى المصرى مؤلف أساساً من الأجانب وأنه منفصل عن الطبقة العاملة المصرية وأن الأجانب الموجودين فى الحزب لا يزيدون عن أنهم عوامل الاستعمار ويسعون إلى تضليل العمال المصريين . (لمعى المطيعى : الأخبار ٤-١٠-١٩٧٦) والمعروف أن سكرتير الحزب اليهودى روزنتال كان رعية بريطانية كذلك فقد تكشف كذب الإدعاء بأن الاتحاد السوفيتى عرض على مصر أبان ثورة ١٩١٩ أن يمد سعد زغلول بالسلاح وما يقال أن سعد زغلول رفض ذلك للإيحاء بأن عروض الاتحاد السوفيتى قديمة والثابت حتى الآن أن سعد زغلول لم يرفض لسبب بسيط هو أنه لم يتلق أى عرض من السوفيت بمده بالسلاح أو بغير السلاح وليس هناك من سند تاريخى لهذا القول . ويؤكد لمعى المطيعى : ما أجمعت عليه مصادر كثيرة صادقة من أن النشأة الحديثة للحركة الشيوعية فى مصر جاءت على أيدى عدد من الأجانب واليهود : هنرى كوريل ، أرول كورنيل ما هليل شوارتز ، بول جلاكودى كومب . ووقائع الأحداث تكشف أن الشيوعيين كانوا دوماً فى صف القوى المعادية لمصر والعرب وموقفهم من تأييدهم لقرار تقسيم فلسطين فى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى (٢٩ نوفمبر ١٩٤٧) واعترافهم بإسرائيل فور اعتراف أمريكا بها يؤيد هذه الحقيقة . كذلك رفض الشيوعيون الانضمام إلى الكفاح الوطنى المسلح ضد الاحتلال الانجليزى فى منطقة القناة سنة ١٩٥١ ووقفوا موقف العداء أمام الحركات الوطنية والإسلامية كالحزب الوطنى ومصر الفتاة والإخوان المسلمين . وقد كان الخداع دائماً والتمويه قائماً على الإنقسام تحت أسماء متعددة خادعة :الماركسيون ، واليساريون ، ، الشيوعيون ، أو تحت منظمات سرية موالية للسوفيت أو الصين أو التروتسكية . وقد استطاع الشيوعيون بالتعاون مع مراكز القوى أن يقودوا التنظيم الإشتراكى ١٩٦٠ - ١٩٦٦ وأن يعطوه صيغة الحزب الشيوعى الروسى وكان أخطر أعمالهم فى منظمات الشباب حيث كان الموجهون السياسيون جميعاً من الشيوعيون وكانوا يلقنون بالقوة والإكراه طلبة الجامعة والفلاحين والعمال معانى كارل ماركس وأراء الفوضوى

الاشتراكي برودين والفرق بين مثالية هيجل وواقعة ماركس وانجلز . « وقد نفر الحس الشعبي من هذه المفاهيم ولكن الشيوعيون فرضوها كمسلمات فرضاً قهرياً لا رحمة فيه ولما رفض الطلاب بقبولها أدخلوا إليهم المذهب المادى الحسى بتوجية أعلى ليكون منطلقاً إلى الماركسية. وكانت هناك دورات تدريبية فكرية فى معاهد موسكو الخاصة لتخريج دعاة شيوعية فى البلاد النامية (آسيا وأفريقيا) وكتب لطفى الخولى أن الشيوعية المصرية كانت حامية للحرية

(١١)

ويصور الدكتور عبد القادر حاتم تجربته العملية مع الشيوعيين فى مصر خلال هذه الفترة بوصفه مسئولا عن الأعلام فيقول : بلغ المد الماركسى عام ١٩٦٦ الحد الأقصى وكان على صبرى رجل موسكو القوى أميناً عاماً للإتحاد الإشتراكى ، وكان الشيوعيون قد عمدوا فى أعقاب زيارة خروشوف للقاهرة إلى حل تنظيماتهم الحزبية وتسللوا إلى الإتحاد الإشتراكى حتى تسللوا إلى أجهزة الأعلام وتبوأو مناصب حاكمة فيها كما تسللوا إلى الصحف المصرية تسللا وضعهم على رأس مجالس إدارتها وأن القوة التى كانت تقف وراء التغيير فى أوائل الستينات وحتى نهايتها ، لم تدع مجالا للاختيار فأما هى وشعاراتها وجماعاتها وأما الهزيمة وحتى بعد الهزيمة ١٩٦٧ ظل الأمر مرتبطاً بالاتحاد السوفيتى يستفيد من هذا الشعور فيدفع بالعناصر المؤتمرة بأمره إلى مزيد من السيطرة على أجهزة الدولة فى انتظار اليوم الذى تستطيع هذه العناصر فيه القفز إلى السلطة . ويقول : المفروض أن الأعلام يقدم للمواطن المعلومات الصحيحة التى تساعده على المعرفة من جهة ومن جهة أخرى على تثبيت جذور تقاليده وحضارته وإيمانه والعقيدة التى يعتنقها وقد تعرض الإعلام العربى الذى كان هذا الهدف أساس جهده لهجوم شديد جداً من مصادر متعددة . إلا أن أعنف هجوم تعرض الأعلام العربى له هو الهجوم الذى شنه الملحدون والشيوعيون ،فقد بدأ هؤلاء حملات رهيبة على قطاع الأعلام بالذات سعياً وراء السيطرة على أجهزة كفيلة باقناع العقول العربية وبغرض نشر العقيدة الخاصة بهم . وحدثت فى حقبة محددة محاولة لتقسيم العالم العربى إلى غربى وشرقى وإلى رجعى وتقدمى إلى آخر التصنيفات التى برع الشيوعيون فيها . أما العقبة الصلبة التى كانت تعترض طريقهم إلى هدفهم فكانت تتمثل فى إيمان الناس بأديانهم السماوية ولما كان مبدأهم الأساسى محاربة الأديان والعمل على محو كل أثر لها من أجهزة

الأعلام . وأن مراكز القوى أقامت وجودها فى الاتصال بالمعسكر الشرقى- بشكل مريب وكانوا حريصين على منع الإذاعات الدينية العربية . ويقول : فى الفترة من١٩٦١-١٩٦٢ كان المد الالحادى الشيوعى قد بدأ يعمق جذوره فى مصر ، ووجدت أنه لابد من إقامة محطة تتخصص فى القرآن الكريم وكانت ثورتهم على كلام الله قد بلغت حداً لا يوصف ثم عملوا على إضعاف إذاعة القرآن بأن استبدلوا بموجتها القوية موجة ضعيفة ، والتقليل من برامج الدين فى الإذاعة العامة باعتبار أن الأديان وبث القيم الروحية فى الشباب قوة أساسية فى مقاومة الإلحاد ، ثم حاولوا إقفال مجلات عديدة متخصصة بالأبحاث والدراسات الدينية ثم حصلوا على تصريح من مراكز القوى بإذاعة الأفلام الشيوعية التى تحض على الصراع الطبقى ، وأقاموا تنظيمات كثيرة فى الإذاعة والتليفزيون وفى الصحافة وفى الميادين الفنية الأخرى تعتمد على المخططات المنسقة والتنظيم الدقيق والمعروف أن لينين قال عن الدعاوة الماركسية أنها يجب أنتبنى أولا على إيجاد نوع من الدعاة وثانياً على التنظيم وثالثاً على المشاغبين الذين يحركون الجماهير ويدفعون بهم إلى التظاهر أو أية أعمال إجرامية تخريبية وأساس هذه الدعاوة استغلال معاناة الجماهير بمتخلف الوسائل وإعداد إطارات معينة تستثمر متاعب الشعب خلال كفاحه لبناء نفسه ثم تعتمد بعد أن تتمكن من قدرتها إلى قيادة عمليات التخريب وطريقتهم فى العمل (فى ميادين الصحافة أو الفن أو غيره) تبدأ تنظيميته وتنتهى إحتكارية أما التسلل الشيوعى إلى وسائل الأعلام فقد بدأ على أثر الخلاف الذى نشب بين مصر والاتحاد السوفيتى حيث دخل عدد كبير من القيادات الشيوعية السجون فى مصر وسوريا بسبب تآمرهم على الوحدة من جهة والتزامهم بمواقف غير وطنية وفى أوائل الستينات جاء خروشوف إلى القاهرة فى زيارة رسمية وكان من رأيه أن يخرج الشيوعيون من السجون وأن يلتزموا باتجاه الدولة الرسمى وخرجت القيادات الشيوعية وكان كل همهم العمل فى كل أجهزة الأعلام والثقافة فتغلغلوا فيها بدعم قوى من مراكز القوى حتى استطاعوا السيطرة التامة على هذه الأجهزة : المسرح – الإذاعة – التليفزيون – الكتاب – الصحافة - الفنون التشكيلية – الفنون الجميلة كالباليه والرقص الشعبى ، وكان الفشل حليفهم لأن الشعب كان يرفض طبيعة ممارستهم ولا سيما بعد أن ألفوا كتباً دنيئة كالكتب الجنسية والكتب اللادينية وقد تكبدت الدولة نتيجة ذلك خسائر جسيمة فكانت الكتب تؤلف وتطبع لتودع فى المخازن وكانت المسرحيات تعرض وتحاط بدعاوة كبيرة فلا يحضرها سوى عناصرهم ومع ذلك يجعلون منها مظاهرة

أدبية وفنية ضخمة . وقد عرف الناس بعد مايو ١٩٧١ التنظيمات التى كانت وراء ذلك ، كما عرفوا أن هذه التنظيمات التى أرادت لهم السيطرة على أجهزة العلم تنفيذاً لمخططات معينة. وقد جاء تعيين الشيوعيين فى مجالس إدارة الصحف بدعوى أن هؤلاء اشتراكيون وأن لا اشتراكية بلا اشتراكيين ومن جهة أخرى لا يجاهر الماركسيون بالقول : نحن نريد بنشر الفكر الشيوعى والإلحادى وإنما ينشرونه وفق مخطط مرسوم ، كان يعينون على أساس أن الاشتراكيين وحدهم هم القادرين على شرح المبادىء الاشتراكية وهم الذين ينفذون التعاليم الاشتراكية ،ولم يفلحوا فى هذا المجال لأن لأغلبهم أسلوباً ماركسياً معقداً يتعذر على الشعب فهمه ، بل كان الشعب يتندر بأسلوبهم الغريب فى كتاباتهم ، وكانت السياسة المتبعة تفرض إعطاؤهم القلم والميكروفون وجهاز التصوير ، وكانوا يضعون السم فى الدسم وبعد ذلك يعبرون عن الصورة ثم يشرحونها وفى النهاية يهدمون ويخربون ، وكانوا يركزون على الصراع الطبقى والحقد على الدين باعتباره من الغيبيات وأفيون الشعوب ولكى يأخذ هذا الصراع الطبقى مداه لابد أن يكون فى البلاد فئتان : فئة الوطنيين الاشتراكيين وفئة الاقطاعيين والاستغلاليين لقد رفع الاستعمار شعار فرق تسد ورفعت الشيوعية شعار الصراع الطبقى أى الصدام الدامى بين أبناء الوطن الواحد أو شعوب الأمة العربية . يقول الدكتور حاتم : بعد عودتى للأعلام ١٩٧١ اكتشفت أن عدداً كبيراً من الماركسيين العاملين فى الإذاعة والتليفزيون والصحافة موجودون خارج البلاد فى إحدى الدول الشيوعية ولما عادوا اخضعوا لتحقيق تبين من نتيجتة أن المعاهد الاشتراكية التى أقامتها مراكز القوى هى التى أوفدتهم إلى المحاضرات وأن الدراسة التى كانوا يتلقونها كانت تتناول العقيدة الماركسية وتعاليم لينين وأسلوب مقاومة الرجعية ووسائل المقاومة وكانوا يعدون إعداداً ماركسياً لصراع طبقى داخل الدولة وبعضهم كان يندفع إلى هذه الدراسات بتأثير رؤساهم وإرضاء لهم وربما عن غير إقتناع أما الاخرون فكانوا فعلا فى تنظيمات ماركسية . وقال : أن مراكز القوى كانت تأتى بالشباب وتنشىء لهم المعاهد المسماة اشتراكية ثم يبدأ الكلام عن العقيدة الماركسية ، حتى (الميثاق) فسر تفسيراً ماركسياً وكان التركيز الأساسى على أنه ليس فى العالم سوى اشتراكية علمية واحدة هى التى تحدث ماركس عنها وعلينا أن نسير على هداها . وبعد هزيمة ١٩٦٧ أصبح الماركسيون فى حالة ضياع حقيقى فأطلقوا الشعار القائل (نريد معرفة النغمة الصحيحة) قلت لهم عام ١٩٧١ أن النغمة الصحيحة هى مصر والعرب والاستعداد للمعركة واسترداد حقنا وبث الروح الوطنية الحقيقية

فى نفوس الشباب من واقع أرضه وترابه وفى سبيل بلده . وكانت اللغة العربية أحد أهداف المخطط الماركسى فقد بذل الماركسيون جهداً كبيراً لإلغاء اللغة العربية وإحلال العامية محلها على أساس أنها لغة التعبير الواقعى حتى الشعر العامودى تعرض للهجوم لمصلحة الشعر المنثور غير المفهوم ، هذا الشعر غير الواضح وغير المفهوم الذى لا غرض له غير إفساد أذواق الناس . وكانت الماركسية تسعى إلى ضرب اللغة العربية لأن اللغة هى عماد الوحدة والنظرية الماركسية تعادى الوحدة . وقال : أن التنظيمات السرية فى التليفزيون والإذاعة اشترت أقلام ١٨٠ كاتباً من كتاب البرامج فى التليفزيون وكانوا كل أسبوعين يعرضون فيلمين عن ماركس ولينين وحرب الصراع الطبقى».

(١)

فساد النظرية الماركسية

أولا : فساد النظرية الماركسية

أطلق ماركس على نظريته إسم (الاشتراكية العلمية) لأنه اعتمد فى بناء النظرية على مجموعة المفاهيم العلمية التى كانت مطروحة فى أفق الفكر الغربى فى هذه المرحلة التى أنشأ فيها مذهبه وقد عاش ماركس بين (١٨١٨ — ١٨٨٣) وهى الفترة التى أزدهرت فيها الفلسفة المادية فى أوربا وأقامت أسسها على فرضيات العلم التجريبى التى كانت لا تزال لم ترق إلى مستوى الحقائق العملية التى لم يلبث التقدم العلمى أن جرفها وحطمها وكانت تجارب العلماء فى هذه الفترة تتسم بالكراهية الشديدة للكنيسة ورجال الدين على أثر الصراع الشديد الذى وقع بين الفريقين ، وبروز بعض قوانين العلم التجريبى التى حاولت الفلسفة أن تتخذ منها أساساً لبناء قوانين للتاريخ والإجماع وللدراسات الانسانية بحسبان أن الكيان الإنشانى هو كيان مادى خالص وأن قوانين المادة صالحة للتطبيق عليه. وكان هذا أول أعمدة الأساس فى النظرية المادية التى انهارت بعدقليل حيث تبين للعلماء بوضوح أن الكيان الإنسانى هو كيان مستقل بذاته وأن قوانين التجارب المادية لا تصلح للتطبيق عليه . كذلك فإن الفرضيات التى قدمها دارون كلها بشأن العلاقة بين الإنسان والفرد لم تلبث بعد ذلك أن انهارت وثبت فسادها . كذلك فإن من أكبر الأخطار الأساسية فى نظرية ماركس أنه أقامها فى ضوء « حالة عرضية » لم تلبث أن تغيرت هى فقر العمال فى ظل بدايات التصنيع التى شهدها ماركس والتى لم تلبث أن تجاوزت كل ما وصل إليه خيال ماركس على نحو أعطى مزيداً من التأمينات والامتيازات والدرجات بحيث خالف ذلك ماكان يتطلع إليه ماركس من انقضاض العمال على أصحاب الأعمال ،كل هذا وغيره من أسس وقواعد لم تلبث أن انهارت كان له أبعد الأثر فى اهتزاز النظرية الماركسية وعجزها عن تحقيق نبوآتها ومن هنا فقد ثبت ثبوتاً حاسماً :«أن الماركسية فلسفة مرحلة وردود فعل للرأسمالية» وكان أكبر الضربات التى وجهت إليها هى (يقين) ماركس بأن تحدث الثورة الشيوعية فى دولة متقدمة صناعياً إلى أقصى حد فكان الذى حدث أن وقعت الثورة الشيوعية فى أكثر بلاد أوربا تخلفاً (الإتحاد السوفيتى) . ولقد كان أكبر مقاتل النظرية الماركسية هو أساسها المادى المحض الذى لم تتحقق له النظرة العميقة ذات الأبعاد الواسعة إلى عوامل أخرى معنوية وروحية ونفسية لها أثرها فى تفسير

التاريخ وبناء المجتمعات والحضارات . ويقول الفيلسوف هكسلي : كانت الشيوعية الماركسية أكثر تنسيقاً وملاءمة ولكن أساسها المادى المحض قد حد من فاعليتها فقد حاولت أن تنكر حقائق القيم الروحية وهذه القيم موجودة قائمة . لذا كان على الشيوعية أن تتقبل نتائج هذا الحظ الأيدلوجى فأقبلت فى غيظ وحنق لفتح أبواب الكنائس للجموع المتعطشة إلى الروحية التى نبذها النظام الشيوعى . وأن أخطر ما وقع فيه ماركس وانجلز هو القول بأن تاريخ المجتمع الحاضر كله هو ما إلا تاريخ النزاع بين الطبقات : فالعبيد والأحرار والدهماء ورجال الطبقة العليا والسيد والتابع والمعلم والصانع وفى الجملة كل هؤلاء وقف الواحد منهم ضد الاخرون فى حروب لا هوادة فيها » ولا ريب أن نظرية الصراع بين الطبقات ليست حقيقية تاريخية بقدر ما هى من أهواء اليهودية التلمودية ، بالإضافة إلى معارضة الدين وعداؤه والانتقاص منه وقد دفع هذا بعض الباحثين إلى القول بأن الماركسية مؤسسة على نظريات غير واقعية مخالفة لفطرة الإنسان وواقع حقائق الأشياء . يقول (بربارا وارد) فى كتابه [خمسة أفكار تغير وجه العالم] عن الشيوعية : تمخض عنها عقل يهودى برجوازى هو كارل ماركس . بعد أن شهد المرحلة الأولى التى أعقبت الانقلاب الصناعى فى انجلترا وما صحبها من تضخم فى ثروات أصحاب الأعمال ومن شقاء وحرمان فى حياة العمال فسارع كارل ماركس إلى استنتاج حقيقة كبرى أقام عليها مذهبه هى أن الرق الصناعى يستتبع حتما شقاء العمال وتعاستهم . ونقول أنه تبين من بعد فساد هذه الحقيقة الكبرى التى هى دعامة المذهب كله . ويمكن القول بوضوح أن ماركس قد استبطن الأهداف التلمودية الصهيونية اليهودية التى كانت تسيطر على العالم وحاول أن يصنع فيها مذهباً اجتماعياً يرمى إلى إثارة العداوة والتناحر بين الطبقات والمجتمعات وخاصة وأنه قد اعتبر حتمية الحل هو الثورة الدموية القائمة على التآمر والحقد والعداء الذى يمكن للطبقة المتآمرة الاستيلاء على السلطة . لقد كان كارل ماركس تلميذاً أصيلا للمفاهيم التلمودية الحاقدة على البشر كلها الراغبة فى تفريغ هذا الحقد فى منهج يمكن اليهود من إقامة إمبراطورية الربا العالمية فجاءت نظرية ماركس استجابة صحيحة لكل مفاهيم التلمود التى تحتقر الأديان والبشرية وتحاول أن تفرض وجودها بالتآمر والقتل . ولذلك فقد جعلت منطلقها الصراع بين الطبقات وعلى تحريض العمال على الثورة الدموية على أصحاب رؤس الأموال . وعنده أن جرب الطبقات وعداء الطبقات هى القانون الأول من قوانين التغيير وأن دكتاتورية العمال ستسحق المجتمعات

الرأسمالية .وتقوم الصهيونية كما صورها كارل ماركس على إلغاء القيم الطبيعية التى أقامتها الفطرة الإنسانية : الملكية الخاصة ، الدين ، الأسرة ، وإلغاء الحريات الفردية ، والقضاء على الكرامة الإنسانية ، وسيادة التصفيات الدموية الرهيبة ، ولذلك فإن معارضة الفطرة لاتستطيع أن تثبت طويلا وسرعان ما تجتاجها طبيعة الإنسان الأصيلة ، كذلك فإن القواعد التى قامت عليها الماركسية من فرضيات العلم ومن ظواهر المجتمعات والحضارات سرعان ما اجتاحها التغيير المتصل فاحتاجت إلى الترميم والإضافة والحذف ،كذلك فإن قيام النظرية الماركسية على الميكانيكية التى تحدد قوانينها ولا تتجاوزها قد أنكرت وتجاهلت القوى الإنسانية الحية الفاعلة وكما قال رسل فإن أكبر خطأ وقع فيه ماركس هو إنكار الذكاء الإنسانى كعامل من العوامل التى تسيرنا فى حياتنا وأن الناس تتفاوت فى هذا القدر من الذكاء . وليس أصدق فى الاحتجاج بأن الزمن قد تجاوز الماركسية لأنها قامت على فروض العلم التى تغيرت من بعد ،أن أربعين عالماً شيوعياً فى الاتحاد السوفيتى اجتمعوا فى الستينات فى شكل مجتمع علمى استهدف شرح الاسس الماركسية وقد راجع النتائج التى حققها تفتت الذرة وقرر المجتمع أنه يجب الا يعول كثيراً على جدل المادة بعد أن تجاوزه العلم وقد صدر كتاب تحت إسم (فوند منتل اف ماركزم) ووصل إلى مصر وقد تم جمعه بعد توزيعه وفى الطبعة الجديدة منه رفع الفصل الخاص بعدم التركيز على جدل المادة بعد أن اعتقد الماركسيون القادة إن ذلك من شأنه أن يزعزع العقيدة فى نفوس الأجيال الجديدة ويضربها فى الصميم . وقد جاء هذا على أثر حادث خطير وقع عام ١٩٥٩ حينما تحدثت وكالات الأنباء العالمية أن رئيس معهد الكيمياء العضوية فى روسيا (أوبارين) رفع تقريراً بعد ما عبر سبعة وثلاثين عاماً يبحث فى أصل الحياة ومدى إمكانية إيجاد الخلية الحيوانية الأولى عن طريق تفاعل كيميائى جاء فيه : لقد تبين بما لا شك فيه أن الحياة لا يمكن أن تبدأ من العدم وقد انهارت تماماً نظرية التفاعل الكيميائى والتوالد الذاتى التى تقول أن الإنسان لم يكن إنساناً منذ الأزل وأن الحيوانات والنباتات إنما نشأت من أصل واحد . وهذا يعنى تماماً أن القواعد الأساسية التى اعتمدتها الماركسية من نظرية دارون قد سقطت والواقع أننا عندما نراجع ماركس مراجعة صحيحة ، نجد أن هناك مسبقات واضحة فى فكر ماركس وهدف خفى يحاول أن يعالج الوصول إليه بدقة من خلال انتقاء بعض مواقف من التاريخ بل أن كثيراً من نقاد ماركس يرون فى صراحة :أن ماركس قد كون رأيه مقدماً ثم أخذ بعد ذلك يتلمس الأسانيد والمبررات لذلك الرأى.وأن بيان ١٨٤٨

عندما صدر كان أولا بتوجيه من فيلسوف الفكرة الصهيونية التلمودية الأول(هيس) إن لم يكن من وضعه نفسه – كذلك فإن ماركس لم يكن قد قام بتلك الدراسات التى نشرها من بعد تحت اسم (رأس المال) والتى صدر الجزء الأول منها عام ١٨٦٧ أى بعد تسعة عشر عاماً من البيان الماركسى . وبحيث يتبين بوضوح أن نظريته لم تكن وليدة بحث علمى بل كان البحث العلمى الذى قام به بهذا الصدد بمثابة دفاع أو تبرير لتلك النظرية التى اعتنقها مقدماً . ولا ريب أن هناك عدداً من القضايا التى تحتاج إلى تحليل واسع لتكشف أبعاد فساد النظرية فى مقدمتها : أولا : فكرة التفسير المادى للتاريخ وتعد فكرة التفسير المادى للتاريخ من أهم أركان المذهب الشيوعى وتؤكد النظرية الماركسية أن الإنتاج الجماعى لوسائل العيش يربط الأفراد بعلاقات جديدة ضرورية مستقلة عن إرادتهم وأن طريقة الإنتاج هى التى تحدد النشاط الاجتماعى والسياسى والعقلى لحياة جماهير الناس . يقول الدكتور صلاح نامق : هنا يكمن النقص الواضح فى النظرية فيفسر الوجود الإنسانى كله على أساس أحداث مادية فقط تكشف جانباً من الحقيقة وتخفى سائر جوانبها فمما لا شك فيه أن هناك قوى أخرى غير مادية تؤثر فى حياة الناس وعلاقاتهم الاجتماعية والأخلاقية ، بل لعل هذه القوى الأخيرة تأتى فى المقام الأول قبل القوى المادية البحتة التى ركزت عليها نقطة التفسير المادى للتاريخ . إن للقيم الدينية والمعنوية والأخلاقية وزنها وأهميتها فى المجتمع وإذا كان من الخطأ الظن بأن مجتمعا ما يمكن أن ينهض ويقوم ويتقدم على القيم الأخلاقية وحدها فمن الخطأ أيضاً الظن بأن مجتمعا يمكن أن ينهض بدونها وفى وسعنا أن يقول بأن تعاليم الأنبياء والرسل وأراء الفلاسفة والحكماء لا تعدو أن تكون نتاجاً للهيئة الاقتصادية وحدها . وإذا كان الاقتصاد وحده هو الذى يتحكم فى تطور المجتمع فكيف نفسر انشار الحصارة الاسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها . « ولم يأت الإسلام نتيجة انقلاب فى نظم الإنتاج أو فى علاقات الإنتاج فى قريش وإنما جاء ظاهرة إلهية مستقلة عن فعل البيئة ، لقد جاء الإسلام منذ البداية مقرراً المساواة فى الأرض وضمان حد الكفاية للفرد وتحقيق التوازن الاقتصادى بين الفرد والمجتمع ، وجاء بمبدأ الملكية الخاصة والملكية العامة ، جاء بكل ذلك فى الجزيرة العربية فى وقت لم تكن فيه ظروف الإنتاج وعلاقات الإنتاج تدعو إليه بحيث يمكن أن يقول أن ما حدث كان انبثاقاً من واقع اقتصادى وقد تحدى بذلك منطق نظرية التفسير المادى للتاريخ للتاريخ التى تحتم انبثاق كل انقلاب سياسى من انقلاب مناظر فى نظام الإنتاج وعلاقاته وخطأ

التفسير المادى للتاريخ أنه يرجع إلى خطأ نزعة التعميم التى تميل إلى أن تتخذ من ملاحظة خاصة بحالة معينة مبدأ عاماً يطبق ويسرى على جميع الحالات . وقد تبين من الدراسة المتعمقة أن هناك عوامل مختلفة تلعب دوراً هاماً فى التاريخ فى مقدمتها المعتقدات الدينية وأثرها فى حياة الأمم والشهداء الذين ماتوا فى سبيل معتقداتهم والعواطف والشهوات والأهواء التى تسيطر على حياة الرجال وتسيطر على تاريخ الأمم ، وغريزة حب السيطرة (قال أدلر أن غريزة حب السيطرة هى التى تلعب الدور الأول فى التاريخ(ولا ريب أن تفسير الوجود الإنسانى كله على أساس الأحداث المادية فقط يكشف جانباً من الحقيقة ويخفى سائر جوانبها فمما لا شك فيه أن هناك قوى أخرى غير مادية تؤثر فى حياة النـاس وعلاقاتهم الاجتماعية والأخلاقية بل لعل هذه القوى الأخيرة تأتى فى المقام الأول قبل القوى المادية التى ركزت عليها نظرية التفسير المادى للتاريخ . ويتساءل الباحثون : هل التفسير المادى للتاريخ هو التفسير الحقيقى الذى يفرض نفسه فرضاً على الواقع العالمى.وبالطبع لا : فللقيم الدينية والمعنوية والأخلاقية وزنها وأهميتها فى المجتمع ومن الخطأ الظن بأن مجتمعاً يمكن أن ينهض بدونها . . « وهل فى الوسع أن نقول بأن تعاليم الأنبياء والرسل وآراء الفلاسفة والحكماء لا تعدو أن تكون نتاجاً للبيئة الاقتصادية وحدها » وإذا كان الاقتصاد وحده هو الذى يتحكم فى تطور المجتمع فكيف نفسر انتشار الحضارة الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها.كذلك فقد أصبح مقرراً أنه « لا يوجد سبب مستقل منفصل وفاعل يولد النتائج والظواهر الثانوية إنما هناك عوامل متعددة تؤثر فى بعضها تأثيرات متقابلة وأن العوامل الجوهرى اليوم يمكن أن يكون عاملا ثانوياً فى الغد . ومن هناك فإن العامل الاقتصادى بهذا لا يصلح لأن يكون إلهاً تصدر عنه كل الأشياء بينما يمكن للعامل النفسى والعقائدى أن يكون صالحاً على مدى العصور وأن يكون العامل القومى والعنصرى مؤثراً فى بعض الأحيان ونحن حين نراجع تطبيقات نظرية التفسير المادى للتاريخ مراجعة واسعة نجد أنها ليس أكثر من تسجيل لفترات الإنتكاس فى حياة الشعوب بما يستتبعه الانتكاس من صراعات على كل المستويات وقد كان موقف الماركسية من العامل الإقتصادى بالذات موقفاً منحازاً لا علمياً كما أنه قدم تحليلات لفترات انتقائية من التاريخ فى بيئة من البيئات ولكنه عجز عن تفسير التاريخ كله فى كل البيئات ،وفى الفترات الأخيرة تراجع الماركسيون فى أهمية العامل الإقتصادى وقالوا أنه ليس هو كل شيء وأنه أعطى أكثر مما يستحق ولكن هذا الاعتذار لم يؤثر فى المناهج

الماركسية التى ما تزال قائمة على اعتبار الإقتصاد مصدراً أساسياً بينما يقرر التاريخ بتطبقاته فساد أولية هذا العامل ويؤكد أنه لم يكن لعامل من العوامل الإنسانية من أثر أقوى وأعظم من عامل الدين وكل ما عداه من الحركات المؤثرة فى حركات الأمم فإنما تتفاوت فى القوة بمقدار ما بينها وبين العقيدة الدينية من المشابهة فى التمكن من أصالة الشعور ومواطن السريرة وهذه القوة لا تضارعها قوة العصبية ولا قوة الوطنية ولا قوة العرف ولا قوة الأخلاق ولا قوة الشرائع والقوانين وتقرر الدراسات ذات الأصالة والبعد عن الهوى باشتراك العوامل الإنسانية وتفوقها على العوامل الإقتصادية فى أحداث التغيير الإجتماعى . يقول رستو فى كتابه (مراحل النمو الاقتصادى) : يعتبر الإنسان وحده أكثر تعقيداً فهو لا يسعى للمصلحة الاقتصادية وحدها بل للسلطة واللهو والمغامرة وأن صافى السلوك الإنسانى لا يعتبر فى نظرنا سعياً وراء شىء أقصى بل موازنة بين أهداف إنسانية بديلة ومتناقضة فى كثير من الأحيان أزاء مجالات الاختبار التى يرى البشر أنها مفتوحة أمامه » أ. هـ ويرى كثير من الباحثين إنه إذا كانت هناك عوامل هامة كثيرة تلعب دوراً هاماً فى التاريخ فإن فى مقدمتها عاملين هامين هما : المعتقدات الدينية والشهوات وحب السيطرة وليس الاقتصاد . أما بالنسبة للمعتقدات الدينية فقد كانت الحروب الدينية قديماً أكثر الحروب طولا وهناك قصص الشهداء الذين لاقوا المنايا والأهوال وقد احتملوا ذلك فى سبيل معتقداتهم الدينية وليس تحت تأثير بواعث مادية واقتصادية أما بالنسبة للشهوات وحب السيطرة فإن المؤرخ هـ. ج. ولز : يقرر أن غريزة حب السيطرة هى التى تلعب الدور الأول فى التاريخ . ويقرر الباحثون « أن فكرة العامل الاقتصادى الواحد الذى جعل منه ماركس (إلهاً) تصدر عنه الأشياء وسبباً وحيداً تتداعى من ورائه كل التغييرات التاريخية مما يسمى بالتفسير المادى للتاريخ ، هذه الفكرة قد سقطت علمياً والرأى السائد الان فى ميدان الظواهر الاجتماعية أن لا يوجد سبب واحد مستقل وفاعل ، وإنما هناك عوامل متعددة تؤثر فى بعضها تأثيرات متقابلة ، فالعامل الجوهرى اليوم يمكن أن يصبح عاملاً ثانوياً فى الغد ، والعامل الاقتصادى بهذا لا يصلح أن يكون إلهاً تصدر منه الأشياء » (مصطفى محمود) . ومن فساد التفسير المادى للتاريخ ما ذهب إليه ماركس من أن التطور المادى فى مكان ما هو وحده الذى يفرض نظام المجتمع الواجب الاتباع (وليس الفكر ولا التربية) وآية ذلك إن فكرته كفكرة مجردة ما استطاعت أن تجد لها طريقاً إلى الوجود فى أى مجتمع غير المجتمعات الماركسية بل قد أصبح القول بإسقاط الفكر والتربية من

عملية التطور فى المجتمع فى الواقع المحسوس أمراً لا يستحق النظر. ثانياً :«فساد التنبؤ»ويؤكد الباحثون : أنه لا يوجد أساس علمى للاعتقاد بإمكانه التنبؤ بسير الحدث التاريخى أو بصورة التطور الإجتماعى فى المستقبل،ذلك لأن سير الحدث التاريخى أو طريقة تطور المجتمع تتأثر تأثراً قوياً ينمو المعرفة الإنسانية أو بحالة العلم فى المستقبل وبذلك فإنه لا يمكن التنبؤ بالصورة التى سيكون عليها المجتمع فى المستقبل . هذه المحاولة الفاسدة هى ما يطلق عليها إسم (الحتمية) : ومفهوم الحتمية يعارض حرية الإرادة الإنسانية التى يقررها الإسلام ، ولقد تبين أن الحتمية لا تتفق مع إرادة التغيير ، لأنه مع الحتمية لا تكون إرادة من جانب الإنسان ، ولا يبقى له أزاء تطور التاريخ إلا أن يراقب ما يحدث له وللمجتمع وللطبيعة على السواء . وحظا ماركس أنه يرى أن القانون الذى يحكم التطور الاجتماعى قانون مادى ، ولذلك فإن النبوءة التاريخية عنده تقوم على اقتراض أن التاريخ يسير فى خط معين معلوم ، وذلك على افتراض أن خط الحياة يسير فى نحو محيوم . وقد كشفت نبوءات ماركس كلها عن أخطاء قامت على هذه الأسس المنهارة، وكان أبرزها خطأ التنبوء بسقوط النظام الرأسمالى ، وقد تبين باستقراء التاريخ إلغاء بعد ماركس أن انهيار النظام الرأسمالى ليس وشيكاً وأن النظروف الإجتماعية لم تتطور إلى مستوى التعارض المادى بين الطبقات بل صاحبها زيادة فى عدد الرأسماليين فى جميع الدرجات.ومن نبؤاءت ماركس التى سقطت قوله أن العالم يسير فى الصناعة والتجارة نحو الاحتكار بحيث يأكل القوى ضعفاء الملاك وأن هذا الاحتكار يستمر ويطرد فى جميع الصناعات وينتهى ذلك إلى الغاء الملكية الفردية ، ومن العجيب أن الشيوعية فى روسيا تحاول القبول اليوم بالملكية الفردية فى أشياء كثيرة ومن نبوءات ماركس الزائفة قوله : أن تاريخ البشرية عملية واحدة . ومن حتميات ماركس التى انهارت أمام الواقع و التجربة ، هزيمة قانون رأس المال أمام الإرادة الإنسانية ولم يقع ما توقع ماركس وعدلت الأمم أنظمتها فحققت لعمالها ما لم تحققه الشيوعية فى بلادها . كذلك فقد حدث النظام اليشوعى فى بيئة غير التى توقعها ماركس ، ولم يستطع الماركسيون تأكيد نظرية القيمة ، وكشف التطبيق عن عجزها وظهر أمثال ليبرمان وغيره من الذين نادوا بأراء جديدة لدفع عجلة الاقتصاد القومى ولقد كان ماركس ثمرة عصره وما كان يستطيع أن يقرر شيئاً بالنسبة للمتغيرات التى تفرضها تطورات المجتمع ولا اختلاف البيئات « لقد هبت رياح التغيير فانهارت أمامها النظرية الماركسية ولم تفلح عمليات ترميمها : ومن مزاعم ماركس

ونبوءاته أن الدولة ستنزوى لا محالة ،ولقد شقت النزعة القومية طريقها مخالفة لما رآه ماركس ولم تذو الدولة بل قويت وسارت النزعات القومية مثل أوربا وضع إلى من وضع وقامت دول جنيدة موحدة مثل ألمانيا وإيطاليا . وأخطأت نبوءات ماركس فلم تخرج الشيوعية فى انجلترا المتقدمة صناعياً وإنما خرجت من الصين الزراعية وروسيا المتخلفة ولم ينقسم المعسكر الرأسمالى أو ينهار أو يتناقص وإنما انقسم المعسكر الإشتراكى نفسه وتناقص وتصارع ولم تتفاقم الهوة بين العمال وأصحاب رؤوس الأموال بل ضاقت . رابعاً : سقوط فكرة الحتمية : إن أبرز معالم الخطأ فى النظرية المادية جملة والماركسية على الخصوص محاولة تطبيق مفاهيم العلوم المادية على الظواهر الإنسانية ، بينما تقوم الظواهر الإنسانية على عوامل معقدة ومتشابكة وعوامل غير عادية (نفسية وروحية ومعنوية) وليس من ريب فى أن العنصر الإنسانى والإرادة الإنسانية ذات الأهمية الأولى والكبرى فى تشكيلها بل هى سبب تميزها عن الظواهر الطبيعية ، وهذا ما يجعل موضوع الدراسة فى العلوم الاجتماعية شيئاً مختلفاً تمام الاختلاف عن الدراسة فى العلوم الطبيعية والتجريبية . والواقع أن الباحث فى دراسة الظواهر الاجتماعية لا يستطيع أن يكون محايداً أو موضوعياً لأنه يعيش تحديات نفسه وظروف مجتمعه وأوضاع عصره وبيئته وأن فكر الباحث (فيلسوفاً كان أو عالماً) هو من وراء آرائه الشخصية وميوله وأهوائه وتطلعاته ومطامعه سواء نحو نفسه أو وطنه أو بيئته أو مصلحته الطبقية التى ينتمى إليها ، كل ذلك من شأنه أن يؤثر فى رؤيته للظاهرة الإجتماعية وفى طريق فحصه لها وهو مؤد لا محالة إلى عجزه عن وضع أيدلوجية إنسانية ثابتة ، وقد أكد الباحثون فى مجال الدراسات الإنسانية والعلوم الإجتماعية صعوبة الأخذ بفكرة السبب أو موضوعية البحث كما فى العلوم الطبيعية . ولما كانت الحتمية هى فكرة غير علمية فى الدراسات الإنسانية والإجتماعية فقد كشفت التجربة التطبيقية والتحول التاريخى عن فسادها وسقوطها وتبين أنها دعوى غير علمية فى مجال الإنسانيات والعلوم الاجتماعية وإنما هناك على الأكثر عوامل ترجيح وظن وتخمين واحتمالات متفاوتة . وأنه لا حتمية إلا فى حركة الأفلاك والكواكب وكرات البلياردو وتروس الساعات والمادة الصرفة ، وحتى فى مجال المادة الصرفة فقد ظهرت قوانين جديدة تخرج فيها حركة الالكترونات من إسار الحتمية إلى مجال الحرية والاحتمال . ولما كانت الحتمية التاريخية وحتمية الحل الاشتراكى من المبادىء التى نادى بها ماركس فإن أهم ما يميز الاشتراكية العلمية أى الماركسية عن غيرها من أنواع الاشتراكية ، هو ما يقدمه ماركس

من الأدلة على حتمية قيام الاشتراكية الماركسية سواء كانت آمرا مرغوباً فيه أو مرغوباً عنه من البشرية ، هذه هى فكرة الحتمية أو التنبوء التاريخى التى يقوم على أساس الاعتقاد بأن ثمة قوانين يسير التطور التاريخى وفقاً لها،على أن الأسلوب العلمى لا يقر الأخذ بمبدأ فكرة الحتمية . « ولقد وجهت يد التاريخ صفعة قوية على وجه تلك الحتمية فكذبتها أحداثه تكذيباً » . يقول صاحب كتاب [الإسلام ومبادىء نظام الماركسية والديمقراطية الغربية] : على أن ماركس وانجلز قد أدركا فيما يبدو ما كان منهما من المغالاة والشطط فى الأخذ بفكرة (الحتمية) فتراجعا عن بعض ما كان لها من آراء فى هذه الصدد ورغم أن أن فكرة الحتمية لم تقرها البحوث العلمية وقد كذبتها الأحداث التاريخية وأخذ ماركس وانجلز فى التراجع عن بعض الخطى فى السير فى طريقها. رغم ذلك نجد بعض زعماء الشيوعية من بعدهما قد رددوها واليوم نجد أن أشد الناس مغالاة فى الماركسية وحراسة لها قد تراجعوا عن كثير مما تقتضيه هذه الختمية فى مجتمعاتهم وأخذوا بكثير مما اعتبروه فى نظرهم من مظاهر النظام الرأسمالى » . وفى مواجهة هذا يقرر الإسلام وجود (الإرادة البشرية). فالمسلم يؤمن بالإرادة البشرية ويعد نفسه لأداء دوره ولا يستسلم للغرائز التى تسيطر عليه ،فالإسلام يدعوه إلى عزم الأمور ، والإسلام لا يتقبل (الجبرية) بمعنى التنازل عن حقه الطبيعى فى الاختيار وهو لا يقر السلبية وعدم المجازفة والجبن وإنما يؤمن بالاقتحام والعمل ومواجهة الحياة والفرد فى الإسلام باعتباره القوة المحركة وأنه هو أحد العلامات الفاصلة عن طريق التقدم ومن هنا نتجت فكرة البطل الذى يصنع الأحداث أو يتحكم فيها : ولقد صنع المسلمون التاريخ ووجهوه إلى الوجهة التى أرادها الله تبارك وتعالى وللفرد فى الإسلام كرامته وحرية فكره وليس للقوى أن يتسلط على الضعيف والملكية الفردية مصانة ، وهى الدرع والسند الذى يستند إليه الفرد ليواجه القوى المضادة ، وتنفيذها هو الشكل الخارجى للكرامة والأمان ولا يقر الإسلام إلغاء الملكية الفردية لأنه يحول الناس إلى إجراء . ولقد سبق الإسلام إلى تحقيق الأهداف الإنسانية فى تأكيد الإرادة والتغيير وتحقيق السواسية والعدالة ، والعمل فى إطار المنهج العلمى للإيمان وباتجاه الهدف المتكامل فى حرية الفرد وحرية الجماعة ووحدة الأمة . خامساً : «الظروف المتغيرة»: نظراً لأن الماركسية لم تقم على الفطرة والنظرة الجامعة المتكاملة للإنسان (روحاً ومادة) فقد عجزت عن الحركة إزاء الظروف المتغيرة وتحولات الأحداث فى العصر والبيئات ، ولقد اعتمدت النظرية أساساً على ظروف كانت

قائمة فى القرن التاسع عشر ثم تغيرت كثيراً ، ذلك أن ماركس لم يكن يتصور ما ستحدثه ثورة العلم والتكنولوجيا فى القرن العشرين حيث تدار المصانع بعقول ألكترونية وقيام نقابات العمال وقوانين العمال وقوانين التأمين ضد العجز والشيخوخة والمرض وإتاحة فرص التعليم و لعلاج والراحة.بل إن الانقلاب الذى حدث بعد قرن كامل من بداية عصر ماركس وانجلز كان بعيد المدى ، فقد انطلقت شرارة الإنقلاب التكنولوجى المباغت فى منتصف القرن الحالى ، ذلك الانقلاب الذى لا يقاس بالانقلاب الذى أحدثته الالة التجارية حين ظهرت لأول مرة فى نهاية القرن الثامن عشر : إن ماركس قد عجز عن تصور مثل هذا التحول الذى أحدث تغييرات فى جذور النظرية المادية والمفاهيم التى قام عليها العلم نفسه ، فضلا عن أنه عجز عن تصور قدرة الرأسمالية على التطور واحتواء رغبات العمال بالمشاركة والحصص فى الأسهم وفى رأس المال . كذلك كان من أخطاء ماركس البالغة إصراره على أن تكون نظريته التى هى مجموعة من الفرضيات أقامها على البيئة المحدودة والعصر المحدود ــ أن تكون فكراً شمولياً تحيط بكل شئ علماً ، كأنما كان يطمع أن تكون ديناً معاكساً لدين الله الحق وذلك حين جعل لها عقيدة مادية ملحدة مرتبطة بمنهج حياة تصل إلى مختلف أبعاد الحياة الإجتماعية والسياسية ويقوم على معارضة التكامل الإنسانى الجامع وهو فى كل معالجاته يعتمد الصراع الدموى ، والانقضاض والتآمر ، وقد تزعم الماركسية أنها ذات نزعة إنسانية بينما تعمل على خلق طبيعة جديدة من نوع حقود متجرد من الأخلاق والقيم يعتمد على مجرد العنف وبغير رحمة كما قال لينين ، كذلك فقد كان من أشد عوامل فسادها ، صياغة النظرية فى قوالب نهائية ومطلقة تفترض صلاحيتها لملاءمة كل الظروف فى كل المجتمعات وترفع فى شعارات مثيرة وحماسية لاجتذاب السذج والإغرار والبسطاء الذى لا يملكون مقدرة فكرية كاملة . وقد اعترف لينين بأنه فرض هذه النظرية على المجتمع السوفيتى فى ظروف غير ملائمة لها ، وإن هذا كان خطأ من الناحية العلمية الاقتصادية ولكنه كان صواباً من ناحية الإثارة السياسية ، وقد تمكنت الطبقة الجديدة من السيطرة على إمكانيات المجتمع الذى أصبح تحت قيادتها بصرف النظر فى قدرتها الفعلية الذاتية لقيادة المجتمع الذى استولت على سلطته السياسة باسم تطويره اقتصادياً واجتماعياً . ومن النظرة الأولى نجد أن هناك استحالة للفصل بين الماركسية والإلحاد ، ولا يمكن أن يكون الماركسى إلا ملحداً بما تقضى به النظرية نفسها . وما أعتقد أن المسلمون فى حاجة إلى مثل هذه الفكرة التى لاتستطيع أن تقدم حلولا عملية

يستفيد منها المجتمع ، وإنما تفرض سيطرتها عن طريق الصراع الدموى الذى لا يمكن أى قوة من بعد أن تضعهم موضع المسائلة أو الحساب. سادساً : «التراجع والترميم» ومن شأن هــذه النظرية ـ لأنها بشرية ترتبط بأهواء الصهيونية الطامعة فى السيطرة على المجتمع البشرى ، الحاقدة على البشرية المختلفة ـ أن لا تستجيب لتطور المجتمعات ومن هنا بدأ التراجع فى النظرية الماركسية منذ وقت طويل ، منذ عهد انجلز زميل ماركس ـ فى إعداد النظرية فقد اضطر أن يتراجع فى آخر حياته عن دعامة أساسية من دعامات النظرية وهى العامل الاقتصادى الذى قال ماركس أنه العامل الوحيد الذى يقرر الكيان الاجتماعى لأى أمة . وقد سارع انجلز لإنقاذ الماركسية فقال : بالرغم من أن العامل الاقتصادى ضرورى فإن عناصر متعددة تدخل فى عملية تكوين الأشكال الأخرى . وقد توالت التنازلات والتراجعات فيما بعد. يقول عبد الحميد صديق : إن حسن حظ البشرية أن أخطاء الماركسية تتجلى الآن أكثر فأكثر بمرور الزمن فقد رفض نظريته المادية للتاريخ حتى أشد الناس إحتراماً له البروفسور جى دى كول : الذى رفض أن يعترف بالعامل الاقتصادى على أنه العامل الوحيد الذى يقرر الكيان الاجتماعى لأى أمة . ويقول : أن إدعاء ماركس بشأن الفكرة المادية فى التاريخ خاطىء إلى درجة أن انجلز شعر بضعفها وقلل من حدة تعبيرها الجازم بقوله : إن الفكرة المادية عن التاريخ تقول : إن عامل التقرير فى التاريخ هو فى النهاية الإنتاج وأن الأشكال السياسية والقانونية والفلسفة والأفكار الدينية ، كل ذلك يؤثر أيضاً على مجرى الكفاح التاريخى وفى كثير من الأحيان يكون له الغلبة فى تعيين شكلها . ويقول عبد الحميد صديق : إن ماركس قام كما فعل هيجل وشنجلر ـ لكى يجعل نظريته تبدو مستساغة بتحريف كثير من الحقائق وتجاهل بعض الحوادث المهمة فى التاريخ التى لم تساند ما ذهب إليه ،ولأجل أن يثبت صحة نظريته استخدم الحوادث التى وقعت فى الأغوار البعيدة من الزمن مما لا يمكن التحدث عنه بشىء أكيد ».وتكاد الآراء التى تناولت الماركسية بالبحث العلمى الصحيح أن تجمع على أن ماركس اعتمد فى أسس نظريته على متغيرات اقتصادية وعلمية تكشف من بعد فسادها وسقوطها وأن النظرية لم تكن وليدة بحث علمى وإنما جاء البحث تبريراً ودفاعاً عن النظرية وأنه إذا كانت النظرية منسجمة مع الظروف الاقتصادية السائدة فى القرن ١٩ فإنها لا تنسجم ولا تتفق مع الظروف الاقتصادية السائدة اليوم ، وأن مبالغة ماركس فى التركيز على التفسير الاقتصادى كان بمثابة رد فعل ضد أسلوب التفكير الذى كان سائداً

فى عصر ماركس والذى كان يتجاهل العامل الاقتصادى ويرى الباحثون أن كل نظرية يخالفها الواقع تصبح عندئذ غير علمية ويجب أن تطرح فى سلة المهملات.وقد بالغ ماركس فى تقدير فكرة استغلال الإنسان للإنسان واستغلال أصحاب رءوس الأموال للعمال مما حمله على الدعوة إلى إلغاء الملكية الخاصة . هذه الظواهر التى شهدها ماركس بعد منتصف القرن التاسع عشر وأقام عليها نظريته لم تلبث أن تغيرت تماماً بعد صدور التشريعات الاجتماعية التى شملت حق العمل وحق العامل فى أجر مناسب ورعاية صحية ومعنوية فى حالة الشيخوخة والمرض والعجز عن العمل كذلك رعاية الدولة للأمومة والطفولة .

(٢)

ثانيا : الماركسية والمجتمع

تتوجه الماركسية إلى المجتمع البشرى بأكبر ضربة من ضرباتها من حيث ترى أن الأسرة هى دعامة المجتمع البرجوازى ومن هنا يجب تحطيم هذه الدعامة والقضاء عليها ، ومن هذه النقطة بدأت الدعوة إلى قيام العلاقات الجنسية الحرة مقام الزواج ، وتقرر الماركسية أن الفرد وسيلة وليس غاية وأنه ذرة تفنى فى جسم الدولة ومن شأن ذلك إلغاء حق الملكية الفردية وحق التوريث وحق ثمار الكسب وتعد رسالة انجلز عن الأسرة دعامة موقف الماركسية من المجتمع فقد حمل على الأسرة حملة شديدة وهاجمها واعتبرها مدعاة للتهالك على الإدخار والاكتناز،ولذلك أوجب القضاء على هذا النظام ليحل محله نظام الجماعية العامة ، يقول انجلز : أن الأسرة هى وضع من أوضاع المجتمع لا نضوج فيه ولا جدوى ولا محل لاستبقاء هذا الوضع وتأثيره إلا بالقدر الذى يلائم مصلحة الدولة وبالقدر الذى يستطيع استغلاله لتدعيم هذه المصلحة فالطفل لايولد لأبويه بل يولد للمجتمع » . ولا ريب أن القضاء على الأسرة فى النظرية الماركسية إنما يستهدف القضاء على كل دعائم القوة والحيوية ويفتح الطريق أمام المجتمع.وقد أدى هذا إلى إضمحلال عقيدة الزواج بعد أن سعت الشيوعية للقضاء على الأسرة بحجة أنها تنمى أحاسيس الأنانية الذاتية وحب التملك وفى هذا معارضة للفطرة ولهدف الدين الحق الذى يرمى إلى حماية الأسرة وتنظيم الزوجية غير أن هذه المحاولة قد باءت بالفشل ولم تستطيع أن تعيش فقد صدمتها طبائع الأشياء فتراجعت الشيوعية عن ذلك كله واحدة بعد أخرى ، وأعترفت بالأسرة كما تراجعت عن الملكية الفردية . غير أن الماركسية بقيت فى موقفها بالنسبة للفردية الإنسانية فهى تعارض الاعتراف بكرامة الفرد وذاتيته

وآدميته ، حيث يرى المذهب أن الدولة وقوتها المادية القاهرة هى كل شىء والفرد لا شىء أو هو مجرد آلة مسخرة بيد الدولة والفرد ، الفرد وسيلة والدولة غاية . ولا ريب أن فكرة المشاعية الجنسية التى تقررها الماركسية أمر لا تقره البشرية بطبيعتها فالحياة الأُسرية عندها مقدسة ، وهى تستهدف تمزيق الروابط الأُسرية والقيم العائلية ، ولا يوجد فيما نعلم مجتمع يأخذ بنظام المشاعية المطلقة فى علاقات الرجال بالنساء ، وكل من تصدى لهذا من قبل أمثال أفلاطون وكامبلانلا كان من نصيب دعوتهم الاخفاق والهزيمة حيث رفضت المجتمعات هذا النوع من التقليد . وكذلك فقد أخطأ المفهوم الماركسى الذى اعتبر « الحرية » مجرد تحرير الضروريات من أُسر الطبيعة بالعلم أو من قبضة المستغلين ، والغربيون والرأسماليون يطلقون حكم حرية على كل إنقلاب عن مدار الحق والخير ما دام يخدم رغباتهم ومصالحهم المادية ولو كان ذلك على حساب إظلام النفس الإنسانية وتدمير الجانب الربانى منها طالما أن الفرد لا يسبب ضراً للآخرين وهو فهم خاطىء مصيره تدمير النفس وتدمير الآخرين وتلك هى حرية الربا والاستغلال ، ولا ريب أن الرسالات السماوية وحدها هى التى تحقق الحرية الحقيقية للناس جميعاً بتخليصهم من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن جور الحكام إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة . بل أن مساواة المرأة فى الديمقراطية والشيوعية ، هى مساواة جائزة أساسها إنهيار بناء الأُسرة ونكول الرجل عن إعالة المرأة واضطرارها إلى أن تعمل مثله لتعيش . وفى الشيوعية عملت المرأة فى المصانع والمزارع أعمالا لا تلائم إلا أقوى الرجال فهى تكتسح الثلوج من الشوارع ليلا ، بينما أفسح الإسلام للمرأة حق العمل وحق الكسب الذى منحتها الشيوعية اليوم منذ أربع عشر قرناً ولكنه أبقى لها حق الرعاية والكفالة فى إطار الأُسرة ، وقد ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة من الناحية الدينية والروحية وفى طلب العلم والثقافة وحق التملك والتصرف الاقتصادى . ومن أخطر محاولات الماركسية فى ميدان المجتمع هو هدم الفردية : الفردية الواضحة المسئولة لحساب الجماعة الغامضة ومن ذلك خطأ ماركس فى القول بأن الفرد نتيجة منفعلة وليس بسبب فاعل فى الحوادث التاريخية ولا ريب أن مصدر هذا هو ما فسره العلامة جوستاف لوبون حينما قال : أن الصفة الرئيسية للإشتراكية هى الحقد على جميع الأفضليات : أفضليات النبوغ والثروة والذكاء . وقد كشفت النظرية الماركسية والتجربة الشيوعية فى كل مكان وصلت إليه عن إخطار كبرى :

(الأولى) إهدار الكرامة البشرية وذلك بالقضاء على مفهوم فردية الإنسان وحريته الخاصة

وكرامته الذاتية وقدراته الحرة التى تمكنه من الإبداع والتقدم والطمأنينة على سلامة العيش وإلى القدرة على وضع مجتمعه فى أوج الأزدهار . (الثانى) تدمير الأخوة الإنسانية وذلك بإثارة روح البغضاء والحقد بين الطبقات بما يحول دون رخاء المجتمع أو إندفاعه إلى حركته الجامعة نحو التقدم (الثالث) إذلال الإنسان وتحقيره وذلك يجعله أشبه بترس فى آلة ، ليس له حق إحتلال كيانه الخاص ولا مقدراته الحرة فى التفكير والعمل ، وخاصة ما يتصل بالقضاء على إنسانية الإنسان وقداسة الأسرة وحرية الفكر ولا ريب أن هذه التحديات الكبرى قد سجلت على التجربة الماركسية الشيوعية أنها ضد الفطرة وضد تيار التقدم البشرى : وأن من يقرأ ما كتبه سارتر و (أندريه جيد) وهما ممن شاهدوا التجربة الشيوعية عن قرب يظهر له ذلك جلياً ،فقد كتب سارتر قصة (الأيدى القذرة) عن أعضاء الأحزاب الشيوعية وقال أنهم آلات مسخرة لا يملكون لأنفسهم شيئاً ، وأن الحرية لا وجود لها فى الشيوعية وخاصة الحرية الفردية كما تسميها الوجودية .

(٢) الماركسية وصراع الطبقات

إن أخطر ما حاولته النظرية الماركسية هى إحلال الصراع الدموى والتمزق النفسى بين فئات الأمة الواحدة والشعب الواحد بحيث لا يقر لهذا المجتمع قرار ولا يصل إلى الطمأنينة والسلام الاجتماعى أبداً وقدوضعت هذه القاعدة الخطيرة منذ وقت مبكر وتضمنتها وثيقة البيان الشيوعى حيث قالت (إن تاريخ كل مجتمع قائم فى هذا العصر هو تاريخ للصراع الطبقى) . ولما كان مبدأ (الصراع الطبقى) هو الأساس لكل شىء فى مفهوم الماركسية فقد حق على تلك المجتمعات أن تتمزق وتنهار وهو مبدأ ليقوم على تقسيم المجتمع الحاضر إلى طبقتين يتصاعدان دوماً ولا يجوز التوفيق بينهما أو إقامة السلام لهما : هى طبقة العمال وطبقة المالكين ، بل توجب الماركسية تغذية الأولين بالحقد ليثوروا وينقضوا على الآخرين دون احترام لقانون أو لمبادىء الأخلاق أو حقوق الإنسان أو قواعد الذين كما صرح ماركس نفسه . وفكرة (الصراع الطبقى) هى وسيلة ما كره لحقن العمال بالحقد على كل من عداهم من الناس وتجنيدهم ليصبحوا أداة للثورة الهوجاء ليصبح العمال بأنفسهم الوسيلة الفعالة فى القضاء على آخر أمل للعامل فى أن يكون مالكاً وحراً وطليقاً . يقول ماركس وانجلز : أن الشيوعية تؤمن بمبدأ إجتماعى واحد هو صراع الطبقات وأن صراع الطبقات يعود بالضرورة إلى ديكتاتورية الطبقة العاملة وأن هذا لن يتحقق إلا بإشعال نار الثورة والإنقلاب الشامل المبيد . ويقول لينين : إن رسالتنا أن نثير

الطبقة العاملة وتملأ قلوبها بالحقد والغيظ حتى تستطيع هدم المجتمع ، ويقول ستالين : لن لن تثور الطبقة العاملة إلا إذا ملأنا صدورها بالحقد والمقت اعلى لطبقات الأخرى وليس معنى هذا كله الامصادرة السلام وتهديدة» ومن هنا يتكشف أمر تلك الأكذوبة الكبرى التى تخدع الماركسية الشيوعية بها الناس فى كل مكان عن السلام العالمى ، ومن مفتريات الشيوعية قولها أنها تعمل للسلام العالمى وتاريخ الشيوعية يثبت عكس ذلك من خلال مذهب قائم على إثارة القلائل والفتن والحروب فهم المخربون الهدامون ولعله لو قيل حقاً فإنهم العاملون على تهديد السلام العالمى وأمن الشعوب . وقد أقام ماركس حتمية الصراع الطبقى فى ظل الملكية الفردية لوسائل الإنتاج الحديثة فى ضوء ثورة الشعوب فى أوربا على الملكية الإقطاعية وقد وجزم بعد ذلك ـ فى نبوءاته وفرضياته وجبرياته المنهارة ـ بتوفير أسباب ثورة العمال على البرجوازية فى إنجلترا حيث رجح ماركس أن يتخذ منها مركزاً لقيادته ولمراقبة الأحداث فيها عن قرب ، ولكن ماركس نفسه لم يمت حتى شاهد فشل نظريته العلمية هذه إذ لم يحدث الصراع الطبقى لافى إنجلترا ولا فى أمريكا حيث جزم بحتميته فيهما وقدكان من أكبر الأدلة على بطلان النظرية إنها لم تستطيع أن تلقى قبولا فى البلاد الحرة ، تلك البلاد التى جزم ماركس بأنها وحدها التى تهيأت فيها أسباب الثورة وبالرغم من صراحته بأن روسيا كدولة متخلفة لا تصلح لبث دعوته فإنها هى التى أمكن تآمر القوى اليهودية ، والماركسية على أحداث الإنقلاب فيها عقب الحرب الأولى وفى الصين عقب الحرب الثانية . (٢) وتعد نظرية الصراع بين الطبقات بالإضافة إلى إلغاء الملكية الخاصة ونظرية المادية التاريخية فى مقدمة الخصائص التى تميز مذهب ماركس عن المذاهب الإشتراكية الأخرى ، ويرى ماركس أن التغيرات التاريخية التى تطرأ على الجماعات الإنسانية إنما تحدث نتيجة للصراع الطبقى وبسبب انتصار طبقة إجتماعية معينة على غيرها من الطبقات. ويقول المراجعون للفكر الماركسى أن فكرة الطبقة تعبير غامض فما هى الطبقة ، حيث يرى ماركس أمامه إلا طبقتين : واحدة تملك وسائل إنتاج الثروة والأخرى طبقة العمل الإجراء . ولقدكان هذا المفهوم قاصراً على عصره وبيئته التى عاش فيها (إنجلترا) حيث كانت هناك طبقتين ، ودزائيلى كان يقول أن ثمة فى إنجلترا أمتين مختلفتين ، فالنظرية هنا محدودة حيث لم يستطع التعرف على المجتمعات الأخرى ، وتبين سذاجة التنبوء حينما أشار إلى انقراض الطبقة الوسطى فالملاحظ أن الطبقات الوسطى لم تأخذ فى الإنقراض أو الإندماج فى طبقة العمال كما تنبأ

ماركس ، كما نجد أن أثر الملكية أخذ بتلاشى كمقياس أو كأساس لتحديد المركز الإجتماعى للفرد وأن أساس تقييم الطبقات لم يكن دائماً اقتصادياً وأن ذلك الأساس كان أحياناً سياسياً وتارة دينياً وتارة عسكرياً . فى الشعوب التى يسيطر عليها النشاط السياسى نجد أن الطبقة العليا تكون لأصحاب النفوذ والسلطات فى شئون الحكم والادارة وفى بعض المجتمعات الدينية يختلف الأمر وفى المجتمعات التى تغلب عنها الحياة العسكرية تسوطبقة أرستقراطية السيف كذلك فقد كشف الباحثون عن خطأ فكرة الصراع الدائم من واقع التاريخ البشرى نفسه وتبين أن ما ذكره ماركس غير صحيح من أن التاريخ قد شهد دائماً صراعاً بين الطبقات العليا الحاكمة والمالكة لوسائل الإنتاج من ناحية وبين الطبقة موضع الإستغلال . وتبين وقائع التاريخ : أن الطبقة العاملة منذ نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين قد استطاعت فى الدول الرأسمالية المتقدمة أن تنال الكثير من الحقوق الإجتماعية والسياسية دون أن تقوم بحركات عنيفة ثورية وإنما نالتها بموافقة الطبقة العليا الحاكمة ذاتها فقد سارت حركة التطور فى اتجاه غير الذى تنبأ به ماركس عندما إتجهت الدول إلى تحقيق أكبر قدر من المساواة بين هاتين الطبقتين فعمدت التشريعات الحديثة إلى التضييق من حقوق الملكية شيئاً فشيئاً كما وجدناها من الناحية الأخرى تكفل الكثير من ضروب الخدمات الإجتماعية للطبقة العاملة . كما وجدنا أن الطبقة العاملة لم يزد بؤسها حدة أو فقرها شدة كما تنبأ ماركس (فى ظل النظام الرأسمالى) بل نجد عن العكس أن مستوى معيشتها أخذ فى الارتفاع اضطراد أو كما أفضى إلى تحسين فرصة التعليم المتاحة لأفراد تلك الطبقة العاملة بحيث أصبح نظام تعليمهم قريباً من نظام الطبقة الوسطى وإنه نظراً لما حدث من تطور لم يتوقعه ماركس أصبح من الميسور تسوية ما ينشأ من نزاع أو من صراع بطريقة سلمية . وهذا ما حدث بعضه بوجه خاص فى العصر الحديث فى بعض البلدان الغربية حيث قام بعض كبار الرأسماليين بإشراك العمال فى نصيب من أرباح مشروعاتهم . ويقول الباحثون : أنه إذا كانت ظاهرة الصراع بين الطبقات أكثر صور الصراع التى لفتتت نظر ماركس إلا أنه قد فاته أن التاريخ قد عرف من قبل ومن بعد صور أخرى من صور الصراع يفوق بعضها الصورة التى ذكرها التاريخ من حيث آثارها وتأثيرها فى تطور التاريخ ومن هذه الصور : الصراع بين جميع طبقات الشعب فى بلد من بلاد ضد جميع الطبقات فى بلد آخر . يقول بودان : فى كتابه (الوجيز فى تاريخ المذاهب الاقتصادية) أن ماركس قد غالى فى إبراز الصراع الطبقى داخل

الأمة الواحدة وبذلك أهمل العوامل التي تلطف من حدة هذا الصراع وعلى رأسها إندماج أفراد الطبقات المتصارعة في إنسانية واحدة » . كذلك فقد فات ماركس : أن يشير إلى ما كان معروفاً من أمر الصراع بل الحروب بين مختلف القبائل قبل أن تنشأ القوميات . كذلك فإن الجزيرة العربية قبل الإسلام لم تعرف صراع الطبقات . كذلك فقد فات ماركس أن يشير إلى أهم ضروب الصراع بل الحروب التي عرفها التاريخ قديماً وهي الحروب التي قامت بإسم المعتقدات الدينية . والصراعات التي قامت داخل الطبقة الرأسمالية نفسها والصراع بين رجال الصناعات وأصحاب الأملاك . وهكذا يتبين فساد نظرية ماركس التي تقول أن الصراع بين الطبقات هو المحرك الأول لركب البشرية والعامل الأساسي في تطور المجتمع وتقدمه ،وإنما الحقيقة أن الصراع بين الطبقات هو هدف الماركسية في تدمير المجتمعات . ولذلك فإنه مصدر تدميرها في النهاية . قال سدني وهو أحد مشاهير الكتاب الماركسيين : إذا تطرق الشك إلى نظرية صراع الطبقات فبان فسادها فإن صرح النظرية الماركسية ينهار من أساسه . والحقيقة أن من يراجع الأسلوب الذي اتخذه ماركس في التركيز على هذه الظاهرة الكاذبة الملفقة يعرف الهدف الذي يرمى إليه والخلفية التي يصدر عيها وهي تغذية الحقد في نفوس الكثير من أفراد الطبقة العاملة والعمل على تمزيق روابط الأمة الواحدة . وإذا كانت هذه المحاولة قد وجدت مجالا للإنفجار في المجتمعات الغربية فإنها لا تجد مثل هذا الأثر في المجتمعات الإسلامية ذلك لأن الإسلام قرر لصالح الفقير والأجير من الأحكام في مجال التعاون والزكاة والتكامل والتعاطف والرحمة شيئاً كثيراً من شأنه أن يخلق الالتقاء بين الطبقات والفئات بحيث لا تدع مجالا لخلق البغضاء والحقد أو النزاع والصراع .

(٣) الماركسية والدين

تقرر النظرية الماركسية أنه ليس في الكون خالق بل الكون مادة وعبارة ماركس في هذا الصدد واضحة صريحة (لا وجود لله والحياة مادية بحتة) وعندهم أن الأديان مخدر للعقول يجب التحرر منه وإنقاذ البشرية من شره فالدين هو أفيون الشعوب يخدرها ويقضى عليها وأن رسالة الشيوعية هي القضاء على الدين والداعين إليه وأن الدعامة الأساسية هي (الالحاد - إنكار البعث - طبع الجانب الإجتماعي والاقتصادي والسياسي بالمادية - تحطيم المعايير الخلقية والقيم الروحية) والإلحاد في الشيوعية من سياسة الدولة وهو الحاد إلزامي ،

على أساس أن ضعف الدين هو منطلق استعلاء النزعة المادية وعندهم أن الدين ليس إلا تفسيراً خاطئاً للظواهر الإجتماعية وهم يعللون إنتشار الدين كذباً بالظروف المادية التي عاش فيها الإنسان الأول وأن جهل الإنسان بظواهر الطبيعة هو الذي جعله يلتمس قوة عليا يسعى إلى كسب عطفها أما بعد تجارب العلم فإن البشرية لم تعد في حاجة إلى الدين وبذلك فإن الدين هو أفيون الفقراء وقد أعلن لينين في صراحة تامة : « إن الماركسية هي المادية ومن ثم فإنها معادية للدين » ومن فلسفة الشيوعية أنه لا حقيقة سوى المادة وإن الإنسان وأعماله مادة ومن هنا فإن الشيوعية الماركسية ترى أن الحرب ضد الدين من أبرز أعمال الثقافة . وتقرر الماركسية أن الدعامة الأساسية في المذهب هي اللادينية المطلقة وبث الاعتقاد بأن ليس لهذا الكون خالق بل هذا الكون مادة في مادة . يقول كارل ماركس لاوجود لله والحياة مادة بحت ويرى في الأديان جميعاً محذراً للقول يحب التحرر منه ، وإنقاذ الإنسان من شروره فكل دين عندهم هو أفيون الشعوب . فالدعامة الأساسية في الشيوعية : هي الإلحاد وإنكار وجود الخالق وإنكار البعث والحساب ويقررون أن ضعف الوازع الديني من شأنه أن يؤدي إلى طغيان النزعة المادية في كل نواحي الحياة. ويؤكد الباحثون أن معارضة الشيوعية للدين تأتي من عدة عوامل هامة : أولها : أن الشيوعية قد جاءت بوصفها عقيدة أو ديناً يحل محل الأديان القديمة ويحتقرها ويناهضها بالدعوة إلى الإلحاد والمادية التي تنكر الله تبارك وتعالى ورسالات السماء وقد شن الشيوعيون على الأديان حرباً عواناً لا هوادة فيها واعتبروا الشيوعية ديناً ولنين وستالين أنبياء بدلا من موسى وعيسى وكتاب رأس المال كتابهم المقدس البديل عن التوراة والإنجيل كذلك فإن نظرة الشيوعية الماركسية إلى الدين مادية في كليتها فهي ترفض الروح والمعنويات والغيبيات ورسالة السماء . ويقول أرنولد توينبي : أن الشيوعية دين بكل تأكيد وهي دين خالص وقديم رغم المظهر الأيدلوجي الجديد ، إنها كالقومية شكل من أشكال عبادة الإنسان لنفسه على طريقة جمع المتكلم . إنها آخر تنوع لعبادة الآلهة روما والاله قيصر في الأمبراطورية الرومانيه وعباده الملك الإله في قصر الفرعون ويقول أرنولد توينبي أن الحرب بين الغرب والشيوعية هي صراع روحي بين دينين متنافسين يختلفان في قصة حيوية هامة . إن الغربيين يقاتلون اليوم من أجل مفهومهم للدولة القومية ولعبادة القوة البشرية الجماعية المجسدة في شكل أمه ، وهذه هي إحدى ديانات المجتمعات الغربية المعاصرة ولكن اللؤلؤة الى لا تثمن عند الغربي المعاصر ليست قوة أمته بل قداسة الشخصية بحد ذاتها » ولا ريب أن مفهوم الشيوعية للدين في حد ذاته يكشف عن أنه هو العدو الأول لمنهجهم ،

ولذلك فهم يتحامونه بقوة ويضربونه بعنف ويجعلون من الشيوعية عقيدة ونظاماً يكاد يكون محل الدين ومن هنا فإن قبولها لأى دين مستحيل والجمع بينها وبين أى دين من أكبر المستحيلات . ذلك أن الماركسية عند المتمذهبين بها هى دين له سلطان عليهم وله أحكامه ومبادئه الموجهة لأرائهم وأعمالهم وأن أى خروج على مقررات هذا لمذهب هو خروج على ناموس الجماعة التى تتمذهب به وتعمل فى ظله ومن هنا فإن الإسلام دين والماركسية دين ومن المستحيل الجمع بينهما إذ أن لكل نظرته إلى الوجود وتفسيره لظواهره وسلوكه الذى يجرى مع هذه النظرة . ولا ريب تختلف الشيوعية مع الإسلام فى أمور ثلاثة : نظام الأسرة ، والأخلاق والمواريث ، فالشيوعية تنكر أن تكون للأسرة قداسة أو أن لها كياناً خاصاً له استقلاله وكذلك تنكر الولاء العائلى لأنه يحول دون تحقيق أهداف الماركسية ، كذلك فإن الماركسية تخالف الإسلام خاصة والدين الحق بصفة عامة فى أخطر الأمور وأعلاها وهو الألوهية وقدرة الخالق وإرادته العليا فى أمر الحياة والناس والكون ومن هنا ينكشف إلحاد النظرية الماركسية التى ترد حركات التاريخ كلها إلى الأسباب الاقتصادية وترى أن الاقتصاد هو الذى يملى على التاريخ حركته ويسيره حيث شاء فلا مجال هناك للإعتراف بإله خالق أو قوة وراء الغيب توجه البشر إلى مصائرهم ، وليس الدين عندهم إلا تفسير خاطىء للظواهر الإجتماعية وبقية من بقايا النظم الاستغلالية البائدة ولوناً من الخداع صنعه بعض الناس ليستعبدوا به بعض الناس ولا شك أن ماركس يركز فى فهمه للدين وفى رفضه إياه على الأديان التى عرفها وعايشها هو وأهله (اليهودية والمسيحية) ولا ريب فى أنه يصدر عنهما حين يقول : إن الدين أفيون الشعوب وأنه وسيلة للاخضاع الروحى ، فوجهة نظر ماركس فى الدين مستمدة من مفهومه للمسيحية وتاريخها وصراع اليهود معها فى أوربا ويصدر عن قرارة الحقد الذى يمتلىء به قلبه تجاه المجتمع الغربى المسيحى الذى استطاع أن يكون هذه الحضارة الضخمة أما الإسلام فإنه لم يعرفه وقد اختلف رأى الماركسيين الذين عرفوه عن رأى ماركس كما ترى فى كتابات (جارودى) . ويتحدث ماركس عن المسيحية على النحو الذى عرفها به من تفسيرات الرهبان والأحبار فى الغرب وهو ما ليس صحيحاً بالنسبة للدين المنزل الذى جاء به عيسى عليه السلام (مصدقاً لما بين يديه من التوراة) (ورسولا إلى بنى إسرائيل) (ومبشراً برسول من بعده إسمه أحمد) يقول : أن المسيحية تفرض الجبن واحتقار النفس وإذلالها وتجند الخضوع والخسة وكل صفات الكلب الطريد وأن أصحاب المصالح قد

استغلوا المسيحية كلما وجدوا لهم مصلحة فى استغلالها فجعلوها دين الدولة بعد قرنين ونصف من ظهورها وجاء البرجوازيون فى ألمانيا فابتدعوا البروتستانتية ولم يستفيدوا منها لضعفهم فاستفاد منها الملوك المطلقون وأنها رفعت عنهم سلطان الكنيسة ، والدين جملة هو الغذاء الخادع للضعفاء لأنه يدعوهم إلى احتمال المظالم ولا يزيلها) ذلك رأى ماركسى فى الدين بعامه الذى أقام عليه نظريته وهو محصور فى حدود عصره وحدود بيئته . ولو أن ماركس اطلع على الإسلام وأراد للبشرية الخير لحطم نظريته ولكن ماركس كان يعمل فى إطار الحركة التلمودية الربوية الطامحة للسيطرة على العالم عن طريق الشيوعية الماركسية والصهيونية معاً ومن هذه كانت الخطة كما كشفت عنها من بعد بروتوكولات صهيون هى هدم الأُلوهية والدين ومناعة الأَخلاق ونظام الأُسرة والزواج . وهى بهذا تهاجم العقيدة والنظام الإجتماعى معاً وتقدم مفهوماً مادياً خالصاً للكون والحياة والمجتمع والتاريخ والحضارة ، يستمد مفاهيمه من ركام الفكر البشرى القديم الذى عرفته الوثنيات المختلفة ، فى الشرق والغرب ويقدم تصوراً مادياً أباحياً ملحداً فى أمر الحياة والكون والإنسان يرى أن وحده العالم فى ماديته وخاصة مادية الحركة القائمة على التناقض فلا يحتاج الكون إلى قوة خارجية ولا يحتاج إلى خالق مسير مدبر . أما الإسلام فيرى أن وحدة العالم فى الإسلام النفس له وأن خاصيته المحركة لأجزائه تتمثل فى خضوعه لله فالكون بدون مدبر خالق لا يمكن أن يتصوره عاقل فالله تبارك وتعالى هو الخالق المسير والمدبر لشئون الكون وتقوم الماركسية على الصراع وتجعل من الزوجين (سنة الله فى خلقه) نقيضين متضاربين ، بينما يرى إسلام فى حركة الزوجين تلاقياً وتكاملا . وتقوم الماركسية على أن الدين هو نتيجة الضياع الذى يعانيه الإنسان وأنه هو المخدر والأفيون الذى يستغل به الشعوب وفى الإسلام أن الدين هو الذى يلد الإنسان من جديد ويخلق السكينة والأمن ويبنى القوة والإرادة والوعى ويحفز على العمل. والأيدلوجية الماركسية ليست فى حقيقتها إلا مدخلا وتدبيراً لهدف تدمير نظام المجتمعات القائمة وإبدالها بنظام جديد ، يقوم على إعدادها لإلتهام التلمودية اليهودية العالمية وامبراطورية الربا ولذلك فإنه يقوم على الأهواء والظروف والفرضيات وبتجاوزه المفاهيم العلمية فى كل يوم ، فليست هناك اشتراكية واحدة ولكن هناك اشتراكيات وتستهدف الاشتراكية تصفية الملكية الفردية وتسليم الجماعة الديكتاتورية البديلة كل شىء وتجريد الشعوب من كل ما تملك ويقوم هذا التغيير على بحر من الدماء وعلى الصراع الدموى ، وبه يكون الإنسان عبداً لمنهج بشرى حيث

تقوم عبودية الإنسان للإنسان وإذا كانت الرأسمالية نظام بشرى ملىء بالثغرات والأخطاء فإنه ليس بديلا للإشتراكية ، ولكنهما معاً قطاعان فاسدان لأنهما وليدا المنهج البشرى الذى يخرج عن حكم ما أنزل الله . ولقد تجاوزهما التاريخ بعد أن ظهر فسادهما وأصبح يتطلع الآن إلى منهج الله . وليست الماركسية هى أول نظام سياسى واقتصادى واجتماعى يتحدى العقيدة الدينية ويتهمها بأنها عائق فى وجه الإصلاح ، فقد ظهرت نظم كثيرة تطورت إلى نظم أخرى ثم اندثرت وداستها أقدام الأصالة والفطرة وبقيت العقيدة كامنة فى قرارة السلوك الإنسانى تحفظ الحياة وقيمها الرفيعة فى خضم القلق والثورات والحروب وتلهم الناس أسباب الطمأنينة والثقة بالعدالة الإلهية والاستقرار النفسى والاجتماعى . وقد تبين أن الاشتراكية كالرأسمالية نظم سياسية واقتصادية أما الدين الحق فإنه عقيدة وإيمان فوق أنه دستور للنشاط الإنسانى ولذلك فإنه لا وجه للمقارنة بينهما ولا ريب أن الخلط بينهما قصور فى فهم العقيدة والإسلام الذى واجه فلسفات وعقائد كثيرة طوال أربعة عشر قرناً وصمد لها وحطمها وكشف زيفها لا ريب قادر على أن يواجه الفلسفة المادية : ماركسية وشيوعية وماسونية وفرويدية ووجودية جميعاً ، ولابد أن ينتصر عليها ، ولقد بان عوار هذه النظريات والأيدلوجيات بعد فترة قصيرة من إعلانها حيث عجزت عن الاستجابة لأشواق النفس الإنسانية ومطامحها فى الأمن والسلام الإجتماعى وسكينة النفس . ومن هنا تسقط كل دعاوى القائلين باللقاء بين الإسلام والإشتراكية أو الإسلام والديمقراطية أو الإسلام والوجودية ، فالماركسية والتدين نقيضان ، والماركسيون الحقيقيون يعلمون هذا ولكن بعضهم اتخذ من الدعوة للتوفيق بين الماركسية والدين أسلوباً لغزو المجتمعات التى ترفض الإلحاد بقوة وهو مجرد أسلوب من أساليب الدعاية لا يرتكز على أساس من الماركسية أو الدين فكل منهما يرفض الآخر رفضاً قاطعاً وما يقال عن تطوير الماركسية لا يتناول جوهر المذهب وموقفه من الوجود والمجتمع والتاريخ وهو جوهر إلحادى صريح .

(٢) يقول الدكتور على عبد الواحد وافى : : إن الشيوعية مذهب كامل متكامل فلها رأى نظرى فى فهم الكون والمجتمع والطبقات وما وراء الطبيعة ولها رأى عملى فيما ينبغى أن أن تكون عليه الحياة الفردية والحياة الإجتماعية فى جميع ما يشتملان عليه من فروع وأوضاع وهما كذلك مذهب متكامل بمعنى أن نظمها ترتبط ببعضها ارتباطاً وثيقاً ويكمل بعضها بعضاً

ولا يكون الفرد شيوعياً إلا إذا اعتنق ما تقرره الشيوعية من مذاهب ونظريات ويخطىء من يظن أن الشيوعية مذهب مقصور على شئون الاقتصاد وتنظيم الطبقات . ذلك أن أوضاعه الاقتصادية تقتضى أوضاعاً عقائدية واجتماعية خاصة تتسق معها وتسايرها فيما تتجه إليه . وهى فى وضعها السابق متعارضة تعارضاً جذرياً مع الإسلام بمفهومه الصحيح ، ولا يبدو هذا التعارض فى شئون العقيدة والألوهية وما وراء الطبيعة فحسب ، بل يبدو كذلك فى كثير من نظم الإجتماع فالشيوعية لا تقر الملكية الفردية ، ولا يمكن للفرد فى فهمه للملكية الفردية وفى موقفه حيالها أن يكون شيوعياً ومسلماً فى آن واحد . ويصور الدكتور أحمد شلبى موقف الماركسية من الدين فيقول : إن ماركس حين يتحدث عن الدين يتصور أن الفرد يبتعد عن حقيقة ذاته حين يعتقد فى الله وفى الديانات المختلفة وأنه إذا أزيلت مثل هذه العوامل استطاع الفرد أن يعود إلى الحياة الإنسانية الحقة ويرى ماركس أن الدين يضعف حماسة العمال فى الثورة ضد البرجوازيين لأن الدين فى اعتقاده يرسم لمعتنقيه سعادة خالية فى عالم عالم آخر فيخفف من أثر الظلم الواقع عليهم فى الدنيا ويقلل حماسهم ضد ظالميهم ولذلك حمل ماركس ضد الدين وقال بأنه أفيون يخدر الشعوب لتسهل سرقته ووصل ماركس إلى قمة الإلحاد حينما أعلن : لا إله والحياة مادة . وهكذا نجد أن لينين عندما حقق النصر لحركته فى روسيا ووضع النظريات الماركسية مع موضع التنفيذ كان من أبرزها ما اهتم به (عدم الاعتراف بالأديان وعدم السماح لها بالظهور وإلغاء المجمع المقدس) وربما يقال أن ذلك جاء لأن البابا ولأن الكنيسة الروسية أيدت المظالم التى كان يئن منها الشعب الروسى قبل الثورة وهذا صحيح ولكن كلام ماركس وأعمال لينين اتجهت ضد الأديان بوجه عام لا ضد طبقة انحرفت عن الدين أو ساعدت الباطل ويتحتم أن نذكر أن كارل ماركس ينحدر من أسرة يهودية عانت الاضطهاد الدينى فتحول إلى المسيحية بدون اعتقاد حقيقى ، ولذلك لم يكن له دين يحرص عليه ، وربما أمكن القول أنه كان يكره الأديان والمتدينين واتخذ الاقتصاد وسيلة لمحاربة الأديان ، وتلك هى طبيعة اليهود فى كراهيتها لكل الأديان ما عدا اليهودية واتخاذ الوسائل للهجوم على هذه الأديان والنيل منها » . وهكذا نجد أن ماركس مع الأسف كان ضيق الأفق الفكرى وأنه لم يكن بين يديه أبعاد المجتمعات أو الفكر الدينى الحقيقى ، ووقائع التاريخ الصحيحة ، وهو يضع نظريته كعالم ، أو أنه إنما كان يستهدف وضع نظريته بفكرة مسبقة ، ولذلك فإن « اتباع الظن وما تهوى الأنفس » مزق نظريته بعد سنوات قليلة

وأحالها إلى ركام حتى جاء من الماركسيين من يضرب أعتى قواعدها وهوقوله الدين أفيون الشعوب حينما قال جارودى فى دراسته للحضارة الإسلامية . « وهكذا لم يكن الدين (أى الإسلام) أفيوناً يشل المناضلين بل كان بالعكس حافزاً يلهمهم القتال والبطولة ، وكان أحد دوافع الحركة الوطنية وحين يعنى الماركسى بموضوع الدين فى الظروف التاريخة المحدودة ويعرف كيف يرى أنه ليس فحسب وسيلة للتعبير عن العالم بل هو كذلك وسيلة المحضور فى هذا العالم . وأن المتأمل فى الدور الذى يلعبه الدين وبخاصة الدين الإسلامى فى حركات التحرر الوطنى يقود غير المؤمنين فى الواقع إلى اعادة التفكير بروح العصر فى مشكلة طبيعة الدين ودوره فى عصرنا ونقطة الانطلاق فى هذا التفكير هى أن الصيغة المشهورة (الدين أفيون الشعوب) والتى كثيراً ما يزعم البعض أنها خلاصة المفهوم الماركسى عن الدين لا يمكن تفسيرها بأنها تعريف للدين . لقد كانت هذه الصيغة ملخص خبرة واقعية فى مرحلة تاريخية محدودة ومجال جغرافى محدد ومن ثم فإن القصة القائلة إن الدين فى كل الأزمنة وكل الأمكنة يصرف الإنسان عن النضال وعن العمل تتناقض تناقضاً صارماً مع الواقع التاريخى وتزودنا حركات التحرير للشعوب المقهورة فى عصرنا بشواهد تؤكد : إن الظاهرة الدينية لا يمكن دراستها فى ذاتها وبمعزل عن الظروف التاريخية فى كل بلد وعصر فلقد لعبت الحركات الدينية (يقصد فى عالم الإسلام) دوراً تحريرياً ضد الاستعمار وأن الارهاصات الأولى للنضال الوطنى كانت باسم الله قبل أن تكون باسم الوطن ولقد كان الانتماء إلى الإسلام فى الجزائر فى القرن التاسع عشر بمثابة احتجاج ضد السيطرة الاستعمارية وذلك بالرغم من طبيعتها المثالية والإصلاحية التى تربط بين التحرير والتعليم على أن الإسلام بعيد كل البعد عن قيادة الإنسان بالضرورة إلى القدرية واللامبالاة بالحياة بل فى إمكانه أن يكون خميرة للعقل والنضال » . (الأهرام ٢٥ نوفمبر ١٩٦٩) .

الماركسية والأخـلاق

(٢)

لا ريب أن موقف الماركسية من الدين يستتبعه موقفها من الأخلاق فهى تدعو إلى (لا أخلاقية المجتمعات) وتؤمن بالانتهازية سبيلا لفرض مواقفها وأهدافها وقد أنكر المذهب الشيوعى كل التراث الخلقى الذى توارثته الإنسانية منذ أقدم العصور وأنكر جميع التعاليم الخلقية التى أوصت بها الأديان ولانجلز موقف صريح واضح فى هذا الشأن حيث يقول « نحن نرفض أن نذعن لأية عقيدة خلقية باعتبارها قانوناً خلقياً خالداً وغير قابل للتبديل والتغيير ، ونرفض أن نعتبر بأن هناك مبادىء خلقية أبدية تتجاوز عصور التاريخ وتتجاوز كل اختلاف بين الشعوب وعلى العكس من ذلك نقرر أن جميع التعاليم الخلقية القديمة إنما هى عند تحليلها ليست إلا ناتجاً اصطنعه المستوى الاقتصادى الذى بلغه المجتمع فى عصر معين ولما كان المجتمع الإنسانى إلى اليوم لا يزال يخوض غمار حرب الطبقات فالأخلاق التى يعترف بها المجتمع ليست إلا النظام الخلقى الذى تعتز به طبقة معينة نظاماً كان طوراً يبرر طغيان الطبقة الحاكمة ويذود عن مصالحها أو يبرر طغيان الطبقة التى كانت مغلوبة على أمرها حتى وصلت إلى الحكم ولا يمكن وجود نظام أخلاق وإنسانى شامل إلا بعد أن تنتهى حرب الطبقات ». ولا ريب أن هذه العبارات تكشف بوضوح أن الأخلاقيات تعوق الهدف الذى ترمى إليه الماركسية التى تجعل من أساسها الأول : صراع الطبقات أو الصراع الدموى للطبقات ولذلك فإن لينين الذى طبق الماركسة حين أقام النظام الشيوعى فى روسيا يؤكد هذا الاتجاه حين يقول : « نبذنا الأخلاق والنظم الخلقية ، على الوضع الذى تدعو إليه البرجوازية باعتبار أن هذه النظم الخلقية تتضمنها أوامر إلهية أو منسوبة إلى أوامر إلهية . نحن نرفض كل نظم خلقية مشتقة من مصادر غير بشرية وغير طبقية ويدعو لينين إلى العنف الذى لا يقيده قانون » . ويرى أن نظامهم الخلقى هو النظام الذى ترسمه مصالح الكفاح الطبقى وأخلاقهم هى التى تمليها مصالح هذه الحرب الطبقية « وأن النظام الخلقى الشيوعى ليس إلا أداة تسخرها لنيل النصر فى هذه الحرب فالأخلاق عندنا هى كل ما يؤدى إلى هدم هذا المجتمع ». ويقول ماركس فى الأعلام الشيوعى : إن القانون والأخلاق والدين ليست فى نظرنا إلا أوهاماً برجوازية ويدعو ماركس صراحة فى إعلانه « إن الغاية تبرر الوسيلة

فكل وسيلة يستعين بها العمال على هذا الهدم فهى وسيلة محمودة ومشروعة ويقول : إن النظام الخلقى فى كل مجتمع هو ديانته وقوانينه ليس إلا جزءاً من بناء زائل أقامته ظروف الإنتاج ويعكس مصالح الطبقة السائدة » . ويرى هارولد لسكى : إن أخلاق الماركسية هى الأخلاق التى تميزت بالوحشية والكذب والخيانة والخداع وتشويه الوقائع » . ولا ريب — كما يقول دكتور صلاح نامق : أن الفكر الماركسى يرى أن الأخلاق والدين خدعة برجوازية تتستر وراءها المجتمعات من أجل مطامعها ويؤكد قول لينين : إننا معشر الشيوعيين لا نستمد قواعد الأخلاق والسلوك الاجتماعى من أوامر الله لأننا نخرج على جميع الأخلاق والاداب التى يعتمدها المجتمع البشرى ونرى أنها خداع وتضليل وبذلك يكشف الفكر الماركسى عن تهالكه على النواحى المادية كأنها الغاية المثلى من هذا الوجود وهذا ما يضفى ظلالا باهتة على النظم الشيوعية ويبعدها عن كل ما ترنو إليه البشرية من أهداف ومثل عليا . وكل تصريحات لينين وانجلز وماركس بأنهم يرفضون كل ما يقرره الدين من خلق يعنى أن الفلسفة الماركسية اللينينية لا تؤمن بالأديان أو الرسل أو الأنبياء لأن الدين عندهم بقايا من النظم الاستغلالية ولوناً من الخداع صنعه بعض الناس ليستعبدوا به كل الناس ومن ثم فمن أوجب الواجبات فى رأى لينين نبذ الدين والتحلل من قيودة . وهنا يمكن التساؤل : إذا كانت الأديان فى الفكر الماركسى لا وجود لها فكيف يقال أن الدول الشيوعية تخدم حرية العقيدة وتكفل للمؤمن حق ممارسة الشعائر الدينية . ولا ريب أن من أكبر أخطاء الماركسية الشيوعية إرجاع الدين والأخلاق والفكر إلى انعكاسات الأحوال الاقتصادية والمصالح الطبقية حيث تنكر الماركسية جميع العواطف البشرية والمثل العليا والقيم والأخلاق والمعانى الروحية والجوانب الإنسانية . ولقد حاولت الماركسية أن تتنكر لثبات القيم الأخلاقية العليا التى جاء بها الدين وأعلنت دعوى نسبتها وتغيرها مع اختلاف العصور أو الهيئات وذلك ما يتعارض تماماً مع الفطرة وواقع التاريخ ، ذلك أن القيم الأخلاقية العليا ثابتة ثبات فطرة الإنسان وكيانه ووجوده وأن تغير البيئات والعصور لا يغير منها فلا يمكن أن يكون العدل ظلماً أو الحق باطلا أو الفضيلة رذيلة أو الرذيلة فضيلة ،فقد أعطى الإنسان الفطرة التى تميز بها الخير والشر والعدل والظلم والتقوى والفجور وستظل هذه القيم قائمة ما دامت الحياة الدنيا بمجتمعاتها وحضارتها كذلك فإن الإنسان أعطى الإرادة الحرة والإلتزام الأخلاقى وهما موضع مسئوليته وحسابه وجزائه . وأعطى مسئوليته فى هذه الحياة كمستخلف لله فى الأرض وعليه أن يقيم المجتمع

الربانى وهذه القواعد الأصيلة فى بناء الإنسان والمجتمع تحاول الشيوعية الماركسية أن تدمرها وتمحوها وتقيم بدلا منها أخلاقيات انتهازية ومبعثرة لأنها تهدف من وراء دعوتها إلى تنازع الطبقات ودموية التنازع والتخلص من كل قيم الحق والعدل والرحمة والفضيلة. والمجتمعات البشرية لابد أن تتحرك فى إطار الأخلاقيات الثابتة العليا وليست هذه الأخلاقيات خاضعة لظروف المجتمعات ومعتقداتها . وبالجملة فإن الفكر الماركسى يرى أن الدين والأخلاق خدعة للمجتمعات وأن المادية هى نور الطريق . ولا ريب أن منطلق الماركسية هو المادية أساساً والمادية الجدلية التى تقوم على صراع الطبقات وهى بديل الروح عند هيجل وهى منكرة الألوهية وهى التى تعجز عن أن تجعل للمعنويات والأديان والغيبيات والوحى مكاناً فى بناء الأفراد والمجتمعات ولا تجعل للمسائل حلولا بالصراع الدموى وهى التى تصرف الناس عن الأمن والسلام وسكينة القلب صرفاً حتى يظلوا فى نار متأججة لا يقر لها قرار وقد اعترف جارودى أكبر فلاسفة الماركسية فى العصر الحديث بإلحاد الماركسية وقال إنها وآرثة التراث الإلحادى القديم الذى نشأ مع طفولة الفكر الإنسانى ويقول أنها تستهدف إعادة البشرية بعد أن بلغت مرحلة الرشد بالرسالة الجامعة الإسلام مرة أخرى إلى الوثنية والمادية والإباحية القديمة الجاهلية وقال جارودى أن ماركس تبنى شعار بروميثوس : أنا ضد كل الالهة وقال جارودى : : إن ما يميز الإلحاد الماركسى البحت هو أنه على خلاف سابقيه لم يكتف باعتبار الدين خديعة فحسب أو مجرد وهم ولده الجهل . بل تولد عن قوله : أن الأديان انعكاس لشقاء الإنسان وضعفه . وقد أغرق ماركس البشرية فى شقاء الانسحاب من التدين وبرر لها الظلم والصراع الدموى وحجب عنها نور البصيرة وطمأنينة القلب وأذاقها الذل والهوان .

(٤)

الماركسية والعلم

إن تعريفات الماركسية فى مفهوم الانسان والعالم والمصير هى شىء غريب بعيد عن قواعد العلم وبعيد عن الفلسفة المثالية التى تبدأ بنقطة بدء صحيحة هى وجود الله (تبارك وتعالى) وجوداً مجرداً . وقد تبين أن تعريفات الماركسية التى قامت على فروض العلم فى القرن التاسع عشر إذا عرضت اليوم على معطيات العلم الحديث تبين أنها فى واد والحقائق العلمية فى واد

آخر وانكشف عجزها عن إعطاء التصورات الكاملة الشاملة للوجود والحياة . وقد نشأت الماركسية فى القرن التاسع عشر ظل التعريف السطحى للمادة بأنها كل ما تقع عليه الحواس ، وقد تقدم العلم من بعد وتوالت الاكتشافات العلمية وتجاوزت ما يقع عليه الحس إلى عالم الذرة ، ومن ثم أعادوا صياغة التعريف بأن المادة هى الموجود الموضوعى خارج الذهن « وهم يقفون حائرين اليوم بعد أن أفلتت جميع التعريفات من أيديهم وفقدت المسلمات النظرية حقيقتها أمام الممارسة العملية من جانب والتقدم العلمى من جانب آخر . وقد فتح تفجير الذرة الباب أمام تعريفات جديدة للمادة ، ومحاولات أعمق فى مهمتها ، قال أرستوالد بأن المادة صورة من صور الطاقة فحسب ، وقال ليبون : إن المادة صور مختلفة من الطاقة . وقال أدنجتون : إن المادة مركبة من بروتونات وألكترونات ، أى شحنات موجبة وسالبة من الكهرباء . وقال هوايتهد : إن مفهوم الكتلة فى طريقه إلى فقدان امتيازه الواحد الدائم فى النهاية فالكتلة الان اسم لكمية من الطاقة فى علاقاتها ببعض آثارها الديناميكية . وقال ليبون : إن عناصر الذرات التى تنحل تفنى تماماً ، فهى تفقد كل صفة للمادة بما فيها ذلك الثقل الذى هو أكثر صفاتها الأساسية .ذلك أن الميزان يعجز عن وزنها ولا شىء يستطيع أن يعيدها إلى حالة المادة فقد اختفت فى عظمة الأثير والحرارة والكهرباء والضوء يمثل آخر مراحل المادة قبل اختفائها فى المادة ولكن ما هو الإثير : لا أحد يعرف . يقول لورد سالسبورى أنه ليس اما على الفعل يتموج ، والأثير خرافة ابتدعت لإخفاء جهل المثقف للعلم الحديث فهو غامض غموض الشبح أو الروح . ويقول الأستاذ أدنجتون أحدث حجة فى هذا الموضوع «ليس الأثير نوعاً من المادة فهو لا مادى » ومعنى هذا أن شيئاً لا مادياً يحيل نفسه إلى مادة بواسطة بعض الالتواء الغامض أو دوامات ويصبح ذلك الذى لم يكن له بعد أو ثقل بإضافة أجزاء منه بعضها إلى بعض مادة متميزة ويمكن أن توزن. إن ظاهرة الكهرب والذرة قد جعلت المادة تفلت من أيدى العلماء ، وأفلت من المادة كل شىء ثابت أو كانوا يحسبونه مضرب المثل فى الثبوت . ونتيجة تقدم العلم بالكهرب والذرة ، أصبحت المادة كلها كهارب وذرات وإذا بالذرات تنفلق فتنطلق شعاعاً كشعاع النور ، وما زالت الجاذبية فرض من الفروض وما يزال الأثير فضاء أو كالفضاء ولا ريب أن هذا مأزق من أشد مازق الماركسية .

٢ — ومن المسلمات التى قامت عليها الماركسية وثبت بطلانها افتراض أن المادة أسبق من الفكر ويرى العلماء اليوم أن الحواس هى أبطأ أدوات المعرفة ولذلك يشترك فيها الحيوان وبعض

النباتات مع الإنسان فى إدراك البيئة المادية من حوله ثم لم يكن مفر من العقل كأداة أرقى فى المعرفة حتى انتهت به رؤية للمادة إلى حافة الأثير عندما خرج عن كل صفة معروفة من صفات المادة ولم يبق إلا حسبة رياضية لها دلالة كبرى وهى أن الإنسان ليس من صنع المادة لأن المصنع لا يحيط بصانعه والإنسان قد أحاط بكل صورة المادة وخرج منها إلى دائرة أوسع منها هى دائرة الأثير وإذا تحولت المادة إلى حسبة رياضية يحتويها الفكر فإن ذلك يجعل المنطق القائل بأن المادة أسبق فى الوجود على الفكر فى مأزق علمى شديد التناقض مع معطيات العلم الجديد وفى مأزق أشد حرجاً مع مسلمات الماركسية التى قامت على أساس صحة هذا الافتراض وما ارتبط به بعد ذلك من مصالح سياسية كبرى وما أشد محنة العالم حين يقف حائراً بين دواعى السياسة وأمانة العلم ومن ثم فقد أخذوا يتراجعون خطوة وراء خطوة بعد أن خلوا عن البحث فى أولية المادة والفكر ثم بعد أن تخلوا عن البحث فى أولية التأثير المتبادل بينهما انتهوا إلى الوقوف عند النشاط الإنسانى فنجدهم يقولون : إن النشاط المادى للإنسان نفيض الذهنى غير أن هذين النقيضين يتداخلان كل فى الآخر ويؤلفان وحدة ذات وجهين للحياة الاجتماعية غير قابلين للانفصال ومتفاعلين . وقد بحث مؤلفو (أسس الماركسية) العلاقة المتبادلة بين الفكر والمادة وهل الفكر مجرد إنعكاس أم يعمل بطريقة فيها تمييز وقد صرفوا النظر عن أيهما وجد أولا : المادة أم الفكر . وقالوا : ابتدع ماركس وانجلز (الجدلية المادية) خلال صراعهما ضد النظرية الميتافيزيقية للطبيعة التى تنكر التطور غير أن الوضع قد تغير بعد مضى منتصف القرن ١٩ فقد انتشرت فكرة التطور (بفضل نظرية دارون) وفى الوقت الحالى يقوم بين الجدلية والميتافيزيقية بصفة رئيسية حول معرفة كيف تفهم التطور وليس حول ما إذا كان هناك تطور ويقول لسو : إن تنازلهم عن الأصرار على أن المادة أولا سيفقدهم المقدرة على الاصرار على أن المادة هى المؤثر الحاكم فى عملية التطور وأن ذلك معد لمزيد من التراجع . وقد أشار الباحثون إلى أن كتاب أسس الماركسية اللينينية الذى أخرجه ٢٩ عالماً سوفيتياً عام ١٩٦٣ فى موضوع العلاقة بين الفكر والمادة قد أتى بما ينقض المادية الجدلية من أساسها . ٣ ـ لما كانت المادية نظرية قديمة كانت معروفة قبل العصر الحديث تقوم على أساس أن الوجود مادى وهى تنكر الدين والأخلاق والفكر ومن شأن الإيمان بالمادة أن يتخذها وسيلة لإنكار الخالق ووجوده وإنكار المسئولية الفردية التى هى مصدر الجزاء الأخروى ، ومن شأن هذا الاتجاه الفاسد إخضاع الفكر والحياة والفن للمادة ،

ومن شأن هذا أن يفسر التاريخ تفسيراً مادياً وأن تعزى التغييرات التى حدثت على وجه الأرض إلى الضرورات الاقتصادية والمادية ، هذه النظرية زيفها العلم وكشف عن فسادها كما زيفها الدين ، فقد تعارضت مع أصول العلم الذى يقرر الان أن هناك جانب عينى وراء مقررات الذرة والكهربائية والجاذبية وغيرها لا يستطيع العلم أن يصل إليه وليس له إلا أن يسلم به مما يؤكد أن وراء هذا العالم المادى عالم آخر أكبر وأعظم وأن مراجعات علماء التجريب ومقايساتهم كلها تكشف وتؤكد أن وراء هذا العالم قوة كبرى تدبره ساعة بعد ساعة وتحفظه لحظة بعد لحظة من أن ينفرط عقدة وصدق الله العظيم حيث يقول : (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) كما تقرر حقائق العلم أن هذا الكون يتسع يوماً بعد يوم وصدق الله العظيم إذ يقول (وإنا لموسعون) وقد أعلن الطيارون - غير الماركسيين -الذين خرجوا إلى الفضاء إيمانهم بقدرة الله بل إن هناك ما يدل على أن الطيار الماركسى عندما أعلن ذلك اختصرت حياته على نحو من الأنحاء .

(٢) أن اعتماد الماركسية على المادة وأنها أصل الأشياء هو أساس قد اعتوره خلل كبير بعد تقدم كشوف العلم ، بل إن الحقيقة التى بين يدى الإنسانية كلها ، أن الكشوف العلمية التى توالت والتغييرات التى أصابت المنهج العلمى كمنهج معرفة ، قد أسقطت الأصول التى اعتمدت عليها الماركسية من جذورها فلقد وصل العلم إلى حقيقة هى من أمهات الحقائق : تلك هى الاعتراف بأن لهذا العلم قوة غير المادة ، قوة غيبية وراء العالم الحسى . والمعروف أن مفاهيم العلم التى كانت قائمة فى القرن التاسع عشر (قرن المادية المغرقة) قد تغيرت الان واضطر العلم إلى التواضع فى دعاواه فغاية ما يدعيه اليوم أن يصف ويسجل ويفسر «ظواهر الأشياء» وما يزال العلم حتى الان نظريات وفروض ، بل لقد نقض العلم اليوم كل دعاوى الفلسفة المادية التى حاولت أن تقول أنها وليدة مقررات علمية بينما ليست حقائق رياضية . ولما كانت الماركسية تعتمد على المادة وترى أنها أصل الأشياء فإن هذا الجدار الأساسى قد تحطم تماماً ، فقد تعثرت نظريات العلم وفرضياته وانكشفت بانشقاق الذرة معالم جديدة تناقض الأسس التى قامت عليها النظرية الماركسية والواقع أن الشيوعية لم تقم على العلم بل قامت على نظريات فلسفية وفروض عقلية حاولت أن تستمد من مفاهيم العلم القديم أساساً ولذلك فقد وقعت الماركسية فى أزمة شديدة الخطر حين حاولت تعديل منهجها وأصولها مرة بعد مرة كلما حاصرتها متغيرات العلم ولكنها عجزت مع ذلك كله عن

أن تتجاوب مع الطبيعة البشرية بل إن بعض الباحثين يؤكد أن الشيوعية لم تقم على العلم بل هي تقهر المنهج العلمي فى البحث وتسخره لتبرير أحكام مسبقة وجاهزة . ونحن نعلم أن أول خيط الفكر المادى قد التقطته التلمودية من نظرية دارون وحاولت به أن تجعل الإنسان حيوان الأصل وأن تخرجه من فطرته النقية وأن تدفع المجتمعات إلى فكرة التطور المطلق خارج نطاق الثوابت إلى نسبية الأخلاق وإلى متغيرات كثيرة يراد بها تدمير وجوده ، ثم جاءت الماركسية لتجعله عبداً للطعام ، وجاءت الفرويدية لتجعله عبداً للجنس ولم يكن هذا كله علماً بقدر ما كان فلسفة تعتمد على بريق العلم . ولقد تبين بما لاشك فيه أن العلم لن يستطيع أن يعطى البشرية إلا تلك المعطيات المادية التى تعين على سير الحياة أما القيم العليا فلا يعطيها اللناس إلا الدين الحق وأن العلماء اليوم وخاصة فى مجال الذرة والفلك والرياضيات ليقررون وجود الله تبارك وتعالى ويؤكدون أن هناك جانباً غيبياً قائم فعلا وراء هذه المظاهر المادية ، ولا ينكر الإسلام المادة ولا ينكر العلم ولا ينكر العقل ولكن يرى أن كل هذه حلقات فى عقد كبير لا يكتمل إلا بالروح والنفس والإيمان وليس من شأن الحواس الخمس القدرة على أن ترى كل شيء وكذلك العقل . ولن يكون العالم مادياً ولا من الصدفة . كذلك فإن الماركسية ليست علماً ولن تكون » ولو كانت علماً ثابتاً ما اختلف الأتباع وما تناقضوا وتقاتلوا ولما خرج الستالينى واللينينى والماوى والتيتوى ، وراحوا يضربون بعضهم بعضاً وأن هذه العلمية المدعاة ليست إلا قناع كاذب يلبسه الأتباع والمروجون وأن حقيقة الشيوعية علماً ولا فكراً وإنما هى «مؤامرة» طبع وحقد دفين وتاركين للبشرية كلها أن تبحث عن مبررات معقولة ولغة مقبولة تظهر بها . وليس أشد ضلالا من كلمة « الاشتراكية العلمية » « وكلمة العلمية هنا خداع شديد تعنى الواقع المادى وحده ، وليست تعنى العلمية فى المنهج الذى يقوم على استخلاص النتائج من التجربة الحقيقية ، فإن المذهب قد تشكل فى ظل صيحات العلم المادى فى القرن التاسع عشر التى كانت تستعلى على مفاهيم المثالية والروحية والعقدية ، وتفرض أنها قادرة على تفسير الكون والحياة والمجتمعات نفسها ، وهى نظرية ثبت فشلها بعد ذلك وسقوطها وقد تبين من بعد قصور العقل قصوراً ذاتياً مالم يستهد بوقود خارجى ، وقصور العلم عن التعرف إلى حقائق الأشياء وثباته على مفهوم التعرف على ظواهر الأشياء ، كما ثبت فساد تطبيق نظرية التجربة فى مجال الدراسات الإنسانية وكل ما يتعلق بالمجتمع والنفس والأخلاق والحضارات فهذه لا تخضع للقوانين التجريبية . والواقع أن هناك خداع عريض

فى أطلاق وصف الاشتراكية العلمية على مجموعة هذه التنبؤات والأفكار الظنية والمنشورات التحريضية التى تروجها الماركسية وهذا التآمر المبيت لتدمير المجتمعات تحت اسم « الصراع الطبقى » أى الصراع الدموى . ويقول الدكتور مصطفى محمود : لم يكن كارل ماركس علمياً حينما انتقى من التاريخ بضع مراحل ولفق منها مذهب طبقه اعتسافاً على التاريخ كله وكان حاله مثل حال اليهودى الاخر فرويد الذى أخذ من مرض الهستريا بضع حالات ولفق منها مذهباً فى الغريزة الجنسية طبقه اعتسافاً على الأصحاء والأسوياء من البشر فجعل من البشر مجموعة من القرود تلهو بأعضائها التناسلية فى جبلاية كما تصور شقيقه كارل ماركس عجلة التاريخ تحركها يد الصراع الطبقى وقد تعمد ماركس إسقاط مراحل كاملة من التحول التاريخى لأنها ناقضت مذهبه وبالجملة فنحن أمام تلفيق أطلق عليه أصحابه صفة العلم ووضعوا عليه بطاقة « الاشتراكية العلمية » زوراً بهتاناً . ويقول الأستاذ محمد الغزالى أن تقدير الشيوعية كحقيقة علمية ، كذب على العلم وعلى الاختصاص فى وقت واحد ، لأن النظريات الاجتماعية بعيدة الصلة عن الحقائق العلمية . فالحقيقة العلمية حقيقة تثبت فى معامل الكيماويين أما النظريات فإنها لا تأخذ حكم الحقائق العلمية الثابتة ومن ذلك نظرية فرويد عن الغريزة الجنسية على أساس السلوك ونظرية ماركس إن الملكية سبب بلاء البشرية والقول بأن الشيوعية هى المصير العلمى للناس أو الحقيقة التى يؤيدها العلم لإسعاد البشرية وكان الرد الطبيعى أن هناك شعوباً لا تعرف الشيوعية ولا عاشت فى ظلها وهى تحيا على مسوى من الرفاهية والرضا لا تعرفه البلاد الشيوعية وإذا وزنت الشيوعية بمدى ما أفاده الناس منها فإنها تخسر لأن الناس ما استفادوا منها فى بلادهم إلا المتاعب وفقدان الحرية ونوعاً من شظف المعيشة لا يحسدون عليه .

(٥)

الماركسية والصهيونية

تكاد الأبحاث الأصيلة المحررة تجمع على حقيقة واحدة : هى أن الماركسية يهودية الأصل كالصهيونية وأن الحركة الماركسية والتطبيقات الشيوعية جميعاً حملت بصمات اليهودية التلمودية فقد نشأت الحركة الشيوعية فى البلاد العربية خلال الحرب العالمية الثانية فى فترة التعاون بين بريطانيا والإتحاد السوفيتى فلم تظهر كحركة وطنية يطاردها الاستعمار

البريطانى بل تغاضى الاستعمار عن نشاطهم ، وكان اليهود أصحاب مصلحة مباشرة فى هزيمة النازية وانتصار بريطانيا وكانت النسبة الهائلة من اليهود واضحة فى التنظيمات الماركسية وقد حملت الحركة الشيوعية بصمات اليهود حتى أنه لما طرح قرار تقسيم فلسطين وأيده الإتحاد السوفيتى وأيدته الأحزاب الشيوعية العربية بما فيها الحزب الشيوعى الفلسطينى ولقد بدأت الماركسية أولا فى شكل أنصار السلام التى تكونت عشية الحرب العالمية الثانية لمنع الحرب عندما كان التحليل السوفيتى يرى أنها حرب استعمارية وموجهة ضد الإتحاد السوفيتى أساساً فلما مست نيرانها (الروسية المقدسة) تحولت إلى حرب تحرير ودفاع عن الديمقراطية ولقد كان موقف الماركسيين فى مصر هو موقف المهادنة أو الملاينة للاستعمار وقد اكتشفت إحدى الدراسات اليسارية أن الاشتراكيين الأوائل فى الفترة من الإحتلال حتى الحرب العالمية الأولى كانوا يتخذون موقف المهادنة بل ذهب بعضهم إلى حد امتداح دور الاحتلال فى فى مصر واعتباره تقدمياً وقد دعا الأجنبى هذا التشكيل لكى يضرب به القوى الوطنية الحقيقية والقيادات الشرعية التى ترفض الاستعمار الوافد وترفع شعار الشرعية فى وجه الغاصب الذى يسلط عليها اليسار بدعوى مكافحة الرجعية ودراسة تاريخ هذه المرحلة يؤكد ذلك .

بل أن حقائق التاريخ تؤكد أن دعاة التيار الليبرالى ودعاة الدولة العلمانية ونظرية التطور (أصحاب المقطم والأهرام ودار الهلال وسلامة موسى وشبلى شميل كلهم) كانوا متعاونون مع الاستعمار بحجة محاربة الرجعية المصرية أو الخديوية ورجال الدين ثم كانوا من بعد أنشط رجال الاستعمار والقصر فى حزب الحركة الوطنية ،نصل من هذا كله إلى حقيقة واحدة هى أن الشيوعية أفرخت فى حجر اليهودية العالمية . وتقرير فرنك لى بريتون فى كتابه الصهيونية والشيوعية أن الماركسية والصهيونية حركتان توأمان يتحكمان بجمهرة اليهود الروس وقد أعلن الصهيونية زعيمها تيودور هرتزل ودخلت إلى روسيا حوالى ١٨٨٠ وكانت منافسة للماركسيين وكاهنها الأكبر كارل ماركس حفيد أحد الحاخامين ويقول بريبتون : أن الصهيونية والشيوعية صنوان منبعهما واحدة وغايتهما واحدة وجوهرهما واحد والفئة التى يقوم عليها من وراء الستار واحدة ، وما اختلافهما الظاهرى سوى ترتيب موقف اقتضاه تأمين النجاح فى السعى إلى الغاية الواحدة ، حتى إذا تحققت الثقة بالنجاح الكامل اتحدتا للسيطرة على العالم ، ولا مجال للإنتظار أن العالم اليوم ينقسم إلى شطرين وإن أحدهما يسمى الشرق تسيطر عليه الشيوعية ولكن حصافة الصهيونية حالت دون أن تظهر سيطرة الصهيونية .

رسمياً على ما يسمى الغرب،ذلكلأنهالم تتمالكبعد منه كما تملكت الشيوعية فى الشرق فاستعيض عنها بالرأسمالية لتسيطر على الشطر الاخر حيال الشيوعية ولا يخفى أن الصهيونية قد ظهرت تحت الإسم (إسرائيل) لها سيطرة بعيدة المدى على دول الغرب جمعاء فترى هذه تساير إرادتها على طول الخط ، وكل من الرأسمالية والشيوعية يدعى اعتناق الديمقراطية الحقة وكل واحدة تتهم الأخرى بالتشويش على السلام العالمى وكلتهما صادقتان ومتفقتان على تشويش الأذهان . وأن اليهودية التلمودية هى نواة الشيوعية والصهيونية اللتين تناهضان المسيحية والملايين من أتباع المسيح قد أزعجوا وعذبوا ونفوا وقتلوا منذ خطر الوحش الأحمر على البسيطة عام ١٩١٧.ويقول الباحثون: أن تعاليم كارل ماركس وفردريك انجلو ولينين وستالين لا تختلف فى كثير أو قليل عن تعليمات بروتوكولات حكماء صهيون بل أن الألفاظ والعبارات والمفاهيم التى صيغت بها كل من الشيوعية والصهيونية متشابهة متماثلة . ولعل من أعجب ضروب التشابه فى الوقت ذاته أن يكون الرواد الشيوعيين الأوائل جميعاً منحدرين من أصل يهودى ، فضلا عن التشابه الصارخ بينهما كحركتين سياسيتين تهدفان إلى السيطرة على العالم كله والتشابه فى رسائلهما وغايتهما ومفاهيمهما وأخلاقياتهما والتشابه بينهما فى ميدان التطبق العلمى تتمسح إحداهما بالدين بينما تنكر ثانيتهما الدين ولكنها تخلع على نفسها قداسة أشبه بقداسة الدين . ويقول الأستاذ ماهر نسيم : تتشابه الفلسفتان : الصهيونية والشيوعية تشابهاً كاملا فى نظريتهما إلى الأخلاق فالأخلاق عندهما ليست ما اصطلح عليه الشرفاء من مفاهيم تمجد المثل الأخلاقية العليا ومبادىء الفضيلة وكرامة الإنسان التى تبغى أن تصان وإنما الأخلاق عندهما تتمثل فى شىء واحد هو القوة وتحقيق أهدافهما بشتى الوسائل مهما انحرفت هذه الوسائل عن جادة الصواب والمثل الأخلاقية ومبادىء الفضيلة ثم تنادى الفلسفتان : الصهيونية والشيوعية بأن الغاية تبرر الوسيلة فكل شىء مباح ما دام يؤدى إلى نصرة الصهيونية أو الشيوعية والتشابه فى نظريتهما إلى أساليب الحكم : والتوسل بالسلطة الاستبدادية التى لا حد لها والعنف والظلم وتتشابه الفلسفتان فى نظرتهما إلى القانون فالقانون عندهما ليس أداة من أدوات نشر العدالة وإنما مجرد تعبير قانونى زائف عن الديكتاتورية والطغيان والاستيراد والقمع والإرهاب والكبت ويرى كلاهما أن الرأى العام يجب أن يكون كالسائمة وأن يكون كقطع الشطرنج يحركها اللاعبون هنا وهناك تنادى كلاهما بجعل الصحافة مجرد أداة من أدوات الخداع والتضليل والنظرة إلى الحرية لا تعنى ما اصطلح

عليه الناس وإنما تعنى السلطة : السلطة الحاكمة هى وحدها التى يحق لها أن تستمع بالحرية مع ضرورة إحتكار الحياة الاقتصادية وتسخير كل القوى الاقتصادية لتحقيق أهداف الصهيونية أو الشيوعية وتنادى الشيوعية والصهيونية بضرورة تحطيم نظام الأُسرة والقضاءُ على الروابط العائلية ، وتطالب الصهيونية بالقضاء على كل الأديان غير اليهودية وتعمل على نشر الإلحاد وكلاهما تدعو إلى النورة العالمية بغية إخضاع العالم كله للسيطرة الصهيونية أو الشيوعية .

وتجمع الحقائق التاريخية على أن الثورة الشيوعية قامت بتدبير اليهود وتخطيطهم وأن كبار زعماء الشيوعية مثل ماركس ولينين وستالين ونورشيلوف ومولوتوف كل هؤلاء وغيرهم من أصل يهودى أولهم زوجات يهوديات وأن أهداف الماركسية الإشتراكية هى نفس أهداف الصهيونية العالمية ، أو أن الشيوعية والصهيونية كلاهما يسعى للسيطرة على العالم وتسخيره لليهود شعب الله المختار . وكان الملك فيصل غفر الله له هو أول من دوى بالحقيقة التى كانت موجودة فى بطون الكتب ولكنها كانت غائبة على كثير من زعماء البلاد العربية حين قال : إن الشيوعية والصهيونية لا تتيحان الفرصة لتحقيق أهدافنا من التقدم والإستقراطية وعندما نقول الصهيونية والشيوعية نذكر إسمين ولكن الحقيقة أن الشيوعية وليدة الصهيونية و هدفها الأساسى هو التخريب والتحطيم . ومن القوانين القوية والأدلة القاطعة على صلة الماركسية والشيوعية الوثيقة بالصهيونية العالمية واليهود أن كارل ماركس هو نفسه الحاخام الأكبر واليهودى الذى يمثل فى حياته وفكره كل ما تنطوى عليه النفسية اليهودية من أحقاد وكراهية ورغبة فى الانتقام من البشرية كلها . وأن الثورة الشيوعية بدمويتها كانت من تصميم اليهود وتدبيرهم وأن ما تحقق فى روسيا كان من تخطيط العقلية اليهودية فى سعيها للسيطرة على العالم وقد اشترك أعيان اليهود فى تمويل هذه الثورة . وقد تبين أن أنصار الشيوعية فى العالم معظمهم من أنصار الصهيونية وتبين أن ٩٠ فى المائة من أعضاء الحزب الشيوعى الأمريكى من غلاة الصهيونية وأن مجلس الثورة الذى حكم روسيا بعد قيام ١٩١٧ كان مكوناً من عشرة من الأعضاء من بينهم ستة من اليهود وأن لينين وستالين من أصل يهودى وكان ستالين متزوجا من يهودية وأن أربعة من أعضاء مجلس السوفيت الأعلى من اليهود وأن نور شيلوف ومولوتوف كلاهما كان متزوجاً من يهودية وقد كانت روسيا السوفيتية أولى الدول بعد أمريكا التى أعترفت بقيام دولة إسرائيل ولقد عرف اليهود لروسيا هذه المكرمة وأعلنوها على لسان الكثير من زعمائهم . ولقد أدى ترابط هذه الحقائق وتكاملها إلى أن عبر أحد الباحثين

عنها بالماركسية اليهودية وقال أنه بالمجهودات اليهودية وحدها نجحت الثورة الروسية وأنه بهذا الدعم اليهودى المكشوف للحركة الباشفية اتضح أن الماركسية ليست سوى حركة يهودية سرية يربطها ويوجهها التمويل اليهودى والقيادات اليهودية فكراً وتنظيماً . فماركس فيلسوف الشيوعية الأول كان يهودياً . ولينين زعيم الإنقلاب الشيوعى فى روسيا باسم الماركسية اللينينية كان الآخر يهودى الأصل وغيرهما كثير ، ويكفى كدليل عملى على المشاركة بين الشيوعية واليهودية العالمية فى مخطط واحد وهدف واحد : مشاركة الجميع فى الإتحاد العام للحزب الإشتراكى الديمقراطى اليهودى : حزب البند . ولا ريب أن هذه العلاقة الوطيدة والعميقة بين الماركسية واليهودية العالمية كانت الدافع الأساسى لاندفاع الشيوعية فى العالم ، لأن اليهودية كيان مغلق على نفسه لا يستطيع الإنتشار والسيطرة والقيادة إلا بمفاهيم الشيوعية والعلمانية والليبرالية والرأسمالية (وحرية ومساواة وأخاء) شعار الماسونيةوالثورة الفرنسية التى حرثت الأرض أمام تحقيق الأهداف الكبرى التلمودية وكان مقدمة للثورة الروسية ولإسقاط الخلافة الإسلامية . وهكذا تؤكد الدراسات العلمية والوقائع التاريخية الصلة الواضحة العميقة بين الشيوعية والصهيونية فإن مفهومهما يستمد من حقد على البشرية ورغبة فى الإنتقام منها وقد أعلن أن الثورة الشيوعية كانت من تصميمهم وأن ما تحقق فى روسيا كان بفضل الفكر اليهودى ذى التموجات الرأسمالية والإشتراكية ويستهدف تعاون اليهودية والشيوعية فى الوصول إلى السيطرة على العالم وتسخير المواد العالمية وفق أهوائهم ولقد تبنت أبعاد المخططات العالمية فى هذا الإرتباط بين الماركسية والصهيونية فى أحضان اليهودية العالمية ما أثبته الأستاذ محمد عبدالله عنان الذى كتب قبل خمسين عاماً (عام ١٩٢٦) يعلن عن هذه أن الخطط كشفت عما يسمى (الثورة العالمية) فأشار إلى أن قوى كثيرة تهدد كل المجتمعات والنظم الحاضرة بالفناء تتجمع فى الدعوة إلى الثورة العالمية فالبلشفية والدولية الشيوعية والإشتراكية واللاحكومية وغيرها من الدعوات والمصادر الثورية كلها قوات هائلة تعمل لغاية واحدة . ويربط عنان هذا المخطط بالثورة الفرنسية . (التى هى وثبة من أعظم وثبات الهدم فى العصر الجديد) ترجع إلى نشاط هذه القوات الخفية ومهارتها فى استغلال سخط الجماعات أكثر مما ترجع إلى الأسباب والحوادث المادية التى ينسب انفجارها إليها عادة وقال أن اليعقوبيون أعظم دعاة الهدم فى الثورة الفرنسية كانوا ينتمون إلى جماعات سرية كانت تعمل فى الخفاء لسحق الملكية الفرنسية. هذه الروح الهدامة تجلت فى الثورة الروسية ، فقد أشادوا مجتمعاً غريباً

فى تفكيره أباحياً فى اعتباراته وتقديراته ، هذا المجتمع الذى يبرز اليوم رافعاً لواء الثورة العالمية ويتساءل : هل تكون البلشفية والثورة العالمية اسمين لمسمى واحد ، ذلك أن عبارة الثورة العالمية تجرى على ألسنة أقطاب موسكو وزعماء البلشفية . وأن ما يقوله رئيس الدولية وغيره من زعماء البلشفية لا يعنى أن الجمعية السرية التى تقبض الآن على مصائر روسيا تعمل دون وحى يلقى إليها من وراء أستار وتسير فى جهودها الهدافة مستقلة دون توجيه ، فما هو المصدر الخفى الذى يغذى بجهوده البلشفية وما هى غايته الأخيرة التى تدفع لحركات الثورة المختلفة إلى رعايتها. أن البناء الحر والجامعة الدولية والجامعة الجرمانية كلها قوات حقيقية لا مرية فى وجودها تؤثر فى شؤون العالم أيما تأثير وفى وسعنا أن يعين منها أسماء الزعماء وطرق العمل ومراكز الوحى والإرشاد ومما يلفت النظر أن تختلف الدعوات الشيوعية والإشتراكية واللاحكومية (ماركس وبوكونين وبرودون) وهى جميعها تتفق فى برامج الإنشاء السياسى وتتفق جميعها فى غايات التعويض والهدم . إن ثورة الكتلة العاملة وتحريرها من نير البرجوازية وتحطم النظم الرأسمالية وإضرابها من العبارات الشيوعية كلها ستار لغاية واحدة : هى غاية هدم شاملة لتحطم المجتمع الرسمالى معناه تحطيم المدنية الحاضرة وكل ما احتوت من أديان وتعاليم وتقاليد . و « هدم المدنية » : غاية عملت لها جميع القوات الخفية والجمعيات السرية خلال القرون ، ولكن الحرص على تنفيذ هذه الغاية والدقة فى تنظيم القوى التى تعمل لتحقيقها واستعداد المجتمع الحاضر لتلقى تعاليمها كلها ظواهر جديدة لم تظهر من قبل بمثل ما تظهر به اليوم من جلال ووضوح ، ذلك لأن عقلية المحتمع الحاضر قد تاثرت بمؤثرات جديدة عميقة وقد بعثت البأساء الطاحنة فى بنيانه روحاً من اليأس والنقمة ، هذه الروح هى التى يستغلها دعاة الثورة العالمية وهى الى مهددت السبيل فى روسيا العنصرية لظهور البلشفة . ويقولون : « إن الثورة العالمية والخطر اليهودى إسمان لمسمى واحد : وأن دعاة الثورة العالمية هما دعاة السيادة اليهودية العالمية وأن الفكرة اليهودية القديمة فى سحق المدنية الحاضرة هى التى تحكم وراء الثورة العالمية ، أما كون اليهودية تقصد بالهدم والمحو كل النظم الحاضرة وتقصد بالأخص إلى هدم التعاليم الدينية والأخلاق نصرانية كانت أو إسلامية فإن هذا أمر لا ريب فيه ولكن ليس ثم ما يؤيد أن اليهودية تختفى وراء البلشفية والشيوعية والاشتراكية وما إليها من دعوات الهدم ، وكل ما هنالك أن اليهودية تعمل لنفس الغاية ، والظاهر أن اليهودية ما هى إلا إحدى القوى التى تعمل للهدم إلى جانب الحركات الأخرى وأنها تدين

بنفس التعاليم الحرة الهادمة وأن هذه القوى ترعى جميعاً مثلا واحدة هى الجامعة بينها وهى التى توجه نشاطها وتوحد بين غاياتها وإذا كان من المستحيل أن نعين ذلك المصدر أو المصادر الخفية التى تغذى دعوة الثورة العالمية بالنصح والإرشاد وتمدها بالدعاة والأموال فقد لا نذهب بعيداً إذا قلنا أن البلشفية هى أقوى وأمنع عناصر الثورة العالمية وإنها هى التى تبرز إلى الطليعة بالقول والفعل وأنها واسطة الوحى فى تغذية العناصر الأخرى التى تحرص جميعها على تحقيق غاية موحدة شاملة هى هدم المجتمع الحاضر من الأساس واستبداله بمجتمع يقوم على مبادىء الشيوعية والإباحية وتحقيق أعظم ما يستطاع من مثل ماركس ولينيآ » . وبعد فيمكن أن يقال أن ما كتبه عبدالله عنان هو الخيط الأول لكشف هذه المخططات فقد كان قريباً من مصادر العلم بهذ الأمور إذ كان سلامه موسى وحسنى العرابى بعد الحرب العالمية الأولى هما أول من تحدث فى مصر عن الإشتراكية والفكر الماركسى وكانا قد اتصلا باليهود الذين كانوا يديرون هذه المنظمات وفى مقدمتهم هنرى كوريل غير أن هذا المفاهيم التى قدماها لم تلبث أن أن تكشفت عن أبعاد جديدة وأعماق عريضة عندما اكتشفت بروتوكولات صهيون وغيرها ، ولقد كان لينين أحد المخططين وواضعى البروتوكولات فى مؤتمر حكماء صهيون ١٩٠٢ حيث قال المؤتمر : إن آخر حصن للعالم وآخر ملجأ من العاصفة هو روسيا فإيمانها ما يزال حياً وإمبراطورها المسيحى ما يزال قائماً كحاميها المؤكد» » وكان الهدف هو التخلص من هذا الإمبراطور وتدمير ذلك الحصين تأكيد لما قرره المحفل الماسونى الأمريكى فى نهاية القرن التاسع عشر وهو الذى يدير الماسونية الكونية وكل أعضائه من كبار اليهود ، ومن ثم تم الاتفاق على إنفاق مليار دولار فى سبيل قيام ثورة فى روسيا تطيح بالإمبراطور وتهيىء الدولة للشيوعية غير عابئين بتضحية أعداد ضخمة من يهود روسيا . وكان ذلك إيماناً بأن الشيوعية هى جناح أيدلوجى للصهيونية العالمية وأن الثورة البلشفية فى حقيقتها هى ثورة لليهود ضد القيصرية وضد المسيحية وانتقاماً من عمليات الاضطهاد التى قامت بها روسيا بعد أن قتل اليهود اسكندر الثانى . يقول على منير مراد : وما أن نجح المخطط الصهيونى بقيام الثورة الشيوعية حتى كان اليهود هم القائمين بالاغتيالات السياسية (تماماً كما حدث فى الثورة الفرنسية) التى كسرت أمام اليهود باب الجيتو المغلق وأفسحت لهم الإشتراك ثم السيطرة على الحياة السياسية الغربية وهناك حقيقة واضحة أن مؤسسوا الدولة الشيوعية فى روسيا ليسوا من طبقة البروليتاريا التى ضللت ولكنها من طبقة اليهود المثقفين وكان أول رئيس للدولة فى روسيا

هو اليهودى كلمنيف وتلاه سفردلون وبينهما زيتوفيف وكلهم يهود ومن زعمائهم تروتسكى اليهودى المتعصب وقد وضعوا فى كل مصنع ومدرسة مؤسسة قومسيرا يهودا ليبطش بأى معارضة للماركسية وأدعوا أن الشيوعيين هم الشعب المختار وأنهم سادة العالم ، وبذلك خلقت الماركسية التميز على أشده بين الحاكمين والمحكومين فهناك طبقة قياصرة الكرملين الذين يعيشون عيشة الملوك وطبقة أعضاء الحزب المميزون فى جميع أنحاء الدولة ثم طبقة الشعب الذى يعيش ليأكل فلا حريات ولا مساواة بل معتقلات تضم الالاف فى سبيريا وكل ما حصل عليه أفراد الشعب إنهم أصبحوا تروساً فى آلة الإنتاج العام فلا كيان للقرد وإنما عليه أن يكذب ويغش ويتجسس لمصالح الحزب ومن أجل الشيوعية . ولقد كانت روسيا ثانى الدول إعترافاً بإسرائيل بعد الولايات المتحدة كما كان للأسلحة التى أرسلت إليها من تشيكوسلوفاكيا والدول الشيوعية فى أوربا أكبر الأثر فى صمود القوات الإسرائيلية فى وجه الدول العربية التى كانت تسعى لشراء الأسلحة من مخلفات الحرب العالمية الثانية بعد أن إمتنعت دول الغرب عن بيع السلاح لها وفى أواخر عهد ستالين قامت بعض التحركات المضادة لليهود ولكن ما انتهى عهد ستالين بوفاته حتى أزيلت تماثيله وأخفيت آثاره بل وأخرجت جثته من مقبرةالعظماء ولم يكن ذلك مصادفة وإنما يرتبط بنفوذ اليهود وتغلغلهم فى الدول الشيوعية :

(٣) ويتساءل الدكتور عبد الحليم محمود (الإمام الأكبر وشيخ الأزهر) هل للشيوعية صلة بالصهيونية وهل الشيوعية وليدة الصهيونية ويقدم مجموعة من الحقائق دون تدخل فيها . منها ما سجلته دوائر القضاء المصرى ، فقد ضبطت فى بعض قضايا الشيوعية فى مصر أوراق وتقارير ومكاتبات تثبت أن النشاط الشيوعى فى مصر يدار من الخارج حيث عثر فى ١٩٥٣.١١.٣) بمسكن بعض المتهمين بالشيوعية على تقارير متعددة وصلت إليه من هنرى كوريل الإسرائيلى تحوى تعليمات للشيوعيين فى مصر ، كما عثر مع (ناعومى كاتيل) الإسرائيلية التى قبض عليها فى اليوم نفسه على تقارير شيوعية وإرادة لها من الخارج والبعض من إسرائيل وقد ضبطت السلطات الإيطالية بميلانو فى أواخر سنة ١٩٥٠ خليةشيوعية يكونها بعض الإسرائيليين الذين كانوا يقيمون فى مصر ثم غادروها وأقاموا هناك وثبت من الأوراق المضبوطة إنهم يديرون بعض المنظمات الشيوعية فى مصر وأنهم على صلة بالهيئات الشيوعية فى كل من إيطاليا وفرنسا كما تبين أن لهم زملاء من الإسرائيليين يقيمون فى فرنسا ويعملون لتصيد

الشبان المصريين الذين يسافرون إليها لطلب العلم وقد اعترف أحد الأشخاص الذين قبض عليهم فى إحدى القضايا الشيوعية بمصر أنه أقام بأوربا نحو ستة أشهر متنقلا بين النمسا وإيطاليا وفرنسا على نفقة الشيوعيين هناك وبتوصية من الإسرائيلى « هنرى كورييل » وتصدر المنظمات فى مصر نشرات تتضمن مهاجمة نظام الحكم والقائمين على رأس الحكومة وهدفها تعبئة الشعور العام ضد الحكومة والعمل على قلب نظام الحكم وإقامة حكومة شيوعية تخضع لتوجيهات موسكو والصهيونية — وقد ورد هذا النص فى كتاب « حقيقة الشيوعية » وهذا يعنى أن اليهود هم الذين عملوا جاهدين فى نشر الشيوعية فى مصر لا غرابة فيه وهو تأييد لما يوقن به كثير من المفكرين . أما بالنسبة لمواثيق الصهيونيين فإن كتاب بروتوكولات حكماء صهيون ينص فى صراحة : « نحن الصهيونيين الذين رتبنا نجاح كارل ماركس » إن كارل ماركس يهودى أُماً وأباً من أُسرة يهودية عريقة فى اليهودية ولقد تزعم هذا اليهودى فريقاً من يهود ألمانيا عرفوا بالشيوعيين وبدأت بهم الشيوعية وقد تساءل لماذا رتب اليهود نجاحه . إنهم أقاموه أولا ، ثم رتبوا نجاحه بالدعاية وبالكتب وبالصحف وبكل وسائل الدعاية والنشر : لماذا . إن الصهيونيين لهم منهجهم بالنسبة للآخرين أى بالنسبة لمن يسمونهم « الأُميين» وهم كل من عدا اليهود ومنهجهم متعدد الزوايا ومن كبريات هذه الزوايا إفسادهم بكل وسيلة ممكنة للمجتمعات . إن اليهود يهدفون — من بين أهدافهم — إلى إفساد الدين على المتدينين مسلمين ومسيحيين ومن وراء إفساد الدين إفساد الأخلاق لأنه اذا فسدت الأخلاق ودب التحلل فى الأُمم وزالت مناعتها فإنه يسهل السيطرة عليها . ومن هنا ولدت الشيوعية ، وذلك أن الشيوعية تفسد الدين على أصحاب الديانات وتفسد الأخلاق أينما حلت حلت وتهدم النظام الدينى الاقتصادى رأساً على عقب ، وأن كل من يدين بها ويعتقد أنها حق فإن إيمانه بها يتضمن لا مناص إيمانه بأن أوضاع دينه ليست صحيحة . إنه شعر أو لم يشعر ينكر دينه وينكر أخلاقه وينكر ما شرعه الدين من نظام للمجتمع . ولذلك رتب الصهيونيون نجاح كارل ماركس . لقد صنعوه كما تصنع المزيفات وساندوه كما هو الشأن فى ضرورة مساندة المزيفات والمزيفات لا بقاء لها ولذلك ستزول الشيوعية الحديثة كما زالت شيوعية (مزدك) وكما زال كل مذهب منحرف . ويشير الإمام إلى ما ذكره روبرت وليامز صاحب كتاب اليهودى فى أمريكا فإنه ينتهى من بحثه التعيس بقوله : إن الصهيونية ليست شقيقة الشيوعية بل هى أمها . ويسمى فرانك كريتون

الصهيونية والشيوعية فئتى اليهود ويقول ليست الشيوعية والصهيونية سوى مظهرين لقومية واحدة هى القومية اليهودية .

(٣)

فشل التجربة الماركسية اللينينية

(١)

التجربة الماركسية اللينيـة

أعد ماركس « الأيدلوجية » والمنهج بالإشتراك مع انجلز ، وكتب « البيان الشيوعى » المعروف قبل أن يكتب (رأس المال) فقد كان هـذا البيان بصدوره عام ١٨٤٨ علاقة على على هذه الخطة التلمودية الصهيونية التى كانت نقطة انطلاق فى طريق تمزيق وحدة الفكر الغربى المسيحى ووضع فلسفة التغير الاقتصادى للتاريخ والإشتراكية العلمية وتنطلق بهما ضحية الصراع الطبقى وتحريض العمال على الثورة فى وجه أصحاب الأعمال والمعروف أن الجزء الأول من كتاب رأس المال جاء عام ١٨٦٧ أى بعد تسعة عشر عاماً من البيـان الشيوعى الذى برر فكرة الصراع الطبقى والثورة على الرأسمالية . وقد عرف بأن التظرية كانت محاولة للجمع بين خيوط من الفلسفات الألمانية والإنجليزية والفرنسية وأن الأساس الذى اعتمد عليه ماركس قد التمسه من فرضيات العلوم التجريبية فى ذلك الوقت والتى لم تكن وصلت إلى درجة الحقائق العلمية وكان واضحاً أن الشيوعية هى الهدف وأن التلمودية الصهيونية هى الطريق . ولقد نمت فى الأمبراطورية الروسية التجارب التى كانت إعداداً للثورة الفلسفية التى قادها لينين ، والتى أطلقت على منهجها (الماركسية اللينية) وذلك بعد الاستيلاء على السلطة بعد وفاة ماركس بأكثر من ثلاثين عاماً . وهى التجربة التى اختلفت أشد الاختلاف بالتطبيق مع النظرية الماركسية واحتاجت إلى تعديلات كثيرة فضلا عن أن كتابات لينين قد اختلف فيها أتباع تروتسكى وأتباع ستالين وأتباع ماوتسى تونج . والحقيقة المعروفة أن الطبقة الشعبية قامت بإشعال نار الثورة ضد الحكم القيصرى والقضاء عله بتحريض من الشيوعيين أتباع لينين وتروتسكى فلما تم لرؤساء الحزب الشيوعى ما أرادوا من سقوط عرش آل رومانوف قبض رؤساء الحزب على زمام الحكم وأزاحوا العمال والفلاحين ليقاسوا تحت سخط الحزب الشيوعى أشد ألوان المهانة والإرهاق ، وقام العمال والفلاحون بعـدة

ثورات كانت تقمع بشدة ، وحاول ستالين أن يقضى على ثورات الطبقة الكادحة بألوان شتى من القتل والحبس والنفى فى مجاهل سيبريا وخلصت الدولة لتلك الطبقة الدخيلة التى لم تكن من صفوف العمال أو الفلاحين فى الأصل . وقد ذكر دوته فى كتابه موسكو بلا نقاب : إن الذين يحكمون روسيا ليسو الروس ولكنهم حفنة من اليهود الإرهابيين العالميين . وهم الذين أعلنوا منذ اليوم الأول بأنهم يرو فى الأديان خطراً على الحضارة الإنسانية (كما قال لينين) ونحن ملحدون وأن الإيمان بالدين يعرقل تقدمنا (ستالين) وأن اليهود هم الذين قاموا بالاغتيالات السياسية إبان الثورة الشيوعية وأن مؤسسى الشيوعية ليسوا من طبقة البرولتاريا التى ضللت ولكنها من طبقة اليهود المثقفين وقد أعلن الشيوعيون أن أصل المناضل الشيوعى أن يتمرس بشيء من ضروب الخداع والغش والتضليل وأن الكفاح من أجل الشيوعية يبارك كل وسيلة لتحقيق الشيوعية . وقد سادت الشيوعية فى روسيا منذ عام ١٩١٧ إلى اليوم (١٩٧٧) خلال ستون عاماً فهل نجحت قط فى القضاء على الفقر ، إن الفقر ما زال متفشياً فى روسيا وقد سبقها كثير من الدول الرأسمالية كالولايات المتحدة والمانيا وانجلترا فى القضاء على الفقر وبعث حركة الانتعاش الاقتصادى بين العمال وبين الجماهير . ولقد كان من أخطر خطوات التجربة الشيوعية إرتباطها بالصهيونية العالمية منذ اجتمع لينين فى بال بسويسرا عام ١٩٠٢ باسم الحزب الشيوعى بحكماء صهيون وحضر معهم المؤتمر الصهيونى وكان من المخططين وواضعى البروتوكولات . وكما قلنا فإنه فى أعقاب نجاح الثورة الروسية كان اليهود وقد وضعوا فى كل مصنع ومدرسة ومؤسسة قومسييراً يهودياً ليبطش بأى معارضة للماركسية ومنذ ذلك التاريخ إنقسم الشعب إلى طبقتين متميزتين : الاولى طبقة مناصرة للكرملين وأعضاء الحزب الذين ينهبون أقوات الشعب الروسى ويعيشون عيشة القياصرة ، وطبقة الشعب الروسى الذى يعيش فى فقر وجوع وحرمان وخوف . وقد أغلق الشيوعيون على أنفسهم وأقاموا الستار الحديدى سنوات بعد سنوات وقاموا بتصفيات بعد تصفيات دون أن تستطيع التجربة كما أدعت وبعد أكثر من خمسين عاماً أن تظفر بتحقيق واحد من أهدافها أو تنبؤاتها كما أنها لم تستطيع أن تقضى على الاحتكار والاستغلال ، ولم تستطيع أن تقيم مجتمع الكفاية وعجزت عن أن تفهم قانون الوفرة الذى أثبت أن فى الأرض ثروات تكفى البشرية ولو تضاعفت عشرات المرات ولم تزد التجربة الشيوعية عن أن أفقرت الأغنياء ولم تغن الفقراء ، وما زادت عن أن أوغرت الصدور بالأحقاد وأوقعت بين الطبقات فى

صراع عنيف بينما يقيم الإسلام روح الوئام والمحبة بين الناس . نعم عجزت الشيوعية أن أن تنجز ما وعدت بين الطبقات العاملة بل تنكرت لها وسلبتها الحرية وحشدتها للعمل وسخرتها للإنتاج باعتبارها تروساً فى آلة أو مسامير فى قالب ووجدت الطبقات العاملة من المعطيات فى المحيط غير الشيوعى أكثر مما وجدت فى البلاد الشيوعية .وثبت كذب الإدعاء بأن مذهب الشيوعية هو الفردوس الموعود للطبقات العاملة فى العالم فقد تبين أن الشيوعية إنما تريد أن تجعل من البشرية قطعاناً يقودهاسوط الراعى وأن تمحو الشخصية الإنسانية وتذيبها فى الدولة وتسلب الفرد حريته وتصب الادميين فى قوالب ولم تجد الطبقات العاملة فى البلاد الشيوعية غير الذل والهوان والتجويع وسلب الحرية . ثم رأت أن تتراجع وتتراجع فحاولت أن تتنازل عن مسألة الامتلاك الفردى وأذعنت للطبيعة الإنسانية بتشجيع الحافز المادى وسمحت بتحقيق بعض الرغبات الخاصة التى كانت ممنوعة من قبل ولكنها لم تستطيع أن تبلغ أشواق النفس البشرية . وقد تبين هزيمة التجربة فى حربها للحرية الشخصية وحرية الأسرة ، كما انهزمت التجربة فى الركيزة الأساسية للمذهب التى جعلت الملكية الخاصة ينبوعاً لجميع الشرور وقد ضاقت بالمجتمع الشيوعى عواقب الحرمان من هذه القوى الحية : قوة الكرامة والإنسانية فى شخصية الفرد وقوة العاطفة المتأصلة فى كيان الأسرة والإيمان . وثبت « المجتمع الشيوعى » فرض خيالى قوامه دعوى المدعين أنه سيأتى ذات يوم مجتمع بغير طبقات ، أما المجتمع الإسلامى فهو حقيقة قائمة تزداد كل يوم قوة وسقطت بذلك دعوى الشيوعية بوصفها دين المستقبل أو جنة المستقبل فقد كذبتها حقائق التاريخ ووقائعه الحية التى ما نزال نعيشها يوماً بعد يوم وتحللت الشيوعية من كثير من نظمها ومبادئها وخرجت عليها لأنها وجدت إنها لا تقبل التطبيق . بل إن عدداً من المفكرين الذين خدعوا بالبريق عن المذهب والتجربة عادوا فوجدوا أن كل ما هنالك سراب وقبض الريح ومن هؤلاء ريتشارد رأيت ولويس فتشر وارثر كوستلر : هؤلاء الكتاب الذين خدعوا ثم عادوا إلى رشدهم بعد أن عرفوا الحقائق وليس أقوى من تجربة (أندريه جيد) الذى أعلن فى الثلاثينات بعظمة التجربة الشيوعية فلما سافر إلى هناك وشاهد المجتمع فى واقعه لم يلبث أن إكتشف الحقيقة كاملة . قال جيد : لا يمكن أن تنحدر الأخلاق إلى الدرك الاسفل الذى تنحدر إليه الشيوعية ولا يمكن أن تصل الدناءة والخسة بالإنسانية إلى الحد الذى تصل إليه الشيوعية وإنى أحذر كل الناس أن ينخدعوا بالشيوعية وليدركوا بها أسوأ ما عرف تاريخ الإنسانية من مذاهب الهدم والتخريب . وحذر

الكاتب الفرنسى أندريه جيد بعد أن عاد من البلاد الشيوعية الطبقات العاملة فى كل أقطار الأرض من أن تنخدع بأكاذيب الشيوعية التى قضت على إنسان الطبقة العاملة فى بلادها وسلبتها كل حقوقها ، وقال:لقد تبين لى أن ما ادعته الشيوعية من أنها منحت العالم حق السيادة ما هو إلا زيف وضلال كذلك ظهر لى زيف دعوى المساواة فما تزال الطبقة العالية المسيطرة التى تعيش فى الأعلى تملك كل شىء وتتحكم فى كل شىء وما تزال حريصة على بقاء المسخرين . أما حرية الفكر فهى معدومة وليس هناك من يستطيع أن يخرج على الحدود المرسومة الملقنة التى لا دخل للعقل فى التفكير فيها والتى هى عبارة عن نصوص مقدسة وقد أشار كثيرون إلى فساد التجربة فى مجملها وتفاصيلها وأشار أحدهم إلى ما تجد هناك من تمزق ستار الحياء وتحول الناس إلى نظام القطيع ومن ذلك فى دورات المياه مثلا حيث تجد صالة واسعة جلس فيها أكثر من أربعين فرداً لقضاء حاجاتهم دون ساتر بينهم ، وفى المجتمعات يتناول الفتية والفتيات الشراب ويرقصون حتى وقت متأخر من الليل ويقترفون بعد ذلك الرذيلة مما يقضى على دعائم الاسرة وهناك أيضاً يجهر اليهود بيهوديتهم بينما لا يجهر المسيحيون بمسيحيتهم وهذا ما يؤكد العلاقة القائمة بين الأحزاب الشيوعية فى العالم وبين الصهيونية .

(٢) لقد أفاض الباحثون فى دراسة نتائج تجربة التطبيق الماركسى ممثلا فى الدولة الشيوعية الروسية فأشاروا إلى أن حصيلة نصف قرن مات بسببه مئات الالوف نفياً وتشريداً وسجناً قد اسفر عن عدم تطبيق النظريات الاشتراكية كما أعدها كارل ماركس ولينين وانجلز لاستحالة تجاوبها مع النفس البشرية فهى نظريات علمية بحتة ، وقد أدى ذلك إلى فقدان القاعدة الشعبية لهذا النظام وخاصة من العمال والفلاحين والاقتصار على عدد من أفراد الحزب . كما تبين تزايد الهرب من الجحيم إلى الدول المجاورة ، وظهر عدم إمكان الانفراد السياسى والاقتصادى عن النظم فكان طلب العون من الدول الاخرى لإمكان استمرار قيام الدولة . فضلا عن التأخر الزراعى والصناعى والكيمائى والتدهور الاقتصادى ، وكذلك فقد تبين عدم إمكان وجود الإنسان العقائدى فى الدول الاشتراكية نفسها لإختلاف التعبير والتطبيق للنظريات مما حمل تلك النظم على الاعتماد كلياً على القوات المسلحة ورجال الميلشيا وأتباع العنف الثورى لتثبيت الحكام ودعم الحكم . وكل ذلك كان من شأنه أن

أبعد الطمأنينة والسلام وهدد التقدم والمدنية وحال دون وحدة الشعب وهكذا أثبت النظام الشيوعى الماركسى فشله على مدى نصف قرن من العمل الدموى ونجد اليوم أن الماركسيين قد أهملوا أغلب النظريات الماركسية الأساسية وفى مقدمتها نظرية القيمة الملازمة مع العمل ولم تتحقق تلك النبوءات التى قالت بتناقص عدد الرأسماليين تدريجياً ، وتصاعد الطبقة البروليتارية وطلوع اليوم الذى يتكتل فيه العمال كتلة واحدة وكان ماركس وانجلز يتوقعان اشتعال ثورة اشتراكية فى أوربا كلما توفرت أسباب إنهيار اقتصادى فى بلد ما لأن الانهيار الاقتصادى هو خير الظروف لإشعال الثورة الإشتراكية فلم يحدث ذلك ولا مرة واحدة . ولم تجد الشيوعية طريقاً لها إلا بالقتل والدم والتآمر والتدبير فى الخفاء ، حتى ولو توفر لها الجو الحر ، فهى تلجأ إلى الغوغاء وتضطهد المثقفين وأصحاب المبادىء ولم يتحقق لهم ما أرادوا فقد أعلنوا أن الثورة الروسية هى فاتحة الثورة الاشتراكية العالمية فلم تلبث الشيوعية أن تراجعت وانحسرت وفى البلاد التى سيطرت فيها الشيوعية كالصين التى وقع الانشقاق بينها وبين السوفيت وبات ذلك ظاهرة من أخطر ظاهرات العصر . وفى أوربا وقع الانشقاق حين أعلنت يوغسلافيا ١٩٤٨ انفصالها عن الأممية الشيوعية فى روسيا ، واليوم تتجه الأحزاب الشيوعية فى أوربا إلى الانفصال عن الكرملين بل إن الأحزاب الشيوعية فى مؤتمر جنيف ١٩٧٦ أعلنت انفصالها عن ركائز الماركسية الأصيلة : تنازلت عن ديكترتورية البروليتاريا ، وتنازلت عن الأممية وسمحت بالقوميات وتنازلت عن عدائها للدين . وقد كشف كثير من الباحثين : أن التجربة الشيوعية فكراً وواقعاً فى العقود الأخيرة أصبحت تعانى على الصعيد الفكرى أزمة التحجر والجمود والوقوف عند وقائع معينة كما تكشفت أن كلمات الفكر التقدمى واليسار والثورة هى فى الحقيقة تعنى الدكتاتورية والإرهاب وكبت الحريات وأن النظرية الماركسية تعيش الآن فى مهاب الرياح وإن العالم يتجاوزها كأى فكر بشرى يصعد إلى قمة مجده ثم يأتى العلم والتطور ويتجاوزه ، وخاصة بعد أن أثبتت العلوم الطبيعية تناقض جدل المادة وسقوطه واتساع الهوة بين الفكر الشيوعى والعلم . ويقول جارودى فيلسوف الماركسية : إن الواقع العملى خطأ الفكر النظرى فى نقاط عديدة وليست دوماً ثانوية ، ولا يمكن أن يأتى الواقع العملى مصداقاً لما جاء فى الفكر النظرى وأن التناقض قد زاد بين الواقع والفكر وحدث تباعد بين العمل والنظر وتحولت الماركسية من نظرية الممارسة الإنسانية إلى لاهوت عاجز ، ومن حافز للبحث والعمل إلى عائق يشل البحث ويخرب العمل . وتشير كثير

من كتابات الماركسية إلى هذا المعنى الخطير وتقول إن تطور الماركسية تفرضه أخطاؤها وتعانقها ، وتعترف هذه الكتابات بقصور الماركسية الجوهرى فى مجالات العمل والنظر ويتساءلون هل يمكن أن يقال أن الماركسية علم ، أو ما يسمونه علم الثورة الاجتماعية . ويقولون إن ماركس وانجلز أقاما النظرية على مفاهيم تجاوزها البحث الان سواء فى العلوم التجريبية أو علم النفس والتاريخ والاقتصاد والاجتماع والرياضيات وانها كانت نظرية جاهزة تبعاً لظروف وأوضاع غرب أوربا وانجلترا بالذات ثم جاء لينين ليعدل ويغير ، ويقول هؤلاء الكتاب : إنهم يريدون أن يجعلوا من ماركس ولينين وانجلز آلهة ، فإذا صيروهم آلهة فقد أفقدوهم صفتهم وهويتهم كعلماء وفلاسفة . ويتساءل المراقبون للتجربة (١٩١٧ – ١٩٧٧) ماذا حققت فى خلق مجتمع جديد لحكم ديكتاتورى استبدادى قام على خنق العاطفة وإنكارها ، للقضاء على الاغنياء دون إسعاد الفقراء . وإنما لخدمة طبقة جديدة . تسخير الطبقة العاملة لطبقة جديدة حاكمة ، القضاء المطلق على الحرية الشخصية وحرية الكتابة والرأى والخطابة . والاضطراب والتغيير المستمر مما يدل على عدم الاستقرار فى كيان النظام نفسه ، مخالفة السنن الطبيعية والنواميس الاجتماعية والنفسية للأمم ، افتقاد الحرية ، اتجاه الفكر كله نحو تأكيد النظرية الشيوعية .لا مجال للنقد ، ليس هناك أدب حر ، التاريخ والعلوم الطبيعية والابحاث والمسرح والسينما موجهة توجيهاً شيوعياً ، وهى وقف على أغراض الشيوعية ، وقد زيف التاريخ ونقح ليتمشى مع أغراض النظرية . وقد أثبت التطبيق العلمى من خلال التجربة الشيوعية فى روسيا عدم إمكان التقيد بكل ما جاء فى النظرية الماركسية وقد تمت فعلا تعديلات كثيرة وكبيرة فى النظرية . واليوم يظهر على السطح تقارب بين الرأسمالية والشيوعية ، فقد تطورت أفكار الرأسمالية واقتبست معظم الأفكار الاشتراكية الأفكار الاشتراكية وتطورت أمكار الشيوعية فأخذت تلتقى مع الرأسمالية وهناك من الفلاسفة من يقيم الجسور والقناطر بينها ، كذلك فقد أعلن أن الكاثوليكية تجرى حواراً مع الماركسية ومن حيث أن الكاثوليكية لا تملك تشريعاً اجتماعياً مفصلا فى أمور الحكم والاقتصاد والاجتماع إلا ما يتصل بالتوجيه الروحى العام فقد أجرت حواراً مع الشيوعية . ويتنازع النظامين الرأسمالى والماركسى السيطرة على العالم ويتصارعان فى أفق عالم الإسلام ولكن أحداً منهما لم يلق القبول فى محيط المسلمين لأنه لا يستطيع أن يحقق الكفاية والأمن ولما كانت الرأسمالية والماركسية كلاهما من منبع واحد بشهادة أصحابها . يقول أحد كتاب الغرب :

إن اسم تروتسكى يعنى أقصى اليسار واسم روتشيلد يعنى الرأسمالية المتطرفة وكلاهما يمثل تموجات العقلية اليهودية وبين هذين المعلمين : مجتمعاً وحضارة فى القرن العشرين ، فالتيار الرأسمالى والتيار الماركسى أبوهما معاً التيار الصهيونى » أما التيار الرابع رغم تمزق رقعته ورغم ضعف موقفه فهو التيار الأصيل ذلك أن الماركسية لم تفلح فى خلال نصف قرن من التطبيق أن تحقق هدفاً واحداً من أهدافها بل كانت فى كل مرحلة تصدر تنازلات عن آرائها وتقبل الواقع ،ولم يتحقق لشعوب المجتمعات الشيوعية الكفاية بين أفرادها ولا تزال تواجه الأزمات وليس الإسلام كالمسيحية فالإسلام نظام كامل يتصل بالروح ويشرع لعالم المادة ومن ثم فلا يمكن أن يقع حوار بين الإسلام وهذه المذاهب ، فهم يملكون منهجاً كاملا جامعاً قادراً على مواجهة مختلف التحولات والتغييرات .

(٣) ويرسم العالم الروسى أندريه سخاروف أبو القنبلة الهيدروجينية فى كتابه (بلادى والعالم) صورة قاتمة لروسيا الشيوعية فيتحدث عن مستوى الأجور المنخفض فى روسيا ، وكيف ينفق الروس الجزء الأكبر من أجورهم على الطعام فى حين أن العامل فى الغرب ينفق ربع دخله على الطعام والباقى على رفاهيته ومدخراته ، هذا مع رداة الخبز ورداءة الأطعمة والتعليم والإضاءة فضلا عن القيود المفروضة على التنقل داخل البلاد وأشار سخاروف إلى « الإدمان المأسوى » للخمور عند الغالبية العظمى من السكان بما فيهم النساء والشباب ، وان استهلاك الفرد من الكحول اليوم فى الاتحاد السوفيتى ثلاثة أضعاف ما كان فى روسيا القيصرية ، وإدمان الخمور فى رأيه يجعل الناس أسهل انقياداً ونتيجة لذلك يتساقط عشرة آلاف سكير كل عام ويتجمدون حتى الموت . ويتحدث سخاروف عن السياسة العليا للإتحاد السوفيتى فيقول أنه بالرغم من الموارد الضخمة التى يمتلكها وبعد سبعين عاماً من الجهود الهائلة منها ثلاثين عاماً من السلام المستقر لا تستطيع أن تصل إلى مستوى المعيشة فى الدول المتقدمة . وسر هذا يرجع إلى الإنفاق العسكرى الهائل وتحويل التحركات السوفيتية السرية والعلنية فى جميع أنحاء العالم من الشرق الأوسط إلى أمريكا اللاتينية . . (عن جريدة الأخبار ١١-٢-١٩٧٨)ويوجد نصف مليون جاسوس سوفيتى تنفق عشرة آلاف مليون دولار خمسة أمثال الذين يعملون فى مخابرات أمريكا وجميع دول أوربا الغربية مجتمعين) . وتوفير مستويات المعيشة العالية للطبقة المتميزة فى المجمع السوفيتى وتغطية تكاليف الأخطاء الباهظة التى تنتج من طراز الإدارة المتخلف الذى يدير الاقتصاد السوفيتى . ويقول سخاروف : إن المواطنين السوفيت

يخضعون لنوع من التدريب يشبه تدريب الخيول ولذلك فهم يستسلمون خوفاً على حياتهم . إنهم شعب أسير الخوف . السادة هم الذين تنهب سيارتهم الفارهة المدرعة الشوارع التى أخليت من أجلهم . ويقول : يخضع الفنانون والكتاب والممثلون والمدرسون وكل المثقفين لضغط أيدلوجى مخيف وإلى الحد الذى لا يسع المرء إلا يزداد معه عجباً وتحدث عن تأثير العوامل المادية للفكر على العلوم ، ذلك أن جميع الاتجاهات العلمية والاكتشافات العلمية والتكنولوجية الحديثة قد نمت خارج الاتحاد السوفيتى ، فى حين ظهرت على سطح الحياة هناك : الديماجوجية والجهل والدجل والشعوذة . ويقول : إن هناك بين ٢٠٠٠ و ١٠ آلاف مسجون سياسى ، غير من يضطهدون من أجل معتقداتهم الدينية ويؤدى المسجونون السياسيون أعمال السخرة وحكامهم وقد ذهب ضحية هذه السجون والمعتقلات الرهيبة أكثر من ٢٠ مليون شخص منذ قيام الثورة . ويقول : إن الإضطهاد الدينى تقليد مخيف فى الاتحاد السوفيتى ، ولقد كان الضحايا الأرثوذكس والمسلمين فى العشرينات والثلاثينات لا يقعون تحت حصر . ويقول : إن السياسة السوفيتية هى التى أشعلت النار فى الشرق الأوسط واستغلت فكرة القومية العربية على المدى الطويل لإثارة المتاعب والعقبات أمام الدول الغربية فى الحصول على البترول وبذلك يتم كسب بفوز عليها وهى خطة وضعت فى الكرملين عام ١٩٥٥ .

(٢)

محاولة الماركسية فى أفق العالم الإسلامى

وكانت تجربة الغزوة الشيوعية للعالم الإسلامى وللبلاد العربية فى الستينات من أخطر الغزوات الشرسة التى حملت معها كل تراث الوثنية والمادية والإباحية وطرحه فى مجرى نهر الفكر الإسلامى فصبغة بصبغة رمادية قاتمة حاولت التأثير على متطلعاته وأسسه ، تحت أسماء براقة منها التقدمية والعلمية والأممية وكلها مفاهيم مشبوهة لأنها استحدثت لتحمل بقايا تلمودية قديمة . ولقد كان أخطر ما طرحت هذه الغزوة تلك الفكرة الساذجة التى طرحتها الشيوعية الماركسية فى أوربا وهى رد الدين إلى مجموعة من الخرافات والأساطير ولكنها لم تلبث أن تبينت أنها أمام حائط صلب لا تهتز لهذه المفاهيم كما اهتز لها الفكر الغربى ذلك لأن الإسلام قام منذ وجوده على حقائق ثابتة فطرية ربانية لم تلعب بها الأهواء ولم تغيرها أيدى كهان أو أحبار . ولقد حاولت الشيوعية فى تجربتها اتخاذ أسلوب الخداع والمناورة ، وإخفاء أهدافها وراء عبارات طبيعية مرنة ومن ذلك اعتصامها بكلمة الاشتراكية وكلمة اليسار

وذلك لتخفى وراءها شيوعيتها وماركسيتها اللينية كذلك فقد كان من أخطر دعاواهم المرحلية فتح باب الحوار مع الدين لخداع الشعوب الإسلامية . ولكن الشيوعية لم تستطيع الاعتراف بوجود الله وأنبيائه وكتبه ، وظلت تقرر أن أنبيائهم هم ماركس ولينينوستالين وخروشوف وأعلنت أن إنكار وجود الله ليس أمراً شخصياً ولكنه جذر من استراتيجية الفكر الشيوعى . وكذلك فقد عجزوا عن ستر علاقاتهم بالصهيونية ، فقد تبين من عشرات الوثائق والكتابات الرصينة أن الشيوعية كما ثبت سابقا هى جناح أيدلوجى للصهيونية العالمية وأن الشيوعية والصهيونية مظهر أن للفكر اليهودى الذى ينادى بالعداء السافر للشعوب وأن لينين منذ عام ١٩٠٢ حضر بإسم الحزب الشيوعى مؤتمر حكماء صهيون واشترك معهم فى وضع البروتوكولات . ومن هنا كان موقف الحزبين الشيوعيين فى سوريا ولبنان الذى أيد وجود اليهود فى فلسطين ودعا إلى حق تقرير مصيرهم بوصفهم أنه فى طريق التكوين . ولقد كان كان من الضرورى أن يواجه عالم الإسلام كل تجربة فى عالم الغرب وأن يتأثر بها حينما يلتمسها بعض دعاة التجديد الذين يرغبون فى اقتباس الأنظمة الخارجية أو الذين تصنعهم رياح السياسة العالمية فى طريق التبعية ، وشأن الماركسية فى هذا هو شأن الديمقراطية الغربية التى نقلت فى العقود السابقة وتبين فشلها وزيفها وعجزها عن العطاء الصحيح فى عالم الإسلام ثم جاءت الشيوعية بوصفها تعارض الدول المستعمرة وتؤازر الدول الراغبة فى الخروج من فالك الدول الغربية تحت إسم العدل الإجتماعيوالخصومه مع الاستعمار فى الظاهر ثم لم تتكشف الحقيقة إلا بعد وقت طويل حين عرفت الدول الإسلامية أن لعبة الأمم مقسمة بين الأيدلوجيتين دفعاً وطرحاً وأنه لا فاضل ولا مفضول لأن النظامين الرأسمالى والماركسى خاضعين لقوى أكبر تحركهما فى فلك السياسة العالمية : خصومة وتقارباً وأن العالم الإسلامى موضوع بين القوتين كمطمع أساسى بحكم ثروته ونتاجه ووضعه الاستراتيجى ومن ثم فقد كانت التجربة الماركسية فى العالم الإسلامى وخاصة فى (أندونيسيا ومصر وغينيا) أشد فشلا من التجربة الرأسمالية . ولقد تبين أن الدعوة الشيوعية خارج وطنها تستهدف زرع الفوضى والفساد وقلب الحكومات . ولقد تركزت الحملة على الأديان فى عالم الإسلام ، وهى حرب عوان لا هوادة فيها غير أن الإسلام ثبت ثبوتاً واضحاً فى الميدان وعجزت كل المحاولات عن النيل فيه . ومن هنا كانت دعوتهم إلى التزاوج أو الالتقاء بين الإسلام والماركسية وهى دعوى فاسدة سرعان ما تبين زيفها فالماركسية المادية والدين بعامة والإسلام

خاصة لا يمكن أن يمتزجا لأنهما كالزيت والنار . وإذا كانت الدعاية الماركسية قد وجدت تربة خصبة فى البلاد الإسلامية المستعمرة المتطلعة إلى التحرر فى مرحلة الخمسينات فإن التجربة قد انكشفت بسرعة عن نتائج واضحة لا تدع مجالا للشك فى كذب الإدعاءات والخداع ، وإن كل ما بثته الماركسية بعد أن سيطرت على الصحافة والإعلام والثقافة من سموم على أنها العلاج الناجح الوحيد فى القضاء على الاستعمار والتخلف قد ترك آثاراً مريرة ما تزال تحتاج إلى جهود ضخمة للتخلص منها ، وكان من أخطر مؤامرتهم العمل على تزييف الإسلام وتشويه تاريخ الإسلام وذلك لوضعه فى وضع ملائم للالتقاء مع الفكر الماركسى الشيوعى ، وقد قام بدور خطير فى هذا المجال عبد الرحمن الشرقاوى وأحمد عباس صالح بعد الدور الذى قام به طه حسين من قبل حين مهد لهما الطريق بكتابه (الفتنة الكبرى) وقد عمد الشرقاوى إلى تصوير الرسول مصلحاً بشرياً وألغى صفته النبوية القائمة بالوحى كما قام بتشويه مفهوم البطولة فى الحسين شهيداً . وأتهم الرسول فى كتابه عنه بأنه اقترب من الخمر والأصنام قبل الدعوة وهو الرسول الذى عصمه الله وحاول عباس صالح تفسير التاريخ الإسلامى على أنه يمين ويسار .

(٢) لقد كانت محاولة الماركسيين لغزو المجتمعات الإسلامية جد خطيرة فقد تكاتفت فيها قوى كثيرة غير القوى المحلية واستخدم فيها فلاسفتهم الذين قدموا إلى العواصم العربية لهذا الغرض وفى مقدمتهم جارودى ورودنسونوسارتر .والهدف هو توسيد الطريق النفسى أمام المسلم ليرتضى أن يكون مسلماً ومعتنقاً للشيوعية وهو محال . يقول الدكتور عماد خفاجى : إن هذه المؤامرة بدأها روجيه جارودى فى كتابه (ماركسية القرن العشرين) حين قال بأن المسلم يستطيع أن يصل إلى الإشتراكية العلمية بدءاً من منطلقات أخرى غير هيجل أو سان سيمون والادعاء بأن الإسلام دين عقيدة أما المذاهب فهى فلسفة واقتصاد واجتماع جاهلين بأن المسلم يؤمن بأن دينه عقيدة وشريعة ونظام مجمع وأنه عقيدة ومذهب فى نفس الوقت وأن ذلك المفهوم الانشطارى الذى يعرفه المسيحيون لا ينطبق على الإسلام ذلك أن المسيحية دين لاهوتى عبادى لا يحمل معه نظام مجتمع ولذلك فإن أهلها يلتمسون الأيدلوجيات والنظم البشرية أما المسلم فلا يستطيع أن يعتنق أى أيدلوجية تخرج عن إطار الإسلام وأن الاستشهاد بابن سيناء والغزالى وابن رشد هو استشهاد باطل ، فالماركسية ليست من هذا القبيل: وأن المنطلق الفكرى للماركسية يتمثل فيما يطلق عليه فى الفكر الفلسفى (المادية الجدلية)

فما هى المادة الجدلية التى انطلقت منها الماركسية وجعلتها منهجاً فى التاريخ والاجتماع والاقتصاد وكونت من خلال هذه العقيدة الماركسية التى سادت الأحزاب الشيوعية فالماركسية ترد المادة إلى الاتجاهات القديمة ، إلى نظرية الفيلسوف القديم هرقليط المادية الذى كان يرى أن العالم واحد لم يخلقه إله أو إنسان كان وسوف يظل شعلة حية تتوهج وتنطفى حسب قوانين معينة . هذا المنطق الماركسى الأساسى يكفر بكل ما تقرره الأديان ويعترف جارودى بإلحاد الماركسية وبأنها وارثة التراث الإلحادى فى القرن الثامن عشر.هذاالذىعناهماركس فى مقدمة أطروحته عام ١٨٤١ بقوله إن الفلسفة تتبنى شعار بروميثوش : أنا ضد كل الآلهة . ويقول جارودى : إن ما يتميز به الإلحاد الماركسى البحت هو أنه على خلاف سابقيه لم يكتف باعتبار الدين خديعة فحسب ، اصطنعها المستبدون أو مجرد وهم ولده الجهل بل إن ماركس وانجلز قد بحث فى الحاجات الإنسانية التى تلبيها الأديان بهذه الصورة المخادعة « فو صل كما يقول ماركس إلى أن هذه الأديان هى فى وقت واحد انعكاس لشقاء الإنسان وضعفه فهى تبدو كعقيدة تفسير للنظام القائم هى تبرير له معاً وهو يستخدم سلاح السلطان ويسمح بتعليم الجماهير أن النظام القائم نظام من إرادة الله وأن الخير أن يستسلم المرء إلى هذا النظام وينقاد له فى طواعيه وانصياع (الدين أفيون الشعب) . ويقرر المعجم الفلسفى المكتوب من وجهة نظر شيوعية عام ١٩٦٧ : إن الدين أفيون الشعوب وإن الدين الإسلامى يبرر الظلم الإجتماعى ويصد الناس عن الكفاح الثورى ويدفعهم إلى انتظار بليد إلى السعادة فى الاخرة . وهكذا فشلت تلك المحاولة الخادعة والمؤامرة الزائفة التى حاكتها الشيوعية لتجد لها طريقها إلى عالم الإسلام وإلى العقل المسلم بالرغم من القصور القائم فى المجتمع الإسلامى للتطبيق الإسلامى الصحيح أو الفهم العميق لأصول الإسلام ، فقد كان العلم متيقناً أنه لا يمكن الجمع بين الإسلام والشيوعية وأن محاولة الشيوعية على الصحافة والأعلام والفن لم تستطع هزيمة هذا الإيمان .

(٣) ظنت الشيوعية أنها استطاعت أن تحقق نصراً جديداً بالتوسع فى العالم العربى حينما سيطرت على مصر أكبر بلد عربى فى السنوات المظلمة الممتدة من ١٩٦٥ إلى ١٩٦٨ حين أخذت فى أواخر ١٩٦٤ تخرج الماركسيين من السجون وتوليهم أرقى المناصب الإعلامية والصحفية وتترك بين أيديهم الصحافة والسينما والمسرح والأعلام كله . وقد كانت هـذه السنوات القليلة كافية لكشف زيف الفكر الماركسى الشيوعى وعجزه عن العطاء وكانت

المحاولة الشيوعية قد بدأت فى يوليو ١٩٦١ تحت تأثير إنذار روسى وجه إلى المسئولين وفرض عليهم هذا الاتجاه فى الوقت الذى أصبحت الكلمة المسلمة جريمة وقد حوصرت الدعوة الإسلامية تماماً وانحازت بقية من كتاب الإسلام إلى الصمت ، وظهر سمو الفكر الإسلامى وأصالته واستجابته الحقيقية للأشواق التى تحملها النفس المسلمة والعربية ، فى هذه الفترة كان الشيوعيون فى دور الصحف المسلمة يطبعون القرآن وتفسير القرآن وكتب السنة النبوية لينفقوا منها على مشروعاتهم الإلحادية وظهر أن الكتاب الإسلامى هو الكتاب المكتسح المتداول الذى يتلقفه الجماهير ، وظهر التحدى واضحاً حين أقام المسلمون مساجد الصلاة يوم الجمعة فى قلب القاهرة فى شارع عماد الدين وعدلى وثروت وفؤاد بالميكروفونات كما أنشئت مئات المساجد فى القرى والبلاد بلغت فى تعدادهاعشرون ألفاًفى الوقت الذى لم تكن تملك فيه وزارة الأوقاف سوى ستة آلاف . ولم تكن الصحف الماركسية وغيرها توزع إلا بالأوامر المفروضة على المكاتب السياسية والاتحادات وظهرت أقلام وأصوات عالية هزت الوجود الاجتماعى كله . فهذا ما كتبه عبد الوهاب فايد فى الاعتصام وخطب الشيخ كشك ، وكلمات الشيخ محمد الغزالى ، ومع ذلك فقد استشرت تلك السموم التى ألقاها لويس عوض ومحمد سيد أحمد ولطفى الخولى ومحمد عوده وكمال الملاخ ، وعباس صالح ، وغيرهم من الذين سيطروا سيطرة كاملة على المسرح والأعلام والصحافة وقد استعدى الشيوعيين الجهات الرسمية على كل المجلات التى كان لها فكر أصيل كالثقافة والرسالة فوأدوهما ، ولم تبق إلا تلك الكلمات المسمومة التى يكتبها لويس عوض كل أسبوع . وكان أخطر تشكيلات الزيف الماركسى تتمثل فى منظمات الشباب التى كانت تعلم الفكر المادى وتقول للشباب أنه لا يوجد فى الكون غير المحسوس ، والتى كانت تهزأ بالدين والقرآن والنبوة والوحى (وتعاون الشيوعيين مع مراكز القوى وكان معظمهم من قادة وأعضاء الخلايا السرية ومن أصحاب المخصصات السرية فى البنوك وفى عام ١٩٦٥-١٩٦٦ قاد الشيوعيون التنظيم الاشتراكى وأعطوه صبغة الحزب الشيوعى الروسى ، وكان الموجهون السياسيون جميعاً شيوعيون وكانوا يلقنون بالقوة والإكراه طلبة الجامعة والفلاحين والعمال مبادىء كارل ماركس وآراء الفوضوى الاشتراكى برودين وقد نفر الحس الشعبى من هذه المفاهيم ولكن الشيوعيين فرضوها كمسلمات فرضاً قهرياً لا رحمة فيه ، ولما رفض الطلاب تقبلها أدخلوا فيها المذهب الحسى المادى ليكون منطلقاً إلى الماركسية ، وجعل الشيوعيون من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية مركزاً للفكر

الشيوعى فى مصر ، وبدأت دورات فكرية فى معاهد موسكو الخاصة لتخريج دعاة شيوعيين فى البلاد النامية (آسيا وأفريقيا) . وقال أحد الشباب (ليسانس حقوق ١٩٦٦) فى منظمة الشباب : « ألا يمكن – فرضاً نظرياً – أن يكون واحد – ولو واحد فقط – من بين الخمسين ألف معتقل والذين نكل بهم فى السجن الحربى وأبى زعبل وطره بريئاً ، وإذا كان ذلك جائز فلماذا لم تسمح السلطة الحاكمة بعد عشرين شهراً من السجون بإخراج معتقل واحد ولماذا لم يسمح الشيوعيون المسيطرون على أبواق الدعاية بترك مسجون واحد يرفع شكواه » ومع ذلك فقد كتب لطفى الخولى يقول : إن الشيوعية المصرية كانت حامية للحريات وأنه كان يفتح صفحات الطليعة للإسلام وللمخالفين للفكر الماركسى عموماً .

(٤) وقد أشار مكسيم ردونسون فى كتابه (الماركسية والعالم الإسلامى) إلى أن نشأة الشيوعية الماركسية فى البلدان العربية من الحلقات الأجنبية وأنها كانت مقطوعة الصلة منبوذة من الشعب وما زالت رغم تسلم مقاليد أمور الأحزاب الشيوعية للعرب الذين يحملون أسماء مسلمة أو عاشوا بعقلية وسلوك مسلم ولو جغرافياً إلى أن قويت شوكتهم وكثرت اتجاهاتهم » . والمعروف أن تسرب الشيوعية بدأ على أيدى اليهود بحضانة الاستعمار ورضاه وأن جهوداً كثيرة مشتركة بذلت فى هذا الصدد فى البلاد العربية المستعمرة والشرق الأوسط الذى كان موزعاً بين بريطانيا وفرنسا فى الفترة التى تآلفت فيها الشيوعية مع الغرب لحساب الصهيونية للقضاء على ألمانيا الهتلرية ، وفى نطاق هذا قامت الأحزاب الشيوعية فى البلاد العربية لخدمة الصهيونية وبدأ تدخل الاتحاد السوفيتى فى شئون العرب وقضاياهم تحت شعار الصداقة والمساعدات الاقتصادية والعسكرية والعداء للإستعمار الغربى ، ولا شك أن اليهودية العالمية والقوى الأجنبية (الغرب وفى مقدمته أمريكا) هما اللتان دفعتا بالاتحاد السوفيتى ليكون طرفاً فى النزاع والصراع فى الشرق الأوسط وذلك حتى تتم لعبة الأمم لتحطيم العرب والمسلمين ، فلولا إسرائيل لما وجد الاتحاد السوفيتى مكاناً بجانب الدول الاستعمارية الغربية ولولا الأنظمة الشيوعية التى أقامتها القوى الغربية لتسهيل مهمة السوفيت فى اللعبة لما وجد المجال للماركسية فى البلاد العربية والمعروف أن كتاباً غربيون معروفون بولائهم للغرب وللأمريكان هم الذين حملوا لواء الدعوة إلى الماركسية وفى مقدمتهم جلال العظم . ويقول أحد الباحثين أن الشيوعية دخلت العالم الإسلامى لهدفين : أولا : خلق تيارات ماركسية من المسلمين أنفسهم بتوجيه من اليهود الشيوعيين تنفيذاً للمخطط الصهيونى الشيوعى . ثانياً :

تحطم المجتمع الإسلامى بثورات متعددة متتالية : والواضح أن الصهيونية شرعت فى تنفيذ خطتها بعد نجاح الثورة الروسية مباشرة حيث تخلفت عن تحقيق جل هدفها بكامل الدقة ، لأن المد الشيوعى بعد خمسين سنة (٢٠ - ١٩٧٦) وصل إلى جزء من أهدافه ببلوغ كثير من التيارات الماركسية الأخرى من سياسة بلدانها وثقافتها ، ولكن الأحزاب الشيوعية فشلت فشلا ذريعاً ولم تستطع قط أن تصل إلى الحكم أو تنفيذ رغبات الشيوعية العالمية والصهيونية وظلت منبوذة ومعزولة عن مشاعر الجماهير المسلمة . وقد فهم الماركسيون الشيوعيون بعد الجهود المضنية بأنهم لم يكتسحوا عقول المسلمين وإن اكتسحوا عقول الليبراليين الحاكمين باسم الليبرالية وأنهم لم يغيروا من مجتمع المسلمين وإنما غيروا من مجتمع الليبراليين وأنظمتهم ورغم ما قام به الماركسيون من تهديدهم للإسلام والمجتمع الإسلامى فأقلامهم تنتقد الدين كعمل أساسى لتحطيم المجتمع وتغييره وقد سفهت كتبهم وصحفهم بطريقة مباشرة وغير مباشرة العقيدة الإسلامية وفجروا حولها الشبهات ورفعوا شعار الدين أفيون الشعوب ولكن قيدة الإسلام واجهت زيفهم وسمومهم بصمود عجيب . ولكنهم لم ييأسوا فإنهم حاولوا تغيير أسلوبهم بالدخول فى الإسلام وضربه من الداخل وفى نفس الوقت عمدوا إلى الهجوم على الجماعات الإسلامية الواعية وعياً سياسياً وحاولوا إقامة بدائل زائفة من الهيئات والصحف لم تستطيع أن تحرز لدى الناس قبولا أو ثقة . وغاية ما تريد الشيوعية من الشعب المسلم المتدين هى تحويلة إلى شعب بلا قيم ولا مثل ولا ماض ولا أصالة . وقد حرصت الشيوعية فى ذلك على أمرين : : على خلق أجواء من الأباحية والفساد الإجتماعى والرشوة وعلب الليل وخلق أجواء موازية لها من الأحقاد والصراع بين الناس ، فى مختلف شئون العيش ودفعهم دفعاً إلى الجرى وراء أدوات الاستهلاك فى طمع وشره ، كان له أبعد الأثر فى فساد المفاهيم الإجتماعية بين أهل المجتمع الواحد . ثم عمدت الشيوعية إلى رفع شعارات الحقد والذم ، وحاولت دفع المجتمع الإسلامى إلى امتهان الكرامة الإنسانية والقيم والأخلاقيات ، ولكن العقيدة الإسلامية كانت عائقاً ضخماً فى وجه هذه المحاولة الخطيرة فقد دعا الإسلام إلى العمل مع المحافظة على إنسانية الإنسان واعتباره ، وكرامته وشخصيته ورفض الضمير الإسلامى الجمعى أن يكون الفرد مجرد ترس فى آلة ، أو رافعة فى منجم ، أو عبداً للتحلل الأخلاقى .

(٥) لقد عمدت الشيوعية فى العالم الإسلامى على تقديم أشد سمومها خطراً وهى معارضة الدين والأخلاق وتأجيج الحقد فى النفوس وإشعال نيران الصراع بين الطبقات وتحريض

الفقراء على الأَغنياء والجهلاء على المنتفعين حتى يتحول الحقد إلى ثورة تقضى على الأَخضر واليابس وتقوم على آلاف القتلى وسفك الدماء ولا يستقر لها قرار إلا فى جو الكبت الدائم والتنكيل المستمر بينما يقوم منهج الله الحق على الرحمة التى تعتبرها الشيوعية ضعفاً ، والأَمان الذى يقوم على الرحمة والتسامح والأُخوة والتعاون . يقول أَحد الذين خاضوا التجربة مع الشيوعية : الدكتور مصطفى محمود « إن الصحوة من الحلم كانت حينما سافرنا ورأَينا الخراب والبؤس والوجوه الكئيبة المتهجمة فى المجر ورومانيا وأَلمانيا وكافة البلاد الشرقية التى تجره فى هذا الفلك ولم نجد للرخاء والرفاهية والحرية والفردوس الأَرضى أثراً » وكانت الصدمة الثانية الأَعظم حينما فتح خروشوف ملف ستالين وأعلن على رؤوس الأَشهاد المظالم التى ارتكبها ستالين والملايين الذين قتلهم فى السجون والمعتلات وأَعدمهم بالرشاشات وأَبقاهم للموت فى جليدسيبريا وأَسلمهم لآلات التعذيب بين يدى الجلاد الرهيب بريا . . « وقد احتاج الأَمر إلى سنوات لكى اكتشف أَن الفساد ليس من التطبيق » ولكنه فى المذهب نفسه وأَن تلك الأَفكار الثورية لم تكن أَكثر من تجسيد وتحريض ودفع لكتل الجماهير نحو ثأر تاريخى العالم من ظلم ليلتى به فى ظلم أَقدح » . وهذا الذى أَعلنه مصطفى محمود هو ما اكتشفه جلال كشك ولمعى المطيعى وعبد المغنى سعيد فى كتابات صريحة واضحة كاشفة تدحض تلك الزيوف التى حاول دهاقنة الشيوعية إلقائها فى أَفق الفكر الإسلامى والمحاولات المختلفة التى جرى تنفيذها وأَخطرها محاولة جارودى فى دعوة المسلمين إلى الشيوعية حين أَعلن فى نوفمبر ١٩٦٩ أَن الماركسيين لا يحتقرون هؤلاء الذين يؤمنون بدينهم ولكنهم يمدون إلى هؤلاء المؤمنين يد العون حتى يخرجوهم من مجال ضيق إلى نوع جديد من الإيمان وهو الإيمان العالمى العميق بقيمة الانسان وكرامته ، هذا هو الهدف الذى نريد إصابته وهو أَن الدين أَى دين ليس إلا مرحلة من مراحل التطور الإنسانى وأَنه يمكن أَن يتخذ وسيلة يمكن الاستعانة بها لما تنطوى عليه من قيم إنسانية رفيعة لتعجيل مراحل هذا التطور الإنسانى ولا ريب أَن ما يقوله جارودى لا يخدع المسلمين الذين يعرفون حقيقة الإسلام ، الذى لا يمكن أَن يحتاج إلى عطاء جديد يأْتى من الماركسيين الملاحدة الذين تمتلىء قلوبهم حقداً على البشرية ورغبة فى إيقاد نار الصراع الدموى بين طبقاتها ، هؤلاء الماركسيين المستشارين الذين حين عرفوا أَن شباب الإسلام فى مصر لم يتقبل النظرية الماركسية نصحوا بتدريس مادة الإلحاد والمذهب المادى فى منظمات الشباب والتنظيم الطليعى . والواقع أَن ما قاله جارودى زائف وليس صحيحاً

من أنه لا يوجد تناقض بين الإسلام والاشتراكية وكيف يمكن أن يكون هناك بين المنهج الربانى المحرر من كل الأهواء والمطامع والراغب فى العطاء الرحيم العادل بين المنهج البشرى القائم على الأهواء والمتطلع إلى القضاء على كل قيم الرحمة والعدل والدافع إلى العنف والقسوة والإكراه والثورة المدمرة المخربة وحين يقول ماركس وانجلز فى بيانهما : أنه لا يمكن تحقيق أهداف الشيوعية إلا بقلب الأحوال الاجتماعية جميعاً بالقوة . أو يقول لينين : أن هلاك ثلاثة أرباع العالم ليس بشىء ولكن الشىء الهام أن يصبح الربع الباقى منهم شيوعيون . ولقد وضح أن الشيوعيون لا يستطيعون تحقيق أهدافهم عن طريق الاقناع بفكر واضح صريح ولكنهم يقيمون خطتهم على التآمر والغش والكيد والدس والنفاق وجارودى نفسه هو الذى دعا الماركسيين إلى أن يدخلوا فى الإسلام ظاهرياً ويحاربوه من داخله بالحملة على بعض الأوضاع وإثارة الخلاف على النحو الذى عرف فى المرحلة التالية يعد أن انتزعت من الشيوعيين سيطرتهم على الأعلام والفن والصحافة . وفى نطاق التجربة المصرية يتبين الآن بوضوح أن الشيوعيون هم مصدر الهزيمة فى حرب ١٩٦٧ بمؤامراتهم ومناوراتهم وتنسيقهم مع الصهيونية العالمية حتى لا تستطيع مصر أن تحصل على نصر واضح على إسرائيل . ثم كانت خطط الشيوعية فى أجزاء كثيرة من العالم العربى والإسلامى وأفريقيا ومنها تصريح أندريه جروميكو وزير خارجية الإتحاد السوفيتى ١٩٦٧ قبل نكبة حزيران بشهرين حين قال : (بعد انسحاب البريطانيين من اتحاد الجنوب العربى يجب العمل على إنشاء دولة اشتراكية مستقلة لذلك يرى الإتحاد السوفيتى نفسه مضطراً إلى التصرف تجاه أى حل تقرره الأمم المتحدة حيال هذه المنطقة) وقد اعتبر هذا التصريح بمثابة وعد بلفور ماركسى سوفيتى للإنطلاق إلى اليمن والجزيرة العربية برمتها وحين ينظر إلى الموقف جملة منذ اعترف الإتحاد السوفيتى بإسرائيل ١٩٤٨ وحين قدم لها العنوان العسكرى الذى مكنها من هزيمة العرب وحين قدم لإسرائيل تلك الأعداد الضخمة من الخبراء المهاجرين وخذل العرب عندما أوقف صفقات الأسلحة المتعاقد عليها كل هذا يكشف بوضوح أبعاد المؤامرة . وقد استهدفت الشيوعية فى تعاونها مع الأنظمة العربية والإسلامية العمل على تنفيذ خطة خطيرة فى مواجهة الاسلام بوصفه العدو الوحيد الذى يحول دون تقدمها : أولا : تشويه العقيدة الإسلامية وتقديمها لجمهور المثقفين فى صورة منتقصة أو موسومة بالتخلف لا تتناسب مع التقدمية والطموح إلى مواكبة التطور العلمى مع تخدير الإسلام بعبارات طيبة فى حق العقيدة الإسلامية التى ساهمت فى

مقاومة الاستعمار ولكنها لم تعد صالحة لما بعد ذلك . ثانياً : قمع كل مبادرة للتعلق باللغة العربية وبذر بذور اليأس فى نفوس المتشبثين بها واعتبار المطالبة بالتعريب موقفاً غير عملى ونابع من عاطفة التعلق بالتراث والتزمت والانغلاق عن العصر وإعلاء شأن اللهجات المحلية والتراث السابق للإسلام . ثالثاً : المطالبة بأن تمتد التربية الإلحادية والثقافة الشيوعية إلى فصول رياضة الأطفال بعد أن تركزت ونمت فى مراحل التعليم العليا . رابعاً : المبادرة بإلغاء الشريعة الإسلامية فى قوانين الأحوال الشخصية والعمل على تفكيك الأسرة المسلمة وتهديم بنيانها وقطع جميع العلاقات الإنسانية (أبوة — أمومة — أخوة — صهر — نسب) بيين أعضائها خامساً : المطالبة بمنع قيام الأبوين من القيام بواجبيهما فى تربية أولادهما عن طريق إنتزاع الأطفال وإلحاقهم بالمؤسسات . . سادساً : إلغاء التزام الزوجة بطاعة زوجها أو معاملة أهله بالمعروف وإلغاء ركنى الزواج الأساسيين : الصداق والولى والنفقة الواجبة على الزوج أثناء الزوجية وفى فترة العدة لأن النفقة رمز تفوق الزوج على زوجته مما يتنافى مع الروح التقدمية

وقد تبين بوضوح أن التيار الإسلامى وهو الخصم الحقيقى للشيوعية وهو القادر على مواجهة هذه السموم كلها وكشف هذا التيار الذى غيبته القوى المتآزرة ووجهت له فى مصر أشرس الضربات حيث صدر فى موسكو الحكم بإعدام عدد قادة الحركة الإسلامية عام ١٩٦٥ م

(٣)

شيخوخة الماركسية

تكاد الوثائق التى تكشفت عنها الأحداث اليوم أن تجمع على دخول الفكر الماركسى والتجربة الماركسية كلها مرحلة « المحاق » والشيخوخة والهزيمة والإنهيار ، فالشيوعيون اليوم يواجهون هزائم متوالية فى كل مكان فى الاتحاد السوفيى نفسه وفى الغرب الأوربى وفى العالم الإسلامى ففى الاتحاد السوفيتى تبدو هزيمة الفكر الماركسى اللينينى واضحة فى التنصل من ماركس ومن الرخصة اللينية ، وهناك تراجع شامل فى النظرية والتطبيق وفى الغرب نجد المحاولات الصريحة للتحرر من التطبيق الماركسى اللينينى فى تجربة يوغسلافيا وتجربة براغ والأمر يختلف الآن عن عام ١٩٦٨ عندما عبرت دبابات حلف وارسو حدود تشيكوسلوفاكيا من

كل صوب وسحقت التجربة الجريئة تحت جنازيرها (تجربة دوتشيك) أن الأحزاب الشيوعية الأوربية تعلن اليوم بوضوح وصراحة أنها لا تخضع للكرملين . وقد كشفت بوضوح فى كتابات متعددة رفض تنفيذ النموذج المطبق فى الاتحاد السوفيتى والكتلة الشرقية والدعوة إلى برامج منبثقة من واقع وطنهم الاقتصادى والاجتماعى والثقافى وهم يرون أن النموذج السوفيتى قد فشل من الناحية الانسانية خاصة فى مجال الحرية الفردية . وقد كشف هذه المعانى كثير من الباحثين فى مقدمتهم (سانيا جوكاريلو) فى كتابه البوركومبو تزم والدولة (أى الشيوعية الأوربية والدولة) وأن هذه الأزمة بدأت عام ١٩٥٦ عندما ألقى خروشيف بقنبلته وكشف الحجاب عن فظائع ستالين الأمر الذى أصاب الحركة الشيوعية العالمية بهزة عنيفة أدت إلى إنفصال الصين من الاتحاد السوفيتى عام ١٩٦٠ بعد أن انطلقت منها أيدلوجية خاصة هى الماوية نسبة إلى (ماوتسى تونج) . والآن تولد أيدلوجية جديدة اسمها الشيوعية الأوربية تنطلق من دول متقدمة اقتصادياً والحريات فيها متوفرة ويرى المراقبون أنها ستكون بعيدة الأثر فى تحطيم جدار الحركة الشيوعية . وقد حاول برجنيف جمع شمل الأحزاب الشيوعية بعد إعداد دام سنتين فلما اجتمعت الأحزاب الشيوعية فى برلين (يونيو ١٩٧٦) فشل المؤتمر ولم ينجح وبدأت موسكو تواجه انتقادات الأحزاب المنشقة : الأحزاب اليوغسلافية والرومانية والإيطالية والأسبانية وقد أعلنت استقلالها عن موسكو . ولخص سنتياجو فى كتابه ما يأخذه الشيوعيون الأوربيون على موسكو فقال إن فى موسكو طبقة من البروقراطية للتمتع بسلطة سياسية لا حدود لها إذ أنها تأخذ قراراتها دون استشارة الشعب ولا حتى الحزب . ويقول إن طبيعة المجتمع السوفيتى من شأنها أن تعطل النمو الاقتصادى وبالتالى لن يحقق الاتحاد السوفيتى بوضعه الحالى : الشيوعية ، وأن الخطأ هو أن مو سكو اعتبرت الحركة الشيوعية كنيسة وأن موسكو هى الفاتيكان وبالتالى فقد شنت واشنطن هجوماً شديداً على الشيوعية الأوربية . أما فى داخل روسيا فإن الأمر أشد خطورة : يقول أحد المراقبين فى تقرير يصف هذا التحول : « إن موسكو الآن تعانى من ثورة عارمة تمردت فيها فصائل اليسار على قيادة الكرملين وقد بدت على السطح مرحلة من المواجهة الساخنة بين الاتحاد السوفيتى وبين التيار المتصاعد للحركة القومية داخل الأحزاب الشيوعية سواء فى ذلك الأحزاب الأحرار الأوربية فى فرنسا وإيطاليا وأسبانيا والبرتغال ، أو الأحزاب الاسيوية فى الهند وسرى لانكا وكوريا واليابان . هذا التيار المتصاعد يشكل الانقلاب النهائى للحركة الدولية فى قبضة الكرملين.

وهو الأمر الذى بدت بواكيره الأولى بانشقاق يوغسلافيا ١٩٤٨ ثم أعقبه الانشطار الاخر بالانشقاق الصينى ١٩٦٠ وموضع الخطر بالنسبة لموسكو هو أن انتشار الثورة على (الكرملين) من جانب الأحزاب الشيوعية فى أوربا الغربية سوف يؤدى إلى تعقيدات خطيرة عبر الامبراطورية الروسية فى أوربا الشرقية بالذات حيث تعسكر فيالق الجيش الروسى لضمان السيطرة الروسية على دول الستار الحديدى وقد أثبتت التقارير أن للسوفيت واحد وثلاثين فيلقاً من جيوشها المدربة فى دول أوربا الشرقية وهى آمنة فكيف تكون حاجتها إذا إنتشرت الثورة فى الإمبراطورية الروسية كرد فعل لتمرد الأحزاب الشيوعية الغربية على سيطرة الكرملين . إن الخطر الذى يواجه القيادة السوفيتية بفقدانها للعالم الشيوعى ليس مجرد خطر سياسى أو سيكولوجى فحسب ولكنه خطر ينطوى على كثير من التعقيدات العسكرية والاستراتيجية بصورة أشد ، ذلك أن موسكو مقبلة اليوم على مرحلة تقع بين محظورين : بين عالم شيوعى قد رفعها عالم رأسمالى لم يقبلها والنتيجة المحتوية هى العزلة العسكرية والسياسية على السواء . وهذه أولى ملامح التغير المرتقب فى ميزان القوى . ويكشف المراقبون أن نتيجة هذا كله هو أن تراجعت الماركسية اللينية تراجعاً كاملا فى النظرية والتطبيق وأن عملية التراجع شملت بلدانها تقريباً أولا : يوغسلافيا ورومانيا . ثانيا: تشيكوسلوفاكيا وهنغاريا وبولندا .
ثالثاً : مناطق يسيطر عليها الاتحاد السوفتى سيطرة مباشرة : ألمانيا الشرقية وبلغاريا .
رابعاً : حركة المنشقين والأصوات المطالبة بالتغيير يعلو صوتها وتلقى قمعاً صارماً من السلطات.
وفى الصين : أعلن رئيس وزراء الصين أن المعسكر الاشتراكى أصبح شيئاً لا وجود له ، وأن الصين تنتمى إلى دول العالم الثالث وقال إن الوجود الأمريكى فى آسيا مهم لنا وذلك لموازنة النفوذ السوفيتى المتزايد وفى الصين يبنون القومية الصينية ويتركون الروح المحلى ويغلبون الإقليمية على الأممية الشيوعية . وبذلك انهزمت كل تصريحات الأممية والوحدة والطبقة والمادية المحلية وتقهقر الفكر الشيوعى فى غرب أوربا وارتبط بالفشل فى التطبيق العملى فى شرق أوربا الذى كشف عن أخطاء النظرية وخبالها وضلالها وكذلك فشلت التجربة الاشتراكية فى مصر والعراق والسودان وأندونيسيا وتنزانيا وغيرها وتراجعت أكثر البلدان فى مجال التطبيق الاشتراكى وشهد النصف الثانى من القرن العشرين النهاية الحاسمة للشيوعية فكراً وممارسة .
وهذه النهاية جاءت على أيدى الشيوعيين أنفسهم فى نفس الوقت الذى انهار فيه النظام الرأسمالى .

(٢) يقول الأُستاذ لمعى المطيعى جاءَت الذكرى السنوية لثورة أَكتوبر الاشتراكية فى لاتحاد السوفيتى ١٩٧٧ والخلاف حاد ومستحكم بين الصين وروسيا وينمو اتجاه مستقبل محايد إزاء الصراع الصينى السوفيتى يتمثل فى يوغسلافيا وكوريا وفيتنام ورومانيا وداخل الدول الشيوعية يتصاعد اتجاه الاستغلال من النفوذ السوفيتى ، وفى داخل الاتحاد السوفيتى تظهر حركة المنشقين التى تمتد لتشمل عناصر مرموقة من الكتاب والمفكرين وهناك الشيوعية الأُوربية التى ترفع لواءِ التمرد على حق الاتحاد السوفيتى فى السيادة الفكرية على الأَحزاب الشيوعية الأُخرى وتعلن التخلى عن مبدأ ديكتاتورية البروليتاريا وتؤيد الديمقراطية البرلمانية وكل هذه الأَفكار خروج صريح على قيادة ثورة أَكتوبر وخروج واضح على أَفكار ماركس ولينين التقليدية . وتعد ثورة أَكتوبر : النموذج العملى لتطبيق الماركسية اللينية ومن هـذا المنطلق أَعلن المؤتمر الأَول للكومنترن (٧ مارس ١٩١٩) الشروط الأَساسية ومن هذه الشروط الأَساسية الوصول إلى السلطة بالعنف الثورى وتأْييد الاتحاد السوفيتى دون تحفظ . ولم يدر بذهن ماركس ولا بذهن لينين أَن يأْتى يوم تتنكر فيه أَحزاب شيوعية لمبادىء الولاء المطلق للاتحاد السوفيتى ودكتاتورية البروليتاريا والعنف الثورى (وقد أَعلن الحزبان الشيوعيان الفرنسى والإيطالى النخلى عن مبدأ ديكتاتورية البروليتاريا وإمكانية الوصول إلى السلطة عن طريق الانتخابات البرلمانية) . وهناك الخلاف بين الصين الشعبية وبين روسيا منـذ عام ١٩٥٦ وعدم التقيد بنموذج التجربة السوفيتية أَو توجيهات الاتحاد السوفيتى وما أَعلنه (سانتاجو كاريللو) فى أَسبانيا من أَن النظام الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى نظام لا يصلح للتطبيق فى المجتمع الأُوربى المتقدم . ويرى السوفيت أَن الشيوعية الأُوربية تمثل تهديداً مباشراً لنفوذهم أَخطر من أَى تهديد سياسى يمثله الرأْسماليون الأُوربيون ، كما يعد اتجاه الشيوعية الأُوربية أَخطر انشقاق فى صفوف الشيوعية الدولية فى العصر الحديث وإن مؤتمر برلين الشرقية قد انتهى بهزيمة ساحقة للفكرة السوفياتية التى كانت تقوم على مبدأ قيادة الاتحاد السوفيى للحركة الشيوعية العالمية » وقد تبنى مؤتمر الأَحزاب الشيوعية وثيقة جديدة لتحديد العلاقات بين الأَحزاب تنص على المساواة والسيادة والاستقلال لكل من هذه الأَحزاب وعدم تدخلهـا فى الشئون العامة على أَن يطور كل حزب لنفسه ذاتياً وهذا يعنى سقوط قيادة الاتحاد السوفيتى للأَحزاب الشيوعية ، وهذا هو التمزق الجديد بعد التمزقات التى مضت ، ماركسيتانوشيوعيتان فى الصين وروسيا ، ثم أَخذت دول أُوربا تتخلص أَولا بأَول من نفوذ القيادة الروسية (تيتويوغسلافيا، رومانياتشوسيسكو)وهاهو انشقاق الأَحزابالأُوربيةعن الفكرة الماركسية اللينية

كعقيدة ومبدأ والاتحاد السوفيتي كقيادة . هذا وقد أخذ بريق الماركسية بعد مائة وخمسين عاماً من عمرها ينطفىء ولم يعد من المسلم به القول بأن الماركسية دين لا يخطىء أو أنها تنفرد بالوحدانية فى التنمية الاقتصادية . إن التطبيق الحرفى لافكار انبعثت فى ظروف القرن التاسع عشر لابد أن تؤدى إلى موقف رجعى فى النصف الثانى من القرن العشرين حيث التقدم العلمى والتكنولوجى المذهل . وقد ثبت أن المادية العلمية والماركسية اللينية قد فشلت بعد هذا العمر الطويل فى أن تكون وسيلة للتفكير .

(٣) ويقول الدكتور مهدى بن عبود : بعد أن تناول بالبحث هذا الطور الخطير من الشيوعية : أن الماركسيون اليوم يدركون أن الشيوعية نوع من الإكراه الذى لا يقوم إلا فى فترات الشيخوخة عند الأمم أو سيخوخة الحضارات المتمثل فى ذلك الرعب المنشر تدريجياً بين الأفراد ضمن العائلة الواحدة يقول المفكر الفرنسى ديبلسى فى كتابه حياة الحضارات وموتها : إن الشيوعية بدلا من أن تكون نقطة بداية هى فى الواقع نقطة نهاية لنوع حضارى ، ولهذا يصفها الغرب بكلمة « الأزمة» فهى نوع من أنواع الأزمات فى القرنين ١٩ ، ٢٠ بدلا من أن تكون ترياقاً أو علاجاً وقال إن تركيز السلطة فى الدولة عرض من أعراض الشيخوخة لهذه الدولة وللفترة الزمنية التى تعيش فيها » . يقول ومع هذا فإن القوى التلمودية الصهيونية ما تزال تدفع الدول السوفيتية إلى السبق العسكرى فى مجال الصواريخ والتفوق البحرى على النحو الذى تورده وكالات الأنباء ووفقاً لتصريح كبار رجال الحكومة الحفية الذى أعلن أن الحرب العالمية الأولى صنعت الدولة الشيوعية وأن الحرب العالمية الثانية وضعتها على مستوى أقوى الدول الغربية وأن الطريق أصبح ممهداً لحرب عالمية ثالثة تسيطر فيها الشيوعية الصهيونية وقد تنافست القوتين الشيوعية البلشفية والرأسمالية الغربية خلال ما بعد الحرب العالمية الثانية بما انتهى إلى سياسة الوفاق وقد واجه العالم الإسلامى كلا القوتين وانكشف فساد الأيدلوجية الغربية كما تبين فساد الأيدلوجية الشيوعية .وأصبح العالم الإسلامى والبلاد العربية اليوم تتجه إلى تحقيق نظام إسلامى يستمد كيانه من الشريعة الإسلامية وتطبيقات الاقتصاد الإسلامى والنظام السياسى الإسلامى .

(٤) وتتحدث الان درسات الباحثين والمعلقين والمراقبين عن شيخوخة الماركسية وهزيمتها ويتساءل أندرى أماتريك فى كتاب له : تحت عنوان هل يبقى الاتحاد السوفيتى حياً حتى عام

١٩٨٤ وهو الكتاب الذى تنبأ فيه بأن النظام الشيوعى سوف يتفسخ وينحل نتيجة الاختناقات الاقتصادية والعدواة القومية وكذلك بسبب نشوب حرب مع الصين الشعبية وقد نشر الكتاب فى عدة دول غربية عام ١٩٧٠ . كذلك فقد أجرت مجلة يو : اس نيوز أف وورلد الأمريكية (١٩٧٦) استطلاعاً لمجموعة من كبار السياسيين فى الحكومة الأمريكية فيما ينتظر الحركة الشيوعية العالمية خلال الحقبة القادمة ، وقد تكهن هؤلاءالمعلقون السياسيون بأن التصدع المستمر والتفكك المضطرد سوف يكونان السمة البارزة للحركة الشيوعية الدولية خلال السنوات العشر القادمة وتتحدث التعليقات عن أن الخلاف الأيدلوجى العميق الذى دب بين موسكو وبكين بمثابة بداية النهاية للحركة الشيوعية بغض النظر عمن يتولى السلطة فى بكين وموسكو وأن الشيوعية تتعرض للتفكك خلال السنوات القادمة . وقد أشارت برقيات بكين (١٩٧٧-١٢-٣١) إلى ما أسمته هزائم متوالية للسوفيت فى العالم العربى فأعلنت أن دولا فى العالم العربى أعلنت رفضها ومقاومتها للسيطرة السوفيتية خلال عام ١٩٧٧ فقد ألغت مصر والصومال معاهدتى الصداقة مع الاتحاد السوفيتى وقد اضطر الاتحاد السوفيتى نتيجة لذلك إلى الإنسحاب من المراكز الاستراتيجية من قناة السويس ومدخل البحر الأحمر . وقد جاءت هزيمة الاتحاد السوفيتى بعد أن عانى العرب من تدخل السوفيت وسيطرتهم وتخريبهم .

(٥) يقول وحيد محمد عبد الحميد : لقد اضطرت الشيوعية فى مؤتمر الحزب الفرنسى (فبراير ١٩٧٦) إلى إلغاء النص على ديكتاتورية البروليتاريا وكان جورج مارشيه سكرتير الحزب فى كتابه التحدى الديمقراطى قد عارض هذا المصطلح وطالب بإلغائه ، وكذلك طرح الحزب الشيوعى الإيطالى صيغة التسوية التاريخية القائمة على استيعاب التيارات الثلاث الرئيسية فى المجتمع الإيطالى ، وهى الكاثوليكية والاشتراكية والشيوعية . وهذا فى حد ذاته يعبر عن أزمة حقيقية يعانى منها الفكر الماركسى اليوم فى ظروف الثلث الأخير من القرن العشرين : أزمة تناقض بين المقولات النظرية التى كان الماركسيون يعدونها إلى وقت قريب فى عداد المسلمات وبين الواقع السياسى ومقتضيات الحركة السياسية فى المجتمعات الليبرالية التى تأصلت فيها قيم الديمقراطية إلى حد أصبح من الصعب إن لم يكن من المستحيل اقتلاعها . لقد توارى الحديث عن الاستيلاء على السلطة بالعنف أو الانتفاضة المسلحة التى تميز الأدب الماركسى فى الثلث الأول من هذا القرن ليحل محله الحديث عن الأسلوب البرلمانى . هذه الأزمة ليست مجرد أزمة تناقض ذاتية محصورة داخل كل مجتمع على حدة وإنما هى ذات بعد عالمى هام

يترك آثاراً واضحة وخطيرة على الحركة الشيوعية العالمية فى مجملها وبالذات على علاقات هذه الأحزاب بالاتحاد السوفيتى الذى كان يمثل إلى وقت قريب محور الحركة الشيوعية العالمية . نقول وهكذا أصبحت « ظاهرة تقلص دائرة النفوذ السوفيتية فى البلاد الشيوعية حقيقة قائمة ونحن الذين نرفض الايدلوجيات الغربية : رأسمالية وشيوعية إنما نعرض لهذه الظاهرة لنكشف عن فساد هذه الأيدلوجيات وتضاربها وأنهيارها فى القريب بعد أن فقدت مسببات وجودها ولم تستطع أن تحقق شيئاً للشعوب التى تطلعت عليها أول الأمر وظنت أنها ستقدم لهم الفردوس الأرضى ، كذلك فهى تصحح مفاهيم العرب الذين تصوروا عندما أدخلوا الاتحاد السوفيتى إلى الشرق الأوسط عام ١٩٥٥ أنه سيساعدهم على تحرير نصف فلسطين فاكتشفوا بعد اثنى عشر عاماً أنه ساعدهم على إضاعة كل فلسطين ١٩٦٨ .

(٦) أعلن ولتر روستو وشلبرنجر وريمون أرون أن كل النظريات ومنها الاشتراكية العلمية قد عفى عليها الزمن وأن السيادة قد انتقلت الآن إلى الأفكار . وكتب أرون تحت عنوان (نهاية الأيدلوجية وبداية النهضة الجديدة للأفكار) : لقد سبق العالم كل الأيدلوجيات القديمة ليصل إلى استراتيجية عالمية أكثر مرونة وحيوية ، وأدان الأيدلوجية الاشتراكية العلمية التى تعبر عن مصالح الطبقة العامة والجماهير الكادحة وقد أصبحت مجموعة من العقائد الجامدة التى تتعارض مع الواقع . وقد أصبحت فكرة الصراع الطبقى باعتبارها الوسيلة الوحيدة لتحقيق مصالح الجماهير الكادحة وقال رستو : إنه يمكن للبلاد المتخلفة أن تتقدم بطريقة مرضية دون نظرية الاشتراكية . وكشفت كتابات أخرى كثيرة عن أن الاشتراكية الماركسية والشيوعية هما إسمان لمسمى واحد ، وإن بدا اليوم أن كل منهما يمثل مذهباً خاصاً إلى حد النضال والخصومة ، والفرق بين الاشتراكية والشيوعية أن الاشتراكية ترمى فى النهاية إلى الشيوع بينما ترى الشيوعية أن جميع الثروات الاجتماعية مجموع يستهلك الفرد منه بقدر ما يسد جميع حاجاته وليس فقط بقدر ما يناسب خدماته . ولقد كانت باطلة تلك الدعوى التى حاولت أن نتسب إلى الإسلام مفهوماً اشتراكياً على هذا النحو فإن الإسلام لم يعرف الإشتراكية بمعناها الحديث ، ذلك أن الإسلام من الناحية الاقتصادية يحمى الملكية الشخصية ويحيطها بكل الضمانات الشرعية ويحمى حرية الفرد فى الطموح والعمل ويحمى ثمرات عمله وتحصيله ولا يسمح للدولة أن تتدخل فى حرية الفرد الاقتصادية إلا فى أضيق الحدود ومن الحق أن نظرة الإسلام إلى المال ليست نظرة الرأسمالية ولا نظرة الاشتراكية فالملكية للمال

فى الإسلام ملكية خاصة ومنفعة المال الخاصة فيه منفعة عامة وتقوم هذه النظرة على مبدأين : (المبدأ الأول) : استخلاف الإنسان فى الحياة الدنيا على المال وتفويضه عن المالك الحقيقى وهو الله تبارك وتعالى فى جمعه وتنميته واستثماره وإتفاقه وعلى هذا المبدأ تتأصل الملكية الخاصة للمال أى تكون هى الأصل ولا تخرج عن هذا الأصل إلا للضرورة : كضرورة الحفاظ على وحدة الأمة ، (المبدأ الثانى) : إن منفعة هذا المال الخاص هى منفعة عامة للمالك ولفترة من أصحاب الحاجة فى الأمة أى لا تستتبع الملكية الخاصة للمال : المنفعة الخاصة به لمالكه . فالإسلام يجعل المال مملوكاً للفرد ، ولا يلغى الأغنياء ، ولا الدافع الفردى ولا يسحق الفقراء أو يظلمهم : ففى الإسلام الزكاة والصدقة فإذا لم تنهض الزكاة بحاجة المسلمين وبقى منهم محتاج فللحاكم أن يأخذ من مال الله لفقراء الله . والناس متفاوتون فى الرزق أو فى المال ولهم مستويات مختلفة فى ملكية المال .

(٧) كشفت كتابات كثيرة إرتباط الفكر الشيوعى بالصهيونية ، وفى مقدمة هذه الأعمال والدليل الوثيق عليها كتاب محمد سيد أحمد المريب « بعد أن تسكت المدافع » الذى يقترح وضع المال العربى فى يد الرأسماليين اليهود . وهو خيط من خيوط مختلفة تتصل بمحاولات الماركسيين العرب فى خداع المسلمين والعرب بمحاولة الجمع بين الماركسية والإسلام أو بين الصهيونية والعرب وكل هذا يتطابق مع المعروف تاريخياً من أن ماركس هو تلميذ مؤسس النظرية الصهيونية (موشه هيس) وأى ماركس هو حفيد الحاخام مردخاى ثم إن فكرة الطليعة الشيوعية هى اسم عصرى لفكرة استعلاء شعب الله المختار ويتصل بهذا أن لينين أصدر إبان الثورة الشيوعية عام ١٩١٧ قرارين يوضحان العلاقة الوثيقة بين الشيوعية والصهيونية هما . (أولا) العداء لليهود جريمة يعاقب عليها القانون . (ثانياً) تأييد الحق الكامل لليهود فى بناء وطن لهم فى فلسطين وأن هذا قد ارتبط بالمؤامرة على الخلافة الإسلامية منذ قيام الانقلاب الماسونى بقيادة الاتحاديين أولا ثم بقيادة أتاتورك . ولا شىء يزعج الشيوعية مثل ما يزعجها المد الإسلامى ، وقد أشارت الصحف إلى ما انتاب الكرملين (يوليو ١٩٧٤) من موجات القلق والتوجس بسبب تزايد انتشار اعتناق الإسلام فى الأطراف المترامية على الحدود الروسية وذيوع مبادىء وتعاليم الإسلام ، فقد دفع الغضب من هذه الموجة قادة الحزب الشيوعى لاتخاذ إجراءات عنيفة لصد تيارات هذه الموجة ووقف مدها المتزايد سواء فى داخل الاتحاد أو فى الدول الموالية له فى منطقة جنوبى شرقى آسيا إلى درجة إلقاء القبض

على كل من أعلن إسلامه ثم صدر الحكم بإعدامه وأكدت الأنباء التى تسربت رغم التشديد بعدم نشرها أن من يصدر عليه الحكم بإعدامه بتهمة اعتناق الإسلام كان يتغنى فرحاً وهو يساق إلىساحة الإعدام ويردد مزهواً : (لا إله إلا الله . محمد رسول الله) . كما أصدرت قيادة الحزب الشيوعى أوامرها بضرب القوى التى يشيع فيها اعتناق الإسلام وإعدام أهلها وحرق دورهم بالقنابل وتكليف مائة طائرة حربية بالمهمة الوحشية لإبادة القرى التى أعلن الإسلام فإن وكالة (رويتر) ذكرت أن عدداً كبيراً من أعضاء الحزب الشيوعى فى إقليم (أوزهاريا) المتاخم للحدود التركية قد أعلنوا اعتناقهم لدين الإسلام وأقاموا شعائره الدينية وأن عدد المسلمين فى المنطقة المظلمة على البحر الأسود فى تزايد . وما تزال الأيام تكشف كذلك تمزق العلاقات السوفيتية مع الدول العربية بعد أن رفع القناع عن وجهه - قالت صحيفة لورو الفرنسية (عن الأخبار ٢١ أغسطس ١٩٧٧) أن الاتحاد السوفيتى يواجه معارضة من جانب الذين قدم لهم بعض المساعدات أو الذين أرادوا فرض نظامه الاقتصادى والسياسى على شعوب عرفت بروحها التحريرية وقد اتضح فشله الذريع فى شمال أفريقيا والشرق الأوسط وبدأ العالم العربى فى الابتعاد عنه ففى غضون أربع سنوات فقد السوفيت مواقع هامة تتمثل فى مصر والسودان ثم اليمن الشمالية والصومال وموريتانيا .

(٤)

اليقظة الإسلامية تكشف الزيف

كشفت حركة اليقظة الإسلامية فساد النظرية التى طرحتها الشيوعية فى أفق الفكر الإسلامى وهى أنه لا الشيوعية ولا الماركسية يمكن أن تقيم بينها وبين الإسلام أى لقاء أو تعارف ، لأن كليهما اتباع فكر بشرى بينما الإسلام منهج ربانى بل إن مجرد المقاونة بينهما لا تصح علمياً إذ كيف يمكن المقارنة بين رأى من نتاج عقل بشرى - والعقل البشرى يخطىء ويصيب وله أهواءه وتصوره - وبين تنزيل إلهى ، فالإسلام فوق اليمين واليسار والتقدم والرجعية ، ذلك أن الشيوعية إنما جاءت رداً على تحديات الرأسمالية فهى تصلح بالمقارنة إليها ، لاتصالها به وصراعها معه ، أما الإسلام فهو شىء آخر ، بعيد عن هذه عن هذه الصراعات والمقابلات فالشيوعية قامت بحجة مواجهة مجتمع صناعى ، وفى المجتمع الصناعى عنصران : عنصر العمل وعنصر رأس المال . ونحن أمام نظريتين متعارضتين بدت كل منهما على طرف النقيض من الأخرى ، وهما مع مرور الزمن لم يتدابرا ، بل اقتربت

النظريات ، وكلا النظريتين خطأ ، والصواب هو النقطة التى يدعى كل منهما أنه يسعى إليها ، أما الإسلام فإنه يقدم الحقيقة الناصعة ، وقد أثبت الواقع التطبيقى خطأ الرأسمالية لأنها لا تصلح نظاماً للحياة وخطأ الاشتراكية لانها لا تصلح نظاماً للحياة . فى الرأسمالية فكر بشرى أخطأ ويحاول تصحيح نفسه فى التطبيق أما فى الإسلام فإن الذى قدم لنا المنهج حمانا من خطأ التطبيق . وكشف بطلان النظرية الاقتصادية الرأسمالية والماركسية السواء .

وإذا وجدنا فى مجتمعنا الإسلامى ضعف أو خلل فمعنى ذلك أن تطبيقنا كان خطأ أو أننا لا نطبق ما أمر الله به ، وإذا وجدنا ضعفاً أو خللا فلابد أن حداً من حدود الله قد عطل . لقد جاء الإسلام ليجعل الغنى سخياً وليرفع همة الفقير عن السؤال ، ولقد جفت ينابيع الخير فى البلاد التى أخذت بالشيوعية وتعطلت بالمواهب وسيطرت فئات بالعنف والقسوة على أهل البلاد وشاع الفساد وضعفت الهمم ، ولقد تبين أن الادعاء بالاشتراكية هو أقصر طريق للحكم ، لذلك يسير وراءها هواة الحكم والراغبون فى السطرة ، ينشرون البغضاء بين الطبقات تحت شعار تحرير الشعوب . ولقد تبين أنه من الأكاذيب القول بأن الاشتراكية يمكن أن تشكل سداً أمام الزحف الشيوعى لأنها تحقق العدالة الاجتماعية والتوزيع العادل للثروة الوطنية ذلك أن الاستعمار الجديد يعتبر الشيوعية إحدى أدواته الحاسمة ولا تملك الاشتراكية إلا أن تكون جزءاً من التيار العالمى المرتبط بموسكو وبكين . ولا ريب أن أخطر أخطار الاشتراكية تحويل ولاء المواطنين من الدين أو الأرض نحو الطبقة وقد دعا خروشوف المصريين إلى أن تكون الاشتراكية هى أساس الوحدة العربية وليس القومية . وقد كشفت حركة اليقظة الإسلامية : استحالة التنسيق بين الإسلام باعتباره وحياً من الله سبحانه وتعالى وبين الماركسية بما تقوم عليه من إنكار لوجود الله وبما ترتكز عليه من تفسير مادى لأصل الكون ولحركة التاريخ وأن الماركسية تنتهى فى التطبيق إلى تحطيم الفرد والمجتمع عقيدة وأخلاقاً وقد أهابت المؤتمرات الإسلامية المتعددة بالعمل على وقاية أبناء المسلمين من أخطار هذا المذهب والعمل على سد الطرق والمفارق التى يسلكها العمل على استبعاد أصحابه ومحاربة أفكارهم فى أجهزة الأعلام والتربية فى المدارس والمعاهد والجامعات . كذلك تعددت الأبحاث الجادة التى تكشف عن الفوارق العميقة بين الإسلام والاشتراكية باعتبار أن الإسلام عقيدة والإشتراكية نظام اقتصادى وأنه لا وجه للمقارنة بينهما فالماركسية فكر بشرى والإسلام دين الله الحق ، والفكر البشرى يجوز عليه الصواب والخطأ والصلاحية لزمان دون زمان . وأن قيم الإسلام

أصيلة ثابتة لا يجوز تجاوزها وأن فكرة كون الإسلام يتجدد أو يخضع لعامل الزمن فى تطوره هى فكرة استعمارية فالمبادىء القطعية الأساسية فى الشريعة لا تقبل التطور : كأداء الأمانات والحقوق إلى أصحابها والتزام العدالة فى القضاء والشهادة والتراضى فى العقود وقمع الإجرام وسد الذرائع إلى الانحراف . وهذه الأصول الثابتة التى يقوم عليها الإسلام تجعل من العسير على دعاة المذاهب : ماركسية وشيوعية وديموقراطية أن يصلوا معه إلى شىء ، لأنهم يتحركون فى إطار دعوات مرتبطة بعصور معينة أو بيئات معينة ، تختلف باختلافها وتتعثر بتعثرها بينما يقف الإسلام كالطود قادراً على مواجهة مختلف ظروف البيئات والعصور . ولا ريب أن هذه المحاولات ترمى إلى سلخ المنهج الإسلامى من صفته الربانية العالمية الجامعة وجعله إقليمياً أو قومياً بهدف الإجهاز على الشخصية الإسلامية التى تستمد وجودها من هذا المنهج فهو على لسان القوميين نهضة عربية فى عصر من عصور التاريخ ، وهو على لسان الماركسيين ثورة تمثل مرحلة من مراحل التاريخ الإنسانى القائم على أساس التفسير المادى ، والغرض من هذه التعابير المسمومة هو القول بالباطل بأن هذه الرسالة الخالدة العالمية شأنها كسائر النظريات الوضعية خاضعة لظروف الزمان والمكان وليست بالرسالة الخالدة التى تكسب هذا الخلود من مصدرها الربانى وكمالها المطلق .

(٢) وكشفت حركة اليقظة الإسلامية عن أن تجربة الصداقة الروسية فى سنواتها العشر كانت مرحلة حرث لبنى إسرائيل كما تقول الدكتوره بنت الشاطىء : « تسجل وثائق تاريخنا الحديث أن البولشفية كانت تعتمد على خدمات اليهود وأن نشاطها كان مسايراً لمراحل البرنامج الصهيونى لتحقيق علم بنى إسرائيل على أرض المعاد ، السنوات العشر السابقة على قرار التقسيم (٣٧ — ٤٧) شهد ما يشبه موجة مد شيوعى تكلفت مؤسسات وأفراد من اليهود بتوجيهه وتمويله . وفى مصر كانت دار الكاتب المصرى للطباعة والنشر متطوعة لخدمة الفكر الإسلامى وإثرائه بترجمات لروائع الدراسات اليهودية للإسلام مثل كتاب اليهودى المجرى جولد سيهر عن الشريعة والعقيدة فى الإسلام . كانت مكتبة اليهودى كوريل مركزاً لتوجيه الحركة الشيوعية فى مصر والسودان وتمويل شعبها وكانت تحمل اسم (دار القرن العشرين) شعاراً للتقدمية وإعلاناً عن عصريتها ودعوة جذابة للشباب الذين كانوا يلتمسون زاداً عصرياً ، قدمت بضاعتها وليس فيها كتاباً عن الصهيونية بل الزاد كله من أدب الدعاية الروسية والفكر الصهيونى باللغات الثلاث . كذلك حملت الخلايا الشيوعية والجمعيات

اليسارية ومجلاتها أسماء (الفجر ـ البعث ـ الجديد ـ الطليعة ـ الضمير ـ جماعة البحث العلمي دار الأبحاث العلمية ، النادي التقدمي) وكانوا زملاء دراسة في الجامعة ليسوا عندي بموضع ريبة أو اتهام . ولقد تبين أن الفكر الماركسي : رجعي متخلف وأن نسج أصحابه بدعوى العصرية فهو يقوم على عبادة الزعماء وإصرارهم على الحج إلى قبر لينين ، أما الإسلام فإنه يفرض حرية الكلمة إلزاماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والساكت عن الحق شيطان أخرس ، فهل يباح لمفكر روسي أن يجهر بنقد عمل أو قول لقادة المذهب وهل يسمح لمواطن أن يرفض المذهب. أن الشيوعية قد جحدت الأديان ثم ما لبثت أن صيرت المذهب عقيدة وديناً فهل كانت القضية أن يستبدل الإنسان العبودية لخالقه وحده عبودية لأرباب من البشر . الشيوعية كشفت سوآت رجال من الكهوف وبشرت بتحرر الشيوعية من إعلامهم ثم ما لبثت أن أفرزت طبقة من الكهان أخرى ، من الرهبان والأحبار ، فهل كانت القضية أن يبدل الإنسان براسبوتين عشرات ومئات من أمثاله . ولقد توقعت أن ينحسر مد الإلحادية المادية بعد أن يبلغ ذروة العنفوان أو ليس من طبيعة الأشياء أن يغفل الإنسان في عقله عن زيف نقدمية تحكي صدى ما قبل عصر الطوفان وخدع عصرية تتطور بالإنسان إلى ما دون الآدمية . وتقول الدكتورة بنت الشاطئ : هل درينا حقاً أن السنوات العشر للصداقة الروسية ٥٧ـ٦٧ كانت مرحلة حرث لبني إسرائيل ، فيما ألقت من بذور سامة في الموقع الفكري ، في محاضرات المثقفين الماركسيين وأغاني المطربين والمطربات وما أنتجت العبقريات الفنية من قصص ومسرحيات وقصائد للكتاب والشعراء الذين جاروا التيار وداروا مع الريح ، ومن فتاوى الذين تطوعوا بالتوفيق بين الشيوعية والإسلام وأفواج من شباب جامعاتنا قادة الغدأوفدوا إلى دول شيوعية بعثات للدراسات العليا. أن أغلب من تجردوا الفضح سنوات الشيوعية كانوا من كتاب مرحلة ما قبل التصحيح على امتداد عشر سنوات حين كان هم القيادة السياسية إقناع الشعب بما ربحته صداقة الروس : بناء السد العالي ومشروعات التنمية والتقدم والنفوذ السياسي في الدفاع بالمحافل الدولية عن حقنا الشرقي ورفض الصهيونية ووضع أسلحته المتطورة في خدمة معركة التحرير وأخذ دعاة الماركسية دورهم القيادي في مجال الإعلام والتبشير ومراكز التوجيه الأدبي والفكري فظهروا وكأنهم وحدهم المثقفون ودعاة التجديد وحواة التقدم وكل من عداهم متخلفون رجعيون يجترون من تاريخ الإسلام وعلومه أفكاراً بالية ، حتى انتهت تلك المرحلة حصادها المشئوم في الخامس من يونيه ١٩٦٧

ولم نـكن ندرى أنها مرحلة حرث لبنى إسرائيل ودفعنا ثمن الصداقة الروسية باهظاً من شرفنا وأمتنا ومن أرضنا ودمائنا .

(٣) وتـكشف الوثائق لعبة السلاح السوفيتى فى تحقيق حلم بطرس الأكبر فى الوصول إلى البلاد الإسلامية والعربية . يقول الأستاذ محمود الدرة : كان من سوء حظ الأمة العربية أن يفكر قادتها بعيوبهم وبالشعارات التى لفقها وزينها لهم الدجالون ليلعبوا لعبتهم الخطيرة على الحصان الخاسر فاعتمدوا لجيوشهم الثورية على السلاح السوفيتى فى صراعهم مع عدوهم الإسرائيلى . وجاءت سنة ١٩٦٧ التى برزت على سطحها ظاهرة ضرب طبول الحرب الفارغة عند العرب لتضرب إسرائل ضربتها القاصحة للظهور حالما أنار لها جونسون رئيس الولايات المتحدة الضوء الأخضر وصحونا على أنفسنا صبيحة (٥ يونيو) الأسود صحوة عبدالله الصغير الذى بكى على ملكه الذى أضاعه بيده فى الأندلس فتوصل الضمير العالمى بعودة أرضنا المحتلة لننهى صراعنا مع إسرائيل . لقد كسب الاتحاد السوفيتى عن طريق أعوانه فى عراق عبدالكريم قاسم وسوريا (صلاح جديد) وحقق لنفسه حلم بطرس الأكبر بالوصول إلى المياه الدافئة بلا ثمن يذكر ثم حقق ماهو أبعد من حلم ذلك القيصر فأقام قواعد عسكرية على شواطىء البحر المتوسط وفى قلب الشمال الأفريقى ثم بث نفوذه العسكرى والسياسى والاقتصادى والعقائدى فى أكبر من موقع فى الوطن العربى مقابل ما قدمه لمصر من سلاح ومصانع أخذ ثمنها أو من رهن انتاج مصر لما تبقى من الثمن » والذى قاله كل الباحثون والمراجعون هو أن عبد الناصر أول من فتح للشيوعية باب المشرق العربى الذى أدى إلى وصول هذا النفوذ الآن إلى القرن الافريقى والبحر العربى المسيطر على شبه الجزيرة العربية ودول الخليج وإيران والعراق . ثم رأى بنفسه كيف خذله الروس وعرضوه للهزيمة ومنعوه من بدء المعركة يوم ٥ يونيو حتى بدأتها إسرائيل وألحقت بالعرب أضخم هزيمة فى تاريخهم الحديث . فإذا ربطنا هذا بدور الاتحاد السوفيتى من أجل إيجاد إسرائيل وبقائها وتوسعها ، عرفنا مدى الدور الذى قامت به الشيوعية فى هزيمة العرب وتأييد الصهيونية وإسرائيل ، لقد اعترفت روسيا وإسرائيل فى الدقائق الأولى لقيامها ١٩٤٨ وأمدتها بالأسلحة عن طريق تشيكوسلوفاكيا وأمدتها بعشرين ألف مقاتل.ولما أعطت روسيا للعرب أسلحة دفاعية أدى هذا إلى أن تعطى الولايات المتحدة لإسرائيل أحدث ألوان الأسلحة الهجومية وكانت الموازنة أن يعطى لإسرائيل ما يفوقمايعطى للدول ماالعربية جميعاً حتى تظل إسرائيل متفوقة على العرب ، وكان

الدور رسيا الخفى من أجل التوسع الإسرائيلى ١٩٦٧ أنها هى التى أخبرت مصر كذباً بوجود حشود إسرائيلية على حدود سوريا وهى التى طلبت من مصر ألا تبدأ الحرب قبل فجر ٥ يونيو وهذا يكشف عن التنسيق الشيوعى الصهيونى ويكشف كثير من الباحثين حقيقة لا تقبل النقض وهى أن تسلل روسيا والشيوعية إلى البلاد العربية والإسلام جاء نتيجة لطبيعة السياسة الغربية وكراهيتها الدفينة للإسلام والمسلمين ، ذلك أن الغرب يعد (الأمة الإسلامية) تركة لا صاحب لها وهو يتحكم فى علاقتها بدينها ويرغمها على ترك ما يرى من شرائعها وإخفاء ما يكره من شعائره .

(٤) كشف الدكتور مصطفى محمود أخطاء الماركسية بعد أن اتصل بها اتصالا وثيقاً ثم نبذها فى عدة عناصر : أولا : اعتمد ماركس فى استنباط نظريته عن التاريخ عن بعض مراحل تاريخية دون الأخرى فكان ينتقى من التاريخ ما يوافق هواه ويهمل ما يتناقض فكرة وليس للقوانين التى استخرجها صفة الإطلاق على التاريخ كله ولا تصدق عليها صفة القوانين إنما هى تلفيقات وأقوى البراهين على ذلك نشأة الإسلام فلم يكن الإسلام قط من إفراز النظام الطبقى فى قريش ولم يكن ديناً رجعياً يحفظ للظالمين المستبدين أموالهم وامتيازاتهم ولم يكن مخدراً للفقراء ، دافعاً لهم قبول فقرهم ، فقد دعا الإسلام إلى التمتع بالحياة فى إعتدال ودعا إلى قتال الظالمين المستغلين ، ولم يأت الإسلام نتيجة انقلاب مناظر فى نظام الإنتاج وعلاقات الإنتاج فى قريش وإنما جاء كظاهرة قومية مستقلة عن البيئة وقد جاء الإسلام من البداية مقرراً المساواة فى الفرص وضمان حق الكفاية للمواطن وتحقيق التوازن الاقتصادى بين الفرد والجماعة وجاء بمبدأ الملكية الخاصة والملكية العامة ومبدأ الاقتصاد الحر الموجه وجاء بكل ذلك فى الجزيرة العربية فى وقت لم تكن ظروف الإنتاج وعلاقات الإنتاج تدعو إليه بحيث يمكن أن تقول أن ما حدث كان انبثاقاً من واقع اقتصادى وتحدى بذلك منطق الماركسية التاريخى وحساباتها المادية التى تحتم انبثاق كل انقلاب سياسى من انقلاب مناظر فى الإنتاج وعلاقاته . ثانياً : حرمانه من الحافز الدينى والمبدأ الروحى ، والدين كما هو معلوم يمد الإنسان بأعظم طاقة ليضحى ويبذل بلا حدود عن طيب خاطر فقد سلبت الشيوعية الجنة من الإنسان وسرقت منه الخلود فلم يعد يتحمس لشىء . ثالثاً : العامل الإقتصادى الواحد الذى جعل منه ماركس إلهاً تصدر عنه كل الأشياء وسبباً واحداً تتداعى من ورائه كل التغيرات التاريخية والحضارة فيما يسميه بالتفسير المادى للتاريخ . هذه الفكرة قد

قد سقطت علمياً والرأى السائد الآن أن فى ميدان الظواهر الاجتماعية لا يوجد سبب واحد مستقل منفصل ، وفاعل يولد النتائج والظواهر الثانوية وإنما هناك عوامل متعددة تؤثر فى تولد النتائج والظواهر الثانوية وإنما هناك عوامل متعددة تؤثر فى بعضها تأثيرات متقابلة والعامل الإقتصادى بهذا لا يصلح أن يكون إلهاً تصدر عنه الأشياء وإنما هناك العامل (القومى ، النفسى ، العنصرى ، العقائدى) يمكن أن تشكل التاريخ بأقوى مما يشكله العامل الاقتصادى رابعاً : كانت دكتاتورية البروليتاريا انتقالا بالمجتمع من ظلم طبقى إلى ظلم طبقى آخر استبدل الاستغلال باستغلال آخر أشمل وأسوأ وأهم وكان ماركس مبالغاً أشد المبالغة فى تلك الهالة الأسطورية التى أضفاها على البروليتاريا (طبقة العمل) فى كلامه . لقد أقام ماركس نظريته على ظروف القرن التاسع عشر الصناعية المختلفة من حيث أن العامل هو عامل يدوى كادح مطحون مسحوق لا يكاد يجد لقمة ولم يتصور ما ستحدثه ثورة العلم والتكنولوجيا فى القرن العشرين حيث أصبح العامل رجل مرفه يجلس أمام أزرار وآلات الكترونية ومن ورائه نقابات عمالية وقوانين للتأمين ضد العجز والشيخوخة والمرض تحفظ له حقه .وأن الطبقة العاملة إنشقت إلى طبقتين متناقضتين : نتيجة تفاوت الدخول هما العمال المؤهلون والعمال غير المؤهلين . والنتيجة هى انفصال الفكر الماركسى عن واقع القرن الذى نعيشه ورجعيته وتخلفه قياساً إلى ظروف عصرنا . خامساً : تعسف الماركسية وإدعائها أنها فكراً شمولا يجاوب على كل شيء ويبتكر الحل لكل شيء ويفتح كل باب ثم ادعائها حتمية قوانينها والمعروف أنه لا حتمية فى الأمور الإنسانية لأن الناس ليسوا جمادات مثل كرات البلياردو ولا هم آلات صماء كتروس الساعات يمكن حساب حركتها والقول بحتميتها والتنبؤ بها . (١) لهذا أخطأ فقال بخروج الشيوعية من مجتمع صناعى رأسمالى متقدم مثل انجلترا والمانيا فكذبه التاريخ وخرجت الشيوعية فى بلد زراعى متخلف (٢) وتنبأ باتساع هوة الخلاف بين البرجوازية والبروليتاريا فى الدول الرأسمالية بشكل مضطرد إلى أن يتفاقم الوضع إلى ثورة تقلب العالم كله ولكن ما حدث فى المجتمعات الرأسمالية كان العكس ، فهو مزيد من التفاوت بين الطبقات عقب سلسلة من الإجراءات الإصلاحية فى حين اطلق الصراع وتفاقم بين دول العالم الإشتراكى نفسه كالصين وروسيا . (٣) تنبأ بازدياد تمركز رءوس الأموال فى احتكارات هائلة يزداد معها غنى الأغنياء وفقر الفقراء ولكن الذى حدث كان اتجاهاً إلى تفتيت رءوس الأموال عن طريق الشركات المساهمة وتفتيت الملكيات الزراعية من تلقاء نفسها بالميراث .

(٤) تنبأ ماركس بالأزمة الاقتصادية الماحقة التى تسحق النظام الرأسمالى بسبب إزدياد إجمالى الانتاج عن معدل الطلب والقدرة الشرائية نتيجة فقر العمال المدقع ، ولكن الملاحظ إلى الآن أن كل أزمات الرأسمالية ذات طابع عرضى . (٥) أخطأ ماركس فى نظريته عن فائض الإنتاج وقال إن أجر العامل فى النظام الرأسمالى يتحدد على أساس الحد الأدنى اللازم لمعيشته ولكن الواقع كذب هذه التقديرات بفضل التشريعات الجديدة والتعديلات التى أدخلها النظام الرأسمالى على نفسه فارتفع أجر العامل فى دول أوربية كثيرة إلى مستوى رخاء ملحوظ سبق بها زميله فى الدول الاشتراكية . (٦) حاولت الرأسمالية أن تحمى نفسها بالتعصب وإطلاق الشعارات وادعاء العلمية والتقدمية واتهام المخالفين فى أخلاقهم (خونة رجعيون متعصبون) فأصبح الشيوعى مثلا للجمود والتزمت وضيق الأفق والتبعية فى الرأى والصلافة والغلظة .
سادساً : أدى التطبق الشامل حينما طبق وفى أى بلد إلى هبوط فى الإنتاج وإلى كارثة اقتصادية قول خرشوف (إن البقرة التى يملكها صاحبها تدر من اللبن أكثر من البقرة التى تملكها الدولة) قد هدم نظرية ماركس فى التأميم والملكية والاشتراكية وقد جر التأميم وراءه : اللامبالاة والإهمال والكسل والبيروقراطية وسوء الإنتاج . وقد خرجوا بفلسفة الحوافز إزاء الروتين . لكن الحوافز لم تفعل شيئاً بل كانت نوعاً من الرشوة أدت إلى طمع من يأخذ وحقد من لا يأخذ . ورأينا روسيا التى تملك أكبر حقول القمح فى أكرانيا تطلب القمح من أمريكا وتطلب خبراء الصناعات من أمريكا وتفتح بلادها للمصانع الأمريكية لفروع البنوك الأمريكية وبعد أن نزعوا ملكية المواطن الروسى سمحوا بالملكية والاستثمار لرأس المال الأمريكى . إن التأميم قد حكم عليه بالفشل ، وأن الفساد فى المبدأ وليس فى التطبيق لأنه مضاد للفطرة وأن الحضارة من فكر وفن وصناعة هى فى النهاية ثمرة ملكات أفراد ومواهب أفراد وتطلعات أفراد وإذا حرمناها مجالها الحر وسجناها فى الية وروتين بلا طموح انتهت إلى الكسل والعقم . وتبين أن نظام التأميم يسد كل أبواب الرزق ولا يبقى للناس شيئاً . وأن ضمان اللقمة يتطلب الانتهازية والتملق ، وبذلك يتحول المجتمع إلى غابة من الناس يأكل بعضهم بعضاً . إن الصراع الطبقى بين الفلاح وصاحب الأرض والعامل وصاحب العمل ينتشر كما تنتشر النار فى الهشيم فيتحول إلى تمزق المجتمع إلى ملايين يطعن بعضهم بعضاً وإلى جبهات متقاتلة متباعضة.يقول تروتسكى : إن بين شكوى الفرد وطموحه وضعاً نفسياً فيه كثير من كوامن الحقد والحقد هو أسهل معاول الصراع الطبقى . فالماركسية تقر شرعية

الحقد بين المخربين وشرعية استخدامه لقلب المجتمعات . إن التأميم الذى انتزع المصانع من خمسة أو ستة رأسماليين سلمها إلى مائة ألف لص فى المؤسسات والجمعيات فالعيب فى صلب النظرية وليس فى التطبيق . ويدعون أن للماركسية بعداً روحياً وينسون كلمة لينين القاطعة « إننا لا نؤمن بالله ونحن نعرف كل المعوفة أن أرباب الكنيسة والإقطاعيين والبرجوازيين لا يخاطبوهم باسم الله إلا استغلالا » وعندهم أن الأخلاق والدين خدعة برجوازية تتستر وراءها البرجوزية من أجل مطامعها وكلها شعارات تهيج وتحريض يتداولها المخربون فى الدول النامية وتقوم الماركسية على إنكار الإرادة الإلهية القائمة وراء هذه العوامل المادية وإنكار أثرها فى التاريخ والدين فى نظر الماركسية هو المخدر للفقراء وأفيون الشعوب وقد جعل ماركس القضاء على الأديان على رأس مخططه وبدأت الثورة البلشفية بهدم المساجد والكنائس وإحراق الأناجيل والمصاحف واعتقال رجال الدين وإلغاء التربية الدينية من المدارس وتدريس الإلحاد والماركسية كمادة إجبارية للأطفال والكبار .

(٥) ولقد كشف الباحثون المسلمون جوانب الفساد والزيف فى النظرية الماركسية والتنظيم الشيوعى . وكانت كتابات الدكتور إبراهيم دسوقى أباظة غاية فى القوة والعمق فقد أشار إلى أن ماركس لم يقل غير نصف الحقيقة أما نصفها الآخر فقد جهله وعجز عن استيعابه : « عندما يجىء ماركس بعد قرون ليقول بأن الرأسمالية تعول على الاستغلال وأن الرأسمالى عندما يصادر على العامل حقه فى فائض القيمة فهو لا يقبل ذلك عن قصد منه أو سوء نية وإنما هو مدفوع دفعاً بالنظام للرأسمالى لأن الاستغلال تعبير ذوطبيعة لاصقة بذلك النظام . وعندما يجىء ماركس ليقول هذا فهو لا يقول سوى نصف الحقيقة ، أما النصف الآخر فيكمن فى البناء المادى للرأسمالية الذى يجعل من الربح الحافز وتحرير الإنسان من نوازعه وقيمه ليرده إنساناً اقتصادياً . « وليس صحيحاً أن الاستغلال سمة نظام دون نظام (الشيوعية والرأسماليه) إنما ابتناء النظام الرأسمالى على القيم المادية وإهداره للقيم الروحية هو الذى يؤدى إلى قيام الاستغلال واستفحاله . « فالاستفحال شعور مصدره النفس عندما تتحرر من ضوابطها الروحية فتسقط فى إسار المادة وتحيل الإنسان فى النهاية إلى عبد يتحرك بتوجهها وبحكم قوانينها كذلك فإن الجبرية الإقتصادية التى سقطت فيها الماركسية لا تقل بشاعة وظلماً من الجبرية المادية الرأسمالية فكلاهما رغم تباعد الشقة يحتكم إلى المادة ويقيد الإنسان فى دائرتها . وكلاهما

مردود إلى النبع المادى . « ولن يختفى الاستغلال إلا بعودة الإنسان إلى إنسانيته إلى فطرته وإلى الجبلة التى جبله الله عليها والاعتراف بتركيبه الحقيقى ، أى بأنه مادة وروح وكل نظام يبنى على أساس المادة فهو نظام فاسد مهما دلت دقة تنظيمه ومهما حقق من رفاهية مادية لأعضائه » . ويقول : إنه بينما يستخدم الخيرون الدنيا حتى ينالوا السعادة من الله ، يرغب الأشرار على العكس استخدام « الله » حتى يتلذذوا بالحياة الدنيا . ويصل الباحثون إلى تعرية الماركسية وكشف فساد جوانب أخرى منها . وخاصة الجانب الخلقى الإنسانى الذى تهاجمه الماركسية بقوة وتحاول تدميره تماماً . ويرى ماركس أن النظم الخلقية ليست إلا خداعاً وبهتاناً افتراه الرأسماليون فالأخلاق عنده كل ما يؤدى إلى هدم المجتمع الاستغلالى وأن الغاية فى رأيه تبرر الوسيلة فكل وسيلة يستعين بها لهدم المجتمع الاستغلالى مشروعة . ويرى أنجلز أن واضعى القيم الأخلاقية هم الدجالون وهذا لا ينقص شيئاً عن شريعة الغاب وعن مفاهيم أشد الطوائف البشرية توحشاً وفساداً وهو ما عرفته الفلسفات البائدة القديمة كذلك فإن الماركسية تقول إن النساء كانت مشاعة فى عهد البشرية الأُلى ثم تكونت الأُسرة بفعل علاقة الإنتاج ولذلك فإن النساء والأبناء علاقات إنتاجية صرفة بعيداً عن الصفة الإنسانية البشرية ولذلك فقد دعت الماركسية إلى القضاء على العائلة باعتبارها دعامة المجتمع الرأسمالى ولذلك يجب تحطيمها والقضاء عليها إذ أن الحب الحر فى نظرهم ينوب عنها ويقوم مقام الزواج ومن قولهم فى هدم الأُسرة : إن إشاعة البغاء العلنى تقضى على الأُسرة . ويرى ماركس أن الدين وما يشتمل من اعتقاد فى وجود الله تبارك وتعالى والخلق والشرائع يراها هذه كلها ماركس بناءً زائفاً إقامته ظروف الإنتاج لتعكس مصالح الطبقة المسيطرة فالقانون والأخلاق والدين أوهام رأسمالية ولا وجود لله (تعالى الله عما يقولون علوا عظيما) والحياة مادة بحتة وعندما حمل الماركسيون أفكارهم هذه إلى بلاد الإسلام والبلاد العربية كانوا يحملونها تحت اسم التحرر ومحاربة الاستعمار والإقطاع ثم كان إغرائهم للشباب والطلبة والفتيات للدخول فى خلاياهم قائم على إشاعة الفساد الاجتماعى ودعوة الشباب إلى نبذ العادات والتقاليد ومحاربة القيم الاجتماعية على أنها شعارات من عمل الرجعية والإمبريالية فلا توجد هناك نظم اجتماعية ولا تربية خلقية ولا احترام متبادل ولا دعائم أسرية ولا حرمات ولا قيود دينية ثم أحلوا لهم تناول كل شىء فأموال الأغنياء من حقهم ومتعة النساء مباحة . وقالوا إن الدين هو فى المسجد ومن خصوصيات الإنسان ولا علاقة له بالحياة . إن القرآن كان النظام المناسب قبل

مئات السنين لأعراب البادية أما فى العصر الحاضر فالمادة هى الأساس . ولقد كان لهذه الأفكار آثارها البعيدة المدى التى هزت الكيان الاجتماعى الإسلامى وعرضته لخطر شديد ولقد حملت حركة اليقظة الإسلامية على هذه المفاهيم الكاذبة والسموم الفاسدة وكشفت عن زيف هذه الدعاوى وبطلانها . واستطاعت أن تقدم مجموعة من الحقائق الأساسية :

(أولا) كشف الصلة العضوية بين الصهيونية والشيوعية والصلة الجذرية بين الرأسمالية والماركسية والصلة العميقة بين قوى الاستعمار واليهودية والماركسية . وأن الرأسمالية والماركسية هما من منبع واحد والاقتصاد هو معبود اليوم وعجله الذهبي والبنوك معابده وقد تبين فى أفق العالم الإسلامى عجزهما عن إرضاء النفس البشرية والاستجابة لداعى الحق (ثانياً) إن الماركسية التى أراد ماركس أن يواجه بها ظروف القرن التاسع عشر المتخلفة وأوضاع العامل اليدوى الكادح المطحون لا تصلح علمياً لمواجهة ظروف القرن العشرين حيث قلبت ثورة التكنولوجيا جميع الموازين وخلقت طبقة جديدة من العمال المرفهين ومن خلفهم قوانين للتأمين تحميهم ضد العجز والشيخوخة والمرض . (ثالثاً) لم يمض على ظهور الشيوعية سوى نصف قرن حتى أخذت التناقضات تدب وأزداد لهيبها بين معتنقى الفكرة أنفسهم وانحرف بها لينين حين أجاز الملكية الفردية بشكل محدود . (رابعاً) أثبتت الدراسات العلمية أنها لا تستهدف إنقاذ الطبقة المحرومة أو الفقيرة ولكنها الأثرة والكراهية للبشرية مستمدة من كراهية اليهودية التلمودية لها وأن الصراع الطبقى هو مظلة الشيوعية . ويستهدف تأجيج نار الخلاف والخصومة والقتال بين المجتمعات . (خامساً) إن تجربة ماركس قاصرة على التاريخ الغربى وحده فى العصر الذى عاش فيه ولا يستطيع أن يتجاوزه إلى التطبيق على التاريخ البشرى كله ولا يصلح للتطبيق على التاريخ الإسلامى أصلا ، وهذا هو الذى جعل الماركسية مذهباً ناقصاً لم يلبث بعد قليل أن أنهار وتمزق واحتاج إلى تعديل وتعديل دون أن يكون قائماً على استيعاب النفس الإنسانية وتحقيق هدفها فى الحياة . (سادساً) تبين أن النظرية المادية الخالصة تحجب عالماً كاملا من الفكر والنفس والروح وأن العالم لن يستطيع أن يقيم نظامه الاجتماعى على أساس المادة لأن ذلك مخالف لطبائع الأشياء ونواميس الكون وأن عالم الفكر وقيم النفس والروح لها آثار بعيدة المدى . (سابعاً) تجاوز مذهب ماركس فى تفسير الحياة أو المجتمع أو التاريخ كثيراً من الحقائق القائمة الواضحة وخاصة فى افتراض أن السبب الاقتصادى هو السبب الأول المقدم على كل الأسباب ، كذلك فان اعتماد الماركسية على

إحدى نظريات العلم التى تبين فسادها من بعد قد أحالها إلى شىء عاجز ومغلق ، ذلك أن أن مفترضات العلم ما لبثت أن تغيرت فانهارت القاعدة التى قامت عليها النظرية . وقد أدى ذلك إلى إعادة التغيير والتنقيح والتعديل للنظرية يوماً بعد يوم دون القدرة على الوقوف عند حد محدود . ذلك أن نظرية ماركس قامت فى ظل طغيان العلم والظن بأنه قادر على أن يقول الكلمة الأخيرة فى كل شىء ثم تبين للعلماء أن العلم محدود القدرة وأنه لا يستطيع أن يتجاوز ظواهر الأشياء . (ثامناً) لم تتحقق النبوءات التى قدمتها الماركسية بعد ستين عاماً عاماً من التطبيق وملايين الضحايا الذين ضاعوا نفياً وقتلا وتعذيباً . وقد أخطأ ماركس فى الاعتقاد بأن تاريخ البشرية عملية واحدة لا تتكرر وتخضع لقوانين يمكن اكتشافها .
(تاسعاً) تبين أن الماركسية فلسفة مرحلية ورد فعل للرأسمالية وأن القول بأن الشيوعية علم أو أن الماركسية علمية هو تجاوز كبير وكذب على العالم ذلك أن الحقيقة العلمية هى ما تقرره المعامل . وأن التفسير المادى ليس هو التفسير الوحيد ولا العام الجامع وأن هناك التفسير الجنسى والتفسير النفسى والتفسير الجغرافى وهناك عوامل أخرى لها أثرها فى تاريخ الإنسان المادية والإقتصادية ولقد كان العامل الدينى ولا يزال من أبرز عوامل التأثير فى حركة التاريخ (عاشراً) تبين أن الشيوعية تقدم تحت ستار الخداع صورة الصديق المعين لتمكن لنفسها وتثبت أقدامها . وقد خدع هذا البريق الزائف أنظار بعض شبابنا لعدم وجود حصانة من فكر إسلامى يحول دون دخول أى فكر غريب إلى ضمائرهم أو دون الانبهار بأى فكر وافد . (حادى عشر) تبين أن مذهب ماركس هو رد فعل لحالة المجتمع الأوربى ، وأن مفهوم الماركسية هو شطر مكمل للنظرية الرأسمالية ، وأن وجهة نظر ماركس فى الدين مستمدة من فهمه للمسيحية وتاريخها وليس للدين بصفة عامة . وأن تجربة ماركس قاصرة على مرحلة واحدة من التاريخ الغربى هو العصر الذى عاشه وهى لا تستطيع أن تتجاوزه إلى أن تكون تطبيقاً على التاريخ البشرى كله ولا تصلح لأن تجد مجالا للتطبيق على التاريخ الإسلامى.
وقد اعترف جارودى بإلحاد الماركسية وأنها وارثة التراث الإلحادى فى القرن الثامن عشر حيث تبنى ماركس شعار بروميثوش : (أنا ضد كل الالهة) وقد تبين خطأ الماركسية فى القول بأن انهيار النظام الرأسمالى وشيك الوقوع فضلا عن أنها لم تستطيع تخليص المجتمع الاقتصادى من كل مساوىء الرأسمالية وأن التجربة التى أقامتها فى المجتمع الشيوعية لم تحقق الكفاية بين أفرادها وبرغم المذهبين لم تطبق الماركسية بشمولها حتى فى روسيا ذاتها . كما تبين أن

فساد النظام الرأسمالى هو الذى خلق الماركسية والشيوعية وقد فوتت الرأسمالية على الشيوعية هدفها حين حققت للعمال آمالهم وما يزال الفقر متفشياً فى البلاد الشيوعية . (ثانى عشر) إن أخطر جوانب الشيوعية أنها دعوة مادية : تستهدف الإغراق فى الشهوات والمتاع والأهواء على حساب القيم والمقومات الأصيلة للشخصية الإنسانية وللأمم ذات الأصالة ، وأن هدف نشر الماركسية إنما هو العمل على تدمير هذه الأمم وأفرادها بتحويل أنظارهم نحو المادية والمتعة والترف والأنانية والصراع حول العالم واللذات وإلغاء الإرتباط بالأخلاق والتراث والماضى كله . وقد جاءت الأديان لتحرير الإنسان من هذه المظاهر التى هى من طفولة البشرية دفعاً للأمم إلى الرشد الإنسانى والتحول من الأنانية إلى الغيرية ومن الفردية إلى الإنسانية ومن المطامع والأهواء إلى الإيمان وحماية الحدود والضوابط التى وضعها الدين الحق ورعاية مقاييس الحلال والحرام وإلى العمل على بناء المجتمع الربانى والسعى فى الدنيا لتحقيق العدل والرحمة . وهكذا يرى الباحثون وهم صادقون أن هدف الشيوعية الأول هو إغراق الشعوب فى الانحلال تحت أسماء التقدم والعصرية والعلم والحضارة وإن الغاية من هذا هو خدمة هدف أصيل لليهودية التلمودية التى تستهدف السيطرة العالمية بعد تدمير المجتمعات البشرية .

(ثالث عشر) كشف كتاب حركة اليقظة الإسلامية عن أن الشيوعية تعارض الفطرة والعلم وطبائع الأشياء ومصادر الأفكار والعقول وأنها مضادة للطبيعة الإنسانية فى أفرادها الذين منحهم الله حق التفكير . وتجاهل الروح وهو شطر الحياة وإنكار لرسالتها الحقة ، وإنكار ما ليس مشاهداً أو محسوساً (إنكار وجود الله والبعث والنشور والجزاء والحساب) والنظر إلى الفرد كأنه شريحة أو صامولة فى آلة ودعوى جبرية الإنسان القادر الذى حرره الإسلام من كل قيد إلا قيد الإيمان وعملها على فسخ الفطرة الإنسانية ومحاربة التقدم (سابع عشر) إن من أكبر أخطائها إصرارها على أن تكون فكراً شمولياً يشمل العقيدة . والمجتمع والحضارة والتاريخ وإغلاق الباب تماماً على أى تجربة أو تغيير بالرغم من الصدع المستمر الذى يصيب النظرية ومع اختلاف هذا كله مع الإسلام وخطأها فى تصنيف الناس ، إما رأسماليين يمينيين أو يساريين ماركسيين ولا شيء آخر ، هذا مع اختلاف ذلك كله مع مفهوم الإسلام الجامع الذى يفتح باب الاجتهاد أمام الأجيال والعصور فضلا عن مواءمته التامة للفطرة والعلم ولطبائع الأشياء واتخاذه من عديد من العوامل وأهمها العوامل الروحية المعنوية والدينية إلى جوار الاقتصاد والمادية أساساً لتفسير التاريخ (خامس عشر) تبين أن الوقائع التى اعتمدت

عليها النظرية فى إقامة فرضياتها : انتقائية بمعنى أنها جمعت وقائع وافقت الأهواء وتركت وقائع تتعارض مع اتجاهها « فهى لم تستوعب التاريخ كله دارسة إياه مستنبطة منه ما استظهرت واكتفت ببعض عصوره مغلبة عصوراً على أخرى ووقائع على أخرى لأنها تفسد عليها هواها ، فهى عملية مصطنعة لم تقم على أساس التجرد العلمى ، ذلك لأن المادية التاريخية مادة خادعة وهى بطبيعتها متعددة المصادر ومتناقضة ومتضاربة ولا يمكن استيفائها كلها ولا جمعها كلها بيقين كاف (سادس عشر) كان أخطر ما أحدثه المذهب الشيوعى تلك المعركة الطاحنة بين طبقات المجتمع فطبعها بطابع صراع لازمه واتسم معه . صراع فى الداخل وصراع فى الخارج فقادة الشيوعية وروادها متصارعون فيما بينهم ، ويطغى بعضهم على بعض ويحاول كل منهم أن يستأثر بالسلطة دون سواه مع أنهم يقولون بالقيادة الجماعية وكذلك رفضها التعاون مع المذاهب والنظم الأخرى حتى مع الاشتراكية التى تمت إليها بسبب ومن أوضح صور الصراع : النزاع بين روسيا والصين ولم تستطيع الشيوعيات المعاصرة حتى الان أن ترفع مستوى معيشة الفرد بدرجة محسوسة ، ولا يزال مستواه دون مستوى غيره فى البلاد المتقدمة وبالرغم من أن الشيوعية تحارب مفهوم الفردية والتألية والتدين فإنها تقوم على عبادة الأشخاص وتقديسهم وقد حرمت الإنسان من غذائه الروحى ووقفت عند الماديات وألغت التدين وهو جزء هام من حياة الإنسان (سابع عشر) كان الشيوعيون يقولون إن الشيوعية هى شباب العالم واليوم يدركون تدريجياً بأنها نوع من الإكراه الذى لا يقوم إلا فى فترات الشيخوخة عند الأمم أو شيخوخة الحضارات . ذلك أنها تقوم على إكراه الحزب الواحد المرفوع فوق الرءوس مع الإرهاب العسكرى والرعب المنتشر تدريجياً بين الأفراد ضمن الواحدة (ثامن عشر) لقد أصدر ماركس حكماً عاماً ظالماً على الأديان دون أى دراسة للدين الإسلامى وبمجرد استقراء محدود للمسيحية فى أوربا وبذلك وقع فى خطأ فاحش ولذلك فإن إنكارهم للأديان ما عدا اليهودية كان ضارياً وحربهم للإسلام أشد عنفاً . (تاسع عشر) تبين أن للممارسة ظاهراً وباطناً : الظاهر هو الدعوة البراقة التى تتحدث عن العدالة ونقل الثروة من أيدى الأغنياء إلى أيدى الفقراء والباطن فهو سيطرة قوة ديكتاتورية على مقدرات الدولة وتحويل كل المقدرات والملكيات إليها للتصرف منها تصرفاً لا يملك أحد المعارضة فيه ولذلك فهى لم تقضى على الفقر بل حولت المجتمع كله إلى الفقر حين ألغت الملكيات وثروات الأفراد وسيطرت وهى لم تحرر الطبقة العاملة والفقيرة من سيطرة الرأسمالية ولكنهاسلمت الجميع للقيادة

الجماعية التى هى فى معناها الحقيقى قيام قيصرية شيوعية بدلا من القيصرية الأُولى وكانت محاولة التأكيد على كرامة الإنسان فى حقيقتها هى جعل هذا الإنسان ترساً فى آلة كبيرة وبدلا من أن يكون المجتمع هو المالك الحقيقى للمال أصبحت الملكية لجماعة صغيرة . (عشرون) كشفت الدراسات عن أن التآمر هو جوهر الشيوعية ، وهو لذلك يظل ملازماً للشيوعية حتى فى البلاد التى أصبح فيها زمام الأُمور بيد الشيوعية وقد عرفت الشيوعية أساساً بأنها حركة تآمر للاستيلاء على السلطة فى عهد اضمحلال النظام الرأسمالى وهى من الناحية السياسية ترتكز على الإرهاب وخداع الجماهير ومن الناحية الاقتصادية إلى تمليك الدولة كل شىء . والطبيعة البشرية الشيوعية تقوم على الظلم والتعسف حيث لا تعرف الشفقة طريقاً إلى صدورهم ويتميز علمائهم وكبارهم بالمجاهرة المفضوحة . (واحد وعشرون) يعلن أرنولد توينبى أنه تبين أن الشيوعية هى دين بكل تأكيد ، وهى دين خالص وقديم رغم المظهر الأيدلوجى الحديد الذى تتبدى به ، إنها كالقومية شكل من أشكال عبادة القوة الإنسانية الجماعية ، عبادة الإنسان لنفسه على طريقة جمع المتكلم ، إنها آخر تنوع لعبادة الالهة روما والإله قيصر فى الأمبراطورية الرومانية وعبادة (الملك – الإله) فى مصر الفرعونية (توينبى) (ثانى وعشرون) إن أخطر وجوه النظر إلى الماركسية والشيوعية والاشتراكية هو الظن بأنها جاءت من أجل إصلاح المجتمع البشرى وإن أصدق وجوه النظر هو معرفة الحقيقة الأساسية بأن الماركسية كانت ولا تزل محاولة متآمرة على البشرية لا ريب . (ثالث وعشرون) تلتقى الماركسية مع الفكر الغربى فى نظرية التفسير المادى للتاريخ التى ليست من إنشاء الشيوعيين وإنما يرد أصلها إلى هيجل ولا ينفرد الشيوعيون باعتناقها بل يشاركهم منها الماديون والدهريون والوجوديون أما هيجل فينزع منزعاً ميتافيزيقياً وينزع ماركس منزعاً مادياً خالصاً والتفسير الإسلامى للتاريخ لا يقر هذه الوجهة ويرى أن هناك عوامل غير العوامل المادية والاقتصادية منها عامل القومية وغريزة السيطرة وحب القوة والأديان والدعوات الإصلاحية.(رابع وعشرون) استطاع كثير من الباحثين أن يربط بين الرأسمالية والقومية والديمقراطية والشيوعية والاشتراكية وإنها مطروحات مضللة يراد بها إفساد المنهج الإسلامى الذى هو أُسلوب الحياة والمجتمعات الإسلامية الأوحد . ولقد كان للقومية دورها الاستعمارى فى تفتيت الكتلة الإسلامية أولا ثم فى تفتيت الوحدة العربية وذلك بتفريغها من محتواها العربى الأصيل وأصبحت الفكرة القومية كالفكرة الإقليمية دعوة مناهضة لفكرة الوحدة الإسلامية ، والشيوعية أيضاً كان لها دورها

فى تنفيذ المخطط اليهودى وهو تحطيم الأديان وتأجيج نار العداوة والبغضاء بين الأفراد والشعوب . (خامس وعشرون) ليس بين الإسلام والشيوعية نقطة إلتقاء واحدة ولا حوار فهى مناقضة للإسلام مناقضة تامة . الشيوعية تنفى وجود الله وتهدم كل القيم الانسانية وتملك بالقسر كل وسائل الإنتاج وتدعو إلى الصراع الطبقى والمعتقد الإسلامىيجعل الشيوعية فى مقدمة أعداء الإسلام . إن تطبيق المذهب الشيوعى أكثر من خمسين عاماً أقامت البرهان على فساده وإهدار كرامة الإنسان وحريته . والإسلام وحده هو الذى يستطيع أن يقضى على الشيوعية وأن أعداء الإسلام من غير الشيوعيين أضعفوا حركة الإسلام كما أضعفوا المسلمين وزرعوا إسرائيل فى قلب الوطن العربى وبذلك مكنوا للشيوعية ولو ترك الاسلام بقوته الذاتية فى وجه الشيوعية لما أمكن أن يبقى لها وجوداً أو كياناً . والمسلم الحق لا يمكن أن يهادن الشيوعية . (سادس وعشرون) ثبت أن المجتمع الإسلامى ليس حقل تجارب للأيدلوجيات الغربية وقد كشف جوهره الأصيل حين واجه الليبرالية والماركسية على السواء بنفس القدر من الإعراض بعد أن تمت فى خلال السنوات السبعين الأخيرة محاولات فرض الديمقراطية والفاشية والماركسية مكان الدين . لقد جرت محاولة لصياغة مذهب سياسى واجتماعى من متناقضات القومية والديمقراطية والاشتراكية وتبين للفكر الإسلامى فساد النظرية الغربية فى التطبيق وعدم صلاحيتها للمجتمع الإسلامى ثم تبين للفكر الإسلامى فساد النظرية الماركسية فى التطبيق لأشياء كثيرة مناقضة للإسلام فى روحه وجوهره . أولا :- أولية المادة . ثانياً - الصراع الطبقى . ثالثاً - لطغيان الحزب الواحد داخلياً والاستعمار الروسى خارجياً ، ومعارضة الإسلام لإلغاء الحرية ولإلغاء الملكية الفردية ودعوته إلى الإخوة فالرحمة

سابع وعشرون : أثبتت الأبحاث العلمية الجادة أن البشرية قد تجاوزت ماركس ، وتابعت سيرها مستجيبةلسنة التطور دونأن تتكون لها الكلمةالأخيرة فى هذه التغييرات ، كماتقول الدكتورة بنت الشاطىء : لقد تقدم علم الإنسان فأدرك أن الجماعات البشرية ليست قطعاً يخضع لنمط واحد فى السلوك ويضبطه فى قوالب عامة كالتى تضبط سائر الكائنات سواء ، وشهد العصر الحالى أحداثاً فى حياة الشعوب أضافت إلى العوامل الموجهة لحركة التاريخ فيها عوامل إنسانية لم تدخل فىحساب المذهب المادى. لقد عرض العامل المادىعلى تاريخنا فلم يقبله إلا من حيث اتصاله بالعامل الدينى الذى تلقاه حينما رجعنا البصر فى الوجود التاريخى لامتنا العريضة مستقطباً العوامل الأخرى : مادية وسياسية وإقليمية وحضارية فى تفاعل مؤثر

لا يحجبه أى عامل منها . ذلك أن الدين - أى الإسلام - عقيدة الأُمة الجامعة لأَبنائها على مختلف أجناسهم وأفكارهم وتفاوت مستوياتهم وأَنماطهم تحت لواء واحد يلوذ به لواء الأُمة فى صراع البقاء ومخاطر الطريق وتحديات الزمن ويجمع شمل الأُمة الجامعة .

(٤)

نظام الإسلام فى مواجهة الشيوعية

النظام الإقصادى فى الإسلام ليس نظاماً مستقلا ولكن قطاع من نظام الإسلام الجامع للسياسة والاجتماع والتربية والعقيدة والأخلاق ، وهو ليس نظاماً شيوعياً لأَنه يقر الملكية الفردية ويحميها وليس نظاماً رأسمالياً لأَنه لا يطلق العنان لرأس المال بل يجرده من وسائل السيطرة والنفوذ وليس من النظم الاقتصادية المتطرفة إلى اليسار لأَنه لا يمعن فى إضعاف رأس المال الفردى فهو يفسح له المجال للقيام بوظيفته فى حدود الصالح العام بوصفه عاملا هاماً من عوامل الإنتاج وقد أقام الإسلام بنيان اقتصاده على دعائم ستة تعمل متضافرة لتحقيق المساواة بين الأَفراد والجماعات (أولا) تضيق نظام الملكية الفردية لخير الجماعة وفى سبيل الصالح العام . (ثانياً) يحرم الملكية الفردية للأَشياء الضرورية لجميع الأَفراد ويدخلها فى نطاق الملكية الجماعية . (ثالثاً) يحرم الكسب غير المشروع ، ويجعل الربا والفائدة من الأَموال المحرمة . (رابعاً) استغلال النفوذ والسلطات للحصول على المال . (خامساً) تحريم جميع المعاملات التى تنطوى على الغش والرشوة أو أكل أموال الناس بالباطل (سادساً) فى سبيل جعل الملكية الفردية فى نظام متزن لا تطغى وتصبح ثروة مكتسبة أوجد الإسلام نظام الميراث والوصية. يتكفل النظام الأَول بتوزيع الثروات بين الناس تنظيماً عادلا ويحول دون تضخم الأَموال وتجميعها فى أَيد قليلة ويعمل على تذويب الفوارق بين الطبقات حيث يقسم التركة بين أقرباء الهالك بحيث تتوسع بذلك دائرة الانتفاع من الملك الذى كان فردياً فأَصبح جماعياً ، كذلك الشأَن بالنسبة للوصية حيث يمكن لصاحب المال أن يوصى بجزء من ماله لأَحد كذلك أمر الإسلام بالزكاة والصدقة حتى يأَخذ الفقير نصيبه من مال الغنى وفى هذا حد . لتصاعد الملكية. وينظر الإسلام إلى التملك على أنه مجرد وظيفة يقوم بها صاحبها بانفاق المال على مستحقيه (وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) وحين يقرر الإسلام الملكية الفردية ويحيطها بسياج من الجماعة ويذلل أمام الفرد سبيل التملك والحصول على المال ويشجع على

العمل ويعطى لكل مجتهد جزاء إجتهاده من ثمرات الحياة ، ويفسح المجال أمام المنافسة والرغبة فى التفوق والطموح يحقق تكافؤ الفرص بين الناس ، ويقلم أظفار رأس المال ويجرده من وسائل السيطرة والنفوذ دون أن يشل حركته أو يعوقه عن القيام بوظيفته بوصفه عاملا هاماً من عوامل الإنتاج وتعمل على استقرار التوازن الاقتصادى وتقليل الفوارق بين الطبقات ويحول دون تضخم الثروات ودون تجميعها فى أيد قليلة والمقصود بالمساواة فى الاقتصاد الإسلامى هو تحقيق تكافؤ الفرص بين الناس فينال المجتهد جزاء اجتهاده وثمرات أعماله وبذلك يتحقق التوازن الاقتصادى فتنمحى الفروق الطبيعية ويحصل التقارب بين مختلف الطبقات حتى لا تتضخم الثروا ت وتتجمع فى أيد قليلة والإسلام يعترف بالملكية الفردية والتفاوت فيها والملكية الفردية شيء طبيعى ولذلك أقرها الإسلام ، وقد اعترف الإسلام بالملكية بشرط : ١ - أن يكون مصدر المال سليماً لم يأت عن طريق الغضب أو الرشوة ٢ - أن يحسن المالك تصريف المال فلا يجوز فيه الإسراف أو الكنز أو الإحتكار أو الاستغلال ٣ - أن تتوقف الملكية عند المال فلا تتجاوزه إلى التسلط على العاملين فيه . ٤ - أن يؤدى المالك حق الفقير ، ليست الزكاة فقط بل أى نسبةمن المال يحتاج إليها المجتمع . وسنة الإسلام فى اقتناء المال والتصرف فيه ما برحت قائمة على أساس الإباحة فلكل مسلم أن يقتنى المال من حله بلا تحديد مقدارله ، ثم أن يضعه فى مواضعه الذى أباحها الإسلام لأهله وأن يخرج ذكاته بالنظام الشرعى الذى استقر منذ بدء الإسلام وقد حث الإسلام كل مسلم على السخاء فى الأنفاق فى سبيل الله وفى مرضاة الله ، ولا شك أن المال فى نظام الإسلام وسيلة لسد حاجات الفرد والجماعة فهو فى حكم الأمانة لله ، تحت يد من ساقة الله إليه ، يتصرف فيه بالمعروف ومن الخطأ اعتبار جمعه غاية مقصودةلذاتها : هذه الأسس للاقتصاد الإسلامى تكشف عن عمق الفوارق بين مفهوم الإسلام وبين النظامين الرأسمالى والماركسى ومن استحالة اللقاء بينه وبينها فالإسلام قد سبق هذين النظامين فهو ليس واحداً منهما وهو ليس خليطاً منهما وهو ليس مستمداً من مجموعهما ولكل له وجهته الواضحة.تضع الرأسمالية الفرد فى بؤرة اهتمامها وتضع الاشتراكية المجتمع فى بؤرة الاهتمام والاقتصاد حر فى النظام الرأسمالى وموجه فى النظام الاشتراكى والحكم فى النظام الرأسمالى ديمقراطى الوجهة وإن حكمت المؤسسات ورؤس الأموال بينما الحكم فى النظم الاشتراكية يقوم على ديكتاتورية الطبقة العاملة ، وعلى حين يضحى الرأسمالى بالعدالة الاجتماعية من أجل الفرد

فإن الإشتراكية تضحى بالفرد من أجل عظمة الدولة ، وهكذا يتنازل كل نظام من النظامين عن شيء فى مقابل شيء آخر ، وقد نشأ كل منهما كرد فعل للظروف السائدة فى مجتمعه وعصره . أما الإسلام فهو غير ذلك تماماً ، فهو نظام ربانى وضعه خالق الكون وخالق الإنسان وهو يربط الفرد بالله ويجعل الولاء لله تبارك وتعالى سابقاً للولاء للنفس والأهل والمال . وهو نظام يرتبط فيه الفرد بالله ويتلقى فيه التشريع والحكم والقواعد العامة فى السلوك ، ويتدخل الإسلام فى كل شيء فينظم قواعد العبادة وعلاقة الأسرة والمواريث والوصية كما يضع القواعد العامة للحكم والمجتمع ويقوم نظام الاقتصاد فى الإسلام على مبدأين أساسيين هما أن المال مال الله وأن المسلمين خلفاء لا أصلاء فى إدارة هذا المال واستثماره وفى ضوء هذين الاعتبارين يقر الإسلام الملكية الفردية ومظهرها التصرف والانتفاع فإن شرط بقاء هذه الوظيفة هى الصلاحية للتصرف ويقرر الإسلام فى ملكية المال رفضه لأن يحبس فى فى أيدى فئة خاصة من الناس ، يتداول بينهم ولا يجده الاخرون .ومن الخطأ أن نتصور أن الإسلام مع الإشتراكية ضد الرأسمالية أو مع الرأسمالية ضد الإشتراكية ، ذلك أن الإسلام كنظام يقف أصلا مع نفسه فهو نظام خاص له خلفيته الفكرية التى تصل الإنسان بالله وله أسلوبه فى الحكم والسياسة والاقتصاد وله طابع المميز الذى قد تتشابه معه بعض المذاهب والأنظمة أو لا تتشابه . ولفظ الاشتراكية لا ينطبق على الإسلام فإن لفظة الاشتراكية إصطلاح اقتصادى اقتضته الضرورة أما الاسلام فهو وحدة لا تتجزأ ونظام قائم متكامل قد سماه الله إسلاماً . يقول ولفرد كانتول سميث : إنه لأمر عظيم أن نقيم حياة اجتماعية سليمة على وجه الأرض ولا شك أن النظام الإسلامى هو أجدى وأوضح تجربة تمت لتحقيق العدالة بين الناس ، ولقد كان هذا النظام حتى ظهور الماركسية أعظم التطبيقات وأكثرها طموحاً . إلا أن هناك فرقاً واضحاً بين الإسلام والماركسية هو أن الإسلام يرى لكل حدث دنيوى مغزيين ويقيسه بمقياسين : أحدهما وقتى أو دنيوى والاخر أبدى أو أخروى ، كذلك فإنه من وجوه الخلاف التى تحددها مبادىء الإسلام وطبيعته الشمولية نظرته إلى التاريخ فالإسلام كما جاءت الماركسية تحاكيه فيما بعد يعطى أهمية بالغة لتطور التاريخ وحتميته إلا أن الإسلام يتميز مع تقريره للمغزى الحاسم للتاريخ بأنه يرى أن هذا المغزى لا يذوب إلا فى خضم التاريخ نفسه بل يصنع من المبادىء والقيم ما يعلوا على مجريات التاريخ — والحكم على هذه المجريات يمكن بل يجب أن يكون فى ضوء هذه المبادىء والقيم وأن هذه القيم والأخلاق

لا تسلم بها الماركسية مطلقاً بل تدخلها فى باب الغيبيات والمثاليات زاعمة أنه لا توجد فى المجتمع الإنسانى المتطور قيم ثابتة وقد غاب عنها أن هذه القيم إنما هى ضوابط منظمة للحركة وليست بالقيود المعوقة لها » . ولا ريب أن النظرية الشاملة للإسلام حقيقة مسلم بها بمقتضى هذه المبادىء الكلية التى يقيم بها الإسلام نظامه الخالد لكل زمان ومكان .

ملاحق البحث

أولا : ثلاثة وثائق خطيرة من وضع لينين وستالين وماركس .

ثانياً : سموم يطرحها الفكر الماركسى فى سبيل خدمة الصهيونية

ثالثاً : الإسلام فوق لعبة اليمين واليسار .

(١)

مؤامرة اشترك فيها : هرتزل وماركس ، ستالين ولينين وطه حسين وهنرى كوريل ثلاث وثائق خطيرة من وضع لينين وستالين وماركس تكشف جذور العلاقة العضوية بين الماركسية والصهيونية والهدف الذى ترمى إليه اليهودية العالمية فى السيطرة ماركسياً وصهيونياً على العالم كله : عندما استولى الشيوعيون على الحكم فى روسيا بعد الانقلاب الشيوعى (٧ أكتوبر ١٩١٧) هاجمت الشيوعية جميع الأديان (وخاصة الدين الإسلامى) وغضت الطرف عن (اليهودية) كلية . وقد كان ذلك موضع دهشة المراقبين الذين تساءلوا هل هناك علاقة بين الشيوعية واليهودية ؟ وقد أجاب عن عن ذلك الزعيم الشيوعى « لينين » مفسر الماركسية ومقننها والذى كمرحلة جديدة « الماركسية اللينية » ، أجاب لينين على ذلك بما يضع أمام المؤرخين الباحثين وثيقة جديدة تؤكد العلاقة الجذرية بين الشيوعية والصهيونية . وكان المظنون حتى قبيل العثور على هذه الوثيقة التى سنعرضها ونقدم تحليلا وافياً لها ، كان المظنون أن الماركسية والصهيونية حركتان توأمان تتحكمان بجمهرة اليهود الروس وتسطران عليهما . وقد أعلن الصهيونية زعيمها (تيودور هرتزل) ودخلت إلى روسيا حوالى سنة ١٨٨٠ فكانت منافسة للماركسية لكاهنها الأكبر كارل ماركس : حفيد أحد الحاخامين وكان لابد فى النهاية لكل يهودى روسى أن يلتحق بإحدى هاتين الحركتين (راجع كتاب الصهيونية والشيوعية) لفرانك بريتون تعريب نهاد عيسى (بيروت ١٩٥٤). وكارل ماركس يهودى اسمه « كاى مردخاى » ولكنه غير دينه واتبع المسيحية ليستطيع أن يهاجمها بحرية ستالين يقول: الدين والشيوعية مثل الماء والنار لا يلتقيان وإحداهما تقضى على الثانية . . فلا مكان للدين فى الديار الشيوعية .

الوثيقة الاولى بقلم : لينين

« إن حجر الزاوية فى رأى كارل ماركس وانجلز فى الدين هو قولهما المأثور (الدين أفيون الشعوب) لقد كان رأى الماركسية فى الدين والمعاهد والكنائس والمساجد وكل نوع من أنواع المؤسسات الدينية إنها صدى الرجعية والبرجوازية ، لا هدف للأديان إلا الدفاع عن سياسة الاستغلال والتخدير وتشريع تصرفات الملوك التى يتخذها الرأسماليون نحو الطبقات الكادحة ، أما (الخرافات اليهودية) وإن كانت لا تختلف عن باقى الأديان ولكن بقاءها لليهود البؤساء أمر ضرورى للمحافظة على يهوديتهم حتى ينالوا حقهم. فان اليهود إذا نبذوا دينهم حينئذ يتيهون فى الأقوام المجاورة لهم وبمرور الزمن يفقدون إسرائيليتهم كمجموعة كاملة ومتحدة فإن الدين أمر ضرورى فلم يجمع بنى إسرائيل غير الدين . والمحافظة على اليهودى أمر حيوى لحياة الشعب اليهودى المختار ريثما ينالوا حقوقهم » . ويعلق الدكتور محمد عزت نصر الله الذى كان أول من نشر هذه الوثيقة فى كتابه (الثورة العربية) على ذلك فقول : « إن هذا التجاوز الشيوعى للدين اليهودى واستثناءه من مخطط محاربة الاديان ، يبرهن على أن الشيوعية إنما تعمل لتحقيق الهدف الصهيونى فى السيطرة على العالم ابتداء من فلسطين العربية المسلمة ، فإذا كانت الحرية الدينية محرمة على المسلمين والمسيحيين ومباحة لليهود . فإن الأجيال المسلمة والمسيحية القادمة ستصبح بلا دين ولا تعبد غير المادة ، وذلك بخلاف الأجيال اليهودية التى تستطيع عندئذ أن تسيطر على الشعوب التائهة التى كانت مسلمة أو مسيحية فيما مضى . الشيوعية الروسية تحارب الإسلام والمسيحية وتستثنى الدين اليهودى من مخطط محاربة الأديان السماوية لأسباب

الوثيقة الثانية بقلم ستالين

إن دولة السوفيت الشيوعية لا يمكنها الوقوف موقفاً محايداً تجاه الدين ، فالحزب الشيوعى يقف بجانب المادة ، فى حين أن الدين يناهض المادة . الدين والشيوعية مثلهما مثل الماء والنار فكما أن هاتين المادتين لا تتحدان ، وإحداهما تقضى على الثانية فلا مكان للدين فى الديار الشيوعية أبداً . فكل دين من الأديان هو والمادة على طرفى نقيض » . أجاز القانون الأساسى تعليم الدين إلى النشىء بعد اجتيازهم سن الرشد (٢١ سنة) ونص على تعليم الدين للأطفال قبل سن الرشد جريمة يعاقب عليها ، هذا هو معنى الحرية الدينية فى الاتحاد السوفيى وهذه الحرية لا يسمح بها إلا فى الظروف التى يجيزها مبدأ الانتهازية السياسية للشيوعية . جاء فى كتاب التعليقات على القانون الجنائى لاتحاد الجمهوريات السوفياتية فى الطبعة الثانية

بموسكو سنة ١٩٤٦ ص ١٦٧-١٦٨ ما يلى : « إن كل تعليم مدرسى أو كنسى أو مسجدى دينى للقصَّر دون سن الواحدة والعشرين أى سن البلوغ يعد تعدياً وخيانة على حرية الغير المكفولة بنصوص الدستور السوفياتى ويعاقب الآباء والأمهات والمعلمون بالعقاب الجنائى فى الاتحاد السوفياتى هو النفى أو الإعدام أو السجن أو الاعدام على أعواد المشاق. يقول الدكتور محمدعزت نصرالله : إن سياسة التربية الشيوعية تفرض على الإنسان أن يترعرع ويكبر ويشب فى بيئة ملحدة وثقافة تستهزىء بالدين وتسخر بتعاليمه وبالكتب السماوية إلى أن يبلغ سن الرشد السوفياتى (٢١ سنة) ثم بعد ذالك يسمح له بممارسة الحرية الدينية ولكن بقيود رهيبة تصل إلى درجة خطيرةٌ من التعجيز التى يستحيل معها ممارسة الشعائر الدينية ، وقد أدت هذه السياسة إلى ظهور جيل ملحد لا يؤمن بالله ولا يؤمن بدين ، باستثناء الدين اليهودى إذ يسمح لليهود فقط كما قال لينين : بممارسة حريتهم الدينية الكاملة لأن الدين اليهودى أمر ضرورى لحياة الشعب اليهودى المختار ريثما ينالوا حقوقهم) وهكذا برر لينين الحماية الشيوعية للدين اليهودى . ويقول: إن لينين يعترفإذن باليهود كشعب مختار ولعل هذا ما دفع الحكومة السوفياتية فى بداية حكهمم عام ١٩١٧ إلى إصدار جملة قرارات كان أهمها إعلان التأييد الكامل لحق اليهود فى وطن قومى لهم فى فلسطين وإذا سألنا ما هى حقوق اليهود ، فالجواب هو — ماركسيا وصيونيا — تنفيذ مرامى وأهداف الايدلوجية اليهودية القائمة على فكرة : الشعب المختار » والدافعة بالتالى : لاعتبار : أولا : أن الأرض ، كل الارض ، وما فيها ميراث لبنى إسرائيل تلزمهم مشيئةالرب بأن يستولوا عليها. ثانياً : إن كل شريعة غيرشريعة بنى إسرائيل هىفاسدة . ثالثاً : إن كل سلطة على وجه الأرض غير سلطتهم هى مغتصبة. رابعاً :إن كل شعب حر ، غير شعبهم ، قابض على ذروة من السلطة هو غاصب . خامساً : إن الرب حرم عليهم الشفقة والرحمة . أورد هذا : إميل الخورى حرب فى كتابه « مؤامرة اليهود علىالمسيحية. وللدكتور عمر حليق « وسكو وإسرائيل » والدكتور محمد عزت نصر الله ، البحث عن القومية العربية .

الوثيقة الثالثة بقلم : ماركس

« وهكذا أصبح حل المشكلة اليهودية يستلزم أن يسيطر اليهود على جميع الناس ، يرى كاى مردخاى (أو كارل ماركس كما يجب أن يسمى نفسه) أن المشكلة اليهودية لا تحل

إلا بالتحويل الاشتراكى للعالم باسره ، وإذابة الأديان والقوميات فى بوتقة الماركسية ، ذلك أن المشكلة اليهودية قائمة تحت ضغط الاعتقاد القائل بأن اليهود هم « شعب الله المختار » وبما أن الماركسية حركة تهدف لإخضاع المجتمع البشرى إلى قيادة طليعة اشتراكية ماركسية واحدة ترتبط بها كل الحركات الماركسية فى العالم يرى اليهود أنهم أصلح البشر بصفة كونهم شعب الله المختار لإحتلال مركز القيادة الطليعية التى هى الإسم العصرى لعقيدة « الشعب المختار كاليهود . ولقد استطاع المكر اليهودى أن يؤسس الحركة الماركسية لتتم السيطرة اليهودية على العالم بالتحويل الإشتراكى وأن يؤسس الحركة الصهيونية لتتولى عملية مخادعة العالم وخاصة الولايات المتحدة وأوربا الغربية بأن هذه الحركة لا صلة لها بالشيوعية العالمية وأنها تعمل لصالح الاستعمار الغربى وخدمة استراتيجية الدولية العامة ، وبذلك تتمكن من إحراز عطفه ومساعدته على إقامة الوطن القومى اليهودى ، ثم الالتفاف - بعد تحقيق ذلك - للانقضاض على الغرب وتحقيق السيادة اليهودية العالميةبالسيطرة - ماركسياً وصيونياً - على العالم كله وهكذا يتحقق التصور اليهودى للعقيدة اليهودية . وما هذا الخلاف الظاهر بين الاتحاد السوفيتى - قاعدة العمل الماركسى - والصهيونية سوى (تكتيك مرحلى » تتطلبه خطة السيطرة اليهودية فى الوقت الراهن . ويقول الدكتور محمد عزت نصر الله : طبيعى أن السيطرة اليهودية لا يمكن أن تتم إلا بعد تهديم العالم الإسلامى وإضعاف الشعوب الإسلامية هذا هو المخطط اليهودى (الصهيونى الماركسى) المشترك كما استخلصه الباحثون فى كتابات الصهيونيين أنفسهم . وهو المفتاح الحقيقى لفهم تحركات السياسة الدولية فى العصر الحديث وقد تنبه له كثير ون فى مقدمتهم الأستاذ العقاد والأستاذ محمد خليفة التونسى فى مقدمته لكتاب بروتوكولات صيهون وكان أول من ترجمها إلى العربية ثم جاء كتاب فرانك بريتون وهو مفكر غربى كاشفاً لهذه العلاقة الغامضة التى ترتبط أساساً بالماسونية وقد كشف المرحوم الكولونيل عبدالله التل فى كتبه العديدة ومنها « جذور البلاء » و « الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام » كما كشف هذا مؤلف كتاب « أحجار على رقعة الشطرنج ومؤلف كتاب (الحكومة الخفية) وكلها مؤلفات متداولة طبعت فى بيروت وتوجد فى الأسواق العربية والسوق المصرى . وقد كانت موجودة خلال الفترة السابقة ولكن قادة الرأى لم يكونوا قادرين على تبين هذا الاتجاه ، حتى كشفه المرحوم جلالة الملك فيصل حين قال « أن الشيوعية وليدة الصهيونية » وهناك دراسة موسعة لهذا التصريح للأستاذ أحمد عبد الغفار عطار تتناول

فيه جذور هذه القضية وإذ نظرنا فى ضوء هذه المفاتيح الحقائق وجدنا أن دعاة الشيوعية فى مصر فى مطلع هذا العصر كانوا يهوداً (هنرى كوريل وراؤل كوريل ومليونير يهودى آخر (ريمون احيون) وقد كان هؤلاء وغيرهم يمدون الحركات الشيوعية بالمال وقيل بالجنس وقد تعاقدوا مع طه حسين على إصدار مجلة الكاتب المصرى وكان الدكتور طه قد أعلن تأييده لمفهومهم بتكذيب القرآن فى وجود سيدنا إسماعيل عليه السلام ولم يكن يعرف فى هذا] الوقت الباكر أن ذلك القول الجرىء خدمة للصهيونية .

٢ — سموم يطرحها الفكر التقدمى الماركسى
فى سبيل خدمة الصهيونية التلمودية

هناك محاولة خطيرة ترمى إلى أن تطرح فى أفق الفكر الإسلامى مفاهيم زائفة وأخطاراً مسمومة تحاول بها عزل العرب والمسلمين عن « طريق الأصالة » الذى التمسوه منذ العاشر من رمضان والذى وصلوا إليه بعد أن سقطت تجربة الاحتواء الغربى والماركسى جميعاً وبعد أن تبين لهم أنه هو الطريق الوحيد إلى امتلاك الإدارة ومواجهة الغزو الاستعمارى الصهيونى الماركسى الذى يحاول اجتياح عالم الإسلامى اليوم . تعمل هذه المحاولة على تقديم تفسيرات للتاريخ الحديث مستمدة من وجهة النظر الصهيونية التلمودية التى هى أشد خطراً من التفسير الماركسى والتفسير المادى الغربى . من حيث أنها تستهدف تسميم عقول المسلمين العرب بشأن العلاقة بين العرب والغرب وبين العرب وإسرائيل والصهيونية فى محاولة للقول بأن القضية كلها قضية صراع اقتصادى وهدف مادى أو استعمارى . وأن الغرب هو الذى اصطنع الصهيونية لتكون قاعدة له فى المشرق وأنه لا توجد أى علاقة بين ما يجرى الان وبين الدين أو العقائد . كما تحاول هذه الدعوة المسمومة إعادة تفسير الحروب الصليبية على هذا النحو أيضاً وتصويرها بأنها مطامع التجار والملوك فى الشرق وأن الأعراض الدنيوية كانت أقوى من الأغراض الدينية . ولا ريب أن هذه المحاولة فاسدة ومرفوضة ولا يصدق بها أحد من أصحاب الأصالة الإسلامية . وأنها ترمى إلى الخداع والتزييف للواقع ولا شك أن الهدف واضح من وراء هذه المحاولة . إذ أن القائمين عليه من دعاة العصرية والتقدم والتفسير المادى للتاريخ ، إنما يهدفون إلى خدمة الصهيونية التلمودية الكامنة وراء الفكر الماركسى والفكر التقدمى كله ، فهى وليدته وهى صانعة هذا الفكر لحمايتها والذود عنها . وأى مطلع على

أساليب الفكر الماركسى والصهيونى المادى يعرف هذا الأسلوب الذى ينكر طابع الدين فى تفسير التاريخ والأحداث ويحل محله مفهوم الاقتصاد أو المواجهة الحضارية أو غيرها من العبارات البراقة الخادعة إن التلمودية الصهيونية المسيطرة الان على الفكر الغربى وعلى هذه الطبقة التى تشكلت فى أول السبعينات تحت اسم اليسار والماركسية والتقدمية ، والتى تعمل فى خدمة العداء للإسلام أولا وتحت أى اسم آخر من الناحية الأخرى تحاول أن تلغى الأثر الدينى فى الحروب والعلاقات والأحداث وتحل محله العلاقات الاقتصادية والسياسية ، ولا ريب أن هذا الاتجاه ليس علمياً وليس صحيحاً . إن موقف الغرب من العالم الإسلامى هو موقف واضح معروف وهو موقف يمكن أى يكون سليماً ومسالماً لولا هذه القوى التى تحرك الأحداث لخدمة أهدافها الخاصة كالصهيونية والشيوعية. وهى التى تحاول أن تلقى فى افق الفكر الغربى مواقف الخوف من امتلاك العرب والمسلمين لإرادتهم ، وهى التى تحاول أن تفسر العلاقات التى تقوم من جانب المسلمين والعرب ، على أساس من الفهم العميق والسماحة والإخاء واليسر والإنسانية تفسيراً باطلا وزائفاً ولقد كان موقف الغرب مغلفاً بالخصومة والعدوان ، وكان الهدف وما زال أن يظل المسلمون والعرب غير قادرين على امتلاك إرادتهم وأن يحال بينهم وبين تحقيق وجودهم الصحيح . إن المسلمين قد قامت أمتهم فى هذه المنطقة الخصبة الاستراتيجية الوافرة فهم ليسوا أعداء لأحد ولكنهم ما زالوا يقاومون إغارات الغزو التى تحاول اجتياحهم لأنها تستهدف ثروتهم وترى أن دينهم هو القوة القادرة على حمايتهم من السقوط فى براثن العدو ومن هنا كانت حملة الاستشراق الغربى والصهيونى والماركسى على مفاهيم الإسلام وقيمه ولعل موقف لويس التاسع بعد هزيمته فى الحملة الصليبية الثامنة هو أكبر دليل على فساد دعاوى هذه الطبقة المحتواه الخادمة لقوى الغزو . فإنه بعد أن فشل عسكرياً دعا قومه إلى السيطرة على الإسلام عن طريق الكلمة والتبشير ودعاهم إلى محاولة هدم القيمة الأساسية للإسلام وهى « الجهاد » ومع ذلك كله توصف الحروب الصليبية بأنها حروب غير دينية . والصهيونية اليوم التى تجعل إسم حملتها عام ١٩٦٧ (خيبر) والتى تحاول أن تتحدث عن أنها فى طريقها إلى حيث كان يهود الجزيرة العربية ، والتى تواجه الإسلام ورسوله وعقيدته والأمة العربية لأنها من أبناء إسماعيل وتحاول أن تنكر رحلة إبراهيم وإسماعيل إلى الجزيرة العربية وبناء بيت الله الحرام والكعبة المشرفة لأن هذا يجعل وعد الله تبارك وتعالى لإبراهيم مشتركاً بين أبناء إسماعيل وأبناء اسحق ، هذه المحاولة التى تقوم على أساسها دعوى إسرائيل والصهيونية العالمية فى فلطسين ، ألا تكون هذه ذات صلة بالدين ! نحن لا نثق

بالتفسير الذى يقدمه أتباع الصهيونية والماركسية للتاريخ الإسلامى لأنه يقوم على هوى الخصومة والحقد. ونحن لا نستطيع أن نصدق أن الغرب المسيحى أقام إسرائيل اليهودية من أجل أهداف سياسية استراتيجية اقتصادية ولذلك فانهم يخدعوننا حين يقصرون الخلاف مع الغرب وحده وليس مع الصهيونية العالمية ، ولكن مدرسة اليقظة الإسلامية تعرف أبعاد القضية معرفة جيدة وكتابها قد كشفوا هذه الأبعاد فى عديد من دراساتهم ومؤلفاتهم وهم موضع ثقة المسلمين والعرب ، والأمر فى إسرائيل وإقامتها عميق وله أبعاده وأخطاره التى تتصل بالحملة على الإسلام نفسه ، وبالرغبة فى السيطرة على العالم الإسلامى وثرواته ، ومحاولة دحر فكرته التوحيدية وعقيدته الخالصة ، ومن يقرأ بروتوكولات صهيون وكتابات وتصريحات دعاة الصهيونية التلمودية ومن تابعهم من رجال الفكر أمثال فرويد وماركس ودوركايم وليفى بريل وسارتر يعرف أبعاد الخطر الذى يحاول خداعنا عنه هؤلاء الذين هزموا شر هزيمة فى بلادهم ولكنهم ما زالوا يتطلعون إلى منابر جديدة ذات بريق ليخدعوا منها العرب والمسلمين . (٢) من هذه الدعاوى التى يسوقها دعاه التقدم قولهم أن هزائم العرب مرهونة بخلافاتهم وانتصاراتهم تتوقف على تضامنهم وهذه دعوى باطلة أيضاً فان مصدر القوة الذى انتصر به المسلمون فى الحروب الصليبية وفى معارك المواجهة والغزو الخارجى تتركز فى التماس منهج القرآن الكريم لإقامته كأسلوب للحياة والحكم وبناء المجتمع . وهذا هو وحده منار الوحدة والتضامن والالتقاء بين أهل القبلة ، لقد هزم العرب ٤٨ و ٥٦ و ٦٧ لشىء واحد هو أنهم تجنبوا المنهج الأصيل فلما التمسوه فى حرب رمضان حققوا النصر واليوم تجرى المحاولات بقوة لإبعادهم عن هذا المنهج وتفسير التاريخ لهم تفسيراً زائفاً لإعادتهم إلى الاحتواء الصهيونى. أن التناقضات العربية لا يحلها إلا « المنهج الإسلامى» ذلك لأن محاولة الخداع والتضليل وابعاد المسلمين عن الحلول الصحيحة وعن الأسلوب السليم لمواجهة إسرائيل وامتلاك إرادتهم تأتى من تعدد الدعوات المسمومة التى توجه إلى العرب والمسلمين وهى دعوات تبدو ناصحة فى مظهرها ولكنها غادرة فى مضمونها ، ذلك لأنها تجعل ثمن تحررهم من إسرائيل هو إلغاء وجودهم وتراثهم وعقيدتهم ودخول دائرة الاحتواء والأممية . إن الواقع الإسلامى اليوم ، يجب أن يكون منطلقاً إلى التماس المنهج الإسلامى ، حتى يتحرر من نفوذ التغريب والاستشراق والغزو الثقافى الذى أضر بهم خلال قرن من الزمان سواء فى تبعيتهم للفكر الغربى أو للفكر الماركسى ، ولا سبيل إلى تحريره والانتقال به إلى الأصالة من التماس مفاهيم الإسلام وقيمه ومنهجه وتطبيق شريعته وإقرار أسلوبه فى التربية والتعليم إن من أكبر

الأخطاء التى وقع فيها المسلمون والعرب بعد نكبة ١٩٤٨ أنهم ظنوا أن الأسلوب الغربى يستطيع أن يحررهم فإذا به يسلمهم إلى الأسلوب الماركسى الذى كان مصدر نكبتهم ١٩٦٧ ولا ريب أن الأسلوبين كانا محتويين من الصهيونية التلمودية التى استطاعت أن تنقل العرب من محور إلى محور لتحول بينهم وبين الوصول إلى الطريق المضىء ، والقاعدة الصلبة ، وهى منهج الإسلام ومن هنا نجد أن الطريق الوحيد : هو حتمية المنهج الإسلامى . (٣) ومن تلك السموم التى ما زال يثيرها دعاة التقدم والماركسية هجومهم على الدولة العثمانية ووصفها بالإستعمار والظلم والاستبداد » ونحن نعلم أن هذه الدعوى باطلة وأنها انطلقت لتعطى الصهيونية الحق فى أن تصل إلى القدس وأن تقضى على الامبراطورية التى حملت لواء الجامعة الإسلامية فى مواجهة الغزو الغربى كله وأن تقضى على الخلافة الإسلامية . ومن ذلك تفريقهم بين اليهودية والصهيونية لخداع المسلمين عن أولياء الماركسية اليهود ، والمسلمون يعلمون أن الصهيونية فى مطامعها وأهوائها ودعوتها إلى السيطرة على فلسطين إنما تنطلق أساساً من التوراة المكتوبة بأقلام الأحبار . ولا ريب أن حملة هذه الشبهات هم تابعون للصهيونية التلمودية مهما ادعوا أنهم دعاة التقدم والعصرانية . إن الماركسيين يخدمون الصهيونية يطرح هذه المفاهيم اليوم ومحاولة جعلها مسلمات ونحن نعرف لماذا هم يحرفون تاريخ العرب والإسلام الحديث ، ولماذا يعيدون تفسير التاريخ الإسلامى على نحو زائف مسموم ، إن الغرض هو خداع العرب والمسلمين عن الحقائق التى وصلوا إليها والتى أقاموا عليها منطلقم الجديد بعد هزيمة ١٩٦٧ التى قضت على كل نظرياتهم المسمومة . ولقد تبين للمسلمين والعرب أن أسلوب الاقتصاد ونظام الربا والقانون الوضعى وأسلوب للتعليم والتربية الغربى هى كلها مصادر الهزيمة التى حافت بالمسلمين والعرب خلال هذه الحملة الصليبية التى بدأها الاستعمار وتقوم عليها اليوم الصهيونية والماركسية ورثيتا الاستعمار . نحن نعرف أن الصهيونية تدرس الحروب الصليبية وتحاول أن تطرح لها فى أفق الفكر الإسلامى مفهوماً جديداً تخدع به المسلمين والعرب حتى يحولوا نظرهم عن المفهوم الأصيل الذى عرفوه والتمسوا النصر على ضوئه فى حرب العاشر من رمضان وهى « تهويمات » ومراوغات خادعة من مثل قولهم إن إسرائيل ليست إلا قاعدة غربية فى قلب الشرق ، وأن الغرب اضطهد اليهود فى بلاده ، ولكنه ألقى بهم إلى غيرهم . نحن نؤمن أن القضية ليست كذلك قضية صراع حضارى طويل أم قصير فهذا مفهوم يراد به وضع العرب والمسلمين فى متاهات وضباب كثيف. إن المواجهة بيننا وبين

الإستعمار والصهيونية والماركسية هى مواجهة عقائدية لا حضارية ولا سياسية ولا اقتصادية وأن علينا أن نلتمس أسلوبنا الصحيح ومفهومنا الأصيل وعندئذ نجد الإجابات الصحيحة لكل القضايا والتحديات والمواقف . إن السلاح والتكنولوجيا والقوة البشرية والطاقة هى فى أيدى العرب والمسلمين اليوم فلا مجال للكلام عن الصراع الحضارى فإن إسرائيل لا تملك من ذلك شيئاً إلا ما يدفعه إليها الغرب ، إن العرب والمسلمين يعلمون أن هذه القوى تريد أن تضع مقادير المسلمين والعرب فى أيدى العصبة الباغية التى تريد أن تسيطر على العالم ، ولن ينقذ المسلمين والعرب من هذا الخطر إلا اعتصامهم بمنهج ربهم فهو وحده سبل الخلاص يجب أن يكون معلوماً للمثقفين والباحثين والمشتغلين بالفكر الإسلامى فى مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والقانونية أن هذا الأسلوب المسموم فى تفسير الأحداث والمواقف والتاريخ على النحو الذى حملت لواءه الماركسية والمادية ودعاة العصرانية والتقدم مرفوض ومردود لأنه معارض للروح الإسلامية والأصالة القرآنية : هذه الطبقة التى تشكلت فى السنوات العشر الأخيرة وحسبت أنها تستطيع أن تسيطر على الفكر الإسلامى وتوجهه وجهة جديدة غير وجهته الأصلية ، والتى استعانت بالعاملين فى مجال الفكر الغربى الليبرالى لتشكيل جبهة واحدة ذات فروع كثيرة تعمل جميعها فى طريق واحد لمواجهة الفكر الإسلامى فى منهجه الأصيل ومفهومه الجامع ، هذه الطبقة التى سقطت بعد العاشر من رمضان وأثبتت الأحداث فشل خطتها ومنهجها وسلامة منطق المنهج الإسلامى الذى حملته حركة اليقظة وكان هو المصدر الوحيد للنصر ، حين دعا إلى الأصالة وإلى إلتماس المنابع باعتبارها الحصن الحصين الذى عرفه المسلمون فى مختلف الأزمات والتحديات طوقاً للنجاة . والذى صدقهم فى كل مرة واستطاع أن يهزم باطل الغزاة ويردهم على أعقابهم ويثبت الحق وأهله . واليوم تحاول هذه الطبقة أن تجدد دعواها وأن تنشر سمومها من جديد وبأسلوب جديد لتحويل العرب والمسلمين عن طريق الأصالة الذى التمسوه وتأكد لهم أنه الطريق الوحيد الذى يستطيع أن يحقق لهم المواجهة الصحيحة إزاء كل القوى التى تتكمل اليوم لغزوهم على الجبهات الثلاث : الاستعمار والصهيونية والماركسية . فلتعلم أن هذه المحاولة باطلة وأن المسلمين قد اعتصموا بمنهجهم الربانى فى طريقهم إلى اتخاذه منطلقهم الوحيد.

٣ ـ الإسلام فوق لعبة اليمين واليسار

إن أخطر ما يواجه المسلمين والعرب فى هذا العصر هو أنهم يتحركون من خلال الإطار

الذى رسمه لهم النفوذ الأجنبى وأنهم يعانون أشد المعاناة من أجل الحروج من هذه الدائرة المغلقة إلى دائرة فكرهم الأصيل : تلك الدائرة المرنة السمحة التى تقدم لهم الضوء الكاشف الذى يهديهم إلى معرفة الحقائق محررة من كل تدليس ومن كل زيف . ومن أخطر ما يقع فيه المسلمون أن يلتمسوا تلك الأسماء والمصطلحات التى يطرحها الغزو الفكرى فى محيطهم فإذا هم يضعون أنفسهم وفكرهم فى داخل مربعاتها وقد وقع فى هذا الخطر عدد من مفكرى الإسلام أولئك الذين حاولوا أن يلتمسوا إلى فهم الإسلام والتعبير الجامع: طريق الفلسفة فأعجبتهم كلمات الديمقراطية والاشتراكية والوجودية وغيرها وحاولوا أى يضعوا مفهوم الإسلام الجامع الوافر فى هذه القوالب الضيقة واليوم يطرح دعاة التغريب كلمات اليمين واليسار ويعملون على إدخال المسلمين فى لعبة اليمين واليسار والإسلام فوق هذه المحاولات والمناورات فالإسلام لا يقارن إلى المناهج الوضعية ولا يوضع موضع المناقشة بمقاييسها وتفسيراتها التى ما وضعت إلا من خلال فكر بشرى محدود بحدود القدرة العقلية البشرية القاصرة التى لا تستطيع الخروج من دائرة الزمان والمكان الذى تعيش فيه ومن ثم فإن أى منهج بشرى مهما كان دقيقاً ومحكماً فإنه لا يلبث بعد سنوات قليلة أن يعتوره الفساد والقصور أزاء المتغيرات السريعة التى تعمل عملها على تحويل الواقع وتطويره وليس كذلك الفكر الربانى المتمثل فى شريعة الإسلام ونظامه وقانونه الذى يقوم على إطار من الثوابت يسمح بالحركة فى داخله على نحو منضبط يمكن الحياة الانسانية من العمل والتعبير دون أن تخرج على الحدود التى رسمها الحق تبارك وتعالى وأحاطته بالزمان المتجدد والمكان المتغير واستيعابه لكل شئون التطور والتحول التى تواجه البشرية فى مسيرتها . كذلك فإن الإسلام يقدم البلسم لأدواء البشرية فيدعوها أن تصلح وجودها وأن تحرر نفسها من الزيوف والأهواء لتجرى فى مجرى الإسلام الأصيل إذا أنه ليس من الحق أن يدعى الإسلام لتبرير انحراف البشرية فى إنطلاقها نحو الأهواء والاستعلاء والإندفاع بمعطيات العلم إلى تدمير البشرية أو إلى التمييز بالثروة عن الأمم والشعوب أو بالتسلط على الأمم بدعوى التفوق العلمى أو العنصرى ، فإن الإسلام يشجب ذلك كله ويرفضه ويدعو البشرية إلى التماس منهجه الأصيل فى التوحيد والأخوة البشرية إيماناً بوحدة الخلق ووحدة البشرية ، قياماً بأمر الله بالاستخلاف فى الأرض وتعمير الحياة وإقامة المجتمع الربانى على وجه الأرض وكذلك فإن الإسلام يرتفع ويعلو على لعبة الدول الكبرى : لعبة اليمن واليسار ويجب أن يرفع المسلمين عن أن تحتويهم هذه اللعبة

أو يخضعوا لها فإن المسلمين إرادتهم الكاملة التى تمكنهم من أن يكونوا « أمة » قائمة بذاتها لا تخضع للشرق ولا للغرب فى منهج من مناهج الاقتصاد أو الاجتماع ، وهى بما تملك من رسالته الحقة وميراثها الكبير لها منهجها الأصيل وشريعتها الغنية التى استطاعت أن تقدم للبشرية فى العصر الحديث عشرات من المعطيات فى مجال القوانين والنظم الاجتماعية التى أشاد بها المفكرون المنصفون والتى سوف لا تجد البشرية أمامها من طريق ، غير طريقها ، عندما تنقشع عن العيون تلك السحابات المضللة التى تفرضها الآن أهواء التلمودية الخطيرة التى تسيطر على علوم الاجتماع والنفس والأخلاق والاقتصاد وقد تساقطت هذه القوانين وبان عوارها وأحس الغرب اليوم الذى احتوته التلمودية اليهودية منذ قرابة مائة عام أنه يسير فى التيه وأنه بلغ درجة الانحلال والغربة والتدمير النفسى ، يوم استبدل طريق الدين بحثاً عن الدين الحق إلى طريق التلمودية الخطير المظلم ولقدكان من العجب أن يفرط المسلمون فى ميراثهم ويلتمسوا الإصلاح مجتمعاتهم هذه المناهج الباطلة المضللة التى لم تستطيع أن تحقق ذرة من النور والخير لأهلها فى الغرب . واليوم والعالم يبحث عن ميراثهم وقيمهم ليلتمس بها طريقاً ومخرجاً إلى الإيمان نجد المسلمين ما زالوا واقعين تحت لعبة اليمين واليسار ، ونرى تيارات الفكر الماركسى والصهيونى والليبرالى تتصارع على أرض الإسلام تحاول احتواء المسلمين وتخدعهم عن أصالتهم وحقهم وما تستطيع الماركسية أو الليبرالية أن تقدم شيئاً للمسلمين والعرب إلا ما قدمتا خلال هذه السنوات الأربعين التى عاش العرب فيها بين التجربتين وشهدا فشلهما وفسادهما . وجنوا ثمار التبعية نكبة ونكسة واحتلالا وسيطرة صهيونية على أرضهم وعلى قدسهم فعلى المسلمين والعرب أن تكون التجربة المريرة المظلمة التى مروا بها مخدوعين خلال السنوات الأخيرة قد أصبحت كافية لأن تردهم عن هذا الطريق وتدفعهم إلى الطريق الأصيل : طريق الله الحق ، طريق الشريعة الإسلامية والمنهج الربانى الجامع الذى هو فوق كل منهج وما تزال الأحداث تثبت للمسلمين والعرب إن هذه المناهج الوافدة التى التمسوها وصدقوها يوماً هى التى فتحت لهم باب الشر واسعاً وأنه لابد من حسم فى المواجهة والتبذ على سواء حتى تقوم النهضة الإسلامية على شريعة الله فهى وحدها التى تجمع المسلمين وترد عنهم خطر الاحتواء والغزو والتدمير الذى تستهدفه المناهج الوافدة لقد كنا نقول منذ ثلاثين سنة أن قوى العدو إنما تتطلع إلى السيطرة من أجل الموارد والأسواق وأنها تكتفى والخضوع من العرب والمسلمين ولكن يبدو أن هذه النظرة كانت ساذجة فان القوى الجديدة

التى برزت أنيابها تحت أسماء الصهيونية والماركسية لا ترى هذا ولا تقف عنده وإنما ترسم لتمزيق رقعة الإسلام من طرفها الغربى طنجة وطرفها شرقى باكستان ووسطها فلسطين وأنها تضربها بمعاول الأيدلوجيات التى أخذت تغزو البيوت والعقول والقلوب عن طريق السينما والمسرح والقصة والكتاب. والهدف (أولا) إيقاف المد الاسلامى والقضاء على حركة اليقظة الإسلامية التى ثبت الان تماماً إنها الطريق الذى لا طريق غيره للمسلمين (ثانياً) تمزيق هذه الأمة التى جمعها القرآن بالتوحيد حتى تصبح أمماً محتواه ليس لها رابطة من لغة أو عقيدة أو فكر ولقد قال سياسى غربى كبير يوماً بعد هزيمة أمته : أن هناك خطراً يمتد من طنجة إلى كراتشى ، وإن الإسلام ذو قوة وحضارة وثقافة وهو جدير بأن يكون الوارث لنا. إن المسلمين والعرب اليوم قوة ولديهم كل أدوات امتلاك الإرادة وهم مفتوحون على الحضارة الغربية وعامل هام فى التوازن الدولى ولكنهم لا يعقل أبداً أن يخضعوا إزاء أى أيدلوجية أو مذهب غير مذهبهم ، وهم حين يفرضون منهجهم القرآنى فإنما يقررون مبدأ السماحة والاخاء البشرى الذى يرفع راية المساواة والاخاء بين جميع الأجناس إلا من اعتدى واتبع سبيل التامر والغزو فهذا خارج عن نطاق هذا التعامل « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوهم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم » إن مرحلة التبعية والسيطرة والاحتواء قد انتهت تماماً وزالت إلى غير رجعة وأن مرحلة إمتلاك الإدارة والرشد قد بدأت فعلا وهى بداية مرحلة الانتقال من اليقظة إلى النهضة فى عالم الإسلام وهى كبرى علامات القرن الخامس عشر الهجرى الذى يطلع فجره اليوم فعلى المسلمين والعرب أن لا يرتدوا إلى الوراء وأن يعلموا أنهم يملكون إسمى المناهج وأنهم الأعلون فوق لعبة السياسة والاحتواء وأن طريقهم هو ذلك الصراط المستقيم : طريق الأصالة والذاتية المتميزة التى تضعهم حيث وضعهم الله شهداء على الناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون المجتمع الربانى فى الأرض.

عالم الاسلام المعاصر

فى القرن الرابع عشر الهجرى

واجه عالم الإسلام المعاصر خلال القرن الرابع عشر خمس ثلاث تحديات هى أخطر ما واجهه من تحديات .

أولا : التجربة الغربية

كشفت الأحداث المتوالية على مدى ثلاثين عاماً ، أن الكيان الإسلامى ما زال يرفض الجسم الغريب ولا يقبله ، لأنه ليس من معدنه ، ولأنه لا يستطيع أن يقدم له أشواق الروح ، أو يتجاوب معه فى أسلوبه ومضمونه وقيمه . لقد رفض الكيان الإسلامى التجربة الغربية . ليس فى مجال النظام السياسى الديمقراطى الليبرالى وحده ، ولكن على النطاق الأوسع فى مجال الحضارة والمجتمع. لقد جاءت التجربة الغربية فى بلاد الإسلام معارضة تماما لطبيعة تكوين هذه الأمة ، التى شكلها الإسلام منذ أربعة عشر قرناً فى وجوه كثيرة ، وإن كانت فى بعض مظاهرها تخدع الذين لا يعرفون جوهر الإسلام ، بالمقارنة بين الديمقراطية الغربية والشورى الإسلامية . وبينهما فروق بعيدة وخلافات عميقة ، ولقد جاءت الديمقراطية الغربية إلى بلاد الإسلام على سبيل القسر والتحكم ، ولم تكن عن رغبة أو طواعية . فقد فرض النفوذ الأجنبى بالاحتلال السياسى والعسكرى هذا النظام ، بعد أن عطل منهج الشريعة الإسلامية ، الذى عاشت الأمة الإسلامية فى إطاره عمرها كله ، ولم يكن هذا النظام الوافد البديل إلا عاملا من عوامل تهديم المجتمع الإسلامى وضربه فى الصميم ، فقد فرض عليه القانون الوضعى ونظام الربا ، وأباح فيه أسلوباً من التعامل قريباً من الإباحية وحمى التفسخ ، وأتاح لكل عوامل الفساد أن تنمو فى حياطة القانون وحمايته ، فضلا عن النظام السياسى الذى لم يكن إلا مظهراً كاذباً يحمل طابع الديمقراطية وحكم الشعب ، بينما يضمر فى أعماقه تسلط الفرد الديكتاتور . لقد قامت الديمقراطية فى الغرب على مفاهيم ميكافيلى : الذى قرر أن السياسة لا تخضع للدين ولا للأخلاق ، وأن لها قواعدها المتقلبة ، والسياسة عند ميكافيلى هى ؛ الوصول إلى الحكم ، ثم البقاء فى الحكم بعد الوصول اليه ، وفى سبيل الوصول إلى الحكم تباح جميع الوسائل بدون استثناء ومن ذلك قولهم : أن السياسة تكتيك ، لا شأن لها بالخير والشر . فمن أراد أن يصل إلى الحكم فهذه هى الوسائل : القتل ، والكذب ، والرشوة ، والمكر ،

والخداع ، ويرى ميكافلي - وقد قامت مفاهيم النظام السياسي الغربي الديمقراطي الليبرالي على ما قعده من قواعد - يرى أن السياسة لا تقوم إلا على الدسائس والمؤامرات لنيل القوة وان الغاية تبرر الوسيلة ، وأن على الحاكم أن يحقق رغبته دون نظر إلى الأخلاق والقيم. يقول ميكافيلي : « فليحافظ الأمير على عرشه ، دون النظر إلى الوسائل ، فانها ستبقى على الدوام معتبرة شريعة يمدحها الكل . لأن العامة مأخوذون بالظواهر وبنتائج الأشياء، وأنهم هباء لا قيمة لهم ولا يحسب لهم حساب » وبهذا المفهوم جرى تطبيق التجربة العربية في بعض بلاد عالم الإسلام ، ولم تكن الصورة الديمقراطية الظاهرة إلا قفازا حريرياً يخفي وراءه الأظافر المخضبة بالدماء ، والتي لا تسمح للمعارضة أو الرأي الآخر أن يكون له وجود حقيقي ، ومن العجب أن يشهد كتاب الغرب بأن هذه الديمقراطية الليبرالية قد فشلت فشلا ذريعاً في بلادها ، ومع ذلك فقد نقلت إلى أفق العالم الإسلامي لتلقى مزيداً من الفشل يقول مؤلف كتاب « الثورة العقائدية » : « أن الليبرالية السياسية لم تنم نمواً طبيعياً في أية بلاد إسلامية ، وأن بعض المحاولات التي جرت لنقل الليبرالية الأوربية في القرن الراهن ، إلى بعض البلاد الإسلامية قد فشلت ، ويبرر المفكرون المسلمون هذه الظاهرة : بأن القرار ديمقراطي في جوهره ، كما ينطوي على مساواة بين الناس ، ولما ينص عليه من شورى قبل تقرير الأمور ، ولما يؤكده من اجماع ويصر عليه من ضرورة خضوع الحاكم للشرع والواقع أن الاسلام لايقيم نظاما بشريا يسمى مبدأ سيادة الامة ولكنه يقيم نظاما ربانيا يسمى تطبيق حكم الله واقامة المجتمع الرباني ولذلك فإن الإسلام حين يأخذ مبدأ الشورى لا يهدف إلى تحقيق ما يسمونه : «مبدأ سيادته الأمة» فإن التشريع الإسلامي في الحقيقة ، هو التعبير الأصيل عن إرادة الأمة ، وأن الحاكم في الإسلام إلى أن يكون لهذه الأحكام السلطة العليا . وأن محاولة جعل الأمة صاحبة سلطة السيادة ، إنما هي محاولة مضللة ، لإخفاء وضع هذه السيادة في يد القيصر أو الديكتاتور ، وإنما يهدف إنما يهدف القيصر أو الديكتاتور أن يتخفى وراء هيئة نيابية منتخبة من الشعب ، وليس الأمر في نظر رجال القانون الغربيين ، إلا مجرد رمز أو صورة ، تخفي وراءها سلطة ديكتاتورية مستورة ، وراء ما يسمى : « الاستفتاء الشعبي » ، ويقول الفقهاء الغربيون اليوم بمنتهى الوضوح : أن مبدأ سيادة الأمة لا يكفل منع الاستبداد أو الاستئثار بالسلطة المطلقة ولقد تلاءم مبدأ سيادة الأمة مع الأنظمة الديكتاتورية ، فهو لا يمنع الاستبداد بل هو خطر على الحرية ، لأنه ليس من شأن هذا المبدأ أن يهدف إلى وضع قيود أو حدود ، على سلطان السلطة التنفيذية أو السلطة التشريعية . ولقد وصلت الديمقراطية الغربية اليوم ، إلى مرحلة الفشل والهزيمة

والانهيار ، بعد أن اقتحمتها الأخطاء من كل ناحية ، ولم تعد الشعوب فى الغرب تثق فيها ، أو تجد فيها نظاماً صالحاً ، ولم تعد أحزاب الغرب تستطيع أن تنال ثقة الناس . وقد كتب كثيرون من أمثال « توينبى » وغيره يكشفون عورات هذا النظام وفساده ونتائجه الخطيرة ، فى الاضطراب الاقتصادى ، والتحلل الاجتماعى ، والفساد الأخلاقى ، وتوسيع الهوة بين الفقراء والأغنياء . وعندما ننظر إلى إحدى الدول الأوربية الديمقراطية ، نجد أن ٤٨٪ من ثروتها فى قبضة ٠.٧٪ من مجموع المواطنين . وأنه بينما تسلمت أرملة آخر من فقد حياته من عمال المناجم أثناء عمله ٦٧٥ دولاراً تعويضاً عن حياة زوجها ، حقق لورد كارنجتون (وزير الدولة السابق لشئون الطاقة) ما يساوى ٩٣٢ ألف دولار ربح صفقة واحدة . وقال « دزرائيلى » منذ مائة عام أن بريطانيا أمتان تقع كل منهما تحت مؤثرات مختلفة ، وتحكمها أخلاقيات متباينة ، ولا يجمعهما فكر مشترك ولا حتى فى المشاعر ، بل مجتمع للفقراء ومجتمع للأغنياء ، يطفحان بروح الصراع الطبقى العميق . ومن هنا نجد الخطر كل الخطر ، فى ذلك الجيل الذى يؤمن بتفضيل قيام النظام الديمقراطى الغربى ، بديلا عن النظام الإسلامى ، وهذا الجيل الذى لم يتعرف إلى مفهوم الإسلام تعرفاً صحيحاً مع التفريق الواضح بين الشورى الإسلامية والديمقراطية الغربية ، بعد أن حدث خلط كبير بينهما . ذلك أن الإسلام يجعل السيادة للشرع لا للشعب أو لفرد أو لجماعة : «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » النساء : ٦٥ ، فالسلطة التشريعية هى لله وحده تبارك وتعالى ، فلا يجوز للناس أن يشرعوا ، أما السلطة التنفيذية فهى بين يدى أمير المؤمنين ، ونظرة الاسلام إلى الحكم : هى أن يكون الحاكم نائباً عن الأمة فى تنفيذ ما تعاقدت معه على تنفيذه . فالحاكم فى الإسلام نائب عن الأمة فى تنفيذ أحكام الشرع عليها ، لأن السلطان للأمة أصلا ، تعطيه بالإنابة عنها ، لمن تراه كفؤاً على القيام بأعباء الحكم وتنفيذ أحكام الشرع . ومن هنا فقد بطلت تلك المحاولة التى تهدف تطويع الإسلام تحت اسم الشورى ، إلى مفهوم الديمقراطية على الطريقة الحديثة ، ذلك أن ذاتية الإسلام تعلو على هذه المقارنة ، وعلى المسلمين تطويع مجتمعاتهم لنظام الإسلام ، وأن يعلموا أن الديمقراطية الحديثة تختلف اختلافاً عميقاً وجذرياً عن الإسلام ولا ريب أن محاولات بعض الكتاب المسلمين فى إخضاع مفهوم الإسلام للشورى ، للأساليب الغربية خطأ محض ، وهذه الطريقة الغربية تخضع للرشوة وللتزوير ، والتى تمثل البعض من الوصول إلى السلطة بغير

كفاية حقيقية بينما الشورى فى الإسلام لا تكون إلا مع من صفت نياتهم وتأكد الإمام من اخلاصهم حتى يطمئن إلى الأخذ برأيهم والاعتماد على وجهات نظرهم ، فلا يستنبطون من ورائها أمراً ولا يطمعون فى مغانم أو مصالح ، ومن ذلك خطأ الذين يقولون أن الديمقراطية تقوم على الشورى ، وأن الشورى الإسلامية يمكن أن تنفذ عن طريق المجالس الشعبية الديمقراطية وبالطريقة التى تعمل بها ، لأن هذه المجالس لا تمارس وظيفة الشورى بل وظيفة الرقابة فليس الحكم الديمقراطى قائماً على الشورى كما يفهم بعض الناس ، ولكنه يقوم على الرقابة وإحصاء الأخطاء أما الطريقة الإسلامية فانها تختلف عن ذلك تماماً ، ففى الإسلام وحدة الهدف الذى يسعى إليه الحاكم والمحكوم ، وتقييد سلطة ولى الأمر إنما يكون بمقتضى النصوص الشرعية فولى الأمر فى النظام الإسلامى لا يملك التشريع إلا فى أمور فرعية ، وهو متقيد بالأصول الشرعية وهو منفذ للشريعة ، والعدالة الإسلامية عدالة ثابتة ويجب التقيد بها على مر الزمان ولا يصح طرح الشريعة لمجرد الطعن عليها بالقدم ومضى المدة وتغير الظروف وليس فى الإسلام حكومة (ثيوقراطية) والتاريخ الإسلامى كله لم يعرف مثل هذه الحكومة ، فالإسلام يقيم نظام الدولة شاملا لجميع المواطنين ، ويجعلهم على قدم المساواة فى الحقوق والواجبات ، ويكفل حرية الاعتقاد والعبادة لجميع المواطنين ، والقول بأن فى الإسلام دولة ثيوقراطية هو من الأخطاء التى يحاول بعض المستشرقين والعلمانيين الصاقها بالإسلام ، بينما هى من عمل التاريخ الغربى والأديان فى الغرب ، ومن الحقائق الثابتة الأكيدة ، أن الإسلام لم يقم الدولة الثيوقراطية على المفهوم الذى عرفه البابوات فى حكوماتهم ، ومفهوم الدولة الثيوقراطية التى يتولى أمرها رجال الدين على المعنى المتعارف عليه فى الغرب ، لا يوجد فى الإسلام ، وشريعته السمحاء لا تقر وجود ما يسمى رجل الدين ، وليس فى التوحيد بين السلطتين الدينية والدنيوية فى الإسلام ، ما يؤدى إلى شىء من التضارب ، فليس فى الإسلام حقائق روحية خالصة ، ولكنه جامع بين الروح والمادة ، وحكومة الإسلام فى تطبيق مبادئه ليست إلهية ، بل هى بشرية تخضع للنقد وتقبل الشورى وتقبل رأى الإنسان واجتهاده ، وإمام المسلمين هو بحكم نظام الإسلام من الخيرة بينهم إيماناً بالله ومعرفة بمبادىء الاسلام ، وأكثرهم تجنباً للظلم واحقاقاً للحق وإقراراً للعدل لقد سجل كثير من الباحثين المسلمين فساد المنهج البشرى ، فكتب أمثال الدكتور محمد عبدالله العربى عن تجربته الخاصة فقال بأدركت — كما أدرك غيرى من علماء أوربا أنفسهم — أن هذه النظم التى تمكنت من درسها

وتدريسها أكثر من ثلاثين عاماً عاماً ، كانت من أهم الأسباب فى كل ما حاق بالبشرية ، وما زال يحيق بها من ويلات وكوارث وشقاء شامل من هذه النظم الأوربية وما فيها من اضطراب وتناقض لأنها من تفكير البشر وصنع البشر ، الذين لا يرون إلا ما هو مكشوف لهم فى فترة محدودة من الزمن ، وفى قطاع محدود من الأرض . رؤية فيها كل قصور الإنسان وانفعالاته العابرة وشهواته الجامحة . فتفكيره من أجل ذلك لا مناص من أن يكون تفكيراً جزئياً وتفكيراً وقتياً ، ومن هذه الجزئية يقع النقص والقصور . ومن هذه النقطة يقع الاضطراب فى التمييز بين الحق والباطل فما يكون حقاً فى عصر يكون باطلا فى عصر آخر» تبعاً لأمزجة الحكام وأحياناً المحكومين . ويقول : « لقد احتجبت حضارتنا الإسلامية أمام غزو حضارة أجنبية ، وكان تقليدنا لما خبث فيها أسرع من اقتباسنا لما صلح منها فشبابنا فى الجامعات لا يدرسون إلا النظم السياسية والاقتصادية كما تعرفها أوربا ، وتشريعاتنا الوضعية فى شئون الحكم والاقتصاد والاجتماع ، تحتذى حذو التشريعات الأوربية وتنهج على منوالها فيما تحرمه وفيما تبيحه ، وفى سياستنا الاقتصادية والمالية اقتبسنا نظمهم المصرفية الربوبية ، التى سيطر من خلالها اليهود على الاقتصاديات العالمية ، وفى سلوكنا الاجتماعى أصبحنا نقلد مجونهم وأزياءهم ومباذلهم الفاجرة ، ثم تقاعسنا فى نفس الوقت عن ابتكاراتهم الفنية وكشوفهم العلمية . هذه هى الحقيقة التى انكسفت فى العالم الإسلامى منذ وقت طويل ، عندما أخذت حركة اليقظة الإسلامية تكشف زيف الدعاوى الوافدة ، فى مجال السياسة والاجتماع والاقتصاد والقانون وتلح إلحاحاً شديداً على مدى الاخطار التى واجهتها المجتمعات الإسلامية منذ أن خضعت للتجربة الغربية ، ومدى الاثار التى تربت عليها فى أجيالها المتوالية فكان لابد أن تصل الأمور إلى غايتها بإزاحة هذه التجربة فى بعض الأقطار الإسلامية كباكستان وإيران ، والكشف عن آثارها التى تتمثل فى فرض مجتمع الفجور والربا على الأمة الإسلامية ، وقد بدأ واضحاً اليوم أن المسلمين إنما يريدون مجتمعاً أصلا يستمد وجوده من مفاهيمهم وقيمهم ، ولا يرضون عن هذا المجتمع الذى أقامه اليهود فى قلب العالم الإسلامى على دعائم من النظام الليبرالى الديمقراطى . والذى يتمثل فى ديكتاتورية الحاكم المستبد ، تحت اسم العصرية والتقدم واعتبار الإسلام رجعية ، وبناء النظرية التقدمية على أساس الأصول الوثنية القديمة. وإحياء التراث الذى سحقه الإسلام سحقاً ، سواء أكان مجوسياً أو أشورياً أو هندوكياً أو بابلياً ، أو تراث قورش ، وإقامة الدولة العصرية على معنى التحلل

الخلقى والفجور إن التجربة الغربية فى أسلوب العيش قد فشلت فى المجتمع الإسلامى فشلا ذريعاً ، وما يعتقد أحد أن المسلمين يرغبون فى إعادة تسبيق مجتمع الانحلال والفساد الغربى على مجتمعهم حيث لا تفهم الدولة العصرية إلا حرية الفجور والخمور وسيادة اليهود عن طريق الفوائد الربوية ، هذا هو النمط الذى كان يشجعه بعض الحكام المسلمين الذين أسقطهم الشعب ، حيث تفتك الدكتاتورية وتسلب ثروة الشعب من ناحية ، وتدميرهم بالمفاسد والإنحلال من ناحية أخرى وتحول بينهم وبين امتلاك ثرواتهم وإرادتهم فى إقامة المجتمع الأصيل: إن المسلمين الذين يملكون اليوم الطاقة والثروة والتفوق البشرى يتطلعون فى قوة إلى مجتمع إسلامى قائم على مفهوم الإسلام الأصيل ، بعد أن فشلت التجربة الغربية ، وبعد أن أخذت شمس الحضارة تغرب عن أوربا بشقيها الديمقراطى والماركسى ، وبدأت أنظار العالم كله تتطلع إلى المشرق إلى عالم الإسلام ، وإلى الإسلام نفسه كمنقذ للبشرية من وهدتها . إن على الغرب أن يغير نظرته وأسلوبه القديم ، حين كان ينظر إلى الشعوب الشرقية كأنها وسائل لغاياته الخاصة وأن تتوقف محاولات الغرب فى أن يفرض على المسلمين أسلوب العيش الغربى وحضارته ، فى إطار أيدلوجياته المضطربة من ديمقراطية واشتراكية ، لأنها تهدف إلى الحيلولة بينه وبين امتلاك إرادته الحرة ، فى إقامة المجتمع الربانى وتقديم الإسلام للبشرية كلها بوصفه الأمل الوحيد الباقى للبشرية ، حتى تخرج من أزمتها القاسية . لقد كانت رسالة الإسلام وستظل . أعمق حركة من حركات التحرر ، تحرير الإنسان من عبودية الإنسان وتحرير الإنسان من الوثنية وعبادة غير الله . وقد أعلنت مساواة الأجناس البشرية أمام العدل الإلهى ، وتحطمت القوى المستبدة على صخرة المساواة الإسلامية واليوم ما أشد حاجة البشرية إلى تحريرها من المادية والوثنية والإباحية التى تتردى فيها . إن الإسلام لا يزال غضاً طرياً ، وقادرا على العطاء ، وان التجربة التى تمت قد كشفت عن فساد الأسلوب الغربى الذى أخذت به الدول الإسلامية منذ الحرب العالمية الأولى إلى اليوم . وكيف جر عليها هذا الأسلوب من التدمير والخطر والفساد ما يعرضها اليوم إلى الاندحار . لذلك فان الصيحة التى تنطلق اليوم فى باكستان وإيران وتركيا هى صيحة طبيعية ، لأنها تكشف عن مدى ما وصل إليه العقوق ، فى حجب المنهج الإسلامى تحت ركام شديد الظلام والفساد ، من الفكر الوثنى القديم المنبعث ، والفكر الغربى الوافد ، الذى لا يلتقى مع الفطرة الإنسانية ولا مع الأصالة الإسلامية

يقول فريد هاليدى فى كتابه إيران الدكتاتورية والتطور »: كان المثقفون الإيرانيون يشعرون

أنهم فى مصيدة فمن ناحية كانوا يدركون حدود التاريخ والثقافة الإيرانية ، ومن ناحية أخرى كانوا ثائرون على الشكل المحدود من الثقافة الغربية التى كانت تستورد إلى إيران ، ولهذا تطلع عدد محدود من هؤلاء المثقفين إلى العودة ، إلى القيم الاسلامية ، أما الذين كانوا يتطلعون إلى ما قبل الإسلام فكانوا يعتنقون أفكاراً خاوية متعصبة ، كذلك فإن مجال التعبير فى ظل الدكتاتورية كان محدوداً للغاية ، فقد اتسع نطاق الممنوعات والمحظورات ليشمل مجالات متعددة » . لقد كان من أكبر التحديات أن يبعث فى شعب مسلم بعد — أربعة عشر قرناً — عودة إلى قورش وقمبيز والاحتفال بالوثنية الجاهلية ، وإعادتها جذعه ، وإنفاق ملايين الجنيهات على هذا الإحياء ، بل إن الشاه ألغى التقويم الهجرى واستبدل به تقويماً فارسياً قديماً ، تحدياً لتاريخ الإسلام الذى أعطى المجتمع الإيرانى هويته الحضارية فى الأربعة عشر قرناً الأخيرة ومن ثم تلتقى الدكتاتورية بالوثنية الجاهلية بالإباحية الغربية ، للاجهاز على شعب مسلم ، وكان من طبية الإسلام «أن تنبعث من أعماقه القوة القادرة على التصحيح والتماس الأصالة والمنابع ، هذه الصيحة التى هزت أركان العالم الاستعمارى كله والتى تستغلها الصهيونية العالمية ، لكى تخيف الغرب من يقظة الإسلام . هذه اليقظة الكريمة التى لا تحمل فى طياتها إلا الرحمة والعدل والأخاء البشرى . إن الإسلام لا يهدد أحداً ولكنه يتطلع إلى أن يقدم المنهج الصحيح للبشرية أما اليهود فليس لهم بضاعة إلا البغاء والفساد والربا ، ولذلك فهم من وراء القوى المستبدة المفسدة . إن الأمة الإسلامية بعد أن جربت النظام الغربى ، وجربت النظام الماركسى قد أصبحت مقتنعة تماماً اليوم أنه لا سبيل لها إلا عن طريق منهج الإسلام : وأن أى منهج لتحديث المسلمين أو إدخالهم فى حضارة العصر لا يصلح إلا إذا قام الإسلام نفسه ، وقد استطاعت الحركة الإسلامية أن تؤكد للدنيا كلها ، أن الإسلام ما زال حياً قادراً على العطاء وأن كل ما أذاعه المستشرقون والاستعماريون عن الإسلام كاذب مضلل ، وأن الغد للإسلام .

ثانياً : القوميات

كشفت الأبحاث الجادة التى قام بها باحثون محايدون ، أن نظرية القومية العربية التى طرحت فى أفق الفكر الإسلامى ، كانت بمثابة مؤامرة استهدفت تمزيق الوحدة الإسلامية ، السياسية والاجتماعية والفكرية ، وأنها هى أخطر المحاولات لتفريق عقد الأمة الإسلامية ،

التى كانت مترابطة تحت كلمة التوحيد ، وقد جاءت هذه الأبحاث بعد ركام ضخم من الكتابات والدراسات ، التى قدمت منذ الثلاثينات من هذا القرن ، بهدف تدمير وحدة العروبة والإسلام الجامعة ، التى كان يصدر عنها رجال العمل السياسى فى البلاد العربية . وكانت الدعوة إلى القومية ، بمثابة دعوة إلى الإقليمية أولا ، فى الأقطار التى لها تاريخ قديم سابق للإسلام ، وكانت من ناحية أخرى كمحاولة لفصم عرى العروبة والإسلام ، فقد استعملت كلمة القومية بمفهوم الأقليمية فى مصر باسم الفرعونية ، وفى سوريا باسم الفينيقية ، وفى العراق باسم الأشورية والبابلية ، وفى المغرب باسم البربرية . وتركزت حول هذه الدعوى دراسات مضللة ، قام بها مستشرقون يتبعون وزارات الاستعمار فى فرنسا وانجلترا مستهدفين إحياء هذه النحل التى قضى عليها الإسلام ، حين جاء قاطعاً لذلك الارتباط القديم الذى يفرق بين اجتماع أمة الإسلام وبين ارتباطها تاريخها ولغاتها القديمة . وحتى نعرف أبعاد قضية القوميات وتفسيراتها الوافدة ، يجب أن نراجع تصريحاً تردد على ألسنة الكثيرين من دهاقين السياسة فى أوائل هذا القرن ، يلخصه الدكتور « صمويل زويمر » كبير المبشرين البروتستانت فى الشرق فى قوله : « أن أول ما يجب عمله للقضاء على الإسلام هو إيجاد القوميات » . ولقد كان أول عمل بدأت به الإرساليات التبشيرية فى بيروت هو الدعوة إلى العروبة بهدف تمزيق وحدة العرب والترك ، القائمة تحت لواء الخلافة العثمانية . وكان حملة هذه الدعوة هم مسيحيو لبنان ، الذين كانوا يطالبون بكيان مستقل داخل الدولة العثمانية . ثم ظهرت الدعوة إلى القومية التركية ، تحت اسم الطورانية عن طريق حزب الاتحاد والترقى ، بهدف إخراج تركيا من طابعها الإسلامى ، فلما نجح حزب الاتحاد والترقى فى الوصول إلى الحكم أخذ يعمل على تتريك الشعب وتحويل المحاكم والمدارس ودور الحكم إلى اللغة التركية والقضاء على اللغة العربية ، ومن هنا بدأ العرب فى المملكة العثمانية فى الدفاع عن أنفسهم فنشأت الدعوة إلى العروبة ، فلما سقطت الدولة العثمانية اتخذ العرب من الترابط تحت اسم العروبة ، أسلوباً من أساليب مقاومة النفوذ الأجنبى .غير أن الاستعمار والنفوذ الأجنبى ، عمد إلى طرح مفهوم للعروبة ، مستعد من مفهوم القوميات الغربية ، استشرى أمره وحاول أن يقضى على ترابط العروبة والإسلام ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فإن الفكر الوافد حاول أن يطرح عدة نظريات ، ليمزق وحدة الفكر الإسلامى ، ويحول به دون الالتقاء فى كيان جامع موحد ، فكانت هناك الدعوة إلى القومية الوطنية ، وتمثلت فى الدعوة إلى القومية اللبنانية والقومية

السورية والقومية المصرية ، وكانت هناك دعوة القومية المستمدة من مفهوم النظرية الألمانية أو النظرية الفرنسية ، واحداهما تعتمد اللغة أساساً لها ، وتعتمد الأخرى مفهوم المشيئة . ولم تكن الدعوة إلى القومية الوطنية فى حقيقتها إلا دعوة إلى الاقليمية فى محاولة لإعطاء هذه الاقليميات طابع القوميات . ثم لما برز طابع العروبة ، الذى كان هو منطلق سوريا والعراق والحجاز فى مواجهة الطورانية أولا ، ثم فى وجه الاحتلال الفرنسى لسوريا ولبنان ، ثانياً كموقف مفروض لا محيد عنه ، هنالك رأت حركة التغريب أن فكرة العروبة بمفهومها الإسلامى التى أخذت تترعرع ، بمثابة خطر جديد عليها ، فأخذت تتدخل فيها لتحريفها وإفسادها ، وذلك بعد أن فشلت دعوة الأقليميات ، لذلك فقد عمدت إلى طرح نظرية القومية العربية وحشدت لها حشوداً ضخمة ، بهدف زعزعة المقومات الأصيلة ، وتعرية العروبة من كل مفاهيمها المرتبطة بالإسلام سواء على صعيد الفكر ، كالثقافة والتاريخ واللغة أو على صعيد السياسة ، كالترابط والانفتاح بين الأمم الإسلامية ذات التاريخ والثقافة والعقيدة الواحدة ، والتى تجمعها منذ خمسة عشرقرناً أرضية ثابتة ورصيد ضخم كانت النظرية فى القومية تريد أن تحمل معها ثلاثة محاذير خطيرة . أولا : طابع الاستعلاء الجنسى المغلق فى مواجهة الأمم الإسلامية ثانياً : طابع الانعزال الكامل عن التاريخ والتراث والمقومات الإسلامية . ثالثاً خلق وجود معاصر منفصل تماماً عن الإسلام وعن العالم الإسلامى متصل بالغرب مندغم فى تفسيراته وقيمه وطوابعه . وقد غاب عن الذين طرحوا النظرية الغربية فى القومية ، أن هناك عاملا ضخماً لا سبيل إلى تجاهله أو إغفاله من أى نظرة علمية ، وذلك هو الطابع الفكرى العميق الذى صاغه الإسلام للتشكل العربى ، فى أولى مراحل وجود العرب كأمة ، بعد أن كانوا مجموعة من القبائل المتصارعة ، وأن هذا الطابع قد أقام حداً فاصلا عميقاً (فكرياً وسياسياً واجتماعياً) بين ماضى العرب والمصريين والشاميين والعراقيين والمغاربة جميعاً ، وكل من عاش فى هذا العالم الممتد ، الذى سيطر عليه الإسلام وشكله الفكر الإسلامى ، وخاصة تلك المنطقة التى تعربت وأصبحت تسمى مجال العروبة ، وأنه لا سبيل إلى إعادة هذه الأمم إلى ماضيها القديم ، بعد أن نقلها الإسلام ، تلك النقلة الواسعة من الأساطير والوثنيات والعصبيات والصراع الفكرى والفراغ الاجتماعى ، إلى ذلك الطابع المتكامل من التوحيد والعدل والحق والمقومات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقانونية الواضحة فى ذلك النظام المحكم الذى نزل به القرآن ورفع لواءه الإسلام وفى عام ١٩٤٠ تقريباً بدأت عملية طرح النظرية الغربية فى القوميات وظهر أقلام تتحدث عن فلسفة القوميات ، وتشكلت هذه الفلسفة على

هيئة مؤسسات وأحزاب ومدارس فكرية ، وبدأت نقطة إنطلاقها من لبنان ومن خلال خريجى معاهد الإرساليات ، والعائدين من بعثات تعليمية أجنبية ، واتخذ بعضهم الأسلوب المجنح الحالم الصوفى ، الذى يحاول أن يعطى كلمة القومية العربية مفهوم العقيدة الدينية ، ويروج لها فى إطار من المزامير والموسيقى والأناشيد والتراتيل ، على نحو يؤثر فى نفوس الشباب الطامح المترقد حماسة ، إلى مثل أعلى وفكرة ومنهج حياة . وقد شاء أصحاب الدعوة ، أن يرجعوا التاريخ المكتوب الذى عاشته العروبة فى كنف الإسلام ، أن يرجعوه القهقرى من جديد ، ليدخلوا فيه كلمة القوميةالتى لم يكن يعرفها ، والتى لم تجر على الألسنة والأقلام إلا فى أوائل هذا القرن الميلادى ، والتى يندر أن يوجد نص مكتوب لأديب أو مفكر أو شاعر يتخذ من كلمة (ق و م) شعاراً له أو منطلقاً فى قصيدة أو مقال أو كتاب . ذلك أن أصحاب هذه الدعوة لم يكفهم أن يقولوا كلمتهم اليوم ، ولكنهم حاولوا أن يقدموا لها تاريخاً طويلا بعيد المدى ، يسبق ظهور الإسلام ويمتد بعده ، ولا شك أن تلك المحاولة كانت باطلة وزائفة ذلك لأنه لم يكن هناك إلا تاريخ واحد ، هو تاريخ الأمة الإسلامية ، والعرب جزء منه ، ولم يكن هناك ما يفرق بين العرب والمسلمين خلال ذلك التاريخ ، الذى كان العرب والترك والفرس والهنود فيه كلا متكاملا . ولا ريب أن تفسير التاريخ الإسلامى تفسيراً قومياً ، كان مضللا وكاذباً ، حيث لم يكن هناك انفصال بين الإسلام والعروبة إلا بعد الاحتلال الأجنبى وانفصال الدولة العثمانية عن العرب . كذلك فقد كان هدف دعاة القومية أن يفصلوا العرب عن الفكر الإسلامى ، وعن الامتداد الإسلامى ، وأن يخلقوا كياناً عربياً جاهلياً يعود بالعرب إلى كنعان وعدنان وارم ، وإحياء هذا التراث القديم ، بعد أن سيطر الفكر الإسلامى أربعة عشر قرناً كاملة على عالم الاسلام الواسع ، واستوعب فى أعماقه كل فكرة صائبة ونظرة صالحة من ذلك التراث القديم وإذا كانت بعض الظروف قد أفسحت المجال لطرح النظرية القومية الوافدة حيناً ، فانها لم تلبث أن تكشف فسادها وغرابتها على الروح الإسلامية وأنها ليست منبعثة من وجودنا ، وليست تمثل فكرنا أو كياننا أو جوهر قيمنا . وأن أخطر ما وقع فيه هؤلاء الدعاة جميعاً ، أنهم صدروا عن مفهوم وافد تشكل فى إطار المجتمع الغربى ، وواجه المسيحية الغربية ، وفاتهم اختلاف العلاقة بين العرب والمسلمين ، وبين مفهوم الإسلام كعقيدة تختلف عن المسيحية ، فى أنها ليست نظرية لاهوتية أو علاقة بين الله تبارك وتعالى والفرد . ولا صلة لها بأنظمة المجتمع وفاتهم أن الإسلام عقيدة ومنهج حياة ولأن القائمين بالدعوة

كانوا غربى الفكر ، فقد فاتهم فهم حقيقة الإسلام الجامعة بين الدين والدولة ، وبين الدين والمجتمع ، وأنه حضارة وثقافة ومنهج حياة . وبالجملة فان دعاة القومية الوافدة قد جانبوا الأصالة والفهم العميق للإسلام والعروبة ، وكانت محاولتهم فى فرض مفهوم غريب دخيل وافد ، ومحاولة مبتسرة ، شأنها شأن المحاولات التى فرضت على الفكر الإسلامى من قبل ومن بعد ، وقد أعلنت جميعها فشلها الكامل ، كالديمقراطية والاشتراكية والوجودية وغيرها . ويصدق فى هذا دارسان غربيان أولهما : « أرنولد توينبى » الذى يقول فى كتابه : « المسيحية بين أديان العالم » أن الشيوعية والقومية هما العدوين للأديان ، إذ هما شكلان مختلفان لموضوع فاسد ، ألا وهو عبادة الإنسان لنفسه . ويقول ألفريد كانتول سميث » : « إن القومية المجردة ليست هى القاعدة الملائمة للنهوض والبناء وما لم يكن المثل الأعلى إسلامياً على وجه من الوجوه فلن تثمر الجهود ، وتاريخ الشرق الأدنى الحديث يدل على ذلك » . بل أن مستشرقاً آخر ينصح قومه بالتخلى عن طرح هذه النظرية لفسادها ذلك هو « ألبرت جورانى » الذى يقول : « ليست القومية نظاماً فكرياً متكاملا ، ولكنها نقطة بداية تنظيم المجتمعات المتحدة ، فإن الشرق العربى قد وصل إلى مرحلة ما بعد القومية » وهذه حقيقة فإن السنوات الأخيرة قد كشفت عن فساد منطلق القومية ، وعجزها عن أن تحقق شيئاً ، بل أنها قد سجلت على نفسها ذلك الأثر السيء العميق ، الذى أخر نمو الوحدة الإسلامية ، التى هى الطريق الأصيل للإلتقاء الجامع ، تحت لواء العقيدة والمنهج ، وقد تبين أن القومية » أيديولوجية غربية كانت فى انبعاثها فى الغرب تستهدف تحطيم الوحدة المسيحية الجامعة ، التى كانت تشكل إطاراً عاماً فى الغرب ضد اليهودية ، التى كانت تعيش فى أحياء الجيتو دون أن تختلط بالحياة الاجتماعية الغريبة ، وقد رأت الدوائر الأجنبية التى طرحتها فى أفق العالم الإسلامى أن تمزق وحدة العالم الإسلامى . ولقد كانت القومية الطورانية ، قومية لا دينية حمل لواءها ضياء كوك ألب وأحمد أغادف ويوسف أشقورا ، وكانت تدعو إلى أمجاد طوران ، كما ظهرت القومية الفارسية ، لتعظم أمجاد فارس قبل الإسلام والسير على خط كورش « قورش » أما القومية العربية فقد قادها لورنس عميل المخابرات البريطانية والصهيونية معاً ، وأسلمها إلى مجموعة من دعاة التغريب وتلاميذ الاتحاد والترقى العرب . وكان كتابها ودعاتها يحملون العداء لكل ما هو إسلامى ، وقد اختلفوا فى كل شىء ، واتفقوا على شىء واحد هو رفض الإسلام ، عقيدة وتاريخاً وحضارة ، وأعلنوا عدواتهم للتراث والأمجاد التاريخية وللفصحى ،

وحين أعلنوا أن مقومات القومية هى اللغة والتاريخ فاتهم أن اللغة هى الفكر لا اللفظ ،وأن التاريخ لا يفصل بين العروبة والإسلام وأن الإسلام جنسية ووطن بكل معنى الكلمة لها ركائزها من اللغة والمشاعر المشتركة ووحدة الهدف . وأن الإسلام هو الذى حمى الوطن العربى من الصليبيين ، بعد أن أقاموا أربع إمارات صليبية لهم على ساحل الشام ، فجاء صلاح الدين المسلم الكردى لينشل العروبة من رقدتها ، وقد أكمل هذا الدور قطز وبيبرس ، وهما من المسلمين لا من العرب، لقد جاء بعد صلاح الدين الكردى، المماليك الذين حموا الأرض العربية من التتار وقضوا على بقية معاقل الصليبيين . وفى الجزائر التى وصفها الفرنسيون بأنها فرنسا الجنوبية ، كان الإسلام : وليست اللغة العربية هى التى حمت الأمة مائة وثلاثين عاماً بعد أن تحطمت اللغة والثقافة ، ولولا القرآن ما كانت هناك قوة فى الأرض تستطيع أن تحمى اللغة العربية الجزائرية بعد أن ظلت تتعرض لحرب منظمة مدى قرن وربع قرن من الزمان . ولا ريب أنه حيث يسقط الإسلام يسقط العرب ، وأن العرب بغير الإسلام لا شىء ، فهو الذى شكلهم وأقامهم كأمة ، وهو الذى رفع أعلامهم على مشارف القارات الثلاث . ولا ريب أن نظام الإسلام قد كون رجالا عرباً وعجماً تكويناً نفسياً وعقلياً فصدروا عن حركتهم التاريخية ، عن هداه وسننه ، وحيث لم يناقض الإسلام المقومات الجنسية ، لكل أمة وشخصيتها النابعة من التطورات المختلفة عبر القرون، بل حافظ على الكيان الخاص لكل بنية . ولا ريب أن التفسير القومى جزئى وناقص ، ومناقض للحقيقة التاريخية الجامعة ، ومناقض فى نفس الوقت لعموم الرسالة التى لا تعترف بالحركات القومية الضيقة الأفق ، ولا ريب أن الإسلام يمكنه أن يظل حياً بدون العروبة ولكن العروبة وحدها عاجزة عن إثبات وجودها ، ومعنى هذا أن الإسلام قوة دافعة للعروبة وليس منضماً لها ، بل هو سبب قوتها وتماسكها وبقائها ، وليس حرباً عليها ، وأن أى محاولة للفصل بينهما ، ، يسىء إلى العروبة أكثر مما يسىء إلى الإسلام . وقد شرف الله تبارك وتعالى أرض العروبة فجعلها منزلا لوحيه وقرآنه ومنبتاً لخاتم رسله ، وقد امتزجت العروبة بالإسلام امتزاجاً قوياً ، جعل غير العرب ينظرون على أنهما شىء واحد ، وقد وقف القرآن الكريم سداً منيعاً لحماية اللغة العربية من الذوبان والانصهار فى اللهجات . ولقد كانت كل مشروعات تبسيط اللغة العربية تهدف إلى القضاء على القرآن ، بينهما وقف القرآن سداً منيعاً مستعصياً على التحريف والتصحيف وفى مراجعة مع السيد « محب الدين الخطيب » رحمه الله ، حول مفهوم العروبة أبان حركتهم بعد

الحرب الأُولى قال : إن مفهوم العروبة ومفهوم الإسلام لم يكونا منفصلين وكانت العروبة تعنى ارتباطها بالإسلام ولا تنفك عنه ، ومفهوم الإسلام أنه قام ويقوم بالأُمة العربية ، ولذلك فإن الحركة العربية الأُولى لم تكن منفصلة عن أرضية الفكر الإسلامى ، وإنما كانت حلقة من حلقاته ، وإذا كان دعاة الفكر الإسلامى قد عملوا فى جانب العروبة فى هذه الفترة ، أى بعد الحرب العالمية الأُولى ، فمعنى هذا أنها قد أصبحت هى القلعة التى جرى من خلالها العمل لمقاومة الاستعمار والنفوذ الغربى وحركة التغريب والغزو الثقافى . وقد حرص الاسلاميون على الربط بين مصر العربية ومصر الاسلامية وكانت لهم فى ذلك نظرية دقيقة واضحة أما الفرعونية والفينيقية والبربرية فقد كشفت الأَبحاث من بعد أنها فروع من العروبة وأنه لا تضارب بينها ، فهى موجات خرجت من الجزيرة العربية ، واستقرت هنا وهناك على طول الأَرض العربية وعرضها ، وأن محاولة الاستعمار فى استخدامها للتفريق كانت باطلة ويصور هذه المرحلة الاستاذ « ادريس الكتانى » فى بحث مطول فيقول : « أنها كانت تجربة مرة عاشها العرب منذ الحرب العالمية الأُولى ، وتمثلت فى اتجاه كثير من الزعماء والأَحزاب ، لدوافع وأسباب مختلفة لخلق إطار مو حد للعمل يكون أساساً للنهضة العربية ، ويجمع شمل الأُمة العربية ، وقد قبل العرب هذا الإطار باعتبار أنه مجرد غطاء خارجى له محتوى أساسى هو الإسلام ، ولكن هذا الاتجاه تطور فيما بعد ليجعل « الغطاء » يحل محل المحتوى ، وبدأ الناس يبحثون عن فلسفة خاصة ، وهكذا أصبحنا نحن الذين أيدنا (القومية العربيـة) نراها تتحول إلى المذهب ورغم أنها لم تتمتع بالتأْييد لزمن أطول ، ولو أنها استطاعت أن تحقق أقل قدر من النجاح لأَثبتت أصالة بنائها ، وأنها قامت على أَرض صلبة لا على كثبان من الرمال ، ولقد عجز مذهب القومية أن يخلق فى نفوس أصحابه شيئاً من هذا الإيمان أو قليلا من التضحية. هذه الوحدة العربية لم تتحقق حتى بين دعاتها وأنصارها الذين اتخذوها شعاراً لهم ، ولم تحقق شيئاً للعرب المؤمنين بها ، ومعنى هذا أن تجربة هذا المذهب تكون قد استنفذت غرضها ، بعد أن أدى العرب ثمن فشلها غالياً ، وينفتح الباب أمام الإسلام من جديد برجال جدد من العرب أنفسهم ، ويمضى العرب إلى تحقيق وحدتهم ولكن باسم العقيدة التى وحدتهم أول مرة ، وباسم العقيدة سيواصلون معركتهم على واجهتين : ضد التخلف داخل الوطن الأكبر ، وضد الاستعمار والصهيونية فى كل مكان فى الأَرض وعندئذ يكون عصر اليقظة الإسلامية قد انتهى ، ويبدأ فجر النهضة وتشرق شمس الإسلام من جديد على العالم ».

وقال : « ان هناك مراحل قطعها الاستعمار والتغريب فى تعويق الانتقال من اليقظة إلى

النهضة : منها الاقليمية والقومية والماركسية والقانون الوضعى والنظام السياسى الغربى والتعليم بمناهج الغرب العلمانية ، ومحاولات تخذيل الفصحى لغة القرآن » . ولقد سقطت تلك لمحاولات ، التى كانت تجعل القومية بديلا عن دين الله ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانها أرادت أن تفرغ العروبة من محتواها الإسلامى « أمة وعقيدة » وأرادت أن تقيم قومية حاقدة منفصلة مغلقة عن أرض الإسلام كما هى مغلقة عن قيم الإسلام نفسه ، فيها المفهوم المادى الوثنى ، وفيها أحقاد الأمم ، حيث أن مفهوم الإسلام لا يفصل بين الدين والدولة ، ولا يعرف حكومة إلهية ولا يعرف تفرقة بين الناس على أساس من العنصر والعرق وبالجملة فان الفكرة القومية كانت تياراً من تيارات الغزو الثقافى ، استحدث أساليبه بعد أن سقطت دعوى الوطنيات والاقليميات ، وكانت مهمته تفريغ القضية السياسية والاجتماعية بوجه عام من المحتوى الإسلامى ، وإحلال فلسفة أخرى وعقيدة أخرى محل عقيدته . واستبدال رابطة أخرى برابطته ، لعزل الشعوب الإسلامية بعضها عن بعض عزلا نهائياً ، بحيث تكون صلة بعضها ببعض كصلتها بأى شعب من الشعوب الأخرى التى تدين بالوثنية والماركسية وبذلك تنسف الجسور التى تصل بين الشعوب الإسلامية . ولقد كان طرح فكرة القومية العربية عاملا للتمهيد لطرح فكرة القومية الصهيونية ومجالا لظهور دعوة إلى القومية الكردية وغيرها من قوميات ، وكان أخطر ما هنالك محاولة دعاة القومية إلى إيجاد منهج أشبه بالدين يحل محل الإسلام ، وتلك دعوتهم إلى إيجاد نظام نظرى شامل يستوعب الحياة الإنسانية بأكملها ، فلا يخرج عن دائرته قطاع ما من قطاعات الوجوه البشرى ، وصياغة عقيدة قومية كلية تضاهى فى كليتها وشمولها الفكرة الشيوعية ، أى أن الهدف الحقيقى هو إحلال القومية محل الإسلام وأن يصبح العرب بين خيارين : أما الشيوعية أو القومية المادية الوثنية ، وكأنما أبعد الحق الأصيل وهو الإسلام الذى يحمل المنهج الأصيل ، والذى يقاوم زيف الشيوعية والذى تعجز القومية مهما أوتيت من قوة أن تحققه وهى تركيب مفتعل معارض للفطرة الانسانية ، مجاف لطبيعة الحياة وقد سموا هذا الخليط الزائف (عقيدة قومية) .

هل استطاعت الفكرة القومية الوافدة أن تحتوى مفهوم العروبة والإسلام ؟ ؟ والواقع أن مضمون الفكرة القومية عند أمم الغرب كانت على الدوام مقترنة بفكرة التفوق الشعبى واحتقار الأمم الأخرى ، وهو معنى لا يقره أى مسلم أو يرضاه ، كذلك فقد عارضت الفكرة القومية الوافدة مفهوم الإسلام ، واعتبرته ديناً لاهوتياً — وهو ليس كذلك — بل هو منهج

حياة ونظام مجتمع ، ولقد كشفت الدراسات عن أن نظرية القومية الغربية هى دعوة عنصرية تستهدف قطع الروابط والصلات الجامعة بين المسلمين ، وتفريق الأُمة الإسلامية إلى كيانات فضلا عن عملهم فى عزل العرب عن التاريخ الإسلامى ببطولاته ومواقفه ، وحصرها فى التاريخ الاقليمى ، وكذلك عزل الأَدب العربى الحديث عن الأَدب الإسلامى ، وفرض مناهج التفكير الغربى فى السياسة والاقتصاد والقانون والتربيةوهذه كلها محاولات تستهدفتفريغ العرب من إسلامهم ، ولقد سقطت هذه المحاولات سقوطاً تاماً ، وتنبه العرب إلى أهداف المؤامرة ، ويكفيهم أن مفكرى الغرب قد كشفوا هدفها وزيف وجهتها .

ثالثاً — حركة تحرير المرأة

إستهدفت حركة تحرير المرأة — التى حمل لواءها إتباع النفوذ الاستعمارى فى العالم الإسلامى — تحقيق مجموعة من الأَهداف الخطيرة ، ترمى إلى هدم الأُسرة وتدمير المجتمع ، ودفع المرأة إلى أن تكون أداة للأَهواء والرغبات ، وإخراج المرأة عن مكانتها ورسالتها ، وتحطيم القيم الأَخلاقية والاجتماعية والنفسية فى شأن العلاقة بين الرجل والمرأة ، وبين الأَجيال المتتابعة وبين الشباب والفتيات بل إن دراسة مستوعبة لأَهداف هذه الحركة لتكشف فى وضوح أن كل مقدرات النفوذ الأَجنبى فى هدم المجتمع الإسلامى ، إنما تركز فى العمل وراء هذا المخطط الذى يأخذ أسماء لامعاً براقاً من أسماء الأَضواء . وذلك أن الهدف من تحرير المرأة فى مفهوم المخططات الغازية إنما يرمى فى الحقيقة إلى استعباد المرأة وتدمير وجودها الشخصى وكيانها النفسى والاجتماعى ، وتحويلها إلى أمة بعد أن حررها الإسلام ، وأعطاها حقوقها السياسية والاجتماعية والمالية ، على نحو لم تعرفه القوانين والشرائع القديمة والحديثة ، ولما تصل إليه بعد وقد حملت رياح السموم معها مفاهيم كثيرة مغلوطة وفاسدة فى شأن علاقة المرأة بالرجل والمجتمع والأُسرة والنسل ، أُريد بها تحويل المرأة عن طبيعة فطرتها ورسالتها ودفعها إلى طريق مظلم مضلل وخاصة فيما يتعلق بالمساواة بين الرجل والمرأة ، والقوامة والاختلاط والأُمومة واللباس والعمل . ولما كانت هذه المفاهيم الخاطئة ، قد انطلقت سنوات طويلة من العبث من خلال القصة والمسرحية ، ومن خلال الإذاعة والصحافة فقد خدعت الكثيرين والكثيرات حتى ظن القوم إنها مسلمات وحقائق ، ومن هنا نرى تلك المحاولة الضخمة فى معارضة العودة إلى الفطرة وإلى المفاهيم الأَصيلة ، توجهها قوى أجنبية تحاول أن تجند لها

قيادات مضللة ، تستمد توجيهها من خارج نطاق العالم الإسلامى : من القوى الاستعمارية والصهيونية والشيوعية التى تعول كثيراً على حركة تحرير المرأة ، وترى فيها ركيزة خطيرة لتدمير المجتمع الإسلامى وأهدافه ومن العجب أن تقود مظاهرات معارضة عودة المرأة إلى الأصالة نساء لسن مسلمات ولا يعرفن مسئولية المجتمع الإسلامى ولا مفاهيم دينه ، وهم يعرفون أن تجربتهم فى الغرب قد فشلت ولكنهم مصممون على تدمير المجتمع المسلم . ولعل أخطر ما تواجهه المرأة اليوم فى البلاد العربية والإسلامية : تلك المحاولة التى ترى إلى كسر الحاجز بينها وبين الرجل : حاجز العرض والعفة والخلق الذى يحمى من السقوط والانهيار . إن هناك محاولات ضخمة من خلال المسرح والسينما والقصص ، والكتاب النسائيين ، تهدف كلها إلى تحطيم هذا الحاجز حتى تسقط الأسرة وتتحطم الأمومة ، وينتشر طابع الخيانة الزوجية - على أساس أنه عرف من أعراف المجتمع - ولا ريب أن المرأة المسلمة اليوم ، التى عرفت حقها فى القرآن ورسالتها فى الإسلام ، يجب أن تعرف أبعاد هذه المؤامرة حتى لا تخدع بمعسول الكلام ولعل أول ما يقدم لها فى هذا الشأن هو تجربة المرأة الغربية نفسها ، فى مجتمعها المعاصر ، وهى تجربة قاسية عنيفة ، بعد أن إنحرفت الحضارة الغربية بالمرأة إنحرافاً طائشاً عن المسار الحضارى السليم ، حتى وصفت بأنها تقوم بعملية إنتحار حقيقة ، وقد أكد علماء الغرب المنصفون أن إنقاذ المجتمع لا يتم إلا بالقضاء على أسباب الانحراف ، التى أدت إليها هذه الفاجعة وتبدو عوامل الانحراف فى الظواهر الآتية : (١) إنتشار أقراص منع الحمل دون رقابة ، أدى إلى إنتشار الصلات الجنسية المحرمة (الزنا) دون تحفظ ولا خوف ، فتزعزعت أركان الأسرة ولم تعد فتاة الحضارة الغربية - ومثلها الشباب - ترى أن فى الزواج وتكوين الأسرة ضرورة إجتماعية . (٢) إنتشار ظاهرة الهيبية والخنفسة وانتشار الأزياء القصيرة الفاضحة والسماح دون تحفظ بالمزيد من الأباحية فى السينما والمسرح والصحافة . (٣) إنتشار المخدرات بجميع أنواعها وأشكالها ، أدى إلى تورط شباب الحضارة الغربية وفتياتها فى الجريمة والإباحية وأدى إلى فقدان الثقة بالمثل والأخلاق ، فأصبحوا يجاهرون بل يفاخرون بمعاداة المجتمع والقانون . وقد أعلن البروفسور « يواكيم هاتيه» بأن الأمراض الجنسية قد زادت حوالى خمسين فى المائة فى المجتمعات الغربية عما كانت عليه قبل عشر سنين ، وأن ٧٠ مليون مصاب بالسيلان القيحى بين ذكر وأنثى فى الدول الغربية المتقدمة ، هذا فضلا عن إنتشار الأمراض الجنسية بين طلاب وطالبات المدارس المختلفة كذلك أشارت

الأبحاث إلى أطفال القرن العشرين البؤساء الذين هجرتهم أمهاتهم ، وأضافت إلى الهجر عقوبة أخرى هي اليتم ، وما دام الطفل محروماً من أمه فهو طفل يتيم ، ولا يمكن أن يعوضه عن افتقاد الأم أية أم أخرى صناعية أو مستعارة، كذلك كان أطفال العصر الذين خرجت أمهاتهم للعمل أقرب إلى اللقطاء ، واليتامى ، فالأم تريد بعد العمل أن تتفرغ للهوها ولذلك فقد ألقت الأبناء فى أحضان الخادمات الجاهلات القاسيات أو دور الحضانة التى أصبحت مهنة تجارية رابحة وليست دوراً للتربية . بل إن التجربة الغربية التى يجب أن توضع أمام المرأة المسلمة قد وصلت إلى أقسى من ذلك ، فقد أشار تقرير عصبة الأمم ١٩٢٧ ، إلى أن هناك طائفة من الفتيات يجد سماسرة الأعراض بينهن مورداً عظيما لا ينضب ، وهذه الطائفة من الممثلات والراقصات وفتيات المسارح والحانات وأمثالهن . ومما يدعو إلى الأسف أن كثيراً من مديرى تلك المسارح والحانات ، يشترطون فى الفتيات اللاتى يستخدموهن . أن لا يرفضن بيع أعراضهن إذا طُلب منهن ذلك ، وهذه هى الصورة الغربية التى يجب أن تكون أمام المرأة المسلمة ، و هى تقرر موقفها من هذه الحركة الضالة التى تقودها القوى الأجنبية فى بلادنا ، ولقد كانت حركة تحرير المرأة فى أوائل هذا القرن مؤامرة خطيرة استهدفت – كما وصفها الأستاذ محمد فريد وجدى – تدهوراً مروعاً فى الآداب العامة وانتشاراً مفزعاً لمبدأ العزوبية وأصبحت جلسات المحاكم غاصة بقضايا هتك الأعراض ، وهرب الشابات من دور أهلهن وقد أعلنت الدكتورة بنت الشاطىء ما تكشفت عنه حركة تحرير المرأة مما أسمته « مهزلة أليمة موجعة » تلك هى : « أن الرجال ساقونا لنعمل لحسابهم ، وهم يوهموننا أننا نعمل ويعملون معنا لحسابنا ذلك أن الرجال رتبوا لنا الخروج زاعمين أنهم يؤثروننا على أنفسهم ، ولكنهم كذبوا فى هذا الزعم فما أخرجونا إلا ليحاربوا بنا السآمة والضجر فى دنياهم . إن أقسى ما نلقاه فى محنتنا هو شعورنا بما انكشف من ضعف الرجال وصغارهم ، ونحن شقيات بذلك ، فكان منه مرارة موجعة وأشارت الدكتورة عائشة إلى هذا الإنحراف فقالت : « إن المرأة دفعت ضريبة فادحة ثمناً للتطور ، ويكفى أن أشير فى إيجاز إلى الخطأ الاكبر الذى شوه نهضتنا ، وأعنى به انحراف المرأة الجديدة عن طريقها الطبيعى ، وترفعها عن التفرغ لما تسميه « خدمة البيوت وتربية الاولاد » ، ذلك لان الأمة لم تخرج فتياتها من دورهن لتسد بهن فراغاً كانت تشكوه فى ميادين الاعمال ، وإنما أرادت أن يجد فيهن الأمهات المستنيرات المثقفات قدوة وهاهى اليوم ترى البيوت منهن مقفرة خلاء، أما الابناء

فتركوا للخدم ، وبلغ سوء ما وصلت إليه الحال : أن نادت مناديات بحذف نون النسوة من اللغة ، كأنما الانوثة نقص ومذلة وعار وأهدار الاعتراف بالأُمة كعمل من الاعمال الاصيلة لنا ، حتى سمعنا من يسال : كيف تعيش أُمة برئة معطلة ؟ يقصد بالرئة المعطلة : هؤلاءِ الباقيات فى بيوتهن يرعين الاولاد ، وزعموا أن المرأة تستطيع أن تجمع بين عملها فى البيت ووظيفتها فى الخارج . وقد كشف الكثيرون عن أن هذه الحركة النسوية ، ما هى إلا مناورات مضللة ، وقال الشيخ محمود أبو العيون رحمه الله : إن المرأة فهمت الحرية فهماً معكوساً ، وفى ظل الحرية الزائفة تحررت المرأة من الآداب والاخلاق ، ورأت فيها قيوداً يجب تحطيمها وفى ظل هذهالحرية الزائفة داست المرأة أقدس واجباتها كزوجة وأم وربة منزل ، فتهدمت تلك الأُصول الثلاثة التى تبنى عليها حياة الاسرة وسعادة المجتمع . وقالت السيدة لبيبة هاشم : أو لسنا نرى عيوب المدنية الأُوربية بدأت تجر أذيالها ، فتكنس آثار الحشمة فى طريقنا ، أو لسنا نشعر بربحها السموم تهب من الغرب فتذروا فى عيوننا رماداً تعمى به أبصارنا ، ما أهمية الشعر مجزوراً أو مترسلا أو معقوصاً أو مضفوراً ، إذا كانت الرأس لا تحوى عقلا وعلماً بل إن قاسم أمين نفسه بعد أن كتب كتابه تحرير المرأة والمرأة الجديدة ، قد غير رأيه إذ رأى النتائج العكسية لما دعا إليه ، فقال فى تصريح نشرته جريدة الظاهر (ا كتوبر ١٩٠٦) لقد كنت أدعو إلى إقتفاء أثر الترك بل الأَفرنج فى تحرير نسائهم ، وغاليت فى هذا المعنى حتى دعوتهن إلى تمزيق الحجاب وإلى إشراك النساء فى كل أعمالهم ومآدبهم وولائمهم وولكننى أدركت الآن خطر هذه الدعوة ، بما اختبرته من أخلاق الناس ، فلقد تتبعت خطوات النساء فى كثير من الأَحياء ، لأَعرف درجة إحترام الناس لهن ، فرأيت من فساد أخلاق الرجال — بكل أسف — ما حمدت الله على ما خذل من دعوتى ، واستنفر الناس إلى معارضتى ، لهذا لا أَجد الوقت مناسباً للدعوة إلى تحرير المرأة بالمعنى الذى قصدته من قبل». وهذا كله يعنى فساد هذه الدعوة التى أشعلها الاستعمار ليكسب من ورائها تدمير المجتمع الإسلامى ، والسير بها إلى الغايات التى يرجوها وآية ذلك أن تعليم الفتاة المسلمة ما زال ناقصاً ومبتوراً ، ولا تجنى منه الفتاة إلا غروراً وزهواً ، وأنه فشل فشلا تاماً فى تخريج زوجة صالحة ، تدبر شئون بيتها وتربى أطفالها ، بل إنه لم يعلمها ما هى رسالتها الحقيقية فى المجتمع . وقد استتبع الخطأ الواحد عدة أخطاء : إستتبع تلك الحركة الضالة التى استهدفت المساواة والإختلاط ، والاستهانة بمسئولية المرأة ومهمتها الأَساسية ، ودفعها إلى مجال الأَهواء .

فقد فتحت لها بيوت الأزياء وأعدت لها وسائل الزينة والإغراء والدعاية ، وقام على ذلك كله اليهود وخصوم الإسلام ، وكان وراء هذه الدور غايات خبيثة وما تزال المرأة سلعة يلعب بها يهود العالم وقد جعلوها وسيلة للكسب والدعاية ، واقتحمت موضات اللباس المختلفة كل البلاد ، وفرضت نفسها على المجتمعات الإسلامية . بل إن بعض الاقطار الإسلامية خضعت فى قوانين الطلاق لغايات من قوانين كنسية لا إسلامية ، حدث هذا فى الوقت الذى تراجعت فيه الكنسية عن الزواج الكاثوليكى ، أى عن منع الطلاق تحت ضغط الحاجة ، وفى إيطاليا قلعة الكاثوليك أقر برلمانها إباحة الطلاق ، وما أن صدر القانون حتى جوبهت المحاكم بمليون طلب طلاق وما زال المسلمون يخضعون لمؤامرات الغرب فى تحديد النسل ، بينما رفضت الكنيسة ، وما زال أسلوب تعليم المرأة وتربيتها خاضعاً وتابعاً للأساليب الغربية وسيظل تعليم المرأة المسلمة عبثاً ما لم يهدف إلى أمور ثلاثة ١ — تربية أنوثتها فهى هبة الله الكبرى . ٢ — تربية أمومتها فهى جوهر ذاتيتها/ ٣ — تربية ذوقها فهو مفتاح شخصيتها . لقد أعطى الإسلام للمرأة المسلمة منذ بزغ فجره حرية وكرامة ، ومساواة لم تمنحها لها أية حضارة أو شريعة سابقة عليه ، فجعل لها حق الامتلاك والتصرف والبيع تصرفاً مستقلا عن الرجل ، وجعل لها حق العلم فريضة ، وأتاح لها أن تعمل ى مجال التربية والتطبيب ما تشاء ، ما دامت تحفظ شخصيتها ودينها وكيانها ، وقد أحاط الإسلام رسالتها الأساسية وعملها كله بقيم أساسية عامة ، فى مجال الأخلاق والدين ، تجرى من خلالها حركة المرأة فى قدر كبير من التحوط لها ، والمحافظة عليها ورفعها إلى مجال الكرامة والكمال ، وحماية لها من ذوى الأغراض والأهواء وأبرز ما يوصى به الإسلام ودعا إليه المرأة ، هو المحافظة على ذاتها وعرضها ، وصونه عن غير من هو أحق به حلالا وهو الزوج ، والكرامة فى إبداء الزينة لهذا الرجل المصاحب فى الحياة بحق الشرع ، فليس لغيره أن يطلع على زينة المرأة أو جمالها ، أما بالنسبة للناس جميعاً فإن كرامتها تقتضيها أن تواجههم فى ملابس لا تشف ولا تكشف ولا تصف ، إيماناً بأنها ليست أداة من أدوات الزينة ، أو المتعة لكل الناس ، وليست معرضاً للأزياء أو مصدراً من مصادر الترف لكل ناظر ، وهكذا حفظ لها الإسلام كرامتها فى مواجهة الناس ، فهى حين تلقاهم تلقاهم فى سمت كريم ، ولغة واضحة «فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفاً » (الأحزاب) ومشاركة فى العمل قوامها العقل والفهم والذوق ، وليس قوامها الإغراء بالملبس المكشوف أو الكلمة الرخية . ومن حق المرأة أن تعرف حق ربها

عليها ، وحق زوجها وحق أهلها فتؤدى هذه الحقوق بالصلاة والصدقة والسؤال والزيارة ومن ومن حق المرأة أن تثقف نفسها ثقافة نسوية خاصة وثقافة علمية عامة فلها مجال فى الثقافة بالاضافة إلى المجال العام ،يكشف عن دورها فى بناء الأُسرة وتربية الطفل ورعاية الزوج ،والقيام على مختلف الشئون المنزلية أداء أو إشرافاً على من يؤديها . ومن حيث يريد الإسلام لها من حقوق وواجبات ومجال عمل طرق حياة ، إنما يريد أن يحررها عن أن تكون أمة أو عبدة أو أداة للرجل ، على النحو الذى يفهم فى ظل الحضارات الوثنية القديمة ، أو الذى تحاول أن تصوره الحضارة الحديثة ، فالرجل لا يعجب إلا بالفتاة ذات الكرامة والاستعلاء عن الأهواء ، الفتاة التى تعرف واجبها وحق الله عليها ، وحين تعتصم الفتاة بالإيمان والكرامة وسلامة الشخصية ، إنما تدفع عنها كثيراً مما يواجهها فى الحياة اليوم من أخطار وأسواء . فالتعليم وحق المرأة فى العمل موجودان فى الإسلام ، وهو الذى أهداهما إلى الحضارة الغربية أصلا ، ومن حقها أن تمارسهما فى حدود قيمنا ومفاهمنا ، وعلى الفتاة أن تعرف واجبها كاملا وأن تسترشد فيه بهدى النماذج الكريمة التى قدمها تاريخ الإسلام للمرأة المؤمنة المجاهدة فى سبيل الله ، بانية الشباب الكريم النافع وصانعة الحياة الطيبة ، ومؤازرة الرجل فى عمله ومشاقه ، مرتفعة فوق مطامع الناس وأهواء المجتمعات ومحاولات الذين يريدونها رقيقاً من حيث جعلها الله ذات سيادة وكرامة . ولقد شاء الله تبارك وتعالى للجنسين أن يعملا ويعمرا الحياة ، وقسم بينهما الأعمال تقسيما يصلح لشخصيته وطبيعته ، لتكوين كل منهما ، الدور الذى يقوم به ، وجعل من حق المرأة العمل بحيث لا يتعارض مع تنشئة الأبناء والحفاظ على كيان الأُسرة ، فإذا تعرض بناء الأسرة للخطر . كان على المرأة أن تحفظه وأن تتنازل عن حقها فى العمل الخارجى الذى يمكن أن يؤديه غيرها والمرأة المسلمة بعامة إنما تستمد مصادر نهضتها من خلال القيم الأساسية التى رسمها الإسلام والقرآن ، وطبقها النبى الكريم صلى الله عليه وسلم ، بما يفتح لها طريق الكرامة وحسن الخلق ، وبناء شخصية المرأة على أساس من الإيمان والقدوة الحسنة والتربية العملية بما يحررها من أقسى قيد يحاول النفوذ الأجنبى أن يوقعها فيه ، وهو قيد (الاستعباد) والعودة إلى حياة الأماء والعبودية لشهوات الرجل بأن تكون أداة للأهواء الجامحة التى تريد أن تدمر المجتمع الإسلامى ، فليست المرأة أداة ولا متعة ولا صنيعة أهواء الرجال ، وإنما هى شخصية كاملة عالمية الكرامة ، لها رسالتها ودورها ومهمتها ولنذكر أن المرأة المسلمة على طوال تاريخ الإسلام كانت تعمل وهى تحمل معها قيم الإسلام ،

ولم تنخل عنها وبذلك إستطاعت أن ترسم صورة شريفة لدور المرأة فى بناء الحياةالإنسانية.
هذه أمانة الفكر الإسلامى إلى ذات الرداء الأبيض اليوم ، ونحن نشاهد هذه النهضة الجديدة التى تقوم على أساس التماس المرأة المسلمة لمفهوم الإسلام الحقيقى ، لقد كشفت الدراسات الجادة عن مآخذ إجتماعية خطيرة فى حياة المرأة العربية والمسلمة ترجع إلى الثقافة الوافدة التى تعارض مفهوم الإسلام الأصيل فالمرأة العربية والمسلمة تتآسى بصورة المرأة فى كتاب ألف ليلة وليلة الدخيل والزائف ، وتجعل من صورتها فيه نموذجاً لها ، . وهو نموذج الجارية التى لا يهمها إلا لباسها ولا ترى فى نفسها أكثر من متعة للرجل . تعيش بغرائزها وعليها أن تكون جميلة وأن تسلى الرجل وأن تطهو له الطعام أشبه بدمية : مثلها الأعلى الأناقة المسرفة ، وبذلك جحدت عطاء ربها وجحدت المجتمع وجحدت ذاتها . ولقد ساقتها المجلات — التى تسمى نفسها نسائية — إلى أن تكون أشبه بعارضة أزياء ، لا هدف لها إلا ملابسها وحقائبها وأحذيتها ، وهى قد أضعفت فيها الحدود والضوابط التى تفضل بين المرأة المؤمنة والمرأة الخليعة ، فهى لا ترى بأساً فى أغلب الأحيان من أن تحترف الغناء والتمثيل وأن تحطم نطاقها الشرعى الشريف ، لقاء عطاء مادى لا قيمة له أمام الكرامة والعرض . كذلك فهى مخدوعة بكل دعوة إلى العمل والسفر ، حتى ولو تكشف أن هذا العمل ليس إلا فى مجالات بعيدة عن العفة والكرامة تغريها على هذا أقلام لامعة . لا تجعل لها قياساً إلا ما تحصل عليه مادياً ، مهما كان نوع العمل ومهما كان ما تتعرض له من سوء ذلك لأننا عجزنا عن أن نربى فى المرأة المسلمة الغيرة والكرامة والحفاظ على العرض ، والإرتفاع به فوق كل المغريات وكل المعطيات ومن ذلك مقياس الأجر فى موازنة تربية الطفل . فهل يمكن أن يوزن أى أجر يعطى للمرأة ، تنفق أغلبه على أزيائها وملابسها بما يفقده طفلها من رعاية ، عندما تدعه فى يد الخادمات القاسيات وهناك ظاهرة الخسارة التى تتعرض لها بلادنا ، بانفاق ملايين الدنانير كل عام ، على شراء الثياب والأحذية والعطور والمساحق وهذا باب آخر من أبواب الشر يضاف إلى الخسارة المتعددة الوجوه ، التى فتحت أبوابها فتنة تحرير المرأة . تقول الدكتورة نازك الملائكة : أن معامل الأقمشة فى الغرب المستعمر تضحك منا ، وتستعملنا نحن النساء فى ضرب الإقتصاد القومى فى العالم العربى ، ومعامل الأقمشة لا أخلاق لها وآلاتها الرهيبة بلا قيم ولا إنسانية ، إنها تريد أن تبيع ، وليس يهمها فى سبيل ذلك أن تقتل روح الإنسان وتذل كرامته ، وهذه المعامل الشريرة الجشعة هى التى تغير الأنماط كل عام فتصنع دفاتر لنماذج

جديدة ، وهو ما يسمى بالموديلات التى تغمر أسواقنا مثل مجلة (بوردة) اليهودية وسواها ، وهذه المجالات تفتك بروح المرأة فتكاً ذريعاً ، يؤدى بنا إلى الخراب الاقتصادى الأكيد فهى تأتى بخبراء للملابس يخيطون الأقمشة الجديدة فى أنماط معينة ثم تقيم معارض للأزياء ، فتأتى بفتيات جميلات تلبسن هذه الملابس . وتعرض أجسادهن على العيون ، كما كانت الجوارى يعرضن فى سوق النحاسين وقد أصبحت أخيراً تغرى الإذاعات المرئية بتصوير حفلات الأزياء ونقلها ، ليراها الملايين وينتقل الفساد إلى داخل البيت العربى نفسه . وبالجملة فإن المرأة تنهار أمام هذا الغزو الفاضح تحت تأثير تشجيع الصحافة والإذاعة وكتاب القصص ، وكل هذا يدعو إلى التساؤل : هل خضعنا للتخطيط الوافد . الذى يدفع المرأة المسلمة إلى أن تنهار أمام الغزو الغربى المادى ، وبذلك يسقط العالم الإسلامى كله من وراء ذلك لقمة سائغة فى أيدى القوى المسيطرة على هذه الأعمال ، إن أغلب معامل العطور والمساحيق والأقمشة إنما يملكها اليهود فى الغرب . هؤلاء الذين يسعون إلى السيطرة على العالم ، ويحكمونه بعد أن يدمروا أخلاقنا ، وأسلوبهم فى السيطرة ذو شقين : أولهما : الإستيلاء على المال فى كل بلد ينزلونه . الثانى : هدم الأخلاق والقيم والمثل والمعتقدات . ولقد أشار هنرى فورد فى كتابه (اليهودى العالمى) بأن اليهود من أجل تحقيق غايتهم ، قد سيطروا على ثلاثة أشياء:البنوك للربا ، والسينما لتقديم مفاهيمهم المسمومة ، ومعامل الملابس والمساحيق والعطور ، وسواها من مستلزمات (المودة) ، فكلما غيروا الألفاظ زادوا النساء شراء وإنفاقاً ، وتسربت الأموال إلى جيوب اليهود وهم يحققون أيضاً قتل الأخلاق ، ويشيعون التفسخ وينشرون الشهوات ، وإنما الملابس القصيرة إبتكار يهودى فقد رفعوا أزياء النساء فوق الركبة ليزون الحياء وتنتشر الرذيلة ويشيع الاختلاط غير البرىء بين الشبان والشابات ، وتضيع طهارة الفتاة وتتهدم الأسرة وتنتشر الأمراض الجنسية ، ويبتلى الأطفال وينشأ جيل ضائع موبوء مريض ، والمرأة المسلمة تسعى إلى حتفها وحتف أمتها دون أن تدرى ، وقبل أن تفيق من أحلامها وأهوائها .

ومن هنا فإن على المرأة المسلمة أن تصرف عن نفسها تلك الأكاذيب المضللة التى خدعت بها ، من مثل القول بالمساواة بين الرجل والمرأة ، أو الاختلاط ، وأن تعلم أن وظيفة المرأة الأساسية هى بناء الأسرة ، وإنشاء الجيل الصالح . وإن تقدم تربية أبنائها على كل عطاء مادى ، أو عمل لا يناسبها ، ولا يحفظ كرامتها . أو ليست فى حاجة إليه ، وعليها أن تعتصم بالغيرة والمروءة ، وأن تحمى نفسها من أهواء المفسدين الذين يتاجرون بالجنس . ويسترقون النساء

باستغلالهن فى دور اللهو والفساد ، وأن تحرص على اللباس الكريم المحتشم ، وستر ما يجب ستره كما أن تمتنع عن التبرج أو الترجل وتقليد الرجال ، فى الكلام أو المشى أو شرب السجائر ، وأن يعلمن بأن الاختلاف التكوينى بين الرجل والمرأة هو خلاف بيولوجى يجعل لكل منهما وظيفة غير وظيفة الآخر . وقد أشار الدكتور أليكس كاريل : إلى أن الاختلاف بينهما ليس فى الأعضاء التناسلية وحدها ، ولا فى وجود الرحم والحمل بل هو اختلاف ثابت ومتين فى الأنسجة ، وتلقيح الجسم كله بمواد كماوية محددة ، كذلك فإن هناك خلافاً أساسياً فى تكوينها العضلى ، ومن هنا فقد أخطأ الجاهلون فى أن يتلقى الجنسان تعليما واحداً ، أو يمنحا سلطات واحدة أو مسئوليات متشابهة ، ولا ريب أن ما قاله كاريل ، عن الفوارق بين الرجل والمرأة من حيث التكوين العضلى والعصبى والعقلى ، إنما يؤكدها ما سبق إليه القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً حين قرر « وليس الذكر كالأنثى » وقوله تبارك وتعالى « أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين » الزخرف : ١٨ لقد دعت النساء الأوربيات اللائى أسلمن (استان رابتيش إنى يبزانت ، أيفلين كربلاد) المرأة المسلمة إلى الحفاظ على مهمتها ووظيفتها والحفاظ على شخصيتها . والاحتراز من أخطار الاختلاط فى الوظائف والأعمال والأسواق ، وإلى الامتناع عن الأزياء غير المحتشمة ، ونعى هؤلاء عليها إنصرافها عن مسئولياتها فى تربية الأولاد ورعاية الزوج وكيف أن المرأة تتمتع فى ظل الإسلام بكرامة شخصية وحقوق إنسانية لم تتحقق للنساء فى أوربا وأمريكا حتى الآن ، وأن العالم لن يجد له طريقاً إلا التماس مفهوم الإسلام ليخرج من أزمته . ولكى نعرف خلفيات هذه القضية الخطيرة يجب أن نذكر شيئاً مهماً هو أن كتاباً ظهر فى مصر عام ١٨٩٤ (أى بعد الإحتلال البريطانى بعام واحد لمحام مصرى موال لكرومر وللنفوذ الأجنبى يدعى « مرقص فهمى » تحت عنوان « المرأة فى الشرق » صور فيه خطة الاستعمار فى المطالبة بتحقيق خمسة أغراض : (١) القضاء على الحجاب الإسلامى . (٢) إباحة الإختلاط للمرأة المسلمة بالأجانب عنها . (٣) تقييد الطلاق ووجوب وقوعه أمام القاضى . (٤) منع الزواج بأكثر من واحدة (٥) إباحة الزواج بين المسلمات وغير المسلمين . وكان هذا المخطط هو النواة للنفوذ الأجنبى الذى تدرس على ضوئه « حركة قاسم أمين » وهدى شعراوى ، ذلك أنه لم تمض سنوات خمس حتى ظهر كتاب « تحرير المرأة » فكان ذلك خطوة على الطريق ظن البعض سلامتها ، فما هى هذه الخلفيات لهذا الحدث الخطير . أولا : كتب داود بركات رئيس تحرير الأهرام

بجريدته الصادرة فى ٤ يناير ١٩٢٨ مقالا . قال فيه أن قاسم أمين قرأ كتاب الدوق داركور « المصريون » ورد عليه بكتاب باللغة الفرنسية وفند إتهاماته .. فلما ظهر هذا الكتاب وصف بأنه لم يكن فى صف النهضة النسائية فقد رفع الكتاب من شأن الحجاب وعده دليلا على كمال المرأة ، كما ندد بالداعيات إلى السفور وقد رأت فيه الأميرة نازلى فاضل تعريضاً . ثم استطرد يقول (وكانت الأميرة نازلى فاضل ولها صالون يحضره سعد زغلول ومحمد عبده وجماعة من الطامحين إلى تولى السلطة فى مصر تحت قيادة النفوذ البريطانى وبرعاية اللورد كرومر) . ويقول داود بركات متابعاً : وقد أشير على جريدة المقطم – وهى لسان الإنجليز فى مصر ذلك الوقت – أن تكتب ست مقالات عن الكتاب تفند أخطاء قاسم فى هذا الاتجاه ودفاعه عن الحجاب ، وإستنكاره اختلاط الجنسين .. ثم أوقفت الحملة بعد إتفاق الشيخ محمد عبده وسعدزغلول مع قاسم أمين على تصحيح رأيه . وقد حمل الشيخ محمد عبده الدعوة إلى تحرير المرأة فى دروسه فى « الرواق العباسى » بالأزهر حين أعلن أن الرجل والمرأة متساويان عند الله . وقد ترددت آراء كثيرة بأن الشيخ محمد عبده كتب بعض فصول الكتاب أو كان له دور فى مراجعتها ومما أورده لطفى السيد أنه إجتمع فى جنيف عام ١٨٩٧ بالشيخ محمد عبده وقاسم أمين وسعد زغلول وأن قاسم أمين أخذ يتلو عليه فقرأت من كتاب تحرير المرأة وصفت بأنها تنم عن أسلوب الشيخ محمد عبده نفسه . ثانياً : كتب فارس نمر صاحب المقطم مقالا فى مجلة الحديث (الحلبية) عام ١٩٣٩ وأشار إلى هذا الحادث فقال : « إنه ظهر كتاب للدوق داركور يطعن فيه على المصريين طعناً مراً ، ويخص النساء بأكبر قسط منه . إد رماهن بالجهل وضعف مكانتهن فى المجتمع . فاهتاج الشباب وتطوع قاسم أمين للرد على كتابه . ويستطرد فارس نمر يقول : وهنا أشير لحقيقة لا يكاد يعلمها إلا ندرة فى مصر . هذه الحقيقة أن كتاب قاسم أمين الذى رد فيه على « دوق داركير » لم يكن فى صف النهضة النسائية التى كانت تمثلها الأميرة نازلى .. بل كان الكتاب يتناول الرد على مطاعن المؤلف الفرنسى ، ويرفع من شأن الحجاب ، ويعده دليلا على كمال المرأة ، ويندد بالداعيات إلى السفور ، واشتراك المرأة فى الأعمال العامة .. ولما ظهر كتابه هذا ساء ما به إخوانه من أمثال محمد المويلحى ، ومحمد بيرم ، وسعد زغلول .. ورأوا فيه تعريضاً جارحاً بالأميرة نازلى ، فتشاوروا فيما بينهم فى الرد واتفقوا أخيراً أن أتولى الكتابة عن هذا الموقف وعرض فصوله وإنتقاد ما جاء به خاصاً بالمرأة ، وبدأت فى كتابة سلسلة مقالات عنه .. ولكن ذلك النقد

لم يرق فى نظر قضاة محكمة الإستئناف ، ورأوا فيه مساساً بهيبتهم . لأن قاسم أفندى كان أحدهم ورأوا أن أفضل وسيلة يبذلونها لكى أكف عن الكتابة أن مؤلفه يرجو الأميرة نازلى فاضل لكى تطلب إلى ذلك . . وتطوع الشيخ محمد عبده للقيام بهذه المهمة وذات مساء حضرت إلى صالون الأميرة كما حضر الشيخ محمد عبده ومحمد بيرم والمويلحى . . وبعد قليل تحدث الشيخ محمد عبده مع الأميرة فى هذا الشأن . فالتفتت إلى سموها وقالت لى : أنها لا تجد بأساً فى أن أكف عن الكتابة فى الموضوع . وكانت هى لم تقرأ الكتاب ولم تعرف أنه يشمل الطعن فيما تدعو إليه . فلما رأى ذلك محمد المويلحى قال لسموها : أنه يدهش من طلب الأميرة وخاصة لأن الكتاب تعرض لها . فبدت الدهشة عليها وكانت إحدى نسخ الكتاب موجودة عندها . وعبثاً حاولت أن أقفل باب الحديث فى هذا الشأن وخاصة بعد أن لمحت عليها معالم الإضطراب والجد والعنف . فلما اطلعت على ما جاء به ثارت ثورة شديدة ووجهت القول بعنف إلى الشيخ محمد عبده . لأنه توسط فى هذ الموضوع . . مرت الأيام بعد ذلك واتفق محمد عبده وسعد زغلول والمويلحى وغيرهم على أن يتقدم قاسم أمين بالإعتذار إلى سمو الأميرة . فقبلت إعتذاره ثم أخذ يتردد على صالونها . وكلما مرت الأيام إزدادت فى عينه ، وارتفع مقامها لديه . وإذا به يضع كتابه الأول عن المرأة الذى كان الفضل فيه للأميرة نازلى والذى أقام الدنيا وقعدها بعد أن كان أكثر الناس دعوة إلى الحجاب » . انتهى كلام فارس نمر : ثالثاً : أشارت هدى شعراوى فى محاضرة لها إلى هذا المعنى وكشفت هذا السر الذى ظل خافياً زمناً طويلا ولم يكشف بعد وفاة قاسم أمين بعشرين سنة غير أن الذى يلفت النظر أن قاسم أمين عدل عن رأيه هذا من بعده ، وتبين له أنه أخطأ الطريق . وقد تبين هذا حين صرح قاسم أمين فى حديث له صحيفة « الظاهر » التى كان يصدرها المحامى محمد أبو شادى حيث أعلن رجوعه ، وأعلن أنه كان مخطئاً فى (توقيت) الدعوة إلى تحرير المرأة . . هذا التصريح نشرته جريدة « الظاهر » فى أكتوبر ١٩٠٦ قال قاسم أمين : « لقد كنت أدعو المصريين قبل الان إلى إقتفاء فى هذا المعنى حتى دعوتهم إلى تمزيق ذلك الحجاب ، وإلى إشراك النساء فى كل أعمالهم ومآدبهم وولائمهم . . ولكنى أدركت الان خطر هذه الدعوة بما إختبرته من أخلاق الناس . . فلقد تتبعت خطوات النساء فى كثير من أحياء العاصمة والإسكندرية لأعرف عرف درجة إحترام الناس لهن ، وماذا يكون شأنهم معهن إذا خرجن حاسرات فرأيت من فساد أخلاق الرجال بكل أسف ما حمدت الله على

ما خذل من دعوتى واستنفر الناس إلى معارضتى .. رأيتهم ما مرت بهم أمراءةأو فتاة إلا تطاولوا إليها بألسنة البذاء ، ثم ما وجدت زحاماً فى طريق فمرت به إمرأة إلا تناولتها الأيدى والألسن جميعاً .. إننى أرى أن الوقت ليس مناسباً للدعوة إلى تحرير المرأة بالمعنى الذى قصدته من قبل » ومعنى كلام قاسم أمين هذا الذى نشره قبل وفاته بعام ونصف عام أن قاسم أمين قد اكتشف بعد سبع سنوات من دعوته (التى جاءت استدراجاً ومرضاة لنفوذ وليست خالصة لوجه الله تعالى) أنها لم تكن قائمة على أسسها الصحيحة وهى الدعوة إلى تربية الخلق والإيمان بالله ، وأنها لم تكن على طريق الحق .. أو ربما أن قاسم رأى بعد أن تغيرت الظروف بزوال كرومر ووفاة محمد عبده وانطفاء نفوذ نازلى فاضل (ربيبة كرومر) أن يتخفف من هذه التبعة . وربما كان لبعض التجارب أثرها فى نفسه .. فها هو يروى أن صديقاً عزيزاً زاره ذات مرة فلما فتح له الباب قال : جئت هذه المرة من أجل التحدث مع زوجك ! ! فدهش قاسم .. كيف يطلب مقابلة زوجته . فقال له صديقه : ألست تدعو إلى ذلك .إذن لماذا لا تقبل التجربة مع نفسك . فأطرق قاسم أمين صامتاً ومما يذكر أن السيدة زوجة قاسم أمين كتبت منذ سنوات تعلن أن دعوة قاسم أمين كانت خطيرة وأنها لم تكن قائمة على أساس صحيح . وقال محمد فريد وجدى : إن دعوة قاسم أمين قد أحدثت تدهوراً مريعاً فى الاداب العامة ، وأحدثت إنتشاراً مفزعاً لمبدأ العزوبة ، وأصبحت ساحات المحاكم غاصة بقضايا هتك الأعراض وهرب الشابات من دور أهلهن . ونعت الدكتورة بنت الشاطىء ما تكشف من حركة تحرير المرأة مما أسمته مهزلة أليمة موجعة .. تقول بنت الشاطىء : « إن الرجال ساقونا لنعمل لحسابهم .. وهم يوهموننا أننا نعمل أو يعملون معنا لحسابنا .. ذلك أن الرجال رتبوا لنا الخروج زاعمين أنهم يؤثروننا على أنفسهم .. ولكنهم كذبوا فى هذا الزعم فما أخرجونا إلا ليحاربوا بنا السامة والضجر فى دنياهم » ثم قالت بنت الشاطىء : « إن المرأة دفعت ضريبة فادحة ثمناً للتطور ويكفى أن أشير فى إيجاز إلى الخطأ الأكبر الذى شوه نهضتنا. وأعنى به إنحراف المرأة الجديدة عن طريق الطبعى وترفعها عن التفرغ لما نسميه : خدمة البيوت وتربية الأولاد . ونحن نرى البيوت أصبحت مقفرة منهن . أما الأبناء فتركو ا الخدم . وقد نشأ هذا الإنحراف الضال نتيجة لخطأ كبير فى فهم روح النهضة . وبلغ من سوء ما وصلت إليه أن نادت مناديات بحذف نون النسوة فى اللغة كأنما الأنوثة نقص ومذلة

وعار . وأهدر الاعتراف بالأمومة كعمل من الأعمال الأصيلة لنا حتى سمعنا من يسأل كيف تعيش أمة برئة معطلة .. يقصد بالرئة المعطلة هؤلاء الباقيات فى بيوتهن يرعين الأولاد .. وزعموا أن المرأة تستطيع أن تجمع بين عملها فى البيت ووظيفتها فى الخارج » . إنتهى كلام الدكتورة بنت الشاطىء . أما ما هى ملابسات زعامة هدى شعراوى للحركة النسوية . فالواقع أن هناك عدة ملابسات لا يفسرها إلا فهم تاريخ الحركة الوطنية فى مصر لرجلين : أحدهما والدها محمد سلطان، والاخر زوجها على باشا شعراوى أما والدها محمد سلطان فيقول الدكتور عبد العزيز رفاعى فى كتابه « محمد سلطان إمام محكمة التاريخ » . إنه كان من أعلام الثورة العرابية . ولكنه تنكر لها فى أحلك أوقاتها ، ومشى فى ركاب أعدائها : الخديوى والإنجليز .. حتى نال حظوته من الخديوى بالإحسان ، ومن الإنجليز بالتقدير .. وقد أثبت ما أورده السيد محمد رشيد رضا فى كتابه : « الأستاذ الإمام محمد عبده » ج ١ ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ عن الدور الذى لعبه محمد سلطان فى خدمة مخابرات الإنجليز فى سبيل الوصول إلى معسكر العرابيين فى التل الكبير . وهكذا حمل لواء الخيانة للثورة العرابية ، وطاف ببور سعيد والإسماعيلية بجيش عرابى معلناً الثقة فى الجيش الغازى ومطمئناً الأهالى على حياتهم وقد أفهمهم حسن نيات الإنجليز إزاء المصريين ، وأبان لهم أنهم لا يستهدفون غزو البلاد . بل يستهدفون تأديب العصاة وتابع سلطان باشا نشاطه فأخذ يفرق الناس عن عرابى ، ويجمعهم لمعاونة الإنجليز فأرسل إلى شيخ بدو الهنادى المقيم فى الصالحية ويدعى سعود العماوى والآخر إلى محمد صالح الحوت ليتفق معهما على إستمالة العربان ولم يكتف محمد سلطان بنشاطه فى الجاسوسية وبث الدسائس فى منطقة القناة وفى ميدان المعركة . بل مد نشاطه إلى داخل البلاد ليقضى على كل معاونة شعبية لحركة عرابى . ورافق (ولسلى) قائد القوات البريطانية للتفاوض مع مشايخ العربان ، كما كانت الأموال التى أعدها الخديو لرشوة شيوخ البدو فى عهدة سلطان (راجع بلنت : : التاريخ السرى ومذكرة سلطان إلى الخديو فى الإسماعيلية بدار المحفوظات التاريخية دوسيه رقم ٢) . وكان سلطان هو الذى أبلغ الخديو هزيمة عرابى. ودخل سلطان القاهرة منزهوا يتطلع لفجر جديد فى حياته بعد أن سجل خيانته ، وكتب تاريخها بنفسه . وقلده الخديو النيشان المجيدى الاول رفيع الشأن ووضعه على صدره بيده ،

وأعطاه عشرة آلاف جنيه تعويضاً للأضرار التى الحقت به ثم عينه رئيساً لمجلس شورى ولكن ضربة القدر لم تمهله ليتمتع بما إشترى من أطيان فداهمه مرض السرطان واشتدبه المرض وتوفى فى أوربا سنة ١٨٨٤ ، وقد أنعم الإنجليز عليه بنيشان سان ميشيل وسان جورج الذى يخول صاحبه لقب «سير» . هذه هى خلفية الحياة الإجتماعية لقائدة النهضة النسوية والتى تزوجت وهى فى الرابعة عشرة من رجل غنى موسر صديق لوالدها يبلغ الخمسين من العمر هو على شعراوى باشا أحد الثلاثة الكبار الذين قابلوا المندوب البريطانى بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى (سعد زغلول وعبد العزيز فهمى) بوصفهم من رجال حزب الأمة الموالى للإستعمار البريطانى لعرض مطالب البلاد . ولم يلبث شعراوى باشا أن توفى وقد كان الثلاثة هم دعاة الولاء البريطانى والتعامل مع الإنجليز والشاجبين لمفاهيم الحزب الوطنى فى المفاوضة قبل الجلاء . ولقد وجدت السيدة هدى شعراوى الفرصة سانحة للتبرير خاصة وأن السيدة صفية زغلول - إبنة مصطفى فهمى الذى حكم مصر بالحديد والنار خلال أول مراحل الإستعمار البريطانى ثلاثة عشر عاماً وزوج سعد زغلول والمسماة بأسماء الأضداد « أم المصريين » - تستأثر بالزعامة السياسية فأرادت أن تفتح مجالا جديداً تنفرد فيه بالزعامة فكان ذلك هو مجال المرأة وخاصة وأنها نزعت نقابها فى ثورة ١٩١٩ . ولقد تلقفتها جماعات تحرير المرأة العالمية والمنبثة فى أوربا وخاصة فى باريس وبرلين وبروكسل والتابعة للمحافل الماسونية ومنظمات الصهيونية العالمية ووجدت فيها طيراً سميناً فدعتها إلى حضور المؤتمرات النسوية العالمية التى كانت الصهيونية العالمية تديرها من وراء ستار ، والتى كانت تستهدف إحداث الضجيج حول حقوق المرأة السياسية فى البرلمان والحكم وخلخلة المجتمعات الإسلامية ودفعها إلى طريق الإنهيار والمعروف أن هدى شعراوى لم تنطلق فى دعوتها من أى منطلق إسلامى . بل على العكس من ذلك كانت سيدة سافرة برزة لها صالون ويتحلق حولها عدد من الرجال المجندين لكتابة الخطب والكلمات التى كانت تلقيها فى الإحتفالات وكانت تنفق على ذلك من أموال سلطان باشا التى دفعت ثمنها الثورة العرابية . ودعت إلى تلك الأفكار التى تحرص المرأة على التحرر من القيود الاجتماعية ، والإنطلاق حتى كان أحدهم يقول لواحدة سالته « لو كنت بغير أولاد لقلت لك أتركيه ورزقك وزق قابلك على الله » والمعروف أن السيدة هدى شعراوى لم تكن تعبأ فى دعوتها بالمفهوم الإسلامى للمرأة ، أو تصدر عن فهم حقيقى لرسالة البيت والأسرة ولم تكن تتحرك فى هذا الإطار . وإنما كانت تضع أمامها المرأة

الغربية كمثل أعلى . ولذلك فقد شجعت أسباب الزينة والأزياء والمودات المستحدثة . وكانت أجنحتها من المثقفات ثقافة فرنسية وذلك الولاء الماركسى والصهيونى ، ولم يكن للمفهوم الإسلامى لديهم أى أهمية . ويقول الأستاذ حسين يوسف : إنه لم يكن عجباً أن يعمل الاتحاد النسائى بزعامة هدى شعراوى للأهداف التى يحرص الاحتلال على الوصول إليها . وأن يردد فى عام ١٩٢٣ نفس المبادى التى نادى بها مرقص فهمى من قبل ، والتى فيها قاسم أمين . ولما كان دعاة تدمير مفاهيم المرأة المسلمة لا ينامون فإنهم يدعون اليوم إلى تجديد ذكرى هدى شعراوى بإقامة تمثال لها . والهدف هو دعم هذه الأفكار المسمومة التى تستهدف تدمير الأسرة المسلمة وتحطيم البيت المسلم .

(٤) الدعوة الإسلامية تشق طريقها إلى آفاق الأرض مع عديد من التحديات والانتصارات

ما زال الإسلام يفتح آفاقاً جديدة أمام الدعوة إلى الله عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة فى مختلف أجزاء الكوكب الأرضى على نحو هو الان موضوع دهشة المراقبين وعجبهم نظراً لقلة الموارد المالية التى تنفق فى هذا السبيل وبالرغم من كل أعمال المقاومة والحشد المبذول للحيلولة بين الناس وبين الإسلام . وفى العالم الغربى (أوربا والامريكتين) بالرغم من ضخامة النفوذ الأجنبي الذى تفرضه الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانتية والأنفاق الضخم والمحاولات الجديدة فى كسب الشباب بفتح أبواب الإغراء بحلبات الرقص وتقبل قوانين الاجهاض وإقرار الشذوذ الجنسى والعياذ بالله ورفع الحظر عن معتنقى الماسونية فإن ذلك كله يوحى بالكساد الشديد والانصراف الشديد حتى فى مجال تربية أجيال جديدة من قادة الفكر الدينى فإن النبسة المطروحة توحى بالإنصراف الشديد عن هذا المجال . هذا بينما يكسب الإسلام مزيداً من معتنقيه تحت تأثير قراءة النصوص الإسلامية أو الالتقاء بالدعاة المسلمين على ندرتهم فى المراكز الإسلامية فى بعض العواصم بالإضافة إلى تلك الروح البارزة لانصاف الإسلام ورسوله التى تكشف عنها الكتابات التلقائية التى لا يدرج أصحابها تحت قوائم الاستشراق والتبشير . وفى مناطق مختلفة من الأمريكتين واستراليا بالإضافة إلى أوربا نفسها نجد تجمعات جديدة تمثل أقليات صغيرة مسلمة تحاول أن تقيم مجتمعاً إسلامياً خالصاً وسط هذا الركام الضخم من فساد الحضارة الغربية واضطراب المجتمعات الأوربية . وتجرى المحاولات لاستخلاص تصريحات من قادة المسلمين ترمى إلى القول بأنه لا فوارق حقيقية بين الإسلام وبين المسيحية أو الأديان الأخرى بهدف تشبيط همم الذين

يرغبون للدخول فى الإسلام بوصفه ممثل عقيدة التوحيد الصحيحة اليوم،المحرر من الوثنية والتثنية والتعدد . وفى الولايات المتحدة جاليات من الملونين الذين هم من الأفارقة فى الأصل يمثلون تجمعاً إسلامياً ، ولكن هناك أعداد كثيرة من الأمريكيين أنفسهم أخذت تدخل فى الإسلام حتى يقول مدير إحدى المؤسسات الإسلامية فى واشنطون « أنه لا تطلع الشمس يوماً إلا على مسلم جديد » وأن هذا يحدث فى كثير من بقاع القارة الأمريكية وتتزايد هذه الظاهرة حتى تمثل علامة جديدة يصفها الدكتور محمد عبد الرؤف بقوله : إننى أرى أن هناك قوة خفية تعمل على نشر الإسلام فى هذه البلاد وهى قوة الله تبارك وتعالى وليس عملنا إلا من وراء إرادة الله وتقديره ، حيث لا ينتشر الإسلام بين الأمريكيين السود فحسب بل بين العنصر المسيحى (انجلو ساكسون) وقد وجد طريقه إلى ذوى النفوذ فى البلاد وعندما نقرأ ما يكتبه أمثال الدكتور موريس بوكاى من مقارنات بين العهد القديم وبين القرآن من حيث (المصدر) وحيث يكتشف « ربانية » القرآن و « بشرية العهد القديم » فإلى أى مدى تحدث هذه الاثار دوياً . فإذا أضيف هذا إلى ما تقدمه منظمات عدة فى دراسات الكتب المقدسة ، بالإضافة إلى ما كشفته مخطوطات كهف قمران وما تزال تكشفه الحفريات الأثرية مما يؤكد صدق نصوص القرآن الكريم وتزييف كثير من تلك المسميات الكاذبة التى تقوم عليها دراسات التاريخ القديم من حيث تجاهل (الحنيفية الإبراهيمية) ودورها فى بناء ذلك التكوين الروحى الذى عرفته هذه المنطقة ممتداً من إبراهيم عليه السلام فى أبنائه وفى اسماعيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم . « ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا » وما يتصل بهذه الرسالة من حقائق تتمثل فى جماع الإيجابيات التى نراها فى الجاهلية وفى فساد التفسيرات التى صرفتها اليهودية والمسيحية مما كشف القرآن زيفها مما غيره أهل الكتاب من وجهه الدين ومن إنكار الإرتباط بالنبوة الخاتمة وماتزال هذه الحقائق تنكشف ومازال قوى التزييف تحول بين الناس وبينها « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره » . وفى الوقت الذى تتعدد الجاليات الإسلامية فى كل مكان فى العالم وفى أوربا وفى آسيا لم يترك النفوذ الأجنبى هذا النشاط يزدهر وعلى هذا الأساس دعم الانجليز الحركة الأحمدية (القاديانية) فى الهند وغذوها بالأموال لإيجاد بلبلة فى صفوف الأمة الإسلامية ويبنى فى انجلترا مسجد للأحمدية (أو القاديانية) ليكون مركز انطلاق لهم فى انجلترا أو أوربا كما ساعدت انجلترا على طبع كتب الأحمدية المضللة وخصوصاً باللغة الإنجليزية ، وقد توسعت الأحمدية فى

قلب أفريقيا ولكنها ما تزال مرفوضة لما تخالف من مفهوم السنة الجامعة . وقد فضح أهدافها وعمالتها للإستعمار العلامة المودودى والسيد الندوى ورابطة العالم الإسلامى وغيرها من الهيئات الإسلامية وقد توسعت بعد الحرب العالمية الثانية حركات الطلبة المسلمين فى عديد من البلدان الأوربية ، وتزاحم الغربيون فى كل مكان أمام الأعياد الإسلامية ليحضروا ويشاهدوا شعائر الصلاة الإسلامية من قيام وركوع وسجود وتقاطروا على سماع خطبة العيد مما لفت أنظارهم فسعوا إلى الاتصال بالمراكز الإسلامية والحصول على المؤلفات الشارحة للعقيدة الإسلامية ، ولا شك ملأ نفوس هذه الجماعات وخاصة شباب المدارس والجامعات وشدتهم إلى الإسلام لبساطة عقيدته وسلامة مبادئه وسماحته واقترابه من الفطرة وعطائه وتكامله مع إشراق النفس الإنسانية وحيث يدعو إلى الرحمة والعدل والأخاء والتوحيد فقد شد إليه الزنوج الأمريكيين الذين عانوا من العسف والظلم والاسترقاق على أيدى الأمريكيين البيض ويعانى المسلمون معاناة شديدة فى مناطق كثيرة من العالم . وأقسى ما يواجهون ما يلقونه فى المناطق الواقعة تحت سيطرة الاتحاد السوفيتى والدول الشيوعية ، وهناك ما يلقاه المسلمون فى مناطق كثيرة من أفريقيا إزاء الحملات التبشيرية النصرانية حيث تتركز البعثات التبشيرية فى نيجيريا والكامرون وجنوب السنغال وتنزانيا وكينيا وحيث تندفع القبائل الوثنية إلى الإسلام وتدخل القبائل الزنجية فى دين الله أفواجاً وحيث تقف الدعوة الإسلامية بقوتها الذاتية فى مواجهة الإمكانيات الضخمة المتاحة لرجال الإرساليات وحيث الكنائس والأديرة والمعابد مقامة فى أنحاء كثيرة من البلاد فى المدن والقرى . وقد شهد الذين قاموا بنشر الدعوة الإسلامية بين الوثنيين بما يلقونه من ترحيب كبير خاصة فى المديريات الجنوبية الثلاث : أعالى النيل والاستوائية وبحر الغزال حيث الاتصال بالمواطنين البدائيين والضاربين فى منابت الأحراش والغابات ومواطن الحشائش والمستنقعات : يقول أحدهم « اقتنعنا بأن العمل فى هذا الميدان سهل ميسور وأن ما يبذله المبشرون المسيحيون من جهود ، لو بذل المسلمون عشر معشاره لأثمرت جهودهم أضعاف ما تثمر جهود المبشرين » بل إن الإسلام قد اقتحم مناطق جنوب أفريقيا : (جوها نسبرج ، ديربين ، إيست لندن ، كيب تاون) حيث قامت مجتمعات صغيرة من المسلمين ولكنها متماسكة ، فهم يجمعون الزكاة ويوزعونها على مستحقيها وينشئون المدارس الإسلامية والمساجد ويطبعون الصحف والمجلات الإسلامية . والمساجد هى مركز نشاط المسلمين الاجتماعى ، وكلما استولت الحكومة على منطقتهم ، رحلوا

إلى أرض أخرى وأقاموا مساجدهم ومساكنهم ويتساءل بعض الذين زارو تلك المناطق : « لماذا تتجه جميع بيوت المسلمين فى جنوب أفريقيا نحو القبلة » رغم الصراع الحقيقى الذى يخوضونه مع جهاز البلدية عند تخطيط البناء فالمسلم هنا لا ينام إلا فى اتجاه القبلة ويقيم فى داره ثلاث حنفيات للوضوء ، وغرفة للمصاحف ، ومكان للصلاة ، والنساء المسلمات يخرجن محجبات ويعمل الجميع فى تكامل رائع ، والأطفال يحفظون القرآن ويحسنون تلاوته وتجويده ، ويقبل الوثنيون فى جنوب أفريقيا على اعتناق الإسلام اقتناعاً بأنه الدين الذى أوجب المساواة وذوب الفوارق بين الناس ولم يعترف بأى امتياز أو فضل أو تفوق مصدره اللون أو العرق أو المال . وما تزال مناطق إسلامية كثيرة تقاوم : أمثال أرتيريا فى مواجهة الحبشة المسيحية الماركسية ومسلمى الفيلين (شعب بانجامور) المسلم ٨ ملامين نسمة فى الجزر الجنوبية الخمسة الكبرى وهناك اضطهاد المسلمين المتجدد فى الهند وهناك مشاكل مسلمى بورما الذين شردتهم حكومة بورما ومسلمى كمبوديا وفيتنام ولاوس وهى مثل لما يقاسيه المسلمون الذين يعيشون فى الدول الشيوعية وهناك مشكلة خمسة مليون مسلم فى تايلاند . وما يزال مسلمو قبرص يقاومون فى سبيل تثبيت وجودهم فى الجزيرة وحقهم فى البقاء حيث لم تكن قبرص فى يوم من الأيام أرضاً يونانية وحيث عمد الاستعمار البريطانى إلى تفريغ الجزيرة من المسلمين وجعلهم أقلية فيها ، وقد تعرض المسلمون لصنوف بشعة من التعذيب والحرمان . ومن الآفاق الجديدة التى فتحها الإسلام فى سنوات ما قبل بزوغ فجر القرن الخامس عشر الهجرى : غزوته السلمية لليابان حيث ديانته الشنتو (عبادة الطبيعة) والبوذية القادمة من كوريا والصين فى القرن السادس الميلادى حيث أصبح نصف الشعب اليابانى يعتنقها ، والمعروف أنه بعد إندحار اليابان فى الحرب العالمية الثانية ودخول قوات الإحتلال أعلن الامبراطور للملأ أنه لم يعد إلهاً وإنما هو بشر ، وقد انتهزت الهيئات التبشيرية العالمية الفرصة وركزت جهودها على اليابان متطلعة إلى أن تكون « المسيحية » هى عقيدة الشعب اليابانى ، وفى ظل هذا الفراغ العقائدى وجد اليابانيون فى الإسلام استجابة لمطامع نفوسهم وتطلعاتها بين ثلاث حركات تتصارع هى التبشير المسيحى (حيث توجد خمس جامعات تبشيرية ومدارس ثانوية وإبتدائية تضم ٢٠٠ ألف) ودعوة ماركسية شيوعية واشتراكية وحركة بوذية وقد دخل الإسلام إلى اليابان من عدة جهات من قازان عاصمة جمهورية التتار الإسلامية ، ومن الصين ، مقاطعة منشوريا ، ومن أندونيسيا والملايو حيث اتصل أفراد جيش الاحتلال اليابانى لأندونيسيا بالشعوب المسلمة هناك . وما تزال الدعوة الإسلامية فى اليابان

تشق طريقها مع آمال عريضة وهكذا نجد أن الدعوة الإسلامية فى نهاية القرن الرابع عشر ومطالع القرن الخامش عشر تواجه عديداً من التحديات.وسيبلغ الاسلام ما بلغ الليل والنهار مع إمتداد الزمان وجهاد العاملين والحمد لله رب العاملين .

٦ ـ الأمة الإسلامية

على أبواب القرن الخامس عشر

ثلاث عناصر تحتاج إليها الأمة الإسلامية لتستوعبها وتضعها موضع التنفيذ إذا أرادت أن تحقق وجودها فى مطالع القرن الحامس عشر الهجرى :

أولا : إمتلاك إرادة العودة إلى « أسلوب العيش الإسلام » والتحرر تماماً من أسلوب العيش الغربي الذى يدفعها الآن دفعاً إلى الدخول فى مرحلة الترف والإنهيار الاجتماعى تبعاً للدور الخطير الذى تمر به الحضارة الغربية المنهارة التى تعانى اليوم أزمتها القاتلة . ولقد كان المسلمون على مدى عصور النهضة والقوة لا يخضعون للترف ولا للمادة ولا لهوى النفس أو الترخيص فى الأمور والتراجع عن العزائم منطلقاً فى حياتهم . فهم يأخذون الأمور من تقاليد القوة والجرأة والاعتماد على الله تبارك وتعالى ولا يخافون فى الحق لومة لائم ويؤمنون بأن الموت فى سبيل الله أسمى أمانيهم وإن الفناء فى الحق هو عين البقاء وأن من يحرص على الموت توهب له الحياة . ومن هذا المنطلق القوى الجرىء دانت لهم القارات والممالك ، وكان العدل الذى أقاموه هو المنطلق الذى دفع الناس إلى الحصول فى دين الله أفواجاً . وما أعتقد أن أسلوب العيش الغربي الذى فرضه النفوذ الأجنبي على بلاد المسلمين وأعانت عليه مقتبسات قشور الحضارة فى الترف والدعة والتراخى سواء فى الطعام والملبس أو المركب أو أدوات التسلية إلا عاملا من عوامل انهيار العزائم والخوف من الأخطار والدعة والتسليم بالواقع الضعيف والفاجر . وما كان للمسلم الذى يؤمن بالله تبارك وتعالى أن يقبل الضيم أو يسكت عن الظلم أو يذهب مذهب التراخى والدعة والنوم وإنما هو يقظان أبداً مقيم على ثغرة من ثغرات الإسلام فلا يؤتين من قبله صابراً مرابطاً لا تكل أعصابه عن التحمل واليقظة وتوقع الأحداث . ولقدكان المسلمون أبان الاحتلال الأجنبي قائمين على الدفاع والكفاح ولكنهم استلانوا واستناموا بعد أن حققوا الاستقلال وغفلوا عن عدوهم يدبر لهم أن تنهار قوتهم مرة أخرى بالغرق فى الترف أو التراخى وتلك أزمة الحضارة العربية الآن التى أصابتها بالتمزق

وْلا مخرج منها للمسلمين إلا العودة إلى الخشونة وملابس الجهاد والمرابطة فى ثغور الأوطان وثغور العقيدة نفسها

(ثانياً) القدرة على تحقيق الأصالة الفكرية بالعودة إلى المطابع الإسلامية الثرة المستمدة من القرآن والسنة والتحرر من نفوذ الشبهات والسموم والأيدلوجيات والمناهج الإجتماعية الغربية التى تحاول أن تقضى على الذاتية الإسلامية » والطابع الإسلامى القرآنى الواضح الذى شكل به القرآن الرجل المسلم » ليكون شامة بين الناس ونموذجاً ضاحكاً لا ينصهر ولا ينماع ولا يسقط فى آتون الأممية أو العالمية لأنه مكلف بأن يحمل رسالة الله الحق بالتوجيه والعدل والرحمة والآخاء الإنسانى إلى البشرية بعد أن فشلت الأيدلوجيات والمذاهب إجتماعية وفردية ولبيرالية واشتراكية ووجودية فى أن تحقق له الطريق إلى المجتمع الإنسانى الطابع الربانى المصدر . ولقد أوغلت البشرية فى طريق التيه بعيداً عن منهج الله حتى كادت أن تضل السبيل ولم يعد هناك فى أمل فى عودتها إلى الحق إلا ذالك الضوء الضئيل السارى من بقاع أرض التوحيد ليعيدها مرة أخرى إلى الحق والهدى . ولكن أهل هذا الضوء ما زالوا فى مطالع القرن الخامس عشر غارقون فى الخلاف متمزقون فرقاً ومذاهب لم يتجمعوا تجمع الحذر من الخطر حول وحدة الفكر الإسلامى التى شكلها لهم القرآن ودعاهم إليها الرسول العظيم . وما تزال قدرتهم على التلق من النبى العظيم بو صفه النموذج البشرى الأمثل تطبيقاً لمنهج القرآن ، وما تزال قدرتهم ضعيفة وما تزال إرادتهم عاجزة عن أن يكونوا ربانيين قرآنيين محمديين فى أسلوب الحياة والعيش وفى أسلوب الفكر بعيداً عن كل ما تحاول القوى الأجنبية غزوهم به : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبل ملتهم » ولقد دعانا رسولنا إلى أن نحالف أهل الكتاب فى طريق عيشهم وأن نلتمس أسلوبا ربانياً قرآنياً . وهذا كله يقتضينا أن نتحرر من الزيف والشبهات والسموم النافعات الوافدة من الفكر البشرى الذى هو ركام الوثنيات القديمة وعلم الأصنام اليونانية والمادية والمجوسية والباطنية وكلها مما يختلف مع منهج التوحيد .

ثالثاً : القدرة على إمتلاك المنهج العلمى فى التكنولوجيا والتجريب والمعامل وذالك لإقامة الحضارة الإسلامية القادرة على تحقيق الأسلوب الربانى فى العدالة الشاملة للبشرية كلها وتوزيع الثروة على كل أهل الأرض : « لكى لا تكون دولة بين الأغنياء منكم » والمسلمون بإجماع الرأى هم صانعوا المنهج العلمى التجريبى الذى قامت عليه الحضارة المادية

الحديثة ولذلك فهم أحق الناس بالتماسه ، وهو الشيء الوحيد الذى يسمح لهم باستيراده على أن ينقل إلى أفق الفكر الإسلامى ليكون للناس جميعاً وإلى أفق اللغة العربية ليدور فى فلك القرآن والعدل والرحمة والآخاء .ولقد جاء الإسلام أولا ومنذ أربعة عشر قرناً بمنهج جامع للحضارة قوامه تحرير العقيدة من الوثنية وتحرير الإنسان من عبودية الإنسان التى كانت قوام حضارات الرومان والفرس والفراعنة ثم جاء يشطر الحضارة الاخر وهو « المنهج التجريبى » استمداداً من القرآن : « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » لاستخراج ما فى باطن الأرض وتعميرها وإقامة المجتمع الربانى على العدل والرحمة والأخاء الإنسانى ثم زاغت حضارة الغرب عن هذا المنهج وإعادة الوثنية والعبودية وجعلت مطامحها سلها فى إذلال الإنسان للإنسان وسيطرة القوى على الضعيف والاستعلاء بالجنس والعنصر وتكديس الثروات فى أيدي الأفراد والأمم دون بقية البشر ومن ثم حاقت بهذه الحضارات والأزمات فانتقلت من الفردية إلى الجماعية ومن الرأسمالية إلى الإشتراكية دون أن يجديها ذلك نفعاً فى تحقيق مطامح البشر وإسعادهم . ومن ثم فقد كان لزاماً على البشرية أن تبحث عن منهج جديد يحقق الأمن والسلام وليس هذا المنهج غير منهج الإسلام . ولما كان على المسلمين أن يقدموا هذا المنهج الربانى إلى البشرية وإقامة الحجة به عليهم وهم لن يستطيعوا أن يقوموا برسالة التبليغ العالمى لدين الله الحق إلا إذا أقاموا هم المجتمع الربانى ولابد من التحرر من هذه المحاذير الخطيرة التى وهمتهم والتى تضعهم الآن فى أغلال التقليد والتبعية للفكر الغربى الوافد سواء فى مجال الفكر والعقيدة أو المجتمع ولذلك فإن القرن الخامس عشر حقى بأن يمكنهم من تحطيم هذا القيد والانطلاق إلى أمرين :

(أولا) إلى تطبيق الإسلام فى مجتمعاتهم .

(ثانياً) إلى تبليغ الإسلام إلى العالمين .

أنور الجندى

(موسوعة)

مقدمات العلوم والمناهج

محاولة لبناء منهج إسلامي متكامل

المجلد الثالث

عالم الإسلام المعاصر

يتناول بالبحث تاريخ العالم الإسلامى المعاصر وأقطاره وقضاياه والتحديات الموجهة إليه ، وقضية الجامعة الإسلامية والوحدة العربية والتضامن وموقف العالم الإسلامى من القوى الغازية الثلاث : الاستعمار الغربى والصهيونية والشيوعية ودراسة قضايا العالم الإسلامى على أبواب القرن الخامس عشر الهجرى وما يتصل بالعلاقات بين الشيوعية والصهيونية والدعوات الهدامة كالبهائية والقاديانية والمخططات التى تستهدف غزو المجتمع الإسلامى .

أنور الجندى

توزيع
دار الأنصار
٨١ ش البستان ناصية شارع الجمهورية
عابدين ت ٩٣١٥٨١

مطبعة التقدم
٤٤ شارع الموارد بالمنيرة - القاهرة
تليفون ٨٤١٤٢١

رقم الإيداع ٥٣٥٥ / ٨٠
الترقيم الدولى ٥-٠٩-٧٣٤٠-٩٧٧

مقدمات العلوم والمناهج

موسوعة إسلامية جامعة

تهدف إلى إرساء منهج إسلامى جامع للفكر الإسلامى تضم عشرة مجلدات فى عشر موضوعات كبرى كل منها فى مجلد خاص كوحدة مستقلة ويتكامل فى مجموعها العام بحيث تستوعب مختلف القضايا الإسلامية استيعاباً كاملا .

المجلد الأول : الفكر الإسلامى

يتناول بالبحث الجذور الأساسية للفكر الإسلامى التى بناها القرآن الكريم والسنة المطهرة وما واجهه من محاولات فى العصر الأول وفى العصر الحديث وخاصة ما يتصل بحركات التغريب والغزو الثقافى عن طريق الاستشراق والتبشير وانبعاث الفكر الوثنى الهلينى والشرقى القديم .

المجلد الثانى : تاريخ الإسلام

ويتناول بالبحث دراسة مستوعبة لتاريخ الإسلام منذ بزوغ فجره إلى اليوم مروراً بمراحله المختلفة وأحداثه الكبرى وتوسعاته فى قارات آسيا وأوربا وأفريقيا إلى العصر الحديث وخاصة فيما يتعلق بالعلاقات بين عالم الإسلام والغرب وبين العرب والدولة العثمانية وسقوط الخلافة وقيام القوميات والاقليميات .

المجلد الثالث : العالم الإسلامى المعاصر — هذا المجلد

المجلد الرابع : اللغة والأدب والثقافة .

المجلد الخامس: التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة .

المجلد السادس: المجتمع الإسلامى .

المجلد السابع : الحضارة والعلم والعلوم الإجتماعية .

المجلد الثامن : الإسلام فى مواجهة الفلسفات والأديان .

المجلد التاسع : الشبهات والأخطاء الشائعة .

المجلد العاشر : حركة اليقظة الإسلامية .

من المنتظر أن تصدر ملاحق للموسوعة بعد انتهائها

يصدر المجلدات تباعاً عن دار الأنصار للطبع والنشر — مطبعة التقدم

فهرست الموضوعات

قريباً المجلد الرابع من موسوعة مقدمات العلوم والمناهج : اللغة والأدب والثقافة

يتناول بالبحث قضية اللغة العربية والادب العربى والثقافة العربية وانتماءها الإسلامى والمحاولات التى قام بها الغزو الثقافى والتغريب فى سبيل بعث العاميات وإدخال مفاهيم المناهج الوافدة فى الأدب والثقافة والقضايا التى حاول التغريب إثارة السموم حولها .